مكتبة المحبة

سلسلة دراسات تاريخية متعمقة

من كتب التراث القبطى الهامة للدارسين والشعب:

موجز تاريخ المسيحية

تأليف

العلَّامة الحبر الجليل الأنبا ديوسقورس

أستاذ التاريخ بالاكليريكية وأسقف المنوفية الراحل

دراسة تاريخية علمية تحليلية وافية

لازمة للدارسين والباحثين والخدام والشعب

الجزءان فى مجلد واحد

إعداد ومراجعة

دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

مكتبـــة المحـــبة
سلسلة دراسات تاريخية متعمقة

من كتب التراث القبطي الهامة للدارسين والشعب:

مـــوجـــز تاريخ المســيــحــيـــة

تأليف

العلاّمة الحَبر الجليل الأنبا ديوسقورس

أستاذ التاريخ بالاكليريكية وأسقف المنوفية الراحل

دراســة تاريخيــة علمية تحليلية وافية

لازمة للدارسين والباحثين والخُدّام والشعب

الجزءان في مجلد واحد

إعداد ومراجعة

دياكون د. ميخائيل مكسي إسكندر

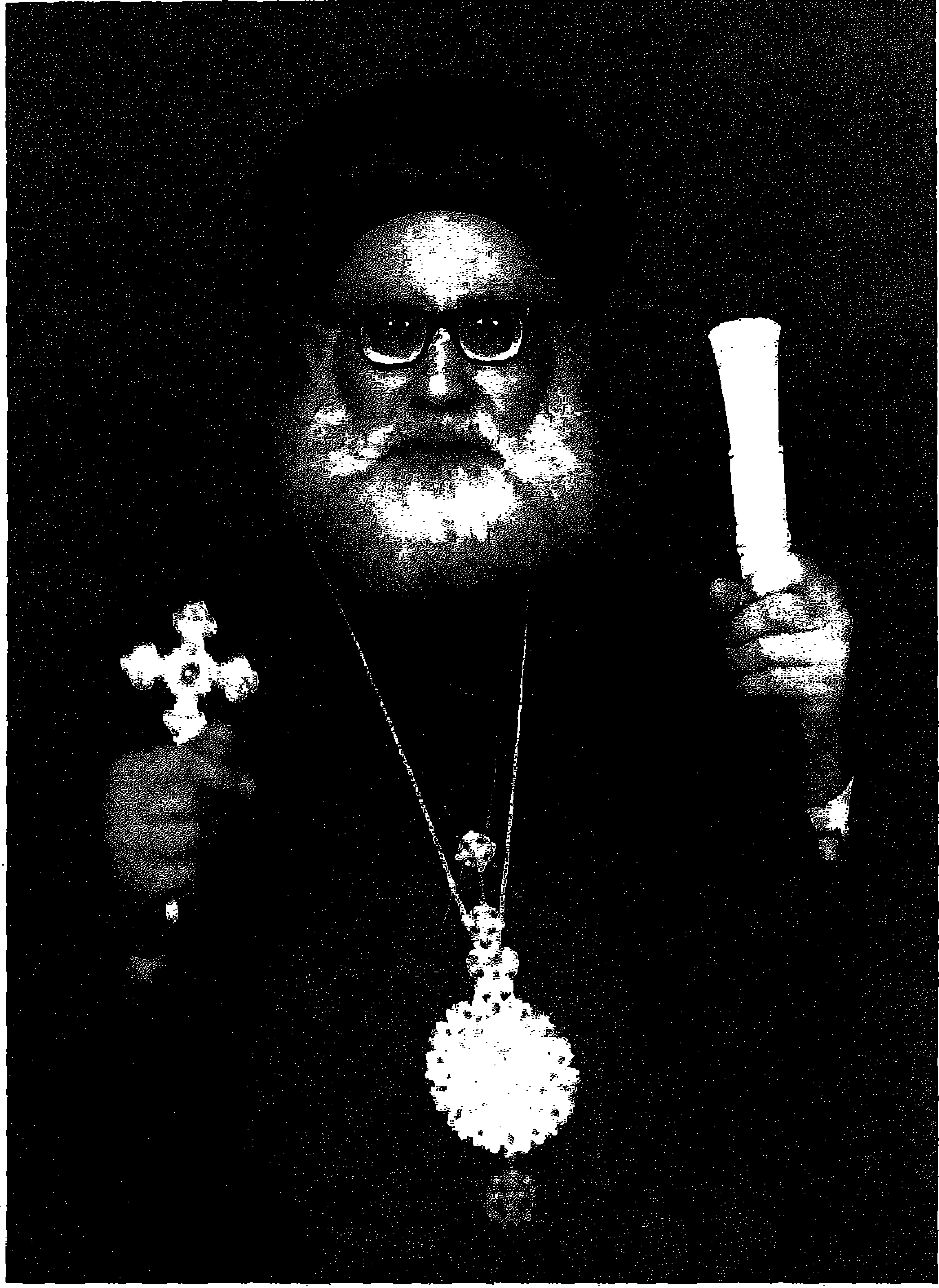
طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع ٢٠٠٣/١٧٠٩٨
الترقيم الدولى 977.12.0768 .7

Mahabba5@hotmail.com



قداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا ديوسقورس
أسقف المنوفية الراحل
(١٩٦٥ - ١٩٧٦)

مقدمة عن الكاتب

وُلِد أستاذنا الراحل نيافة الحبر الجليل **الأنبا ديوسقورس** أسقف المنوفية، بالدوير (بأبي تيج) سنة ١٩٠٥. ورُسم راهباً باسم «يسطس الصموئيلي» ثم أنتقل الي دير البراموس وحمل اسم «أنطونيوس البراموسي» (١٩٥١)، ورُسم قساً (١٩٥١)، وقُمصاً (١٩٥٢)، ثم رُسِم أسقفاً للمنوفية (١٩٦٥) بيد قداسة البابا كيرلس السادس،وتنيّح بسلام في ١٩٧٦/٥/٤، بعد مرض شديد.

وقد حصل علي شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩٢٣، وتخرّج من الاكليريكية سنة ١٩٢٧، وعمل بها، علاوة علي خدمة كنيسة عزبة الدير بطوخ دلكة منوفية.

وقد قام بتدريس مادة تاريخ الكنيسة بالكلية الاكليريكية بالقاهرة لمدة ٤٠ سنة متواصلة. وكان دقيقاً في تحليله وبسيطاً في عرضه لنا.

وقد وصفه قداسة البابا شنوده الثالث بأنه كان إنساناً طيِّب القلب، حكيماً وبسيطاً وهادئاً ووديعاً، وكثير الاحتمال، وعطوفاً علي المساكين، وخادماً أميناً، كما أعلن قداسته أن نيافته ظل يُقيم القداسات اليومية، حتي ساعة نياحته السعيدة.

ومن مؤلفاته كتاب عن حياة الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، وموجز تاريخ المسيحية، وكتاب عن دير البراموس. وفي العقيدة:كتاب عن الزواج الإلهي. ونشر حواراً بين الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا، وأحد المواطنين عن التثليث والتوحيد[1].

ونقدم مؤلفه التاريخي الهام هذا، لكي يستفيد منه الباحثون والدارسون، والمحبوُّن للتأمل في تاريخ الكنيسة، بصلوات وبركات **قداسة البابا شنوده الثالث**. **ونشكر أسرة أستاذنا الراحل نيافة الأنبا ديوسقورس، علي السماح بنشره.**

دياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر

---

(١) مذكرة خاصة عن نيافته (١٩٧٦) بقلم القمص سيداروس عبد المسيح، بشبين الكوم.

(الجيزة في عيد القيامة المجيد ٢٠٠٣/٤/٢٧)



(١) امتياز تاريخ الكنيسة:

+ يظهر امتياز تاريخ الكنيسة، عن غيره من التواريخ، بمقارنة الغاية من دراسته، بالغاية من دراسة التواريخ الأخري.

+ فيهدف التاريخ السياسي مثلاً، إلي معرفة وسائل استهواء الجماهير، ومسببات الثورات ونتائجها، وكيفية علاجها، **وفي هذا سبيل السيطرة علي العالم.**

+ ويرمي التاريخ المدني، إلي معرفة المدنيات القديمة، ووسائل تقدمها، إلي الوقت الحاضر، لاستنتاج أصلح ضروب الحضارة، **وفي هذا سبيل الراحة الفكرية والجسمية.**

+ ويهدف التاريخ الطبيعي إلي دراسة علم الچيولوچيا (طبقات الأرض) والنبات، والحيوان – لمعرفة وسائل استغلال الطبيعة – **وفي هذا سبيل تغذية الجسم، بأفضل الاطعمة، والتنعم بكثرة المادة.**

+ أما التاريخ الكنسي، فيهدف الي إظهار المُثل العليا فيما يأتي:

(١) في خدمة البشرية، **وفي هذا سبيل السيطرة علي قلوب البشر.**

(٢) في الحياة النقية، **وفي هذا سبيل الراحة الفكرية والجسمية.**

(٣) في التسليم لله، **وفي هذا سبيل تعلُّم حياة الكفاف في كل شيء.**

+ ويستنتج من ذلك، أن في دراسة التاريخ الكنسي، بلوغ الغايات من دراسة

التواريخ الأخري، بل ويمـتاز التاريخ الكـنسي، ببلوغ الراحة في الحياة الأخري، فضلاً عن الدنيا . وأخذ الدرس من الشخصيات الروحية.

(٢) مباحث تاريخ الكنيسة:

+ ويبحث تاريخ الكنيسة، في إيضاح عناية الله بشعبه، ووسائل تعضيده عند النهوض، وحفظه من الزلل عند الضعف.

+ وفيه تحليل حياة أساقفة عظام، وفلاسفة، وشهداء، من الشخصيات الفذة، التي لم تعش لنفسها، بل عاشت لتحترق، فتضيء علي الآخرين، وذكراها إلي الأبد.

+ وفيه وصف الطريقة التي اتخذها بنو آدم، للقيام بواجبهم، من نحو الله، وأنفسهم، وأثر الوصايا الإلهية فيهم.

+ كما يشمل التحدث عن الأباطرة والملوك والحكام، الوثنيين منهم والمسيحيين وغيرهم، وأثر كل منهم في المسيحية في كل عصر.

+ ويفحص - فضلاً عن ذلك - تاريخ المبتدعين (الهراطقة) الذين أتوا بآراء غريبة. ويصف موقف الكنيسة ضدهم.

+ وكل هذا، لا يمنع تاريخ الكنيسة، من أن يتحدث عن الديانات الأخري (القديمة).ففي دراستها، وفي نصوصها تأييد للمسيحية.

(٣) مصادر تاريخ الكنيسة:

أولاً: الكتاب المقدس، وخصوصاً أسفاره التاريخية.

ثانياً: قوانين وتعاليم وأقوال الرسل ورجال الكنيسة الاولي.

ثالثاً: الآثار الحجرية، والخشبية، والصور (الأيقونات) والملابس، والمباني، والمخطوطات سواء الموجود منها في أماكنه الاصلية، أو الموجود من آثارها في المتاحف.

رابعاً: ما كتبه المؤرخون، **وسنورد أشهرهم في أربع حقبات**، كما يلي:-

الحقبة الأولي: وتشمل مؤرخي القرن الأول والثاني - ومنهم **فيلو** الاسرائيلي الاسكندري، **ويوسيفوس اليهودي**، الذي أختص بشيء من تاريخ السيد المسيح، وبتفصيل خراب أورشليم (في القرن الأول)، **وتاسيتوس**

الوثني، الذي كتب في اضطهاد نيرون للمسيحيين في القرن الأول.
والقديسان يسطس ويوليانس، من آباء القرن الثاني.

الحقبة الثانية: وتشمل مؤرخي الاجيال الثالث والرابع، والخامس، ومنهم **أفريكانس** المؤرخ الليبي، الذي عاش في القرن الثالث، **وأوسابيوس القيصري** (٢٦٥ – ٣٤١م). أسقف قيصرية فلسطين وضم مؤلفه عشرة كتب – من فجر المسيحية إلي سنة ٣٢٣م – ويعتبر من أهم المصادر، ويدعوه المؤرخون «بأبي التاريخ» **وصوزومين** المولود بغزة، وتنيّح سنة ٣٤٣م، وكتب في حوادث القرن الرابع، وأهدي كتابه الي الابراطور ثيؤدوسيوس الثاني.

الحقبة الثالثة: وتشمل مصادر قبطية، لأساقفة عاشوا في القرون من السابع إلي الثاني عشر، وكان أولهم **يوحنا** أسقف نيقيوس[١] عاش أواخر القرن السابع، وكتب كتبه، من عهد الخليقة، إلي مابعد دخول العرب مصر، وقد تُرجم من اليونانية والقبطية اللتين كُتب بهما الي العربية، ثم الأثيوبية، ثم الفرنسية[٢] (ومازالت النسخة الحبشية التي تُرجمت في القرن السادس عشر موجودة).

وساويرس بن المقفع، أسقف الاشمونين[٣]، وهو من مشاهير القرن العاشر، كتب عن مؤلفه (جمعته في دير أبي مقار، وديارات الصعيد، وتولي نقل بعضه، الشماس الدّين «ميخائيل بن بادير» عن لغة القبطي إلي العربي)[٤] وقوله (استعنت بمن أعلم استحقاقهم، من الإخوة المسيحيين، وسألتهم مساعدتي علي نقل ما وجدنا منها، بالقلم القبطي واليوناني، الي القلم العربي الذي هو اليوم معروف عند أهل هذا الزمان، بأقليم ديار مصر، لعدم اللسان القبطي واليوناني من أكثرهم)[٥] **ويوساب أسقف فوه**،

(١) بقرب زاوية رزين بالمنوفية.

(٢) ترجم الاستاذ كامل صالح هذا المؤلف إلي العربية وطبعته جمعية نهضة الكنائس بمصر.

(٣) مركز ملوي بمحافظة المنيا حالياً.

(٤) كما ورد في النسخة الخطية بمكتبة البطريركية القبطية بالقاهرة رقم (١٣) ص ٦ – ٧ .

(٥) كتابه محفوظ بالبطريركية ايضاً رقم ٩١(أنظر كتاب جداول البطاركة للأستاذ كامل صالح نخلة ص ١٩).

عــاش فــي القــرن الثالث عشر، وكــتب في سير البطاركة، مكملاً ما كتبه إبن المقفع.

السنكسار القبطي، ويعتبر من المصادر المهمة في تاريخ الكنيسة، فقد كُتب بعضه، في القرن الرابع الميلادي يوليوس الاقفهصي(٦)، الذي أهتم بكتابة سير الشهداء في عصر دقلديانس وبعضه، في القرن السابع وكتبه يوحنا أسقف البرلس، وبعضه فيما يلي القرن السابع، وكتبه ميخائيل أسقف أتريب(٧).

الحقبة الرابعة: وتشمل مؤرخي القرون، التي تلي الثاني عشر، إلي الوقت الحاضر، ومنهم **أولاد العسال، وأبو المكارم**، الذين عاشوا في القرن الثالث عشر، **والمقريزي** في القرن الرابع عشر، **وميخائيل بك شاروبيم ويعقوب بك نخله روفيله، وعلي باشا مبارك، وسليم سليمان، والاسقف إيسوذورس، والقمص منسي يوحنا، ولجنة التاريخ القبطي** وأستاذتنا **إيريس المصري**، وغير هؤلاء في القرنين التاسع عشر والعشرين.

+ وقد كتب أجانب كثيرون في تاريخ الكنيسة، مثل رانكس، وبطلر، ومدام بُتشر... الخ، وكتب اليونان والانجليز، والكاثوليك كتباً في تاريخ الكنيسة. وقد تُرجِم منها إلي العربية(٨).

(٤) أقسام تاريخ الكنيسة:

+ ينقسم تاريخ الكنيسة المسيحية بوجه عام إلي ثلاثة أقسام:-

القسم الأول: من بدء المسيحية، الي عصر المجامع المسكونية (القرن ٤م) حين انتشرت المسيحية وصارت دين الدولة الرسمي.

القسم الثاني: ظهور حركة الاحتجاج الديني (Protestant) في أوروبا، في القرن السادس عشر.

القسم الثالث: من العصور الوسطي إلي الوقت الحاضر.

(٦) اقفهص مركز الفشن بمحافظة بني سويف حالياً (راجع كتابنا عن تاريخ أسقف فوه، وسنكسار رينيه باسيه، طبعة المحبة).

(٧) بنها قلوبية

(٨) راجع كتبنا: «بستان القديسين» لبلاديوس وچيروم* و «قديسو مصر» لأوليري، «والقديسون المصريون» لبول شينوَ (طبع مكتبة المحبة).

تمهيد
لتاريخ الكنيسة المسيحية

+ لابُد لدارس تاريخ الكنيسة المسيحية، أن يلجأ إلي تاريخ سابقي المسيحيين، من بني البشر، وخصوصاً اليهود، **وذلك للأسباب الآتية**:-

(١) لأن المسيحية، أكملت ماكان ناقصاً، أو بنت علي ما كان مُؤسَّساً.

(٢) لأن بتاريخ الديانة اليهودية، رموزاً ونبوات، شاهدة عن المسيحية.

(٣) لأن بالمسيحية، عن شعب الله المختار (اليهود سابقاً)، نبوات قد تمت ومازالت تتم. وسيلاحظ ذلك كله عند دراسة ما يلي:

أولاً: أهم الحوادث من آدم إلي خروج بني اسرائيل من مصر.

ثانياً: إلي السبي البابلي.

ثالثا: إلي بدء عهد التشتيت في العالم (diaspora).

رابعاً: من عهد التشتيت للوقت الحاضر.

الفصل الأول
من آدم إلي خروج بني اسرائيل من مصر

+ يعتبر هذا عهد **البطاركة الأوائل**، الذي فيه كان القائد والمنفذ لشريعة الله هو رب البيت، واستمر كلٍ يوصي خلفه شفوياً، ولهذا ساروا بالشريعة التقليدية، إلي أن أرسل لهم الله الشريعة المكتوبة علي يد موسي (الناموس Law)

+ وكان آدم أول بطريرك، فعندما خَلَقه الله، أراد أن يمتحن طاعته، فأوصاه وزوجته بالوصية المعروفة. فأغواهما الشيطان، وخالفا الله، فطُرداً من الفردوس الأرضي (جنة عدن)، ولولا عطف الله عليهما، بوعده الذي نطق به «أن نسل المرأة يسحق رأس الحية»، مشيراً بذلك إلي السيد المسيح، لاستولي علي الجنس البشري الموت (الهلاك) الأبدي.

+ وُلد آدم وحواء الأبناء وهما في حالة المعصية. فنشأ أولادهما وبهم بذرة الخطية، فقام قايين علي أخيه هابيل وقتله.

+ ولكن الله لا يترك نفسه بلا شاهد، فظهر من نسل شيث (الإبن الثالث لآدم) **أخنوخ** البار، ولم يوجد لأنه الله أخذه (بجسده لمكانٍ ما).

+ ولما كثر بنو شيث، ولم يلاحظوا إتمام الشريعة الإلهية، غضب الله عليهم. ولم يرَ فيهم مَنْ يلاحظها، إلا نوحاً. فأمره أن يعمل فُلكاً، يدخله هو وأولاده. ثم أهلك الله أولئك الأشرار، **بطوفان عظيم** وأغرقهم، إلا أنه تعالي، أقام معه عهداً. وثبّت ناموس الطبيعة (قوس قزح) ليراه الناس أيضاً فلا يرتكبون الشر. وكثر بنو نوح، فأقام أغلب نسل ابنه سام، في آسيا، وإبنه حام في أفريقيا، وإبنه يافث في أوروبا.

+ وفكر أولاد نوح، في بناء برج عظيم، يتصل بالسماء فينجوا من الطوفان، إن أتي عليهم ثانية، فبلبل الله ألسنتهم (فرّقهم في العالم) وظهر في هذا الوقت أيوب الصالح[1].

+ وبعد هذا كثرت عبادة الطبيعة، دون الله. فأراد الله أن يختار له شعباً خاصاً (يأتي منه المُخلّص) فأمر إبراهيم الخليل- وهو من نسل سام - أن يترك وطنه (جنوب العرق) ويذهب إلي أرض كنعان (فلسطين) فأطاع الأمر.

+ ثم زاره اللّه في شكل ثلاثة رجال (المسيح مع ملاكين) وبشرّه بولادة إسحق، الذي كان رمزاً للسيد المسيح، وقد سمح الله بخراب سدوم وعامورة، بالنار والكبريت، لأن شعبيهما كانا فاسدين (شواذ جنسياً).

+ وبعد أن كبر إسحق، تزوج برفقة، فولدت له يعقوب وعيسو. وتزوّج **يعقوب** (اسرائيل)، من بنات خاله لابان بالعراق، فولد إثنا عشر إبناً.نتج عنهم الأثنا عشر

(١) لمناقشة توقيت ظهور أيوب البار ومكانه، راجع كتابنا عنه «طبع مكتبة المحبة».

سبطاً. وكان أشهرهم سبط يهوذا، لأن ملوكهم كانوا منه فيما بعد. فنُسِب إليه «اليهود» ومنه ظهر المسيح حسب الجسد.

+ أما إبنه يوسف، فكان محبوباً لديه. فحسده أخوته، وباعوه لتجار أخذوه إلي مصر، وكان يوسف أميناً، فرفعه الله. وصار وكيلاً لفرعون. فاستدعي والده وإخوته الذين حضروا إلي مصر[1] وسكنوا في أرض جاشان[2].

+ ويقال إن فرعون مصر في ذلك الوقت، كان أحمس من الأسرة الثامنة عشرة، وقيل غيره.

+ ولما كثر بنو اسرائيل، خاف فرعون منهم، فسخّرهم، وأمر بقتل أطفالهم، ونجا منهم موسي[3] بأعجوبة، وبعد أن تهذب بكل حكمة المصريين غار لشعبه اليهودي، وظهر الله له في عليقة (شجرة) تشتعل بالنار - دون أن تحترق إشارة إلي ماسيجري، في مستقبل الزمان، بولادة السيد المسيح -من بطن مريم العذراء - دون أن تحترق بنار اللاهوت.

+ ثم أخرج الله بني اسرائيل من مصر، بعد عشر ضربات، وقعت علي المصريين، وشق البحر الأحمر أمامهم، ليعبروا إلي طريق أرض الميعاد ويقال أن هذا حدث، في عهد منفتاح، فرعون مصر في ذلك الوقت (القرن ١٥ ق.م).

+ وقد عالهم الله في البرية أربعين سنة، وأخرج لهم الماء من الصخرة، وأطعمهم المن والسلوي، وأنزل الله لهم الوصايا العشر والشريعة، علي يد موسي. ومع ذلك فقد تذمروا وخالفوا الله، وعبدوا العجل الذهبي، فضربهم بالحيات والعقارب، ولم يُدخِل أحداً من ذلك الجيل، أرض الميعاد، التي وعد الله ابراهيم بها لنسله.

✣ ✣ ✣

---

(١) كل هذا وارد بالتفصيل في سفر التكوين.

(٢) بمحافظة الشرقية.

(٣) سنة ١٥٧١ - ١٤٥١ ق.م.

الفصل الثاني
من خروج بني اسرائيل من مصر الي السبي

+ كان قائد بني اسرائيل، إلي أرض كنعان، هو يشوع بن نون (تلميذ موسي) الذي شق أمامهم نهر الأردن، وهزم سكان البلاد، وقسّم الأرض بين الأسباط.

عهد القضاة:

+ ولما مات يشوع، حكم بني اسرائيل، قضاة اشتهروا بأعمالهم الحربية، وفض المنازعات، وتنفيذ الشريعة، ولم تكن لهم مرتبات ولا حرس خاص.

+ وكان أشهر القضاة «**دبورة**» سنة (١٣٠٥ ق.م) التي خلصت الاسرائيليين من سيسرا قائد جيش يابين ملك حاصور.

+ ثم **جدعون** (١٢٤٥ - ١٢٣٦ ق.م) الذي هزم المديانيين وأرعبهم بهجومه ليلاً، ومعه ثلثمائة مقاتل بمشاعل (بخطة حربية) فقتل الأعداء بعضهم بعضاً.

+ وأما **شمشون** (١٢٣٥ - ١١١٧ ق.م) فقد حارب الفلسطينيين وهزمهم مراراً، وأنتهت حياته بموته معهم، في وليمة إلههم داجون، في معبده بغزة.

+ وفي هذه الأثناء عاشت راعوث المؤابية، التي لم تفارق حماتها الاسرائيلية، فاستحقت أن تكون جدة لداود النبي والملك.ومن نسله جاء فادي العالم.

+ وكان آخر قضاة بني اسرائيل **صموئيل النبي** (١١١٦ - ١٠٩٥ ق.م) وقد نشأ نشأة صالحة في بيت الرب: ولما كان صبياً وكان عالي كاهناً، أخذ الفلسطينيون تابوت العهد، ووضعوه في منزل إلههم داجون، الذي سقط أمام التابوت، مقطوع الرأس واليدين، فاضطر الفلسطينيون إلي رد التابوت لبني اسرائيل.

عصر الملوك:

+ ولكن بني اسرائيل، لم يُرضهم حُكم القُضاة. ومالوا الي حكم الملوك (كباقي الأمم) فنصّب صموئيل «شاول» ملكاً عليهم. وفي عهده ظهر الفتي داود الذي غلب جليات الفلسطيني الجبار.

+ وبعد موت شاول مَلكَ داود (١٠٥٣ - ١٠١٤ ق.م) واستولي علي أورشليم وجعلها عاصمة لمُلكِه، ونقل اليها تابوت العهد، وجهز أدوات لبناء بيت الرب. وقد ملك أولاده من بعده. وفي ملء الزمان أعطي الرب الإله يسوع «كرسي داود أبيه... ولا يكون لُملكه نهاية»(١).

+ وكان أشهر من خلفوا داود، ابنه سليمان الحكيم، الذي بني الهيكل. وذاع صيته في الآفاق. ولكن ابنه رحبعام، كان جاهلاً وقاسياً، فأنشق عنه عشرة أسباط تكونت منهم مملكة اسرائيل، تحت حكم القائد يربعام. وبقي معه سبطان فقط. ودُعِيت مملكته باسم «**مملكة يهوذا**».

+ وكانت عاصمة يهوذا أورشليم، وعاصمة دولة «**اسرائيل**» السامرة. وقد لصقت ببني اسرائيل الوثنية، ويرجع ذلك إلي ملكهم يربعام، الذي أبعدهم عن هيكل سليمان، وعمل لهم معبدين، أحدهما في بيت أيل، والآخر في دان.

+ وأمتاز بالشر من ملوك بني اسرائيل، آخاب وزوجته إيزابل، اللذان سلبا حقل نابوت اليزرعيلي وقتلاه فماتا شر ميتة. وأرسل الله لبني اسرائيل الانبياء خصوصاً إيليا وأليشع ليرشدوهم، ولكنهم لم يسمعوا لهم. فسلط الله عليهم شلمناصر ملك أشور، الذي سباهم مع آخر ملوكهم هوشع (٧٢٩ - ٧٢١ ق.م)، إلي عاصمته نينوي (بشمال العراق) بعد أن استمرت مملكتهم ٢٥٤ سنة.

+ ثم أرسل شلمناصر بعض الأشوريين للإقامة في بلاد اسرائيل فهاجت عليهم السباع هناك. فأرسلوا لملكهم يستغيثون به ويقولون أنهم لا يعرفون طباع إله هذه الأرض. وطلبوا تعليمهم شريعته. فأرسل اليهم من عنده، أحد كهنة بني اسرائيل، فسكن في بيت إيل، وصار يعلمهم الشريعة اليهودية، فصارت ديانة السامرة خليطاً من الوثنية واليهودية (ولا يزال يوجد سامريون في نابلس للآن).

---

(١) (لوقا١: ٣٢ - ٣٣).

+ **أما مملكة يهوذا**، فقد أشتهر فيها ملوك أتقياء، كيهوشافاط، الذي أرسل اللاويين للشعب، في كل مدينة، ليعلموهم الشريعة.

+ ولكن الملك عزيا، أراد سلب الكهنوت، فأُبتّلي بالبّرص. وفي عهده ظهر الأنبياء، أشعياء وهوشع وعاموس، وأما الملك حزقيا، فقد أبطل عبادة الاصنام، وهدم مذابحها في بيت إيل، وأحيا الأعياد اليهودية. وكان معاصراً لنخاو ملك مصر.

+ وفي عهد الملك يهوياقيم، استولي البابليون علي مملكة أشور، ولما رأوه يساعد المصريين أعداءهم، سبوه وأغنياء اليهود الي بابل.

+ وكان آخر ملوك يهوذا، صدقيا، الذي شق عصا الطاعة علي البابليين، ففقأوا عينيه وقيدوه بالسلاسل وأخذوه إلي بابل.

+ واستمرت مملكة يهوذا بعد سبي بني اسرائيل ١٣٠ سنة.





الفصل الثالث

من السبي إلى بدء عهد التشتت

+ ذاق اليهود العذاب، أثناء السبي في بابل، وشعروا بالحنين إلي القدس، كما عبرُّوا عن ذلك في المزمور ١٣٧:٥ (إن نسيّتِك يا أورشليم تُنسي يميني) فصرخوا للّه لينقذهم، وظهر بينهم دانيال النبي وثلاثة الفتية القديسين.

+ ورفع اللّه غضبه عنهم بعد سبعين سنة إذ في سنة ٥٢٦ ق.م أمر كورش الفارسي – الذي أستولي علي مملكة الكلدانيين – بعودة اليهود إلي وطنهم. فتمت نبوة إشعياء (أش ٤٤:٢٨) (كورش راعي فكل مسرّتي يُتمّم). وقادهم في العودة، **زُربابل**، **وعزرا**، **ونحميا**، وأعاد هؤلاء بناء أسوار أورشليم والهيكل.

عهد الاسكندر (٣٣١ - ٣٢٣ ق.م):

+ استمر اليهود خاضعين لملكة الفرس، إلي أن اجتاحها الأسكندر المقدوني. ولما رأي يدوع كاهن اليهود، انتصارات الأسكندر، توسل للّه لينقذ شعبه. فصارت إليه رؤيا

بأن يلبس هو والكهنة، لباسهم الأبيض، ويخرجوا مع الشعب إلي (رابية صفا) وينتظروا الأسكندر.

+ فلما رآهم الأسكندر – بهذا الشكل – سجد باحترام لرئيس الكهنة. فأظهر رئيس قواده (بامينوس)، أمتعاضاً من ذلك، فأزال الأسكندر غيظه بقوله: «أنني لا أسجد لهذا الكاهن، بل لملاكه الذي ظهر لي في حلم في (ديو) بمقدونيا، وأراني هذا الكاهن، وهو يلبس هذه الملابس، ووعدني أن يهب لي مملكة الفُرس».

+ ثم ذهب الأسكندر الي الهيكل، مع يدوع الذي أراه، نبوة دانيال عن خراب مملكة الفُرس (دا ٢، ٨: ١٠ ـ ١١). فُسَّر الأسكندر من هذا. ورَّخص لليهود بإقامة مراسيم دينهم، وعفاهم من دفع غلة العام السابع.

عهد انطيوخس:

+ لما أنقسمت المملكة بعد موت الأسكندر، خضع اليهود للبطالمة بمصر. ثم قام النزاع بين بطليموس الخامس وأنطيوخس الكبير والي سوريا، فانتصر الأخير. واستولي علي اليهودية سنة ١٩٨ ق.م.

+ فصارت فلسطين بعده لخليفته (انطيوخس)، الذي لقبه الناس، إبيمانس (المجنون) لكثرة شره. أما هو فلقب نفسه إبيفانس (المشهور). ومن أعماله، أنه عزل رئيس كهنة اليهود، وباع وظيفته لآخر، وكرر هذا العمل مراراً. فساءت الأحوال الدينية.

+ ثم شاع خبر موته بمصر.ففرح اليهود فرحاً عظيماً، ولكنها كانت إشاعة كاذبة، فاقتص منهم، بأن سلب ماكان بالهيكل من نفائس، ودخل قدس الأقداس، ونجسه بتقديم خنزيرة عليه (سنة ١٧٠ ق.م).

+ وفي سنة ١٦٨ ق. م أمر بعبادة الآلهة اليونانية، فوضع في الهيكل تمثالاً لزفس، وأمر أن تقدم له الأضحية من الخنازير، كما أبطل حفظ السبت، والختان، فكانت أيامه علي اليهود مريرة.

+ ولكن **متتياس الكاهن**، وأولاده، وأشهرهم **يهوذا المكابي**[١]، قد ملأتهم الغيرة للرب وأنضم اليهم كثيرون. ورفضوا العبادة الوثنية، وقتلوا رسول الملك، واليهود الذين أطاعوه، وهجموا ليلاً بثلاثة آلاف مقاتل علي جيش أنطيوخس، وعدد رجاله نحو ثلاثين ألفاً. وهزموه، واستولوا علي أورشليم، وطهرُّوا الهيكل. وأقيمت الخدمة الدينية فيه سنة ١٦٥ ق.م.

+ وفي سنة ١٦٤ ق.م مات أنطيوخس، من أثر قروح شديدة في أحشائه وأصبح لنسل متتياس الوظيفة الدينية والسياسية معاً – إلي أن قام نزاع بينهم، مكّن الرومان من الدخول إلي فلسطين وتنصيب هيرودس[٢] الادومي المشهور ملكاً، وصارت لنسل متتياس السلطة الدينية فقط.

+ وقد أرسلت ايضاً الدولة الرومانية، ولاة من قبلها علي اليهودية، مثل يوليوس وبيلاطس البُنطي الذي صُلب في عهده السيد المسيح. وفيلكس Felix (= سعيد) الذي حاكم بولس الرسول، وغيرهما.

+ وقد كان موقف أغلب اليهود وكهنتهم، بازاء السيد المسيح، الاستفادة بمعجزاته، دون الاستمرار في الاعتراف بملكوته، فبينما كانوا يقولون «مبارك الآتي باسم الرب» (مر ١١:٩)، قالوا بعد خمسة أيام «أصلبه ... أصلبه» (مر ١٥: ١٢ – ١٥) «دمه علينا وعلي أولادنا»(مت ٢٧:٢٥)

+ وكان موقفهم مع الرسل شاذاً أيضاً. فقد سجنوهم، وجلدوهم، ورجموهم.ولهذا بدأت تتم عليهم. نبوات السيد المسيح (مت ٢٤، ومر ١٣، ولو ٢١) ولم يمّضِ علي الكلام بها، أربعين سنة، حتي تتشتوا في بقاع العالم المختلفة للآن، كما سيظهر في الفصل الآتي:–

---

(١) مكاب في العبّرية تعني «فأس»، لأنه كان يحمل فأساً في يده.

(٢) من نسله هيرودس الذي سطا علي هيروديا (مر ١٧:٦) زوجة أخيه هيرودس أنتيباس (مت ١:١٤) وهي أيضاً أبنة أخيهما أرسطوبولوس، وشقيقة هيرودس أغريباس الذي أكله الدود (أع ١٢).

الفصل الرابع

عهد التشتيت في العالم

+ يبدأ هذا العهد، من نحو سنة ٧٠م للوقت الحاضر.وظهر في أوله علي مسرح السياسة بأورشليم، الملك أغريباس[1] ومعه فيلكس القائد الروماني في عهد الأمبراطور نيرون.

+ وقد إضطرب الأمن إضطراباً شديداً، حتي كانت قيمة الإنسان زهيدة. فيسهُل لأي شخص، أن يدفع أُصحاب السكاكين الصغيرة الي قتل أي إنسان، نظير مبلغ زهيد من المال، دون معرفة القاتل!!

+ وفي أثناء غيبة أغريباس بروما، ثار اليهود علي الوالي فيلكس، بل وعلي الدولة الرومانية، حتي رفضوا هدية، قدمها نيرون بمناسبة أحد أعيادهم. وقتلوا جنوده، الأمر الذي أغضب نيرون جداً، واضطره أن يستخدم القسوة مع هذا الشعب الغليظ الرقبة.

+ فأرسل القائد العظيم وسبسيانس، ومعه جيش كبير، مما حفَّز اليهود إلي الاستعداد لملاقاته. فقسَّموا أنفسهم إلي ثلاثة أقسام، استقر قسم منهم بالجليل وطبرية، وكان قائده يوسيفوس بن كريون (المؤرخ الذي صار كتابه مصدراً لتاريخ هذا العهد) وقسم في أورشليم، وكان قائده حنّان الكاهن، وقسم في آدوم (شرق الأردن) وكان قائده ليعازار بن حنان الكاهن.

+ وأقبل وسبسيانس أولاً إلي الجليل، وأستطاع بعد جهد، أن يستولي علي حصنها، وهرب منه فريق ذهب إلي أورشليم، وبقي يوسيفوس نفسه وأربعون شخصاً معه، وتعاهدوا أن ينازل كل واحد منهم زميلاً له، فيقتله، إلي أن بقي أخيراً يوسيفوس وشخص آخر استسلما الي الرومان.

+ ثم ذهب وسبسيانس إلي آدوم، تاركاً أورشليم، التي قام بين حاميتها، وبين من حضر من الجليل، نزاع علي القيادة – واستطاع أن ينتصر عليها. وفي أثناء

---

(٢) أع ٢٥: ١٣ .

رجوعه، بلغه أن نيرون قد مات، ويتنازع القواد علي الامبراطورية. فذهب بنصف الجيش الي روما، حيث صار إمبراطوراً، وترك النصف الآخر، لابنه تيطس، لإخضاع أورشليم.

+ وحين بدأ تيطس، في إعداد جيشه، كان قد ذهب إلي أورشليم، الفريق اليهودي الهارب من آدوم، فاشتبك الجميع في قتال دموي، ثم أتي تيطس الي جبل الزيتون، ورفع العلم الروماني عليه، وفكر في أنسب الفرص للهجوم علي أورشليم.

المسيحيون في هذه الأوضاع السيئة:

+ لما رأي المسيحيون هذه العلامة (العَلَم الروماني) تذكروا قول السيد المسيح (متي نظرتم رجسة الخراب... قائمة في المكان المقدس... فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلي الجبال)[1]. فجمع المسيحيون شملهم، وذهبوا إلي بلدة بشرق الأردن تُدعي (بلاّ Pella)، ونجوا مما وقع بأورشليم في هذا العهد.

+ أما تيطس فاستطاع بجنوده، وحيله، وصبره، أن يهدم السور الأول والثاني، وعندما تقدم وهدم جزءاً من السور الثالث، استطاع اليهود ليلاً أن يسدوا هذه الثغرة[2]. مما اضطر معه تيطس، إلي أن يحاصر المدينة حصاراً شديداً، فتم بذلك قول السيد المسيح: «يحيط أعداؤكِ بمترسة، ويحدقون بكِ، ويحاصرونكِ من كل جهة» [3].

+ وقد حاول يوسيفوس، من أعلي السور، أن يقنع اليهود، بضرورة التسليم، فذهبت محاولته أدراج الرياح، وأخذوا يرجمونه، وهو يقول لهم «تتقسون ليتم ماحكم به اللّه عليكم، من هلاك هذه المدينة، وخراب هذا القدس الجليل، إذ سفك فيه دم البار»[4].

ضيق الحصار علي اليهود في القدس:

+ لما طال الحصار، أشتد الجوع بالقدس، إذ استولي الجنود علي كل الغلال والأطعمة،

---

(١) (مت ٢٤: ١٥ - ١٦).

(2) Josephus, Wars of theJews, 6,7,8.

(٣) (لو ١٩:٤٣).

(٤) مشيراً الي القديس يعقوب بن حلفي الرسول الذي قتله اليهود ظلماً، رغم أنهم وصفوه بأنه بار.

حتى الموجود منها بالمنازل، ثم اضطر بعضهم الي تناول الجيف وجلود البهائم، والسُرج وأيدي السيوف الجلدية، ووصل بهم الأمر إلي البحث - في بقايا البهائم - عن بعض الحبوب لأكلها. ومات البعض، من شدة الجوع، فكانوا يُتركون في شوارع المدينة، بلا دفن. فتعفنت الشوراع بسببهم. وصار البعض يلقون موتاهم في الآبار، ويطرحون ذواتهم في أثرهم. وكان البعض يحفر حفرة ويضجع فيها حتي يهلك جوعاً.

+ ومن النوادر المبكية، أن شريفة كانت قد أتت، ومعها طفلها، لتحضر العيد في أورشليم، فقابلتها هذه الكارثة، ورأت طفلها يبكي لقلة الغذاء، وهي أيضاً جائعة، ففقدت الصبر والرُشد، وذبحت إبنها، لتريحه ولتُشبع نفسها من غائلة الجوع، فتمت نبوة إرميا النبي: «كانت قتلي السيف خيراً من قتلي الجوع... أيادي النساء الحنائن طبخت أولادهن»(١) ومن الغريب أن من أشتم رائحة الطعام، هجم ليقاسمها إياه. وبهذا تمت نبوة السيد المسيح القائلة: «يكون حينئذ ضيق، لم يكن مثله، منذ ابتداء العالم إلي الآن ولن يكون»(٢).

+ بعد هذا الضيق الشديد، سلّم فريق نفسه للرومان، طلباً للقوت، وكان يلتهم الطعام بشراهة شديدة تسبب منها القضاء علي حياته. فأمر تيطس بإعطاء هذا الفريق اللبن أولاً، ثم التدرُّج في الأطعمة، وكان فريق آخر يعمد إلي ابتلاع نقوده، مُبالغةً في المحافظة عليها، وليتمكن من الحصول عليها عند التبرُّز، فلما لاحظ جنود الرومان ذلك، كانوا يشقون بطن من يشتبهون فيه، ليأخذوا نقوده!!

هدم المدينة المقدسة:

+ وجد الرومان فرصة للهجوم علي المدينة، وكان اليهود قد طلوا قصر سليمان من الداخل بالقار والزفت والكبريت وجهزوا به كميناً، ليُشعل القصر - عندما يصل الرومان إلي قمته - فتظاهر فريق من العُصاة بالهروب إلي هذا القصر، وتبعهم بعض عساكر الرومان، ثم خرج العُصاة من باب سري، بعد أن أغلقوا القصر، وأشعلوا فيه النيران، فتعذر علي الرومان الخروج منه، فأحترقوا جميعاً.

---

(١) (إر ٤١: ٩ - ١٠، تث ٢٨: ٥٦ -٥٧).

(٢) (مت ٢٤: ٢١).

+ فأراد عساكر الرومان أن ينتقوا لأخوتهم. فدخلوا الهيكل، ونصبوا خيامهم فيه، وأحرقوا باب القدس الفضي، وأخذوا فضته، وقربوا قرباناً، ومدحوا سيدهم تيطس. فقامت مجزرة بينهم وبين اليهود، أختطلت فيها دماء الناس بدماء البهائم، وأنتصر الرومان أخيراً، وأشعلوا النار في قدس الأقداس، فحاول تيطس إخمادها، أبقاءً لهذا الأثر النفيس، لكن الجنود كانواُ يلقون النار من أماكن متفرقة، التهمت الباب الذهبي، وصارت محاولة تيطس لإطفاء النيران بدون جدوي.

+ وقد ورد في التلمود، أن أحد الجنود، حرث أسس الهيكل بالمحراث. فلما رأي اليهود ذلك، استولي اليأس علي أفئدتهم: فأطلقوا النيران في كافة القصور الجميلة، فاحترقت بما فيها من كنوز، وذخائر. وتمت نبوة السيد المسيح عن أورشليم: «ويهدمونك وبنيك فيك»[1].

+ وقال يوسيفوس في كتابه، إن عدد الموتي الخارجين من أبواب المدينة بلغ ستمائة ألف، غير من ألقوا في الشوارع، والآبار، أو طُرحوا خارج الأسوار، وبلغ من مات (من اليهود) بالحرب، أو قتلهم العُصاة مليوناً ونصف[2].

سبي اليهود في العالم (Diaspora):

+ قبل حصار القدس، وقع كثيرون بأيدي الرومان، فأرسل القائد (Vespasianus) منهم ستة آلاف شاب إلي نيرون، وبيع آخرون. وبعد الحصار، سبي تيطس تسعاً وتسعين ألفاً. وأرسل ثلاثين الفاً، من طوال القامة وحسان الصورة إلي رومه للإحتفال بوصوله ظافراً. ومن بقي بأورشليم، تشتت إلي ممالك العالم المختلفة[3] فتمت عليهم نبوة السيد المسيح القائلة: «ويقعون بفم السيف، **ويسبّون الي جميع الأمم**»[4].

---

(١) (لو ١٩:٤٤).

(٢) وتم ذلك سنة ٧٠م، كما ذكرها السيد المسيح بأنه يتم بعد جيل واحد من كلامه.

(٣) كل ما مضي نجده مفصلاً في كتاب يوسيفوس (حروب اليهود) فصل ٦،٧،٨.

(٤) لو ٢١:٢٤ .

عهد هادريان ويوليانس:

+ في القرن الثاني، رمم الامبراطور هادريان، مدينة القدس، فرجع اليها اليهود، وزادوا في تحسينها وتحصينها، وثاروا بزعامة بركوب (باركوكبا) الذي إدّعي أنه المسيح، طالبين الاستقلال. فقتل منهم روفس والي فلسطين خمسمائة وثمانين الفاً. وخربّ المدينة المقدسة.

+ وفي القرن الرابع، فكر يوليانس البيزنطي الجاحد الذي لم يعترف بألوهية السيد المسيح، أن يكيد للمسيحين، فقرّب اليهود، وأمدهم بالمال، لكي يُعيدوا بناء الهيكل، وليتسني له تكذيب نبوة السيد المسيح. فأوكل ذلك إلي قائده ألبينوس الذي دعا اليهود سراً إلي معاونته في إعادة بناء الهيكل.

+ فاجتمع كثير من الرجال والنساء والشيوخ والشبان، وبدأوا يحفرون الاساس بهمة، وينقلون الأتربة والأحجار، بعضهم بالمقاطف، والبعض الآخر بأطراف أرديتهم. وكان القديس كيرلس أسقف أورشليم، يسخر بعملهم هذا. ولما انتهوا من رفع حجارة الأساس القديم، وهمّوا بوضع الأساس الجديد، حدثت زلزلة عظيمة، ملأت الحفر تراباً، وبددت أدوات البناء وقتلت بعض الفعلة.

+ فلم يرتدع اليهود بهذا. وعادوا إلي العمل مرة ثانية، حينئذ خرجت من جوف الأرض، كرات نارية، ورشقت الفعلة بالحجارة التي عزموا أن يضعوها في الأساس. فكفوا عن البناء. وآمن كثيرون بسبب هذا، خصوصاً وقد تمت أمامهم نبوة السيد المسيح، عن نقض بناء الهيكل حتي الاساس، حيث قال:«الحق أقول لكم لا يُتْرَك ههنا حجر علي حجر إلا ويُنقض»(1). أورد هذه القصة غريغوريوس الثيؤلوغس ويوحنا فم الذهب، كما أتي بها عرَضاً، المورخ اليهودي إميان، في القرن الخامس الميلادي(2).

ما جري إلي اليهود في العالم:

+ في سنة ٤٣٢م، ظهر شخص في جزيرة كريت، أدعّي أنه موسي أتي ليخلصهم،

(١) مت ٢٤:٢

(٢) يقول المؤرخ ديورانت (W.Durant) في مرجعه الضخم: «قصة الحضارة» (Story of Civilization) أنه قد حدث تسرّب للغاز من باطن الأرض، واشتعاله بفرقعة أخافت العمال.

وحدد يوماً للخروج منها إلي فلسطين، فألقيّ فريق منهم بنفسه في البحر، وهو ينتظر أنشقاقه.فغرق البعض، وهرب صاحب الدعوي الكاذبة.

● **ثم ظهر اليهود في أماكن عدة في أوروبا، خصوصاً فرنسا وانجلترا وألمانيا:**

+ **ففي فرنسا** طاردهم لويس التاسع وغيره. وعاملهم نابليون معاملة حسنة.

+ **وفي انجلترا** بدأ تاريخهم من عهد وليم الفاتح، ثم ساءت أحوالهم فيما بعد، وهاجروا منها في عهد كرومول. ولما احتاج شارل الثاني الي أموالهم، أدخلهم ثانية لبريطانيا وفي سنة ١٧٢٣م سمح لهم أحد الملوك باقتناء الاملاك. وبعدها نالوا الرعوية. وانتُخبوا لعضوية البرلمان. وظهر منهم عظماء مثل دزرائيلي رئيس الورزاء في القرن ١٩. وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م وعدهم الوزير بلفور بالسماح بتكوين وطن قومي لهم في فلسطين.

+ **وفي المانيا** كانت هجراتهم اليها بأعداد كبيرة، خصوصاً عند اضطهادهم، في البقاع الأخري. ويظهر أن ميل اليهود في القرون الوسطي، إلي اعطاء نقودهم للمسيحيين بالربا، هو السبب في قيام الزعيم هتلر في القرن ٢٠ ضدهم وفي طردهم من ألمانيا.

+ **أما في أمريكا** فكانت مهاجرتهم اليها أيضاً، عند اضطهادهم في البقاع الأخري، فاصبح لهم الآن مركز عظيم تتأثر به انتخابات رئاسة الجمهورية فيُظهر الأمريكان ميلاً لقضيتهم (حتي الآن).

+ **أما حالتهم في فلسطين:** فمن عهد الرومان، توالت عليهم ممالك متعددة من فرس، وعرب، وصليبيين، وأيوبيين، وعثمانيين، إلي أن أتت الحرب العظمي الأولي، فأنتدبت عصبة الامم إنجلترا لأدارة فلسطين. فساءت الأحوال جداً بين اليهود والعرب.

+ يرجع ذلك إلي الحنان الذي أبداه اليهود في العالم، الي وطنهم في فلسطين، وتكوينهم لأجل ذلك الجمعية الصهيونية: التي يُشجعّها اليهود في العالم، خصوصاً البيوت المالية الكبيرة منهم: مثل بيت هرش وروتشلد وغيرهم.

+ واشتدت هذه الحركة في الأيام الأخيرة، خصوصاً بعد صدور وعد بلفور. فهاجر كثيرون منهم إلي فلسطين، وأسسوا مستعمرات يهودية، واشتروا الارض من العرب بأثمان باهظة، وأقاموا عليها الأبنية الفخمة والمعامل والورش.

+ حفز هذا فريق العرب، إلي الوقوف ضد حركتهم. فوقعت مذابح دموية بين الفريقين خصوصاً عند حائط مبكي اليهود، المجاور للجامع الأقصي، الذي يظن اليهود أنه جزء من هيكل سليمان، الذي احترق سنة ٧٠م.

+ وقد اصطدمت انجلترا عند وقوفها ضد اليهود، بجمعياتهم الارهابية كجمعيات شترن والهاجناة وأرجون، والتي عملت علي تدمير كثير من مراكز البوليس، ووضع الالغام لنسف السكة الحديدية، مما اضطر انجلترا الي التخلّي عن انتدابها لهيئة الامم المتحدة في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨، فأزدادت الحالة سوءاً بين اليهود والعرب، ووقعت بينهم مذابح دموية، وتكتل اليهود في تل أبيب. وأقاموا لهم ما تسمي دولة اسرائيل، واعترفت بها أمريكا وبعض الدول الغربية وروسيا، فقامت الدول العربية لمناصرة عرب فلسطين واقامت لهم مملكة عربية عرفت باسم «مملكة عموم فلسطين».

+ ومازالت مشكلة الحدود بين العرب واليهود في فلسطين – موضع نظر هيئة الأمم المتحدة، وقد كان لتدخلها نجاحاً في إقامة هدنة بينهما: فوقفت بذلك المعارك الدموية، (وظلت الصراعات بين الفلسطينين والعرب للآن).

+ واعتبرت هجرة اليهود الي فلسطين من علامات بدء نهاية العالم، كما تنبأ عن ذلك القديس بولس الرسول بقوله: «لستُ أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر إن القساوة قد حصلت جزئياً لاسرائيل إلي أن يدخل ملء الامم، وهكذا سيخلص جميع اسرائيل» (رو ١١:٢٥) وقد اعتنق حاخام رومة المسيحية سنة ١٩٤٥ كما اعتنقها في الايام الاخيرة ابن حاخام القدس (أنظر هو ٣: ٤ ـ ٥، وزك ١٢:١٠، حز ٣٧:٢١ – ٢٤، ٢٨:٢٧، ٢٨:٣٩).



القسم الأول

المسيحية في عهد الأباطرة الوثنيين

+ اختار الله اليهود، لينزل عليهم شريعته، ولكنهم اختصوا أنفسهم بها دون سائر البشر، لأنهم يعتبرون غير اليهودي نجساً.

+ وتنفيذاً للوحي الإلهي على أنبيائهم، برز المسيح متجسداً، من مريم العذراء اليهودية، ونادي بشريعة الكمال، ولكن ليس لليهود فقط، بل للعالم أجمع.

+ فنبتت رسالته في اليهودية، ثم أنتشرت بواسطة تلاميذه ورسله، بين جميع شعوب العالم، وأنشئت الأسقفيات المسيحية في أورشليم، ثم في الاسكندرية، وانطاكية، وروما، وغيرها.

+ وقد فاقت الاسكندرية في هذا العهد، جميع الأسقفيات، بفلاسفتها المشهورين، وبشهدائها الأبطال.

+ وكما اضطهد الملوك - في العصور المختلفة - شعب اليهود، هكذا اضطهد الأباطرة الوثنيون (وخاصة الروم والفرس وغيرهم) الشعب المسيحي في هذا العصر.

✣ ✣ ✣

الباب الأول

نشـــأة المسيحيـــة

الفصل الأول

إحتياج العالم إلي المسيح

+ أوضح القديس بولس الرسول مجمل حالة العالم، قبيل ظهور السيد المسيح، عندما وصف حالة الرومان في ذلك الوقت، بقوله في رسالة رومية: «مملوئين من كل أثم وزني وشر وطمع وخبث، مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً، نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين، مبتدعين شروراً، غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولا عهد، ولا حُنّو ولا رضّي ولا رحمة. إذ عرفوا حكم الله، أن الذين يعملون مثل هذا يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط، بل يُسَّرون بالذين يعملون»[(١)].

+ ومعني هذا انتشار الفساد الخُلقي والأدبي والاجتماعي، مع الافتخار والسرور بفعل الشر، فضلاً عن إنتشار عبادة الأوثان. وعاداتها وطقوسها الدنسة.

+ وأما حالة اليهود (قبل مجيء السيد المسيح بنحو أربعمائة سنة) فقد أوضحها **ملاخي** آخر أنبيائهم في الأصحاح الأول والثاني: مظهراً فساد الكهنة، ودنس سيرتهم، وممارسة الوظيفة علي سبيل التجارة، ومخالطة الشعب للأمم، ومهدداً الجميع بقصاص اللّه، ورفضه ذبائحهم، ومشيراً إلي أن إسمه تعالي سوف يعظم بين الأمم (انتشار المسيحية بين غير اليهود).

+ وفي الاصحاح الثالث والرابع تنّبأ ملاخي النبي عن سابق السيد المسيح «**يوحنا المعمدان**» بأنه سيأتي بروح إيليا. وأشار إلي السيد المسيح بأنه شمس البّر، والشفاء في أجنحتها، وحث الجميع علي التوبة (٤٠٠ ق.م).

---

(١) «رو ١: ٢٩ - ٣٢».

+ وبالرغم من حلول مصائب متعددة علي اليهود (قبيل مجيء السيد المسيح) من عائلة أنطيوخس، ومن انحطاط حالتهم، وأنقسامهم المخزي، مما أدي إلي استيلاء الرومان عليهم، وسحب المُلْك من نسل المكابيين، وتعيين الملك هيرودس (الكبير).

+ وبالرغم من إنقطاع النبوة عنهم، مدة نحو أربعمائة سنة، من عهد ملاخي إلي مجيء السيد المسيح، فإن كثيرين منهم، لم يفطنوا إلي أتمام النبوات المتعددة، والتي تمت بمجيئه، وكانوا كما قال السيد المسيح عنهم «مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون»(١).

+ فقد تنبأ يعقوب في سفر التكوين، عن وقت مجيئه فقال «لا يزول قضيب من يهوذا، أو مشترع من بين رجليه، حتي يأتي شيلون»(٢) ويقصد بذلك ملك السلام أي المسيح، وقد تم هذا فزال قضيب المُلْك من يهوذا. بعد أن أتي السيد المسيح، إلي الوقت الحاضر، كما خضعوا سياسياً للاستعمار الروماني في عهده.

● **والآيات الآتية تتضمن النبوات المتعددة عن السيد المسيح:**

+ فنبوة سحقه لرأس الحية في (تك ٣:١٥) ونبوة كونه إلهاً متأنساً في (إش ٩:٦) وذكر أصله في (إش ١١:١ مز ١٣٢:١١) وولادته من عذراء (إش ٧:١٤) وموضع ولادته (مي ٥:٢) وعن كونه نبياً (تث ١٨:١٨) وملكاً (مز ٢:٦) وكاهناً (مز ١١٠:٤) وعن آلامه علي الصليب (مز ٢٢:١٦ ـ ١٨و ٦٩:٢١، إش ٥٠:٦) وعن دفنه (إش ٥٣:٩) وقيامته (مز ٣: ٥ ـ ٧) وصعوده إلي السماء (مز ٦٨:١٨).

+ لهذا عندما رأي اللّه الآب، أن الوقت قد حان، وحالة البشر الروحية قد ساءت، اشتعل قلبه حناناً علي خلاص بني البشر، فظلام الليل الدامس يسبق انبلاج الفجر، وطيش الطفل يدفع الي حنان الأب عليه.



---

(١) (مت ١٣:١٣ - ١٤) .

(٢) (تك ٤٩:١٠) .

الفصل الثاني
يوحنا المعمدان

+ مهد الله عقول البشر، إلي قبول المسيح الفادي، أولاً بالعجائب والنبوات المتعددة، والرموز في كتاب الكنيسة اليهودية. وأخيراً بارسال سفيره، المتقدم أمامه كوكب الصبح المنير (يوحنا المعمدان).

+ وهو إبن زكريا الكاهن، وأمه تُدعي اليصابات من بنات هارون. بعد أن شاخا، أعطاهما الله هذا الأبن، فدعوه يوحنا. وتفصيل ذلك في بشارة لوقا (١:٥ ...الخ).

+ وقد ورد في تفسير المشرقي لإنجيل (مت ٣:١) «أن الوقت الذي مضي فيه «يوحنا» الي القفر، هو الوقت الذي صمم فيه هيرودس علي قتل الأطفال وفيه هرب الملك (أي المسيح) والمُنذر به (أي يوحنا) أما الملك، فهرب إلي مصر، وأما يوحنا فهرب إلي برية الزيفانا (غرب البحر الميت).

+ والعلة الموجبه لمضيه إلي القفر، هو أن هيرودس، لما التمس المكان الذي وُلِد فيه المسيح من رؤساء الكهنة، بعدما سخر به المجوس، أتفق إنه قال له أحد الحاضرين، قد ولد بالقرب منا ولد لبعض الكهنة وهو زكريا، وقال جماعة إنه المسيح.

+ فلما سمع هيرودس بذلك، أنفذ إلي زكريا، وأمره باحضار الصبي، بعد مسألته إياه عنه وقوله: إنه في البيت مع أمه. وأن اليصابات، لما علمت بذلك من إنسان أخبرها به، بادرت وأخذته، ومضت به إلي برية الزيفانا.

+ ولما جاء زكريا، ولم يجدها في البيت، خاف من هيرودس، فاعتصم بالمذبح. وأنفذ رسولاً فقتله هناك، فتجمد دمه، وأشار إلي ذلك السيد المسيح، عندما قال: «يأتي عليكم كل دم.... إلي دم زكريا بن برخيا» (مت ٢٣:٢٥). فسر هذا أوريجانس وباسيليوس وغريغوريوس.

+ وقال قوم وهو الحق، أن أباه قال لرسل الملك: «إنني تسلمت هذا من مكان. وأنا أحب تسليمه فيه. وأنه جاء به، إلي الهيكل وأدخله إلي المذبح، وألبسه لباس الكهنوت

وسامه كاهناً، حتي إذا قُتِل أحدهما، بقي الكهنوت في الآخر. ولما وضعه علي المذبح اختطفه الملاك إلي البرية. فلما خرج زكريا و استفهم منه الرسل، قال إنه لا يعلم مكان اختفائه. فقتلوه بين المذبح والبيت.

+ واستمر يوحنا المعمدان في البرية، يأكل جراداً وعسلاً برياً ويلبس من وبر الأبل، وعلي حقويه منطقة من جلد. ليكون بعيداً عن أدناس الحياة، وليتصل بالله وهو خال من مشغوليات الدنيا، إلي نحو سن الثلاثين ثم «في أيام رئيس الكهنة «حنانيا وقيافا» كانت كلمة الله عليه»(١) (وصار يعمد في عين نون بقرب ساليم بمعمودية التوبة) ولما قال البعض عنه إنه المسيح قال (أنا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب)(٢). ثم شهد عن المسيح بقوله «في وسطكم قائم... هو الذي سيأتي بعدي... الذي صار قُدَّامي... الذي لست بمستحق أن أحلّ سيور حذائه» ثم قال عن المسيح: «هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم»(٣).

+ ولقد شهد السيد المسيح عن يوحنا المعمدان إنه «ليس كقصبة تحركها الريح» ، «ولم يقم من بين المولودين من النساء أعظم منه»(٤).

+ ولكي يحمل يوحنا تلاميذه إلي إتباع السيد المسيح. أرسل أثنين منهم ليعرفا أعماله(٥).

+ ولأن يوحنا كان غيوراً علي الشهادة للحق، قال لهيرودس. «لا يحل لك أن تأخذ هيروديا – زوجة أخيك فيلبس – أمراة لك. فأخذه الملك ووضعه في السجن، وحقدت عليه هيروديا: ولما رقصت أبنتها سالومي في يوم تذكار ميلاد الملك سُرَّ منها. وأقسم لها «أن مهما طلبْتِ مني لاعطيتك حتي نصف مملكتي» فاستشارت والدتها، فقالت «أطلبي رأس يوحنا علي طبق، ولأَجل القَسَم لم يستطع الملك أن يَرُدَّ طلبها. فقطع رأس يوحنا(٦).

+ وورد في سنكسار يوم ٢ توت عن رأس يوحنا: أن لسان حالها كان يقول: «لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك، زوجة لك. وكأن يوحنا مازال حياً!!

---

(١) (لو ٣:٢)

(٢) (يو ١:٢٣)

(٣) (يو ١: ٢٦ ـ ٢٩)

(٤) (مت ١١: ٧ ـ ١١)

(٥) (مت ١١:٢)

(٦) (مر ٦: ١٧ – ٢٦)

+ وقد قيل إن هيروديا كانت تنخس لسان يوحنا المعمدان بالإبر. ومات يوحنا شهيد الحق، ويقال إن رأسه بحمص، وقد بني تاوفيلس الاسكندري في أواخر القرن الرابع كنيسة باسمه، بعد أن أحضر البابا اثناسيوس جسده الي الاسكندرية.

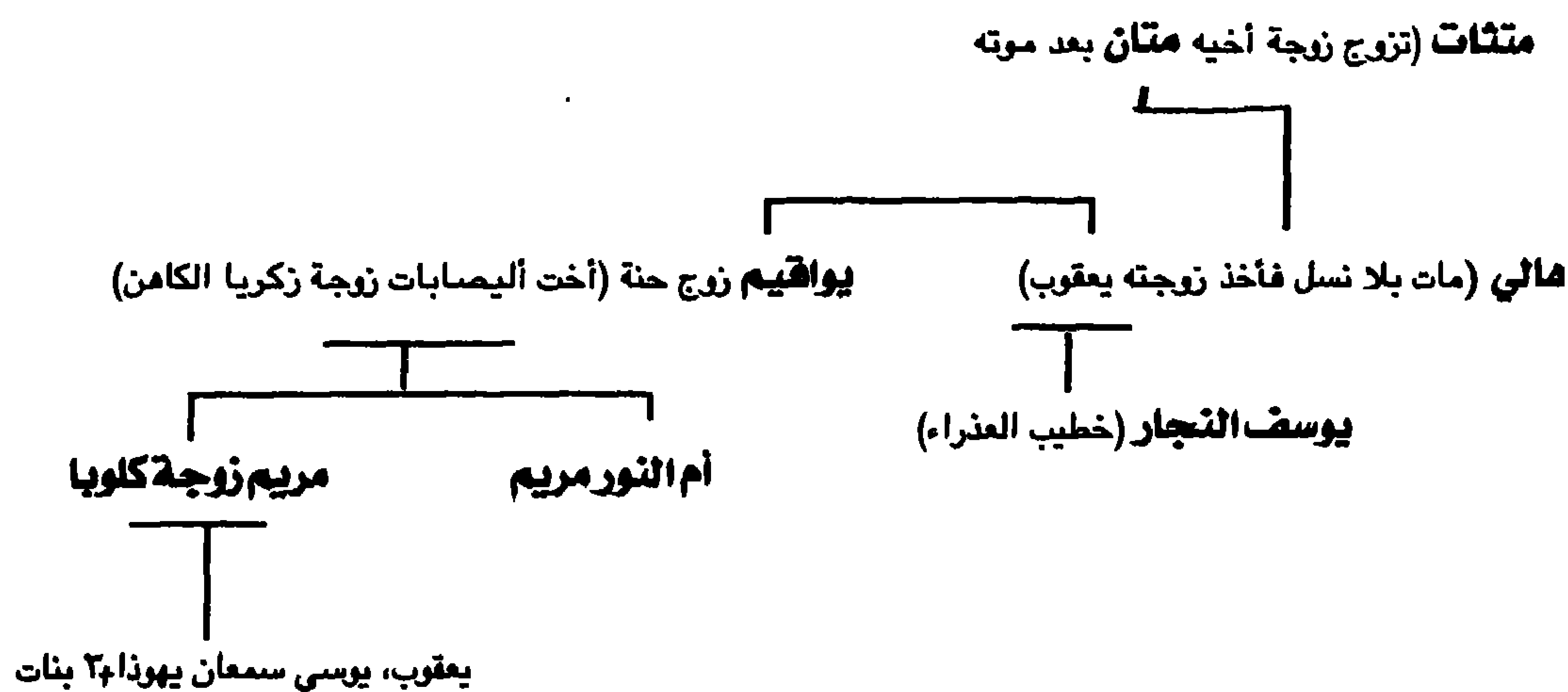
+ وقيل أيضاً إن اليهود في عهد يوليانس أرادوا أحراق اجسام القديسين بالقدس، فنجت جثة يوحنا المعمدان بأعجوبة، وجيء بها إلي الاسكندرية.

✣ ✣ ✣

الفصل الثالث

مريم العذراء ويوسف النجار

+ يُبيّن الجدول الآتي العائلة التي ظهر منها السيد المسيح بالجسد. ويشمل والدته العذراء مريم وصلتها بيوسف النجار وأليصابات والدة يوحنا المعمدان ومريم زوجة (حلفي) كلوبا ووالدات بعض الرسل (مت ١٣:٥٥، ٢٧:٥٦، مر ٦:٣، لو٣:٢٩):



+ من الجدول السابق يظهر مايأتي:

– **أولاً:** أن يـوسف هـو إبـن طبيـعي ليعـقوب، ولأن يعـقوب قد تزوج بإمرأة أخيه هالي، ليقيم نسلاً له، وقد نُسبِ – حسب الشريعة – الي هالي «لو ٣: ٢٣ ـ ٢٤، مت ١: ١٥ ـ ١٦».

– **ثانياً:** أن مريم العذراء، هي إبنة يواقيم عم يوسف خطيبها.

– **ثالثاً:** أن أليصابات هي أخت حنة، والدة مريم العذراء، وبذلك تكون أليصابات خالة القديسة مريم العذراء.

+ والجدول السابق منسوب الي يعقوب الرسول بن حلفي أسقف أورشليم. والغاية من نسب السيد المسيح الي يوسف النجار هي اثبات حق وراثة الملكية من داود، لأنه لا يجوز نسبتها الي النساء (ولأن الخطبة تعد كالزواج في الفكر اليهودي).

+ وقد ورد عن حنة ويواقيم أنهما كانا بلا خلف، فصليا لله لكي يرزقهما نسلاً – وتعهدا بنذره لله – فأعطاهما الله إبنة، سمياها مريم «أميرة». ولما بلغت سن الثالثة من عمرها، أودعاها (بملحق) الهيكل. فعاشت في هذا الجو الروحي تمارس العبادة، وأنسكاب النفس أمام الله في صوم وصلاة،واختارتها العناية الإلهية، لتكون عرشاً لكلمته المتجسد (Logos).فدبّر الله أن تُخطب ليوسف، حتي لا تبقي في الهيكل، (بعد البلوغ، ولتكون في كنف رجل بعد الحَبلَ الإلهي) بعدها بشرها الملاك جبرائيل بالحَبلَ بعمانوئيل، وقال لها: «الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تُظللكِ». فقالت: «ها أنا (عبدة) أمة الرب»[1].

+ ثم زارت العذراء خالتها أليصابات، وأرتكض الجنين (يوحنا المعمدان) بابتهاج في بطن أمه لهذه الزيارة، فقالت اليصابات تعظيماً لمريم «من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ»؟!

(١) «لو ١:٣٢».

+ ثم بعد تسعة أشهر من البشارة ولدت السيد المسيح. وعانت كثيراً من المتاعب في السفر لبيت لحم وفي الهروب إلي مصر، وفي ملاحظته عند الذهاب إلي الهيكل وفي العودة للناصرة، والعناية به وهو صغير، إلي أن رقد يوسف النجار وإلي أن خرج لاسرائيل بعد سن الثلاثين (حسب شريعة موسي) ليبدأ رسالته الخلاصية، وكانت آلام صلب أبنها، قمة آلامها، ثم أوصي الرب تلميذه يوحنا بها، فأخذها الي خاصته (عاشت في بيته حتي ساعة نياحتها السعيدة).

+ وقد ورد في سنكسار ١٦ مسري مايأتي: «بينما كانت العذراء ملازمة الصلاة، في الجبل المقدس، وتنتظر الوقت الذي فيه تنحل من رباطات الجسد إذ أعلمها الروح القدس بانتقالها سريعاً. ولما دنا الوقت، حضر التلاميذ وعذاري جبل الزيتون. وكانت السيدة العذراء مضطجعة علي سريرها، وإذا بالسيد المسيح قد حضر... فعزَّاها وأعلمها بسعادتها الدائمة... فسُرت بذلك ومدت يدها وباركت التلاميذ والعذاري. ثم أسلمَت روحها الطاهرة بيد إبنها وإلهها... وكُفِّن الجسد الطاهر وحملوه الي الجشسمانية... وتوما الرسول لم يكن حاضراً وقت نياحتها.... فرأي جسدها الطاهر مع الملائكة صاعدين به... وعند حضوره للتلاميذ أعلموه بنياحتها فقال لهم: «أنا لا اصدِّق حتي أُعاين جسدها. فانتم تعرفون كيف شككت في قيامة السيد المسيح» فمضوا إلي القبر معه. وكشفوا عن الجسد فلم يجدوه، فقص عليهم مارآه»».

+ وبهذا نري أن السيدة العذراء قد صعدت إلي السماء بالروح ثم بالجسد وإلا فإين جسدها الآن؟! وأيجوز أن يترك السيد المسيح عرشه اللحمي علي الأرض، وهو صانع العجائب؟! وإن كان يُكرم القديسين، ألا يكرم والدته ويأخذها إلي جواره؟!

+ نعم. بهذا تمَّت النبوة: «جعلت الملكة عن يمينك» (مز ٤٥:٩).



الفصل الرابع

تاريخ السيد المسيح

من ميلاده إلي خروجه إلي ميدان العمل الروحي

+ للسيد المسيح ميلادان: ميلاد أزلي من الآب قبل كل الدهور، كولادة النور من النور. وميلاد زمني في الوقت الذي أختاره الله: «لما أتيَ ملء الزمان، حين أرسل إبنه، مولوداً من إمرأة». كما أشار إلي ذلك الانجيلي يوحنا بقوله: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الله الكلمة... والكلمة صار جسداً» (يو ١: ١ ـ ١٤).

+ وقد ذكره القرآن أيضاً في سورة آل عمران: «يامريم إن الله يبشرك **بكلمة منه** اسمه المسيح عيسي بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين» وجاء في سورة النساء «إنما المسيح عيسي بن مريم رسول الله **وكلمته ألقاها** إلي مريم **وروح منه**».

+ وقد تم الميلاد الزمني في بيت لحم يوم ٢٥ كانون الأول (٢٩ كيهك) سنة ٧٥٣ لتأسيس مدينة رومة (وُلِد العظيم في منود البقر ليمحو كبرياء آدم).

+ وظهر ملاك وبشر الرعاة بولادة المخلص، ومعه جمهور من الجند يسبحون الله[1] وبعد ثمانية أيام: نفذ ناموس الختان[2] وبعد أربعين يوماً، حمله سمعان[3] علي ذراعيه في الهيكل وقال «أطلق عبدك بسلام» (لو ٢٢ ـ ٣٥).

+ ولم يبلغ السيد المسيح السنة الأولي، حتي أتاه المجوس من بلاد الفُرس ليقدِّموا له هداياهم، وذلك تنفيذاً لما أمرهم به رئيسهم زرادشت عندما قال (إن بكراً عبرانية، ستلد بغير مجانبة صبياً، فيه قوة إلهية، ويظهر لكم عند مولده كوكب ممتاز، فأنطلقوا

---

(١) «لو ٢: ٩ – ٢٠)

(٢) «لو ٢:٢١»

(٣) يقال إن سمعان كان أحد الذين ترجموا التوراة (الترجمة السبعينية) واستغرب أن تحمل العذراء في قول إشعياء ١٤:٧ فناداه صوت من السماء أنه لن يموت حتي يري الطفل المولود من العذراء. وكان ذلك في عهد بطليموس الثاني ٢٨٥ – ٢٤٧ ق.م.

وقدّموا له قرابين ثلاثة)٠ فأتي ثلاثة من كبارهم[١] عندما رأوا نجمه، وهم ملخيور وبلطازار وجاسابار، وأهتدوا من هيرودس إلي المدينة التي وُلِدِ فيها٠ فذهبوا وقدموا إليه ذهباً ولباناً ومراً (كرمز لله وكهنوته وآلامه)٠

+ ولما لم يرجعوا إلي هيرودس كما وعدوه، ورجعوا في طريق أخري إلي كورتهم، غضب هيرودس وقتل جميع أطفال بيت لحم وكل تخومها من إبن سنتين فما دون٠ وكانت العناية الإلهية قد رتبت أن يهرب المسيح والعذراء ويوسف النجار الي مصر٠

+ ومات هيرودس بعد هذا بمدة وجيزة، بمرض فظيع أقعده، حتي أنه لم يقدر علي النهوض من شدة الألم٠

+ ولما رجعت العائلة المقدسة من مصر، ذهبت للناصرة٠ وكان من عادتها أن تذهب سنوياً لأورشليم، لتحضر عيد الفصح، وعند عودتها في إحدي السنين لم تجد الصبي يسوع٠ فبحثت عنه حتي وجدته في الهيكل، جالساً وسط المعلمين يناقشهم٠ وكان عمره إثنتي عشرة سنة[٢]. وكان يشتغل بالنجارة إلي أن بلغ سّنه الثلاثين٠

✣ ✣ ✣

الفصل الخامس
المسيح في ميدان العمل الروحي

+ أقبل السيد المسيح في سن الثلاثين، إلي يوحنا ليعتمد منه٠ فاعتذر يوحنا أولاً، ثم امتثل.فرأيَ الروح نازلاً مثل حمامة، وصوت من السماء يقول: «هذا هو إبني الحبيب»[٣]. (وبهذا تجليٍّ الثالوث الأقدس)٠

---

(١) قال عنهم يوساب المؤرخ أنهم من سلالة بلعام الذي تنبأ «يبرز كوكب من يعقوب» (عدد ٢٤:١٧).

(٢) (لو ٢: ٤١ ـ ٥٢) ٠

(٣) (يو ١: ٢٩ ـ ٣٤، لو ٣: ٢١ – ٢٢) ٠

+ ثم ذهب إلي البرية حيث صام أربعين يوماً وجرّبه ابليس[1] وبعد هذا خرج السيد المسيح للعمل الروحي. وقد امتاز بالكمال في (١) تعاليمه (٢) سلطانه (٣) شخصيته.

(١) كمال تعليمه:

أ - **شكلاً**: بالامثال التي أوردها علي ألسنة الانسان، كمَثَل الزارع والكرامين والغني الغبي، والسامري الصالح، وقاضي الظلم، والأبن الضال، والفريسي والعشار، والعذاري الحكيمات، وعلي ألسنة الحيوان والنبات، كالخروف الضال، وشبكة السمك، وحبة الخردل والزوان، أو عن طريق الجماد، كالخمير والكنز المخفي ، والدرة الثمينة.... الخ.

ب - **وموضوعاً**: بالعظات التي ألقاها، كعظة الجبل (مت ٥:٧) وللجموع الغفيرة أو للرسل أو للسامرة أو لنيقوديموس، ولكي ندلل علي كمال التعاليم المسيحية نورد المفارقات الآتية:-

أولاً: يقول أحد فلاسفة الوثنيين «لا تُعامل الناس، إلا بما تُحب أن يعاملوك به» بينما يقول السيد المسيح «كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا»[2] وأسلوب الأخير أعمّ من الأول.

ثانياً: ورد في شريعة موسي «عين بعين وسن بسن» وفي الشريعة الاسلامية: «من اعتدي عليك فاعتد عليه بمثله وبمثل مثله». أما المسيحية فتقول «لا تُقاوم الشر ... ومن لطمك علي خدك الايمن فحوّل له الأيسر»[3] وفي الاخيرة إيقاف الشر من الاستفحَال.

(٢) كمال سلطانه:

+ وظهر في العجائب الوافرة التي أجراها. فكانت سلطته ممتازة علي الجماد والنبات، فأسكن الرياح والأمواج. وبارك في خمس الخبزات، وحوّل الماء خمراً، وييبّس شجرة التين المورقة، وصيّر الماء طريقاً له ولبطرس.

---

(١) (مت ٤:١ - ١٣»)

(٢) (مت ١٢:٧)

(٣) (مت ٥: ٣٨ - ٤٢)

+ وكانت سلطته ممتازة أيضاً علي الحيوان، فقد دعا الاسماك مراراً، واستدعي سمكة بها استاراً أخذه بطرس ودفع منه مبلغ الجزية.

+ وأما سلطته علي الإنسان، فقد بلغت حداً كبيراً فلم يستطع أي مرض أن يقف أمام قوته. فقد جعل العميان يبصرون، وأرجع الأذن المقطوعة للجندي، ليلة آلامه. وحل اللسان المعقود، وأبرأ اليد اليابسة (من النقرس)، وشفي منحنية الظهر، وجفف ينبوع نازفة الدم، وطهر البُرَّص (مرضي الجُذام) وأقام المفلوجين (المشلولين).

+ ولم تقف سلطته عند حد شفاء الجسد، بل شفي الروح أيضاً من أوزارها.فقد غفرَ الخطايا، وأخرج الشياطين، ورد العقول إلي المجانين.

+ زد عي ذلك قدرته علي كشف خفايا الإنسان واستدعاء الارواح لتعود إلي أجسادها المائتة، كما فعل بإبنة يايرس، وإبن أرملة نايين، وأليعازر. وقد خضع لسلطانه إيليا وموسي، فأتيا له عند التجلِّي علي الجبل، بعد قرون كثيرة من انتقالهما من هذا العالم.

+ وإن لوحظ أن بعض الأنبياء، فى العهد القديم، قد عملوا مثل بعض هذه العجائب، لكنهم كانوا يتوسلون لله، لكى ينفّذ مايطلبون. أما السيد المسيح، فكان يأمر فيُطاع، لأنه هو الله الظاهر فى الجسد[1]. أما ماعمله الرسل من شفاء المرضى بظلهم أو بمآزرهم فكان هذا بإستدعاء قوة السيد المسيح، الثابت فيهم، بالتناول من السر المقدس.

(٣) كمال شخصيته:

+ أن الأساس فى كمال تعاليمه، وكمال سلطانه هو كمال شخصيته، فكان يعمل ما يوصى الناس به. وكم كان تواضعه عظيماً، عندما نزل إلى عالمنا، وهو الإبن الأزلى، الكائن فى حضن الآب. وكم كان احتماله عظيماً، لإساءة المسيئين، وحنانه عظيماً على الخطاة والبائسين (كمرضي في حاجة لعلاج لا عتاب ولا عقاب) ونشاطه عظيماً، وتضحيته فائقة، وسعيه متواصلاً لعمل الخير الكامل للبشرية بأسرها دون تمييز بين لون أو جنس أو دين.

+ وإثباتاً لكمال شخصيته أيضاً، نورد جزءاً من التقرير الذى رفعه يوليوس وإلى الجليل

(١) (١ تي ٣:١٦)

إلى مجلس السناتو وقيصر رومه تيبريوس. وقد ذكره يوستينُس الشهيد والعلاَّمة ترتليانس، من آباء القرن الثاني ونصه كالآتي:-

+ «أيها القيصر .. اعلم أنه يوجد في وقتنا هذا رجل، سائراً بالفضيلة العُظمَى، يُدعَى يسوع، والشعب متخذه بمنزلة نبى الفضيلة، وتلاميذه يقولون إنه إبن الله خالق السموات والأرض ... فبالحقيقة أيها الملك يُسمَع عن يسوع هذا، أشياء غريبة إذ يقيم الموتى، ويشفى المرضى بكلمة واحدة ...».

+ «وهو إنسان بقامة معتدلة، وذو منظر جميل للغاية، وله هيبة بهية جداً حتى من نظر إليه يلتزم أن يحبه ويخافه. شعره بغاية الإستواء متدرجاً إلى أذنيه ومن ثم إلى كتفيه، بلون ترابى إنما أكثر ضياءً. وفى جبينه غُرّة كعادة الناصريين. ثم جبينه مسطوح، ووجهه بغير تجعيد بأنف معتدل، وفم بلا عيب، وعيناه كأشعة الشمس، لا يمكن لإنسان أن يحدق النظر فى وجهه.

+ «وحينما يوبخ يُرهب، ومتى أرشد أبكَّى... نراه فرِحَاً.وقد قيل عنه إنه ما نظر قط ضاحكاً، وبالمفاوضة يأسِر الكثيرين ... ويشبه كثيراً لأمه، التى هى أحسن ما وُجِد بين نساء تلك النواحى».

+ «فإذا كنت ترغب ياقيصر أن تشاهده، أعلمنى وأنا أرسله إليك حالاً. ثم أنه من جهة العلوم، أذهل مدينة أورشليم بأسرها، لأنه يفهم كافة العلوم، بدون أن يدرس شيئاً منها البتة... وبالحقيقة - كما تأكد من العبرانيين - إنه ماسُمِع قط روايات علمية كمثل ما نعلم عن يسوع هذا. وكثيرون من علماء اليهود يعتبرونه إلهاً ... وكثيرون غيرهم يبغضونه، ويقولون إنه مضاد لشرائع جلالتك. فترى فىَّ قلقاً، من (كلام) هؤلاء العبرانيين الأردياء».

+ «ويُقال إنه، ماأحزن أحداً قط، بل بالعكس يُخبِر عنه أولئك الذين عرفوه واختبروه بأنهم حصلوا منه على إنعامات كلية وصحة تامة. وأنى بكلِّيتىِ ممتثل لطاعتك، ولإتمام أوامر عظمتك وجلالك» ..

(يوليوس فستوس والى اليهودية) (١)

(١) ايسونورس في كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة جـ ١ س ٢٩ ـ ٣٠ .

الفصل السادس
الشهران الأخيران من حياة السيد المسيح على الأرض

+ كانت حياة هذا الكامل، فى أشهره الأخيرة مفعمة بالحوادث الجسام. فبعد أن أجرى العجائب. وتحدَّث بالتعاليم الكثيرة ــ دخل فى يوم أحد قبل الفصح، فقابلته الجموع بسعوف النخل، كمقابلة الملوك المنتصرين. وصرخوا قائلين «أُوصنّا مبارك الآتى بإسم الرب»(١).

+ ولكن كهنة اليهود، حسدوه على هذا. ولكى يستريحوا أيضاً من تأنيبه تآمروا على قتله. وقال قيافا رئيسهم: «خير لنا أن يموت واحد عن الشعب». فإستعانوا بيهوذا الإسخريوطى تلميذه ليسلمه لهم. وكان السيد قد رسم لتلاميذه سر الشكر فى علية صهيون (فى منزل القديس مرقس الرسول بجنوب القدس).

فى بستان جثسيمانى:

+ وبينما كان السيد يصلى – مع تلاميذه – فى بستان جثسيمانى، وهو يتصور الآلام المبرحة، التي سينالها لخلاص البشرية، وإذ بيهوذا قد أقبل ومعه جند كثيرون وقبّله. فقبض عليه الجُند. وحاكمه اليهود أمام هيرودس، ثم أمام بيلاطس، وأتوا بشهود زور، وأستخدموا هياج الشعب للتأثير علي الوالي بيلاطس، إلي أن أنتزعوا منه حُكماً ظالماً علي السيد المسيح بالصلب.

الصلب والدفن:

+ كانت هذه وسيلة إدانة المجرمين، فنزعوا ثيابه. واقترَعُوا على لباسه. وضربوه بالسياط، ووضعوا إكليلاً من الشوك على رأسه، وبدأوا يستهزئون به ويلطمونه. ثم حمّلوه الصليب، وسمّروه عليه، وسقوه خلاً ممزوجاً بمرارة، وطعنه جندي في جنبه بحربة. وتم بهذا كله، مافصّلته المزامير والأنبياء قديماً(٢).

---

(١) (مر١١ :١ – ١٠»)

(٢) (انظر مز ٢٢ :١٦ – ١٨، مز٦٩ :٢١)

+ فتأثرت الطبيعة من صلب خالقها. فإظلمت الشمس فى رابعة النهار والقمر بدر[1]. وتشققت الصخور، وقام كثير من الراقدين فى القبور، وانشق حجاب الهيكل، وآمن عندئذ أحد الجنود الواقفين عند الصليب (ويسمي لونجينوس).

+ وبعد أن أسلم السيد المسيح روحه فى يد الآب، أخذ يوسف الرامي ونيقوديموس جسده الطاهر، وكفنوه بالكتان والحنوط وأودعوه قبرهما الجديد.

شهادة غير المسيحيين عن حوادث الصلب:

+ قال تاسيتوس المؤرخ الوثنى: فى القرن الأول وهو يصف ماحل بالمسيحيين فى عهد نيرون «كان إسمهم عند العامة مسيحيين وهو إسم اخذوه من المسيح رئيسهم الذى قُتِل كمُذنِب فى عهد تيبريوس قيصر، عندما كان بنتيوس بيلاطس والياً»[2].

+ وقال كلسس الفيلسوف الوثنى : فى الجيل الثالث فى هجومه على المسيحيين (لو كان هذا اعتقاد دعاة المسيح وانصاره أعنى الرسل، ما كان أنكره أحدهم وخانه آخر حتى دفعه للموت).

+ وشهد يوسيفوس المؤرخ اليهودى فى الجيل الأول بقوله (نحو هذا الوقت نشأ إنسان حكيم إذا صح أن ندعوه إنساناً : لأنه عمل أموراً عجيبة، وادعى أنه المسيح. وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بسبب شكاية وجوه أمتنا. عاد فظهر حياً، كما أخبر أنبياء الله عن هذه الأشياء).

+ وقد شهد القرآن فى سورة مريم (والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً).

القيـــامة:

+ وفى فجر الأحد والقبر مختوم، وحوله الحُرّاس، قام المسيح منتصراً على الموت، وحدثت زلزلة عظيمة فإرتجف الحُرّاس وتركوا القبر وهربوا.

---

(١) وكانت هذه أعجوبة لأن كسوف الشمس لا يحصل إلا والقمر فى شكل المحاق .

(٢) انظر ايسوزورس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، ج١ ص ٢٣ -٢٥ .

+ وقد آتت مريم المجدلية، ونساء آخريات، وبطرس الرسول ويوحنا، فرأوا القبر خالياً والأكفان موضوعة بترتيب، وبعض الملائكة يظهرون عند القبر.

+ وقد ظهر السيد المسيح مراراً بعد قيامته، وفى أماكن متعددة. فقد ظهر لمريم المجدلية عند القبر ولتلميذى عمواس، وللتلاميذ مجتمعين فى العُلية والأبواب مغلقة مرتين، كانت إحداهما فى غياب توما، والأخرى فى حضوره. وقد عتب عليه عدم إيمانه. كما ظهر على شاطئ بحيرة طبرية للتلاميذ، وهم فى سفينتهم يصطادون. وعندما خرجوا وجدوه قد جهزّ لهم سمكاً مشوياً وعسلاً.

+ وبعد أربعين يوماً من قيامته، اجتمع بهم على جبل الزيتون. وبينما هو يباركهم أخذته سحابة وصعد إلى السماء. وفيما هم يتفرسون مندهشين وإذ بملاك يقف بهم ويقول : (يسوع الذى رأيتموه صاعداً، سيأتى أيضاً كما رأيتموه، نازلاً من السماء)[١].

✥ ✥ ✥

الباب الثانى
انتشار المسيحية

الفصل الأول
بدء انتشارها

+ بعد أن صعد السيد المسيح إلى السماء، لم يترك خليقته التى أتى ليفديها، بدون رعاية، بل اختار إثني عشر تلميذاً، وسبعين رسولاً وقال لهم «أقيموا فى مدينة أورشليم، إلي أن تُلبسُوا قوة من الأعالى»[٢] «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس، وعلموهم جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر»(٣).

---

(١) (أع ١:١١)

(٢) (لو ٢٤:٤٩)

(٣) (مت ٢٧:١٩ - ٢٠).

+ وقد بقى الرسل فى أورشليم، وصعدوا إلى العُلّية (بيت مارمرقس) «وكانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطِلْبَة مع النساء»[1].

+ وفى يوم عيد الخمسين، الذى كان فيه يهود قد حضروا من كل الدول، حل الروح القدس على الرسل مثل ألسنّة من نار. وطفقوا يعظون بلغات مختلفة، حتى تعجّب اليهود الغُرباء فقالوا: «كيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التى وُلِد فيها»[2] ؟

+ وكان من نتيجة ذلك أن آمن كثيرون، وعمد التلاميذ - فى ذلك اليوم - نحو ثلاثة آلاف نفس. وكان المؤمنون يواظبون على تعاليم الرسل والشركة وكسر الخبز (التناول) والصلاة، وكانوا معاً.وكل شئ كان مشتركاً وكانوا يقسمونه بين الجميع حسب احتياجاتهم[3] .

+ وجرت آيات على أيدى الرسل. فقد شفى التلميذان بطرس ويوحنا الرجل الأعرج[4] وإزداد عدد المؤمنين بالمسيح. فثار سخط الكهنة، وقبضوا على الرسل وأودعوهم السجن، ولكن الملاك أخرجهم، وقال: «اذهبوا وكلمّوا الشعب فى الهيكل بجميع كلام هذه الحياة». فدخلوا الهيكل فى الصبح وصاروا يعلمون.فاستغرب رؤساء الكهنة من هذا وأتوا بهم وعنفوهم وقالوا لهم: «أما أوصيناكم ألا تُعلّموا بهذا الإسم؟» فأجابوهم «ينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس».فجلدوهم وأطلقوهم. فخرجوا فرحين لأنهم حُسبُوا مستأهلين أن يُهانوا لأجل إسمه[5].

+ ولما تكاثر التلاميذ واتسعت الخدمة، عينّ الرسل معهم سبعة شمامسة كان منهم اسطفانوس الذى مات رجماً بالحجارة – لأنه كان يُنادى بإسم السيد – فصلى من أجل راجميه قائلاً: «يا رب لا تُقِم لهم هذه الخطية»[6] وكان اسطفانوس الشماس أول شهيد من المسيحيين.

+ ومنهم أيضاً فيلبس الشماس الذى نادى فى السامرة. وأثرّ على سيمون الساحر. فآمن واراد أن يشترى موهبة الروح القدس (عمل المعجزات) من بطرس ويوحنا.

---

(١) (أع ١:١٢ - ١٤) (٢) (أع ٢:٨)

(٣) (أع ٢:٤٦) (٤) (أع ٣:٢ - ٨)

(٥) (أع ٥:١٧) (٦) (أع ٦:٧)

فقال له بطرس: (لتكن فضتك معك لهلاك. إنى آراك فى مرارة المُرْ ورباط الظلم»· ثم ذهب فيلبس إلى نواحى غزة، حيث عمّد الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة[١].

+ وأما الرسل فمنهم الأخوة: كسمعان بطرس واندراوس إبنا يونا · ويعقوب الكبير ويوحنا ابنا زبدى· ويهوذا (لباوس المُلقّب تداوس) ويعقوب البار ابنا حلفى (كلوبا). ومنهم من يشترك فى التسمية مع آخر، كسمعان بطرس وسمعان القانوى، ويعقوب الكبير بن زبدى ويعقوب البار بن حلفى، ويهوذا بن حلفى ويهوذا الإسخريوطى. ومنهم من يستقل بإسمه كفيلبس وبرثولوماوس (نثنائيل) ومتى وتوما.

● **وينقسم الرسل والإنجيليون بحسب أشهر مناطق تبشيرهم إلى الفرق الآتية:**

+ **الفرقة الأولى:** التى عملت فى اليهودية وتخومها · وتتكون من الرسل : بطرس ويعقوب البار ومتياس الذى حل محل يهوذا الإسخريوطى (ولبطرس رسالتان وليعقوب رسالة).

الفرقة الثانية: التى عملت فى آسيا الصغرى وما حولها وتتكون من الرسل فيلبس وبرتولوماوس ويوحنا (وللأخير إنجيل وثلاث رسائل وسفر الرؤيا).

الفرقة الثالثة: التى ذهبت إلى بلاد العجم (ايران) والهند وتتكون من الرسل يهوذا وسمعان القانوى وتوما (وليهوذا رسالة).

الفرقة الرابعة: التى ذهبت إلى أقاليم أوربا المختلفة وتتكون من الرسل اندراوس ويعقوب الكبير وبولس ولوقا الإنجيلى (ولبولس أربعة عشر رسالة وللوقا إنجيله وسفر أعمال الرسل).

الفرقة الخامسة: التى ذهبت إلى مصر وأثيوبيا بأفريقيا ·وتتكون من الإنجيليين متى ومرقس (ولكل منهما إنجيله).

✣ ✣ ✣

---

(١) (أع ٨) ·

الفصل الثانى

الفرقة الأولى من الرسل فى اليهودية وتخومها

+ من الغريب أنه قد مرّ بهذه البلاد: أعظم الأباطرة والقواد كتحتمس الثالث ورمسيس الثانى المصريين واسكندر الأكبر المقدونى، وبُمبي ويوليوس قيصر الرومانيين. وعمرو بن العاص وصلاح الدين المسلمين، ونابليون الفرنسى، وقد ذهب هؤلاء جميعاً ولم تبق لأحدهم إلا الذكريات التاريخية. غير أن إنساناً – وُلد فى مزود للبقر فى بيت لحم اليهودية –وكان أتباعه من الصيادين. وأُهين عندما مات مصلوباً – قد ترك آثاراً خالدة.إذ استولى بضعفه على قلوب أشهر الملوك وامتد اسمه إلى أقاصى الأرض. وكاد الإيمان به يغمر المسكونة بأسرها، رغم أن خدمته قد بلغت ثلاث سنوات فقط.

+ وهذا الإنسان العظيم هو الرب يسوع المسيح، وليس غريباً أن يترك هذه الآثار – لأنه هو الإله المتأنس.ولنبدأ بذكر تاريخ اشهر الرسل الذين بشروا بإسمه فى منطقة اليهودية التى عاش فيها. فقد اشتهر بالتبشير فى هذه المنطقة: الرسل سمعان بطرس ويعقوب البار ومتياس.

١- الرسول سمعان بطرس:

نشأته:

+ وُلد سمعان فى بيت صيدا، الواقعة على بحيرة طبرية نحو سنة ١٣ ق.م وكان صياداً للسمك. وأول صلته بالسيد المسيح، عندما شفى حماته(١) وكان أخوه اندراوس تلميذاً ليوحنا المعمدان، فسمع شهادة يوحنا عن يسوع، فقال لأخيه، قد وجدنا مسيا، الذى تفسيره «المسيح» فذهبا إليه، فقال له السيد: «أنت تُدعى صفا (أى بطرس)(٢).

+ وقد دخل السيد المسيح سفينة بطرس، لما ازدحم عليه الجمع لسماع كلمته بقرب بحيرة جنيسارت (طبرية) ولما فرغ من الوعظ، أمر الصيادين، بالإبتعاد إلى العُمق، وإلقاء شباكهم للصيد، فإصطادوا سمكاً كثيراً(٣) رغم عدم وجود السمك.

---

(١) (لو ٤:‏١٨ – ٣٩)

(٢) (يو١:‏٣٥ – ٤٢) وكلمة «صفا» أو بطرس Petros اليونانية تعني «حجراً».

(٣) (لو ٥:‏١ – ٨)

دعوته للخدمة:

+ لما كان يسوع ماشياً على بحر الجليل (الذى هو بحيرة جنيسارت أو طبرية)، أبصر أخوين هما سمعان، الذى يقال له بطرس واندراوس أخاه يلقيان شبكة. فقال لهما: «هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس، فللوقت تركا شباكهما وتبعاه»(١).

+ ولما أعطى السيد السلطان لتلاميذه، كان من بينهم بطرس(٢) وعندما أشار إلى التناول من جسده ودمه، انصرف البعض، فنظر يسوع إلى تلاميذه وقال لهم: «هل تريدون أنتم أيضاً أن تمضوا؟» فأجابه سمعان بقوله «يارب إلى مَنْ نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك؟»(٣).

+ وكان بطرس وزميلاه الصيادان: يعقوب ويوحنا إبنا زبدى، هم الثلاثة المُقرَّبون لدى يسوع، والذين أخذهم معه، عندما أقام ابنة يايرس(٤) وعند التجلّى(٥) وبقربه فى بستان جثسيمانى، ليلة الآلام(٦).

امتيازات بطرس أثناء حياة السيد المسيح:

وقد فاق بطرس إخوانه التلاميذ فيما يأتى:

١- فى قوله عن السيد دونهم «أنت المسيح ابن الله الحى»(٧) وذلك لما كانوا فى قيصرية فيلبس.

٢- فى قوله عن السيد لما تحدث عن آلامه «حاشاك يا رب». فإلتفت السيد وقال له: «اذهب عنى يا شيطان»(٨) .

٣- فى دفع الدرهمين عنه وعن السيد المسيح، من فم السمكة التى أرشده إلى اصطيادها(٩).

---

(١) (مت ٤:١٨ - ٢٠) (٢) «مت ١٥:٢)

(٣) (يو ٦:٦٧ - ٦٩) (٤) (مر٥:٣٧)

(٥) (مت ١٧:١ - ٨) (٦) (مت ٢٦:٣٦ - ٤٥)

(٧) (مت ١٦:١٦ - ١٩) (٨) (مت ١٦:٢١ - ٢٣)

(٩) (مت ١٧:٢٤ - ٢٧)

+ وفى قوله للسيد [ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك فماذا يكون لنا؟! ... فأجابه السيد: «كل من ترك بيوتاً ... يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية»[1]].

٤ – فى قوله مفتخراً بقدرته على الثبات «إن شك فيك الجميع أنا لا أشُك»[2] وفى رفضه أن يغسل السيد رجليه، وقبوله ذلك أخيراً[3].

٥ – وفى قطع أذن عبد رئيس الكهنة بالسيف، عندما قبض الجند على يسوع، فشفاه السيد المسيح[4] وأعلن له عدم رغبته في العُنف (لأنه ضعف).

٦– وفى إنكاره السيد المسيح ثلاث دفعات[5] وفى بكائه بكاءً مُراً، لما نظر إليه السيد بحنان، بعد خروجه من دار المحاكمة .

أعماله بعد قيامة السيد:

+ ظهر نشاط بطرس، عندما ذهب مبكراً إلى القبر ليطمئن على قيامة السيد المسيح. بعد إعلان المجدلية عن قيامته. فلم يجد جسده فى القبر[6].

+ ولما رجع إلى الصيد، فى بحر طبرية مع فريق من الرسل، ظهر السيد لهم، دون أن يعرفوه. ولما أمرهم بإلقاء الشباك للصيد، واصطادوا سمكاً كثيراً، عرفه بطرس، وألقى نفسه فى البحر. ثم خرج التلاميذ ووجدوا سمكاً مشوياً وعسلاً على البر، أعده الرب لهم.

+ وقد أنب السيد المسيح بطرس بحب بقوله: «أتحبنى»[7] ثلاث مرات (لإنكاره ثلاث مرات).

+ وبعد هذا بدأ نشاط بطرس مع التلاميذ. فكان معهم عند اختيار متياس بدلاً من يهوذا الخائن[8].

---

(١) (مت ١٩: ٢٧ – ٢٩)
(٢) (مت ٢٦: ٣٣)
(٣) (يو١٣: ٣ – ١٠)
(٤) (مت ٢٦: ٣٦)
(٥) (مت ٢٦: ٥٧ – ٧٥)
(٦) (يو ٢٠: ٢ – ٩)
(٧) (يو ٢١: ٢ – ١٢)
(٨) (أع ١: ١٣)

+ وعندما حل الروح القدس عليهم يوم الخمسين ظهرت شجاعته، فاجتذب إلى المسيحية بخطابه، ثلاثة آلاف نفس[1] (من عمل الروح القدس في الكلمة).

+ وبعد هذا دخل الهيكل ووجد رجلاً أعرج : من بطن أمه فشفاه[2] وبقوة الروح القدس: قضى على حنانيا وسفيرة بالموت الفوري لأنهما حجزا جزءاً من ثمن الحقل، الذى تبرعا به[3]. ولما رأى الناس العجائب التى كانت تجرى على يديه كانوا يأتون بالمرضى ليُخّيم ولو يظله عليهم فيشفيهم الله[4].

+ ولما رأى ببلدة اللد إنساناً مفلوجاً، منذ ثماني سنوات، يدعى إينياس قال له: «يشفيك يسوع» فقام للوقت[5] كما استدعاه التلاميذ إلى يافا ليقيم طابيثا من الموت.فأقامها بمعونة الله[6].

+ وكان بطرس يميل إلى التبشير وسط اليهود فقط. فرأى فى رؤيا ملاءة تحمل حيوانات نجسة حسب شريعة موسي ليأكلها. فذهب للتبشير وسط الأمم. فإهتدى على يديه كرنيليوس قائد قيصرية الروماني، الذى استدعى بطرس من يافا. وآمن هو وأهل بيته واعتمدوا[7] وذلك نحو سنة ٤٠م.

+ ولما عاد بعد ذلك إلى أورشليم خاصمه المؤمنون من اليهود لإتصاله بكرنيليوس وغيره من الأمم. فبرر عمله هذا بأن قص لهم الرؤيا التى دفعته إلى ذلك[8]. وقد ظل بطرس فى أورشليم أربع سنوات كما يشهد بذلك ابولونيوس من آباء القرن الثانى[9].

+ وفى عهد هيرودس أغريباس ملك اليهود (نحو سنة ٤٤م) أودع بطرس السجن، وكان فى نيته أن يسلمه للشعب لُيقتل ولكن الكنيسة صلت من أجله. فأخرجه ملاك

(١) (أع ٢)
(٢) (أع ٣:٣ – ٦)
(٣) (أع ٥:١ – ١١) (كضعف إيمان)
(٤) (أع ٥:١٥)
(٥) (أع ٩:٣٢ — ٣٦)
(٦) (أع ٩:٣٦)
(٧) (أع ١٠)
(٨) (أع ١١)
(٩) (اوسابيوس، تاريخ الكنيسة. ك ٥ ف ١٨).

الرب[1]. وظل مستقلاً بالعمل فى اليهودية حتى نحو سنة ٥٢م. حين حضر المجمع الأورشليمى مع الرسل[2].

+ وفى سنة ٥٣م ذهب بطرس إلى أنطاكية، وأمتنع عن مخالطة مسيحييّها الغُلف (=من الأمم) خوفاً من مسيحيّى أورشليم، الذين كانوا قد اختصموه فى حادثة كرنيليوس. غير أن بولس رسول الأمم قاومه علانية وقال له: «إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا»[3]؟ ثم رسم هو وبولس أسقفين على أنطاكية، أحدهما يُدعى **افوديوس** أسقفاً على الأمم، والآخر يُدعي **أغناطيوس** أسقفاً على اليهود هناك.

+ ثم ذهب القديس بطرس إلى «شتات بنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا وبيثينية»[4]. وقد ذهب إلي **بابل مصر** (بابليون) حوالى سنة ٥٨م حيث إلتقى بالرسول مرقس، وكتب رسالته الأولى. كما يظهر ذلك من قوله «تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم ومرقس أبنى»[5].

+ وقد قال أوريجانُس فى كتابه الثالث لتفسير سفر التكوين (إنما وصل بطرس إلى رومية فى آخر أيام حياته).

+ وكان غرض القديس بطرس من الذهاب إلى روما، هو محاربة سيمون الساحر، الذى سبق أن قابله بالسامرة وأراد أن يَشترى منه موهبة الروح القدس (عمل المعجزات) فأنبه بطرس على ذلك. وكان قد رجع الي السحر.

+ وبينما كان سيمون يعرض ألاعيبه السحرية فى روما، ومنها أرتفاعه عن الأرض، بمعونة شياطين سحره، جثا بطرس على ركبتيه -أمام الجماهير – وأستغاث بالله

(١) (أع ١٢)

(٢) (أع ١٥ ومكسيموس مظلوم في كتاب أخبار القديسين جـ ٣، ص ٢٤٩)

(٣) (غلا ٢:١٤)

(٤) (١ بط ١:١) وكلها في آسيا الصغري.

(٥) (ا بط ٥:١٣) وهناك آراء كثيرة بشأن «**بابل**» (راجع تفسيرنا للرسالة، طبعة المحبة).

ليخزى هذه الشياطين، فهوى سيمون على الأرض ساقطاً وانكسر، ثم اختفى عن الناس. وألقى بنفسه من سطح منزل فمات، ومضي للجحيم.

+ ولما انتشرت المسيحية فى رومه بواسطة بطرس وبواسطة بولس، الذى سبقه إليها، فزع نيرون الإمبراطور، وأمر بالقبض عليهما. فألحَّ المسيحيون على بطرس بالهروب. وفيما هو خارج من رومه قابله السيد المسيح داخلاً. فقال له بطرس: «إلى أين أنت ذاهب يا سيد؟» فقال له: «إني ذاهب إلى رومه لأُصلب ثانيةً»!!

+ فتذكر بطرس قول السيد له: «عندما كنت أكثر حداثة كنت تُمنطق ذاتك ... ولكن متى شخت فإنك تمد يدك وآخر يُمنطقك ويحملك حيث لا تشاء. قال هذا مُشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يُمجِّد الله بها. ثم قال اتبعنى»[1].

+ فرجع بطرس وتم حبسه وسُجِن فى رومه إلى أن أستشهد. وقد قال أوريجانُس يصف موته «إنما استشهد بطرس برومهُ منكساً على الصليب»[2].



٢- يعقوب البار :

نشأته:

+ يعقوب هو ابن حلفا[3]. وهو أيضاً المذكور فى موضع آخر مع أشقائه يوسى وسمعان ويهوذا[4]. وكانت أمه تُدعَى مريم[5]، وهى أخت العذراء وزوجة كلوبا[6].

+ وبمقارنة (ح ل ف ي / ك ل و ب ا) يوجد تقارب فى اللفظ. فالكلمة الأولى سريانية والثانية يونانية.

(١) (يو ٢١: ١٨ - ٢٢)

(٢) (أوسابيوس ك ٣ ف ١)

(٣) (مت ١٠: ٣)

(٤) (مت ٢٧: ٥٦، مر١٥: ٤٠، مر١٦: ١، ولو٢٤: ١٠ ويهوذا ١: ١)

(٥) (مت٢٧: ٥٦، مر١٦: ١)

(٦) (يو١٩: ٢٥)

+ وعندما كبر يعقوب سُمِّي بالبار، لأن المطر كان قد تأخر عن اليهود.فصلى لله فأرسل المطر وارتوت الأرض، كما يشهد بذلك المؤرخ يوسيفوس اليهودي المعاصر له.

+ ودُعِى **بالأصغر** تمييزاً له، عن يعقوب بن زبدى. وسمى أيضاً **برأس الكنيسة المحلى**، لأنه أُقيم أسقفاً على مدينة أورشليم (القدس).

رسامته:

+ يقول البعض أنه أُقيم من قِبلَ الرب، عندما ظهر له[1] والبعض يقول إن الرسل هم الذين أقاموه عليها. ويشهد بذلك ايرونيموس (چيروم) من آباء الجيل الرابع[2]. وقد وضع قداساً، لايزال الأرمن يصلون به إلي الآن.

مجمع أورشليم:

+ وفى عهده نحو سنة ٥٢م انحدر قوم من اليهودية، وجعلوا يُعلمّون الأخوة، أنه إن لم تُختتنوا لا يمكنكم أن تخلُصوا». فحصل بينهم وبين القديسين بولس وبرنابا منازعة. ثم رتبوا أن يصعدوا إلى أورشليم، لبحث هذا الأمر. وانعقد مجمع من الرسل والقسوس. وأُسنِدت رئاسته إلى يعقوب، الذى اشترك معهم فى الرأى. ثم أرسلت الرسائل إلى الكنائس، بعدم وضع ثقل أكثر غير الأشياء الواجبة، وهى الإمتناع عما ذُبِح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى[3].

+ وقد استاء حنّان رئيس الكهنة، من انتشار المسيحية على يديه. فهدده ثم وضعه على جناح الهيكل لكى يشهد ضد المسيح. فقال لهم. إن يسوع الآن جالس فى العُلاَ عن يمين الآب الأزلى ... وسيُدين الناس» فقال بعض الشهود: «أُوصّنا (خلّصنا) يا إبن داود».

+ أما الكتبة والفريسيون فقد حنقوا عليه، وثاروا قائلين: «قد ضل البار». ثم طرحوه من فوق إلى أسفل. فوقع ثم انتصب وسجد على ركبتيه، **طالباً الغفران للجميع.**

---

(١) (١كو١٥:٧)

(٢) سلسلة المؤلفين الكنسيين ف٢ (كما ورد فى كتاب مكسيموس مظلوم ج١ ف ١٤٦).

(٣) (أع ١٥) «وقيل سنة ٥٣م».

فبادروا برجمه[1]. ثم آتى صباغ وضربه بمدقه على رأسه، فمات لوقته نحو سنة ٦٣م. ودُفِن حيث مات بقرب الهيكل [2].

+ وأورد عنه ايرونيموس، أنه كان يقتات بالبقول، ومن كثرة صلواته وركوعه تكاثف جلد ركبتيه (مثل خُفُّ الجَمل).

+ وقد كتب الرسالة الجامعة التى تحمل اسمه قبل استشهاده أي نحو سنة ٦١م بالقدس.

٣- الرسول متياس ويهوذا الإسخريوطي:

+ لقد أخذ متياس قرعة يهوذا الإسخريوطي، ولهذا يقترن تاريخ كل منهما بالآخر – مع الفرق الشاسع بينهما.

يهوذا الإسخريوطي:

+ نشأ يهوذا في مدينة تدعى اسخريوط. وكان من الإثنى عشر تلميذاً، وبيده أمانة الصندوق. وتنبّأ السيد المسيح أنه سيكون مُسلّمه[3]. وعندما سكبت مريم الطيب على يسوع، تذمر يهوذا. وقال «لماذا لم يُبع هذا الطيب بثلثمائة دينار ويُعطى للفقراء؟ قال هذا ليس لأنه كان يُبالي بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً ولصاً. وكان الصندوق عنده[4]».

+ وقد دفعته محبة الأموال، إلى أن يتشاور مع رؤساء الكهنة، على تسليم السيد المسيح لهم ودفعوا له ثمناً بخساً هو ثلاثين من الفضة[5] وعندما أخذ اللقمة من يد السيد ـ ليلة العشاء السرى ـ دخله الشيطان[6] {وقد مضى فعلاً قبل ممارسة سر الإفخارستيا}.

+ وبينما كان السيد فى بستان جثسيماني، ذهب مع جمْعٍ كثير وقبّله، وكانت هذه القُبْلة علامة اتفق عليها معهم، للقبض على يسوع[7].

---

(١) يوسيفوس ك ٢٠ ف ١١

(٢) اوسابيوس ك ٢ ف ٢٢ وسنكسار ١٠ أمشير.

(٣) (يو٦:٧١، ١٣:٢)

(٤) (يو١٢:٣ – ٨)

(٥) (مت ٢٦:١٤– ١٦، لو٢٢:٣ ، ٤٧)

(٦) (يو١٣:٢٦) (لقمة فصح اليهود، فلم يتناول يهوذا من السر الأقدس، كما أقره المجمع المقدس أخيراً).

(٧) (مت ٢٦:٤٧ – ٤٨)

+ ولكنه بعد أن أسلمه، ندم فردّ الفضة إليهم – ولم يتمتع بها — فقالوا له: "مالنا؟ أنت أبصر". فتركها في الهيكل ومضى. فإشتروا بها حقلاً – لدفن الغُرباء- سُمِّي بحقل الدم(١).

+ وبعد هذا إذ سقط على وجهه انشق من الوسط فإنسكبت أحشاؤه كلها (٢).

متياس الرسول:

+ لما انتهى أمر يهوذا، فكّر الرسل في إسناد مركزه إلى آخر، كما قالت النُبُّوة، «لتصر داره خراباً وليأخذ وظيفته آخر»(٣) ثم أقام الرسل شخصين أحدهما يوسف والآخر متياس. وصلُّوا قائلين «أيها الرب العارف قلوب الجميع، عيِّن أنت من هذين أياً اخترته ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التي تعدَّاها يهوذا، ليذهب إلى مكانه. ثم ألقوا قرعتهم **فوقعت القرعة على متياس**، فحُسِب مع الأحد عشر رسولاً(٤)».

+ وكان متياس من بيت لحم وعيّنه السيد المسيح، عند بدء كرازته، من السبعين رسولاً. ولما حل الروح القدس على التلاميذ، ذهب متياس إلى ولاية الكبادوكية (بآسيا الصغرى) ثم حضر إلى أورشليم وخدم بها. فقام عليه اليهود ورجموه بالحجارة. فاستشهد نحو سنة ٦٨م.

+ ومما تقدم عن رسل اليهودية، يظهر عمل الرسول بطرس في بلاد اللد ويافا وقيصرية وأورشليم، والرسولين يعقوب البار ومتياس في مدينة أورشليم التي استشهدا فيها(٥).

---

(١) (مت ٢٧: ٣ – ١٠) (وراجع زك ١١: ١٢ – ١٣).

(٢) (أع ١: ١٧ – ١٩)

(٣) (مز ٦٩: ١٢، أع ١: ٢٠)

(٤) (أع ١: ٢٣ – ٢٦)

(٥) راجع كتابنا عن الرسل الإثني عشر والسبعين (طبعة المحبة).

الفصل الثالث

الفرقة الثانية من الرسل في آسيا الصغرى وما حولها

+ **آسيا الصغرى**: هى الإقليم الواقع فى غرب آسيا ويحده شمالاً البحر الأسود، ويدور حوله إلى الغرب بحر مرمرة ويحده غرباً بحر الأرخبيل (إيجة)ثم جنوباً البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً منبع نهر الفرات وأرمينيا والقوقاز. واشتهر بالتبشير فى هذه المنطقة الرسل فيلبس وبرثولوماوس ويوحنا الحبيب.

١- الرسول فيلبس:

+ وُلِد هذا القديس، فى بيت صيدا وانكب من صغره على دراسة الكتب المقدسة.فإستنار ذهنه بالنبوات الخاصة بمجئ الفادى عمانوئيل.ولهذا عندما قال له السيد المسيح «**اتبعنى**» تبعه وجذب أيضاً معه نثنائيل[١](برثلوماوس) وقد قال للسيد:«إئذن لى أن أمضى أولاً وأدفن أبى» فقال له يسوع: «اتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم»[٢]. كما قال هذا العلاّمة إكليمندس الأسكندرى[٣].

+ وقد امتحنه الرب عندما كان يريد أن يُطعِم خمسة الآلاف. فسأله: «من أين نبتاع خبزاً لهؤلاء؟» أجابه فيلبس: «لا يكفيهم بمأتى دينار، ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً[٤]» وهو بهذا يحسب حساباً نظرياً لا إيمانياً. ثم كان ما كان من إشباعهم بخمسة الأرغفة والسمكتين. فأيقظ هذا (العمل المعجزي) إيمانه.

+ وبعد معجزة إقامة لعازر: كان أُناس يونانيون، من الذين صعدوا ليسجدوا فى العيد، فتقدم هؤلاء إلى فيلبس ... وسألوه قائلين: «ياسيد نريد أن نرى يسوع». فأتى فيلبس وقال لأندراوس. ثم قال فيلبس ليسوع. أما يسوع فأجابهم: «قد آتت الساعة التى فيها يتمجّد إبن الإنسان» [٥].

---

(١) (يو١:٢٣).　　(٢) (مت ٨: ٢١ - ٢٢)

(٣) كتاب ٣ في المتفرقات وأنظر سنكسار ١٨ هاتور .

(٤) (يو ٦: ٤ ـ ٨)

(٥) (يوحنا ١٢: ٢ ـ ٢٣)

+ ومن هذا يظهر أن فيلبس لم تكن لديه الشجاعة الكافية للتّقدُم ليسوع، فإستعان بأندراوس.

+ وعندما قال السيد «لو عرفتموني لعرفتم أبى أيضاً» اندفع فيلبس بقوله «أرنا الآب وكفانا ..» فوطد السيد إيمانه بعد عتاب فى قوله «أنا معكم زماناً. ولم تعرفنى يافيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب. أنا فى الآب والآب فيَّ»(١).

+ وبعد حلول الروح القدس عليه بشر فى إقليم ڤيريچية، بآسيا الصغرى، حيث نادى بإسم السيد المسيح، فى بلدة ايرابوليس. وصنع عجائب وآمن كثيرون على يديه.ولما سَفَّه عبادة الوثنيين للأفعى، التى كانوا يسمونها المشترى (چوبتر) قبضوا عليه وقيدوه ثم علقوه على الصليب. فحدثت زلزلة عظمى، ارتجت لها قلوب الصالبين، فتركوه مذعورين. فتقدم المؤمنون ليُنزلوه من على الصليب، فقال لهم: «دعونى أُكمِّل جهادى» ثم تنيّح سنة ٨٠م (٢) ونال إكليله.

٢- برثولوماوس الرسول:

+ لقد أجمع غالبية المؤرخين، على أن **برثولوماوس هو نثنائيل**. وتظهر دعوته من القول، الذى ورد عنه أولاً (فى يو١:٤٥ – ٥٥) «فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء - يسوع بن يوسف الذى من الناصرة - فقال له نثنائيل أمن الناصرة يكون شئ صالح؟ قال له فيلبس «تعال وأنظر» ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه «هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» (مُتديّن) فقال له نثنائيل: «من أين تعرفنى؟» أجاب يسوع وقال له «قبل أن دعاك فيلبس **وأنت تحت التينة** رأيتك» أجاب نثنائيل وقال له «يامعلم أنت ابن الله. أنت ملك اسرائيل».

---

(١) (يو١٤:٧ –١١)

(٢) وقد ظن أوسابيوس المؤرخ (ك٣ ف٣٠و٣١) أنه كان متزوجاً وله بنات كثيرات، ولكن ورد فى أع ٢١:٨ – ٩: «فدخلنا بيت فيلبس المُبشّر الذى كان واحداً من السبعة، وأقمنا عنده، فكان لهذا أربع بنات عذارى كن يتنبأن». ويستنتج من ذلك أن المتزوج وله بنات ليس هو فيلبس الرسول بل المبشر الذى ذهب بعد استشهاد اسطفانوس إلى السامرة ويشرها واعتمد على يديه كثيرون (أع ٨:١٢) «وأن الذين بهم أرواح نجسة كانت تخرج صارخة وكثيرون من المفلوجين والعُرج شُفوا فكان فرح عظيم فى تلك المدينة» (أع ٨:٧) وبلغ الرسل امتداد الإيمان للسامرة فأرسلوا بطرس ويوحنا، اللذين صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس. ثم وضعا الأيدى عليهم فقبلوا الروح القدس (أع ٨:١٤ – ١٧) وفيلبس المبشر هذا هو الذى عمّد الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة (أع ٨:٢٦)

+ أجـاب يسـوع وقـال لـه «هل آمنت لأني قلت لك أنـي رأيتك تحت التـينة؟ سـوف ترى أعظـم من هذا».

+ وقد كان لنثنائيل، شـرف التمتع برؤية المخلص، بعد القيامة، عندما ظهر له على بحر طبرية، مـع معظـم التلاميذ[1] .

+ وبعد أن حل عليه الروح القدس، في يوم الخمسين، كانت قُرعته، أن يذهب إلى بلدة في آسيا الصـغرى. فدخلها بأن باع نفسه كعبد. واشـتغل في زراعة الكروم، وكان كلما قلَّم غصناً أثمر لوقته!!

+ ولما مات ابن حـاكم البلدة أقامه. فآمن كثيرون بالسيد المسيح. وقد كان حاضراً عندما تم صلب فيلبس الرسول. ونجا لما حصلت الزلزلة أثناء صلبه.

+ وذهب برثولومـاوس أيضـاً إلى بلاد: الهند الشرقية ثم بلاد اليمن. وكان يحمل معه نسخة من إنجيل متى – وجدها العلامة بنتينوس[2] نحو سنة ١٧٩م.

وعندمـا رجع إلى بلاد الأرمن وبشرّ فيها، ثار عليه كهنة الأوثان في لوكانيا بقرب بحر قزوين. فسلخوا جلده وقطعوا رأسه[3] وطرحوه في البحر فنال إكليل الشـهادة[4].

---

(١) (يو ٢١:٢)

(٢) هو ناظر الإكليريكية بالأسكندرية (انظر أيضاً سنكسار أول توت).

(٣) تاريخ سوريا مجلد ٣ ص ١٧.

(٤) عثر على ورقة بردى باللغة الأثيوبية سنة ١٩٠٧م محفوظة بالمتحف البريطاني(بالعدد ٦٦٠ – ٢٤) بين خرائب دير بالقرب من ادفو من نصوصـها (.. بيع برثولومـاوس كعبد وعمل في مزرعة كرم .. ولما هذب الأغصان .. ظهرت ثمار العنب في الحال. ولما مات حاكم المدينة أقامه من الأموات. فآمن الجميع .. ثم ذهب مع اندراوس وآخر إلى بلاد البرابرة غلاظ القلوب. ولم يرحبوا بالرسل رغم اتيانهم بالعجائب .. غير أن الرب دفع أحد الأهالي لخدمتهم .. فلما حاربهم الأهالي وأطلقوا عليهم الوحوش .. دفع خادمهم الأذى عنهم. فقتل كل من يقرب منهم من الوحوش أو الأهالي .. فارتعد الأهالي وخرّوا ساجدين للرسل وآمنوا بالمسيح. ثم عين الرسل لهم قساوسة وبنوا كنائس .. وبعد ذلك رحل برثولوماوس إلى بلاد تقع على شاطئ البحر. ولما سمع ملك تلك البلاد المسمى اغريباس أغتاظ وأمر أتباعه أن يضعوا الرسول في جوال مملوء بالرمال ويلقوه في قاع البحر. فنفذوا الأمر ...).

٣- الرسول يوحنا الحبيب :

+ هو شقيق يعقوب الكبير ابن زبدى، وكان من بيت صيدا. فأمرهما السيد المسيح بأن يتبعاه، فتركا أباهما زبدى والشباك وتبعاه. وقد دعاهما السيد «بوانرجس» أى إبنيّ الرعد لشدة غيرتهما (علي الإيمان) وعظم إيمانهما بالمسيح.

+ وقد قال ايرونيموس[١] أن سن يوحنا فى ذلك الوقت كانت خمساً وعشرين سنة فقط.

امتيازه:

+ وقد ظهر امتياز يوحنا فى حوادث متعددة ذكرت فى الكتاب المقدس منها:-

١- أنه كان هو ويعقوب وبطرس مع السيد المسيح عند إقامة إبنة يايرس، وفى حادثة التجلّى[٢] وفى بستان جثسيمانى، وعند التنبؤ على خراب الهيكل وأورشليم، كما ذكرنا ذلك فى تاريخ القديس بطرس.

٢- أنه امتاز بالنص على «**أن يسوع كان يحبه**» وانفرد بإتكائه على صدره، وكذلك الإستعلام عمن سيسلمه[٣]. وهو الذى أمره السيد مع بطرس ليُعِّدا الفصح[٤].

٣- وانفرد فى سيره بدون خوف - عند محاكمة يسوع - وبواسطته دخل بطرس الذى بعد دخوله أنكر سيده[٥].

٤- وهو الذى رافق السيد المسيح حتي الصلب. فسلمه السيد المسيح والدته بأن

---

(١) Jerome من آباء الجيل الرابع الغربيين.

(٢) (مت ١٧:١)

(٣) (يو١٣:٢٢)

(٤) (لو٢٢:٨)

(٥) (يو١٨:١٥- ١٦)

قال: «يا إمرأة هوذا إبنكِ» ثم قال للتلميذ: «هوذا أمك.ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته»(١).

+ وبعد القيامة وحلول الروح القدس. اشترك مع بطرس الرسول في إقامة الأعرج عند باب الهيكل(٢). وفي مناقشة اليهود من جراء ذلك. وفي الذهاب إلى السامرة لوضع الأيدى على المؤمنين بها.فحلّ عليهم الروح القدس(٣)، بعدما عمدهم فيلبس الشماس.

+ وقد اعتبره بولس الرسول أنه ويعقوب وصفاً (بطرس) أعمدة. واختصهم لأجل الختان (العمل وسط اليهود)، وهو وبرنابا للأمم(٤).

+ وكان أهم جهات بشارته آسيا الصغرى - خصوصاً مدينة أفسس وما جاورها(٥).

+ وأخذ السيدة العذراء معه(٦). وقد كان بهذه المدينة القديس تيموثاوس تلميذ بولس الرسول، الذى قتله الوثنيون.

+ وتتمتع الكنيسة للآن بالآثار الخالدة ليوحنا وهى رؤياه ورسائله الثلاث وإنجيله الذي يتحدث عن لاهوت المسيح، للرد علي الهرطقات، التي أنتشرت في عهده.

+ وأما رؤياه فقد كتبها، عندما نفاه الإمبراطور دومتيانُس - بعد أن وضعه فى وعاء زيت مغلى برومه،ولم يؤثر فيه - إلى جزيرة بطمُس ببحر إيجة. وهناك كتب سفر الرؤيا (وفيه أخبار عن حالة الكنيسة من عهده إلى آخر الزمان ونبوات عن انتصار المسيح والدينونة الأخيرة، ومصير الاشرار،وسعادة الأبرار).

---

(١) (يو١٩:٢٥ - ٢٧)

(٢) (أع ١:١ - ٦)

(٣) (أع ٨:١١)

(٤) (غلا ٢:٩)

(٥) نيسيفورس، ك ٢:٤٢.

(٦) سنكسار ١٤ طوبه

+ وبعد قتل دومتيانس سنة ٩٦م. رجع يوحنا الرسول إلى أفسس ولاحظ وجود مبتدعين من النيقولاويين[١]، والابيكوريين يعلمون أن المسيح مولود ولادة طبيعية من يوسف ومريم. ففكر فى الرد على مفترياتهم بأثبات الولادة الأزلية للإبن الكلمة من الآب. ثم كتب فى ذلك إنجيل «يوحنا» بإيحاء من الروح القدس [٢].

+ وقد ظهرت فى رسائله روح المحبة التى كان يعيرها اهتماماً عظيماً - حتى أنه عندما كبر وكان يُحمّل إلى المنبر كان يقول دايماً عبارة صغيرة للمؤمنين وهي: «يا أولادى الأحباء أحبّوا بعضكم بعضاً».

+ ومما يُذكر عن شغفه بهداية الخُطاة أنه بينما كان يعظ فى إحدى مدن آسيا الصغري رأى شاباً عليه دلائل النجابة، فسُرَّ به وقرّبه إليه. ولما سافر لمكان آخر سلّمه لأسقفها وقال له: «احفظ هذا وديعة عندك» فأخذه الأسقف وهذبه. وبعد أن علّمه قواعد الدين المسيحى عمده.

+ ولكن الشاب أساء التصرُّف لأنه عاشر الشبان الأردياء. ففسدت أخلاقه حتي صار زعيماً للصوص! وبعد بضعة سنين رجع يوحنا وسأل الأسقف عن الوديعة .. فأظهر الأسقف أسفه للحالة التى آل إليها هذا الشاب. فاستعلم الرسول عن موضعه وجهز حصاناً وأخذ دليلاً وذهبَ لهذه البقعة فلما بلغ المكان قبض عليه اللصوص، وساقوه إلى زعيمهم للفتك به. ولكن لما حدق فيه يوحنا اعتراه الخجل وفر هارباً فجري القديس يوحنا خلفه وهو يصيح «يا إبنى مالك تهرب من وجه أبيك وهو شيخ أعزل ... ارحم نفسك ولا تخف ضرراً، فلايزال الرجاء متوفراً لخلاصك، وأنا كفيلك عند المسيح. تأكدّ أن المسيح قد أرسلنى إليك».

+ فلما سمع اللص هذا الوعد وقف وألقى سلاحه وصارت تهطل الدموع من عينيه.

---

(١) جاء ذكر النيقولاويين فى رؤ ٢:٦ - «أنك تبغض أعمال النيقولاويين التى أُبغضها أنا».

(٢) قال يوحنا فم الذهب وهو يصف حالة يوحنا عندما فكر فى الرد على هؤلاء المبتدعين أنه صام وصلى ثم نزلت عليه الأية الأولى فى إنجيله القائلة «فى البدء كان الكلمة». (يو١:١).

فعانقه الرسول وطمأن قلبه، وأتى به إلى الكنيسة حيث صلى من أجله حتى تابّ وتقدم للتناول من الأسرار المقدسة.

+ ومع محبته هذه للخطاة كان يكره الهراطقة. فقد دخل مرة فى حمَّام عام وكان به **كيرنثوس** الهرطوقى فصاح فى قومه: «لا تدخلوا حيث يكون عدو المسيح لئلا يهبط عليكم سقف الحمّام» فخرج الجميع من هناك.

+ ولما كبر فى السن إلى أن بلغ المائة، كان يُرَوِّض عقله باللعب بحجل[1] أليف. فمر به صياد. وتعجّب من عمله هذا. فقال له الرسول: «هل تشد قوسك بإستمرار؟» فقال: «كلا لئلا ينقطع» فقال له يوحنا: «هكذا شأن العقل. لذلك أُروضّه أحياناً ليجد راحة[2].

+ ولما شعر بقرب رحيله من العالم، خرج إلى خارج أفسس. ثم أمر تلميذه وآخرين أن يحفروا حفرة فى موضع حدّده لهم. ثم نزل فيها، ورفع يديه وصلى. ثم ودعهم وأمرهم أن يعودوا إلى المدينة ويُثَبِّتوا الأخوة في الإيمان.وقال لهم" إنى برئ الآن من دمكم، لأنى لم أترك شيئاً من وصايا الرب إلا وأعلمتكم به. والآن فاعلموا أنكم لن تروا وجهى بعد». ولما قال هذا قبّلوا يديه ثم تركوه ومضوا ليخبروا الشعب. فلما أتى الشعب وجدوه قد فارق الحياة بشيبة صالحة نحو سنة ١٠٠ ميلادية[3].

+ وما تقدم عن خدمة رسل آسيا الصغرى يظهر عمل الرسول فيلبس واستشهاده فى ايرابوليس بفيريجية والرسول برثولوماوس فى بلاد الأرمن، والرسول يوحنا الحبيب فى أفسس.



---

(١) طائر صغير.

(٢) وهي كلمة لنا للاستفادة من ممارسة أنواع الرياضة، لا لمجرد مشاهدتها فقط، كما يفعل البعض.

(٣) سنكسار ٤ طوبة.

الفصل الرابع
الفرقة الثالثة فى بلاد فارس والهند

+ تمــتـد هــذه البــلاد من شـرق نهـر الفرات إلى الشـرق الأقصـى· وقد اشـتـهر بالتبشير فى بلاد العـجم (إيران = فارس) الرســولان يـهوذا وسمـعـان القانوى· وفى بلاد الهند توما الرسول.

١ - الرسولان يهوذا وسمعان القانوي:

يهـــوذا:

+ هو تداوس الملقب لباوس. وهو ابن حلفى (أو كلوبا) أخ يعقوب ويوسى وسمعان(١). وهو كاتب رسالة يهوذا.

+ وقد بشَّر في بلاد العرب. ثم استقر أخيراً ببلاد فارس.

أما سمعان:

+ فقد دُعَي بالقانوى لأنه من قانا الجليل وتسمّي أيضاً «بالغيور»، وأتى إلى صحراء مصر الغربية وتسمَّي فيها بإسم «**دوروتاوس**» وذهب إلى أحراش افريقيا. (وقيل أنه خدم فيها مع القديس متياس الرسول)· ثم اشترك فى الخدمة مع يهوذا فى بلاد فارس (إيران)·

+ وكانت عبادة الأصنام منتشرة فى هذه البلاد، حيث كان كهنتهم يستمدون الشعوذة من الشياطين ويسيطرون على عقول الناس بها·

+ وحدث في ذلك الوقت، بأن عزم القائد برداش أن يقوم بحرب مع الهند، فاستدعَي كهنة الأصنام واستشارهم في نتيجة هذه الحرب، فأجابوه بأنها ستكون محفوفة بالأخطار، مقرونة بسفك دماء كثيرة·

+ وكان الرسولان موجودين فقالا لبرداش: «إن غداً سيأتيك وفد من الهند لعقد شروط صُلح بينكم».

---

(١) راجع ماكتب عن هؤلاء في تاريخ يعقوب البار·

+ وقد تمت بالفعل نبوة يهوذا وسمعان – فآمن القائد وأطلق الحرية لهما للتبشير في تلك الجهات. فأغتاظ من ذلك كهنة الأصنام فقتلوهما بأن قطعوا رأس يهوذا ونشروا سمعان القانوي بمنشار.

٢- توما الرسول:

+ ويدُعَي أيضاً ديديموس (وهو اسمه اليوناني) ويعني كل من الإسمين اليوناني والعبرى أنه أحد توأمين.

+ وقد وُلِد غالباً في الجليل. وكان صياداً وتتلمذ للسيد، وقد كانت له مواقف تُظهِر حبه للسيد، فعندما أعلن السيد رغبته في الذهاب لليهودية، لإقامة أليعازر وخشى عليه التلاميذ من أن يرجمه اليهود، قال توما: «لنذهب نحن أيضاً لنموت معه»(١).

+ وعندما قال السيد المسيح بعد العشاء السرى «أنتم تعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق» أظهر توما عطفه فقال بشوق: «ياسيد لسنا نعلم أين تذهب؟ فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ قال لهم يسوع «أنا هو الطريق والحق والحياة»(٢).

+ ولكن هذا قد تغيّر عندما أعلمه التلاميذ بقيامة السيد. فتشدد في طلب رؤية موضع المسامير والحربة ليؤمن. فظهر له السيد المسيح وعاتبه(٣).

+ وقد كان أيضاً مع بعض التلاميذ على بحر طبرية حينما جهز لهم المسيح السمك المشوى والخبز(٤).

+ وورد في تاريخ السيدة العذراء أن توما هو الذى أثبّت صعود جسدها الطاهر.

---

(١) «يو ١١:١٦»

(٢) «يو ١٤:٤ - ٦»

(٣) «يو ٢٠: ٢٤ - ٢٨»

(٤) «يو ٢١: ٢ - ٦»

+ وقد جال هذا الرسول مبشراً فى بلاد مابين النهرين (العراق وفارس) ويقال انه عمّد فيها المجوس الذين زاروا المسيح الطفل فساعدوه فى البشارة.

+ ثم عرض نفسه للبيع كعبد إلى حابان التاجر ليذهب لبلاد الهند[1]. ثم أهداه حابان لملك الهند. فأحبه كثيراً لفطنته ولعفته. وسأله عن صناعته فقال: «فن البناء».فأعطاه أموالاً ليُشيِّد بها قصراً فخماً للملك. فأخذها ووزعها على الفقراء. ولما قال له الملك: «أين القصر»؟ أجابه أنه يحتاج إلى مبالغ طائلة. ولما لم يَر الملك القصر سامه العذاب، إلا أن أخاً للملك كان مريضاً، فرأى فى رؤيا الليل قصراً عظيماً.فسأل عن صاحبه.فقيل له إنه «هو القصر الخاص بالملك، والذى بناه له العبد العبرانى».

+ ولما بلغ الملك ذلك أطلق لتوما حرية التبشير. وخصوصاً بعد أن ظهرت خشبة كبيرة على شاطئ البحر لم يستطع كثيرون أن يرفعوها، ولكن توما بعد أن أشار عليها بعلامة الصليب استطاع أن ينقلها إلى البر. وكان قد طلب من الملك أن يعطيها له لإستعمالها فى بناء كنيسة.فأعطاها له.

+ ولما رأى كهنة البراهمة انتشار المسيحية هجموا عليه ذات يوم وهو يصلى. وطعنه أحدهم برمح فقتله، ودُفِن جسده الطاهر فى مليبار (غرب الهند) ثم نُقِل إلى الرُها.

+ وقد قال كيرلس اليسوعى نقلاً عن حوادث البرتغاليين أنهم وجدوا عند مرورهم بمسيّحيى مليبار (ساحل غرب الهند) كتباً ذكروا فيها «أن القديس توما اجتذب إلى الإيمان الحبشة والصين وفارس».

+ وقد اكتُشِف سنة ١٦٢٥م. صليب حديدى بالصين،يرجع تاريخه إلى سنة ٢٣٩م.



(١) كما ذكر المؤرخ ابن العبري (السُرياني) في الجزء الثالث من مكتبة الزمان.

الفصل الخامس

الفرقة الرابعة في أوربا

+ لم تكن أوربا عامرة بالسكان كغرب آسيا وشمال افريقيا، ولكن فى جنوبها عاشت الطبقة المُتمدينة من الدولة الرومانية. وكانت تقطُن فى منطقة شبه جزيرة البلقان إلى حدود بيرنطة، وتشمل بلاد اليونان ومكدونيا. وفى إقليم إيطاليا، وخصوصاً رومه، وفى جزء بسيط من أسبانيا - أما سكان باقى جهات أوربا فكانوا من القبائل المتبربرة، التى تعبد الأشجار وغيرها. وقد اشتهر بالتبشير فى هذه المنطقة من الرسل: اندراوس ويعقوب الكبير ولوقا وبولس.

١- الرسولان إندراوس ولوقا :

اندراوس:

+ هو شقيق بطرس الرسول، وكان تلميذاً ليوحنا المعمدان، ولما سمع عن يسوع، بقى معه يوماً كاملاً. ثم حدَّث أخاه بطرس عنه[١]. وهو الذى أرشد إلى وجود خمسة أرغفة وسمكتين لما طلب السيد طعاماً للخمسة آلاف[٢]. كما أنه اشترك مع فيلبس فى تقديم طلب اليونانيين للسيد المسيح لما طلبوا أن يروه قبل صلبه [٣]. وكان من الرسل الذين استفهموا - من السيد المسيح - عن خراب الهيكل وأورشليم[٤].

+ وبعد حلول الروح القدس، ذهب اندراوس إلى آسيا الصغرى، وكان قد ذهب إليها بطرس الرسول قبله ومعه فليمون (صاحب الصوت الرخيم) فاجتذبوا إليهم كثيرين - خصوصاً عندما سمع الوثنيون قول النبى عن الأوثان التى لها آذان لا تسمع، وأنوف لا تشم، وألسنة لا تتكلم[٥]. فإنهم دخلوا الكنيسة وقبلوا المعمودية بعد تعليمهم.

---

(١) «يو ١:٣٥ - ٤١»

(٢) «يو ٦:٨»

(٣) «يو ١٢:٢٢»

(٤) «مر١٣:٣»

(٥) «مز ١١٥: ٤ ـ ٧».

+ إلا أن عمل اندراوس، انصب أكثره فى شبه جزيرة البلقان إذ تراه:-

١- قد ذهب إلى **بيزنطة**(١). وهناك رسم اسطاخيس أسقفاً عليها. ثم تركها وذهب إلي:

٢- **كورنثوس**: وفيها استطاع أن يهدى شيخاً كان منكباً على الشهوات الجسدية فأعطاه الإنجيل ليقرأ فيه. ثم عاد الشيخ إلى شهواته القديمة، وذهب إلي منزل إحدى العاهرات. فلما وجدت معه هذا الكتاب، وقرأت جزءاً منه طردته من عندها. فخجل وبدأت الندامة تشغل ضميره. ثم افتقده الرسول وصار يعظه حتى أبكاه. وقد أوحى الرب إلى الرسول لكي يبقي هذا الشيخ معه فى ممارسة التقشف، فتضعف فيه شوكة الجسد (الشهوة). ففرض عليه صوماً فصام، ووزع أمواله على المساكين، ولازم الرسول (والعبرة دائماً بالنهاية السعيدة وليس بالبداية الشقية).

٣- وفى بتراس - من مقاطعة أخائية - بدأ يُبشر،حتى استطاع أن يجتذب الكثيرين. فلما أحس «أجيا» والى تلك البلاد، قبض علي الرسول، وقال له: «هل أنت الذى هدمت هياكل الآلهة، واجتذبت الناس، إلى ديانة مرذولة؟. فقال له اندراوس: «أنا رسول الحق،أدعوك أن تترك عبادة الآلهة الكثيرة (الأوثان) وتعبد الإله الواحد الحق خالق الكون والمعتنى به». ثم شرح له سر التجسد ونعمة الفداء.

+ فسخر منه الوالى عندما سمع عن معبود صَلَبه اليهود. وهدده بالصلب. ثم سجنه بعد أن ضربه كثيراً، وطاف به عرياناً. ولما استدعاه ليرى أثر التهديد فيه قال له اندراوس: «باطلاً تُرهّبنى بالوعيد ولن تقدر عليَّ الإنتصار عليَّ بتعذيبى. وإن الرب سيمنحنى قوة».

+ فإحتدم غيظ الوالى وضربه بالسياط حتى جرى دمه. ثم قضى عليه بالصلب. فذهب متهللاً لمعانقة الصليب. فلما علقوه عليه، تجمهر حوله نحو عشرين ألفاً من المؤمنين. فلما رأى الوالى ذلك خاف من ثورتهم.فأمر بإنزاله: فلما مد الجند أياديهم ليحلوا رباطه، يبست. وصلى القديس لله لكى يُكّمل جهاده. وللوقت تألق وجهه بالنور، واستمر هكذا نحو نصف ساعة. ثم أسلم الروح (وهو درس هام لكل نفس).

(١) وهي القسطنطينية فيما بعد.

+ فآمنت إمرأة الوالى مكسيميانة، وأخذت جسده وكفنته، ووضعته فى قبر بإجلال عظيم.

١ - لوقا الانجيلي البشير:

+ وكان من السبعين رسولاً. وُلِد بأنطاكيا، وتعلم الطب. فدعاه بولس الرسول «لوقا الطبيب»[١]. وقد رافق بولس فى أسفاره[٢]، خصوصاً فى مدينة روما. ويُقال إنه كان مصوراً (ورسم صورة لأم النور) وقد انتقل إلى النعيم فى سنة ٧٠م وهو فى مدينة بتراس، حيث استشهد الرسول اندراوس. وقد كتب إنجيله وأعمال الرسل.

٢- الرسول يعقوب الكبير:

+ هو شقيق يوحنا الإنجيلى بن زبدى. وكان من المقربين للمسيح، مع بطرس ويوحنا، كما مر فى تاريخهما. وهو وإن كان قد بدأ التبشير فى مدينة أورشليم إلا أن عمله العظيم ظهر فى ذهابه إلى بلاد أسبانيا، واجتذابه الكثيرين بها، الأمر الذى شجعّه إلى أن يبنى بها كنيسة، على إسم السيدة العذراء.

+ وبعد أن أتم جهاده، رجع إلى أورشليم. فقبض عليه هيرودس أغريباس، إرضاءً لليهود. ثم أمر بقطع رأسه بالسيف[٣].

+ وقد روى أكليمندس الأسكندرى من رجال القرن الثانى قائلاً إن الجندى الذى قبض على القديس. لما رأى شجاعته. علم أنه لابُد من حياة أخرى أفضل. فإستغفر من القديس ذنبه. فقال له «حييت يا ولدى».ثم اعترف الجندى بالمسيحية فنال إكليل الجهاد، مع الرسول سنة ٤٤م وقد تم نقل جسده -كما يُقال - إلى أسبانيا، حيث يُعتبر يعقوب الكبير شفيعها.أما الملك أغريباس فقد أكله الدود ومات[٤].

---

(١) «كو ٤:١٤»

(٢) «فى ٤:١١»

(٣) «أع ١٢:١»

(٤) «أع ١٢:٢٣»

٣- الرسول بولس :

+ لم يكن هذا الرسول من السبعين ولا من الإثنى عشر، ولكنه عمل أعمالاً عظيمة جداً، وقابل أهوالاً عديدة، وترك ذخائر روحية عُظمى للكنيسة (رسائله) وكانت سبباً في هداية الكثيرين إلى الإيمان بالسيد المسيح له المجد، لما فيها من حكمة بالغة.

نشـأته:

+ وُلِد في طرسوس كيليكية (جنوب تركيا) التابعة لدولة الرومان[١]. وكان لنشأته فيها تأثير عليه، في تعلُّم اللغة اليونانية، وفي اكتساب الحقوق (الجنسية) الرومانية كروماني[٢].

+ وكان يهودياً[٣]. ونشأ وهو صغير على التعليم الديني المتشدِّد. فشب غيوراً على دين آبائه. فقد قال: «من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس اسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين من جهة الناموس فريسي»[٤].

+ وقد تعلم شاول (إسمه الأول) صناعة الخيام[٥].

+ ولما أكمل تعليمه بطرسوس مضي لأورشليم، ليتوَّسع في دروسه فتتلمذ لغمالائيل[٦]. وقد ثار غيظه وحقده على المسيحيين، الذين كان ينضم إليهم اليهود بكثرة. فكان يراقب بإهتمام راجمي اسطفانوس، ويطفئ نار غيظه بمنظر الحجارة وهي تتساقط على جسمه[٧] (مع أنه كان من أقربائه بالجسد).

+ ثم طلب من رئيس الكهنة أن يعطيه رسَائل إلى دمشق إلى «الجماعات هناك وحتى إذا وجد أُناساً من المسيحيين - رجالاً أو نساءً - يسوقهم موثقين إلى أورشليم، لأنه: «كان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب»[٨]

(١) «أع ٢١:٣٩»
(٢) «أع ٢٢:٢٨»
(٣) «أع ٢١:٢٧»
(٤) «في ٣:٥»
(٥) «أع ١٨:٣، ٢٠:٣٤»
(٦) «أع ٢٢:٣»
(٧) «أع ٧:٥٨»
(٨) «أع ٩:١- ٢»

هدايته:

+ وبينما كان يعمل هذا «اقترب من دمشق، فبغتةً أبرَق حوله نور من السماء. فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً: "شاول لماذا تضطهدني. صعب عليك أن ترفس مناخس .. وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر»(١) ثم أرشده الصوت أن يدخل إلى دمشق. ويقابل التلميذ حنانيا، وظهرت الرؤيا إلى حنانيا لشفاء شاول، وبوضع يده عليه فنزل من عينيه شئ مثل القشور. فأبصر وقام واعتمد(٢).

+ ثم انضم إلى التلاميذ هناك. فتشاور اليهود على قتله. فأنزله المسيحيون فى سلة من على السور(٣). وذهب بعد ذلك إلى أورشليم فأخذه برنابا إلى التلاميذ، وحدثهم كيف اهتدى. وبدأ يجاهر بإسم السيد المسيح وكان يخاطب اليونانيين بهذا فحاولوا قتله. فأخذه الأخوة إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس(٤).

+ وكان ينادى «بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة»(٥). وقد قال بولس الرسول بعد نحو عشرين سنة (لما سُرَّ الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىَّ... انطلقت إلى الصحراء العربية»(٦) فشابه بإنعزاله هذا انعزال موسى وإيليا قبيل اتمام الرسالة.

أعماله فى الكنيسة:

+ كان من أعمال شاول الجمع للفقراء عندما «انحدر انبياء (خُدّام) من أورشليم وأنطاكية. وقام واحد منهم اسمه أغابوس، وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة الذى صار أيضاً أيام كلوديوس قيصر. فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئاً، خدمةً إلى الإخوة الساكنين فى اليهودية، ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشائخ بيد برنابا وشاول» (٧) وكان القحط نحو سنتى ٤٥ ـ ٤٦م.

---

(١) «أع ٩: ٣ - ٨»
(٢) «أع ٩: ٧ - ١٩»
(٣) «أع ٩: ٢٣ - ٢٥»
(٤) «أع ٩: ٢٦ - ٣٠».
(٥) «١كو ١: ٢٣»
(٦) «غلا ١: ١٥ - ١٧» والعربية هى الصحراء الواقعة بين حضرموت ودمشق
(٧) «أع ١١: ٢٧ - ٣٠».

+ وقد أشار على المؤمنين بتنظيم الجمع فى قوله «ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسر»[1].

+ وقال الروح القدس للرسل «افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه .. فصاموا وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما»[2] ودُعَي شاول من ذلك الوقت بولس[3].

+ فبشر بولس فى جهات متعددة من آسيا، كان منها انطاكية وجزيرة قبرص حيث آمن سرجيوس الوالى وكثيرون، خصوصاً بعد أن ضرب (بار يشوع) بالعمى[4]. ثم فى آسيا الصغرى وكان اليهود يقاومونه (فقد أثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا واخرجوهما من تخومهم أمامهما. فنفضا غبار أرجلهما عليهم)[5]. وشفى بولس الرسول مُقعَداً فى لسترة. فظن كهنة الأوثان أن الآلهة تشبهت بالناس، فقدموا الثيران أمام بولس. فمزق ثيابه، وقال «نحن بشر مثلكم». ولكن اليهود أيضاً حركوا الجموع ضده فرجموه وجروه خارج المدينة[6].

+ ومرض بولس فى ذلك الزمن وقيل أن مرضه كان رمداً[7] وقد لقى مواساة من أهل غلاطية[8]. وحضر مجمع أورشليم[9] الرسولي الأول (سنة ٥٣م).

+ ولما سافر ثانية إلى آسيا الصغرى، اختار تيموثاوس، الذى كان من عائلة يهودية تقية، ويعرف الكتب المقدسة منذ الطفولة[10] وزار بولس أفسس وترواس[11].

---

(١) «١كو ١٦:٢»

(٢) «أع ١٣: ١ - ٣»

(٣) «أع ١٣: ٩»

(٤) «أع ١٣: ٤ - ١٣»

(٥) «أع ١٣: ٥٠ - ٥١»

(٦) «أع ١٤: ٨ »

(٧) «١كو ١٢: ٧ - ٨»

(٨) «غلا ٤: ١٣ - ١٥»

(٩) «أع ١٥»

(١٠) «٢ تى ٣: ١٥ ويراجع تفصيل ماحدث معه فى أع ١٩، ٢٠»

(١١) «أع ١٦: ٩ »

عمل بولس فى أوربا:

+ والمهم فى هذا المجال خدمة بولس فى أوربا (فقد ظهرت لبولس رؤيا فى الليل:رجل مقدونى قائم يطلب ويقول اعبر إلى مقدونيا وأعنّا).

+ **فى فيلبى**: فذهب بولس إلى فيلبى، أول بلاد مكدونيا، فإجتذب إلى الإيمان ليديا بائعة الإرجوان، وأخرج الروح الشرير من العرّافة التى كان أسيادها يستولون على مكاسب عرافتها، فاغتاظ من ذلك أسيادها وجرُّوا بولس إلى السوق. ثم ضربوه بالعصى واودعوه السجن. وبينما كان يصلى ومعه سيلا، وإذ بزلزلة تفتح أبواب السجن.فلما رأى السجان ذلك آراد أن يقتل نفسه لما ظن أن المسجونين قد هربوا. فأوقفه بولس إذ أعلنه أن الجميع موجودون ثم آمن السجان واعتمد هو وأهل بيته(١).

+ **وفى آثينا**: أحتدت روح بولس فيه: لأنه رأى المدينة مملوءة أصناماً. وقابله فيها الفلاسفة الأبيكوريون(٢) كما قابله أيضاً الفلاسفة الرواقيون(٣) فلذلك وقف بولس فى وسط مبني أريوس باغوس، وخاطبهم خطاباً بليغاً، اجتذب الكثيرين. ومنهم ديوناسيوس(٤).

+ **وفى كورنثوس**: شجعه الله فى رؤيا قائلاً: «لا تخف ولا تسكت لأنى أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك، لأن لى شعباً كثيراً بهذه المدينة»(٥).

---

(١) «أع ١٦:١٠»

(٢) اتباع بيكورس الذى كان نحو سنة ٣٠٠ق.م نسب كل شئ إلى الحظ واعتقد أن الإنسان يبلغ الخير الأعظم فى السرور والمتعة باللذات الجسدية والعقلية وافراح الدنيا ولا دينونة بعد ذلك

(٣) كان رئيسهم زينو نحو سنة ٣٥٠ق.م، وعلّم تلاميذه فى رواق. واعتقد أن كل شئ يسير بالقضاء والقدر. وليس للإنسان سلطان علي أعماله وسلوكياته.

(٤) أع ١٧:٢٢- إلخ، وقد تمت رسامته أسقفاً فيما بعد.

(٥) أع ١٨:٩- ٦

+ **فى أسبانيا**: وقيل إن بولس مر على رومه وذهب أيضاً إلى أسبانيا [1] فى طريق عودته إلى أورشليم.

+ ولما رجع بولس الرسول فى طريقه إلى أورشليم ومر على قيصرية أخذ أغابوس النبى منطقة (حزام) بولس وقال: «هذا يقوله الروح القدس: الرجل الذى له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود فى أورشليم ويسلمونه إلى أيدى الأمم»[2]. فلم يثبط هذا من عزيمة بولس، بل أظهر سروره بالموت لأجل السيد المسيح.

+ ولما وصل أورشليم تآمر عليه بعض اليهود إلى درجة إنهم قرروا الإمتناع عن الطعام إلي أن يقتلوا بولس.

+ فعرف بذلك إبن أخته، الذى أعلم الأمير بالأمر. فأعد الأمير جنوداً حرسوا بولس وأخذوه إلى قيصرية حيث حاكمه فستوس الوالى. ثم انتهى أمره إلى مطالبته له بإرساله إلى رومه، لمحاكمته أمام قيصر، وكان قد زارها قبل ذلك[3].

فى الطريق إلى روما:

+ وقد قابل فى أثناء ذلك أهوالاً كثيرة، فكُسِرت به ومن معه السفينة، وفى مالطة خرج ثعبان من نار كان يتدفأ عليها، ونجا منه الرسول بإلقائه فى النار.

+ ولما وصل إلى رومه سمح له أن يقيم وحده مع العسكرى الذى كان يحرسه وبيده السلاسل. وبعد الإفراج عنه جاهر بإسم السيد المسيح مدة سنتين[4]. ثم هاج عليه سخط نيرون فقطع رأسه سنة ٦٧م.

+ وقد كتب أربعة عشر رسالة. (وهى رسالة لرومية وإثنتان لكورنثوس وواحدة لكل من غلاطية وأفسس وفيلبى وكولوسى وإثنتان لتسالونيكى وإثنتان لتيموثاوس وواحدة لكل من تيطس وفليمون، وسفر العبرانيين).

---

(١) «رو ١٥:٢٨»

(٢) «أع ٢١:١١»

(٣) «رو ١٥:١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٨» ويهدف أن تمتد البشارة من مركز الأمبراطورية إلي كل الجهات.

(٤) «أع ٢٨:١٦».

الفصل السادس
الفرقة الخامسة في أفريقيا

أهم المناطق التى تناولها التبشير فى أفريقيا هى:

١- القطر المصرى - ويقع فى الشمال الشرقى لأفريقيا، واشتهر بالتبشير فيه مع خمس المدن الغربية[١]، مرقس الرسول.

٢- أثيوبيا - وتقع فى شرق أفريقيا واشتهر بالتبشير فيها متى الرسول.

القطر المصرى
فى عقيدة المصريين القدامى

تمهيد:

+ نُسِبت مصر[٢] إلى مصرايم بن حام بن نوح الذى حضر عن طريق برزخ السويس[٣]. ونقل معه عبادة الإله الواحد. ولكن هذه العبادة تحولت تدريجياً، لعبادة شبه وثنية (وإن كانت قد مالت «للتوحيد» في عهد إخناتون).

+ ويُعزَى إلى الإله (العلاَّمة) توت قوله: «ايه يا مصر، سيأتى عليكِ حين من الدهر تتبدل فيه ديانتكِ الطاهرة وعقيدتكِ النقية بقصص خرافية لا تصدقها الأجيال التالية، فلا يبقى شاهداً على ورعكِ وتقواكِ إلا كلمات منقوشة على الحجارة»!

---

(١) تقع هذه المدن على ساحل البحر الأبيض المتوسط غرب مصر وهو كما ورد فى معجم لاروس: قيرين، ارسينوي، ابولونية، برنيقة، بتولمايس (راجع كتابنا تاريخ كنيسة بنتابوليس).

(٢) ويقال أنها مشتقة من Ma - Si - ri مقر إبن الشمس. وتُدعَى باللغة المصرية كيمي (Kimi) من «كام» (Kam) أى سواد التربة،والى حام ابن نوح.كما دُعيت فى الكتاب المقدس أرض حام (مز ١٥:٢٣- ٢٧) ويسميها اليونانيون Aigyptos ايجبتوس تصحيفاً للكلمة المصرية Ha - Ka - Ptah حا كابتاح.أى بيت روح الإله بتاح. ويسمى الوادى «وادى النيل» تصحيفاً من عبارة Ⲡⲓⲁⲣⲟ النى يارو،أى الأنهر.واستُبدلت الراء لاماً فصارت نيلو. وسماها العرب «دار القبط» لأن أقرب البلاد لهم هى مدينة قفط. وسميت هكذا نسبة إلى قفطوريم بن مصرايم.

(٣) «تك ١٥:٦».

+ وقد قال بعض الكُتّاب اليونان والرومان أن المصريين عبدوا النبات والحيوان ولكنهم في الواقع كانوا يكرمون صفات الخالق التى تتمثل فى بعضها، فالعجل أبيس والتمساح واللبوءة مثلاً تتمثل فيها القوة. وشجرة الجميز دائمة الأخضرار. وكان يستظل الفلاح بظلها ويستفيد منها علاوة على الثمر مادة بيضاء تشبه اللبن كان يستخدمها فى شفاء أمراضه الجلدية. فلأجل ذلك عظم المصريون هذه الصفات فى الحيوان والنبات .

+ وقال المؤرخ هيرودوت: «إن أهل طيبة (الأقصر) كانوا يعبدون الإله الواحد الذى لا بداية له، الحى الأبدى».

+ وأسفرت ابحاث العلاّمة جامبليكس[1] من فلاسفة القرن الثالث «أن المصريين كانوا يعبدون الإله الواحد وهو سيد العالم وخالقه فوق جميع العناصر، غير مادى ولا متجسد، غير مخلوق ولا مرئى، هو الكل وفى الكل ومحيط بالكل ومتصل بالكل».

+ وقد عثر العلاّمة بروكش[2] من وراء أبحاثه الأثرية على النص المصري الآتى:

* «الله هو الواحد الأحد لا إله إلا هو. الذى صنع كل شئ. الله الروح وهو روح خفى روح الأرواح روح المصريين الأكبر الروح القدس. الله هو الموجود منذ الأزل وهو موجود قبل كل الوجود. فهو أب الأصول. الله أزلى وهو الحى الدائم الذى لا نهاية له الأبدى والباقى على الدوام. ولا يعرف أحد شكله. الله هو الحق ويعيش بالحق ويتغذّى بالحق ويرتكز على الحق وهو الخالق للحق. الله الخالق ولم يُخلَق، مُعطِى الوجود، ولم يُوجِده أحد. الموجود بذاته الكائن بنفسه المُقَوِّم لجسمه، المبدع لشكله».

رموز الإله:

+ وكان للمصريين آلهة، يمثل كل منها صفة أو بعض صفات الإله الحقيقى. فمثلاً الإله بتاح (إله الشمس)، يمثل قوة الإبداع، والإله هابى (إله النيل) يمثل صفة الجود، والإله أوزيريس (إله العالم الآخر وقاضى الأموات)، يمثل انتصار الفضيلة.

---

(1) Jamblique

(2) Brrugsh

+ وجعلوا مع تلك الآلهة الرمزية، حيوانات مقدسة كالثور للإله بتاح والقط للإله رع، والصقر لحورس، وغيرها من الحيوانات. مما وجدوا فى غرائزها شيئاً يتفق مع تلك الصفات .

+ ولكن العامة عبدتها، ونسبت إليها اتيان المعجزات. وكان أشهرها العجل أبيس فى معبد منف .

التجسُّد فى الديانة المصرية:

+ كان المصريون يعتقدون بتجسد العجل أبيس، من عِجْلة بِكْر بعد حلول روح الإله بتاح فيها .

التثليث فى الديانة المصرية:

+ وكان محور الديانة المصرية القديمة، هو تمثيل الإله فى ثلاثة، فكان لهم جملة ثواليث، لكل مدينة هامة ثالوث خاص بها. وأهمها ثالوث أبيدوس[١] ويتألف من أوزيريس (أب) وايزيس (أم) وحورس (إبن). وهم وإن كانوا ثلاثة إلا إنهم يعملون معاً.

علامات الألوهية:

+ وكانت كل الآلهة تشترك فى علامة واحدة، هى علامة الصليب ذى الرأس المستدير، واسمه بالمصرية (☥) Onkh أنخ أي حياة، ويحمله كل إله بيده رمزاً له.

خلود النفس:

+ وكانوا يعتقدون بخلود النفس، وبحياة أخرى بعد الموت، ومن أدلة هذه العقيدة اهتمامهم بتحنيط أجساد موتاهم ودفنها تحت الأكوام الحجرية أو الأهرامات وإحاطتها بالتعاويذ والتمائم مع حفظ المأكولات وصورة الحياة البيتية معها، لتتعرف عليها الكا[٢] (ka) أو القرينة (النفس) عند رجوعها يوم الدين.

---

(١) العرابة المدفونة بمحافظة سوهاج حالياً.

(٢) وهى كائن آخر يوجد مع الإنسان يوم يولد ويقوم بحمايته من وراء الحجاب.فإذا مات صحبته الكا إلى القبر، وبينما يستقر الجسد فيه وتأخذ الروح فى التردد بين القبر ومأواها فى السماء تقوم الكا لتبعث الحياة فى صورة الكا وفى ذلك مايمنحه الحياة، ويعينه على استئنافها، عن كتاب: عالم الخلود (فى موكب الشمس، لأحمد بدوى ص ١٦٣) .

الدينونة:

+ وعندهم أن النفس تذهب بعد مفارقة الجسد، إلى محكمة أوزيريس وبها أثنان وأربعون محكماً في (amenti) «أمنتى» أو الآخرة. فإذا كانت الروح نقية وغلبت أعمال الخير فيها أعمال الشر: ذهبت إلى عالم الراحة، وإلا فتتقمص جسداً آخر، لتتحمَّل الشدائد - وهى فيه - وتتطهر من خطاياها، ثم تعود للنعيم (للأمنتى).

+ وقد وُجدتَ رسوم هذه المحاكمة: فى المقابر المصرية لكى يتعظ منها الناس فيعيشون فى صلاح ويتوبون عن معاصيهم قبل موتهم ومحاكمتهم.

الحالة الدينية في مصر قبل دخول المسيحية:

+ كانت مصر قبل مجئ السيد المسيح تحت حكم البطالسة (اليونان)، الذين فرضوا ديانتهم وحضارتهم على المصريين. فحدثت عداوة بين الفريقين، إذ كان اليونان يسخرون من خرافات الفراعنة، والمصريون يمقتون وثنية اليونان. أضف إلى ذلك ماكان يشوب الديانتين من الخلافات.فكان هذا الظرف مساعداً على قبول المصريين للمسيحية، وهى تنادى بديانة جديدة، طاهرة. تؤمن بإله واحد، كما كان يعتقد المصريون قديماً .

مجئ السيد المسيح إلى أرض مصر:

+ لقد تشرّفت مصر، دون بلدان العالم كله، بمجئ السيد المسيح إليها[1] وليس هذا بغريب لأنها سبق أوت الإسرائيليين، عندما حل بهم القحط فى زمن يوسف. كما لجأ إليها بعض أبنائهم. فكذلك لجأ إليها السيد المسيح هارباً من وجه هيرودس. فتمت بذلك النبوات القائلة: «هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهة ويذوب قلب مصر داخلها»[2]. أو النبوة القائلة: «من مصر دعوت إبنى[3]».

---

(١) «مت ٢:١- ٨»

(٢) «اش ١:١٩»

(٣) «هو ١:١١، مت ٢:١٥» وراجع كتابنا: «المسيح في مصر» (طبعة مكتبة المحبة).

+ وقد سلك السيد المسيح مع والدته ويوسف وسالومة (ابنة خالة العذراء) الطريق الذى ذُكِر فى سنكسار ٢٤ بشنس {مروا بمدينة بسطه[١] وأتوا إلى سمنود ثم سخا، ومن هناك اجتازوا غرباً لوادي النطرون، فباركته أم النور، ولما انتهوا إلى الأشمونين[٢] أقاموا فيها أياماً وقصدوا جبل قسقام الكائن به دير السيدة العذراء (الشهير الآن بالمُحرَّق). وحينئذ مات هيرودس الملك بالشام، فظهر ملاك الرب ليوسف ... فعاد «بمن معه» إلى مصر القديمة ونزل فى حصن بايليون، فى موضع المغارة بدير القديس سرجيوس بمصر القديمة». ثم رحلت الأسرة المقدسة من مصر إلى الناصرة، واختلف المؤرخون فى مدة بقاء الأسرة فى مصر. فقال بعضهم سنتين، وقيل أنها أمتدت أكثر من ذلك}.

+ وقد كانت العذراء تختار البقاع التى يسكنها اليهود - كبابليون وعين شمس - ويقال أن أوثان مصر قد انكفأت عندما حل بها كلمة الله المتجسد، كما انكفأ داجون أمام تابوت العهد[٣].

+ ونظراً لقرب مصر، من مركز ظهور المسيحية، كان لها الحظ الأوفر فى سرعة وصول المسيحية إليها ولهذا يجد الباحث أن بعض اليهود من المصريين حضروا يوم الخمسين[٤]. بل وحضروا عيد الفصح الذى حدث فيه الصلب. ولما عادوا إلى مصر أذاعوا ماعرفوه من خطاب بطرس الرسول - عن يسوع المسيح - يوم الخمسين (Pentecost).

+ وقد كتب لوقا إنجيله نحو سنة ٥٣م مخاطباً العزيز ثاوفيلس، وقيل إنه كان أحد أغنياء الأسكندرية، الذى اعتنق المسيحية .

+ كما أن سمعان القانوى عند ذهابه إلى أحراش أفريقيا، مر بمصر، وأذاع بُشرَى الخلاص، ودُعَي فيها «دوروثاؤس» (هبة الله) .

---

(١) الزقازيق

(٢) عند ملوى

(٣) ١صم ٥:٣

(٤) «أع ٢:١٠»

+ وقد زار بطرس الرسول أيضاً مصر، واستقر مدة فى بابليون (مصر القديمة)، كما يستنتج البعض ذلك من الآية القائلة (تُسلم عليكم التى فى بابل المختارة ومرقس إبنى)[1].

+ ولكن الفضل فى نشر المسيحية بمصر، كان للقديس مرقس الإنجيلى، ولذا دُعى بكاروز الديار المصرية.

الرسول مارمرقس:

نشأته:

+ كان اسمه يوحنا الملقب مرقس (٢) وكان أصله من اليهود القاطنين فى خمس المدن الغربية (ليبيا الشرقية) ولما سطا اللصوص (البربر) على والديه، أرسطوبولس ومريم، عادوا مع بعض من اليهود إلى وطنهم فلسطين، وسكنوا بأورشليم.

+ وكان بطرس الرسول متزوجاً بإبنة برنابا،، شقيق زوجة أرسطوبولس ». أى أنه كان متزوجاً بإبنة خال مرقس. فلما صار بطرس تلميذاً ليسوع، اجتذب معه فى خدمته الشاب مرقس الذى أصبح من السبعين رسولاً.

+ وبينما كان مارمرقس يسير مع والده، فى برية فلسطين، وإذا بأسد ولبوءة يقابلانهما. فقال أرسطوبولس لولده : «اهرب أنت ودعنى مأكلاً لهما».أما مرقس فركع وصلى لكى ينجيه سيده المسيح من شرهما. فماتا لوقتهما. وثبّت أرسطوبولس فى الإيمان بسيدنا المسيح. وجعل بيته مأوى له. وفى هذا البيت عمل الفصح، عندما قال السيد لتلميذيه:" اذهبا إلى القرية التى أمامكما، فتجدان رجلاً حاملاً جرة ماء فهناك أعِدّا الفصح"(٣).

+ ويُقال إن مرقس هو الشاب المشار إليه فيما يأتى: «وكان يتبعه شاب لابساً إزاراً على عُريه، فأمسكه الشبان.فترَك الأزار وهرب منهم عرياناً»(٤). ولم تُذكَر هذه الحادثة إلا فى إنجيل مرقس، دلالة على أنها وقعت له، وسجلها فى بشارته.

---

(١) «١ بط ٥: ١٣ - ١٩» .

(٢) «أع ١٢:١٢» .

(٣) «مر ١٤: ١٣ ـ ١٥» .

(٤) «مر ١٤: ٥١ - ٥٢» .

عمل مارمرقس مع الرسل:

+ وبالرغم من هذا فأنه بعد قيامة السيد المسيح، كان بيته مفتوحاً للرسل. ويقال إنه هو العلية المقصودة بقول الوحي: «حينئذ رجعوا إلى أورشليم. ولما دخلوا صعدوا إلى العلية التى كانوا يقيمون فيها»(١).

+ وفيه صلت الكنيسة من أجل بطرس: الذى سجنه الملك هيرودس(٢).

+ وقد نص عنه فى أعمال الرسل أن بولس وبرنابا «أخذا معهما يوحنا الملقب مرقس» (٣). " ويوحنا فارقهما ورجع إلى أورشليم»(٤). «وبعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد أخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم؟ فأشار برنابا أن يأخذا معهما يوحنا الذى يدعى مرقس. أما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيلية - ولم يذهب معهما للعمل - لا يأخذانه معهما. فحصلت بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. برنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص. وأما بولس فإختار سيلا واجتازا فى سوريا)(٥).

عمله فى أفريقيا وخصوصاً الأسكندرية:

+ وقد زار مارمرقس خمس المدن الغربية الغربية والأسكندرية وبشر فيها. وقد استاء من كثرة الشقاق بين المصريين واليونانيين بالأسكندرية. فجال فى المدينة يتفقد أحوالها، حتى تقطّع حذاؤه فتخلف عند إسكافى يدعى أنيانوس ليُصلحه له. وبينما كان يقوم بهذا، واذا بالمخراز ينفذ فى يده، فذعر الإسكافى وقال: «أيها الإله الواحد»

(١) «أع ١:١٢- ١٣»

(٢) «أع ١١»

(٣) «أع ١٢ :٢٥»

(٤) «أع ١٢ :١٣»

(٥) «أع ١٥ :٣٦»

إيوس ثيؤس (Ious Theos)، فتفل مارمرقس على الأرض وصنع طيناً وطلى به يد الرجل مستعيناً بالسيد المسيح. فشُفيت يده في الحال.

+ ثم سأله كيف يعرف الله الواحد؟ فلم يجد جواباً يؤيد إدراكه بما نطق به. فشرح له الرسول ذلك، وبيّن له سر التجسد. فآمن وأخذه إلى بيته، حيث وعظ الجميع، فاعتمدوا. ثم رسم أنيانوس أسقفاً سنة ٦٢م ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة.

+ وبتأسيس الكنيسة في مصر تمت نُبوَّة إشعياء النبي: «في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر لأنهم يصرخون إلى الرب بسبب المضايقين فيرسل لهم مخلصاً ومحامياً ينقذهم. فيُعرَف الرّب في مصر. ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة»(١).

سياحته الأخيرة:

+ وترك مارمرقس مصر إلى خمس المدن الغربية (ليبيا الشرقية) ثم سافر إلى رومه حيث وقع في الأسر مع بولس. وكان بولس قد سبق أن أرسل إلى تيموثاوس يقول له: «خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة»(٢).

+ وقد كتب مارمرقس إنجيله نحو سنة ٥٨م باللغة اليونانية.

+ وهو الذي وضع القداس، الذي أخذه عنه – فيما بعد – القديسون باسيليوس وغريغوريوس وكيرلس (عمود الدين).

+ وقد زار صعيد مصر وتلمذ فيه كثيرين.

+ وفي سنة ٦١م قصد الأسكندرية، حيث كان الغرس قد نما. فأنشأ أول مدرسة إكليريكية (لاهوتية) لتعليم الدين وأقام يسطس ناظراً عليها. ونمت الفضيلة في

(١) «إش ١٩:١٩– ٢١»

(٢) «٢تي ٤:١١»

قلوب كل المؤمنين، وتغيَّر ســـلوكهم من اللهو والمجون، إلى العفة وصدق المعاملة. وبُنيت لهم كنيسة فى (بوكاليا) أي دار البقر، بالقرب من البحر. وعاشوا عيشة مشتركة (في محبة وتعاون).

+ فشكاهم الوثنيون قائلين عنهم إنهم يشتمون الآلهة. فأمرت الحكومة[1] بالقبض على رئيسهم مرقس فى يوم ٢٩ برمودة. وكان مارمرقس يصلى عيد القيامة. ووافق هذا اليوم عيد الإله سيرابيس،فهجمَت العصابة على الكنيسة وشتتت شملها، وقبضت على القديس ووضعت حبلاً فى عنقه، وجعلت تسحبه وتقول:«جرُّوا التنين فى دار البقر». فتقطَّع لحم جسمه وسال دمه. ثم أُلقِيَ فى المساء فى السجن، فظهر له ملاك الرب، وطيَّب خاطره. ووعده بالجزاء الحسن (وفي مصدر آخر أن الرب نفسه هو الذي ظهر له).

+ وفى صبيحة اليوم التالى، كرر الوثنيون أمر سحبه، فلم يمضِ وقت من النهار حتى فاضت روحه فى ٣٠ برمودة سنة ٦٨م.

+ فلم يكتفوا بذلك، بل أرادوا إحراق الجسد، وجمعوا عليه كومة من الحطب. وأشعلوا فيها النار، ولكن بروقاً ورعوداً وأمطاراً أطفأت النيران. فأخذ المسيحيون جسده الطاهر، وكفنوه بإحترام ووضعوه فى صندوق في الكنيسة التي كانت تحت الأرض.

+ وقد قال ابن كبر فى كتابه (مصباح الظلمة) أن جسده كان مدفوناً فى البيعة الشرقية التى على شاطئ البحر فى الأسكندرية إلى أن سرقه الإفرنج وأخذوه إلي البندقية[2] وهو بهـــا للآن. وتركـــوا رأســـه التي نُقِلَت إلي دار أولاد السُّكَّري بالاسكندرية. ومازالت الرأس بالكنيسة المرقسية بهذه المدينة .

(١) في كتابنا «تاريخ كنيسة الخمس المدن الغربية» أثبتنا عدم تدخل الحكومة، وإنما الذي أثار الفتنة هم اليهود الذين دفعوا بالرعاع الي جر القديس وحبسه في مكان خَرِب، ثم أعادوا الكرَّة في اليوم التالي، حتي نال إكليله، بعدما وعده الرب يسوع به، بظهوره له في نفس الليلة.

(٢) بايطاليـــا (Venice) .

+ وسيرة القديس مارمرقس الرسول ونقل جسده وردت في سنكسار ٣٠ بابه، ٣٠ برموده، وفي تاريخ أوسابيوس (ك ٢ ف ١٤ - ١٦) ٠

(٢) إثيوبيا:

+ إثيوبيا هي البلاد التي عاش فيها نسل كوش شقيق مصرايم بن حام[١] ويُنسَب الفضل في التبشير فيها إلي مارمتي الرسول:

متي الرسول:

+ ويُدعي لاوي بن حلفا من قانا الجليل٠ كان عشاراً فدعاه المسيح وقال له: «اتبعني» فترك كل شيء وقام وتبعه[٢]. وقد صنع له ضيافة جمعت العشارين والخطاة[٣]. وهو أحد الأثني عشر تلميذاً (وقد ورد ذكره في سنكسار ١٢ بابه)٠

+ ولما حل عليه الروح القدس وأراد ترك اليهودية، طلب منه اليهود، الذين اعتنقوا المسيحية، أن يكتب لهم الأنجيل باللغة الآرامية - وقد وجد بنتينوس مدير المدرسة الاكليريكية (بالاسكندرية) نسخة منه عندما ذهب الي بلاد اليمن٠

+ وقد ذهب هذا الرسول إلي إثيوبيا: فقابله بالترحاب الخصي وزير كنداكة ملكة الحبشة الذي عمّده فيلبس الشماس[٤].

+ وعندما دخل القديس بلدة نادبير، وجد ساحرين أضلا الناس بسحرهما، واستخدما

---

(١) «تك ١٠:٦»٠

(٢) «مت ٩: ٩ - ٢٤»٠

(٣) «لو ٥: ٢٩ - ٣٢»٠

(٤) «أع ٨: ٣٦ - ٤٠»

ثعبانين هائلين لإزعاجهم، فخرج الرسول ورسم عليهما علامة الصليب، فانصرفا.

+ وأتفق أثناء وجود القديس متي أن أبنة الملك ماتت، فأستدعي الملك ساحرين فلم يقدرا علي أقامتها. فأتي الرسول متي ودعاها باسم السيد المسيح. فقامت حية.

+ ولما كان الرسول متي يعظ عن العفة، ويستميل الناس إلي عيشة البتولية، نذرت إبنة الملك (أفجانيا) نفسها وتبعتها بنات كثيرات من بنات الأشراف. وكرسن حياتهن لخدمة الرب يسوع.

+ ولما مات الملك اغتصب أخوه المُلك، ورأي لتثبيت عرشه، أن يتزوج بأفجانيا إبنة شقيقه، فلم ترْضَ أن تنكث بعهدها في البتولية.

+ فأمر القديس متي أن يُلزِم تلميذته بما يريد. فرفض الرسول متي، وزاد علي ذلك قام بتثبيت تلميذته علي صيانة نذرها، ثم خرج ليقدم العشاء السري (التناول) وما كاد ينتهي من القداس حتي دخل عليه الجند - كأمر الملك - وضربوه ضرباً مبرحاً حتي مات ونال إكليله.

+ أما أفجانيا فحاول الملك بقوة السحر أن يخدعها فلم يستطع، ولما عزم علي قتلها اعتراه مرض عضال، وجُن ثم قتل نفسه.

+ وقد قال اكليمنضس الاسكندري[1] عن هذا القديس أنه كان يقتات بالبقول. واستمر في الحبشة ثلاثاً وعشرين سنة. وبواسطته انقطعت عادة أكل لحوم البشر، التي كانت شائعة في بعض تلك البلاد.

✤ ✤ ✤

---

(١) كتاب المتفرقات «ك ٢ ف ١» .

الباب الثالث

الأسقفيات بعد الرسل في عصر الأباطرة الوثنيين

الفصل الأول

امتداد المسيحية وخلفاء الرسل

+ لم ينته الجيل الاول، حتي انتشرت المسيحية، علي أيدي الرسل من أسبانيا غرباً، إلي الهند شرقاً، ومن البحر الأسود شمالاً، إلي أحراش افريقيا جنوباً، مع أن السيد المسيح، لم يخرج عن دائرة الجليل واليهودية (في أرض فلسطين وسوريا) إلا عند هروبه الي مصر وهو طفل.

+ ولم يستخدم الرسل سلاحاً، أو يجردوا حملات عسكرية، لإجبار الناس علي اعتناق المسيحية، أو يفرضوا ضرائب علي من يرفض اعتناقها، بل علي العكس احتملوا الجَلْد والسجن، والطرد من بلدة إلي أخري، وتجردوا من أملاكهم ومقتنياتهم ومات أكثرهم مذبوحاً أو مصلوباً، وكل هذا حسبوه نفاية ليربحوا المسيح. وهم أمثلة لكل المؤمنين في كل زمان ومكان.

+ ومع ذلك كله فقد تمت نبوة المزمور «في كل الأرض خرج منطقهم»(١). فقد وصلت البشارة إلي العالم المعمور في ذلك الوقت. فأي قوة تعمل في الديانة المسيحية، التي تنتصر بضعفها، والتي يعلق ملكها علي الصليب ويُدفن، ثم يقوم ولا يعرف بقيامته إلا الأخصاء، ولكن صليبه يوضع فوق هامات أعاظم ملوك الأرض. إنها لقوة سماوية، تعمل في القلوب القاسية، فتذوب وتتوب.

خُلفاء الرُسل :

+ لما جال الرسل في البلاد، كانوا يقيمون لها أساقفة، ليرعوها. كما قال بولس

(١) «مز ١٩:٤»

الرسول مثلاً لأساقفة أفسس:«احترزوا لانفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها ... لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه[1]».

+ وكان هؤلاء الأساقفة، يُكلفُون بإقامة قسوس كما قال بولس الرسول لتلميذه تيطس «تركتك في كريت لكي تُكمِّل ترتيب الأمور الناقِصة.وتقيم في كل مدينة قسوساً (شيوخاً) كما أوصيتك»[2].

+ وكان هؤلاء يساعدهم شمامسة كما يظهر من شروط انتخابهم[3].

+ وأشهر الأسقفيات التي أقيمت في آسيا وأوربا وافريقيا، ولا يزال أثرها باقياً للآن: أسقفيات أورشليم والاسكندرية وانطاكيا وروما وسنذكر تاريخها مع تاريخ الأسقفيات الاخري التي لم تستمر طويلاً فيما يلي:-

✣ ✣ ✣

الفصل الثاني

أسقفيات غرب آسيا

١) أورشليم:

+ لما كانت أورشليم هي عاصمة البلاد التي بشرّ فيها السيد المسيح وخصها في كلامه الاخير قبل الصعود بقوله: «تكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلي أقاصي الأرض»[4] اعتُبرتِ كنيستها «أم الكنائس».

+ ويتضح ذلك في الأوامر الرسولية الفصل الخاص بالخدمة الكنسية. فقد ذُكِر أسقف أورشليم أولاً عند قوله «من أجل أسقفنا يعقوب وكنائسه، ومن أجل أسقفنا اكليمس «بروما» وكنائسه ... نطلب)[5].

---

(١) «أع ٢٠:٢٨»

(٢) «١ تي ١:٥»

(٣) «١ تي ٣:٨ ـ ١٢»

(٤) «أع ١:٨»

(٥) أنظر اسونورس،الخريدة النفيسة، جـ ١ ص ٨٨ .

+ وقال الدويهى بطريرك الموارنة فى منارة الأقداس، عند حديثه عن الليتورجيات الشرقية وفى قداس الرسول يعقوب (إبن حلفي) "أعتبرَت أورشليم الأم والوالدة[1]".

+ وقد نقل أوسابيوس عبارة أكلمندس الأسكندرى عن رسامة يعقوب من الرسل «أن بطرس ويعقوب ويوحنا من حيث أنهم يُميزّون من الرب لم يتخاصموا على المجد بعد صعود المخلص، بل انتخبوا يعقوب الصدّيق أسقفاً على أورشليم، وهو المدعو يعقوب البار» الذى مر ذكره.

+ وقد خلف يعقوب شقيقه سمعان[2]. وكان من السبعين رسولاً. فأقيم بعد قتل يعقوب سنة ٦٣م - بعد أن بشر فى قبرص. ولما صار أسقفاً عليها كافح المبتدعين من أتباع كيرنثوس وأبيون وغيرهم.

+ وقد عاصر سمعان خراب أورشليم، وعلى يديه هرب المسيحيون إلى بلاد (بلا)[3] (Pella) فنجوا من الضيق الذى حل بالقدس، والذي ذكرّهم به المخلّص.

+ وقد حاول الإمبراطور وسبسيانس ودومتيانس واتباعهما، القبض على سمعان فنجاه الله منهما. وكانوا يظنون أنه ينتسب إلى داوُد الملك، وأنه سيطالب بعرشه، ولم يقلعوا عن مُعاداته. فقبض عليه الإمبراطور تراجان وجلده بالسياط وأمر بصلبه فمات مصلوباً سنة ١٠٧م. (وسيرته فى سنكسار ٢ بشنس وفى أخبار القديسين[4] لمكسيموس مظلوم جـ ٢ ص ٥٦٦ وأوسابيوس ك٣ ف ٣٢).

+ وقد ظهر فى أواخر القرن الثاني الأسقف **نركيصص**. ووهبه الله صنع العجائب. ففى ليلة عيد القيامة كان قد نفد الزيت من المسارج. فأمر أن تُملأ ماءً. فأضاءت، واستنار الجميع أيضاً فى تلك الليلة من ضوء تعاليمه!!

+ ولكن عدو الخير لم يسكت عليه، فحرك البعض ضده، فقدحوا فى شرفه زوراً. فاختفى فى البرية، لئلا يكون بقاؤه سبباً فى عثرة أحد. وكان جزاء الله مُراً على

(١) منارة الاقداس جـ ١ ص ٩٧ جـ ٢ ص ٤٠٩، ٤٢٤ .

(٢) «مت ١٣: ٥٥»

(٣) Pella في شرق الأردن.

(٤) مكسيموس مظلوم، جـ٢ ص ٥٦٦، وأوسابيوس، ك ٣ ف ٣٢.

أولئك الكاذبين، إذ مات أحدهم محروقاً واندلعت أمعاء آخر، وذاب جسم ثالث من دوام المرض، وعمى رابع، وتاب خامس مذرفاً الدموع واعترف بذنبه. ولما عاد نركيصص من البرية وجد الكسندروس مقاماً مكانه فبقى معه. وكان الكسندروس يستشيره فى كل أمور الكنيسة ويصدر إسمه فى منشوراته.

+ وبدأ نور المسيحية يضئ بأورشليم ومازالت إلي الآن تقدم على مذابحها القرابين المسيحية، فى حين أن هيكل سليمان لم تقم له قائمة للآن. وقد قال يوسيفوس أن شخصاً يدعى يسوع ابن ناناس كان يطوف بالمدينة ويقول «الويل لأورشليم الويل للهيكل الويل للشعب الويل لى»[1].

+ وقال إرميا ره لقد صب الرب على مذبحه شره، وأضرم النار فى يعقوب فأنهالت حجارة القدس فى رأس كل شارع[2] وتمت نبوة يوئيل القائلة: «انقطعت القرابين والسكيب عن بيت الرب»[3].

٢- أسقفية انطاكية:

+ بدأت المسيحية تدخل انطاكية: عندما تشتت المؤمنون بعد استشهاد اسطفانوس: «كان رجال قبرصيون الذين لما دخلوا انطاكية، كانوا يخاطبون اليونانيين، مبشرين بالرب يسوع، وكانت يد الرب معهم، فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب[4]. ثم أتاها برنابا حيث فرح بهذا النجاح ووعظ الجمع فإزداد عددهم. وكان أول من نفذ رغبة التلاميذ فى «أن يرسل كل واحد شيئاً، خدمةً إلى الأخوة الساكنين فى اليهودية»[5] بسبب الجوع الذى تنبأ عنه أغابوس. «وقد دُعِىَ التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً»[6].

+ ثم ذهب إليها بولس وبرنابا بقرار مجمع أورشليم[7]. وحدثت فيها فيما بعد

---

(١) ك ١٧ ف ٦، ٧

(٢) «مرا٢١:٣، ١:٤»

(٣) «يؤ ٩:١»

(٤) «أع ٢٠:١١»

(٥) «أع ٢٩:١١»

(٦) «أع ٢٦:١١»

(٧) «أع ٢٢:١٥» (عام ٥٣م).

المشاجرة بينهما لأجل أخذ مارمرقس[١]. وقد ذهب إليها أيضاً القديس بطرسُ كما ذُكِر فى تاريخه[٢].

+ ورسم بولس وبطرس لها (افوديوس) أسقفاً للأمم (واغناطيوس) لليهود.

إغناطيوس الثيؤفورس:

+ يقال أنه هو الطفل الذى أقامه السيد المسيح فى الوسط ليُعلّم تلاميذه التواضع[٣] (وقد ذكرت سيرته فى سنكسار ٢٣ كيهك). وقد اشتهر بجهاده وتفصيل ذلك: أن الإمبراطور تراچان عند ذهابه لمحاربة الفُرس، بلغه أن القديس اغناطيوس عدو للآلهة. فإستدعاه وقال له: «أنت أغناطيوس الثيؤفورس؟» قال له: «أنا هو» فإستفهم منه عن المعنى المقصود من إسمه فأجابه: «حامل الله» فقال له: «أتظن أننا لا نحمل آلهتنا لتنصرنا فى الحروب؟».

+ فأجابه: كيف تكون تلك التماثيل العديمة الحس آلهة؟ أعلم أن لا إله إلا الله وحده، الذى خلق السماء والأرض، وإبنه يسوع المسيح الذى تجسَّد ليُخلص البشر. فلو كنت تؤمن به لكنت فى هذا المُلك سعيداً».

+ فحاول الإمبراطور إغراءه، لترك المسيحية فرفض. فإستشاط غضباً، وأمر أن يُقيَّد بالسلاسل ويؤخذ إلي رومه ليُلّقى للوحوش.

+ فبادر أغناطيوس بتقبيل السلاسل التى ستكون وسيلة إلى نيله إكليل الشهادة. وقد سعى المؤمنون أن يُخلصوه بدفع أموال إلي الجند فرفض، لأنه كان متعطشاً للشهادة.

+ وسافر مع الجند إلى سلوكية. ثم إلى أزمير. وهناك قابل بوليكربُس أسقفها والوفود التى أتت لتنال بركته. فكتّب لهم رسالة حية، من بعض فقراتها «لتكن أمثال سيرتكم تعليماً للمنافقين. ارغبوا أن تحتملوا لأجل المسيح الظلم والخسارة والإهانة، لأنى لأجله لا أبُالِي بالقيود وإنى لأفُضّلها على كنوز الأرض»[٤].

---

(١) «أع ١٥:٢»
(٢) «غلا ٢:١١»
(٣) «مت ١٨:٢»
(٤) أنظر ايسوزورس جـ ١ ص ٩٧ .

+ وكتب رسالة إلى روميه يقول فيها: «إننى قد نلت من الله - يا أخوتى مارغبته. وهو إنى استطيع أن آتى وأشاهدكم. فالآن أنا مقيد بالسلاسل حباً بيسوع المسيح وأرجو أن أصل قريباً .. لأعانقكم المعانقة المقدسة. ولكن أخاف يا أخوتى. لأنى أخشى أن تسبب لى محبتكم ضرراً. فإذا أردتم أن تمنعوا الموت عنى فلا يعسُر عليكم ذلك. وبه تعلمون مرضاتكم. غير أن فضلكم هذا سيكون مؤلماً ومحزناً وثقيلاً جداً لدى. وإن كنت أخسر الإستشهاد الآن بسبب صنيعكم فسيكون فيما بعد مستصعباً الحصول عليه.فحسبكم سعياً لأجلى أن تسكتوا مرتاحين .. لأمضى للإتحاد مع إلهى .. أئذنوا لى أن أُذَبح حيث أُعِد المذبح. لكى ترتلوا التسابيح .. لأنه تنازل أن يجتذب من بلاد سوريا إلى رومية، أسقف أنطاكية. يا له من حظ سعيد ليولد جديداً ويحيا لله إلى الأبد».

* إنى أشتهى الإستشهاد لكى أُظهِر ذاتى مسيحياً لا بالقول فقط بل بالفعل. حيثما لا تعود تشاهدنى مناظرالبشر أشاهد أنا ربنا يسوع المسيح، خُلواً من حجاب .. إننى حنطة للبارى ينبغى أن أُطَحن لأكون خبزاً يُقَدم ليسوع المسيح. فلذا أروم إنكم تراعون تلك الوحوش المزمعة أن تُصبح قريباً قبراً لجسمى .. وأنا أتوسل لأترك تلك الوحوش من جسدىَ شيئاً .. حتى لا تكون فضلات جسمى ثقلاً على أحد عندما تكون روحى قد بلغت الراحة الأبدية».

+ وأكتب إليكم رسالتى هذه فى مدينة أزمير، مع أُناسٍ مسيحيين من أهل أفسس».

+ ولما وصل إلى روميه - قابلوه جاثين بركبهم زارفين الدموع. ثم صلى معهم، ولما إنتهى من صلاته حمله العساكر للوحوش. فتقدم إليها بعزم ثابت وسرور. فوثب عليه أسدان وافترساه بسرَعة ولم يُبقيا منه إلا عظاماً، فجمعها المؤمنون وأرسلوها لأنطاكية. وكان استشهاده فى سنة ١١٥م (وقيل سنة ١٠٩م).

+ وقال كاتب سيرته «كنا شهوداً لهذه الميتة المجيدة. وسكبنا لأجلها الدموع السخينة

ونحن جائون أمام بقايا الجسد طالبين من الرب أن يشدد ضعفنا، فظهر لنا الشهيد بهيئة مجاهد خرج ظافراً ممجداً. وكان قائماً أمام الرب مُكللاً بمجد لا يوصف، فإمتلأت قلوبنا فرحاً وقدّمنا الشكر لله».

+ ومن الغريب أن يأتى فى الجيل الثالث خليفة لهذا الشهيد.يُخالفه على طول الخط وهو:

بولس السميساطى:

+ ولد فى سميساط على نهر الفرات.وكان خطيباً . وسيم أسقفاً على أنطاكية، فكان يأخذ معه نحو مأتى جندى عند خروجه ودخوله. وكان يتعاطى الرشوة، ويطوف جابياً الخراج كحاكم لا كأسقف، وينهب الهياكل حتى أثرىً!! .

+ وإذا دخل بيت الله جلس على منصة عالية لم يسبقه إليها أحد أسلافه، كما رفض التراتيل بمزامير داود الملك واستبدلها بأغانى السيدات. ورفض تلاوة الكتب المقدسة!

+ وقد اعتقد اعتقاداً مخالفاً للكنيسة فيما يختص بالإبن الكلمة. فذهب إلى أنه يوجد إله واحد، تسميه الكتب المقدسة **أباً**، وكلمته ليست أقنوماً، بل هى بمثابة الفهم فى العقل البشرى، وأن المسيح إنسان محض، وُلِد من مريم، وفيه حلّت الحكمة الإلهية، حتى صار قادراً على صنع المعجزات. ولما صُلِب فارقته الحكمة!!

+ فانعقد لأجله مجمع فى أنطاكية سنة ٢٨٠م. حضره غريغوريوس العجائبى. وأرسل البابا ديوناسيوس الأسكندرى نواباً عنه لكبر سنّه ومعهم رسالة تضمنت «أن السيد المسيح هو كلمة الله وإبنه وأن اللاهوت الأقدس ثلاثة أقانيم». واستشهد بقول بولس الرسول فى عب ١:٣ «إن السيد المسيح بهاء مجده وصورة أقنومه».

+ وعرض عليه الآباء أن يتوب، فرفض فحرموه من رتبته ورسموا دمنوس أسقفاً بدله.



الفصل الثالث

بعض أسقفيات آسيا الصغرى

+ أشار سفر الرؤيا، إلى وجود سبع كنائس فى آسيا الصغرى، وهى: (أفسس وسميرنا «أزمير»، وبرغامس «برجامن» وثياتيرا وساردس وفلادلفيا واللاودوكيين رؤ ٢:٣). وسيتناول البحث هنا الكنيستان الأوليتان فقط .

١- أسقفية أفسس:

+ بدأ بولس الرسول البشارة فى أفسس، إذ دخل مجمع اليهود وكان معه أكيلا وبريسكلا: «وكان بأفسس يهودى اسكندرى إسمه أبولس رجل فصيح ومقتدر فى الكتب· وكان هذا خبيراً فى طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق مايختص بالرب، عارفاً معمودية يوحنا فقط. فإتصل به أكيلا وبريسكلا وشرحا له طريق الرب»(١).

+ ثم سافر بولس مدة ولما عاد وجد تلاميذه بأفسس «فقال لهم بماذا اعتمدتم؟!» فقالوا بمعمودية يوحنا، فقال بولس: «إن يوحنا عمّد معمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده، أى المسيح يسوع· فلما سمعوا اعتمدوا بإسم الرب يسوع· ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم.فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون»·

* «وكان جميع الرجال نحو إثنى عشر .. ثم دخل المجمع وكان يجاهر مدة ثلاثة أشهر مُحَاجاً. ولما كان قوم ساروا شاتمين الطريق. اعتزل عنهم وأفرَز التلاميذ مُحاجاً كل يوم فى مدرسة إنسان اسمه تيرانُس· وكان ذلك مدة سنتين· وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض»·

* «فشرع قوم من اليهود الطوافين أن يُسمّوا على الذين بهم الأرواح الشريرة بإسم الرب يسوع قائلين: «نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس»، وكان سبعة بنين

---

(١) «أع ١٨:٢٤» ..... الخ.

لسكاوة رجل يهودى رئيس كهنة الذين فعلوا هذا. فأجاب الروح الشرير وقال: «أما يسوع فأنا أعرفه وبولس أعلمه أما أنتم فمن أنتم؟» فوثب عليهم الإنسان الذى كان فيه الروح الشرير وغلبهم(١).

+ ثم آمن كثيرون بالرب وأحرق كثيرون كتب السحر التى كانت عندهم، ولكن صانعى التماثيل الوثنية ورئيسهم ديمتريوس الصائغ أهاجوا الشعب، وقالوا «عظيمة هى أرطاميس الأفسين». ولهذا أشار بولس إلى هياج الشعب عندما قال «قابلت وحوشاً فى أفسس»(٢). ولم يدع التلاميذ بولس أن يدخل وسط الشعب خوفاً عليه. وقد أمر الحاكم الشعب بالهدوء(٣).

+ ولما كان بولس الرسول فى ميليتس، استدعى قسوس أفسس والأساقفة وأوصاهم بالإهتمام بالكنيسة. ثم ودعهم الوداع الأخير قبل ذهابه إلى أورشليم(٤).

تيموثاوس:

+ ومن الأساقفة الذين أقامهم بولس الرسول على أفسس، تيموثاوس، الذى سكن فيه إيمان جدته وأمه(٥) (وكان أصله من لسترة من أب يونانى وأم يهودية) ولما رأى المعجزات التى أجراها بولس تعمَّد على يديه، وشاركه فى بعض أسفاره، وأخيراً طلب منه بولس أن يمكث فى أفسس(٦).

+ وقد خدم شعبه وكتب له بولس الرسول رسالتين، أظهر له فيهما شروط الأسقف والقس والشماس والأرملة - وحثه على المواظبة على التعليم، وعدم وضع اليد على أحد لتأدية إحدى الوظائف الكهنوتية بدون تدقيق.

+ ولكن بعض اليونان واليهود حسدوه، فضربوه بالعصى حتى مات سنة ٩٧م. ونُقل جسده للقسطنطينية فى عهد قسطنطين الكبير. (وذُكرت سيرته فى سنكسار ٢٣ طوبة).

---

(١) «أع ١٩:١- ١٦»

(٢) «١كو١٥:٣٢»

(٣) «أع ١٩:٣٠»... الخ

(٤) «أع ٢٠:١٢» ... إلخ.

(٥) «٢ تي ١:٥»

(٦) «١ تي ١:٢٣»

الرسول يوحنا فى أفسس:

+ وقد ذهب إليها أيضاً الرسول يوحنا وعلَّم فيها حيث ذكرها فى (رؤ ١:١١) وقال لأسقفها فى (رؤ ٢:١-٧) «إنك تبغض أعمال النيقولاويين ولكن عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى. فاذكر من أين سقطت وتُبْ».

٢- أسقفية أزمير:

+ بدأ بالتبشير فيها يوحنا الرسول، وأقام عليها بوليكربُس أسقفاً وخاطبه الرب فى (رؤ ٢:٨ -١١) بقوله: «كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة» وفعلاً كان أميناً إلى أن استشهد.

+ وقد شهد عنه تلميذه ايريناوس،« لم يزل ماثلاً أمامى: وقار طلعته وقداسة سيرته والإرشادات التى كان يعملها لرعيته».(١)

+ ومر على القديس بوليكربس، القديس أغناطيوس، أثناء ذهابه من أنطاكية إلى رومه، كما سبق ذكره.

+ وفى عهد ماركس أوريليوس، حدث أن قُتِل الشاب جرمانيكس المسيحى. فأراد الوثنيون أن يُقتل رئيسهم أيضاً، وأخذوا يصيحون «ليُبَد المنافقون، وليُقْبضَ على بوليكربس» .

+ ولكن المؤمنين أشاروا عليه بالإختفاء. فإختبأ تحت إلحاحهم، واستمر مواظباً على الصلوات. ثم رأى رؤيا إذ بالوسادة التى ينام عليها تحترق. فعرف من هذا أن ساعته قد حانت، للرحيل بالإكليل.

+ وبينما الجند يبحثون عنه، عثروا على تلميذين من تلاميذه، فساموهما العذاب حتى أرشدوهما إلى مكان اختبائه..

+ ولما دخل الجند عليه، قدم لهم الطعام. ثم طلب منهم أن يصلى، ثم خرج معهم راكباً

(١) مظلوم جـ ٢ ص ٣٠١ .

جحشاً، ولكن هيرودس أحد رؤساء الدولة، أركبه فى مركبته، وفى الطريق أخذ يعرض عليه الدعاء لقيصر، وتقديم الذبيحة للأوثان، فرفض بإباء عظيم، فطرحه من المركبة، فترضض جسمه، ولكنه وقف وواصل الرحلة.

+ وبعد ثلاثة أيام من تاريخ الرؤيا، مَثُلَ أمام الوالى، الذى طلب منه أن يرثى لشيخوخته وإلا أذاقه العذاب، الذى لا يستطيع الشباب احتماله. ثم أمره أن ينادى بهلاك المنافقين ويحلف بحياة قيصر.

+ فتنهد القديس وقال: «نعم ليهلك المنافقون» فأنذهل الوالى وقال: «إذن فاحلف بحياة قيصر والعن المسيح وأنا أطلقك» فأجابه القديس قائلاً: «لقد مضى ثمانون عاماً أخدم فيها المسيح، وشراً لم يفعل معى قط. بل أقتبل منه كل يوم نِعمَاً جديدة، فكيف أهين حافظى والمُحسِن إلىَّ؟ وكيف أغيظ مُخلّصى وإلهى والقاضى الأعلى، المعتيد أن يكافئ الأخيار وينتقم من الأشرار المنافقين»؟

+ فهدده الوالى بإلقائه للوحوش، فقال له: «إن وحوشك لن تُخيفنى» فحكم عليه أن يُلقىَ فى أتون النار حياً. فقال له: «إن نارك لا تدوم إلا بُرهَة وجيزة ولكن توجد نيران أخرى دائمة، ومُعدَّة للاثمة».

+ ولهذا أعد الجنود الحطب للنيران، ولما أرادوا أن يُقيِّدوه قال: «دعونى وسأذهب للنار بنفسى» فإكتفوا بتقييد يديه وراء ظهره ثم وضعوه فوق الحطب، فصلىَ القديس لكى يجعله الله فى مصاف الشُهداء.

+ ثم وضع الأشرار الزفت والقار على الحطب، وأضرموا فيه النار. فاستدارت النار حوله كخيمة، ولم تُصبه بأذىً، كما حصل للفتية الثلاثة قديماً. فطعنوه بآلة حادة، فتدفقت دماؤه بغزارة حتى أطفأت النيران، ونال إكليل الشهادة[1].



(١) مكسيموس مظلوم جـ ٢، ص ٣٠٠

الفصل الرابع

أسقفيات أوروبا

+ كانت المسيحية قد انتشرت فى القرن الأول، على أيدى الرسل اندراوس وبولس ويعقوب الكبير، فى أقاليم أوربا. وأنشئت أسقفيات فى (أثينا) بشبه جزيرة البلقان (وباريس وليون) ببلاد الغال (فرنسا) وفى (رومه) بإيطاليا.

١- أسقفيات أثينا وباريس وليون:

+ اشتهر بالعمل فى هذه البلاد الثلاثة - بعد الرسل - ديوناسيوس قاضى مدينة أثينا، وايريناوس أسقف ليون.

ديوناسيوس الأثينى:

+ وُلِد هذا القديس، بعد ولادة السيد المسيح، بنحو ثمانى سنوات، فى أثينا. وأراد أن يتبحَّر فى العلوم الفلكية، فذهب إلى الأسكندرية، وفى اثناء رصده النجوم والكواكب فى نهار يوم بهليوبوليس (عين شمس) انكسفت الشمس فى رابعة النهار، وكان فى ذلك الوقت القمر بدراً - وهذا مخالف للطبيعة لأن الشمس لا تنكسف إلا والقمر فى المحاق. فصرخ قائلاً: «إما أن إله الطبيعة يتألَّم أو أن العالم قد قارب أن ينهدم» ولم تستمر هذه الظاهرة إلا مدة ثلاث ساعات من السادسة إلى التاسعة من النهار(١). فدوَّن هذا التوقيت فى مذكراته.

+ ولما رجع إلى أثينا، قادته الظروف ليسمع خطاب بولس الرسول فى أريوس باغوس عن الإله المجهول، وعن إبنه الذى خلَّص العالم، والذى إظلَّمتَ الشمس وقت آلامه. فتذكر ما رآه وقارنه بمذكراته، فعرف الحقيقة وإلتصق ببولس الرسول واعتمد. ثم أقامه بولس أسقفاً على أثينا.

+ وذهب ديوناسيوس بعدئذ لزيارة أفسس، فأمره يوحنا الرسول بالذهاب إلى رومه ليساعد أسقفها اكلمندس - فعاد إلى أثينا وأقام لها أسقفاً بدله، ثم سافر إلى رومه مع رستيكوس القس وألوتاريوس الشماس.

---

(١) «مر ٣٣:١٥»

+ فسُرَ بهم أسقف رومه، وأرسلهم إلى بلاد الغال (فرنسا) – مع زيول تلميذ يوحنا.

+ ولما وصلوا إلى مدينة «نيس»القريبة من مرسيليا، وجدوا مسيحيين ممن بشرهم تروفيموس تلميذ بطرس الرسول، فمكثوا عدهم زماناً. ثم أقيم زيول أسقفاً عليهم. وذهب ديوناسيوس ومن معه إلى باريس. وصار ينادى بإبطال عبادة الأصنام مبشراً بالخلاص بالمسيح. فآمن كثيرون، منهم لسبيوس الذى جعل بيته مركزاً دينياً.

+ ولما رأى الوثنيون هجران الكثيرين لعبادة الأصنام شكوا ديوناسيوس للوالى. وكان من ضمن الشاكين إمرأة لسبيوس، إذ قالت أن زوجى قد سحق الأوثان، فتوعده الوالى بالقتل إن لم يقلع عن عمله. ولما رآه مُصرًّاً علي الإيمان قتله أمام زوجته.

+ وأما القديس وتلميذاه فأرسلهم للسجن مقيدين ومُثقّلين بالحجارة. ثم هددهم بالعذاب فضربهم بحبال معلقة بها مهاميز حديدية، وكان القديس قد بلغ نحو المائة من عمره. فصار يحتمل الضرب بإبتهاج – وبعد أن تمزق لحمه اقتيد إلى فرن مُحّمى.فلم يحد عن إيمانه، ثم علقوه على صليب، فصار يعظ وهو عليه!!

+ ولما رأى القديسون أن الحكم قد صدر عليهم بقطع رؤوسهم، احتفلوا بتناول الأسرار المقدسة وخرجوا إلى المقصلة فرحين بنوال إكليل الشهادة.فقُطِعت رؤوسهم.

+ ولما رأت إمرأة لسبيوس، هذه الأمور الغريبة، آمنت ثم استشهدت. فلحقت بزوجها فى عالم المجد.

إيريناوس أسقف ليون:

+ هو تلميذ بُوليكربس أسقف أزمير، الذى هذّبه وثقّف عقله بإرشاداته. ولما أُقيم أسقفاً على ليون اعتنق المسيحية على يديه كثيرون وصاروا كالأنوار الساطعة.

+ ولما بلغ ذلك الإمبراطور سافيروس، أمر بقتل كل من اعتنق المسيحية، فحصلت مذبحة عُظمَى. وراح ضحيتها نحو ١٩ ألف نسمة!

+ وعندما قبض على الراعى ايريناوس، فرح بإستشهاده مع رعيته وكان ذلك سنة ٢٠٣م.

٢- أسقفية رومه:

+ كان لهذه الأسقفية شأن خاص، لأن مدينة رومه كانت مركزاً للإمبراطورية الرومانية، التى حكمت العالم فى ذاك العهد. وفيها استشهد كثيرون. إلا أن أسقفيتها فى عهد الأباطرة الوثنيين، لم تكن فى قوة الأسقفيات التى نبتت فيها المسيحية، كأسقفيات أورشليم والأسكندرية وأنطاكية.

+ وقد ورد في مختصر تاريخ الأمة القبطية[1] عن تأسيس كنيسة رومه مايأتى: «زحف بمبيوس الرومانى بجيش جرار على أورشليم سنة ٦٣ق.م فنزع المُلك من ارسطوبولس الثانى المكابى. ثم ساقه – مع من أسرهم من اليهود – إلى رومه، حيث استُعبدوا مدة طويلة. وأعقب ذلك أن اعتق الرومان هؤلاء الأسرى ... وأطلقوا عليهم إسم (ليبرتينى) أى المحررين، فأنشأوا على شاطئ نهر التيبر حارة يهودية وظلوا يكثرون حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف نفس[2].

+ وكانوا يأتون إلى أورشليم فى أيام الفصح، ولسبب اختلاطهم بأهل رومية، دخل كثيرون من الرومان فى الدين اليهودي وعُرفوا بالدُخلاء، وكانوا يقصدون أورشليم مع أخوتهم فى الدين ليحتفلوا بعيد الفصح (أع ٢:١٠) ثم شاهدوا حلول الروح القدس على التلاميذ. فآمن بعضهم بالرب يسوع (أع ٢:١– ١١، ٤١ – ٤٢) ولما عادوا إلى وطنهم مع أنسباء بولس (رو ١٦:٧ – ١١) نشروا هناك الدين المسيحى..

+ ولأن هؤلاء كانوا يحتاجون إلى رعاية، أظهر بولس الرسول شوقه إليهم فى رسالته إلى رومية نحو سنة ٥٨م وازداد هذا الشوق عندما وقف به الرب وقال: «ثق يابولس لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم، هكذا يجب أن تشهد فى رومية أيضاً»[3].

---

(١) لسليم سليمان ص ٣١١.

(٢) يوسيفوس (ك ١٧ فصل ١ وك ١٨ ف ٣٥).

(٣) «أع ٢٣:١١»

+ وبعد أن بشرها بولس أقام عليها «لينوس» (الذى ذكره فى ٢تى ٢١:٤) وقد ورد فى الأوامر (القوانين) الرسولية (ك ٧ ف ٤٧) «أن أول أسقف سيم على رومية بيد بولس هو لينوس» وكذلك قال اوسابيوس المؤرخ الكنسى «بعد أن أسس الرسل المغبوطون الكنيسة وبنوها، سلموا خدمة الأسقفية إلى لينوس الذى ذكره بولس لتيموثاوس. وقد خلفه انيكليتوس وبعده أختير لأسقفية رومه (إكليميس أسقفاً ثالثاً).

اكليمس (اكليمندس الرومانى) :

+ هو الذى ذكره بولس الرسول فى رسالته إلى (فيلبى ٣:٤) وإسم والده فستينوس. وكان من اشراف رومية، حيث اتصلت أسرته بالعائلة المالكة فكان لدخوله فى المسيحية آثر عظيم، إذ أقبل الأشراف على اعتناقها. وكان منهم دوميتيلا إبنة أخ الإمبراطور الروماني دومتيانُس.

+ ولم يقف عمل اكليمندس على رومية فقط. فكان قد بلغه عن وجود شقاق بكنيسة كورنثوس، وكانت له صلة بها (كما هو ظاهر مما ورد فى ١كو ٩:٥) فأرسل لهم رسالة قال فى مطلعها «من كنيسة الله برومية إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس» ثم أظهر لهم سبب الشقاق وهو الغيرة والحسد. وحثهم على واجبات المحبة، ومن قوله فى هذا الصدد «أنكم ما كدتم تستكملون أنواع الكرامة، حتى تم عليكم ماكُتب: أكل حبيبى وشرب وعظم وسمن ورفص. فإن من هُنا نبعت المنافسات والحسد. وهكذا قام الصعلوك على ذوى الرفعة، الحمقى على الحُكماء، الشباب على الشيوخ، ولإجل هذا ابتعد البر والسلام عن دياركم»(١).

+ ولكن مجلس السناتو بروما، الذى كان يجمع الإشراف ومنهم اكلمندس، لم يُرضِه أن يصير أحد أعضائه مسيحياً.

---

(١) أنظر ايسونورس ك ١ ص ١١٢ .

+ فأحضره أمامه ثم نصحه رئيس المجلس المدعو مرتينُس لكى يحافظ على شرفه ويترك الديانة الممقونة. فرفض عرضه هذا - فقدَّم عنه تقريراً للإمبراطور تراجان.

+ فما كان من الإمبراطور إلا أن أصدر أمراً بنفيه إلى أقصى المملكة - إلى شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود - وكلّفه بالعمل فى قطع الرخام هناك.

+ ولما وصل القديس إلى هناك وجد نحو ألفى مسيحى فى هذا المنفى، وكانت المياه بعيدة عنهم، فصلى لله. فأرشده إلى صخرة يخرج منها ينبوع ماء. فإستقوا منها وشكروا فاديهم.

+ وهناك أيضاً آمن على يديه كثيرون من الوثنيين. فإستشاط الولاة غضباً. وأمسكوا بإكلمندس، ووضعوا فى عنقه مرساة وطرحوه فى البحر. فمات غرقاً نحو سنة ١٠٠م.

+ وبعد مدة انحسر الماء فظهر الجسد محفوظاً، فأتى المؤمنون بتابوت من رخام وأودعوا فيه جسده الطاهر(وسيرته مذكوره فى سنكسار ٢٩ هاتور).

سكستُس وشماسه:

+ وفى القرن الثالث، اضطهد الإمبراطور ڤاليريان الأسقف سكستُس وشماسه لورنسيوس، طالباً منهما أن يتركا المسيحية فرفضا. فأرسل جنده ليقبضوا على الأسقف أولاً، بينما كان يصلى فى السراديب مع المؤمنين، فأمسكوه وساقوه إلى العذاب. فقابله شماسه وقال له: «إلى أين أنت ذاهب يا أبتاه تاركاً ابنك؟» فقال له «إلى حيث تتبعنى بعد بضعة أيام» ثم أخذ الجند سكستُس وقتلوه نحو سنة ٢٦٠م.

+ أما شماسه فوزع أموال الكنيسة على فقرائها، ولما بلغ الملك أن الكنيسة غنية، استدعى الشماس وأمره أن يُريه خزائنها، فطلب منه مُهلة فأمهله.

+ وفى اليوم المعين، كان الشماس قد أحضر العميان والمُقعدّين، وأودعهم الكنيسة. وأخذ الشماس الملك وأدخله إليها وقال: «ها هى خزائن الكنيسة يا صاحب الجلالة لأن أموال الكنيسة يأخذها هؤلاء» (ويقصد أيضاً أن الإيمان الذى يحويه قلوب هؤلاء، هو الغنَى الوافر للكنيسة).

+ فقال الملك: «إننى عارف أنك تفعل هذا، لأنك لا تهاب الموت» ثم ضربه بالسياط، وبعد أن ربطه وضعه على صاج مُحمَّى، **ولما انشوى جانب الشماس قال اقلبونى على الجانب الآخر.** ثم أسلم الروح، وصعد كبخور نقى لفاديه (وهو درس هام لكل إنسان).

كالستس ومركلينُس:

+ ومع أن إكليمندس وسكستُس كانا تقيين إلا أن خليفتيهما كالستس ومركلينُس لم يسلكا بنفس حياة الاستقامة والحكمة، التي كانت لهما.

+ فالأسقف كالستس تهاون فى إدارة شئون أسقفيته فيما يأتي:

(١) كان يقبل فى عضوية الكنيسة جميع الهراطقة دون أن يوقع عليهم القصاص الواجب.

(٢) كان يدعى أن الأسقف لا يجوز قطعه حتى ولو أرتكب أفظع الخطايا.

(٣) كان يقيم أساقفة وقسوساً وشمامسة ممن تزوج بثانية وثالثة.

(٤) أوجد نظام تكرار المعمودية.

+ فإنعقد ضده مجمع فى روما أسقطه من درجته لعدم أمانته في تعليمه.

+ أما الأسقف مركلينس. فلما رأى اضطهاد دقلديانوس شديداً بخر للأوثان، إلا أنه تاب ورجع للمسيحية. ثم استشهد (والعبرة بالنهاية).



الفصل الخامس

أسقفيـــات أفريقيـــا

+ انتشرت المسيحية فى أفريقيا على أيدى الرسل سمعان القانوى ومتى ومرقس وانشئت أسقفيات، أهمها أسقفيتا قرطاجنة والأسكندرية.

١- أسقفية قرطاجنة

+ كان لأسقفية قرطاجنة فى عصر الأباطرة الوثنيين شأن يذكر خصوصاً على يد العلاَّمة ترتليانس والقديس كبريانُس.

ترتليانوس:

+ وُلِد بقرطاجنة نحو ١٥٠م وتوفى سنة ٢٤٠م. وهو ابن قائد مائة رومانى، تعلم الحقوق فصار محامياً. وَاعتنق المسيحية نحو سنة ١٩٠م. ثم صار قساً فى قرطاجنة.

+ واشتهر من وقتها بنسكه إذ أتفق مع زوجته أن يعتزلها. كما اشتهر برسائله الجدلية. ومؤلفاته المتعددة فى المعمودية وقيامة الجسد والتوبة ... إلخ وضد الهراطقة واليهود والوثنيين.

+ وأشهر مؤلفاته كتاب (الإعتذارApologia) الذى رفعه إلى ولاة الأمورفي روما فكان أول احتجاج مكتوب على تضييق الحرية الدينية، بين المؤلفات المسيحية التي كانت من هذا النوع.

+ ومن فقرات كتاب الإعتذار «إن ظروف موت المسيح كانت باهرة بهذا المقدار لأعين الوثنيين أنفسهم. حتى أن بيلاطس أشار على الملك طيباريوس أن يحفظ قصته فى سجلات رومه».

* «أنكم تشكوننا بعدم إكرامنا الملوك بالقرابين. أى نعم لا نقدم ضحايا إجلالاً لهم لكننا نتوسل إلى الإله الحقيقى الأزلى لأجل خلاصهم. ونوقرهم ولكن لا ندعوهم آلهة. لأننا لا نعرف الكذب، ومع ذلك لا ريب فى أمانتنا لهم».

* «إن اتحادنا يذهلهم لأنهم يبغضون بعضهم بعضاً. ولا عجب إذن من كون محبة هذه صفتها تحملنا على عمل ولائم مشتركة تُدَعى «أغابى» (ومعناها محبة) فيُقبِل إليها الجميع أغنياءً وفقراءً. ثم ينتهى الأكل بالصلاة كما بدأ.

* «يامن تقضون على المجرمين تكلّموا. هل وجدتم مسيحياً مجرماً بينهم؟ وإن وجد أحد يكون ذنبه إسمه»(١).

كبريانُس:

+ ورد ذكره فى سنكسار ٢١ توت بأن والده كان وثنياً وقاضياً. أما هو فإشتهر فى بدء حياته بميله لدراسة السحر، فذهب لأنطاكية لمناظرة أحد مشاهير السحرة، وانتزع منه شهرته فى هذا المجال الشيطاني.

+ ثم تقدَّم إليه شاب عشق شابة مسيحية تدعى (يوستينه) ليستعين بسحره على أغتصابها. ولكن يوستينه كانت تداوم على الصلاة فلم يكن للسحر آثر عليها.

+ فطلب كبريانُس من شياطين سحره، أن تأتيه بيوستينه، وإلا اعتنق المسيحية. فظهر له أحدهم فى شكلها. ولما تقدم كبريانُس لمعانقتها، ونادى بإسمها انحل الشيطان المتشبه بها كالدخان.

+ فلما ظهرت خديعة الشيطان لكبريانُس، أحرَّق كُتب السحر واعتنق المسيحية وتعمَّد، ثم تدرج فى رتب الكهنوت إلى أن صار أسقفاً على قرطاجنة (بجوار مدينة تونس الحالية) واعتزل زوجته وأولاده.

+ وكان يقول قبل اعتناقه المسيحية، كيف يمكن الإقلاع عن عادات تملكت وصارت كطبيعة ثانية؟ وكيف يتعلم الصوم من كان معتاداً على مائدة متفننة بالأطعمة اللذيذة؟ ولكنه بعد اعتناقه المسيحية. صار حملاً وديعاً (لعمل النعمة بالطبع).

+ وبعد رسامته بسنتين اضطهد الامبراطور ديسيوس المسيحيين، فكتب كبريانس لشعبه مُظهراً سبب هذا الإضطهاد بقوله «إن الله قد سمح بهذا الإضطهاد الشديد لأجل تراخي المؤمنين فى العبادة، لأنهم لما استراحوا على زمن فيلبس قيصر وابنه اللذين تركا المسيحيين فى حالة السلام فطفق العلمانيون ينهمكون فى طلب المكاسب

---

(١) أنظر ايسونورس، جـ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٢ .

المادية، وحاد الأكليروس عن دعوتهم المقدسة، واحبت النساء التزّين بالأثواب الفاخرة. فلإصلاح كل هذه الشرور رفع الله تعالى عصا أعدائهم، لكي ينتهبوا ويتوبوا».

+ وكان من رأيه أن يقدم نفسه للإستشهاد، لينال إكليل المجد لكنه فضَّل أن يختفي، ليُغذّي (ويُعزّي) المؤمنين بقوة رسائله التي ضمنّها قول الرب: «من يحب نفسه وحياته أكثر مني فلا يستحقني».

+ وأوصاهم بعدم كراهية مُبغضيهم بل يُصلوا من أجلهم ويحبونهم لأن من شأن الوثنى ألا يحب غير من يحبه. أما المسيحى فمن شأنه أن يحب مُحّبيه وأعدائه، لأنهم مرضي في حاجة للصلاة من أجلهم، ليرحمهم الله من دائهم وغبائهم.

+ وأوصاهم بعدم كراهية مبغضيهم، بل يُصلُّوا من أجلهم ويحبونهم.

+ وكان يعتني بمن يستشهد من المؤمنين فيرسل من يحمل أجسامهم ليلاً، ويشجع الذين تحت العذاب، كما يعتنى بعائلاتهم وأبنائهم.

+ وقد انشغل مدة بالخلاف الذى قام بينه وبين رومه بسبب معمودية الهراطقة، كما سيجئ فيما بعد.

+ وبعد اضطهاد (ديسيوس) غزو البرابرة أقليم نوميديا ونهبوا وأسرُوا الكثيرين. فحرك كبريانس عواطف الأغنياء ليفتقدوا أخوتهم الفقراء ويحرروا المأسورين.

+ ولما ظهر مرض الطاعون، كان يجول بين المرضى ويذكرهم بالآخرة الصالحة ليكونوا مستعدين للرحيل بإيمان إلي عالم الراحة والفرح.

+ وفي سنة ٢٥٧م اضطهد الإمبراطور فاليريان المسيحيين. فإختفى كبريانُس كما فعل أولاً. إلا أنه حلِم حُلماً أن شاباً اقتاده إلى الحاكم فوجده يكتب. ثِم رأى الشاب رافعاً يده ليقتله. ففهم القديس أن ساعته قد جاءت فأظهر نفسه.

+ فإستحضره الجند للوالى الذى آمره بالتبخير للأوثان فرفض، فحكم بإعدامه فى مكان يبعد عن المدينة ستة أميال. ففرح القديس لخروجه من سجن هذا الجسد.

+ ولما بلغ المكان خلع ثيابه وسلَّمها لشماسه. ثم جثا على ركبتيه مصلياً. ولما انتهى من الصلاة منح السياف خمس قطع من الذهب، وربط عينيه بمنديل، ثم قدم عنقه للسياف فقطع رأسه. وأخذ المؤمنون الموجودون دمه الثمين فى ثيابهم على سبيل البَركة. ثم حملوا جسده الطاهر، ودفنوه بإكرام جزيل.

الفصل السادس

أسقفية الإسكندرية

+ امتازت مصر بمجئ السيد المسيح والرسل بطرس ومرقس وسمعان القانوى إليها وخَلَفهم أساقفة عظام. وسيرد تاريخهم على فترتين، كما يلى:-

١- أساقفة الأسكندرية فى القرنين الأول والثانى:

أنيانوس (٦٨ - ٨٣م):

+ كان أنيانوس اسكافياً فى الأسكندرية، واعتنق المسيحية بعد أن شفى مارمرقس يده من آثار المخراز، الذى نفذ إليها، ثم فتح بيته ليجتمع فيه المؤمنون، لتأدية الطقوس الدينية، فأقامه مارمرقس أسقفاً على الأسكندرية ورسم معه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة. وقد أعتنى أنيانوس بالمدرسة الإكليريكية التى أسسها مارمرقس. ثم أكمل جهاده وتنيَّح بسلام.

ميليوس (٨٣ - ٩٥م):

+ أُقيم أسقفاً بعد انتقال أنيانوس. ولما كان مرقس الرسول لم يترك فى الأسكندرية مع أنيانوس سوى ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة، وتقضى الدسقولية (تعاليم الرسل) أن يُقام الأسقف بوضع اليد عليه من أسقفين على الأقل، فكان لابُد من استدعاء بعض أساقفة الجهات الأخرى كبابليون والصعيد وخمس المدن الغربية، لتنصيب ميليوس على أسقفية الأسكندرية. وقد اهتم برعاية النفوس إلى أن أنتقل للفردوس سنة ٩٥م.

كردونوس (٩٥ - ١٠٦م):

+ أقيم أسقفاً بعد انتقال ميليوس، وهو أحد القسوس، الذين رسمهم مارمرقس بمدينة الأسكندرية. واستشهد فى عصر تراچان!! (ولم يرد ذلك فى مصدر آخر).

بريموس (١٠٩ - ١١٨م):

+ أقيم أسقفاً بعد أن ظل الكرسى خالياً ثلاث سنوات بسبب اضطهاد القيصر تراچان.

يسطس (١١٨ - ١٢٩م):

+ وكان ناظراً للإكليريكية ولما أقيم أسقفاً سلّم إدارتها إلى أومانيوس.

أومانيوس (١٢٩ - ١٤١) (١) :

+ عيّن مركيانُس ناظراً للمدرسة الإكليريكية بدله. وأهتم بإرسال بعثات تبشيرية للجهات البعيدة عن الأسكندرية، ورسم أساقفة للنوبة والخمس المدن الغربية (شرق ليبيا).

+ وفى أيام هذا الآب عاشت القديسه «صوفيا» التى كانت وهى وثنية تتردد على الكنيسة مع بعض السيدات المسيحيات: فآمنت بالسيد المسيح وقصدت أسقف منف فعمدها. ثم لازمت البيعة منذ ذلك الحين. ووشى بها بعض الوثنيين عند كلوديوس الوالى، وأفهموهأنها قد تعمدت فإستجوبها، فأقرت أنها مسيحية فضربها بأعصاب البقر، وكانت تصيح"أنا مسيحية" فأمر بقطع لسانها. ثم أعادها إلى الحبس.

+ ولما رأى إصرارها علي إيمانهاأمر بقطع رأسها. فصلت وطلبت من الله أن يسامح الجند والملك هادريان، وأحنت رأسها للسياف فقطع رأسها. وأخذت إمرأة مسيحية جسدها، بعد أن أعطت للجند أموالاً، ولفته بلفائف ثمينة، ووضعته فى بيتها، فكان يظهر فى عيدها نور ساطع وبخور طيب.

+ ولما تملّك قسطنطين البار، وسمع بخبرها، نقل الجسد إلى القسطنطينية، حيث بنى هناك كنيسة سُميت بإسمها (أجيا صوفيا) (سنكسار ٥ توت).

+ وقد حولها الأتراك إلى جامع بعد استيلائهم عليها. وجعلوها فى الوقت الحاضر متحفاً. وأظهروا بعض الصور المسيحية التى ثم كانت محجوبة بسبب تحويل الكنيسة إلى جامع.

مركيانُس (١٤١ - ١٥٢م):

+ ارتقى من إدارة الإكليريكية إلى كرسى الأسقفية، فى عهد القيصر أنطونيوس، الذى اضطهد المسيحيين.

---

(١) كل تواريخ البابوات منقولة عن كتاب جداول البطاركة ص ٨٠ للأستاذ كامل صالح نخله.

يوليانُس (١٧٨ - ١٨٨م):

+ هو الأسقف الحادى عشر. كان طالباً بالإكليريكية، وبعد اختياره للكرسى، رأى أن الوثنيين لم يسمحوا للأساقفة، بالخروج عن الأسكندرية. فكان هو يخرج سراً منها، ليرسم كهنة فى كل مكان.

+ وقد وضع ميامر لأسلافه.

+ وقبل انتقاله: أعلنه ملاك الرب، أن الكرَّام الذى يأتيه بعنقود عنب. هو الذى يخلفه فى كرسى الأسقفية. وفى ذلك اليوم، بينما كان ديمتريوس الكرَّام، يشذب أشجاره، عثر على عنقود عنب فى غير أوانه وقدمه للأسقف. فسُرّ الأسقف من هذه الهدية، وقص على الأساقفة الرؤيا وأوصاهم بتنصيب الكرَّام أسقفاً بعده.

ديمتريوس (١٨٨ - ٢٣٠م):

+ تولى الأسقفية فى سن الثالثة والستين، وكان أمياً ومتزوجاً، ولكنه لم يقرُب إمرأته. وبقوة الروح القدس، تمكن من التدرج فى العلم، حتى أصبح من علماء عصره.

+ ولما حصل نزاع بين الكنائس بشأن تحديد يوم عيد الفصح، وضع هذا الأسقف نظاماً لضبط حساب هذا اليوم، يُعرَف إلى الآن بحساب **الأبقطى** «الكرمة».

+ ومن فرط تقواه، وهبه الله المقدرة على قراءة الأفكار. فكان يمنع الخطاة المتقدمين للتناول، ويُظهر لهم خطيئتهم ويوبخهم عليها، حتى يعترفوا بها ويتوبوا عنها. ثم يسمح لهم بالتناول من السر الأقدس.

+ وقد اتخذ بعض الناس، مسألة ارتباطه بزوجة، علة للتذمر عليه (إذ لم يجلس قبله على كرسى الأسقفية إلا البتول). فشعر الأسقف بذلك. ثم فى عيد العنصرة، استدعى زوجته، ووضع جمراً متقداً من المبخرة فى مئزرها، كما وضع فى ثوبه. وطافا معاً يبخران الشعب: دون أن تتأثر ثيابهما من النار. فإندهش الشعب، فبادره الأسقف بقوله: «إن من يغلب نار الشهوة، لا تقوى عليه هذه النار الطبيعية. وأن زوجتى هذه هى إبنة عمى، مات أبوها وهى طفلة فنشأنا معاً. ثم أزوجّنى والدى بها. غير أننا تعاهدنا على الأُخوّة، فبقينا هكذا بتولين حتى الآن».

+ فإقتنع المتذمرون، وطلبوا منه الصفح والغفران.

+ وفى عهد هذا الأب. ثار الإمبراطور سافيروس على المسيحيين، فإضطهدهم الوالى لينوس ونهب آمتعة الكنيسة، ونفى الأسقف إلى أوسيم. ولما هدأت الأحوال، عاد الأسقف إلى كرسيه، وبقى إلى أن أنتقل بسلام إلى فردوس النعيم(١).

٢- بابوات القرن الثالث:

ياروكلاس (٢٣٠ - ٢٤٦م):

+ كان ناظراً للمدرسة الإكليريكية بعد أوريجانُس، وأوكل إليه الأسقف ديمتريوس أمر الوعظ بالكنيسة، فإشتهر آمره واختير بعده للأسقفية.

+ وقد أهتم هذا الأسقف برسامة أساقفة للأبرشيات التى خلت، والتى امتدت إليها المسيحية فبلغ من رسمهم منهم عشرين أسقفاً على معظم مدن القطر المصرى.

+ وكان يعامل رعاياه بكل رفق، فلقبوه «بابا» وكان أول من نودى بهذا اللقب من كل الأساقفة المسيحيين فى العالم. بدليل وجود عبارة «بابا وبطريرك وسيد» فى جميع القداسات التى وضعت بعده بقليل.

+ ويثبت هذا ما أورده صاحب كتاب تاريخ الإنشقاق فى (ج ١ ص ٢٩ - ٣٠) بقوله: «وأما أساقفة عاصمة الولايات والأقاليم، أعنى الأولين فى المطارنة فكانوا يسمون «أكسرخوسة الولايات» أو أساقفة أوائل، غير أنه كانت لبعضهم أسماء خاصة أيضاً منذ القديم. فكان أسقف أنطاكية يسمى «بطريركاً» وأسقف اسكندرية يسمى «بابا» وأسقف رومه «أسقفاً» أو أسقف المدينة «أى رومه». أو حَبْراً «وهو اسم مأخوذ عن استعمال قديم للكهنة الوثنيين فى رومه» وأحياناً كان يسمى بابا. أما كلمة بابا فمن الواضح أنها ليست كلمة لاتينية ولا عربية، بل هى شرقية محضة. وأول من سُمَّى بها أسقف الأسكندرية، من أبناء ابرشيته فى القطر المصرى وفى الأسكندرية عينها».

(١) كل تواريخ البابوات منقولة عن كتاب جداول البطاركة ص ٨٠ للأستاذ كامل صالح نخله.

+ وقال افتيشوس بطريرك الملكيين بالأسكندرية (وهو سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر» في تاريخه المطبوع سنة ١٦٦١م) «أن كلمة بابا مركبة من أب آباء ثم أختُصرت إلى «أبابا» وتخففت إلى «بابا» وأنتقلت من كرسى الإسكندرية إلي كرسى روميه». ولكن هذا التعليل غير مقبول لأن (أب آباء) تعبير عربى ولم يكن للعرب وجود فى مصر فى ذلك الوقت بل دخلوها فى القرن السابع.

+ وأما التعليل القريب إلى المنطق لهذه التسمية فهو إظهار عواطف المحبة المتبادلة بين الأبناء وأبيهم الروحى بمناداته باللقب المذكور (بابا).

+ وقد امتد هذا اللقب إلى شمال أفريقيا، بدليل أن كرنيليوس أسقف روما، بدأ معظم رسائله إلى كبريانُس أسقف قرطاجنة فى أوائل القرن الثالث بقوله (السلام من كرنيليوس إلى البابا كبريانُس).

+ وفى القرن الحادى عشر ادعى غريغوريوس السابع أسقف رومه أن هذا اللقب خاص به فقط، بدون وجه حق!! .

ديوناسيوس الأسكندرى (٢٤٦ - ٢٦٤م):

+ وُلد بالأسكندرية وكان وثنياً من مذهب الصابئة (عبدة الكواكب). مرت أمامه يوماً إمرأة عجوز، وبيدها كراسة مكتوبة من رسالة لبولس الرسول تريد بيعها. فإشتراها منها. ولما قرأها وجدها تفوق كتب الفلاسفة الذين سبق فإطلع على مؤلفاتهم، فطلب من العجوز أن تأتى بغيرها. فأحضرت له ثلاث رسائل أخرى، فقرأها بإندهاش وسرور، لجلال اللفظ وسمو المعنى. فلما رأته العجوز متعطشاً للإطلاع على غيرها، أخذته للكنيسة وسلمته للشماس أغسطين الذى أعطاه كل رسائل القديس.

+ وكانت دراستها سبباً فى أن يذهب للأسقف ديمتريوس ويعتمد، ثم انخرط فى سلك المدرسة الإكليريكية فى عهد أوريجانُس. وقد إجتذب ديوناسيوس إخوانَه من الوثنيين، أمثال ثاودروس وغريغوريوس وأثيناغوراس.

+ ثم رسمه الأسقف ديمتريوس شماساً، ورسمه البابا ياروكلاس قساً. ثم سلمه مقاليد المدرسة الإكليريكية.

+ وفى عهده ثار غضب الإمبراطور ديسيوس على المسيحيين فإضطهدهم وأمر بالقبض على رؤسائهم. وقد تمكن البابا من الهرب، غير أن الأسقف جرمانوس أحد أساقفة الأقاليم، عاب عليه ذلك، فأرسل إليه البابا رسالة قال فيها: «إنى أتكلم أمام الله، وأُشهده على نفسى .. أن هروبى لم يكن طبقاً لإرادتى .. بل قبل أن يقع الإضطهاد .. جاء رجل اسمه فرومنتاريوس ليبحث عنى وكنت قد مكثت فى منزلى نحو أربعة أيام أنتظر مجيئه .. ولكنه لم يأتِ إلى بيتى رأساً، بل ذهب يبحث فى كل مكان ... حيث ظن أننى أختبيء، وكأنه ضُرِب بالعَمَيَ فلم يستطع العثور على منزلى .. فمرت الأربعة أيام .. وخرجت من المنزل ومعى أتباعى وكثيرون من الأخوة المسيحيين وكان ذلك بتدبير من الله».

+ وعندما اقتربت الشمس من المغيب كنا قد قرّبنا من مدينة (عند مريوط). فأمسكنى العساكر أنا ورفقائى، وقادونا إلى السجن، ولكن تيموثاوس الذى لم يكن موجوداً، ولم يُلَق القبض عليه، فأنه لما دخل المنزل وجده فارغاً واتفق أن رجلاً من الريف رأى تيموثاوس راكضاً وتلوح عليه دلائل الجزع. فسأله عن السبب. فأوضح له تيموثاوس جلية الخبر. فذهب هذا فى طريقه، وكان قاصداً وليمة عرس. فقص هذا الخبر على المدعوين فنهض جميعهم كرجل واحد. وأسرَعوا كالسيل الجارف واندفعوا علينا كالنور وأخذوا يصرخون .. فلما رأى العساكر ذلك .. هربوا».

+ ثم وصف البابا كيفَ دخل هؤلاء عليه وهو على سرير بدون فراش وكيف أخذوه قسراً وجرّوه إلى خارج المدينة وأركبوه دابة بدون سرج[1].

+ وقد أرسل رسالة يصف فيها هذا الإضطهاد إلى أسقف أنطاكية.

+ وفى عهد الإمبراطور ڤاليريان أيضاً جلد الوالى البابا ثم نفاه (إلي ليبيا) وفى عهد ابنه أُعيد إلى كرسيه. وقد أهتم هذا البابا بالرد على بدعة بولس السميساطى أحد أساقفة أنطاكية. ثم انتقل بسلام سنة ٢٦٤م.

(١) منسي يوحنا، «تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٧٨».

البابا ثاونا (٢٨٢ - ٣٠١م):

+ وكان من قسوس الأسكندرية المشهورين. فأُختير للباباوية وانتهز فرصة هدوء الإضطهادات فجمع أموالاً طائلة وبنى كاتدرائية على إسم السيدة العذراء. وهو أول من شيّد كنائس بالأسكندرية، لأن المسيحيين كانوا يصلون فى المغارات والسراديب. وفى عهد الإمبراطور دقلديانوس، وجه البابا إلى الموظفين المسيحيين رسائل منها:-

١- رسالة إلى لوسيان مدير الخاصة الإمبراطورية ورد فيها « إن الراحة التى تتمتع بها الكنيسة الآن تعزى إلى سبب واحد فقط، وهو سلوك المسيحيين الحسن وأعمالهم الممدوحة التى تضئ كالشمس، فينعكس ضوءها على أعين الملحدين، فتبهر أنظارهم وبذلك يتمجد أبونا الذى فى السموات. فلا أريد أن يُعرَف عنك التباهى والفخر، بل أن تشكر الله الذى أختارك آنية نافعة للبنيان ولنشر كلمة الخلاص، وخلاص الكثيرين».

٢- ورسالة إلى أبنائه أمناء بيت الملك، قال فيها: «إن الله ينهاكم عن أن تبيعوا للآخرين شيئاً من متعلقات القصر خلسة، أو تأخذوا رشوة . ابتعدوا عن الطمع والجشع .. ولا تخرج كلمة قبيحة من أفواهكم .. بل لتكن كل أعمالكم مقرونة باللطف مع العدل وبذلك يتمجدً إسم ربنا. أعتبروا الأوامر التى تصدُر لكم من مولاكم، الذى لم يسء إلى أحد من رجال الله، كأنها صادرة من الله نفسه، لأنه مُقَام منه، ولم يتقلد السيف باطلاً. ألبسوا الصبر كرداء وتمنطقُوا بالفضيلة، وامتلئوا بالرجاء والإيمان والمحبة»(١).

+ وفى عهد هذا البابا كان بالأسكندرية كاهن قديس يُدعَى ثيؤدوسيوس لم يرزق بنسل، وقد تأثرت زوجته صوفية، حين ذهبت للكنيسة فى يوم ٥ أبيب (يوم ذكرى استشهاد الرسولين بطرس وبولس) عندما رأت نساءً كثيرات يُعمدّن أولادهن، وهى تخلو من ولَد، فصلت لله بحرارة ليرزقها نسلاً، بشفاعة هذين الرسولين.

---

(١) تاريخ الكنيسة لمنسي يوحنا ٨٥، ٨٦ ، ومدام بوتشر، تاريخ الكنيسة القبطية جـ ١، ص ١٥٦ - ١٦١ .

وفى الليل رأت الرسولين فى حلم، يعدانها بنسل ويكلفانها بالذهاب صباحاً للبابا ثونا، الذى عندما سمع قصتها باركها. وقد رزقها الله بإبن فدعته «**بطرس**» تيمناً بذكرى أحد الرسولين العظيمين.

+ ثم عمدَّه البابا ثاونا فى الثالثة من عمره. وفى سن الخامسة أبقاه عنده. وفى السابعة رسمه أناغنسنتوساً. وفى سن الثانية عشرة رسمه شماساً، ففاق أقرانه. وفى سن السادسة عشرة رسمه قساً. وقام بالوعظ فى الكنيسة. وكان فى هذه الأثناء مواظباً على تلقِّي العلوم اللاهوتية بالإكليريكية.

+ وعندما طلب سابليوس المبتدع مجادلة البابا، أرسل إليه القس بطرس. فإحتقره المُبتدع لصِغَر سنه، فقال له «أن كنُتِ أمامك صغيراً. فإنى عند الرب كبيراً، والرب يُظهِر كُفرَك به اليوم. وسينصرنى عليك، كما نصر داود النبى على جليات». وأخذ يناظره حتى أفحمه.

+ وفى أحد الأعياد، أتى رجل به شيطان، وأخذ يرجم المؤمنين بالحجارة. فأمر البابا القس بطرس ليخرج إليه ويطرد الشيطان. فأخذ وعاءً به ماء، وقدمه إلى الأب البطريرك ليرسمه بعلامة الصليب، ثم أخذ الماء، وصبَّه على الرجل. وانتهر الشيطان فخرج منه.

+ ولما حانت وفاة البابا ثاونا، أوصىً بإقامة تلميذه بطرس خلفاً له.

البابا بطرس خاتم الشهداء (٣٠٢ - ٣١١م):

+ لما ارتقى البابا بطرس الكرسى الأسكندرى اشتد اضطهاد دقلديانوس (٣٠٣م) فكان يجول وسط المؤمنين، يُثبِّتهم فى الإيمان، ويحضهم على ممارسة الصوم والصلاة والإستعداد للآخرة الصالحة واحتمال بركة الألم للحصول علي الإكليل.

+ وكم استاء عندما رأى ملاتيوس أسقف أسيوط ينهار إيمانه ويسجد للأوثان، ويجُر معه الكثيرين، مما اضطر البابا أن يعقد مجمعاً محلياً بالأسكندرية قرر حرمه ومن شايعه.

+ وكذلك كان لملاتيوس تلميذ يدعى «**أريوس**» أتى تائباً للبابا فقبله وسامه شماساً ثم قساً، ولكنه وقع ثانية فى بدعة إنكار لاهوت السيد المسيح. فحرمه البابا بطرس.

+ ثم قبض الوالى الروماني على البابا بطرس، وأودعه السجن تمهيداً لقتله.

+ ولما شعر أريوس بذلك توسّل إلى بعض وجوه الشعب، أن يصالحوه مع البابا قبل موته. فلما سألوا البابا أن يحل أريوس، رفض. واستدعى تلميذيه ارشلا واسكندر وقال لهما: «رأيت فى حُلم أن السيد المسيح قد ظهر لى، وثوبه ممزق، فقلت له: «من الذى شق ثوبك؟» فقال: «هو أريوس» وعلمت أيضاً أنكما سترقيان الكرسى الأسكندرى بعدى، فأوصيكما ألا تقبلاه».

+ ولما علم المؤمنون بوجود البابا فى السجن، تجمهروا خارجاً لإنقاذه أو الإستشهاد معه. فلكى يُنجىّ البابا جمهرة المسيحيين من القتل، أشار على القائد أن ينقب ظهر السجن لكى يُخرج منه البابا إلى حيث يُقتل. ولما وصل إلى المكان المُعَّد لذلك، بقرب البقعة التى مات فيها مارمرقس، صلى لله لكى يقبل وديعته ثم أعطي الجند خمس قطع من الذهب، ومد رقبته للسياف. فأطاح برأسه ونال إكليله.

+ وقيل إن عذراء كانت تسكن هناك مع والدها، وبينما هى تصلى فى ذاك الوقت، سمعت صوتاً من السماء يقول: «بطرس أول أسماء الرسل، وبطرس آخر شهداء الأسكندرية».

+ وكان هذا البابا آخر من استشهد فى عصر دقلديانوس (وزميله الامبراطور مكسيميانوس الذي كان أشد قسوة منه). وقد أخذ المؤمنون جسده الطاهر وأجلسوه على كرسى الباباوية (الذى لم يجلس عليه أبداً فى حياته. تواضعاً منه) ثم دفنوه بإكرام جزيل.



الفصل السابع

المدرسة الإكليريكية وأشهر فلاسفتها

+ كان القطر المصرى معهد العلم والحضارة من قديم الزمان لمصر والعالم. فقد أُنشئت بمدينة الأسكندرية المعاهد العلمية والتعليمية التالية:

١- **المدرسة الوثنية** (٣٢٣ق.م - ٦٤٠م) أنشأها بطليموس الأول، لدراسة الفلسفة (اليونانية) بمذاهبها المختلفة، وعلوم الطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والموسيقى والتاريخ واللغات - وأُلحق بها قاعات لعمل الأبحاث والمحاضرات وأهمها :-

أ - **المكتبة الكبرى** التى جمعت من الكتب نحو سبعمائة ألف مجلد ثم احترقت عند دخول بوليوس قيصر إلى الأسكندرية.

ب - **المكتبة الصغرى** (السيرابيوم) التى جمعت من الكتب نحو ثلثمائة ألف مجلد. وقد باد معظمها سنة ٣٩٠م أثناء الصراع بين الوثنيين والمسيحيين وأُحرق الباقى سنة ٦٤١م. عندما دخل العرب إلى الأسكندرية (ولو أن هذا الرأي محل نقاش طويل).

جـ - **المتحف** (museum) وهى قاعة كبرى بها مناضد للعلماء، وبهو لإلقاء المحاضرات والمناقشات. ويتبع ذلك حدائق للحيوانات والنباتات، ومرصد فلكى ومعامل وقاعات للتشريح ومجموعات من التماثيل والنماذج لمساعدة العلماء فى الأبحاث.

+ وقد قام العلماء (اليهود) بترجمة التوراة (الترجمة السبعينية) من العبرية إلى اليونانية فى عصر بطليموس الثانى (فيلادلفُس) سنة ٢٨٢ق.م.

٢- **المدرسة الفلسفية** (١٩٣ - ٥٢٩م) وأنشأها أمونيوس السقاُص شيخ الوثنيين. لما رأى إزدهار المدرسة الإكليريكية (المسيحية) وخصصها لتعليم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة (خُلاصة مذهبيَّ أفلاطون وأرسطو).

+ وقد علا شأنها فى عهد مؤسسها وخلفائه بلوتين وبروفيروس إلى أن جاء جامبليك الذى بدأ يقاوم تعاليم المدرسة المسيحية، فأخذت مدرسته تتحول من دراسة الفلسفة

الراقية إلى أعمال السحر والشعوذة، وذلك فى القرن الرابع أيام القيصر البيزنطي يوليانُس الكافر إلى أن اضمحلت وسقطت في عصر چستنيان.

أما المدرسة الإكليريكية المرقسية:

+ فقد أنشأها مارمرقس الرسول في بدء سنّي كرازته. وكان لها شأن عظيم فى تخريج علماء الدين المسيحي، وكان منصب رئيسها فى المرتبة التالية لمنصب البابوية، الذى تولّاه كثير منهم أمثال يسطس وأومانيوس ويوليانس وياروكلاس وديوناسيوس ومن أشهر تلاميذها بطرس خاتم الشهداء وأثناسيوس وكيرلس (عمود الدين) وغيرهم.

برنامج الدراسة:

+ وقد كان برنامج هذه المدرسة فى أول عهدها هو دراسة المبادئ المسيحية التى كان يتلقنها الطلبة على **طريقة السؤال والجواب**. ثم اتسع نظامها فإشتغلت بالعلوم الفلسفية والآداب. وترتب على ذلك وجود صلة قوية، بين علمائها وعلماء المدرسة الوثنية حتى قال عنهم الإمبراطور هادريان «أن عبّاد سيرابيس بالأسكندرية مسيحيون. كما أن أساقفة المسيحية يعبدون سيرابيس»(١)

+ وقد اعتبر اكليمندس الإسكندري أحد فلاسفة المدرسة الإكليريكية الفسلفة علماً إلهياً (وأن الفلاسفة هم أنبياء الوثنية وأن تعاليمهم تمهد طريق المسيحية بين الوثنيين. كما كان ناموس موسى تمهيداً لها بين العبرانيين).

الطَلبَة:

+ أما طلابها فقد اختيروا من أتقياء المؤمنين، الذين لا يهتمون بأباطيل العالم، بل كان يعيش أغلبهم عيشة النُسك والبتولية. والكل يصومون كثيراً. والبعض لا يأكلون إلا مرة واحدة طول النهار، وكانوا يقضون أوقاتهم فى الدراسة والبحث. ثم يخرجون أحياناً ليُعلمُّوا من حولهم من السكان المبادئ المسيحية.



(١) لجنة التاريخ ج ٢ ص ١٢١ والمقصود هو تاثرهم جميعاً بالأسلوب الفلسفي والمنطقي الأرسطي.

أشهر فلاسفة المدرسة اللاهوتية الإسكندرية:

١- العلامة بنتينوس:

+ وُلد بالأسكندرية فى أوائل القرن الثانى،من أصل قبطى. وقيل إنه كان من تلاميذ أثيناغوراس[١]. وكان مُتضلّعاً فى العلم والحكمة (الفلسفة).

+ تولى إدارة المدرسة نحو سنة ١٨١م. واستمر يعمل مع طلبتها إلى أن وصل إلى البابا ديمتريوس خطاب من بلاد الهند يطلب عالماً يعلمهم المبادى المسيحية. فوقع اختياره - نحو سنة ١٨٩م - على هذا الفيلسوف، فسُرّ بذلك، وسلم مقاليد المدرسة إلى زميله إكليمندس الأسكندرى.

+ وأذاع فى الهند بُشرَى الخلاص. ثم مر ببلاد اليمن فوجد نسخة من إنجيل متى، كان قد احضرها برثولماوس الرسول إلي هناك فأخذها معه، وعاد إلى مصر.

+ ثم فكَّر فى ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة المصرية، ولكنه رأى أن كل الخطوط المصرية من هيروغليفية وهيراطيقية وديموتيقية صعبة الكتابة. فإستعار الأحرف اليونانية (التى نقلها اليونان من الحضارة المصرية إلى بلادهم)[٢]. وأضاف إليها السبعة الأحرف الأخيرة من الديموتيقية. وكوَّن منها جميعاً **الأبجدية القبطية**، التى مازالت باقية للآن. وبهذه الوسيلة تمكّن من ترجمة الكتاب بمساعدة تلاميذه إلى اللغة المصرية. وبدأ المصريون فى استعمال هذه الحروف القبطية من ذاك الوقت بدل الخطوط السابقة.

+ وقد وضع تفاسير كثيرة للأسفار الإلهية ولكنها فُقدت. ومات نحو سنة ٢٠٢م.

(٢) العلامة أكليمندس الأسكندرى:

+ قيل إنه وُلد بالأسكندرية وقيل بأثينا نحو سنة ١٥٠م، من عائلة وثنية وانكّب منذ

---

(١) هو من الاسكندرية وتوظّف بمتحفها واعتُبر من أساطين الوثنية واتفق أن يبحث في أمر الدين المسيحي، ليُظهر فساده، فكانت النتيجة عكس ذلك. فاعتنقه وأصبح من فلاسفته سنة ١٧٦م.

(١) عثر العلامة أرثر افانز والعلاّمة سليمان على آثار مصرية بجزيرة كريت. واستنتجا انتقال حضارة المصريين منها إلى اليونانيين.

حداثته على دراسة الفلسفة الرواقية والأفلاطونية، ونبغ فيها. ثم زار اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى. ثم عاد إلى مصر حيث خالط مُعلمّي المسيحيين. وأصبح بعدئذ من مساعدى العلاّمة بنتينوس، الذى بإرشاده أعتنق اكليمندس المسيحية. ونحو سنة ١٩١م رُسِم قساً وأدار الإكليريكية.

+ ولما ثار غضب الإمبراطور ساڤيروس سنة ٢٠٢م على المسيحيين ترك اكليمندس مصر إلى فلسطين وزار أورشليم وانطاكية. وعاد إلى الأسكندرية ومات نحو سنة ٢٢٠م.

+ وقد وفق بين الفلسفة والدين. بوضع تفاسير رمزية للكتاب المقدس. ولأكلمندس ثلاث مؤلفات مازالت موجودة (١) دعوة الأمم الوثنية إلى عبادة الإله الحق (٢) كتاب المرشد أو المربى. فى ثلاثة أجزاء، وموضوعه تثقيف حديثى الإيمان (٣) المتفرقات فى ثمانية أجزاء (وقد طبع مؤلفاته الأسقف بوتسر باللغتين اليونانية واللاتينية).

٢- العلاّمة أوريجانُس (١٨٥ - ٢٥٤م):

+ يعتبر أوريجانُس من أشهر فلاسفة الإكليريكية، بل من الفلاسفة العالميين، علاوة علي عمله البارز في المدرسة الإكليريكية، ولإهتمامه فى حياته بهداية الضالين فى أماكن متعددة، وبأثره الخالد فى مؤلفاته.

نشأته:

+ وُلِد في سنة ١٨٥م بالاسكندرية، من والدين مسيحيين، وكان والده لاونديوس عالماً، فلقنه مباديء الدين المسيحي والعلوم الأخري. فأظهر ذكاءً مفرطاً، وكان يدفع والده الي تقبيله - وهو نائم - في صدره الذي سيصبح خزانة للعلوم والمعارف.

+ ثم أرسله والده الي المدرسة الاكليريكية، في عهد مديرها أكليمندس ففاق أقرّانه. ونشأ قلبه مُفعماً بالدين والغيرة عليه، حتي تعرّض مرات للاستشهاد.

+ وفي عهد الامبراطور ساڤيروس سنة ٢٠٢م قبض الوالي علي لاونديوس وأودعه السجن. ففكر أوريجانوس في الذهاب مع والده، ليقاسي معه آلام السجن والاستشهاد. فمنعته والدته لكي لا تفقدهما معاً. وحجزت ملابسه لكي لا يخرج.

+ فأرسل لوالده خطاباً يقول فيه «حذار أن يُغَيِّر العذاب رأيك. لا تهتم بأولادك، فإن الله القدوس سوف يعتني بنا»(١).

+ وبعد استشهاد والده استولت الحكومة علي ممتلكاته (كما كانت العادة) فتولّته إمرأة غنية. وكان معه في منزلها آخر يُدعي بولس من انطاكية، لم توافق آراؤه آراء أوريجانُس، فترك له المنزل واعتمد علي ذاته، فكان ينسخ الكتب ويبيعها، أو يزاول مهنة التعليم،ليُنفق علي نفسه.

عمل أوريجانُس في الاسكندرية:

+ بلغ الأسقف ديمتريوس نبوغ أوريجانوس، وعلي الخصوص في تشجيع الشهداء بتوجيه أنظارهم إلي السماء.

+ ولما كانت المدرسة الاكليريكية مغلقة - في ذلك الوقت - بسبب الاضطهاد، فقد جمع الاسقف بعض الطلبة وكلف أوريجانُس بتعليمهم، ولكن والي مصر (أكويلا) في عهد الامبراطور كاراكلا، قبض علي خمسة من الطلبة وأحرق أثنين منهم، وقطع رأس اثنين، ولم يبق إلا ياروكلاس الذي نجا من الاستشهاد، ووصل فيما بعد الي كرسي البابوية.

+ أما أريجانوس فقد أجتذب نبوغه الوثنيين، فشغفوا بعلمه وفلسفته، ولكنهم حسدوه لأنه مسيحي، ومرة خطفوه وهو مار في الطريق وحلقوا رأسه، ووضعوا عليه قلنسوة، وألبسوه حلة بيضاء، كما يلبس كهنتهم، وأتوا به قسراً، إلي هيكل سيرابيوم الشاهق، وأصعدوه الي قمته الكُبري، وأعطوه سعفاً ليوزعه علي عبدة الاوثاون، فأسرع أوريجانس ولوّح بالأغصان ونثرها، وهو يقول بصوت عظيم «هلمّوا خذوا هذه الاغصان، لكن ليس برسم الاوثان، بل باسم يسوع خالق الإنسان» فهمّوا بقتله، ولكنّ الرب أنقذه من أيديهم(٢).

+ وقد دفعه شغفه بالعلم والفضيلة إلي الزُهد في الحياة، فكان يقتات فقط بما يمنع عنه الجوع، وينام علي الأرض بلا فراش، ويقضي أكثر الليل في الدراسة والقراءة(٣).

---

(١) اوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ك ٦ ف ٢.

(٢) إبيفانيوس (أسقف قبرص) هرطقة ٦٤:١

(٣) أوسابيوس، ك ٦، ق ٣.

+ وكان أوريجانُس حريصاً علي عفته، ولما كان الجميع من الرجال والنساء يهرعون لسماع عظاته، إضطر الي التردُّد علي بيوت المؤمنين، وتبعته نساء كثيرات. فقد خصي نفسه بالفعل، عملاً بالمعني الحرفي لِماَ ورد في أنجيل متي الرسول «١٩:١٢» فاعتبره طلاب الفلسفة في ذلك العصر، الفيلسوف الحقيقي الذي يطابق قوله عمله.

+ وقد أنكب عي دراسة اللغة العبريَّة، لتساعده علي ترجمة الكتاب المقدس وتفسيره.

+ كما درس فلسفة فيثاغورس وأفلاطون، ليستعين (بالأسلوب المنطقي) علي رد مزاعم أهل البدع. وكان صديقاً لأمونيوس السقاص، ناظر المدرسة الفلسفية (الوثنية).

زياراته في الخارج:

+ زار أوريجانُس رومة سنة ٢١١م بعد أن سبقَّته إليها شهرته. وترك تدبير الاكليريكية الي ياروكلاس.

+ وقام بثلاث رحلات لبلاد العرب كانت أولاها نحو سنة ٢١٢م أو سنة ٢١٣م حيث شرح لحاكم البلاد المباديء المسيحية والثانية في سنة ٢١٤م لمناسبة علمه أن بيرلس أسقف بصرَة (بشرق الأردن) أذاع بدعة وهي «عدم وجود الاقنوم الثاني «الابن» في الثالوث الاقدس قبل التجسد»[١]. والثالثة لدحض بدع أخري أُذيعت هناك منها «موت لاهوت السيد المسيح مع ناسوته، عندما أسلَّم الروح ثم قيامته معه ثانية في اليوم الثالث»، وموت نفس الإنسان مع جسده»[٢].

+ وذهب في سنة ٢١٥م الي قيصرية فلسطين - حيث لقي من أسقفها ثيوسيستُس ومن اسكندر اسقف أورشليم كل اعتبار واحترام، وبالرغم من أن وظيفة الوعظ اختص بها رجال الكهنوت فقط في ذلك الوقت، فإن هذين الأسقفين سمحا لأوريجانُس بشرح الاسفار المقدسة لفرط علمه، وغزارة مادته، وقد لقبَّاه «بسيد شُرَّاح الكتاب»[٣].

---

(١) أوسابيوس ك ٦ ف ٣٣ وسقراط ك ٣ ف ٧.

(٢) اوسابيوس ك ٦ ف ٢٧.

(٣) أوسابيوس ك ٦ ف ٢٧ .

+ وقد استدعته أيضاً سنة ٢٢٨م الي انطاكية، والدة القيصر اسكندر ساويرس، لأنها كانت مسيحية واشتاقت لسماع عظاته(١).

+ وبعثه سنة ٢٢٨م الأسقف ديمتريوس الي أخائية ببلاد أسيا الصغري، ليقاوم هناك الهراطقة(٢) وهناك التقي بالقديسة بربارة وعلمها قواعد الإيمان.

الخلاف بينه وبين ديمتريوس:

+ في اثناء عودته من أخائية ذهب لفلسطين. وكان يعظ بكل مدينة يمر بها، فراق لصديقيه أسقفيّ قيصرية فلسطين وأورشليم، أن يرسماه كاهناً، لأنه لا يجوز لأستاذ الكهنة أن يُحرَم من درجة الكهنوت، فارتضي ذلك وهو في سن الثالثة والأربعين(٣).

+ أنتهز حُساد أوريجانُس بالاسكندرية فرصة رسامته للإيقاع بينه وبين أسقفه ديمتريوس. فتأثر الاسقف من وشايتهم، وعقد مجمعاً بالاسكندرية سنة ٢٣١م، أتهم فيه اوريجانُس بقبول الرسامة من كرسي خلاف الكرسي التابع له، وأثير أيضاً في الاجتماع أنه خصي نفسه(٤)، فصدر الحكم عليه بالحرم.

+ اضطر اوريجانُس بعد هذا أن يهجر مصر الي فلسطين، فأسس في قيصرية(٥) مدرسة ذاعت شهرتها.

+ وبعد موت ديمتريوس، أرتقي كرسي البابوية تلميذا أوريجانُس «ياروكلاس وديوناسيوس علي التوالي» ورجاه كل منهما في العودة الي الأسكندرية، ولكنه رفض(٦).

---

(١) اوسابيوس ك ٦ ف ٢١.

(٢) اوسابيوس ك ١٢:٣٢.

(٣) اوسابيوس ك ٦ ف ٢٣ وايرونيموس في كتاب مشاهير الرجال ف ٥٤ و ٦٥.

(٤) ايرونيموس مشاهير لرجال ف ٦٢.

(٥) اوسابيوس ك ٦ في ٢٢٦ .

(٦) اوسابيوس ك ٦ ف ٢٦ و ٢٧ ـ ٣٢.

الاضطهاد الذي لاقاه:

+ اضطهد الامبراطور مكسيميانُس أوريجانُس، فاضطره أن يفر من قيصرية فلسطين، الي قيصرية كبادوكية، حيث أختبأ سنتين في بيت امرأة غنية تُدعي يوليانة، كانت تملك مكتبة ثمنية، اشترتها من سيماخُص أحد علماء الابيونيين، فكانت هذه فرصة لأوريجانُس ليطلع علي نفائسها، وفي سنة ٢٣٨م رجع الي قيصرية فلسطين.

+ ولما تولي ديسيوس الامبراطورية، اضطهد اوريجانُس سنة ٢٥١م وطرحه في السجن، وكبّله بالقيود، فوصف حالته أوسابيوس بقوله «يصعب علي الكاتب الماهر أن يصف ماقاساه أوريجانُس واحتمله بصبر وفرح. اذ وضعوه في مقطرة من حديد، وزجوه في أعماق السجن، حيث ظل بضعة أيام مطروحاً علي خَشبة وهو مشدود بأربع وثاقات، لا يستطيع معها الحراك، وهم يشعلون النار من حوله تهديداً له. ولكنه لم يُبدِ ضجراً... ولما أنتهي القوم من تعذيب اوريجانُس بكل أصناف العذاب، قدموه للحكم عليه بالموت، فسعي الحاكم الموكل بتنفيذ الحكم جهده، في تأخير موته ليطيل عذابه»(١).

+ وكتب إبيفانيوس(٢) اسقف قبرص يصف حالة أوريجانُس بقوله «إن الوالي أتي بأوريجانُس يوماً - وهو في السجن - وعرض عليه أحد أمرين: إما أن يرتكب رغماً عنه أمراً مخلاً بقانون العفة، أو يقدم بخوراً في مجمرة كانت معه باسم الأوثان، فلشدة حرص أوريجانُس علي عفته، آثر أن يلقي في المجمرة بخوراً. وبذلك أُطلِق سراحه»!!

+ ولكن بعض المؤرخين استبعد حدوث هذا من أوريجانُس(٣) لأن كاتب هذا النص، كان عدواً له: إلا أن البعض الآخر، رجّح حصوله استناداً الي قول لأوريجانُس يرثي حاله: «أيها البرُج العالي كيف أنك سقطت الي الحضيض بغتة؟!... ويلّي فإني كُنت مشتملاً

---

(١) اوسابيوس ك ٦ ف ١٩.

(٢) من رجال أواخر ق ٤ م وتوفي سنة ٤٠٣م.

(٣) اوسابيوس ك ٧ ف ١

بمواهب ونِعَمَ وقد عُرِّيت عنها جميعاً... إين من نزل من أورشليم آلي اريحا وعني بأمر جريح اللصوص؟ أنجدني يارب».

وفاة اوريجانس:

+ لم تطل أيام أوريجانُس بعد السجن، فقد بقي مدة يعاني الآلام المُبرّحة التي تركتها قيوده، فأنهكت جسمه، ثم مات سنة ٢٥٤م ودُفن بمدينة صور وعمره تسع وستون سنة، وشيدت فوق قبره كنيسة.

+ وقد قال عنه الأسقف أوسابيوس.«كانت حياة هذا الرجل أعظم مُفسِر لعظاته»[(١)].

آثار أوريجانُس:

+ في سنة ٢١٢م تعرّف أوريجانُس بغني يُدعَي امبروسيوس «من أتباع فالنتيوس المبتدع» فهداه الي الصواب، ثم استعان بأمواله في شراء المؤلفات التي استعان بها علي التأليف وفي دفع أجور سبع النساخ الذين كان يملي عليهم أوريجانُس ما يريد تحريره. كما ساعدته ظروف الاختلاط بالعبرانيين، في فلسطين علي إتقان اللغة العبرية. ثم الاستعانة بها في ترجمة الكتاب المقدس وتفسيره.

+ ومما نشره بالإسكندرية تفسيره لأسفار التكوين والمزامير ومراثي إرميا وانجيل يوحنا، ورسالته في القيامة ورسالة «ستروماتا»(أي مجموعة فوائد) Stromata .

+ وقد أهتم أوريجانُس بجمع أربع ترجمات للكتاب المقدس (من العبرانية الي اليونانية)، فوضعها في مجلد واحد. لكل ترجمة منها عامود خاص، وهي ترجمة كل من أكويلا وسيماخُس والسبعينية وثيؤدوسيوس.

+ وبعد أن تعلّم العبرية وضع مجلداً ثانياً، يشمل هذه الترجمات، مضافاً اليها النص العبراني، ثم النص العبراني بلفظ يوناني، وسُمي هذا المجلد (اكزابلا) Hexapella أي السُداسي (= ٦ أعمدة).

---

(١) المؤرخ الكنسي الأسقف أوسابيوس القيصري (راجع كتابه، طبع مكتبة المحبة).

+ ثم عثر علي ثلاث ترجمات أخري، لا يُعلم زمان ترجمتها. فوضعها في الدرجة الثانية، بعد الترجمات السابقة، ووضع الجميع في مجلد ثالث أسماه «أنابلا» (Anapella) أي التُساعِي (٩ أعمدة في الورقة).

+ **ومن مؤلفاته المشهورة:** (الرد علي كلسوس) و (مجموع مقالات في الصلاة الربانية) و (في الشهداء) و (في الرئاسات) و (شرح الكتاب المقدس) و (المتنوعات) و(القيامة)(١).

+ ومما جاء في كتاب الرد علي كلسوس(٢) ما يأتي: «ربما كان الأليّق بنا، أن نقتفي أثر يسوع المسيح الذي كان صامتاً أمام قُضاتِهِ ولم يُجِب عن الافتراء... إلا بقداسة سيرته وبشهرة آياته... فلا أكتب إذن لأجل تأييد المؤمنين الحقيقين لأن المحاماة عنهم، خارجة عن حُكم اللزوم، بل أكتب لأجل غير المؤمنين الذي يمكنهم أن ينالوا فائدة من هذا التعليم... نظراً للنبوات ينبغي بالعدل أن نصدق كتب اليهود ولا يجب الشك في أقدميتها» (٣).

+ وردّ أيضاً علي كلسوس بخصوص نسبة معجزات السيد المسيح الي السحر فقال: « إنه توجد وسائط أكيدة يُميّز بها سحر إبليس عن المعجزات الحقيقية التي هي عمل الباري تعالي، وهذه الوسائط تقوم بالفحص عن آداب صانعيها وتعليمهم... فموسي والأنبياء، ويسوع وتلاميذه، لم يعملوا إلا ماكان مطابقاً للصواب وجزيل الفائدة للآداب الصالحة للجمهور. موسي هذب أمة برمتها وساسها بنواميس مقدسة... ويسوع المسيح ضم جميع الأمم الي معرفة الإله الحقيقي، والي مباشرة كامل الفضائل. أما الخُبثاء والكذبة فلا يبغون إصلاح الناس، ولا لسحرهم ومكرهم نتائج صالحة».

* « فأنبعاث يسوع من الموت... وأساس الدين المسيحي لا يمكن قط أن يُشَبّه بمكر لأن يسوع مات مُشهَّراً، مُعلقاً علي الصليب تجاه كامل الشعب اليهودي، ودُفِن

---

(١) أنظر منسي يوحنا ص ٥٢ - ٥٦ .

(٢)كلسس Celsus فيلسوف وثني هاجم المسيحيين(Origen, Contra Celsum).

(٣) كما قال ليمون الفرنسي، جـ ١ ص ١٠٤ - ١٠٩ .

وبقي في القبر ثلاثة أيام... وظهر مـدة أربعين يوماً للرسل. فلو لم يشاهدوه منبعثاً ولو لم يتيقنوا من ألوهيته، لما كـانوا قد عرضوا بنفوسهم للعذاب... بل لكان موته المُخجل ماحياً من عقولهم ذكره... فوجب أن يكونوا قد شاهدوا أمراً خارقاً للعادة، حتي اعتنقوا تعاليمه وجعلوا غيرهم يعتنقونها... وكيف يمكن أن أُناساً جهلاء وأُميين يقدمون علي تغيير العالم بأسره إن لم يكونوا مؤيدين بقوة إلهية؟!».

* ثم أثبت سمو الدين المسيحي **من التغيير الذي يعمله في معتنقيه** بقوله: «لو شفي أحد مائة إنسان من رذيلة الزني – يستصعب الظن – أن ليس فيه شيء فائق للطبيعة. فهل من المعقول في جمهور وافر من المسيحيين انقبلوا عما كانوا عليه منذ قبلوا هذا التعليم فأصبحوا معتنقين العفة الكاملة؟ .... ».

* «إن قواعد آداب المسيحية ترفعهم كثيراً فوق غير المسيحيين... وإن وُجد أحد مُدَّنساً بالقباحات، فليس هو من عداد الحاضرين اجتماعاتنا».

* ثم قال «إن المسيحيين يرعون زمام الأمانة لملوكهم حق المُراعاة، فهم بعيدون عن إنشاء أي سجَس حتي أنهم بمقتضي أمر سيدهم... لا يستعملون أسلحة ضد أعدائهم إلا بالصلاة والصبر... فإن الله سبحانه هو المُهتم بمصالحهم».

* «فضلاً عن أن الظالمين، لم يستطيعوا أن يستأصلوا المسيحيين. نري أن موت الشهداء لم يزل يزيدهم عدداً... ولئلا يُظَن أنهم يصنعون ذلك رغبة في ربح، لم يكونوا يقبلون شيئاً... حتي ولا ماكان لازماً لمعاشهم».

* ثم أظهر أوريجانُس مايُتبَع من الشدة مع من يريدون إعتناق الدين المسيحي بقوله: «لم يكونوا يهملون إجراء الامتحان بقدر الامكان علي الذين يريدون اعتناقه... عندما كانوا يشاهدونهم في عزم شديد ومخلص، علي أن يسلكوا سلوكاً جيداً، كانوا يدخلونهم في الجمعيات مميزينهم ايضاً بمصاف المبتدئين ومصاف المتقدمين، وكانوا يخصصون أُناساً مخصوصين بالسهر علي سيرتهم لكي مايبعدوا ـ عن الاجتماع ـ من لم يكن سلوكهم مطابقاً للدين المسيحي».

الاختلاف بخصوص مؤلفاته:

+ أدّعيَ البعض أن أوريجانُس قد وقع في أغلاطٍ. ونسبوا اليه آراءً منها (أن النفس

خُلقت قبل الجسد، ووُضِعت فيها لمعاصٍ أرتكبتها) و (أن المسيح أخذ جسداً بلا نفس ثم تركته بعد الصلب) و (أن عذاب البشر محدود) و (أن الشياطين يخلصُون)·

+ ولما بلغ أوريجانُس هذا كتب في ميمره الخامس والعشرين عن إنجيل لوقا: «أن من دواعي سرور أعدائي أن ينسبوا إليَّ آراءً لم أتصوّرها ولم تَدُر بفكري»!

+ ويقول الواقفون علي الحقيقة أن هذه الآراء لا أثر لها إلا في الترجمات اللاتينية التي وضعها بعده روفينوس الأكويلي القائل في مقدمة كتابه «أني لم أقصد إلي إصلاح بعض عبارات أوريجانوس إلا بقصد تهذيبها»!

+ وقال غريغوريوس العجائبي تلميذ أوريجانُس في دفاعه عنه «إنه كان يحذّرني من الاستناد فيما يختص بالدين علي الفلسفة البشرية»·

+ ولكن أوريجانُس كان يُجهد ذاته في فهم الفلسفة اليونانية، ليستعين بها علي تأييد الديّانة المسيحية· وقد أشار الي ذلك في رسالة قال فيها «كما أن العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين وفضتهم تابوت العهد والكاروبيم وأواني المذبح، كذلك يجب علينا نحن المسيحيين، أن نصنع بفلسفة اليونان... ولكن حذار من أن ننقل شيئاً منها إلي دين الحق، لئلا نضل، ونكون مثل يربعام الذي تزوج بابنة ملك مصر... فأبدل عبادة الاله الحقيقي بعبادة أصنام المصريين)[1].

+ وقد ورد في كتاب «مختصر تاريخ الأمة القبطية[2] دفاع مستفيض عن أوريجانُس حيث استنتج من أقواله ماينفي كل تهمة وُجهّت إليه·

+ ويوجد كثيرون يعتبرون أوريجانُس محروماً، ولا يُقُدرون مؤلفاته وآخرون يؤيدون براءته ويحترمون مؤلفاته·

---

(١) رسالة أوريجانس إلي القديس غريغوريوس صانع العجائب رقم ٢·

(٢) سليم سليمان ص ٣٨٧ – ٣٩٠·

+ فمن الفريق الأول الأسقف ديمتريوس وأبيفانيوس أسقف قبرص وثاوفيلس بابا الأسكندرية.

+ ومن الفريق الثاني البابوات ياروكلاس وديوناسيوس وأثناسيوس والأساقفة ثيوسيتس أسقف قيصرية فلسطين، واسكندر أسقف أورشليم وغريغوريوس العجايبي وغريغوريوس الثيؤلوغس (الناطق بالإلهيات) وباسيليوس الكبادوكي. ثم الاخوة الطوال القامة وايسونورس مدير مستشفي الاسكندرية وديديموس الضرير مدير الاكليريكية (والمعاصر للقديس أنطونيوس).

+ ومنهم بمفيليوس البيروتي وقد نسخ مؤلفاته بيده وكتب عنه وهو سجين «أن لخصوم الفيلسوف عقولاً قاصرة عن الخوض في عُمق مباحثه الواسعة وعاجزة عن إدراك سمّو المعاني التي يرمي إليها من كان معلماً للكنيسة بعد رسل الرب».

+ ومنهم القديس يوحنا فم الذهب.وقد كتب الي أُسقف قبرص يقول «إعلم ياأبيفانيوس أنه لا يمكنا أن نُسيء الي الذي مات تقياً وليس في استطاعتنا أن نحرم أسفاراً أعتبرها أباؤنا أرثوذكسية، فضلاً عن أننا لم نجد فيها أثراً للهرطقة».

+ وأما إيرونيموس فقد كان من هذا الفريق الأخير. ثم أنقلب الي الفريق الأول، وقد قال قبل أن يختصم الاوريجانيين «لم يكن أوريجانُس كاتباً عذب المشرب فقط، يرتاح اليه أمراء الكتاب. أو مجرد مؤلف فاق نُظراءه بمؤلفاته المثمرة، بل كان بلا جدال المُعلّم الأول لجميع الكنائس بعد الرسل. ولا شك في أن آراءه، تُعبّر عن الأرثوذكسية، أما الذين استوقد الحسد ضلوعهم، فاتهموه بالهرطقة، فإن هُمُ إلا كلاب تنبح».

+ وقال بعد أن اختصمهم «وافقونا علي أن أوريجانُس انخدع في بعض المسائل فلا يبقي لي ما أقول. وإن اعترضنا من يحسدونه علي فخره ببعض أغلاط له. فليعلموا أن الخطأ من شِيَم كبار الرجال.فلا نتمسك بزلات من لا نستطيع مجاراته في فضائله»(١).

(١) أنظر تاريخ الامة القبطية، لسليم سليمان ص ٣٩٠ – ٣٩٩.

٤ - غريغوريوس العجائبي:

+ وهو تلميذ أوريجانُس، وُلِد بقيصرية البحر الاسود أوائل القرن الثالث. وانكَبَّ علي دراسة العلوم. ولم يبلغ سن الشباب حتي فَقَد والديه، فذهب مع أخيه الي قيصرية فلسطين حيث بقيا مع أختهما (المتزوجة بأحد موظفي الحكومة). ثم قصدا الي بيروت لدراسة القانون. وبعد عودتهما الي قيصرية فلسطين إلتقي غريغوريوس بأوريجانُس، الذي حوَّله الي معرفة الديانة المسيحية. وحثه علي قراءة الكتاب المقدس. ثم ذهب الي الاسكندرية حيث درس علم الطب والفلسفة.

+ ثم اعتنق المسيحية واعتمد، وصار قُدوة صالحة، وقد مكث بمدرسة أوريجانُس خمس سنين، رجع بعدها الي وطنه، حيث اختلي في البرية للتعبُّد، ثم أجبره شعب بلده ليكون أسقفاً عليهم، ولم يكن بها سوي سبعة عشر مسيحياً، فأنكب علي العمل وسطهم بوعظه وعجائبه وحُسن سيرته، حتي أصبح عدد غير المسيحيين قبيل وفاته سبعة عشر (وثنياً) فقط.

+ وقد اشتهر بالعجائبي لكثرة عجائبه. ففي الاسكندرية حسده شبان الوثنيين علي سمو علمه، وبينما كان في محفل علمائهم، دفعوا زانية لتطلب منه أُجرتها، علي زعم أنه ارتكب معها الإثم، فلم يضطرب من إدعائها، بل أمر تلميذه أن يُعطّيها ماتطلب. فلما قبضت النقود اعتراها بغتة روح نجس، فألقاها علي الأرض، واعترفت بكذبها، ولعنت من حملها علي إساءة سُمعة رجل طاهر. وبصلاة القديس فارقها الروح النجس، وتعلمت الدرس القاسي.

+ وقد أتفق يهوديان علي أن يزيلا شهرة عجائبه. فتظاهر أحدهما أنه ميت وطلب الثاني من القديس صدقة للدفن، فأعطاه رداءه. فضحك اليهودي ونادي زميله ليشاركه في التهكُّم علي رجل الله. فوجده قد فارق الحياة حقيقةً. ويرجع حصول هذه الحادثة بفلسطين.

+ وعندما ذهب الي قيصرية البحر الاسود، انذعزت الشياطين من صلواته، وهربت من

هيكل الأصنام، ولما شعر كاهنها بذلك، طلب الي القديس ان يسمح للشياطين بالرجوع، فكتب ورقة قال فيها: «من غريغوريوس الي الشيطان، إرجع الي الهيكل» ثم أخذها الكاهن ووضعها علي المذبح فرجعت الشياطين. فشعر الكاهن بضعفها أمام قوة الاله الذي يعبده القديس. ثم آمن بالسيد المسيح، ومعه كثيرون من الوثنيين.

✣ ✣ ✣

ملحق خاص بأسماء مديري الأكليريكية

+ أنشأ مرقس الرسول المدرسة الأكليريكية، لتدريس العلوم اللاهوتية، والعلوم الأخري كالفلسفة والمنطق والطبيعة والرياضة والفلك والموسيقي[1].

+ **أما مديروها فكانوا كما يلي:-**

- **في القرن الأول:** يسطس وميليوس وكردونوس وبريموس.
- **وفي القرن الثاني:** أومانيوس ومركيانس وبنتينوس واكليمندس الاسكندري.
- **وفي القرن الثالث:** اوريجانُس وياروكلاس وديوناسيوس وثاؤغنست وبيروس وأرشلاوس وبطرس.
- **وفي القرن الرابع:** سيرابيون ومقار السياسي وديديموس الضرير.
- **وفي القرن الخامس:** رودون .

+ وقد شهد بوجود هذه المدرسة موسهيم المؤرخ (البروتستانتي) بقوله: «كان أشهر المدارس مدرسة الأسكندرية التي كانت تُسمي المدرسة الكاتيشيس «أي تعليم قواعد الايمان علي طريقة السؤال والجواب»... وقيل إن مرقس الرسول هو الذي أنشأها»[2].

✣ ✣ ✣

---

(١) أوسابيوس، ك ٥ ف ١٠، وك ٦ ف ١٨.

(٢) موسيهم، تاريخ الكنيسة، ك ١ ص ٣٨.

الباب الرابع

المؤلفات وكيفية العبادة والبدع والانشقاق

الفصل الأول

أهم المؤلفات المسيحية في العصر الوثني وكيفية عبادة المسيحيين

+ كان المسيحيون الأُوَل يستمدون نظام حياتهم الروحية من التعاليم الشفوية، التي سمعوها من السيد المسيح، أو من رسله الكرام، ثم بدأ الانجيليون والرسل يدونون هذه التعاليم كتابةً في رسائلهم، ففي سنة ٣٩م كتب القديس متي أنجيله، ثم كُتِبتَ باقي الرسائل بين سنتي ٥٢ - ٧٠م فظهرت كل مجموعة من المجموعات الآتية في وقت واحد تقريباً:

* **المجموعة الاولي**: تسالونيكي الأولي والثانية وأعمال الرسل.
* **المجموعة الثانية**: كورنثوس الأولي والثانية.
* **المجموعة الثالثة**: لوقا ورومية وغلاطية.
* **المجموعة الرابعة**: مرقس ويعقوب.
* **المجموعة الخامسة**: أفسس وكولوسي وتيطس وفليمون.
* **المجموعة السادسة**: فيلبي وعبرانيين وبطرس الاولي.
* **المجموعة السابعة**: بطرس الثانية ويهوذا.
* **المجموعة الثامنة**: تيموثاوس الأولي والثانية ويوحنا الأولي.
* **المجموعة التاسعة**: يوحنا الثانية والثالثة.
* **المجموعة العاشرة**: رؤيا يوحنا وإنجيله. وقد كتبهما نحو سنة ٩٨م.

+ وظهرت في هذه الأثناء أيضاً **قوانين الرسل**، المُرسلة علي يد إكليمندس الروماني، ووضعها الأقباط في كتابين أولهما يحوي ستة وخمسين قانوناً، ثم تعاليم الرسل المسماة «**بالدسقولية**».

+ وقد كتب بعض من عاصر الرسل رسائل منها رسالتان من أكليمندس الروماني الي أهل كورنثوس، ورسالة من بوليكربُس إلي أهل فيلبي، وست رسائل من أغناطيوس الثيؤفورس (حامل الإله) الي جهات مختلفة. ورسالة في اللاهوت والكهنوت لديوناسيوس الأريوباغي، وكتاب هرماس (الراعي) مقسماً إلي ثلاثة أسفار(كتب) وهو الآن باللغة اللاتينية.

+ وفي القرنين الثاني والثالث وضع ايريناوس أسقف ليون مؤلفاته الخمس. ووضع اكليمندس الاسكندري كتاب «المتنوعات»، ووضع اوريجانُس وآخرون مؤلفات كثيرة.

نظام الصلاة عند المسيحيين الأوائل:

+ كان المسيحيون في العصور الأولي، يؤدون الصلاة، إما علي انفراد (الصلاة الفردية) وإما مع عائلاتهم (الصلاة العائلية)، وإما مع جمهور المؤمنين (الصلاة الجماعية). وذلك بتلاوة المزامير والترانيم الروحية، بحرارة وخشوع، وقراءة فصول من الكتاب المقدس وسِيَر الشهداء، في كل صباح ومساء.

+ ويقود الصلاة الجمهورية قس أو أسقف يعاونه فرقة من الشمامسة، ويقدم الاسقف أو القس العشاء الرباني من الخبز والخمر، ويشرَع الشمامسة في التراتيل إلي أن ينتهي الاسقف من تبريك الخبز والخمر وتقديسهما بصلوات خصوصية ومعلومة ويجاوبه الشعب (آمين)[1].

+ وكان النظام يقضي باجتماع الشعب **في يوم الأحد** للصلاة الجمهورية، وقال القديس يوستينُس الشهيد في ذلك: «نحن الساكنين في المدن والبلاد نجتمع يوم الأحد في مكان واحد»[2].

الأعياد في الكنيسة الأولي:

+ كان المسيحيون في العصور الأولي، يحتفلون بأعياد الميلاد والقيامة والعنصرة والتجلي[3]، وقد نصت الدسقولية وتاريخ الكنيسة علي هذه الأعياد.

(١) أنظر موسيهم ١ ف ٤ (٢) ايسونورس ، جـ ١ ص ١٤٨

(٣) أنظر علم اللاهوت للقمص ميخائيل مينا ص ٤٣٤ (راجع طبعة المحبة من إعدادنا).

الأصـــوام:

+ كانوا يصومون الأصوام المعروفة الآن كما يشهد الاسقف يعقوب الأول الروماني بقوله: «أن كل الأصوام من تقليد رسولي، فضلاً عن وجودها في قوانين وأوامر الرسل»، ولكن تواريخ البروتستانت والانجليز اقتصرت علي ذكر صوم الأربعين المقدسة وصوم يومي الأربعاء والجمعة، كما ورد في كتاب «تاريخ كنيسة المسيح» (للبروتستانت المطبوع سنة ١٨٣٩م ص ١٠٠) «أن الصوم كان عند المسيحيين جميعاً «أسبوعياً» وسنوياً، ففي الأسبوع كان يومي الأربعاء والجمعة حتي العصر، وفي السنة كان الصوم الكبير» وذكر كتاب تاريخ الكنيسة لوسهيم المؤرخ البروتستانتي[1] صوم أسبوع الآلام.

التعميد:

+ كانوا يهتمون جداً بالمعمودية، كما رسمها الرسل. فيحضر الموعوظون، الذين تم اختبارهم الي البيعة، لابسين ثياباً بيضاء، إلي حيث حوض ماء يتسع لتغطيسهم، فيغسطون فيه ثلاث دفعات - بعد أن يكونوا قد جددوا اعترافهم بالايمان، وأقرّوا بالاّ صلة لهم بعبادة الأوثان.

+ وبالنسبة للأطفال، كان يتكفل بتربيتهم - حسب مباديء الانجيل المقدس - فُضَلاء يُدعون «أشابين» أو وكلاء، وهؤلاء عند المعمودية يقومون مقام الاطفال بالاعتراف بالمسيح، وجحد الشيطان.

+ وقد أيد عماد الأطفال، ديوناسيوس (في كتابه رئاسة الكهنوت ص ٧ ١١) بقوله: «هذا الأمر افتكر به معلمونا الإلهيون، ورأوا موافقاً أن نقبل الأطفال علي هذا الوجه الشريف، أي أن يُسلِّم الوالدان الطبيعيان ولدهما المتقدم، لُمربٍ صالح».

(١) قسم ٢، رأس ٢، فصل ٤، ص ٧٤.

+ ولم تسمح الكنيسة، إلا للأسقف أو القس، بحق التعميد. فقال إغناطيوس في رسالته إلي أزمير «لا يسمح لكم أن تُعمّدوا أو تُقرّبوا قرابين وتقدموا ذبيحة بدون أسقف».

+ وورد في أوامر الرسل «أننا لا نسمح بحق التعميد لأحد من الأكليروس، مثل القارئين والمرتلين والبوابين ورجال الخدمة (الشمامسة) إلا للأساقفة والقسوس وحدهم، الذين يخدم معهم الشمامسة» (ك ٣ ق ١١)(١).

+ وكانوا يعتقدون اعتقاداً عظيماً في قوة سر المعمودية، كما يظهر ذلك من قول ترتليانس «إن تلاميذه المسيح عمدوا كخدام المسيح، ويوحنا عمد كسابق، فتكون معمودية التلاميذ هي معمودية يوحنا نفسها، لا معمودية أخري، إذ لم توجد ولا توجد معمودية أخري، سوي المؤسسة من يسوع المسيح، وهذه المعمودية، لم يكن ممكناً أن تتم وقتئذ من التلاميذ، لأنه في ذاك الوقت، لم يكن مجد الرب قد اتضح تماماً، وفاعلية الحميم، لم تكن بعد قد تأيدت بآلامه وقيامته، فقبل تألم الرب وقيامته لم يكن شيء آخر يتحصل به الإنسان علي الخلاص، سوي الإيمان وحده، الذي لما توشح قوة وقدرة، بآلام الرب وقيامته، جعل سر المعمودية المقدسة تاماً... لأن الايمان قبل المعمودية كان فارغاً... وأما الآن فقد مُنحت شريعة (سر) المعمودية حيث قال: «اذهبوا وعمدوا، وإن لم تولدوا من الماء والروح لن تقدروا أن تدخلوا ملكوت السموات». فخضع الايمان لضرورة المعمودية. ومن ذلك الحين وجميع المؤمنين يعمدون في المعمودية(٢).

سر الميرون:

+ قال ترتليانس «بعد خروجنا من حميم المعمودية، مُسحنا بزيت مقدس، تبعاً للتكملة القديمة. كما كانوا قديماً يُدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت، أن المسحة تتم علينا جسدياً، لكننا نستثمر منها أثماراً روحية – كما في المعمودية – حيث نعتمد جسدياً

(١) ايسونورس جـ ١ ص ١٤٩ – ١٥٠.

(٢) ص ١٥١ .

بالماء ونستثمر أثماراً روحية، إذ نتنقي من خطايانا، وبعد ذلك توضع اليد التي مع البركة: تستدعي الروح القدس وتحدره «في المعمودية: ٧»)[١].

سر الأفخارستيا (الشكر):

+ قال عنه أغناطيوس «أنهم يبتعدون عن الأفخارستيا والصلاة، لعدم اعترافهم بأن الافخارستيا هي جسد مخلصنا يسوع المسيح الذي تألم لأجلنا[٢]».

سر مسحة المرضى:

+ قال موسهيم «إن المسيحيين الأولين لما مرضوا مرضاً خطيراً كانوا يدعون شيوخ الكنيسة حسب قول يعقوب (١٤:٥) وبعد أن يعترف المريض بخطاياه، يستودعه الشيوخ لله، بالتضرعات الخشوعية، ويدهنوه بزيت»[٣].

سر الزيجة:

+ قال أغناطيوس: «يجب علي المتزوجين والمتزوجات أن يُجُّروا اتحادهم برأي الأسقف، لكي يكون الزواج مطابقاً لإرادة الله،لا بحسب الشهوة» (رسالته لبوليكربُس ف ٦).

+ وقال ترتليانُس «كيف يمكنا أن نُعّبر عن سعادة الزيجة، التي تشجعّها الكنيسة ويُثبّتها القربان (التناول) وتختمها البركة» (الرسالة لإمرأته ٢:٩)[٤].

سر الكهنوت:

+ قال اغناطيوس: «اتبعُّوا الأسقف كلكم، كما يتبع يسوع المسيح أباه. واتبعوا

---

(١) ايسونورس جـ ١ ص ١٥٢

(٢) ايسونورس جـ ١ ص ١٥٣.

(٣) موسهيم ق ١ ق ٢ ف ٤ س ٤٣

(٤) ايسونورس جـ ١ ص ١٥٤

الكهنة كالرُسل وأكرِموا الشمامسة حسب وصية الله» (رسالته إلي أهل أزمير، فـ٨)(١).

سر الاعتراف:

+ كانوا يحتسبونه سراً ضرورياً. وكانوا يُلزمون الخاطيء التائب بالاعتراف شفوياً بخطاياه، إما علناً أمام الكنيسة، وسراً أمام أحد الكهنة. ويجري بعد ذلك فعل الندامة، ويُؤَدِّي السرِ الكنسي للتائب، لينال الحِلْ من خطاياه.

+ **وقسموا التائبين إلي أربعة صفوف:-**

١) **صف الباكين:** وكانوا يقفون في مدخل الكنيسة متضرعين الي الداخلين ليصلوا عنهم.

٢) **صف السامعين:** وكان يُسمَح لهم بالدخول في أماكن خاصة لسماع الوعظ والرسائل. ثم يتم الانصراف قبل بدء صلوات القداس.

٣) **صف الراكعين:** وكانوا يقيمون مدة الصلاة ركوعاً.

٤) **صف المشتركين:** الذين يُسمح لهم بالاشتراك في الصلاة، ولا يُسَمح لهم بالتناول من الأسرار المقدسة (انظر ايريناوس، ضد الهرطقات. وترتليانس، في التوبة، وموسيهم ق ١ ق ٢ ف ٣)(٢).



(١) ايسونورس جـ ١ ص ١٥٦.

(٢) ايسونورس جـ ١ ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

الفصل الثاني

البدع في عصر الإباطرة الوثنيين

+ بالرغم مما ذكره السيد المسيح، وكتبه الرسل ومن عاصروهم، وأوصواء «بضرورة التمسّك بصورة الكلام الصحيح»[1] «وحفظ التقليدات التي تسلموها إن كان بالكلام الصحيح». «وحفظ التقليدات التي تسلموها إن كان بالكلام أم بالرسالة»[2]. وأن يحفظوا ماتعلموه وتسلموه وسمعوه من الرسل[3].فقد ظهر في الكنيسة مبتدعون: وأشار اليهم الرسول في (١ كو ١١:١٩) بقوله «فلابُد أن يكون بينكم بدَع»٠

+ وكان هؤلاء المبتدعون، إما من أصل وثني، أو من أصل يهودي، وأراد كل فريق منهما أن يوفق بين ديانته الأصلية والمسيحية، في بحث ذات الله والاقنوم الثاني (الإبن الكلمة) وتجسد السيد المسيح٠ فترتب علي ذلك خلط الاراء وظهور البدَع٠

خلط الآراء اليهودية بالمسيحية:

+ ظهر بهذا أبيون، الذي عاش في القرن الأول بعد خراب أورشليم، فارتأي «أن السيد المسيح وُلِد من يوسف ومريم ولادة طبيعية، وأمتاز عن الناس بالفضيلة والطهارة، ولا يكفي الايمان به للخلاص، بل ينبغي أن يتحد باتمام الختان وحفظ يوم السبت»٠٠ وتبعه كثيرون٠ وكان يقدم لأتباعه الخمير الصرف والفطير – حتي قيل إنه لما ذهب الي رومة أخذ هذه العادة عنه اسكندر أسقفها نحو سنة ١٢٠م٠

---

(١) «١ تي ١:١٣»

(٢) «٢ تس ٢:١٥»

(٣) «في ٤:٩»

+ وظهر أيضاً **كيرنثوس** الذي إرتأي كسابقه: «أن يسوع وُلِد من يوسف ومريم ولادة طبيعية، لكنه امتاز بأن حل عليه أحد الأرواح الخالدة (الأيونين) وهو المسيح بصورة حمامة عند العماد من يوحنا، وكان هذا الروح مرسلاً من القوة الهائلة التي تسود كل شيء، والتي تختلف عن إله اليهود، الذي خلق هذا العالم. فقام يسوع بعد الاعتماد ينتقم من إله اليهود، فحرض هذا عليه شعب اليهود، فأمسكوه وسمروه علي صليب، ولكن حالما صلبوا يسوع طار المسيح إلي السماء. ولذا يجب أن يُعبد الاله الأعظم أو المسيح:أحد الأرواح الخالدة لا إله اليهود. وخصوصاً وأن المسيح سيملك في هذا العالم ألف سنة مع شعبه».

الخلط بين الآراء الوثنية والمسيحية:-

+ تضمنَّت الآراء الوثنية في ذلك الوقت، آراء اليونان الذين كانوا يقولون أن آلهتهم ستة ذكور، ومنهم أبوللو إله الموسيقي. وستٍ أناث ومنهن أفروديتي إلهة الجمال، وكان كبيرهم زيوس، ويقابله چوبتر عند الرومان.

+ وقد قام علي هذا الأساس «فالنتيوس» في الجيل الثاني (وكان فيلسوفاً افلاطونياً) فقال إن مسكن الله به ثلاثون (ايونا) نصفها ذكور والنصف الآخر أناث، ويوجد غير هؤلاء أربعة وهم : (١) اروس «حافظ حدود مسكن الاله الأعظم» (٢) المسيح (٣) الروح القدس (٤) يسوع الذي ساعد الفلسفة إبنة الحكمة، حتي وُلدت خالق هذا العالم. وبمجرد ماخلقه إدعَّي الإلوهية واتخذ اليهود شعباً له.

+ ولذلك نزل المسيح ليُبطل قوّته، ويهدي اليهود والأمم إلي معرفة الإله الأعظم، وكان نزوله بجسد اجتاز به من مريم العذراء كما تجتاز المياه في القناة.

+ فأنكر بهذا فالنتيوس الثالوث الأقدس، وحقيقة التجسد من العذراء مريم.

+ وكذلك «**سطرينُس**» من سوريا، وأراد أن يُوفّق بين أديان العالم وبين المسيحية، فإعتقد بوجود أب واحد غير منظور خلق سبع ملائكة، قاموا بدورهم بخلق العالم، ولكن من مادة خبيثة (بغير إرادة ومعرفة الآب). فكان البعض من أصل صالح، والبعض الآخر من أصل شرير. ثم منح الآب عقولاً للناس. وقسم العالم إلى سبعة أقسام. أعطى لكل ملاك قسماً، وكان نصيب أحدهم اليهود.

+ فلما تمرد الملائكة السبع على الآب أرسل المسيح إلى العالم بغير جسد حقيقى لينزع سلطانهم ويرده للآب.

+ وقد ألزم سطرينُس أتباعه بالإمتناع عن أكل اللحم وشرب الخمر والزيجة لكى يُضعِف آثر المادة الخبيثة فيهم. وقد أشار إلى ذلك بولس الرسول عندما قال (لا تمس «لحماً» ولا تذق «خمراً» ولا تجس «إمرأة»)(١).

+ وأما «**سابليوس**» من بطولمايس فى ليبيا، فقد أنكر وجود الثلاثة أقانيم. فقال: إن الله أعطى الناموس لبنى إسرائيل بصفة أب، وصار بشراً فى العهد الجديد بصفة إبن، وحل على الرسل بصفة روح قدس. والذى اتحد بالإنسان أو حل على الرسل هو جزء أُفرِزَ من الآب».

+ وقد عقد البابا ديوناسيوس الأسكندرى سنة ٢٦١م مجمعاً، حكم بحرم هذا المبتدع.

+ وكانت توجد أيضاً فى ذلك الوقت **الآراء الفارسية** التى تركها معلمهم زروستر الأول (زرادشت) وقال لهم عن وجود إلهين: إله الخير وهو (اهورمازدا) وإله الشر وهو (أهوريمان).

+ فأراد فريق من المبتدعين التوفيق أيضاً بين هذه الآراء وبين المسيحية، وكان أشهر هؤلاء مركيون ومانى.

+ «**مركيون**» وكان من سوريا، واعتقد بوجود ثلاثة آلهة: الأول طاهر جداً وهو أبو المسيح، والثانى ردئ جداً وهو إله الشر، والثالث متوسط بينهما، وهو مهندس العالم الذى يعبده اليهود. فكان إله الشر ينازع إله اليهود على الدوام على عبادته فى العالم فلكى ينهى الإله الطاهر هذه الحرب أرسل ابنه المسيح لابساً هيئة جسد لكى يخرب المملكتين.

مانــى:

+ هو صاحب الخيال الرائع فى تصوير بدعته وإزداد شهرة عن سابقه. وكان أصله عبداً من بلاد الفُرس اشترته أرملة ثرية من فلسطين. ثم استولى على ماتركته من

(١) «كو ٢:٢١».

أموال وكُتب سحرية، وذهب بها إلى فارس، حيث عاشر علمائها. ثم فكر فى الخلط بين الآراء الفارسية والمسيحية، فتغيرت آراؤه فى ذات الله، وفى تجسد المسيح وفى النفس البشرية كما يلي:

+ **ففى ذات الله:** اعتقد بوجود ربين، على اعتبار أن فى الوجود مادتين: مادة رخوة وبراقة، ومادة كثيفة ومظلمة، ولكل من هاتين المادتين رب. فرب المادة الأولى سماه إله النور. ورب المادة الثانية سماه ديمون (إله الظلمة). وكان من طبيعة الأول الإحسان. ومن طبيعة الثانى الشر.

+ وقد لبث ديمون زماناً طويلاً، دون أن يشعر بوجود إله النور، إلى أن قامت حرب فى مملكته فشعر به وهجم عليه. فوقف إله النور ضده، ولكن إله الشر انتصر عليه، وأخذ جزءاً من مادته النيرة وخلطها بمادته الشريرة. ثم خلق من هذا الخليط أبوى الجنس البشرى.

+ ومن هذا استنتج ماني الهرطوقي أن لكل إنسان جسداً مادياً ونفسين، إحداهما شهوانية من المادة الشريرة، والأخرى نورانية من النور.

+ **وفى التجسد:** اعتقد أيضاً بأن إله النور آراد أن يُخلّص هذه النفس البشرية، فخلق الأرض، وأخرج من ذاته كائنين (المسيح) ومسكنه الشمس و (الروح القدس)، وهو مادة حيوية منتشرة فى كل الجَلّد المحيط بالأرض، لتدفئة النفوس ولإثمار الأرض.

+ ثم أنذر إله النور الناس، بواسطة أنبياء أرسلهم. وأخيراً أرسل المسيح فنزل من الشمس إلى عالمنا لابساً جسداً خيالياً، ليُخلّص النفوس.

+ فهاج بعض اليهود عليه فأمسكوه وصلبوه، ولكنهم لم يقدروا أن يمسوا جسده الخيالي بأى أذى، بل طار بمجرد القبض عليه إلى مسكنه. وكان قبل ذلك قد وعد تلاميذه بإرسال رسول أعظم منه إسمه المعزى. وأن هذا المعزى المنتظر هو «مانى»!!.

+ **وفى النفس:** اعتقد مانى أن النفس إما نقية وإما شريرة. فالنقية ينبغى أن تتطهر بعد خروجها من الجسد بالماء، ثم بالنار فتذهب إلى القمر وتبقى بمائه خمسة عشر يوماً ثم تذهب للشمس فتتطهر بنارها، وترجع إلى عُنصرها الأصلى «إله النور».

+ والنفس الشريرة: التى لم تقاوم الشهوة، تتقمص - بعد الموت - جسداً غير جسدها، قصاصاً لها، أو تُسلّم لأرواح لتعذيبها زماناً، ثم ترجع بعد ذلك إلى عالم النور.

+ وأخيراً يرسل الله ناراً يحرق هذا العالم، ويسجن رب الظلمة وجنوده.

+ **أتباع مانى:** قسَّم مانى أتباعه إلى فريقين: أولهما فريق المختارين: وقد فرض عليهم أن يمتنعوا عن أكل اللحم والبيض والجبن والحليب والسمك وعن شرب الخمر والزواج: لأنها من صنع إله الظلمة. وأمرهم أن يعولوا أجسادهم بالخبز والحبوب والبطيخ: لأنها من عمل رب النور!!

+ وقد أشار بولس الرسول إلى هؤلاء عندما قال: «إن الروح يقول صريحاً: أنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان: تابعين أرواحاً مُضلّة وتعليم شياطين، فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم مانعين من الزواج وآمرين أن يُمتَنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق»(١).

+ وأما الفريق الثانى فهو فريق الموعوظين: وأجاز لهم عيشة أخف وطأة.

+ **نهاية مانى:** بعد أن طاف مانى فى جهات كثيرة نافثاً سمومه - ذهب مرة وادعى أنه طبيب، وتقدم ليشفى ابن الملك المريض، لكنه لم يوفق لأن دواءه كان سبباً فى وفاته، فغاب عن الأنظار.

---

(١) «١ تي ٤: ١ - ٣»

+ ثم ظهر بعد مدة، وأخذ يتقرَّب من الملك: وأوقع بينه وبين المسيحيين. وادَّعى أن ديانتهم باطلة، وود لو تفضَّل الملك بالسماح له بمجادلتهم فى حضرته.

+ فإستدعى الملك الأسقف وعرض عليه الأمر، وكان الأسقف بسيطاً لا يعلم من علوم الحياة شيئاً ليجادل مانى. فطلب من الملك مهلة ثلاثة أيام، وفرض على نفسه ومن معه صوماً فى هذه الأيام الثلاثة.

+ وفى أثناء ذلك كان عند الأسقف ضيف ضرير، يأكل معه يومياً. ولما لم يقدم له الطعام كالمعتاد، وعلم سبب الصوم، تقدَّم للأسقف وقال إنه بقوة الله سيُفحِم مانى، لو تفضّل الأسقف وأخذه معه اليه.

+ وفى اليوم الثالث، ذهب الأسقف ومعه هذا الأعمى. وكان من عادة ملوك الفرس التشاؤم عندما يدخل الأعمى عندهم. ولكن الأسقف رجا الملك فى السماح له بالدخول فأدخله، ثم طلب الأعمى أن يقبل يد الملك: فلما قبلها توجه إلى مانى بالسؤال: هل هذه اليد من خلقة إله الظلمة أو إله النور. ولما كان مانى يعتقد أن الجسد هو من صنع إله الظلمة أجابه بذلك. فأهاج سخط الملك عليه، وآمر بسلخ جلده. ومات مانى شر ميتة.

+ ولم تقف الكنيسة مكتوفة اليدين، أمام هؤلاء المبتدعين، بل قام رجالها يدافعون عن عقيدتها، ويفندون هذه البدع ومنهم اكليمندس الأسكندرى وزميله أوريجانُس والبابا ديوناسيوس الأسكندرى وايريناوس أسقف ليون وغيرهم.



الفصل الثالث

الشقاق فى عصر الأباطرة الوثنيين

+ لم تخلُ الكنيسة فى أى عصر من عصورها من وجود شقاق، حتى فى العصر الرسولى، إذ أشتد الخلاف بين الرسل، على شروط قبول الداخلين من الأمم، الأمر الذى انعقد لأجله مجمع أورشليم سنة ٥٣م برئاسة الرسول يعقوب بن حلفي. كما سجلّه سفر أعمال الرسل (الإصحاح الخامس عشر).

الخلاف بسبب يوم عيد الفصح (عيد القيامة):

+ وقد امتد هذا الخلاف في الرأى، إلى القرن الثانى، حينما اختلفت آسيا الصغرى مع رومة على يوم عيد القيامة (الفصح المسيحى) فجاهر بوليكريتُس أسقف أزمير بضرورة المحافظة على يوم ١٤ نيسان لذكرى الصلب و١٦ نيسان لذكرى القيامة (وهما التاريخان اللذان حدث فيهما الصلب والقيامة). وكان يُجيز الفطر فى يوم ١٤ على آثر ذكرى الصلب على إعتبار أن الفداء قد تم.

+ وقد شايعه فى ذلك المسيحيون فيما بين النهرين وكيليكيا وسوريا.

+ بينما جاهر فيكتور أسقف رومة بضرورة ملاحظة أن يكون الصلب يوم جمعه (مع استمرار الصوم) ويوم القيامة يوم أحد (على اعتبار أن الجمعة هو ذات اليوم الذى حدث فيه الصلب والأحد هو ذات اليوم الذى حدثت فيه القيامة).

+ وقد شايعه فى ذلك مصر وبلاد العرب وفلسطين وبنطس واليونان.

+ واشتد الخلاف بين الأسقفين وأتباعهما، حتى أن فيكتور هدد بوليكريتس بقطع شركته (حرّمه) ولكن بوليكريتس لم يحفل بذلك بل عقد مجمعاً محلياً من ١٥٠ أسقفاً قرروا عدم الإلتفات إلى تهديد أسقف رومه.

+ إلا أن المودة كانت قائمة بين الفريقين، فلم يكن للخلاف أثر فى فصمّها. وقد تدخلت الأسكندرية فى هذا الموضوع، وحاول أسقفها ديمتريوس الكرّام التوفيق بين الرأيين (بأن يكون ذكرى الصلب فى يوم الجمعة والقيامة فى يوم الأحد) على أن يرتبطا بيوم ١٤ نيسان (الفصح اليهودى) فجمع لذلك علماء الأسكندرية الفلكيين خصوصاً بطليموس الفلكى الفرماوى، ووضع بواسطتهم حساب **«الأبقطى»** المشهور بحساب «الكرَمة» والذى بموجبه أمكن معرفة يوم عيد فصح اليهود (ذبح الخروف) فى أى سنة من السنوات المصرية، وتحديد يوم الأحد التالى له عيداً للقيامة[1].

---

(١) انظر أوسابيوس ك ٥ ف ٢٢ – ٢٥.

+ ومع ذلك فلم يحل هذا الخلاف إلا بعرضه سنة ٣٢٥م على المجمع المسكونى الأول بمدينة نيقيا، حيث أقر المبدأ الذى وضعه البابا ديمتريوس الاسكندري.

الخلاف بسبب معمودية الهراطقة:

+ وفى القرن الثالث ظهر خلاف بين كبريانُس أسقف قرطاجنة واسطفانوس أسقف رومه[1] من جهة:

١- اعتبار معمودية الهراطقة العائدين إلى المسيحية قائمة أم لابد من تعميدهم ثانية؟!

٢- اعتبار معمودية من قام بتعميدهم صحيحة أم لا؟!

+ فقرر كبريانُس «أن المعمدين من يد الهراطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة معموديتهم، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح لا يُعاد [2]».

+ وأما اسطفانوس أسقف رومه (٢٥٣ - ٢٥٧م) فلم يرق فى عينيه ما تقدَّم.فقرر ألا تُعاد المعمودية مطلقاً حتى وإن كانت من هراطقة.

+ ثم اشتد النزاع بين اسطفانوس وكبريانُس، وعقد كل منهما مجامع مكانية تؤيد رأيه - إلا أن الغالبية كانت فى جانب كبريانس. وأخيراً تدخل البابا ديوناسيوس الأسكندرى فكتب لإسطفانوس رسالة يُظهر له فيها اجماع الكنائس الشرقية على رأى واحد. وهذا الرأى لا يتفق مع رأيه[3].

+ وكان مجمل الرأى أن من تعمد عند الهراطقة، ينبغى إعادة عماده لأن معموديتهم غير شرعية. وأما من كان معمداً فى الكنيسة الأرثوذكسية وهرطق ثم رجع تائباً فلا تُعاد معموديته.

+ واستمر هذا الخلاف بين رومه والكنائس الشرقية إلى أن أقر المجمع المسكونى الأول رأى الأساقفة الشرقيين.

---

(١) فى هذا الوقت جاهر **نوفتيانوس** أحد قسوس رومه برفض قبول العائدين من الهرطقة، مهما أظهروا من توبة،وبعدم صحة معمودية من قاموا بتعميدهم، بل وضرورة تعميد الأرثوذكسيين الذين يتساهلون فى قبول الهراطقة التائبين (أوسابيوس ك ٦ ف ٤٣).

(٢) كبريانُس رسالة ١٩.

(٣) أوسابيوس ك ٧ ف ٥ .

الباب الخامس

أباطرة الرومان الوثنيون ومعاملتهم للمسيحيين

مقدمة:

+ قال سليمان الحكيم إن «قلب الملك في يد الرب»[1]. وقد تمثلت هذه الحكمة فيما ورد في (لو٢:١ - ٧) عن **أغسطس قيصر** «(٣٠ ق.م - ١٤م)» «وفى تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة وهذا الإكتتاب الأول جرى إذ كان كيرنيوس والى سوريا .. فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته. **فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم إمرأته المخطوبة وهى حُبلىَ. وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت** إبنها البِكر وقمطته وأضجعته فى المزود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل».

+ وبهذا أتم أغسطس النبوة القديمة على لسان ميخا (٥:٢) «**أما أنتِ يا بيت لحم إفراتة وأنتِ صغيرة** أن تكونى بين ألوف يهوذا **فمنكِ يخرج لى الذى يكون مُتسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل**».

+ ولم يترك أغسطس نسلاً، فأخذ الإمبراطورية بعده ابن زوجته **تيبريوس** «١٤- ٣٧م». وفى خلال حكمه حدث صلب السيد المسيح.

+ وقد روى يوستينُس الفيلسوف الشهيد وكذلك أوسابيوس المؤرخ الكنسي الشهير أن والى اليهودية رفع تقريراً إلى تيبريوس الإمبراطور.وصَف فيه سيرة السيد المسيح وعجائبه وكيف حسده الرؤساء وسعوا إلى صلبه وموته وكيف قام.

---

(١) أم ٢١:١

+ وذكر ترتليانُس أن الإمبراطور، عندما تأكد من ذلك، عرض الأمر على مجلس الشيوخ فأحصى يسوع المسيح بين الآلهة.

+ ولكن هذا التكريم لم يستمر إلا مدة وجيزة: أعقبها تيارات جارفة من الإضطهادات المتعاقبة على المسيحيين والتى كانت فترات الراحة فيها لا توازى شيئاً إذا قورنت بما لاقوه من عذاب. وقد ذكر الكثير من المؤرخين أن عدد هذه الإضطهادات عشرة بدأت بعهد نيرون وأنتهت بحكم دقلديانوس.

أسباب اضطهاد المسيحيين:

أولاً: شعور حُكام الإمبراطورية بزعزعة أركان المجتمع الرومانى، بسبب انتشار المسيحية بين الخاصة والعامة، وذيوع مبادئها السامية التى حثت على الشفقة والرحمة. فى حين أن الوثنية تعتبر الرق والمعاملة القاسية أمراً طبيعياً. وحثت على التواضع وإنكار الذات.فى حين أن نظام الإمبراطورية، كان قائماً على التمييز بين طبقات الإشراف والعامة.

ثانياً: عصيان المسيحيين للأوامر الإمبراطورية، من جهة السجود لتماثيل الأباطرة فى المعابد، تنفيذاً للوصية الإلهية«للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»[1].



الفصل الأول



اضطهادات القرن الأول
عهد الامبراطورين نيرون ودومتيانس

الإضطهاد الأول فى عهد نيرون (٥٤ – ٦٨م):

+ بدأ الإضطهاد يظهر فى عهد نيرون، ولم يكن عهده شراً على المسيحيين فحسب، بل

(١) «مت ٤: ١٠»

كان شراً على نفس الإمبراطورية، فقد صرف وقته لاهياً، وصار مضرب الأمثال فى القسوة. فقتل الفيلسوف سنكا مؤدبه ووزيره، كما قتل أمه وزوجته.

+ ولما ثار الشعب ضده وعلم أن مجلس السناتو قد حكم بإعدامه عدم نفسه. وكان هذا عزاءً عن الفظائع التى ارتكبها ضد رعاياه عامةً والمسيحيين خاصة.

+ فقد آمر نيرون بقتل الرسل بطرس وبولس ومرقس وغيرهما . وعذب المسيحيين عذاباً شديداً.

+ وسبب ذلك أنه أراد أن يتغنى ويضرب بالقيثارة أغنية هوميروس(ألقاها عند حريق ترواده «بآسيا الصغرى»)فأمر بإحراق رومه.

+ وعندما أطلق النيران فيها، ذهب إليه الكثيرون وهو ممسك بقيثارته يؤنبونه على هذا الفعل.فلكي يتخلّص منهم ألصَّق تُهمة إحراقِها بالمسيحيين وأتخذ من هذه التهمة سبباً لتعذيبهم.

+ وقد شهد بذلك تاسيتوس المؤرخ الرومانى الوثنى فقال «أن نيرون جعل يلف المسيحيين أحياء بجلود الوحوش الضارية، ويطرحهم للكلاب لتمزقهم، وجعل يلبس البعض الآخر أردية مغمسة بالزفت ويعلقهم على مشانق ويضرم النار فيها فى الليل لتضئ كمشاعل للمارة لنزهتهم وفرحتهم. وصار هو يتنقل بعربته منزهاً طرفيه بهذه المناظر الفظيعة»!!

الإضطهاد الثانى فى عهد دومتيانُس[1] (٨١ - ٩٦م):

+ أُشِيع فى عهد الإمبراطور دومتيانُس أن المسيح مزمع أن يملك على كل العالم، فخاف أن يتم ذلك فى عهده. فأمعن فى اضطهاد المسيحيين، وقتل الكثيرين منهم، حتى أنه ألقى بأحد أقطابهم وهو «يوحنا الإنجيلى» فى إناء من الزيت المغلى عدة ساعات. ولما لم يصبه أذى نفاه إلى جزيرة بطمس (في بحر إيجة).

+ ولكن لما استوثق من علماء المسيحيين أن المسيح لن يكون ملكاً أرضياً بل روحياً يملك على القلوب: خفف عنهم وطأة الإضطهاد.

(١) تولي الحكم بعد القيصر وسبسيانس (Vespasian) الذي خلف نيرون الطاغية.

الفصل الثانى



الإضطهاد الثالث فى عهد تراجان (٩٨ - ١١٧م):

+ بدأ القرن الثانى بإضطهاد تراچان الذى استخدم الكلوسيوم[1] ميداناً لتعذيب المسيحيين وإلقائهم للوحوش. فطرح فى ساحته الكثيرين، ومنهم الشهيد اغناطيوس أسقف أنطاكية نحو سنة ١١٦م.

+ ثم أمر بنفى اكليمندس أسقف رومه إلى بلاد القرم (جنوب روسيا) وهناك أُلقِىَ فى البحر ومات غرقاً. وفى عهده أيضاً قبض والى أورشليم على سمعان أسقفها.وضرّبه بالسياط أياماً متوالية. رغم شيخوخته، ثم أمر بصلبه نحو سنة ١٠٤م.

+ ويظهر وصف اضطهاد هذا العهد من الرسالة الآتية التى أرسلها بلينى[2] الصغير والى بيثينيا إلى الإمبراطور، وردّ الإمبراطور عليها:

* «إنى من عادتى يا مولاى أن أرفع إليكم الدعاوى العسرة التى ارتاب فيها. وإنى لم استفسر من جلالتكم عن الأمور المتعلقة بالمسيحيين. ومن ثم لا أعلم أي قصاصٍ أو عذاب يجب أن أوقعه عليهم. ولطاما وقعت فى الحيرة، فلم أعلم هل أجعل فرقاً من حيث العمر، أو هل أعاقب حديثى السن،مهما كان عمرهم صغيراً، معاقبتى الشبان والشيوخ ؟. وهل يجب علىّ أن أعفو عن من أشهر توبته أو أقتّص على السواء ممن كان مسيحياً ثم رجع عن غيته؟ وهل مجرد هذا الإسم (مسيحي) يعتبر مستحقاً القصاص، ولو كان حامله غير مجرم إلا من حيث اختصاصه به فقط ؟».

---

(١) هو مدرج مستدير أقامه أباطرة الرومان على مساحة كبيرة تتسع لعشرات الآلاف من المتفرجين وفى وسطه ساحة تدعى (ايرينا) مملوءة بالرمال يُلقىَ فيها أسرى الحروب، أو لمصارعة الوحوش.

(٢) نقلاً عن كتاب تاريخ الكنيسة الإنجليزية، طبع فى أورشليم سنة ١٨٩٢م ص ٥١.

* «لقد كنت فيما سلف من الأيام أعامل الذين قُدِمُّوا إلىّ بدعوى كونهم مسيحيين على الطريقة الآتية: وهى أنى كنت أسألهم إن كانوا مسيحيين؟ فإذا اعترفوا بأنهم مسيحيون كنت أكرر عليهم السؤال مرتين وثلاثا متوعداً أياهم بالقصاص، وإذا ظلوا مُصرّين كنت آمر بقتلهم فى الحال، لأنه مهما كان إيمانهم لم أشك أن اصرارهم وتمردهم يوجبان إجراء القصاص عليهم».

* «ثم قُدِمّت لى لائحة لم يصرح فيها بإسم مقدمها (بيان ضمن شكوي مجهولة) تتضمن أسماء أشخاص كثيرين فإستدعيتهم جميعاً. ولما مثلوا بين يدّى أنكروا أنهم مسيحيون، أو كانوا كذلك قبلاً، وطفقوا يستغيثون بالآلهة مقدمين صلوات وابتهالات مع بخور وخمر لتمثالكم الذى أمرت بإحضاره مع تماثيل الآلهة لهذه الغاية. وفضلاً عن ذلك لعنوا المسيح، مع أن هذه الأمور لا يمكن إكراه المسيحيين الحقيقيين على إجرائها مطلقاً.وعليه رأيت أن أُطلقَهم».

* «ومن الذين ذُكِرَت أسماؤهم فى اللائحة من قالوا أنهم كانوا مسيحيين ولكنهم ارتدّوا بعضهم قبل ثلاث سنوات وبعضهم قبل ذلك أيضاً بل قبل عشرين سنة. جميع هؤلاء أدوا الإحترام لتمثالكم ولتماثيل الآلهة ولعنوا المسيح».

* «بيد أنهم أقرُّوا معترفين أن أعظم ماارتكبوه من الجُرْم والخطأ أنهم كانوا يجتمعون فى يوم معين (أى فى أول الأسبوع) قبل الفجر ليرتلوا بالمناوبة ترنيمة للمسيح كأنه إله، وأن يقيِّدوا أنفسهم (يتعهَّدوا) بقَسَم ألا يجنحوا إلى السرقة أو النهب أو الزنى أو إخلاف الوعد أو حجز الأمانة عند طلبها».

* «ويرفضون أن يعودوا فيجتمعوا لمناولة طعام (عشاء الرب).وأنهم انقطعوا عن ذلك أيضاً بعد صدور مرسومى يمنع الإجتماعات ونحوها،وفقاً لأمركم».

* «وقد رأيتُ ضرورياً التنكيل بخادمتين ممن يُعرّفن عندهم بالشماسات، بغية الوقوف على دخيلة الأمر. غير أنى لم اكتشف على شر سوى وسوسة دنيئة متطرفة. ومن ثم أقلعت عن التفتيش، وإلتجأت إليكم فى طلب النُصح والإرشاد».

+ فأجابه الإمبراطور: «لقد انتهَّجت منهجاً حسناً أيها الأمير فى الحكم على الذين قُدِموا إليك كمسيحيين. إذ لا يمكن وضع دستور عام، أو صورة مُحاكَمة ثابتة. بيد

أنه لا ينبغى السعى فى طلبهم. ولكن إذا اشتُكِيَ عليهم، ووُجِدوا كذلك لابدَّ من قصاصهم. وإذا أنكر أحد أنه مسيحى وأيد دعواه بالبرهان أى بالتضحية لآلهتنا، فليُصفح عنه بعد إقراره بالتوبة مهما كان قد أُتهم به فى الماضى. وأما اللوائح التى لا يُذكَر فيها إسم مقدمها الحقيقى (الشكاوي المجهولة) فلا يجب قبولها مطلقاً فى أى دعوى كانت بلأن هذا أمر قبيح وليس من عوائد عصرنا هذا»[1].

الإضطهاد الرابع فى عهد هادريان (١١٧ - ١٣٨):

+ وصلت إلى الإمبراطور هادريان رسالة، من غراتيانُس والى آسيا الصغرى، عن الهياج والمقاومات العدوانية التى قام بها الوثنيون ضد المسيحيين، تنفيذاً لمرسوم تراچان.

+ كما وصلته أيضاً رسائل استعطاف متعددة من المسيحيين. منها رسالة لكودراتُس أسقف أثينا سنة ١٢٦م قال فيها: «إن أعمال مخلصنا كانت ظاهرة للعيان، لأنها كانت حقيقية، فالذين شفاهم أو أقامهم من بين الأموات لم يشاهدوا فقط عند شفائهم وقيامتهم، بل ظلوا فى الوجود، وعاشوا زماناً طويلاً ليس على عهد المخلص فقط، بل بعد صعوده إلى السماء أيضاً حتى أن بعضهم انتهى إلى أيامنا»[2]. ورسائل أخرى باللغة اليونانية من يوستينُس الفيلسوف، وأثيناغوراس أستاذ الإكليريكية. وباللغة اللاتينية من ترتليانُس قس كنيسة قرطاجنة.

+ وكان من أثر هذه الرسائل، أن أصدر الإمبراطور أمره للولاة، بتخفيف وطأة الإضطهاد عن المسيحيين، إلا إذا اقترفوا ذنباً ضد شرائع المملكة. وبمعاقبة من وشَى بهم إلى الحكام، ولكنه لم يلغ مرسوم تراچان.

الإضطهاد الخامس عهد ماركس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠م):

+ لما كان الإمبراطور ماركس أوريليوس يميل إلى الكمال الخُلقى ووضع فى ذلك كتاب (تأملاته). انتهز الوثنيون هذه الفرصة واتهموا المسيحيين بإرتكاب الأثم فى

(١) انظر تاريخ الكنيسة الإنجليزية المطبوع سنة ١٨٩٢م ص ٥١ .

(٢) أوسابيوس ك ٤ ف ٣.

اجتماعاتهم، وبأنهم أعداء الآلهة الوثنية، وأنهم سبب ظهور الوباء الذى عم مصر وآسيا وأوربا.

+ فأصدر الإمبراطور أمراً بإبادة المسيحيين سنة ١٦٢م. وبدأ أولاً بقتل رؤسائهم. ونحو سنة ١٧٥م اضطهد كنائس ڤينا وليون .

+ ولكن دماء الشهداء كانت بذار الإيمان. لأن تضحيتهم بحياتهم المنظورة فى سبيل الحياة الباقية كانت سبباً فى اندفاع الكثيرين إلى اعتناق المسيحية.

+ ويظهر عظم الإضطهاد الذى وقع سنة ١٦٥م. فى رسالة من بوليكربُس أسقف أزمير قال فيها «إن المعترفين ضُربوا ضرباً عنيفاً بالسياط حتى ظهرت عروقهم. وكانوا فى داخل هذا العذاب، ثابتين بلا ضجر. فى حين أن الحاضرين كانوا ينفطرون شفقة عليهم .. وتقدموا للعذاب بسرور،وتألموا وهم صامتون، ولم يفتحوا أفواههم إلا ليباركوا الرب ويسبحوه كأنهم ليسوا فى أجسادهم، أو منزهين عن الآلام، لأنهم صغوا بالأحرى إلى صوت يسوع الذى كان يُناجى قلوبهم. والنيران التى كانوا يقاسونها كانت تستبين برداً بإزاء النيران التى لا تُطفأ إلى الأبدَ».

* «فالذين حُكم عليهم بأن يُطرحوا للوحوش قد قاسوا عذابات شديدة فى السجون. وهم ينتظرون اليوم المُعّين لجهادهم. فكانوا يُبسَطون عُراةً مُلطَخين بالدماء على حجارة مسنونة. وكان الله تعالى يؤازرهم بنعمته».

* «ومن هؤلاء الشهداء الشاب جرمانيكس الذى كان يشدد عزم الآخرين بصبره. وقبل أن يُطَرح للوحوش اجتهد الحاكم أن يغريه بالوعود ولكنه قال إنه يوّد أن يفقد حياته ألف مَرة من أن يحفظها بإرتكاب الأثم. ثم تقدّم بكل بأس إلى أسد طالباً الموت بين مخالبه. فسحقه وترك من جسده فضلات ملطخة بالدم. ورحل من عالم لا يستنشق منه إلا الكفر والرذائل، ليتمتع بإكليل الشهادة».

+ ومنهم **يوستينُس الفيلسوف**. وأصله من نابلس بالسامرة وكان أبوه يونانياً وثنياً، فعلّمه عبادة الآلهة الوثنية. ولكنه تهذّب بكل العلوم والفلسفة. فإتسع إدراكه، ولم يقبل العبادة الوثنية على علاتها، بل فكّر فى طبيعة خالق الكون وخلود النفس والقيامة والدينونة ... ألخ.

+ وحاول على يد فلاسفة كثيرين حل هذه المواضيع بما يُرضِى عقله الكبير، فلم يصل

إلى إشباع رغباته. فأخذ يترَيَّض على البحر مرة، وهو يفكر فى هذه الموضوعات، فإلتقى بشيخ عالم، وأخذا يتناقشان فى هذه القضايا، فاظهر له الشيخ فساد علمه وفلسفته، وأرشده إلى حل هذه القضايا، بمطالعة الأسفار المقدسة، التى أُوحىَ بها إلى أنبياء متقين الله ومستنيرة عقولهم.

+ لهذا لجأ إلى فلاسفة المسيحيين بمصر وبغيرها. واهتدى بآرائهم إلى حل هذه القضايا، ثم اعتنق المسيحية وأعتمد وذهب إلى رومة حيث رُسِم قساً.

+ وقد دافع[1] عن المسيحيين، خصوصاً أمام الوثنيين واليهود، لأنه كان ملماً بفلسفاتهم، واحتج على الظلم الواقع عليهم من الولاة، وعلى قتلهم دون أن يرتكبوا جُرْماً. ومن ذلك رسالته إلى الإمبراطور هادريان.

+ ولما قبض عليه والى الإمبراطور أوريليوس قال له «ويحك، هل صرت أسيراً لتلك الديانة؟» فأجابه: «لقد أصبت فى قولك. وأنى لا أخجل من أن أعترف، بأن تعاليم المسيحيين هى معتقدى». فإندهش الوالى من جرأته وقال له: «أتظن أننى إذا أمرت بضربك من الرأس إلى القدم وأعدمتك الحياة تذهب إلى السماء» فأجابه يوستينُس: «إننى موقن أن نعمة الله محفوظة لجميع الذين يعيشون هكذا ومنهم أنا. وليس هذا على سبيل الظن أو الوهم بل عن يقين ثابت».

+ فأمر الوالى بضربه مع رفقائه، ثم قطع رؤوسهم سنة ١٦٥م ونالوا أكاليلهم.

+ وحدث بعد ذلك ما دفع الإمبراطور إلى وقف حركة الإضطهاد. فقد كان للإمبراطور فرقة مسيحية أُرسِلت مع الجيش لحرب المجر سنة ١٧٤م، وفى جبال بوهيميا القاحلة أشرف الجند على الهلاك بسبب قلة المياة. فجثا الجند المسيحيون على رُكَبِهم وطلبوا من الله أن يغيثهم. فإستجاب لسؤالهم، وامتلأت السموات بالسُحب ونزل المطر وارتوى الجميع.

+ وبينما كان ذلك يجرى مع الجيش الرومانى، كان جيش الأعداء يقاسى ألم البرد والصواعق. ففر هارباً وانتصر جيش الرومان.

+ فسُّر الإمبراطور من هذا ودعا الفرقة المسيحية بفرقة «الرعد» وأمر أن كل من يشي بمسيحي يُحرَق.

(١) انظر دفاعه فى كتاب الأنبا ايسونورس، ج ١ ص ١٣٦ (بالطبعة العلمية التي نشرتها مكتبة المحبة لنا).

الإضطهاد السادس في عهد سافيروس (١٩٤ - ٢١١م):

+ وفى عهده قُتِل إيريناوس أسقف ليون سنة ٢٠٣ وليونيدس والد أوريجانُس. وقُتِل مع الأخير باسيليدس الجندى.

+ وامتاز عهد الإمبراطور، بإضطهاد الجنس النسائى ومنهن بوطامينا وبرباتوا وسعدى.

+ **بوطامينا**: وُلِدت هذه الفتاة بالأسكندرية وربتها أمها مرسيلا تربية مسيحية حقة. فنمت فى الفضيلة. ولما كبرت آراد أحد الوثنيين الأغنياء أن يُدَنس عفتها فقاومته بعزم ثابت، فسخط عليها وشكاها للوالى، بعد أن رشاه بفضته. فلاطفها الوالى لكى تقبل عرض هذا الغنى. فأبت فأمر أن توضع فى قدر مملوء من الزيت المغلى، فقبلت هذا الحكم بالسرور والشكر. وكانت والدتها تؤازرها بمواعظها وارشاداتها وذهبت معها إلي الموضع.

+ ولما آراد الجند نزع ثيابها، قبل إلقائها فى القدر، رجتهم أن يتركوها تنزل بثيابها. فساعدها الجندى باسيليدس على زملائه، وقَبِل رجاءَها ودفع عنها أذى السُخفَاء. فقدرت شعوره وقالت له أنها مزمعة أن تتشفع من أجله(١).

+ وقد أنجزت هذا الوعد، فبعدما فارقت الحياة، لمست النعمة قلبه، لأنه رأى بوطامينا فى حلم بعد ثلاثة أيام وعلى رأسها تاج باهر، وبيديها إكليل وضعته على رأسه، وقالت له أنك بعد قليل ستكون معى. فتذكر ما قالته له قبل استشهادها.

+ وعندما طلب منه بعض الجند أن يحلف بالآلهة الوثنية، رفض قائلاً: «أنا مسيحى». فظنوه يهذى أولاً، ثم تحققوا صحة عزيمته، فأبلغوا الوالى، الذى أمر بسجنه، فأرسل له الأسقف ديمتريوس وفداً ليُثبّته فى المسيحية.ولما رأى الوالى إصراره على مسيحيته أمر بقتله(٢) ونال إكليله السعيد.

+ **برباتوا وسعدى**: وهما من مسيحيات قرطاجنة. وقع عليهما مع بعض المسيحيين اضطهادات وصفتها برباتوا: بأنهم وُضِعوا فى سجن كريه الرائحة، فتقدم شمامسة الكنيسة برشوة للسجان، فأخرجهم منه إلى سجن آخر. ولما رجاها والدها الوثنى، أن تترك المسيحية، رأفة بشيخوخته، وحناناً على طفلها الصغير، أجابته بأنه لا يمكن

---

(١) انظر كتابنا «بستان القديسين» وكتابنا «قديسو مصر» طبعة مكتبة المحبة.

(٢) ايسونورس، ج ١ ص ١٤٤.

للإناء أن يُسمّى بغير إسمه: «وما دمُت قد أصبحت إناءً للسيد المسيح، فلابُد أن أسمَّي مسيحية». ثم سلمت طفلها لوالدتها لتعتنى به.

+ وسألها مرة أخ مسيحى من المسجونين، لتصلى لله لكى يكشف لها مصيرهما فصلت، ورأت فى رؤيا سلّماً منيراً بالسماء ومسيجاً بالسيوف، ولا يتسع إلا لفرد ليصعد عليه. وكان بأسفل السلّم تنين متحفزاً لإلتهام من يتقدم ليصعد عليه. ورأت أن أخاها المسيحى قد صعد وطلب حضورها وراءه، وحذرها من التنين، ولكنها عندما قربت منه بشجاعة أمال رأسه فداست عليه بقدمها وصعدت على السلّم. فوجدت بأعلاه جنة فسيحة بها جمهور من الناس بثياب بيض، يرعاهم رجل بهى الطلعة ورّحب بها.

+ فلما استيقظت وقصت هذه الرؤيا على أخيها، تحققاً من قرب نهايتها مع جميع المسجونين. ولما حل يوم محاكمتهم، أعترف جميعهم بمسيحيتهم بشهامة. ثم جاء والد برباتوا يرجوها ثانيةً بدموع أن تُنكر المسيح فرفضت، إلا أنه اندفع ليُخرّجها. فانتهره الحاكم وأمر الجند، فضربوه بالسياط أمام إبنته التى انفطر قلبها لهذا المنظر، ولكنها لم تُقلِع عن عقيدتها. ثم صدر الحُكم بإلقائهم للوحوش، وأُعيدوا إلى السجن.

+ **أما سعدىَ:** التى كانت حُبلًى وأتاها المخاض وهى فى السجن، فتألمت جداً عند الوضع، فقال لها السجّان،«إذا كنت تتوجعين الآن من الولادة، وهذا الأمر طبيعى، فكم يكون عذابكِ عندما تُمزّق الوحوش أحشاءكِ»؟فأجابته قائلة : «إننى أنا الآن المتألمة، وأما فى ذاك الحين فسيكون المتألم غيرى، وهو المسيح االذى يحمل عنى تلك الآلام، لأنى سأتألم لأجله».

+ ولما حل ميعاد تنفيذ الحكم، اقتيدُوا إلى ساحة غصت بالجموع. فإعترف جميعهم.ثم أُطلِقتَ الوحوش عليهم. فأخذت بقرة متوحشة برباتوا وتناولتها بأسنانها ثم ألقتها على الأرض. فلما نهضت رأت بقرة أخرى قد وثبت على سعدى وألقتها صرعى: فبادرت بإسعافها دون أن تُحسن سعدىَ بما جرى. ولما أفاقت سألت أختها «متى ياترى يطرحوننا لهذه البقرة؟». فأروها ثيابها الممزقة نتيجة وثوبها عليها وهى لا تدرى.

+ وأما ساتورس أخوهـا، فقد أُلقيَ إلى دب وخنزير، فلم يقضيا عليه فتقدَّم للسجّان وقال"إنى أرغب أن يقتلنى ضبع." فوثب عليه الضبع ومزقه بأنيابه وألقاه صريعاً. أما باقى الشهداء فقُطعت رؤوسَهم (وقد كتب ترتليانُس فى هذا الوقت رسائل احتجاج إلى حاكم أفريقيا الروماني).

الفصل الثالث



+ بعد موت سافيروس تولى ابنه كراكلا (٢١١ - ٢١٧م) وفي عهده خف الإضطهاد على المسيحيين، لأن مربيته كانت مسيحية، ولكن معاملته لأقربائه كانت قاسية حتى قتل أخاه، وقد عمَّر نحو ست سنوات. وبعد قليل تولى سبتيموس ساويرس (٢٢٢ - ٢٣٥م) الذى أحسن أيضاً معاملة المسيحيين وأحب ديانتهم، لأن أمه جوليا كانت مسيحية. فقدّم السجود للمسيح، ووضع صورته فى قصره.

الإضطهاد السابع فى عهد مكسيموس (٢٣٥ - ٢٣٨):

+ كان قائداً للجيش واستمال زملاءه حتى ثاروا على الملك وقتلوه، ونصبوا مكانه مكسيموس، الذى اضطهد المسيحيين (بعكس سلفه الذى كان يحبهم).

الإضطهاد الثامن فى عهد ديسيوس (٢٤٩ - ٢٥٣م):

+ كتب كبريانس عن لسان الإمبراطور وهو يصف شعوره بالنسبة لرؤساء المسيحيين بقوله: «أنى أفُضّل أن أسمع عدواً قام ينازعنى المُلْك من أن أسمع بانتخاب أحد الكهنة فى رومه».

+ وممن نالهم الإضطهاد الشهيد مرقوريوس (أبو سيفين)، الذى وُلِد برومه من والدين مسيحيين فى أوائل القرن الثالث ودُعي «فيلوباتير» (مُحب الآب) وصار قائداً شجاعاً فى جيش الإمبراطور ديسيوس. فقرّبه إليه ولقبّه مرقوريوس[1].

+ ولما نشبت الحرب مع البرابرة، خاف الإمبراطور من كثرتهم. فتقدّم مرقوريوس وقال «لا تخف: إن الله الذى أعبده سيُهلكهم، فقد ظهر لى ملاك الرب فى شبه إنسان بلباس أبيض وأعطانى سيفاً وقال لى إذا غلبت أعداءك فتذكّر الرب إلهك».

---

(١) وهى كلمة يونانية معناها رئيس الجنود المحافظين. وكان هذا إسم صنم، فإستعمله ملوكهم للشرف.

+ بعد هذا ذهب الملك ليبُخّر للأصنام. ولم يدخل معه مرقوريوس، فعتب عليه عدم اشتراكه معه. فقال له: «إني أعبد يسوع المسيح، الذى ساعدنى على الإنتصار فى الحرب». ثم ألقَّى بمنطقته ولباس الجندية أمام الملك. فغضب الملك وأمر بضربه. ولما تجمهر الجند لينقذوه، أرسله إلى قيصرية فلسطين حيث أستشهد. ويُقال أن رفاته نقلت إلى مصر فى عهد البابا يؤنس الرابع والتسعين (١٤٧٥ - ١٥١٦م) (١).

+ ومن الوسائل التى اتخذها ديسيوس فى تعذيب المسيحيين، أن أمر بصنع كفة ذات أصابع مسننة من الحديد، استعملها فى تجريح جسم أحد الشبان. ثم وضعه على صفائح محمّية. ولما رأى ثباته على إيمانه، طلى جسمه بالعسل. وألقاه فى الشمس المحرقة وأطلق عليه النحل والزنابير لكي تلسعه. وبقى هكذا حتى نال إكليله.

+ وكذلك لما رأى أن للعفاف قيمة عُظمَى عند المسيحيين، قبض على شاب آخر وأراد إفساد عفافه وسلّط فتاة بعد أن ربطه على سرير وتركهما منفردين.

+ ولما رآها تراوده ثارت فيه الحمية للمحافظة على عفافه، وإذ لم يستطع أن يُبعدها عنه بسبب الأربطة التى ربطوه بها قرض على لسانه بأسنانه، فسأل دمه. وألقاه فى وجهها فانذعرت وتركته. وشكر الله على نجاته وعلي بقاء طهارته.

* وقد أرسل البابا ديوناسيوس الأسكندرى رسالة للكنائس، يصف فيها بعض الإضطهاد الذى أوقعه ديسيوس على مسيحيّي القطر المصرى. قال ضمنها: «إن الوثنيين أمسكوا رجلاً اسمه مترا.وطلبوا منه أن يُنكر إيمانه. فأبى. فضربوه بالعصى وقلعوا عينيه. ثم رجموه بالحجارة حتى مات. وقبضوا على إمرأة تُدعَى كونيا وساقوها إلى هيكل أصنام وطلبوا منها أن تُبخّر لها فأبت. فربطوها بحبل فى

(١) سنكسار ٢٥ هاتور و٩ بؤونه.

رجليها. وظلوا يجرُّونها فى الأسواق على الحجارة، ويعذبونها ويزدرون بها، حتى بلغوا إلى حيث قتلوا مترا. فرجموها حتى نالت أكليلها».

* «ثم ذهبوا بعد ذلك إلى بيوت المسيحيين ونهبوها، وأوقدوا فيها النار. وفى اثناء ذلك وجدوا رجلاً مسيحياً اسمه **سرابيوم** فقبضوا عليه، وكسروا أطرافه ورموها من الدور الثالث، وقبضوا على فتاة عذراء تسمى **بلومية** وكسروا عظامها وطرحوها فى النار»[1].

+ وقد اعتزل العالم فى هذا الوقت القديس **بولس السائح** (أنبا بولا) حيث مضي إلى الصحراء الشرقية ليتفرغ للعبادة وحده.

الإضطهاد التاسع فى عهد القيصر فاليريان (٢٥٣ - ٢٦٠م):

+ وقد كان فى أول عهده يأتنس بالمسيحيين ويُعيِّنهم فى الوظائف السياسية فى بلاطه: ولكن مركيانس وزيره الأول - الذى كان مغرماً بحكمة المصريين القدماء ويكره المسيحيين - أخذ يشى بهم. ويقول للملك: إن الآلهة لا تقبل ذبائح سلامتك لأنك مُتقرِّب من المسيحيين». فأصدر أمراً بمنعهم من العبادة وعدم السماح لهم بزيادة قبورهم ونفى إكليروسهم. ثم أصدر سنة ٢٥٨م أمراً بقتلهم. ونفى السيدات وأذَلّ الموظفين، فإستشهد فى عهده **سكستُس** أسقف رومه وشماسه، **وكبريانُس** أسقف قرطاجنة.

+ ومما حصل فى عهده أن شاباً وثنياً يدعى **كيرلس** كان يُصادق أطفال المسيحيين وهو صغير، فظهر أمامه الفارق الكبير بين معاملة المسيحيين له ومعاملة غيرهم. وكان يذهب أحياناً إلى الكنائس معهم، فتعلَّق قلبه بحب المسيح مثلهم.

+ ثم دعاه والده الوثنى مرة ليُبخِّر للأصنام فأبى، وقال له: «لن أعبد إلا المسيح» فحنق عليه وطرده من بيته. فلما بلغ الوالى خبره استدعاه ولاطفه وأظهر استعداده لمنحه

(١) ايسونوروس ج ١ ص ١٨٣ ومنسى ص ١١٠، ومدام بوتشر، جـ ١ ص ١٠١ - ١٠٥ .

عطايا عظيمة. وطلب من والده قبوله بشرط واحد وهو التبخير للأوثان. فأجاب الشاب «إن طردى من بيت والدى لا يُهمّنى، لأنى سأمضى إلى بيت أرحب. وإننى لن أخشى الموت، لأنه بدء حياة جديدة فاضلة».

+ عندئذ أمر الوالى أن تُوقد النيران ويُساق إليها - على سبيل التهديد فقط - ثم أعاده ثانيةً. فقال الشاب للوالى: «لقد أسأتم إلىَّ بإعادتى ثانيةً وأخرتمونى عن الذهاب إلى إلهى. فأميتونى سريعاً لأمضى إليه حالاً».

+ فبكى السامعون عندما نطق بهذا، فقال الشاب «كان خليقاً بكم أن تفرحوا وتشجّعونى لا أن تبكوا وتثبطوا عزمى» ثم بعد هذا ألقوه فى النار. فأسلم روحه الطاهرة فى يد خالقه، الذى تنسم رائحة هذه الضحية الصغيرة.

+ ولكن نهاية ڤاليريان كانت تتناسب مع شر أعماله، فقد أسَرَه الفُرس فى حرب قامت بينهما. فساقوه إلى ملكهم. فأهانه وسخر به كثيراً، حتى كان يطرحه على الأرض ويضع قدمه على رقبته، كوسيلة يمتطى بها جواده. ثم أمر بسلخ جلده وصباغته بلون أحمر، وتعليقه بهيكل الأصنام (وهو درس هام لكل قاسي القلب).

الإضطهاد العاشر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م):

+ تعاقب الأباطرة بعد ڤاليريان، إلى أن اغتصب دقلديانوس الحكم واشترك معه سنة ٢٨٥م مكسيميانوس، ثم اتفقا على أن يشركا معهما فى درجة وكلاء - قسطنطينوس خلورس وغالير صهره. وقسّموا المملكة بأن اختص دقلديانوس بالشرق ومصر وليبيا، وأقام فى نيكوميديا فى آسيا الصغرى، واختص غالير بالبلقان، ومكسيميانس بإيطاليا وأفريقيا وأسبانيا، وخلورس بفرنسا وانجلترا.

+ وقد كان المسيحيون فى بدء عهد دقلديانوس لا يتصوّرون أنه سيضطهدهم، بدليل أن البابا ثاؤنا الأسكندرى أرسل إلى لوسيان المسيحى مدير الخاصة الإمبراطورية رسالة يصف فيها الراحة التى تتمتع بها الكنيسة في بداية عهده.

+ ولكن هذا الهدوء الذى ظهر به دقلديانوس فى أول عهده كان كالسكون الذى يسبق العاصفة. فقد شقت مصر عصا الطاعة عليه. لأن أخيلوس الوالى آراد الإستقلال بها سنة ٢٩٢م وبلغ الإمبراطور أن السبب فى نشاط هذه الثورة هم المسيحيون الذين يرفضون التعبد له والتبخير للأصنام. وقال المجوس (السحرة) له أيضاً: «إن الأرواح لا تُنبّئنا بالغيب، لأن المملكة مملوءة من المسيحيين».

+ فإستشاط الإمبراطور غيظاً وجرّد حملة على مصر. وتعهد ألا يَكفُّ عن القتال حتى تسيل الدماء وتصل إلى رُكبة فرسه. وبينما هو يجول بين الإشلاء زلت قدم حصانه فتلوثت ركبتاه بالدماء، فكف عن القتل[1].

+ ولما رجع الإمبراطور إلى نيكوميديا **أصدر منشوراً عاماً فى ٢٣ فبراير سنة ٣٠٢م ضد المسيحيين يقضى بما يأتى:**

١- هدم الكنائس.

٢- إحراق الكُتب.

٣- طرد الموظفين المسيحيين وحرمانهم من حقوقهم.

٤- جعل المسيحيين الآخرين عبيداً.

+ وبمجرد صدور المنشور، خرج والى نيكوميديا إلى كنيستها الكبرى بصحبة جمع غفير، وكسروا أبوابها وأحرقوا جميع الكتب الكنسية وهدموها حتى أصبحت بمستوي الأرض!!

+ ومرة أمر الإمبراطور فرقة مسيحية بالجيش عددها ٦٦٦٦ جندياً بالتبخير للأوثان قبل سفرها للحرب فرفضت، فقتل عُشْر عددها تهديداً للباقين ثم العشر الآخر وهكذا إلى أن أفناها.ونال الكل أكاليلهم.

✣ ✣ ✣

(١) قيل إنه استشهد في عهده ٨٤٠,٠٠٠ مسيحي بمصر وحدها.

الفصل الرابع

أشهر الشهداء في هذا العصر

الشهداء غير المصريين:

١- مارجرجس الروماني:

+ وُلِد بنيكوميديا سنة ٢١٨م ومات والده وهو في سن الرابعة عشرة. فأخذته أمه إلى ديوسبوليس (اللد) بفلسطين. فلما كبر نمت فيه الفضيلة، ثم إلتحق بالجيش فإرتقى فيه إلى أن صار قائداً.

+ وبينما كان يسير بنيكوميديا، رأى منشورات الإمبراطور ضد المسيحيين. فثار سخطه عليها ومزقها. فأخذوه أمام الإمبراطور. فصرخ في وسطهم قائلاً: «إلى متى تصبُّون غضبكم على المسيحيين الأبرار؟! تغصبون الذين عرفوا الإيمان الحقيقي على أن يتبعوا الديانة التي أنتم في شك منها، لأنها غير حقيقية. فأما أنكم تعترفون بهذه الديانة الحقيقية أو على الأقل لا تقلقوا بحماقة، أولئك المتمسكين بها» (المسيحيون).

+ فأشار الملك إلى مغنانتيوس أحد وزرائه لتهدئته. فقال له «من علمك هذه الجرأة»؟ فأجابه: «هو الحق» ثم بدأ يشرحه له. فتدَّخل المُلك وأخذ يُذكّره بالرُتب التي أنعم عليه بها. ويعده بالمزيد منها، إذا جَحَد مسيحه. فرفض بإباء هذه العروض المادية الزائلة.

+ فإستشاط المُلك غضباً. وأمر بطعنه بالحراب. ثم سجنه. ولما رأى إصراره ألقاه على دولاب من سيوف، ولكن الله كان يُقوّيه. فلم تؤذه هذه السيوف. فآمنت الملكة إسكندرة. ثم ألقاه في وسط الجير. ثم أمره أن يبخر لأبولو، فبسط يديه وصلى صلاة حارة اسقطت الأوثان. فأمر بقطع رأسه ونال إكليل الشهادة. وكذلك استشهدت معه الملكة اسكندرة سنة ٣٠٣م.

+ وقد بُنيت على إسم مارجرجس كنيسة بمدينة اللد بفلسطين. ولما أرسل دقلديانوس قائده أوهيوس لهدمها لم يستطع. ورجع مريضاً ومات فى الطريق[1].

٢- **سرجيوس وباخوس:**

+ وكانا جنديين للملك مكسيميان. ولم يرافقاه عندما كان يبخر للأوثان في المعبد. فسألهما قائلاً «أين كنتما ونحن نبخر للأصنام»؟فقالا «كنا نقدم ذبيحتنا الشفاهية (الصلاة) للمسيح إلهنا الذى أعطانا معرفة لنتبع الحق ونترك عبادة الأصنام، صناعة أيدى البشر».

+ فأمر أن توضع القيود فى عنقيهما ويُلبسَا لباس النساء ويُطاف بهما هكذا فى المعسكر. ولما لم يُجدِ هذا معهما أرسلهما لوالى سوريا ليعاملهما باللطف أولاً ثم يعذبهما. ولما لم ينفع معهما اللطف ضرب باخوس بأعصاب البقر حتى مات ثم قطع رأس سرجيوس. وذلك بقرب نهر الفرات.

٣- **ألبان:**

+ وكان وثنياً برومه وهو صغير، ورأى اضطهاد الإمبراطور للمسيحيين، فأخذته الشفقة عليهم، حتى أنه خبأ فى بيته قساً من وجه المضطهدين وبقى عنده مدة، لاحظ فى أثنائها تقوّاه وصلاحَه وأصغى إلى تعليمه وإنذاره من فساد الوثنية. ثم قَبِل الديانة المسيحية.

+ وأخيراً علم الوالى أن القس عند ألبان، فأرسل جنداً للقبض عليه. فلبس ألبان ثوب القس وخرج. فعرفه الحاكم وغضب على فعلته. ثم أمره بالرجوع إلى دينه فأبى فجلده. ولما لم يرتدع أخذه فوق تل - بُقرب المدينة - وقطع رأسه. ويوجد بإنجلتر دير القديس ألبان ومدينة بهذا الإسم، تذكاراً له.

شهداء مصر:

+ لم يكن حظ مصر من الإضطهاد بأقل من حظ غيرها بل أكثر. وقد أوضح

(١) سنكسار ٧ هاتور. والإنجليز يكرمونه بوضع صورته على عُملتهم الذهبية. والروس يرسمونه على حصونهم.

أوسابيوس المؤرخ هذا بقوله «أ نه يتعذّر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ماتجرّعه الشهداء فى صعيد مصر من عذابات قاسية. فقد كانوا يأتون ويخدشون أجسامهم وينزعون عنها الجلد إلى أن ينكشف اللحم فيموتوا».

* وكثيرون ماتوا بواسطة الأشجار، فكانوا يُقرِّبون غصنين قويين من شجرتين (أو نخلتين) متقاربتين بآلة خاصة، ثم يأتون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين. ومن ثم يتركونهما ليعودا إلى وضعهما الأول فتتمزّق أضلاعه ويتطاير جسمه فى الفضاء».

+ وقد قال اوسابيوس أيضاً «قد شاهدت بعينى أن بعضهم كانت تُجّز رؤوسهم. وبعضهم يُحرَقون فى آتون النار، حتى أن السيف الذى كانت تُقطع به الرؤوس ثلم وقل حدة لكثرة ماسحق من الرقاب، وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يتنفسون الصُعداء ثم يواصلون قطع الرقاب».

* «ومن الغريب أنه عندما كان يصدر الحكم النهائى كانوا يقابلونه بفرح وتهليل، حتى أنهم كانوا يرتلون أغانى الحمد والشُكر لله، الذى أهلّهم أن يموتوا من أجله. وكانوا يظلون فرحين حتى تفارق أرواحهم أجسادهم».

* «والأعجب من هذا أن الأفراد الذين اشتهروا بغناهم وثروتهم والذين ذاع صيتهم لأنهم برعوا فى الفلسفة والعلم، كانوا يحسبون كل هذه أنها تافهة، ويزدرون بها إذا قيست بأهمية الدين الحقيقى والإيمان الصحيح بربنا ومخلصنا يسوع المسيح[1]».

أشهر الشهداء المصريين:

١- مارجرجس المصرى:

+ كان أبوه تاجراً بالأسكندرية ولم يكن له ولد، فى أثناء حضوره تكريس كنيسة مارجرجس باللد، صلى لله ليرزقه ولداً بشفاعة هذا القديس، فرزقه بإبن دعاه جرجس. ولما مات الوالدان بقى جرجس مع خاله أرمانيوس والى الأسكندرية الروماني.

(١) القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة (طبعة المحبة) ص ٢٣٠ - ٢٣١

+ وكان لخاله إبنة خرجت مرة مع صاحباتها للنزهة، فمرت بدير. وسمعت من رهبانه تراتيل شجية، فإستفهمت من جرجس عن ذلك. فشرح لها حالتهم، وما يناله البار من الراحة الدائمة، فإعترفت بالسيد المسيح. فغضب عليها والدها. ولما لم ترجع قطع رأسها ونالت إكليلها.

+ ثم قبض على جرجس الذى كان سبباً فى ذلك، وأرسله إلى والى أنصنا. فعذبه وقطع رأسه. ولما علمت إمرأة خاله بمصيره أخذت جسده وضمته إلى جسد إبنتها فى الأسكندرية[1].

٢- الشهيد تيموثاوس الشماس:

+ كان من أبوكساه (الفيوم) وطلبه حاكم طيبه ليُسلّم كتب الكنيسة تنفيذاً لأمر الإمبراطور. فقال: «لو كان لى أولاد لفضّلت تسليمهم لك عن تسليم الكتب» فقلع عينيه وقال له: «لا فائدة لك الآن بها» فلم يردّ عليه بجواب. فإغتاظ منه وأمر أن يُعلق من رجليه ويثقل عنقه بحجر. ويُسدّ فمه. ثم أماته مصلوباً[2].

٣- الأمير تادرس الشطبى:

+ وُلِد فى اخائية بالبحر الأسود وسُمى بالشطبى نسبة إلى شطب (بمحافظة أسيوط بلد والده يوحنا: الذى ذهب مع الجنود إلى أنطاكية حيث تزوج بإبنة أحد الأمراء الوثنيين.فرُزق منها بتادرس هذا).

+ وأرادت والدته أن تجذب والده إلى الوثنية فرفض وتركها وصار يصلى لأجل إبنه. فآمن تادرس واعتمد. وارتقى فى سلك الجندية إلى أن صار قائداً.

+ وفى عهد ليسينوس خليفة دقلديانوس، علم بخبر أبيه مع أمه فأتى إلى شطب حيث كان والده. واستمر معه إلى أن مات– ثم ذهب إلى أخائية واعترف بإسم السيد المسيح. فأحرقه الوالى بالنار وأسلم روحه الطاهرة سنة ٣٢٠م[3].

---

(١) سنكسار ٧ هاتور

(٢) سنكسار ٢٦ هاتور

(٣) سنكسار ٢٠ أبيب.

٤- مارمينا العجائبى:

+ وُلِد بمريوط نحو منتصف القرن الثالث من أم كانت عاقراً، ودخلت الكنيسة مرة وصلت لله لكى يرزقها بنسل.فسمعت صوتاً يقول «**آمين**» فإستبشرت بذلك. ولما حملت ووضعت ابناً دعته «**مينا**».

+ وكان والده من ولاة مصر فعلمه وهذبه بالآداب المسيحية. ثم مات والده وهو فى سن الحادية عشرة وكان يميل للإنفراد والصوم والصلاة فأحبه الجميع وأقاموه والياً مكان أبيه (في مدينة بالساحل الليبي غرب السلوم).

+ ولما اضطهد دقلديانوس المسيحيين ترك منصبه إلى البرية للعبادة. فرأى فى رؤيا أن الشهداء يُكلَّلون بالأكاليل. فعاد إلى المدينة واعترف بالمسيح. فعذبوه بصنوف العذاب. وأخيراً قطعوا رأسه وألقوا بجسده في النار، فلم تؤثر فيه. فأخذه بعض المؤمنين وكفنوه ودفنوه فى مكان ما (بمريوط).

+ ثم حدث بعد ذلك أن خروفاً أجرب لأحد الرعاة انزلق فى بركة، ثم خرج وتمرغ في ذلك المكان وبرئ فى الحال. فتعجَّب الراعى مما حصل. فأبرأ بهذه الوسيلة كل خروف أجرب أو به عاهة.

+ وشاع هذا الخبر حتي بلغ ملك القسطنطينية. وكانت ابنته الوحيدة مصابة بمرض الجُذام، فأرسلها إلى هناك حيث برئت بهذه الوسيلة أيضاً. ورأت القديس مينا فى حلم يطلب منها أن تحفر فى هذا المكان فتجد جسده، وفعلاً وجد والدها الجسد. وأمر ببناء كنيسة فوق ذلك المكان. وفى أيام الملك أركاديوس بنيت هناك مدينة عظيمة(١).

٥ - الشهيدة دميانة:

+ وهى ابنة مرقس والى البرلس. وكانت تميل إلى البتولية فإعتزلت فى قصر بناه لها والدها بالزعفران. وسارت على منوالها أربعون عذراء وكلف والدها بحراستهن وقد سُمِّيت «برِّية الجمال والكمال».

---

(١) سنكسار ١٥ هاتور

+ وفى اثناء اضطهاد دقلديانوس بلغها أن والدها بخر للأوثان. فأرسلت إليه تقول: «خير لك ياأبى أن تموت شهيداً هنا فتحيا مع السيد المسيح فى السماء إلى الأبد من أن تحيا وثنياً هنا وتموت مع الشيطان في جهنم إلى الأبد» فتأثر والدها، وأعلن مسيحيته واستشهد[1] علي يد دقلديانوس.

+ ولما عرف الوالى أن دميانه هى السبب، أرسل من عذبها كثيراً. ولما رفضت إغراءاته قتلها هى والعذارى الأربعين اللواتى كن معها[2] وعدد كبير من أهل البلدة.

+ ولايزال بإسمها للأن كنيسة ودير بُقرب مدينة بلقاس بشمال الدلتا.

٦- ثيؤدورا وديديموس:

+ وُلدت الأولى فى أواخر القرن الثالث من أحد عظماء المسيحيين ورباها والدها تربية مسيحية لائقة. وقد امتازت بجمال المنظر والأخلاق. وكانت لا تخرج إلا لزيارة الكنيسة والتناول من الأسرار المقدسة. ولما صدرت أوامر دقلديانوس بإضطهاد المسيحيين شكوها للوالى بأنها مسيحية فإستحضرها أمامه. ثم استهواه جمالها وأراد أن يتزوجها، فرفضت بشدة.

+ عندئذ أمر أن توضع فى منزل للعاهرات، حيث تلقّى صنوف العذاب (الأدبي) ولما بلغ خبرها أحد المسيحيين المدعو ديديموس. فلبس لباس الجندية وأسرع إلى هذا المنزل وعرف موضع ثيؤدورا، فدخل عندها. فإنذعرت ظانة أن ساعة تعذيبها (بالدنس) قد آتت. فقال لها: «لا تنذعرى، أن عريسكِ يسوع أرسلنى لإنقاذكِ» وطلب منها أن تلبس لباس الجندية وتخرج، وهى تخبئ وجهها كعادة الخارجين من أمثال هذه الأماكن الدنسة. وبقى هو موضعها.

+ ولما أراد الوالى أن ينفذ أمره فيها، أرسل إلى هذا المنزل ليطلبها: فوجد ديديموس الذى أعلن له أنه جاء لينقذ عفاف هذه البريئة. فأمر الوالى بقتله.

+ بلغ ثيؤدورا هذا، فخرجت مسرعة، وقالت: «قفوا لا تنفذوا حكم الإعدام فى هذا، لأنى

---

(١) راجع مخطوط سيرتها الكاملة من إعدادنا (نشر مكتبة المحبة).

(٢) سنكسار ١٢ بشنس.

أنا الذى استحقه» فقال ديديموس: «أكملى جميلى معك ودعينى أموت عوَضاً عنكِ».
فقالت له: «لقد سمحت لك أن تنقذ عفافى، ولكن لن أسمح لك أن تأخذ إكليلى» فأمر الوالى بقتل الإثنين معاً ورحلا معاً للفردوس.

٧- القائد يوليوس الأقفهصى:

+ وُلِد بأقفهص(١). وكان يعتنى بتضميد جراح المصابين وبتكفين أجساد الشهداء وإرسالها إلى بلادهم، دون أن يفطن إليه الولاة. واستخدم ٣٠٠ غلام لكتابة سير الشهداء. وبعد مدة ذهب إلى أركانيوس الوالى بسمنود. ليعلن إيمانه وهناك صلى صلاة. فابتلعت الأرض هياكل الأوثان وكهنتها، فآمن الوالى بالسيد المسيح. واسصحب القديس إلى والي أتريب(٢) فى يوم عيد الأوثان، إذ زين الوثنيون معابدهم بالقناديل وسعف النخل.

+ فصلى القديس فسقطت رؤوس الأصنام واحترقت المعابد. فآمن والى آتريب أيضاً. ثم ذهب القديس إلى طوه (بمركز ببا) حيث استشهد هو وولده وواليا سمنود وأتريب وكثيرون معهم (٣).

بدء تاريخ الشهداء:

+ قد بلغ عدد من استشهد من المسيحيين فى مصر فى عهد دقلديانوس، كما قال البعض ٨٤٠ ألفاً عدا ٧٠٠ ألف هلكوا بالحبس والنفى. ونظراً لتفنن هذا الإمبراطور فى وسائل التعذيب اعتبر الأقباط أول عصره بدءاً لتاريخ الشهداء. وكان ذلك فى يوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤م. وانتهى هذا العصر بقتل البابا بطرس خاتم الشهداء.

+ وإن كان دقلديانوس قد قصد إبادة المسيحية، فأهلك كثيرين من أتباعها على الأرض، ولكن لم يستطع بلوغ قصده، بل أراح الشهداء من متاعب الحياة. فلبسوا أكاليل المجد فى السماء.

+ وها قد باد دقلديانوس ومُلكه معه، والمسيحية قائمة إلى الأبد، وهو درس لكل قاسٍ.

---

(١) مركز الفشن بمحافظة بني سويف حالياً.

(٢) بقرب بنها

(٣) سنكسار ٢٢ توت

القسم الثانى



+ لابُد بعد اشتداد أزمات الضيق، أن يظهر الفرج. ولابُد بعد اشتداد حلكة الظلام، أن ينبلج الفجر بنوره. ثم تظهر أشعة الشمس بخيوطها الذهبية. فبعد أن كان الأباطرة وثنيين يحاربون المسيحية اعتنقوا ديانتها، وأطلقوا للمسيحيين الحرية للعبادة وإنشاء الكنائس في كل الامبراطورية الرومية.

+ وبعد أن كان بعض المسيحيين، يفرون إلى الجبال من ظلم الحكام، ظهرت بينهم محاسن الرهبنة التى رفعت شأن المسيحية.

+ وبعد أن كان الإضطهاد سبباً فى كبت روح العلم والفلسفة المسيحية، ظهر كثير من الفلاسفة المسيحيين في الشرق والغرب.

+ وبعد أن كثرت البدع واشتد الشقاق، أصبحت المجامع المسكونية مرجعاً حاسماً لحل المشكلات وإيقاف المبتدعين والمنشقين عند حدهم.

+ وكان للكرسى الأسكندرى المركز الأسمًى فى هذا المجال.

وبناء على ذلك تنقسم دراسة المسيحية فى العصر الذهبى إلى خمسة أبواب.

١- المملكة المسيحية. ٢- الرهبنة .

٣- الفلاسفة المسيحيون شرقاً وغرباً. ٤- الكرسى الأسكندرى .

٥- المجامع المسكونية.

+ وفيما يلي تفاصيل ذلك:-



الباب الأول

المملكة المسيحية

الفصل الأول

أسرة قسطنطين الكبير

قسطنطين الكبير (٣١٢ - ٣٣٧م):

+ هو ابن قسطنطينوس خلورس حاكم فرنسا فى عهد دقلديانوس، وُلِد سنة ٢٧٤م وكان فى صغره يذهب لبلاط دقلديانوس، ويشاهد اضطهاده للمسيحيين، ويرى الأعاجيب التى كانت تحدث عند استشهادهم، ويلاحظ مشاعر العطف التى تبدو نحوهم من والده، فكان لهذا أثره فى حياته فيما بعد.

+ وقد تزوج بإبنة مكسيميانوس شريك دقلديانوس، وعندما مات والده أنعم عليه مكسيميانوس بلقب قيصر، سنة ٣٠٦م بدل والده، ونادى به الجنود البريطانيون ملكاً عليهم، ولكن حماه أغتيل سنة ٣١٠م فأقيم ابنه مكسنتيوس ملكاً على ايطاليا، ولم تكن بينه وبين قسطنطين مودة، فإشتعلت الحرب بينهما وانتصر قسطنطين مرتين. ثم استعد الفريقان للدخول فى معركة فاصلة سنة ٣١٢م.

+ وانشغل قسطنطين بالإستعداد لها، واستعان بالآلهة الوثنية،ولكنها لم تسعفه. ففكر فى الإلتجاء إلى إله المسيحيين. وبينما هو مستغرق فى تفكيره هذا أخذته سِنَّة من النوم. وظهر له السيد المسيح ومعه صليب من نور وقال له: «بهذا تغلب» فإستيقظ من نومه وآتى بحربة من ذهب وجعل عليها عارضة. فصارت كالصليب. ثم علّق بها ستاراً متوجاً بأول حرفين من إسم المسيح XP ثم وضع فى الأسفل صورته وأولاده وكلف حرسه الخاص يحملها أمام الجيش. كما أمر برسم علامة الصليب على جميع الأعلام[1].

+ وعندما دارت رحى الحرب انتصر قسطنطين انتصاراً عظيماً، وفر مكسنتيوس

---

(١) أوسابيوس، ك ١ ف ٣ وك ٤ ف ٢٩ .

مهزوماً إلى روما. وفى أثناء تقهقره بجيوشه انكسر بهم كوبرى نهر التيبر، فغرقوا ودخل قسطنطين ظافراً، فلما رأى قسطنطين أنه قد انتصر بواسطة إيمانه بالصليب اعتمد على يد سلفستروس أسقف روما، وأصدر أمراً برفع الإضطهاد عن المسيحيين، ومنح الحرية الدينية لكل شخص فى المملكة. ثم أصدر سنة ٣١٣م **مرسوم ميلان** وضمنه مساواة المسيحى بغير المسيحى أمام القانون. وبهذا انتشرت فى عهده المسيحية فى جهات متعددة مثل بلاد ايبريا (اسبانيا والبرتغال) وغيرها.

+ رأى اشراف روما الوثنيون اعتناق الملك قسطنطين الدين المسيحى وتعلقه بالمسيحية، فرفضوا تقديم الإجلال الواجب له، ولما لمس فيهم هذا الشعور فكر فى تغيير عاصمة المملكة. وقد رأى فى أثناء حروبه السابقة الموقع المنيع لبيزنطه التى يحيط بها البحر الأسود وبوغاز الدردنيل وبحر مرمرة من ثلاث جهات، فنقل إليها عاصمته بين سنتى ٣٢٦م و٣٣٠م وبنى بها الكنائس.

+ أما شرق الدولة الرومانية فكان يتولاه ليسنيوس فوقعت أيضاً حرب بينهما انتصر فيها قسطنطين. فأصبح إمبراطور الدولة الرومانية شرقاً وغرباً.

+ وفى سنة ٣٢٦م ذهبت هيلانه والدة قسطنطين إلى أورشليم للبحث عن صليب المسيح. فإستدعت أحد كبراء اليهود المدعو يهوذا ليريُها مكانه فأتى بها إلى موضع الجلجثة، الذى ملأه اليهود بالأقذار بعد خراب أورشليم، فى عهد تيطس (٧٠م) فأزالت الملكة هذه الأقذار وعثرت على ثلاثة صلبان وهي الخاصة بالسيد المسيح واللصين. ولم تكن تدرى أيها صليب السيد المسيح، فأشار عليها أنبا مكاريوس أسقف أورشليم، أن يوضع الواحد تلو الآخر على مصاب بمرض مزمن، ولما كان أحدها سبباً فى قيام المصاب صحيحاً تحققوا أنه صليب المسيح (وقيل إنه وضُع علي ميت فأحياه).

+ فأخذت الملكة جزءاً منه وأرسلته لإبنها. ثم شيدت كنيسة كبرى، حضر تدشينها البابا أثناسيوس الأسكندرى. ورجعت فرحة لبلادها (سنكسار ١ برمهات و١٧ توت).

+ وقد أهتم الملك قسطنطين بحل النزاع الذى أثارته بدعة أريوس بعقد مجمع مسكونى فى مدينة نيقيا (Nicae بآسيا الصغري)

أولاد قسطنطين:

+ بعد أن مات الملك قسطنطين الكبير سنة ٣٣٧م قسَّم أولاده المملكة. فأخذ قسطنطين الصغير عرش فرنسا وأسبانيا وبريطانيا (٣٣٧ – ٣٤٠م).

+ وأخذ قسطاس (قسطنس) إيطاليا وإفريقيا (٣٣٧ – ٣٥٠م).

+ وأخذ قسطنديوس الشرق (٣٣٧ - ٣٦١م).

+ واتصل تاريخ هؤلاء اتصالاً وثيقاً بتاريخ البابا أثناسيوس الأسكندرى الذى اضُطهِد فى عهدهم بسبب ظهور بدع الأريوسيين. فاختفي عن كرسيه عدة مرات.

يوليانُس الجاحد(٣٦١ – ٣٦٣م):

+ وهو ابن أخي قسطنطين الكبير. وتولى بعد أولاده وشب مسيحياً حتى العشرين من عمره. ثم تغيَّر تغييراً كلياً. فأطلق للفرد الحرية فى العقيدة الدينية التى تروق له، كما أعلن الأمان لمن تشرَّد بسبب الدين، ليعمل كيف شاء، فعاد البابا أثناسيوس إلى الكرسى الأسكندرى.

+ ولكنه جنح إلى معاشرة أشرار الشبان الوثنيين، فانقلب على المسيحيين وأخذ فى مناوأتهم بما يأتى:-

١- حرّض اليهود على بناء الهيكل لتكذيب نبوة المسيح بخرابه، ولكنه لم يفلح فى ذلك (كما مر ذلك فى تاريخ الكنيسة اليهودية).

٢- اعتنق الوثنية وفّضل الوثنيين على المسيحيين بتعيينهم فى شغل الوظائف الكبرى للدولة. وبنى لهم المعابد. وصار يبخر للأوثان كل صباح.

٣- وضع عشرة كتب ضد المسيحية (رد عليها البابا كيرلس فيما بعد) واغتصب أوانى الكنائس، واستمال ضعاف الإيمان من المسيحيين إلى اعتناق الوثنية، فمن ذلك أنه استدعى فرقة مسيحية من الجند وأعطى نقوداً لكل جندى، طالباً منه أن يلقى بخوراً فى نار بجانبه، فأطاع البعض خوفاً وأما البعض الآخر ففطن إلي مقصده من التبخير للأصنام، وأذاعوا ذلك بين إخوانهم. فثابوا إلى رشدهم وطفقوا يجاهرون بإيمانهم قائلين: «إننا لم نخنك يا يسوع مخلصنا» ثم ألقوا الدراهم إلي الملك وقالوا:

«اذبحنا تقدمة ليسوع، واعطِ ذهبك إلى من يُسَّر به» فغضب منهم، وأمر بقتلهم، ولكنه عاد وعفا عنهم ونفاهم إلى أماكن بعيدة.

+ وكان يضايق المسيحيين بوضع بقايا ذبائح الأوثان فى المياه التى يشرب منها المسيحيون ليلوثها. أو يرش ماءً قد تكرّس للأوثان على الأطعمة فى الأسواق ليمتنع المسيحيون عن شرائها.

+ وكان يتحاشى قتل المسيحيين لعلمه أن القتل قد يزيدهم إيماناً، ولكنه عمل على تعجيزهم بفرض جزية يتعذر على الإنسان الحصول عليها، كإلزام كل فرد بإحضار كمية من النفط النادر الوجود وقتذاك.

+ وبينما كان عازماً على القيام بحرب ضد سابور ملك الفُرس، قابله القديس باسيليوس الكبادوكى ومعه بعض الأساقفة. فقال لهم: «لماذا حضرتم؟» أجابه باسيليوس: «أتينا نطلب راعياً» فقال لهم: «أين تركت ابن النجار؟» (يريد بذلك المسيح تهكماً) فأجابه باسيليوس بشهامة «أنا تركناه ليصنع لك تابوتاً لأنك فقدت كل علم ومعرفة».

+ فقال له الملك «قد قرأتها وحفظتها» فردّ عليه باسيليوس «ولكنك لم تعها ولم تفهمها» فإغتاظ الملك وأمر بالقبض عليه ومن معه ليقدمهم للموت عند رجوعه.فقال له «لن تعود وإلا فلم ينطق الله على فمى» ثم أمر بسجنهم. وعند وقوع الحرب أصابه سهم في كبده وقال تاودوريتس فى تاريخه الكنسى (ك ٣ ف ٢٠) «ولما طعن ذلك القيصر الكافر تلقى فى كفيه الدم المتدفق من جنبه ونثره نحر السماء قائلاً «لقد قهرتنى ياابن مريم» فتمت فيه نبوة باسيليوس. ونجت الكنيسة من شره.

يوبيانس (٣٦٣م):

+ بعد موت يوليانس تولى يوبيانس رئيس الحرس الإمبراطورى مكانه. وكان عطوفاً على المسيحيين، فأمر أن تُرّد للكنائس مخصصاتها التى وهبها لها قسطنطين، فإنتعشت المسيحية في عهده. ولكن أيامه لم تطل أكثر من نصف سنة فقد اختنق ومات بقصره فى أدرنة بتركيا من أثر وعاء من الفحم وُضِع فى غرفته للتدفئة في البرد.

فالنز (٣٦٤ - ٣٧٨م):

+ اشترك مع شقيقه فالنتيان الأول، وكان هذا يميل للأخذ بما قرره مجمع نيقيا، إلا أن

فالنز مال للأراء الأريوسية. ولهذا أذن للوثنيين بالتضحية لأوثانهم ولليهود بحريتهم الدينية، واضطهد الأرثوذكس ونفى كثرين من الأساقفة.

+ فذهب نحو ٨٠ شخصاً من إكليروس القسطنطينية لإستعطاف الإمبراطور للإفراج عن المنفيين، فأمر مودستس الوالى أن يأخذهم إلى مركب فى البحر ويحرقهم، فمن ينج من الحريق يمت غريقاً.

+ وقد نفى ملاتيوس أسقف أنطاكية وعزل اسقف الرها وعيّن بدله أسقفاً أريوسياً. وأمر شعبها أن يُصلّوا معه، ولكنهم تركوا له كنيسة القديس توما وخرجوا إلى خارج المدينة ليقيموا الصلاة فى الحقول.

+ فكان هذا سبباً فى استياء الإمبراطور، واتهام الوالى بالتساهل مع المسيحيين. فأمره بإلزامهم بالعبادة مع الدخيل. ولأن الوالى كان يريد حقن الدماء أتى بالأرثوذكس سراً، وطلب منهم ألا يجتمعوا فى الحقول للصلاة، فكان المسيحيون أكثر تحفزاً للذهاب إليها مبكرين.

+ ولما رأى الوالى أنهم لم يأخذوا بنصيحته، أمر الجند بالتهريج فى المدينة لإرهاب الناس وتنفيذ أمره - وفى أثناء مرور جحافل العسكر بهذه الصورة رأوا إمرأة لا تعبأ بحركة الجنود وهي تخرج من منزلها مسرعة وتترك بابها مفتوحاً، وتجر ذيل ثيابها على الأرض، وتحمل طفلها على كتفها. فأتاها القائد وقال لها: «إلى أين أنتِ ذاهبة»؟ قالت: «لأعبد مع إخوانى فى الحقول». فقال لها «ألا تدرين أنك ستُقتلين معهم؟» قالت «ولأجل هذا أنا مسرعة، لكى لا يفوتنى إكليل الشهادة». فقال لها «ولماذا تأخذين طفلكِ هذا معكِ؟» قالت «لكى يتمتع بالأكاليل التى أخذها أطفال بيت لحم».

+ فذهب القائد إلى الإمبراطور، وقص عليه ماجرى، وطلب أن يطلق لهم الحرية. وكان موقف هذه المرأة سبباً فى ذلك. فكان من نتيجته أن ترك الحرية للأرثوذكس.

+ وقد قُتِل فى حربٍ قامت بينه وبين القوط (في شمال أوربا).



الفصل الثانى

أسرة ثيؤدوسيوس الكبير

ثيؤدوسيوس الكبير (٣٧٨ - ٣٩٥م):

+ بعد نزاع حصل بين القواد. استولى هذا الإمبراطور على عرش الدولة الرومانية، وأسس الأسرة الثيؤدوسية.

+ كان عالى الهمة، سمح الأخلاق. ساس المملكة بالعدل، وأعطى الوظائف لمستحقيها، بدون نظر إلى جنس أو دين.

+ وقد أمر فى سنة ٣٨١م بعقد المجمع المسكونى الثانى، لدحض بدعتى أبوليناريوس ومكدونيوس.

+ ولما رأى كثرة الوافدين إلى المسيحية من الوثنية، وازدحام كنائسها بهم، بينما كانت المعابد الوثنية مقفرة واستغلها اللصوص مكامن لهم، عرض على مجلس السناتو أمر إغلاق تلك المعابد الوثنية، فوافق أغلب الأعضاء على ذلك. وأغلق في رومه نحو ٤٢٤ معبداً وهيكلاً. ولم يمضِ وقت قليل حتى هدم أكثرها. وممن ساعدوه في الهدم «**مارتينوس**» أسقف تور بفرنسا»(١).

---

(١) (٣١٦ - ٣٩٧م) كان ضابطاً وثنياً، ولكنه مال وهو صغير، إلى سماع الأحاديث الدينية المسيحية، وذهب وهو فى سن العاشرة إلى الكنيسة وطلب من قسوسها أن يدوّنوه في صف الموعوظين، بالرغم من أن والده كان ضابطاً وثنياً. وبعد هذا مال للعزلة كباقي المتنسكين، ولكن والده أدخله في سلك الجندية وهو فى سن الخامسة عشرة فكان مثالاً لرفاقه فى التقوى والتصرف الحسن، حتى أنه رأى رجلاً بملابس بالية يتألم من شدة البرد فشق ثيابه وجعل نصفه لهذا الفقير، ولبس النصف الآخر. فضحك الجند عليه أولاً، ولكنهم شعروا أخيراً بنبله، ثم رأى مارتينوس فى حلم، أن السيد المسيح يلبس نصف الثوب الذى أعطاه لأخيه الفقير.

* وبعد هذا ترك الجُندية وانفرد للعبادة، بقرب تور بفرنسا، وبنى هناك ديراً. ثم انتخبه الشعب ليكون أسقفاً عليهم فأهتم بالتبشير وسط الوثنيين واجتذب الكثيرين منهم، وهدم معابدهم. وقطع اشجاراً مقدسة كثيرة كانوا يعبدونها - ورأى بعضاً منهم يعبدون شجرة صنوبر بجوار معبد قديم لهم، فأراد قطعها، ولكن الوثنيين اشترطوا لقطعها أن يقف مارتينوس تحتها فى مكان عينوه له، قاصدين أن تسقط الشجرة عليه وتسحقه، ولكن الشجرة مالت إلى الجانب الآخر فلم يصبه أذى، وآمنوا بالسيد المسيح.

+ وكذلك أمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس بتحويل البرابى (المعابد الوثنية) فى مصر إلى كنائس مسيحية. وكان من ضمن هذه المعابد هيكل سيرابيس بالأسكندرية الذى حوله البابا ثؤفيلس إلى كنيستين على إسمى اركاديوس وهانوريوس إبنىّ الإمبراطور.

+ وأمر الإمبراطور سنة ٣٨١م بإعتبار الديانة المسيحية، **الديانة الرسمية** للدولة، ومع أن خدمات الإمبراطور ثيؤدوسيوس المسيحية كانت جليلة، إلا أن طباعه كان بها بعض الشذوذ، ولو أن رجوعه للحق كان سريعاً. ويظهر ذلك فى القصتين الآتيتين:

١- عصاه مرة أهل تسالونيكى، وقتلوا حاكمهم - وهو فى ميلان - فأمر أن بقتل جميعهم بدون تحقيق ليعرف البار من الأثيم، قتل فى وقت واحد سبعة آلاف نسمة، فأظهر له الأسقف امبروز فظاعة ماارتكب وأعلنه بالحرم من دخول الكنيسة حتى يتوب عما فعل. فلم يُطع. وذهب فى أحد الأيام إلى الكنيسة، فقابله الأسقف فى الطريق وقال له: «كيف تقف أمام الله بذنبك الجسيم؟ أتستطيع أن تطأ مكانه المقدس، ويداك ملطختان بدم الأبرياء؟!» فتأثر ولم يذهب واستمر منقطعاً عنها ثمانية أشهر إلى أن قَرُب عيد الميلاد، فقال فى نفسه «أيكون هيكل الله مفتوحاً لبُسطاء شعبى وفى وجهى مُغلقاً». وذهب إلى مكان بقرب الكنيسة، واستدعى الأسقف ليسمح له بالدخول. فقال له: «إن خطيئتك الجهارية تقتضى توبة جهارية». وطلب منه أن يستن تشريعاً بوقف حكم الإعدام مدة ثلاثين يوماً بعد النطق به، إذ قد تثْبُت فى خلالها براءة المحكوم عليه. فأصدر الملك هذا التشريع ودخل إلى الكنيسة، وخر على ركبتيه ذارفاً الدموع وقائلاً: «لصقت نفسى بالتراب فأحينى ككلمتك».

+ فكان هذا مثالاً حياً أمام الشعب فى الخضوع لسلطان الكنيسة، وفى إشهار التوبة الحقيقية (العملية).

٢- استاء الأنطاكيون من فرض ضريبة عُظمىّ عليهم، فألقوا بتمثالىّ الملك وزوجته، وجرُّوهما على الأرض. ولما بلغ الملك هذا فكر فى تدمير انطاكية، فإنذعر أهلها ووسّطوا أسقفهم فلابيانس، ليستشفع فيهم لديه. فذهب ليستعطف

الإمبراطور، الذيى أشار إلى إحسانه لأهل أنطاكية ومقابلتهم إحسانه بالإساءة. فقال له الأسقف: «إنهم يستحقون كل عقاب ولكن، اعتبر أيها الملك بجودته تعالى، كيف أنزل عظمته إلى تواضع خليقته المخالفة العاصية فغفر لها .. فإن غفرت لنا، كانت نجاتنا ديناً علينا.أما حُنُوّك فيزداد جلالاً ويعجب منه الكفرة. ويمجدون الله قائلين ما أعظم إله المسيحيين، فأنه يرفع ذويه إلى أعلى المراتب».

+ ثم أظهر له الأية التى نصها «إن لم تغفروا للناس زلاتهم فلا يغفر لكم أبوكم السماوى زلاتكم». وقال له «أعتبر أن جميع ذنوبك تكون مغفورة إن صفحت عن ذنبنا».فأجابه الملك متأثراً. «لقد عفوت عن ذنبهم إكراماً لرب المجد، الذى اتخذ صورة عبد، وسأل الغفران للمذنبين».

+ وفى هذا دليل الطيبة والتقوًى التى كان يتشح بها هذا الإمبراطور.

أركاديوس (٣٩٥ – ٣٩٨م):

+ بعد وفاة الإمبراطور ثيؤدوسيوس: اقتسم ابناه اللذان ورثا التقوى عن والدهما، المملكة، فصار هانوريوس إمبراطور الغرب (في رومه) وأركاديوس إمبراطور الشرق (في القسطنطنية).

+ ولو أن أركاديوس كان ضعيف الإرادة، مستسلماً لزوجته إفدوكسيا، التى سودت تاريخها بنفي يوحنا فم الذهب، إلا أنه سار على خطة والده بإعتبار المسيحية الدين الرسمى للدولة.

+ وكان بالقُرب مَن قصره شجرة جوز، عُلِقّ عليها شهيد يُسمًّى **أكاكيوس**.فبنى الملك بقربها كنيسة على إسم الشهيد. ولما دخل مرة ليشاهدها، أدركته الوفاة فيها، فتجمهر الناس على سطح قصره، ليروا حفلة جنازته، فسقط بهم، ولكن واحداً منهم لم يمسه أذى، فنسبوا هذا إلى تقوى الملك.

ثيؤدوسيوس الصغير (٤٠٨ – ٤٥٠م):

+ خلف والده أركاديوس، وكان كجده يُكثِر من الصوم، ويدرس الكتاب المقدس كثيراً،

حتى حفظ معظمه عن ظهر قلب. وقيل له مرة: «لماذا لم تقتل أحداً؟» فأجاب: «ليتنى أستطيع أن أُحيى الموتى».

+ وطلب منه راهب صدقة فأبى، فحرمه الراهب، فإنزعج الإمبراطور ولم يستطع البطريرك تهدئته حتى حضر الراهب وحل هذا الحرم. وقد أبطل الأغانى وأغلق أماكن اللهو، لاسيما أيام الآحاد والأعياد. وأحضر رفات البطريرك القديس يوحنا فم الذهب إلى القسطنطينية بإجلال وإكرام، وبكى حين شاهدها، طالباً المغفرة لوالديه اللذين اضطهداه (وكان مظلوماً).

+ وفى عهد هذا الإمبراطور انعقد المجمع المسكونى الثالث ومجمع أفسس الثانى.

✣ ✣ ✣

الباب الثانى

الرهبنـــــــة

يتضمن هذا الباب الفصول الآتية :-

١- التنسّك عند غير المسيحيين.

٢- مبادئ الرهبنة المسيحية وأول ظهورها.

٣- أنظمة الرهبنة ونظام العزلة.

٤- نظام الجماعات الرهبانية.

٥- بعض مشاهير رهبان الجماعات.

٦- نظام الشركة الرهبانية.

٧- قواعد نظام الشركة ورهبنة النساء.

٨- انتقال الرهبنة إلى الخارج.

✣ ✣ ✣

الفصل الأول

التنسك عند غير المسيحيين

١- عند الهنود ٢- عند اليونان ٣- عند المصريين ٤- عند اليهود

١- التنسك عند الهنود:

+ كان متنسكو الهنود يميلون إلى تقديس العزلة، سواء منهم البراهمة أو البوذيون. وكان من فلسفة أحد البوذيين «جواتما بوذا» «أن الحياة ملأى بالمتاعب، التى تسببها الرغبة، خصوصاً ما يتعلق منها بطول البقاء وأنه ليس ثمة من خلاص من متاعب الحياة، إلا بواسطة قتل الرغبة فى النفس (دائرة معارف الدين والأخلاق)(١).

+ ولذا ترك أهله وعشيرته، حيث العز والراحة وذهب إلى البرارى والقفار متقشفاً حتى اصطبغ جسمه بلون أسود. ثم ترك البرارى بعد ذلك ليعيش على الصدقات.

+ ومن البوذيين أيضاً من أتبع نظام الشركة، فقد جمعت مدينة لاسا فى وقت واحد ٢٥٠٠ مكاناً بها مائة ألف ناسك يقضون معظم أوقاتهم فى تلاوة الصلوات أمام تمثال بوذا مستلقين على فراش من مسامير، ورافعين أذرعهم إلى أعلا طول الحياة، أو قاطعين عهداً على أنفسهم بالسكون المطلق. ولما رأى الأستاذ الألمانى (هلجنفيلد) أن فريقاً من الرهبان المسيحيين اتبعوا شيئاً من هذا النظام ادعى أن الرهبنة المسيحية مشتقة أصلاً من نظم البوذيين، ولكن الحقيقة غير ذلك. فإن البوذيين المتنسكين يعتمدون على الصدقة، ويُحرِّمون العمل للحصول على القوت. أما الرهبان المسيحيون فيعتمدون على العمل للحصول على مايكفى للقوت، ولمساعدة المحتاجين. وأولئك يحرمون تناول اللحوم (باعتبارها نجسة) وهؤلاء يبيحون أكل اللحم، ولاسيما في المناسبات.

---

(1) Encyclopedia of Religon and Ethics, V.2.p 282.

٢- التنسك عند اليونان:

+ بدأ بيلوتينس (أفلوطون) مبتدع الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، وتتخلص فلسفته فى «أن المادة أصل لكل شر، وفى وجوب تطهير الحواس من الدنس، واعتزال العالم، وخلاص الروح من عبودية الجسد»(١).

+ ولذا كان يعيش عيشة منفردة، لا يأكل اللحم بتاتاً، ولا ينام إلا نادراً، ويقضى الليالى الطوال فى تلاوة الصلوات(٢).

+ وقد ظن البعض أيضاً أن الرهبنة المسيحية اقتبست نظامها منه، ومن أستاذه أمونيوس السقاص، ولكن فلسفتهما اتبعها أفراد قليلون من اليونان، لا يجمعهم نظام ثابت، ولم يتعدَّ تأثيرها الطبقات الراقية من المصريين، الذين درسوا الآداب اليونانية. ولم تؤثر بأية حال على الطبقة المتوسطة التى ظهر منها مؤسسو الرهبنة المسيحية.

٣- التنسك عند المصريين:

+ كان متنسكو المصريين يزهدون العالم ويتعلقون بأهداب التوَّحد، فى عبادة إلههم سيرابيس، الذى كان كهنته يحلقون شعور رؤوسهم. ويعيشون عيشة طاهرة، متجنبين تناول اللحوم وشرب الخمر.

+ وقد قال الدكتور (وينجارتن)، أن الأنبا باخوميوس كان قبل اعتناقه المسيحية، متوحداً وثنياً من نساك سيرابيس. ثم ابتدع نظام الشركة فى الرهبنة المسيحية.

+ ولكن كراهية المسيحيين للوثنية فى ذاك العهد، واندفاعهم إلى طمس معالمها، وتحويل معابدها إلى كنائس أو أديرة-كما حصل فى معبدىّ الأقصر والدير البحرى-لأكبر دليل على خطأ هذا القول.

---

(1) Encyclopedia of Religon, V.9.p. 309

(2) Eny. of Rqligion, v.5, P. 196.

٤- التنسُك عند اليهود:

+ من متنسكى اليهود إيليا النبى، الذى عاش فى البرية، وكانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحاً ومساءً[(١)] ومنهم أيضاً يوحنا المعمدان الذى عاش فى البرية وكان يلبس لباساً من وبر الأبل، ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جراداً وعسلاً برياً[(٢)].

وقد أشتهر بالتنسُك بينهم طائفتان:

+ **الأولي طائفة الأسينيين** (المتواضعين). وكانوا يسكنون شواطئ البحر الميت الغربية، ويعيشون عيشة خشنة تشبه ما يعمله الرهبان المسيحيون. ولكنهم كانوا يختلفون عنهم فى إباحة الزواج لإتباعهم، لحفظ الجنس البشرى، بخلاف الرهبنة المسيحية. وقد انتهى أمر هذه الطائفة عند خراب أورشليم فى الجيل الأول. ولم تظهر الرهبنة المسيحية إلا فى القرن الرابع.

+ **والطائفة الثانية الثِرَابيُوتَه** (شافو المرضى). تأثرت بفلسفة اليونان وكان من أتباعها فيلو وغيره. وانتشروا بجوار بحيرة مريوط. وكان نظامهم يقضى بإنعزال الناسك فى الجبال والصحارى للتفرغ لدراسة التوراة تاركاً الأهل والمال، قاطعاً على نفسه عهداً بالصمت طوال الأسبوع. ثم يجتمع النُسّاك معاً – رجالاً ونساءً – فى يوم السبت فى مكان واحد يسمعون نصائح رئيسهم. وبالرغم من وجود بعض التشابه بين الثرابيوته والرهبنة المسيحية، إلا أن الفروق الكثيرة بينهما، تؤكد أن النظامين مختلفان، إذ أن الثرابيوته تحرم العمل اليدوى وتجيز وجود الرجال والنساء فى مكان واحد، والرهبنة المسيحية تخالفها فى هذا[(٣)].



---

(١) «١ مل ١٧:٦».

(٢) «مر ١:٦».

(٣) أنظر كتاب الأديرة الشرقية، للأستاذ لبيب حبشي، والأستاذ زكي تاوضروس، ص ٩ – ١٦.

الفصل الثانى

مبادئ الرهبنة المسيحية وأول ظهورها

+ أخذت الرهبنة المسيحية مبادئها من حياة السيد المسيح وبولس الرسول، ومن الآيات التى وردت على لسانهما فى الكتاب المقدس.

ولمبادئ الرهبنة ثلاثة أركان:-١- البتولية ، ٢- الفقر الإختيارى ، ٣- الطاعة .

١ - فى البتولية:

+ عاش السيد المسيح بتولاً على الأرض. ولما تحادث مع الرسل عن جواز الطلاق، فى شريعة موسى، وعدم جوازه فى المسيحية، إلا لعلة الزنى. قال الرسل «إن كان هذا أمر الرجل مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوج» فقال لهم «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام، بل الذين أُعطى لهم، لأنه يوجد خصيان وُلِدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس.ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل»[١].

+ وفى هذا إشارة السيد المسيح، عن أُناسٍ استطاعوا أن يخصوا أنفسهم (أى لا يتزوجوا). لأجل ملكوت الله»مستعينين بنعمته تعالى، على احتمال مشاق البتولية.

+ وقد عاش بولس الرسول بتولاً، كما أعلن فى قوله: «أقول لغير المتزوجين أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا»[٢].

+ وأيد البتولية فى قوله «أريد أن تكونوا بلا هَمْ. غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يُرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يُرضِى إمرأته. إذن من زوَّج فحسناً يفعل.ومن لا يُزَّوج يفعل أحسن»[٣].

---

(١) «مت ١٩: ١٠ - ١٢» .

(٢) «١ كو ٧:٨».

(٣) «١ كو ٧: ٣٢ - ٣٨».

٢- وفى الفقر الإختيارى:

+ عاش السيد المسيح فقيراً(ليس له أين يسند رأسه)(١) (ودعا الفقراء إخوته)(٢). وقال فى موضع آخر أن «من ترك بيوتاً .. أو حقولاً من أجل إسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية»(٣). كما قال للغنى الذى آراد أن يكون كاملاً (اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء)(٤)، وأمتدح الفقير «لعازر»، ورفعه إلي حضن ابراهيم، وأنزل الغني غير الرحيم إلي الهاوية(٥).

+ وعاش بولس الرسول فقيراً وأعلن ذلك فى قوله «كفقراء ونحن نُغنى كثيرين .. ولا شئ لنا ونحن نملك كل شئ»(٦).

٣- وفى الطاعة:

+ ظهر السيد المسيح مثالاً للجميع فى الطاعة، كما ورد فى الآية التى نصها: «مع كونه ابناً تعلم الطاعة»(٧) و «وضع نفسه وأطاع حتى الموت»(٨).

+ وقد حض القديس بولس الرسول على الطاعة فى قوله: «مُستأسرين كل فكرٍ إلى طاعة المسيح»(٩). وقال لتلميذه تيطس «ذكرهم أن يخضعوا للرئاسات والسلاطين، ويطيعوا، ويكونوا مستعديين لكل عمل صالح»(١٠) وقال أيضاً «أطيعوا مرشديكم»(١١).

أول ظهورها:

+ كان المصريون أول من تأثر بهذه المبادئ، لأنهم من فجر التاريخ، يؤمنون بالبعث، ويدينون بخلود النفس، ويقضون أعمارهم فى الإستعداد للحياة الأخرى، بتحنيط أجسادهم ويحفظ المأكولات وغيرها، فى مقابرهم.

+ ولما اعتنقوا المسيحية ازداد فيهم الإستعداد، ثم أذكاه فى نفوسهم ظلم الولاة الرومان واضطهادهم : وما كانوا مَحوُطين به من أنواع الفجور والتبرّج الذى اشتهر به الرومان. فدفعتهم كل هذه العوامل إلى سُكنى البرارى والقفار، وبعيداً عن أعين الرُقَباء: ليتسع أمامهم مجال التعبد والتقشف، إلى درجة الكمال الذى تقتضيه المسيحية.

---

(١) «مت ٨: ٢٠» (٢) «مت ٢٥: ٤٠» (٣) «مت ١٩: ٢٩»
(٤) «مت ١٩: ٢١» (٥) «لو ١٦: ١٩ - ٣١» (٦) «٢ كو ٦: ١٠»
(٧) «عب ٥: ٨» (٨) «في ٢: ٨»
(٩) «في ٢ : ٨» (١٠) «٢ كو ١٠: ٥»
(١١) «في ٣: ١»

الفصل الثالث

أنظمة الرهبنة المصرية

+ بدأت الرهبنة بنظام العزلة، وتطورت إلى نظام الجماعات الرهبانية، ثم إلى نظام الشركة.

نظام العزلة:

+ العزلة الإنفرادية، هى الأصل فى نظام الرهبنة، وقد عاب البعض على الرهبان عزلتهم عن العالم لخلاص نفوسهم دون الآخرين، ولكن لا يعيب الإنسان أن ينصرف إلى إعداد نفسه للحياة الأبدية: فضلاً عن أن الرهبان لم ينفعوا أنفسهم فقط، بل خدموا العالم بإختباراتهم الروحية، التى تركوها ذخيرة للأجيال.

+ وهم فى نظام عزلتهم، يشبهون طغمات الملائكة الذين لا عمل لهم، إلا تقديس الله صارخين باستمرار وقائلين «قدوس قدوس قدوس»[١]. ويشبهون أيضاً السيد المسيح الذى إنفرد مراراً[٢].

+ ولما كان نظام العزلة يقتضى أن يعيش الراهب منفرداً، حتى ينتهى إلى العالم الآخر، دون أن يعرف أحد عنه شيئاً، فأنه بسبب ذلك، لم يرد فى التاريخ ذكر كثير منهم، واقتصر علي ذكر من تمكّن بعض المؤرخين من الإتصال بهم والتحدُّث عنهم.

+ فذكر فى كتاب (حياة القديسين)[٣] تحت تاريخ ١٤ إبريل، أنه فى عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس، قيل عن شخص يدعى فرونتونيوس رحل إلى برية نتريا (وادى النطرون) وفى صحبته سبعون مسيحياً، راغبين فى التقُّشف والعزلة، زاهدين فى حياة العالم.

---

(١) «رؤ ٤:٨».

(٢) «انظر لو ٩:١٠– ١٨»

(٣) Acta Sanctorum

+ فتلك الحملة المنظمة، لم تكن بطبيعة الحال، إلا واحدة من حملات متعددة كانت تحدث دون أن يسجلها التاريخ. ويرجع ذلك إلى حدوثها فى الخفاء لأن أساس الديانة المسيحية انكار الذات وعدم المبالاة بكلام الناس (المدح) وعدم المباهاة بالعبادة والتقشف. فكان الرهبان يحتفظون بهذه الأعمال سراً مكنوناً، يعلمه فاحص القلوب، وأصدق دليل على ذلك يظهر في حياة أول السواح في العالم وهو القديس:

الأنبا بولا السائح:

فقد ذكر الأنبا أنطونيوس ما ملخصه:

+ لما خالجه الظن بأنه أول من سلك الرهبنة وانفرد للنسك والعبادة فى البرية أُوحِيَ إليه بأن فى البرية رجلاً، أقدم منه زماناً وأفضل قداسة. فخرج للبحث عنه،مسترشداً بالله،حتى وصل فى الظلام إلى مكان ينبعث منه ضوء سراج : وإذ به كان القديس بولا الذى قص عليه تاريخ حياته فقال:

+ أنه وُلِدَ فى طيبه، فى عهد الإمبراطور ديسيوس. ومات والده وهو فى سن ١٢. وتعلم اليونانية علاوة على القبطية. ولما ثار الإضطهاد، انعزل فى منزل بمزارعه، إلا أن زوج أخته، آراد أن يجور على أمواله، وهدده بالشكاية للإمبراطور بأنه مسيحى،إن طالب بها.

+ فترك له الأموال، وهرب إلى مغارة، بقرب خليج السويس، تجاورها عين ماء وبعض النخيل، فكان يأكل من ثمرها ويشرب من ماء العين، ويكتسى بسعف النخل المجدول. وكان يأتيه غراب كل يوم بنصف رغيف من الخُبز..

+ وما كاد الأنبا بولا ينتهى من حديثه، حتى أتى الغراب برغيف كامل. فقال الأنبا بولا للأنبا أنطونيوس «منذ ستين سنة يأتينى غراب كل يوم بنصف رغيف، واليوم أتى برغيف كامل من أجلك، فشكراً لله الذى يهتم بالمتكلين عليه».

+ ثم قال بولا لصديقه أنطونيوس «إن الله قد أرسلك، لتوارينى التراب، فأطلب إليك أن تحضر الرداء الذى وهبك إياه البابا أثناسيوس لتكفنى به».

+ فأسرع القديس أنطونيوس لإحضار الرداء، وقبل أن يصل عائداً لمغارة الأنبا بولا أبصر جوقة من الملائكة يرتلون وبينهم روح البار. ولما دخل المغارة وجد جسده جاثياً على ركبتيه ورأسه مستقيمة ويديه مرتفعتين. فظن أنه حى يصلى، فجثا بقربه: إلا أنه لما تفرس فيه جيداً، تأكد أنه فارق الحياة. فبكاه ثم خلع عنه ثوبه الخوص، واحتفظ به لنفسه، حيث كان يلبسه فى الأعياد. وألبسه الرداء الذى أحضره له. ولما لم يكن لدى الأنبا أنطونيوس ما يحفر به حُفَرة، فأرسل الله أسدين، حفرا الأرض حتى جهزا قبراً للقديس.

* وكتب ايرونيموس من أباء الجيل الرابع مدحاً للأنبا بولا فى قوله «أننى أسأل الأغنياء الذين لا يعرفون كمية ثروتهم لزيادتها، والذين يسكنون المنازل الواسعة المزدانة بالرسوم. ماذا أعوزّ هذا الشيخ الخالى من كل غنيٍّ؟!»

* «أنتم تشربون فى كؤوس من فضة وذهب، وهذا بولا يطفئ عطشه بكف يده. أنتم تلبسون البرفير (الحرير) وهذا كان مرتدياً ثوباً من النخيل».

* «غير أن الأمر لا يبقى هكذا دائماً. فها أن السموات انفتحت لبولا المسكين. وأنتم ستهبطون إلى حيث كنوزهم. دُفن في القبر ليقوم للمجد. وأنتم تُدفنون فى قبور من الرخام، لتحترقوا إلى الأبد».

+ وأنشئ دير بإسم القديس بولا فى البقعة التى كان يسكنها، مازال قائماً إلى الآن في جبال البحر الأحمر، بالقُرب من دير أنبا أنطونيوس.



الفصل الرابع

نظام الجماعات الرهبانية

+ لما سرَت روح الرهبنة فى كثير من المسيحيين، اندفع كل فريق منهم إلى الأنضواء تحت إرشاد أحد النساك المتعمقين فى الرهبنة، فتكونت الجماعات الرهبانية ومنها:

١- جماعة أنطونيوس

٢- جماعة أمون

٣- جماعة مكاريوس الأسكندرى

٤- جماعة مكاريوس المصرى.

١- جماعة أنطونيوس:

+ كانت أول جماعة للرهبان هى جماعة القديس أنطونيوس بالصحراء الشرقية. ولذا دُعَى القديس «بأبى الرهبان» وملخص سيرة حياته فهي كما يلي:

نشـأته:

+ وُلد القديس سنة ٢٥١م ببلدة قمن العروس (بالواسطي بمحافظة بنى سويف) من والدين مسيحيين غنيين، ربياه تربية حسنة مع أخته ديوس. فكان يواظب على قراءة الكتاب المقدس، وقد تأثر بسيرة المسيحيين الأوائل، الذين كانوا يضعون أثمان ممتلكاتهم تحت أقدام الرسل، ليوزعوا منها على كل واحد حسب احتياجه (أع ٤:٣٥).

+ وفى سن الثامنة عشرة فقَدَ والديه. فألقى على كاهله عبء إدارة أملاكهما (٣٠٠ فدان) ولم يشغله هذا عن العبادة.

+ ودخل الكنيسة مرة، فسمع الخادم يتلو فصل الإنجيل ويقول: «إن أردْتَ أن تكون كاملاً، فإذهب وبع أملاكك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنزاً فى السماء»[1]. فإعتقد أن الكلام مُوجه له. فباع أملاكه، ووزعها على المحتاجين، وأبقى جزءاً قليلاً لأخته الصغيرة، التى أودعها عند المتبتلات.

(١) «مت ١٩:٢١»

+ ثم سمع فى أحد أخر «لا تهتم للغد»[١] فإنعزل فى منزل بجوار القرية، واسترشد بأحد المتعبدين، فعلمه أن يضبط حالته النفسية، فلا يستحوذ عليه القلق من ناحية أسرته، أو يتقيَّد بمحبة أقربائه، أو يرتبط بأمور هذه الحياة الوقتية. بل يشغل نفسه بالأصوام والصلوات وقراءة الكتاب المقدس بلا انقطاع.

+ ثم ازداد القديس تشبثاً بالعُزلة، فأقام فى أحد القبور المصرية القريبة من بلدة الميمون (ببني سويف) وكان يقتات من صناعة جدل الخوص وبيعه.

محاربات الشيطان:

قامت بين الشيطان والقديس محاربات فى ميادين متعددة نذكر منها:

١- **ميدان الشهوة الجسدية:** فكان يأتيه بالأفكار الدنسة، ويصوِّر لخياله ما فى الجسم من إغراء، إلى أن ظهر له بصورة إمرأة جميلة. فإستعان القديس بقوة الله، وقال «لا تمحِ يارب محبتك من فكرى!» ولما أثار فيه الشيطان نيران الشهوة، تذّكر يوم الدينونة وعذاب الفُجَّار فى آتون النار. وكان يلح فى الصلاة لله ليعينه على مُحاربة هذه الأفكار. مُستعيناً أيضاً بالصوم لإذلال الجسد. وكانت النتيجة أن انتصر فى الحرب الشهوانية. وكلما كان يتقدَّم فى السن كانت تضعف فيه هذه الحرب (وهو درس هام لكل نفس).

٢- **ميدان الغِنَي والجاه:** أظهر له ماكان عليه من الثراء، وكيف ضحَّى به بهذه الصورة السريعة. فكان القديس يدافع بأنه باع أملاكه ليكون له كنز دائم فى السماء.

٣- **ميدان القلق على أسرته:** أظهر له جسامة جُرمِه فى ترك أخته، وكيف حالها وهى تعيش بدون رجل يعينها. ولكن القديس كان يعتبر أن الجميع فى رعاية الله.

٤- **ميدان الرهبنة:** أظهر له صعوبة الطريق التى يسلكها. ثم حصلت بينهما مصارعة يدوية على أثرها أُغمِي على القديس، فحمله من كان يعتنى به إلى كنيسة

---

(٢) «مت ٦: ٢٥».

البلدة، وأبقاه بها إلى أن أفاق من الإغماء. ثم رجع معه ليلاً إلى القبر الذى كان يسكنه.

+ فظهر له الشيطان عندئذ بأشكال أسود ونمور وضباع وثعابين وعقارب تُرعِب الإنسان بأصواتها. فكان القديس يقول: «لن يجرى لى شئ إلا بسماح من خالقى . وأن ظهوركم بهذه الكثرة يدل على ضعفكم. فلو كنتم أقوياء لكان أحدكم كافياً لمنازلتى». ثم رشم على وجهه علامة الصليب وصلى مزمور السابع والعشرين: «الرب نورى وخلاصى ممن أخاف ... عندما أقترب إلىّ الأشرار ليأكلوا لحمى، عثروا وسقطوا. إن نزل علىَّ جيش فلا يخاف قلبى. إن قامت علىَّ حرب، ففى ذلك أنا مطمئن ..إلخ». فتبدَّدت كل هذه المناظر من حوله (أهمية الانتصار بوسائط النعمة والاتضاع مع الحكمة).

تكوين جماعة أنطونيوس بالبرية الشرقية:

+ قضى القديس فى غرب النيل نحو عشرين سنة، ثم تحوَّل إلى شرقيه نحو سنة ٢٨٩م، وأخذ معه مؤونة ستة أشهر ثم سكن فى مغارة[١] تقرُب من عين ماء. واستمر فيها، وليس له من عون إلا الكتاب المقدس، والصلاة والصوم.

+ وقد سار وراءه من الغرب إلى الشرق ذوو الأمراض الذين كان يشفيهم بقوة صلاته. وتبعه أيضاً عارفو فضله ممن تأثروا بسُمو تعاليمه وحُسن مثاله، وأرادوا أن يتتلمذوا له، فأظهر لهم صعوبة الطريق. وأخيراً لما رأى تصميمهم، وضعهم تحت رعايته. وأنشأ لهم نظاماً خاصاً، إذ بنى لكل منهم قلاية خاصة ينفرد فيها للعبادة ولقضاء حاجاته. وأحاطها جميعاً بسور واحد. وبهذا النظام تكونت أول جماعة للرهبان.

+ وقد روى البابا أثناسيوس أن فطاحل الفلاسفة اليونان كانوا يقصدون القديس أنطونيوس ليجادلوه فى الدين المسيحى. فكان يُفحمّهم بأدلته، وطلب منهم الإستعانة بقوة آلهتهم فى إخراج الشياطين من رجلين أمامه، فعجزوا عن

---

(١) ربما كانت من مخابئ مزيفى النقود، من عهد كليوبترا، كما قال البعض.

ذلك. أما القديس فبإسم يسوع المسيح وبإشارة صليبه، تمكن من إخراج هذه الشياطين (الاقناع بالمنطق العقلي والتطبيقي).

+ أتى للقديس مرة بعض الفلاسفة، واستفهموا منه عن بعض العلوم. فأظهر لهم عدم تمكنه منها. فاحتقروه فى نظرهم. فقال: «هل وُجدت جودة العقل قبل العلوم؟ أو وُجدت العلوم قبل جودة العقل؟» فأجابوا: «أن جودة العقل سبقت العلوم» فقال لهم «ابحثوا أولاً عند محادثة شخص عن جودة العقل».

+ ونظراً لإنتشار إسم أنطونيوس فى العالم، فقد أرسل إليه الملك قسطنطين خطاباً. فسُرّ تلاميذه واعتبروا هذا شرفاً عظيماً. فإستدعاهم وقال لهم: «أتفتخرون بخطاب وصلنا من بشر مثلكم؟ ولماذا لا تفخرون بالأحرى بالرسالة التى أتت من السماء كلمة الله التى أوحاها لأنبيائه ؟ بل افخروا لأن الله بعدما كلم الأباء بالأنبياء قديماً ... كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه»(١).

زياراته للبلاد المعمورة:

+ لما رأى القديس أن الكنائس المضطهدة فى احتياج لخدماته التشجيعية الروحية نزل هو وفريق من رهبانه مرتين:-

* **الأولى:** سنة ٣١١م عندما اشتد اضطهاد مكسيميانُس شريك دقلديانوس. فكان يحضر المحاكم فى الأسكندرية. ويشجع المؤمنين على الإستشهاد. ووقف مرة على رابية مُعرّضاً نفسه للإستشهاد. فأغلق الله عيون جنود الوالى عن رؤيته، فلم يمسكوه - لحكمة إلهية - حتى يبقّى ليُكمل جهاده. ولم يرجع أنطونيوس ورهبانه، إلا بعد أن انتهى عصر الإضطهاد.

* **والثانية:** سنة ٣٥٢م عندما علم بإنتشار بدعة أريوس، فإنضم فى محاربتها إلى البابا أثناسيوس، وديديموس مدير الإكليريكية (الذى كان ضريراً).

---

(١) «عب ١: ١ - ٢».

+ وقد عزّى الأخير على فقْد بصره بقوله له: «كيف تحزن على بصر يشترك معك فيه أحقر الحيوان، ولا تتعزى لأن الله وهبك بصيرة لم يهبها إلا لأحبائه من بنى الإنسان؟!».

+ وفى سنة ٣٥٦م تنيح بسلام، بعد أن وهب عصاه لتلميذه مكاريوس وأحد ثوبيه لصديقه البابا أثناسيوس، والآخر لسيرابيون أسقف دندرة (بقنا) ودُفِن فى ديره الذى لايزال عامراً (بالبحر الأحمر) ومن آثاره الأدبية عظاته التى لاتزال باقية علي مر الزمن.

٢- جماعة آمون بنتريا:

مؤسس جماعة نتريا هو القديس آمون (٢٩٤ - ٣٥٦م):

+ وُلِدِ بجوار مريوط، من أسرة مسيحية غنية. ومات والداه وتركاه تحت وصاية عمه. فزوجه على غير إرادته من فتاة غنية، لم تكن تميل للزواج مثله. فإتفقا على أن يعيشا بتولين، واستمرا هكذا سبع عشرة سنة.

+ ثم هجر آمون بلدته، وتتلمذ إلى القديس أنطونيوس، الذى أوفده إلى وادى النطرون حيث بقى فيه نحوإثنتين وعشرين سنة إلى أن تنيّح بسلام.

نظام جماعته:

+ تبعه كثيرون بلغ عددهم فى أواخر القرن الرابع نحو خمسة آلاف شخص. واشتهروا بدقة النظام. فقد كتب عنهم بلاديوس، أن الراهب كان يصلى بمفرده، حتى إذا مادنت الساعة التاسعة من كل ليلة، تصاعدت الألحان الشجية من كل فج وصوب، فيحسب السامع نفسه كأنه قد انتقل إلى فردوس النعيم.

+ وكانوا يجتمعون للصلاة بالكنيسة، حيث يقوم بالشعائر الدينية أحد القسوس المكلفين بذلك. وكانوا يصرفون وقت فراغهم فى الأشغال اليدوية (كصناعة الكتان وعمل السلال)، لإكتساب القوت.

+ ومن مظهر نظامهم، أنه كان بجوار كنيستهم ثلاث نخلات، بكل منها سوط، يستعمل

أولها لجلد اللصوص، وثانيها لمعاقبة الغرباء الذين يتعدون القانون، وثالثها لتأديب الرهبان الذين يخرجون على الأحكام (قوانين الرهبنة) الموضوعة لهم(١).

٣- جماعة مقار الأسكندرى:

مؤسس جماعة القلالي هو مقاريوس الأسكندرى (٣٠٦ - ٤٠٥م):

+ وُلِد وثنياً ولكنه اتصل بالمسيحيين، ودخل صف الموعوظين، وفي سن الثلاثين اعتمد. ثم انخرط فى سلك الرهبنة بوادى النطرون، فى عهد مقاريوس المصرى (الكبير).

+ ثم رُسِم قساً وزار أنبا باخوميوس، وأدهش رهبانه بما كان يأتيه من ألوان الجهاد الروحي (كالصوم أيام كثيرة بلا طعام... الخ).

+ وبلغ عدد رهبان هذه البقعة نحو الستمائة فى قلايات متباعدة بدرجة لا تسمح بالتزاور. وكان نظام معيشتهم من أصعب النُظم وأقساها.

٤- جماعة مكاريوس الكبير بالأسقيط (Scetis):

مؤسس جماعة الأسقيط هو مقاريوس المصرى (٣٠١ - ٣٩٣م)

+ قيل إنه وُلِد فى شنشور منوفية. وتربى فى صغره تربية مسيحية، فسُرّ به أسقف الجهة ورسمه شماساً. ولكنه كان يميل إلي العزلة، ويقتات من الأعمال اليدوية. فسلط الشيطان بنتاً لكى تتهمه بفعل الدنس معها، حين حملت سفاحاً. فلحقته بسبب ذلك إهانة عُظمى. وقد حُكم عليه بأن ينفق عليها، حتى تضع طفلها. فكان يواصل ليله بنهاره كاداً ويقول عند الشعور بالتعب «كد يامقار لأن لك إمرأة وولداً». ولكن عند الوضع تعثرت المرأة فى الولادة، فإعترفت: أنها اتهمت رجل الله زوراً. فخاف لئلا يضربه الشيطان بداء الإفتخار (المجد الباطل) فإختفى وتوجه سنة ٣٣١م إلى صحراء ليبيا وأقام ببرية الأسقيط (أى منسك - دار النُسك) (٢) (Askithirion).

---

(1) Palladius, Paradise of the Holy Fathers, V.1.P. 145 (وترجمتنا باسم بستان القديسين)

(٢) تسمي شيهيت (Shehit) أيضاً. ومعناها ميزان القلوب. وتُسمي حالياً وادي النطرون.

+ ثم ذهب إلى مقر الأنبا أنطونيوس، الذى ألبسه اسكيم الرهبنة.ولما عاد إلى الأسقيط، إلتف حوله كثيرون فأسس ديراً على إسم السيدة العذراء المعروف بدير البراموس.

+ وفى سنة ٣٤٠م رُسِم قساً، فازداد عدد الملتفين حوله. فبنى لهم الدير المعروف بإسمه (دير أبى مقار). ومازال هذان الديران عامرين للآن.

+ وبلغ عدد رهبان القديس مقار نحو ١٥٠٠ راهب.اشتهروا بالحكمة والتقوى. وفى سنة ٣٧٥م طرد الإمبراطور فالنز رؤساء الأديرة. فنفى مكاريوس إلى جزيرة فيلة بأسوان، حيث أجرى الله على يديه عجائب اجتذبت كثيرين من أهلها إلى المسيحية. وفى سنة ٣٧٦م رجع إلى ديره.

+ وامتاز هذا القديس بأنه كان يتحاشى مقابلة الغرباء، حتى أنه أوصل قلايته بمغارة بعيدة بواسطة سرداب كان يذهب إليه -لينعم بالإنفراد - إذا رأى أحداً مُقبلاً إليه. فلا يشغله أحد عن العبادة وعن الاتصال الدائم بالله.

+ وفيما كان القديس يصلى يوماً خالجه الظن، بأنه قد بلغ بعد هذه السنين درجة الكمال. فسمع صوتاً يقول له: «أنك لم تبلغ فضيلة أرملة بالأسكندرية تسكن مع نساء بنيها بالمحبة»

+ فذهب تواً إلى الأسكندرية، ودخل الكنيسة وانتظر إرشاد الله إلى من يقصدها. فرأى بعد أن انتهت الصلاة إمرأة قد تخلفت، وهى تبكى بدموع حارة، سائلة عناية الله والرحمة ببنيها. فسألها القديس عن سبب انفعالها بهذه الصورة. فأجابته اننى أسكن مع نساء بنيَّ، ونتصرف مع بعضنا تصرُّفاً حسناً. وأسأل الله استمرار العناية بنا»[1].

+ فعرف أنها هى المرأة التى قصد أن يراها. ثم قال: «الله يمنح العلمانى (نعمة وحكمة) كما يمنح الراهب، لأنه لا ينظر إلا إلي الضمائر (النيَّة) السليمة».

+ ثم رجع إلى ديره يرعَى رهبانه إلى أن توفى وعمره ٩٠ سنة ونيف.تاركاً بريته عامرة بالملائكة الأرضيين. وترك للكنيسة أكثر من خمسين رسالة باللغة القبطية[2].

(١) ذكرت مصادر قبطية أن هذه السيدة الحكيمة كانت تشكو إلي الله، لأنه لم يسمح له بتجربة صعبة، لمدة أسبوع كامل (مما يدل علي رضا الشيطان عنها، فتوقف عن محاربتها مؤقتاً) فالحرب الروحية دليل علي نجاح المؤمن، وغيرة إبليس منه. وهو ما يكشف عن حكمتها الروحية العالية.

(٢) طبَع أميلينو (Amélineau) سيرته سنة ١٨٩٧م، وسبق أن تم نشر رسائله سنة ١٥٥٩م في أوروبا.

الفصل الخامس

بعض رهبان الجماعات بوادى النطرون

+ اشتهر في هذه البقعة رهبان أفاضل كان أشهرهم مكسيموس ودوماديوس وأرسانيوس وأنبا بيشوى وموسى الأسود.

١ - مكسيموس ودوماديوس:

+ هما إبناَ الإمبراطور فالنتيان الأول الذى حكم بين سنتى ٣٦٤ - ٣٧٥م ومالا إلى العزلة للعبادة، فإحتالا للخروج من قصر والدهما، بأن طلبا زيارة بلدة نيقية التى أنعقد فيها المجمع المسكونى الأول. ولما وصلا إلى هناك صرفا الخدام وذهبا لأحد نساك سوريا المدعو أغابوس. وكان عمر مكسيموس عند خروجه ١٧ سنة وعمر أخيه ١٥ سنة.فأبقاهما عنده وألبسهما إسكيم الرهبانية وعلمهما صناعة الخيام، واستمرا يعملان قلاع المراكب.

+ وفى أثناء ذلك كان الوالدان يبحثان عنهما، إلى أن لمح أحد القواد على قلع مركب إسم مكسيموس فسأل الربان عن صاحب هذا الإسم، فقال إنه ناسك بسوريا اشترى منه هذا القلع. وطلب إليه أن يكتب عليه إسمه على سبيل البركة فذهب الضابط وعثر على الأخين ثم أحضر والديهما اللذين توسلا إليهما بدموع حارة أن يرجعا إلى البلاط الملكى فلم يذعنا . وأراد الملك تعيين مكسيموس أسقفاً على رومة فرفض.

+ ولما قربت وفاة أغابوس أشار عليهما بالذهاب إلى برية الأسقيط عند الأب مكاريوس المصرى. ولما رآهما أظهر لهما صعوبة الطريق، فطلبا أن يبقيا على سبيل الإختبار فعلمهما صناعة الخوص وأبقاهما فى بقعة خارج الدير. وكانا يحضران كل أحد للتناول. وقد تعهدهما القديس فى ليلة فرآهما يصليان بحرارة لله.

+ ولما مرض مكسيموس وشعر بدنو أجله استدعى مقاريوس فحضر وفاته وكفنه. وبعد ثلاثة أيام مات دوماديوس. ويقال أن رفاتهما بالكنيسة القديمة بدير البراموس. ولا تزال للآن - بقرب دير البراموس - مغارة تُسمّي مغارة «أولاد الملوك».

٢- أرسانيوس:

+ هو ابن أحد قضاة رومه، وُلِد نحو منتصف القرن الرابع، واستمر إلى نحو منتصف القرن الخامس. واختاره الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير ليكون أستاذاً لإبنه أركاديوس، لأنه كان نابغة فى اللغتين اليونانية واللاتينية، وفى دراسة الفلسفة.

+ وأوصى الملك إبنه لكى يُكرم أستاذه، أكثر مما يكرمه. لأنه لم يأخذ منه سوى الجسد أما الأستاذ فسيهذب النفس ويقوّمها بالعلوم.

+ واتفق أن رأى ابنه جالساً والأستاذ واقفاً، فأمر ابنه بالوقوف والإستاذ بالجلوس.

+ ارتكب الإبن مرة شططاً فعاقبه أرسانيوس، فإغتاظ الإبن وحرض أحد الخدم على قتله، ولكن الخادم أعلم أرسانيوس. فهرب سراً فى مركب إلى الأسكندرية، ومن هناك توجه إلى الأسقيط ليعيش مع جماعة مقاريوس المصرى.

+ ولما تولى أركاديوس المُلك بعد والده، أرسل لأرسانيوس أموالاً ليوزعها على الفقراء، ويدعو للمملكة بالسلامة، فرفض أرسانيوس. وأرسل للملك يقول: «إنى أطلب من الله تعالى أن يغفر للملك خطاياه، ويُلهمه تدبير مملكته بحسب مرضاته، ولكنى لا أقدر أن أتصرَّف فى الصدقات لأنى مُتُّ عن العالم».

+ وجاءه مرة رسول من رومه يحمل وصية أحد أقربائه المتوفين، يهبه بها كل تركته، فسأل القديس الرسول: «متى مات هذا الرجل؟» فقال له: «منذ سنة» فأجابه: «وأنا مُت منذ إحدى عشرة سنة. والميت عن العالم لا يرث ميتاً».

+ وزاره أيضاً البابا ثيؤفيلس مع بعض الوجوه، وسأله حاجته فقال له: «أرجو ألا يذهب البابا ومن معه إلى حيث يكون أرسانيوس مرة أخرى».

+ وزارته مرة أحدى شريفات رومة، عندما بلغها خبر تقواه. وبعد أن جلست معه مدة طلبت منه أن يذكرها فى صلاته. فأجابها: «أرجو الله أن يمحو ذكّراكِ من عقلى» فرجعت متأثرة، وشكت للبابا مُحتّجة على هذا. فأفهمها مقصوده، وهو أن ذكراها ربما كانت وسيلة يستخدمها الشيطان لمحاربته.

+ ولما بدأ أرسانيوس الرهبنة، كان ينتقى لنفسه الفول الأبيض أثناء تناول الطعام. ولما

لاحظ الرئيس ذلك ضرب بلطف الراهب المجاور لأرسانيوس وقال له : «لا يصح لك أن تُميّز نفسك عن أخوتك، وتنتقى الفول الأبيض» فقال أرسانيوس عندئذ «هذا القلم على قفاك ياأرسانيوس».

+ وكان يعرض أفكاره على راهب بسيط، فتعجَّب منه الرهبان. وقالوا له: «أمثل أرسانيوس الذى أحرز علوم اليونان والرومان، يحتاج إلى إرشاد هذا الراهب البسيط؟» فأجاب «إن الألفا ڤيتا (المبادئ) التى يتقنها هذا الراهب لم يُتقنها أرسانيوس بعد». وهو يعنى طريق الفضيلة.

+ ولما تقدّم فى السن، إنتقل إلى مكان بقُرب الكنيسة، وإلتزم أن ينام على فراش ووسادة، وقام بخدمته راهب مبتدئ. فإنتقد عليه ذلك أحد الرهبان. فسأله راهب آخر: «ماذا كُنتَ تعمل قبل دخولك الدير؟» قال: «كنت أرعى البقروأفترش الصحراء وألتحِف السماء». فقال له: «وأظنك الآن أحسن حالاً». فأجابه: «الأمر كذلك». فقال «يوجد فرق بين من يكون فى سعادة ويتحوَّل إلى عكسها . وبين من يكون فى ضنك من العيش فيصبح في حياة ناعمة». ثم قال: «أتستكثر على أرسانيوس هذا الفِراش والوسادة، فى زمن الشيخوخة بينما كان فى سابق الأيام ينام على فِرَاش الملوك؟!».

+ ولما بلغ أرسانيوس ٩٥ سنة أوصى تلاميذه أن يُلقُوا جسده على أحد الجبال، لكى تقتات به الوحوش والطيور. ولكن خوفاً استحوذ عليه عند مفارقة نفسه لجسده، فقال له تلاميذه: «هل مثل أرسانيوس يرهب الموت؟» فأجابهم قائلاً «منذ دخلّتُ فى سلك الرهبنة وأنا أتصوَّر هذه الساعة وأخافها». ثم هدأت أنفاسه واشتمل مُحيَّاه بالهدوء وفارق الحياة بسلام سنة ٤٤٥م.

+ وكان لأرسانيوس دير سُمىَ فيما بعد بدير البغل (١) على جبل المقطم مقابل طُرَه.

٣- الأنبا بيشوى:

+ كان من بلدة شنشنا من ضواحى مصر. وله ستة أخوة. وظهر ملاك الرب فى رؤيا لوالدته طالباً منها أحد أولادها. فأجابته: «خذ من تريده» فأمسك بالأنبا بيشوى،

(١) يقال إنه سُمّي هكذا لأن بغلاً كان يحمل المياه إليه كل يوم من النيل.

وكان نحيف الجسم. فقالت له: «خُذ ياسيدى واحداً قوياً». فأجابها: «هذا هو الذى اختاره الرب».

+ وبعد أن كبر مال للرهبنة، وذهب إلى برية شيهيت، حيث تتلمذ على القديس بموا الذى كان تلميذاً للأنبا مكاريوس الكبير.

+ وفى عهده ظهر شيخ بإقليم أنصنا، أنكر وجود الروح القدس. فذهب إلى هناك وأخذ معه سلة بها به ثلاث آذان. واتخذ منها سبيلاً إلى التحدُّث عن الثلاثة أقانيم فى ذات الله. وأيد أقواله من الكتب المقدسة إلى أن أقنع الشيخ. ثم عاد إلى موضعه في البرية.

+ ولما ثار البربر على البرية ذهب ثانيةً إلى أنصنا حيث تنيّح. وبعد مدة نُقِل جسده إلى الدير المُسَّمي بإسمه للأن بوادى النطرون، ومعه جسد أنبا بولا الطموهى.

٤- موسى الأسود:

+ وقد عاصر أيضاً أنبا مقاريوس الكبير. وقيل إنه كانه عبداً لأمير حبشى أساء معاملته فطرده. ثم رَأَسَ عصابة من اللصوص. ولكنه سمع مرة من أحد الصالحين بالعذاب المُعدّ للأشرار، والنعيم المُجَّن للأبرار. فترك رفاقه وذهب إلى وادى النطرون، حيث انخرط فى سلك الرهبنة. واعتنى بتهذيبه القس إيسوذورس. وكان يشغل نفسه ويُنهك قواه البدنية بإحضار الماء لشيوخ الرهبان، من بئر بعيدة عن مساكنهم.

+ وقد قَبض مرة على أربعة من زملائه اللصوص، وكان سبباً فى هدايتهم. وذهب لزيارته أحد حكام الأقاليم المجاورة، فلقيه فى الطريق صدفة قبل وصوله، وكان الحاكم لا يعرفه، فسأله عن موضع موسى الأسود. فأجابه دون أن يرشده إلى المكان: «لماذا تُتعِب ذاتك لترى إنساناً مجنوناً؟!».

+ ولما بلغ الحاكم الكنيسة حكى للرهبان ماجرى ووصف الراهب الذى حادَثه. فقالوا له: «إنه هو موسى، وقد وصف نفسه بهذا الوصف تواضعاً منه».

+ ولما لمسوا تقواه، رشحُوه للكهنوت، وأُخِذ للبابا ثيؤفيلس. فأراد أن يمتحنه. فأمر

بطرده قائلاً: «أُخرج يا أسود». ثم أرسل شماسه ليستمع لما يقول، فوجده يُناجى نفسه قائلاً: «لقيت ما تستحق».

+ فدعاه البابا ثانيةً وألبَسَه لباس الكهنوت الأبيض. وقال له: «ها قد عُدّت ياموسى أبيض» فأجـــابه: «عســـى أن يهّبنى الله أن أكون كذلك في الباطن والخارج».

+ وعـــند عودتهم إلى الدير، وجدوا أحد الرهبان قد سقط فى زلة. فعقدوا مجمعاً لمحاكمته وأرسلوا لموسى ليحضر المجمع. فتأخر عمداً. ولما ألحّوا عليه، ذهب وهو يحمل كيساً من الرمل، فسألوه عن سبب هذا فقال: «إن ذنوبى قد أثقلَت كاهلى، وقد جئت لأدين أخى على هفوة» ثم رجاهم أن يقبلوا توبة خاطئ.

+ وقد عاش إلى أوائل القرن الخامس (ورُفاته الآن بدير البراموس).

+ والأديرة العامرة الآن بالرهبان بوادى النطرون أربعة:

١- دير السيدة العذراء الشهير بالبراموس (نسبة إلى Pi - Romeos أى الرومانى، لأن إبنّى ملك الروم: مكسيموس ودوماديوس أتيا إلي هناك).

٢- دير أنبا بيشوى.

٣- دير السيدة العذراء المدعو السُريان (ودُعَي كذلك لأن رهباناً من سوريا أقاموا به، ولكنه الآن عامر بالرهبان الأقباط فقط).

٤- دير أبى مقار.

+ ومن الأديرة العامرة أيضاً دير القديس صموئيل[١] المعترف (القلموني)،وكان أولاً ببرية شيهيت بوادى النطرون. ثم رحل فى القرن السابع إلى القلمون (وسُمّى هكذا لوجوده فى بقعة مملوءة بالغاب)، جنوب الفيوم حيث أسس هذا الدير.



(١) كان به سنة ١١٧٨م ٢٠٠ راهب وممن تخرج فيه من البابوات يوحنا (٦٧٣م) وغبريال (١٤٠١م) [دليل المتحف القبطي ج ٢ ص ١٧].

الفصل السادس

نظام الشركة الرهبانية

+ بعد تكوين الجماعات الرهبانية، على نظام انفراد كل راهب فى قلايته، تطور الحال إلى نظام المعيشة المشتركة، بتعاون الرهبان فى قضاء إحتياجاتهم والخضوع لنظام واحد.

+ وكان أول من أسس هذا النظام، هو القديس باخوميوس، وبعده الأنبا شنوده رئيس المتوحدين.

القديس باخوميوس (٢٩٤ - ٤٠٥م):

+ وُلِد فى طيبة، من والدين وثنيين. ولما أدرك رشده أجبره والداه على عبادة الأصنام، فهزأ بهذه العبادة، ولما بلغ العشرين من عمره، تطوع فى الجيش الرومانى تحت قيادة قسطنطين الكبير، عندما كان قائداً لجيش دقديانوس، وقام معه فى حملة ضد أثيوبيا.

+ وعندما وصلوا إلى مدينة ديوسبوليس (إسنا) وكان أغلب أهلها من المسيحيين، استقبلهم الشعب بكل ترحاب.وقدموا لهم زاداً واستضافوهم فى منازلهم، فإستغرب باخوميوس، وسأل عن سبب معاملتهم بالحُسنىَ وهم من الأعداء. فقالوا»إن ديانتنا المسيحية تلزمنا بهذا. فشعر بالرغبة فى دراسة مبادئ هذه الديانة.

+ ثم استقال من الجيش، وانخرط فى سلك الموعوظين، إلى أن اعتنق المسيحية على يد سيرابيون أسقف دندرة. ولما مال إلى العزلة طلب إلى راهب متوحد يدعى بلامون (من بلدة سنسيت بإقليم أسوان) أن يتخذه تلميذاً، فأُظهر له صعوبة الطريق، ووصف له شظف العيش، الذى يقاسيه المتوحدون، إذ لا يأكلون إلا الخبز والملح مرة كل يوم فى الشتاء وكل يومين فى الصيف. فقال له: «أسأل الله الذى أرشدنى إليك أن يساعدنى على الإقتداء بك».

+ وزارهما مرة سائح من الرهبان - مطعون بسهام الكبرياء - كان يمشى بقوة إبليس على جمر النار ولا يحترق. فقال لهما مفتخراً: «هل حصل أحدكما على مثل هذا

الإيمان؟" فأجاب الأب بلامون «إن تمسّكنا بالتواضع فيكون حينئذ إيماننا حسناً». وقد حدث بعد ذلك، أن سقط هذا المغرور فى خطيئة الزنا ومات شر ميتة. فإتعظ باخوميوس، وتمسّك بفضيلة التواضع.

+ وبينما كان باخوميوس يمر بالصحراء، وصل إلى قرية طابانسين[1] حيث جثا ليصلى، فسمع صوتاً يقول: «ابقَ ههنا وابْنِ ديراً، لأنه مُزَمع أن يأتى إليك أُناس كثيرون». فبنى قلاية نحو سنة ٣٢٠م. ثم ذاع صيته فتقاطر إليه الرهبان، حتى جاوز عددهم المائة، فبنى لهم ديراً.

+ ثم أخذ عدد الرهبان فى الزيادة، حتى بلغوا فى سنة ٣٥٠م نحو ثلاثة آلاف راهب (وفى سنة ٤٠١ سبعة آلاف). وكلما إزداد عددهم إزداد باخوميوس فى بناء الأديرة لهم. حتى بلغ عددها قبل وفاته تسعة أديرة.

+ وقد وضع لهم نظاماً خاصاً ليسيروا بموجبه (وانتقل نظامه إلي أديرة أوربا).

+ وكان من بين هؤلاء الرهبان تادرس تلميذه الذى تعهّد بعدم مقابلة النساء، حتى أنه رفض مقابلة والدته لما حضرت لمشاهدته. فإضطرت والدته أن تنتهز فرصة مروره للصلاة لتراه دون أن يراها.

+ وقد زار أحد القادمين من رومه باخوميوس، ولما كانت لغة القادم (اللاتينية) لا يعرفها باخوميوس، صلى إلى الله بدالة قائلاً: «إما أن تمنحنى لغة من يقدم إليَّ لأرشده أو تمنعه من المجئ عندى». فسمع الله لصلاته.وعرف لغة هذا الزائر!!

+ وفى سنة ٣٤٠م بني ديراً للراهبات وأقام أخته مريم رئيسة عليه. وقد انتظم فى هذا النُسك نحو أربعمائة راهبة، وضع لهن نظاماً رهبانياً خاصاً.

+ وقد روى انسلم أسقف هافلبرج (فى ألمانيا)، أنه رأى ديراً بالقسطنطينية بإسم القديس باخوميوس يضم خمسمائة راهب، يسيرون على النظام الذى وضعه هذا القديس[2].

---

(١) طبنسية معناها مدينة بلح ايزيس بجوار دندرة.

(٢) أنظر سير القديسين للرهبان الدومنيكان، جـ ١ ص ٥٨٤.

أنبا شنوده رئيس المتوحدين (٣٤٣ - ٤٥٢م):

+ وُلِد هذا القديس بقرية شتلالا (صلعة) بمركز سوهاج، وكان والده غنياً يملك قطيعاً من الأغنام. وقد بدأ صباه في العمل مع رعاة غنم والده. فكان يوزع طعامه على الرعاة وينفرد ليصلى. ولما رأى والده ميله إلى الوحدة، أحضره إلى خاله بيجول، الذى كان رئيس أحد الأديرة بسوهاج. فإعتنى به ولقنه مبادئ الرهبنة، إلى أن أصبح فيما بعد خليفته فى رئاسة الدير.

+ وقد اتبع شنوده نظام **الشركة** الذى وضعه القديس باخوميوس، وأضاف عليه تعهداً كان يوقعه الراهب قبل دخوله الدير. وبلغ عدد الرهبان فى أيامه ١٨٠٠ راهباً. ولايزال قائماً للآن بناء (بالطوب الأحمر) يضم كنيسة ويُعرَف بإسم دير (الأنبا بيشوى) أو الدير الأحمر.

+ ونظراً لإزدهار نظام الشركة الرهبانية فى ذلك الوقت، مع ما كان يمتاز به الأنبا شنوده من العلم والفضيلة، فقد اندفع الكثيرون إلى الدخول فى سلك الرهبنة تحت إشرافه، حتى أنه بنى لهم ديراً آخر بلغ عدد رهبانه ٢٢٠٠ راهباً. ومازال للآن بناء بالحجر يضم كنيسة ويعرف بإسم دير (الأنبا شنوده) أو الدير الأبيض.

+ وقد ذهب مع البابا كيرلس (عمود الدين) إلى أفسس حيث قام بتفنيد بدعة نسطور، وحدث أن قائداً استأذن القديس أن يعطيه منطقته ليلبسها فى الحرب فكان من نتيجة ذلك أن انتصر على الأعداء.

+ وقد وضع القديس عظات كانت محفوظة بالدير الأبيض، وعثر على بعضها ماسبيرو فأميلينو الذى نشرها سنة ١٨٨٩م.

+ ويُقال إن الدير المحرق[١] الذى لايزال قائماً للآن كان فيما مضى خاضعاً لنظام الشركة الذى وضعه أنبا باخوميوس، وطبّقه أنبا شنوده رئيس المتوحدين.



(١) سمّي بهذا الاسم لوجوده بقرب حوض زراعي اشتهر بالحوض المحرق وذلك لنضوب المياه منه قبل غيره من الحياض قديماً.

الفصل السابع

قواعد نظام الشركة .. ورهبنة النساء

١- قواعد نظام الشركة:

تتلخص قواعد هذا النظام فيما يأتى:-

شروط القبول:

يتعهد كل راهب:

١ بمعيشة الفقر الإختيارى.

٢- بالعفة.

٣- بالطاعة.

٤- بعدم ايجاد فوارق اجتماعية (فإبن الأمير وإبن الغفير سواء).

زى الرهبنة:

+ يلبس الراهب قميصاً من كتان ويشد حزاماً على وسطه ويغطى كتفيه وركبتيه بجلد مدبوغ من جلود المعزى. وفوقه رداء يرتبط به غطاء للرأس(١). ويحتذى في قدميه صندلاً. ويمسك عصاً أثناء سفره. ويلبس جبة داخل قلايته(٢).

نظام الصلاة:

+ مفروض على كل راهب أن يصلى صلاة انفرادية، ويتلو المزامير قبل النوم، ثم بعد منتصف الليل يذهب إلى الكنيسة لحضور الصلاة العامة. فيسجد ويتلو الصلاة الربانية، ويُصغى لسماع الفصول وشرحها. ثم يعود إلى قلايته يناقش نفسه فيما سمع. وفى ليلة الأحد يهرع كل الرهبان لحضور صلاة القداس ثم التناول.

+ وكان يحضر كثيرون من الجهات المجاورة - فقراء وأغنياء- لتقديم نذورهم وسماع

---

(١) كما قال بولين لادبوز

(٢) كما ذكر أبروتيموس.

الوعظ والتعليم، ويذهبون بعد انتهاء القداس إلى مائدة الضيافة لتناول الطعام، ويتصدَّق الدير على الفقراء منهم.

الصـــوم:

+ كان القديس باخوميوس يسمح بأكلتين للراهب كل يوم. وصرح للرهبان المرضى أو حديثي العهد بالرهبنة بطعام ممتاز. وقد غضب باخوميوس مرة على الطاهي، الذى لم يلاحظ تقديم الأكل المخصوص لهؤلاء، وعاقبه على ذلك.

+ أما القديس شنوده ففرض أكلة واحدة فى اليوم.

التعليـــم:

+ مــفروض علــى جمـيع الرهبان أن يحضروا إلى مكان متسع بالدير، لسماع العظات التى يلقيـــها عليهم الرئيس أو نائبه. مع القيام بمباحثات (ندوات) دينية كل صباح ومساء فى أيام الصوم. وعلـــى كل راهـــب أن يدرس الكتب المقدسة، وأن يحفظ جانباً عظيماً من المزامير. ومفروض أيضاً على المتعلمين منهم أن يُعلِّموا غير المتعلمين من الرهبان الجُدد.

نظام العمل:

+ يُلزَم الراهب بعمل يدوى محدود، عملاً بالحكمة القائلة: «إن من يشتغل يهاجمه شيطان واحد ومن لا يشتغل تهاجمه عدة شياطين». (أفكار شريرة كثيرة) ويقوم بهذا العمل بعد إتمام الطقوس الدينية للعبادة اليومية.

+ وقد حدث أن راهباً صنع جُديلة من الخوص – علاوة على المقرر عليه – ووضعها على باب قلايته ليفتخر بها، فأحرقها القديس باخوميوس. وعاقب الراهب بالبقاء فى قلايته مدة.

+ وقسَّم أنبا باخوميوس الرهبان إلى فِرَق، منها من يعمل داخل الدير، ومنها من يعمل خارجه:-

+ **فى الداخل**: فِرَق لملاحظة الطحن والعجن والخبز: ثم الطبخ وتجهيز المائدة وخفارة مخازن الخبز والغلال، وضفائر الخوص. وكذا خدمة المرضى. وخص المتعلمين منهم

بنسخ الكتب. والصناع بالقيام بصناعتهم التي تعلموها لخدمة الدير. فكان منهم الحدادون والحائكون والنجارون وغيرهم.

+ **وفى الخارج:** فِرَق لملاحظة الماشية ورى البساتين والحرث والزرع والحصاد والدرس والتخزين .. إلخ. وبيع المحصولات وقفف الخوص (السعف) بالسعر الذى يحدده الرئيس.

+ وحدث مرة أن باع أحد الرهبان بعض جدائل الخوص (القفف) بسعر يزيد عن السعر المحدد، فعاقبه الأنبا باخوميوس على ذلك، لتعليم الرهبان عدم الاهتمام بالمال، ومحبة الله أكثر من عطاياه.

الإدارة:

+ لكل دير مدير عام، يعاونه مدير ثان. وللأديرة كلها رئيس عام يدعى الأرشمندريت، الذى كان له أن يُعيّن رؤساء الأديرة، أو ينقلهم من دير إلى دير آخر، ويُصدر القوانين، أو يُغيّر فى نصوصها، كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وأن يقوم بنفسه بالمرور الدوري للتفتيش على أعمال الرهبان في الأديرة.

+ وتنقسم الأعمال فى كل دير إلى ادارات خاصة، بكل نوع من فروع الأعمال، كالمطبخ والفرن والمخزن والمائدة والزرع والحصاد .. إلخ. ويقوم بالعمل فى كل فرع، فرقة برأسها رئيس عمال، يتفاوت مركزه بالنسبة لأقدميته. وتتكون من كل فرقتين أو ثلاث، ويتصل عمل كل منها بالأخرى: فصيلة تنتخب رئيسها من بين رؤساء الفِرَق المكونة لها.

إجتماع الرهبان:

+ يجتمع الرهبان فى الدير الرئيسى - الذى كان فى عهد باخوميوس، فى طابانسين، ثم صار فى فاو - مرتين فى السنة، الأولى فى عيد القيامة والثانية فى اليوم السابع من شهر مسرى. وفيه يقدم كل رئيس حساباً عن أعماله طول السنة.

تأديب الرهبان:

+ وضع أيضاً باخوميوس قانوناً لتأديب الرهبان، الذين يخالفون نظام الرهبنة، يتضمّن

قصاصاً يزداد شدة كلما ازداد خطأ الراهب، وينتهى أخيراً بطرده من الدير، إن لم يكن هناك أمل فى إصلاحه.

٢- رهبنة النساء:

+ بدأت الكنيسة فى العصر الرسولى، بوضع نظام للإنفاق على كل أرملة مشهود لها بالصلاح ولم تتزوج إلا مرة واحدة[١] ويتبين من هذا أن النساء سبقن الرجال فى تكوين جماعات منهن، يعشن عيشة النُسك، بدليل أن ديمتريوس الكرَّام فى القرن الثانى قبل ظهور نظام الرهبنة، أودع زوجته عند المتبتلات، كما أودع أنطونيوس أب الرهبان أخته عندهن، قبل عزمه الإعتزال عن العالم للتعبُّد (عام ٢٦٩م).

+ وكن يعشن فى بادئ الأمر فى بيوتهن منفردات أو مجتمعات ثلاثاً أو أكثر.

+ ولما ظهر القديس باخوميوس برهبنته بنى لأخته قلاية تلتها غيرها. ثم أنشأ ديراً لهن ووضع نظاماً خاصاً به.

+ ولما ازداد عدد الراهبات أنشأ لهن ديراً آخر بقرب أخميم. كما أنشأ تادرس تلميذه ديراً ثالثاً بجوار فاو[٢] وكذلك أقام أنبا شنوده ديراً للنساء، تحت رئاسته. ثم انتشرت أديرتهن فى جهات متعددة بمصر.

+ ولم يبقَ للنساء فى الوقت الحاضر (منتصف القرن ٢٠) إلا ديراً لمارجرجس وأبى سيفين بمصر القديمة ودير الأمير تادرس بحارة الروم، وديراً لمار جرجس والعذراء بحارة زويله. وكلها بالقاهرة (وسط العمران).

قواعد نظام رهبنة النساء:

١- ممنوع زيارة الراهب لأخته الراهبة إلا بوجود رئيسة الدير أو أحد شيوخ الرهبان.

٢- يؤتى لهن بالغلال وبما لا يستطعن إحضاره من الخارج.

٣- يقضين أوقاتهن فى إتمام الممارسات الروحية والجسدية (عمل اليد).

٤- فى حالة وجود أديرة قريبة للرهبان يقدم الرهبان للراهبات المؤن نظير قيامهن بحياكة ملابسهم.

---

(١) «١ تي ٥:٣ - ١٥».

(2)Encylopedia of Religion and Ethics, V. 3. P. 797.

الفصل الثامن

انتقال الرهبنة إلى سوريا والعراق وأوربا

١-إلى سوريا والعراق:

+ انتقلت مبادئ الرهبنة من مصر **إلى سوريا** بواسطة (هيلاريون) أحد أهالي فلسطين، الذى تخرج من مدارس الأسكندرية، وكان تلميذاً للقديس أنطونيوس. ولما عاد إلى بلاده سنة ٣١٠م اتخذ له منسكاً بقُرب غزة.تقاطر إليه الناس من فلسطين وسوريا، وبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف راهب. وكانت نياحته سنة ٣٥٦م.

+ وكذلك انتقلت الرهبنة **إلى العراق** بواسطة (أوجين)، الذى كان تلميذاً للقديس باخوميوس.وقد اشتهر فى هذه الجهات الراهب (إبرآم السريانى) الذى وُلِد بنصيبين فى أوائل القرن الرابع. وكان فى صغره طائشاً يظن أن الأمور تجرى فى العالم بطريق الصُدفة. وقد خرج يوماً إلى حقل، ورأى هناك بقرة لفقير فطاردها إلى أن اختفت وأكلتها الذئاب. ولما قابله صاحبها وسأله عنها رد عليه رداً جافاً.

+ وبعد نحو شهر من هذه الحادثة، تأخر عن منزله واضطرته الحال إلى أن يبيت عند أحد الرعاة، الذى كان سكراناً من الخمر، فنام نوماً عميقاً، وهجمت الذئاب، فأكلت الأغنام، ولما جاء صاحب الغنم صباحاً ليتفقدها وجدها بهذه الحال. فقدم الراعى وإبرآم إلى القاضى، الذى أودعهما السجن تحت المحاكمة. وتصادف أن كان معهما فى السجن إنسان متهم بالقتل وآخر بالزنى وهما بريئان أيضاً مما نُسب إليهما.

+ وبعد أسبوع ظهر ملاك الرب لإبرآم فى السجن وسأله عن سبب وجوده فيه، فأظهر براءته، ولكن الملاك أوضح له أن ماعمله مع بقرة الفقير هو السبب فى وجوده داخل السجن. وأن زميليه فى السجن قد ارتكبا خطايا فى ظروف أخرى، وعاقبهما الله عليها الآن فقط، فكل الأمور مُدبرة بحكمة من الله.

+ ثم حان اليوم المحدد، لنظر هذه القضايا فحكم القاضى على بعضهم بالجلد الشديد ثم أودعهم السجن، فتأثر إبرآم من ذلك، وصلى لكى يُنّجيه الله من هذه الضربات الشديدة، ووطد عزمه على أن يعيش لله. وبعد نحو شهرين من سجنه ظهر له الملاك ثانيةً فى حلمٍ وأنّبأه، أنه سينجو من الجلْد بشرط أن يُنفّذ ماتعهد به. وفعلاً صدر

حكم القاضى ببراءته.فذهب إلى القديس يعقوب أسقف نصيبين، الذى أرشده إلى حياة التنسُّك.

+ ثم ذهب إلى الجبال القريبة من نصيبين للتَّعبُّد، وانطلق منها إلى برية مقاريوس بمصر، حيث بقى هناك ثمانى سنوات. ومنها انتقل إلى كبادوكية حيث رسمه باسيليوس الكبير شماساً.

+ وبعد سيامته ذهب إلى بلدة الرُها، وصلى لله لكى يرزقه بمن يقدم إليه نصيحة روحية. فقابل أثناء دخوله إمرأة ـ تلبس لباساً فاضحاً ـ تتفرّس فيه فسألها عن سبب ذلك. فقالت له: «إن المرأة قد أُخذت من الرجل، فيحق لها أن تتفرّس فى أصلها، ولكن الرجل قد أُخذ من التراب، فينبغى أن يتفرس فى أصله الذى أُخذ منه». فتعزّى بهذا الكلام وأخذ يتفرس فى الأرض أثناء سيره.

+ ثم سكن منزلاً يقابله آخر. تسكنه إحدى النساء. فإنتظرته مرة وهو يطل من نافذته وطلبت منه البَركة، فقال لها: «إننى محتاج» فأجابته «إننى مستعدة لطلبك» فأجابها: «أحتاج إلى بعض الطوب والطين، لأسُد هذه النافذة» ولكن هذا الرد الجاف لم يصدها، فكاشفته بما تريد وإلا فضحته. فقال لها: «ليس هنا بل فى مكان آخر» ثم أخذها إلى سوق البلدة حيث طلب تنفيذ ماأرادت. فأجابته: «أنها لا تستطيع هذا فى السوق أمام نظر الناس» فقال لها: «أتخافين من هؤلاء ولا تخافين من الله الذى يخترق نظره القلوب ويكشف السرائر، ويفضح عملنا أمام الملائكة والناس، ويطرحنا فى نار جهنم؟» فتأثرت بكلامه وطلبت منه أن يُرشدها إلى طريق الخلاص. فعلّمها كيف تعيش طاهرة. ثم أتى بها إلى منزل المتبتلات.

+ وقد أهتم إبرآم السرياني بالتعليم فى الرُها، وتأليف ترانيم على نغمات الأغانى، ليجتذب الشعب إلى الترنيم وترك الأغانى المبتذلة (ولمحاربة ترانيم أريوس الفاسدة).

+ ولما اشتد الغلاء فى المدينة كان يجول ملتمساً عطايا الأغنياء ليوزعها على الفقراء.

+ ثم تنيَّح بسلام نحو سنة ٣٧٢م وترك عظات بليغة وميامر متعددة(١).

---

(١) «أنظر سنكسار ٥ أبيب، ومظلوم،سير القديسين، جـ ٢ ص ١٨٥.

٢- انتقال الرهبنة إلى أوربا:

انتقلت الرهبنة من مصر إلى أوربا بالوسائل الآتية:

١- بواسطة الرهبان السوريين والفلسطينيين والعراقيين الذين مارسوها في مصر، ونقلوها إلى بلادهم ثم إلى القسطنطينية ثم أوربا.

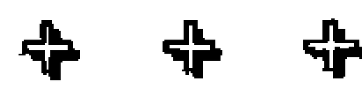
٢- بواسطة القديس باسيليوس الكبادوكي (بآسيا الصغرى) وغريغوريوس الثيؤلوغس: اللذين تركا بلادهما - آسيا الصغرى - ومارس أولهما الرهبنة في مصر في وادي النطرون. وتعلّم ثانيهما في مدرسة الأسكندرية. ثم أقيم أولاً أسقفاً على الكبادوكية والثاني على القسطنطينية.ومنهما انتقلت الرهبنة إلى أوربا.

٣- بواسطة القديس أثناسيوس الرسولي. وقد ذهب إلى رومه مع فريق من الرهبان المصريين[١] حاملاً سيرة القديس أنطونيوس التي كتبها، والتي تأثر أغسطينوس[٢] من تلاوتها.وانصلح حاله، وتاب عن دنسه.

ب - وبواسطة الزائر اللاتيني الذي آتى من رومة قاصداً القديس باخوميوس. ثم مارس مبادئ الرهبنة ونقلها معه إلى بلاده. فتأثر بها القديس بندكت (٤٨٠ - ٥٤٣م). ومن المقارنة بين الرهبنتين يظهر انطباقهما تمام الإنطباق.

٤- بواسطة الرهبان المصريين الذين خرجوا مبشرين في القرن الرابع إلى جنوب فرنسا وانجلترا وايرلندا، ومازالت ايرلندا تذكر للآن الرهبان المصريين السبعة الذين زاروها وبشرُّوها بالإيمان المسيحي.

* يستنتج من ذلك أن الرهبنة بمصر ازدهرت وأخرجت كبار علماء المسيحية للدفاع عن الكنيسة. وصاروا أمثلة حيّة للتقوى، والخدمة الإنسانية (الاجتماعية) ثم انتشرت الرهبنة القبطية إلى غيرها من البلدان في العالم المسيحي.



(١) كان منهم الراهب أمونيوس من وادي النطرون.

(٢) الذي صار أسقفاً لـ اسيقرطاجنة فيما بعد.

الباب الثالث

الفلاسفة المسيحيون

الفصل الأول

فلاسفة الشرق

+ فى العصور المسيحية الأولى انبثقت أنوار العلوم والفلسفة من مصر واليونان إلى أنحاء الشرق، إذ تخرج العلماء والفلاسفة من معاهد الأسكندرية وأثينا ومن مدرسة قيصرية فلسطين التى أنشأها أوريجانس المصرى ومدرسة القسطنطينية التى أنشأها اليونان، ومدرسة لوسيان بانطاكية.

+ ومن هؤلاء الفلاسفة باسيليوس وغريغوريوس الثيؤلوغس ويوحنا فم الذهب.

١- الأنبا باسيليوس الكبير:

+ وُلِد سنة ٣٢٩م بمدينة سبسطية. وبعد أن تلَّقى مبادئ الفلسفة من والده إلتحق بمعاهد قيصرية فلسطين ثم القسطنطينية ثم أثينا. واستمر بالأخيرة من نحو سنة ٣٥١ - ٣٥٥م.

+ وامتاز فى كل منها بنبوغه وذكائه، وقابل فى أثينا زميله غريغوريوس الثيؤلوغس وتوثقت بينهما الصلة، وبعد رجوعه إلى وطنه، انكب على دراسة الفلسفة، فخشيت أخته ماكرينا أن تتولَّد فى قلبه روح الكبرياء، بسبب هذه الدراسة. وحاولت إقناعه بالعدول عن ذلك فلم تفلح، ولكنها أرغمته على أن يقرن بهذه العلوم خشية الله ومخافته، فرضخ لمشورتها.

+ وفى سنة ٣٥٧م جال وسط رهبان وادى النطرون. ثم عاد إلى بلاده. وانفرد فى جبال الكبادوكية للعبادة، وإلتقي به هناك القديس غريغوريوس (الناطق بالإلهيات) للإشتراك معه فى التنسك وفى فلاحة قطعة أرض ليقتاتا من محصولها.

+ واشتهر فى ذلك الوقت بجرأته في الرد، عندما تهكم الامبراطور يوليانس علي السيد المسيح (وكانا كلاهما زميليه في فصل الدراسة) وفي سنة ٣٧٠م رُسِم أسقفاً علي الكبادوكية.

+ وقد شارك المسيحيين الضيق والاضطهاد، الذي وقع عليهم من الامبراطور فالنز الأريوسي، ولما لم يخضع لأوامر الامبراطور، خاطبه القائد بغضب قائلاً: «أتقاوم ملكاً عظيماً؟ ألا تدري أنه متسلط علي مالك ونفسك، وفي إمكانه أن يغتصب منك الحياة؟».

+ فأجابه القديس «إن هذا التهديد لا أثر له عندي. فإني لا أملك شيئاً. ولهذا لن أفقد شيئاً، إلا إن شئتم تعريتي من هذه الملابس الرثة، وسلبي بعض كتب هي كل غناي، أما المنفي فلا أعرفه. لأني لست متعلقاً بمكان. فالأرض كلها لله وهي مكان غُربتي، أما الموت فلا أخشي منه أصلاً، بل أعتبره نعمة إذ أجوز به للحياة الحقيقية».

+ فأظهر له القائد إنه لم يسمع كلاماً بهذه الجُرأة من أحد. فردّ عليه القديس: «ومثل كلامك أيضاً لا يجب أن يُوّجه لأسقف».

+ وقد رد القائد علي مولاه بهذا الكلام، فداخله الخوف. ثم زار الكنيسة يوم عيد الغطاس، فلما شاهد نظامها الفاخر، وما يتسم به باسيليوس من المهابة في ثبوته، واقفاً برأسٍ منخفض، أمام الهيكل، وعقل مرتفع ومتحد بالله، تأثر تأثراً شديداً.

+ وكان من العادة أن يتقدّم الأمبراطور في العيد بهدية للكنيسة، وبسبب أريوسيته لم يقبلها أحد من الكهنة. فدارت به الدنيا وكان علي وشك السقوط علي الأرض، لو لم يبادر أحد الكهنة ويسنده. ثم تلطف القديس معه وقَبِل الهدية.

+ ولما علم الحزب الأريوسي بما حدث، أثاروا الملك علي باسيليوس. ففكر في نفيه، إلا أنه أنشغل بمرض أبنه. واضطر ان يستّدِعي باسيليوس ليُصلِّي من أجله. فوضع القديس يده عليه فشُفَي. ثم طلب الاريوسيون أنْ يعمدُوه فمات. وحينئذ قسا قلب الملك علي باسيليوس، وأمسك بالقلم ليوقع أمر نفيه فانكسر. وتكرر هذا ثلاث مرات، فارتعد وأخذ القرار بيده ومزقه.

+ وقد زار إفرآم السرياني هذا الأب، ووجده يلبس لباساً فاخراً لا يتفق مع تنُسكه، وأظهر استغرابه. فشعر باسيليوس بانتقاده. فاختلي به وأراه لباساً من الشعر (الخشن) يرتديه من الداخل تقشفاً. وأوضح له أن الغرض من اللباس الخارجي هو إظهار كرامة الكهنوت.

+ ثم فارق الحياة سنة ٣٧٩م لكي يتمتع بعربون المجد، وقد وضع قوانينه الخاصة بالاكليروس والرهبان، ثم وضع قداساً مازال للآن باسمه في مصر. كان أساسه قداس مارمرقس.

٢) غريغوريوس الثيؤلوغس Theologos (٣٢٨ - ٣٩٥م)(١):

+ وُلِد بقرية اريانز من أعمال نزينزا بآسيا الصغري،واهتم والداه بتعليمه، إذ ألحقاه بمعاهد قيصرية فلسطين. وبينما كان مسافراً إلي أثينا تعرضت سفينته للغرق من هياج البحر، فطلب من الله النجاة، وتعهَّد بأنه سيصرف حياته في خدمته، فقُبلت صلاته، ووصلها بسلام.

+ وهناك إلتقي بصديقه باسيليوس، فثابرا مجتهدين علي تحصيل العلم. ثم عاد الي وطنه حيث ساعد والده في الخدمة الدينية في نزينزا، وانفرد مع صديقه في جبال كبادوكية.

+ ولما سيم باسيليوس أسقفاً علي الكبادوكية، عرض علي صديقه غريغوريوس أسقفية جديدة في بلدة تُدعي صازيمي، ولأن غريغوريوس كان يزهد في هذه المراكز رفض، وكاد هذا الأمر أن يقطع الصداقة بينهما، لولا تدخل والد غريغوريوس وإجباره علي قبول هذه الرتبة، لسمو الخدمة. فامتثل لأمر والده، وسيم أسقفاً، وفي طريقه الي أبروشُيته صادفه أحد الأساقفة ومنعه من الدخول اليها، علي اعتبار أنها تابعة له، فتركها وعاد لبلده.

+ ولما كانت ابروشيــة القسطنطنية قد استولي عليها الهراطقة، أجمَع رأي الأساقفة والامبراطور ثيؤدوســيوس الكــبير علي تعيين غريغوريوس أسقفاً عليها سنة ٣٨٠م. فذهب اليها واشترط إعفاؤه من هذه الاسقفية، إذا توّفر راعٍ شرعي لها.

+ ثم سعي مكسيميانوس الكلبي لأخذ هذه الاسقفية. ووشي في حق غريغوريوس. وحرَّض بعض أفراد الشعب لكي يطلبوا إلي البابا بطرس الثاني الاسكندري لكي

---

(١) أي الناطق بالإلهيات بسبب عُمق معرفته بالعلوم اللاهوتية وتأملاته الروحية الرائعة.

يرسمه اسقفاً عليها، فرسمه. وكان غريغوريوس حينئذ مريضاً، فلما علم برسامته خرج من المدينة رغم مرضه، إلا أن الشعب أجبَره علي العوده.وأعلن عدم قبول الأسقف الجديد!!

+ ولما أنعقد مجمع القسطنطينية المسكوني، اختار الاساقفة نكتاريوس الذي كان صديقاً لغريغوريوس أسقفاً علي القسطنطينية، فسُر القديس بهذا الاختيار، وتنازل عن الكرسي، وخرج سراً من المدينة وعاد الي وطنه.

+ وأنقطع هناك للعبادة، وقال يصف حال انفراده: «إنني عائش بين الصخور والوحوش الضارية، فمسكني مغارة، ولا أملك إلا ثوباً واحداً. ولم استعمل حذاءً، ولا موقداً، ورقادي فوق تبن، وغطائي كيس من الكتان، والوسادة التي تحت رأسي، توجد علي الدوام مبتلة بدموع عينّي».

+ وقد دُعَي «بالثيؤلوغس» أي العَالِم بالإلهيات، لتعمُّقه في دراسة الأمور اللاهوتية.

+ ووضع قُداّساً مازال للآن بإسمه (في مصر) كان أساسه قداس مارمرقس الرسول. وبعد جهاد في الروح أنتقل سنة ٣٩٠م، إلي الدار الباقية.

٣) يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) «Chrysostomos»:

+ يُعتَبر من أعلام الكنيسة، وسُمي «**بذهبي الفم**» لكثرة الدُرَر الغالية (التأملات الروحية) التي كانت تخرج من فمه.

+ وقد وُلِد يوحنا بانطاكية. وكان والده قائداً غنياً، ثم مات وتركه شاباً، فاهتمت والدته بتعليمه الي أن رُشِح لوظيفة قاضي، ولكنه زهد في مباهج هذه الحياة، وانفرد في أحد الأديرة مدة أربع سنوات، ولكن هذا لم يُشبع روحه. فانفرد في مغارة، انشغل فيها بدراسة الكتاب المقدس، دراسة وافية. غير أن صحته تدهورت بسبب جو المغارة الرطب، فاضطر لتركها الي أنطاكية.

+ ولما تحسنت صحته أخذ في الوعظ واشتهر. فرسمه ملاتيوس أسقف انطاكية شماساً (deacon) سنة ٣٨١م.

+ وقد كان معه أثناء انفراده صديق حميم، عُرِضَت عليه الأسقفية فقبلها، علي زعم أن

يوحنا لا يمانع في قبول مثل هذه الرُتبَة. ولكن الواقع أن جماعة من الأساقفة رشحوا يوحنا لدرجة الاسقفية فاختفي عنهم، فاغتم الاسقف الجديد لما علم هذه الحقيقة، غير أن يوحنا أظهر له في رسالة، أنه لم يتنَّح عن الأسقفية لانه يحتقرها، بل لأنه غير أهْلٍ لها، وتضمنت هذه الرسالة الكثير من الحديث عن شرف (عظمة وكرامة) الكهنوت وواجبات الكاهن، فزال اغتمام الأسقف، وانصرف الي القيام بفروض الاسقفية بأمانة.

+ وقد رُقَّي يوحنا إلي القسيسية سنة ٣٨٦م بواسطة أسقف أنطاكية. وقام بالوعظ في كنيستها، فذاع صيته، ولما خلا كرسي القسطنطينية بانتقال نكتاريوس، أرسل أركايوس الامبراطور إلي بطريرك انطاكية ليُرغم يوحنا فم الذهب علي قبول أسقفية القسطنطينية، غير أن شعب انطاكية عارض في ذلك بشدة. فأرسل الملك رسالة سرية إلي الحاكم يأمره باستدراج يوحنا إلي خارج المدينة. ثم إحضاره حالاً إلي القسطنطينية، وبذلك استطاع الملك أن يجعله أسقفاً عليها سنة ٣٩٧م.

كفاح يوحنا مع افدوكسيا زوجة الملك أركاديوس:

+ كان يوحنا يحض الناس علي التقوي، ويعنف الملكة علي تصرفات شاذة صدرت منها وهي:-

١) اغتصبت حقل إحدي الأرامل، التي شكت من هذا التصرف ليوحنا فم الذهب، فطلب من الملكة رد الحقل فرفضت، ثم أرسل اليها من يرجوها في ذلك فرفضت أيضاً. وأخيراً رأي أن يمنعها في يوم عيد الصليب من الدخول إلي الكنيسة، فلما حضرت خرج القديس ليمنعها. فاستل أحد حراسها سيفاً يريد قتل القديس، فيبست يده، فعادت الملكة تغلي من الغيظ كالوعاء المغلي. وتريد الأنتقام من القديس يوحنا.

٢) استولت علي مبلغ ٥٠٠ دينار، اغتصبها حاكم من إحدي الأرامل، ولما شكته الي الملكة سحبت المبلغ من الحاكم وأعطتها ٣٦ ديناراً فقط، فاستغاثت الأرملة بالقديس. فطلب من الحاكم تسديد المبلغ فلم يدفعه، فسجنه في الكنيسة. فأرسلت

الملكة بعض الجنود لإخراجه بالقوة، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك، لأن قوة إلهية ردتهم علي أعقابهم. ولما علمت الملكة بما حدث ردت الأموال للأرملة.

٣) كـــان للـــملكة تمثال بجوار كنيسة أجيا صوفية. فكان الشعب يلعب أمامه ألعاباً تخالف الحشمة - تحـــيةً للـــملكة - فانتهرهم يوحنا مراراً. ولما لم ينفع انتهاره طلب رفع التمـثال من مكانه، فعدت الملـــكة هـــذا أهانة لهـا.وفكرّت جدياً في الانتقام منه.

+ أما يوحنا فلم يُبالِ بذلك، بل عَمَد الي تأنيبها في خطبة احتفالية بقوله: «هيرودياً تجن أيضاً، ترقص أيضاً، تطلب رأس يوحنا علي طبق».

+ وكان بين القديس يوحنا والبابا ثيؤفيلس الاسكندري سوء تفاهم، لأن الأول ضم اليه رهباناً مصريين كان قد حرمهم الثاني. فانتهزت الملكة هذه الفرصة، وأوغرت صدر ثيؤفيلس وبعض الأساقفة لتوقيع الحرم علي فم الذهب، ونجحت في هذا، وصدر الحكم بحرمه سنة ٤٠٣م، ثم اعتقله أتباع الملكة ليلاً «خوفاً من قيام ثورة في الشعب» ليأخذوه إلي المنفي، فحدثت زلزلة عند خروجه من القسطنطينية، اضطرت الملكة علي أثرها إلي إعادته إلي كرسيه.

+ ولكن قصة التمثال تكررت بعد شهرين. فوطدت الملكة عزمها علي نفيه الي جبال القوقاز خلف البحر الاسود، فذهب القديس الي هناك، وأنتهز فرصة وجوده في تلك البقاع وقام بالتبشير بين الوثنيين، ولكن الجنود أساءوا معاملته إذ كانوا يضطرونه إلي أن يمشي حافياً في وقت الظهيرة، فاعتَّرته حُمًّي شديدة. فنقلوه الي دير القديس باسيليوس، القريب من تلك الجهة، فتناول من الأسرار المقدسة. ثم أسلم روحه الطاهرة ونطق عند احتضاره بعبارة كانت مألوفة عنده وهي: «مبارك الرب في كل شيء» وكان ذلك سنة ٤٠٧م.

+ وفي عهد الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير، نُقلت رُفاته في احتفال عظيم، ودُفِنَت في كنيسة العاصمة (القسطنطينية).



الفصل الثاني

فلاسفة الغرب

+ بينما كانت مصر واليونان مبعث العلوم في الشرق، كانت رومه مبعثها في الغرب، ومن أشهر علمائها في العصر المسيحي إيرونيموس وامبروسيوس وأغسطينوس.

١) إيرونيموس (٣٣١-٤٢٠) «Jerome» :

+ وُلد في استريدون بالمجر، من أب غني، هذّبه أحسن تهذيب، ثم أرسله إلي رومه ليتلقّي العلم بها، فشغله العلم عن التقوي التي ترعرع فيها، ثم ذهب إلي تريف بفرنسا حيث عادت إلي ذاكرته الحقائق الدينية بها، وتفرّغ لخدمة الله.

+ ثم أنتقل إلي آسيا الصغري ومنها إلي أنطاكية، حيث أنفرد بنفسه في البرية الكائنة بينها وبين نهر الفرات. وتعرف هناك برجل عبّراني تعلّم منه اللغة العبرية. ولما بلغ خبره أسقف انطاكية استدّعاه ورسمه قساً.

+ ثم ذهب إلي القسطنطينية، حيث تعرّف بغريغوريوس الثيؤلوغُس، وتعلم منه تفسير الكتاب المقدس، وعاد أخيراً إلي رومة، حيث صار سكرتيراً للأسقف داماسوس، وناضل ضد الهراطقة الأريوسيين هناك.

+ ثم أبحر إلي الشرق، وأقام في أورشليم، لترجمة الكتاب المقدس من العبرية إلي اليونانية. وأنتقل للاقامة في دير بيت لحم، إلي أن توفي بها وعمره ٩١ سنة.

٢) امبروسيوس (٣٤٠-٣٩٧م) «Imperoso» :

+ كان أبوه من كبار أشراف رومة. ورحل وهو طفل، فقامت أمه بتربيته. ولما فاق أقرانه في الذكاء وظهر نبوغه، انتخبه الامبراطور فالنتيانوس والياً علي ميلان، فقضي بين الناس بالعدل، وكان موضع احترامهم المقرون بالمحبة.

+ ولما مات أسقف المدينة الأريوسي، وقع نزاع علي انتخاب من يخلفه. وعندما اجتمع الشعب في الكنيسة لاختيار هذا الخلف، علا ضجيجهم، فتوسطهم امبروسيوس وحضهم علي المحبة والسلام، وبينما كان يتكلم، رفع صبي صوته وقال: «امبروسيوس أسقف».فأتجهت أنظار الشعب إلي رسامته. وعبثا حاول الهرب منهم.

+ ثم بدأ عمله في الأسقفية بمحاربة الأريوسية، وبينما كان يخطب مرة، موضحاً التعاليم الارثوذكسية، خرجت فتاة أريوسية من المجمع، وأمسكت بثوبه لتُنزله من

علي المنبر، فقال لها الاسقف بلُطف: «لا يليق بمثلك أن تفعل هذا. واحذري أن يُدركك انتقام الله»فللوقت سقطت صريعة وفاضت روحها!

+ وحدث مرة أن عقد داماسوس أسقف رومة مجمعاً دعا اليه امبروزو الذي لبي الدعوة، وفي طريقه اليها اضطر أن يبيت في فندق، فوجد صاحبه مستهتراً لا يُبالي بالآخرة، ولا يقدم الشكر للّه علي نعمائه، فسأله القديس عن الحوادث التي حلّت به، فأجابه بعدم وقوع حوادث له، فتذّكر القديس كلام أيوب النبي (١٣:٢١) «يقضون أيامهم بالخير وفي لحظة يهبطون للهاوية». ثم قال لأصحابه: «قوموا بنا لئلا يدركنا الغضب الإلهي، الذي سيحل علي هذا المنزل وأهله». فما كادوا يخرجون، حتي أنهدم المنزل علي من فيه، وهلك جميعهم!!

+ وقد مرّ في تاريخ الامبراطور ثيؤدوسيوس الكبير، موقف القديس معه في ردّه عن الظلم في أحكامه.

٣) أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠م) «Augustine»

+ كانت أمه "مُونيكا" من أتقياء المسيحيين، ووالده وثنياً شرس الاخلاق ولكن بصلاة الزوجة تغيّر الزوج وأصبح مسيحياً، وبعد موته اهتمت بتربية إبنها، ولكن أتعابها معه ذهبت أدراج الرياح. فلما بلغ السابعة عشرة من عمره ذهب إلي قرطاجنة وأنغمس في الدنس، ودرس هناك كتاب شيشرون، ولكنه لم يفكر في الاطلاع علي الكتاب المقدس.

+ ثم ذهب أيضاً إلي رومه، وازداد شرّه بمعاشرة فاسدي الاخلاق، حتي أصبح يفاخر بالرذائل.

+ أما والدته فكانت تُذرف الدموع الحارة من أجل هدايته. ثم شكت حاله إلي الأسقف (امبروسيوس). فاشار عليها بمداومة الصلاة حتي يستجيب اللّه طلبتها. ثم قال لها: «غير ممكن أن يدع اللّه وليد هذه الدموع يهلك». فكان هذا الكلام سبب عزاء للأم، وفي إحدي الليالي رأت في حلم، أنها واقفة علي ممشي من الخشب يقابلها شاب جميل باسم الثغر، سألها عن سبب حزنها، فأجابته: «أنني حزينة لأجل أبني الذي سيهلك». فطمأنها بقوله: «لا تخافي حيث تكونين يكون ابنك». فاستيقظت من هذا الحلم وازداد عزاؤها. ولكنها انتظرت بعد ذلك تسع سنين، تتابع خطوات إبنها، وتداوم علي الصلاة وتذرف الدموع، راجية من الرب يسوع قبول طلبتها.

+ أما أوغسطين فقد مات أحد أقرانه يوماً. ومن فرط تأثره لفقده، شعر بزوال كل عزيز لديه. واندفع الي الاقرار بأن الدوام للّه غير المائت، وأن السرور والسلام لا يتوافران إلا في محبة اللّه. ومن ذلك الوقت بدأ يتحوّل عن فعل الشر.

+ وقد ساقته العناية للذهاب الي ميلان، حيث حضر الاجتماعات الدينية التي كان يخطب فيها الأسقف امبروسيوس ببلاغته، فشعر بلذة في سماعه، وبدأت نعمة اللّه تعمل في داخله، وتُشّعره بخطئه وشقائه.

+ وتصادف أن زار صديقاً له يدعي اليبيوس. وهناك حدثه أحد الاشراف عن حياة الراهب أنطونيوس المصري، والانقلاب الذي أحدثه في أخلاق من سار علي طريقته الملائكية. فلما سمع أوغسطين هذا قال متأثراً: «هوذا الأُناس الجهلاء يختطفون السماء ونحن المُعتزين بالعلوم (العالمية) نستمر علي الأرض مكبلين، فلم نقتدِ بهم».

+ وعلي أثر ذلك دخل في بستان، وأخذ يتنهد ويبكي علي خطاياه، ويطلب من اللّه الغفران، فرأي غلاماً صغيراً يقدم له الكتاب المقدس ويقول له: «خذ وأقرأ» ففتح الكتاب ووقع نظره مُصادفةً علي هذه الكلمات: «لنسلك بلياقة كما في النهار، لا بالبَطَر والسُكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل إلبسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات»[١].

+ فرجع عندئذ أوغسطينوس وصديقه إلي إمبروسيوس الذي تعهدّهما حتي انصلح حالهما.

+ ثم أخذ أوغسطين والدته، «التي كانت قد تبعته الي ميلان، وفرحت باستجابة صلواتها» ورجع بها إلي بلاده، وفي أثناء الطريق ماتت الوالدة قريرة العين بهداية إبنها.

+ ولما وصل أوغسطين الي قرطاجنة رسَمَه أسقفها موسي كاهناً علي مدينة ايبونا. فأخذ يعظ الشعب، بمواهبه العملية والعقلية. وبعد موت الأسقف خَلَفه في الأسقفية.

+ وقد قاوم بدعة بيلاجيوس، التي أضعفت من قيمة الفداء، إذ تضمنت القول بأن خطيئة آدم قاصرة عليه دون نسله، وأن في مقدور الإنسان أن يسمو الي درجة القداسة دون حاجة الي مساعدة النعمة الإلهية.

---

(١) رو ١٣:١٣ ـ ١٤.

الباب الرابع

الكرسي الاسكندري في عهد الأباطرة المسيحيين

+ انتهي عصر اضطهاد الأباطرة الوثنيين للمسيحيين في مصر، باستشهاد القديس بطرس بابا الاسكندرية وخاتم الشهداء، ولكن لما عمت الحرية الدينية، في عصر الأباطرة المسيحيين، اندفع البعض إلي اختلاق البدع والهرطقات، التي انتشرت في العالم، إلا أن نور العلم اللاهوتي الذي شع من الكرسي الاسكندري كان سبباً في إظهار الحقائق الدينية ساطعةً، بعد تفنيد كل هرطقة (بدعة)٠

+ وقد تولي الكرسي المرقسي في هذا العصر البابوات أرشلا، واسكندر، وأثناسيوس، وبطرس الثاني، وتيموثاوس، وثؤفيلس، وكيرلس (الأول)٠



الفصل الأول

البابوان أرشلا واسكندر

البابا أرشلا (٣١٢م - ٢٨ش) «أشيلاس»:

+ وُلِد بالاسكندرية، وسُرّ البابا بعلمه وقداسته، فسامه قساً، وأسند اليه إدارة الاكليريكية٠ وقد تنبأ عنه البابا بطرس أنه سيخلفه علي الكرسي وأوصاه ألاَّ يقبل أريوس المبتدع عضواً في الكنيسة.وأن يحارب بدعته بشدة٠

+ ولكن بعد أن تولي الكرسي، تظاهر أمامه أريوس بالتقوّي والندم، وتقدم أنصاره يرجون قبوله٠ فقبل البابا رجاءهم، وأقام أريوس قساً لإحدي كنائس الاسكندرية، وأسند اليه الوعظ بها، فخالف بهذا ماأوصاه به سلفه {البابا بطرس}٠

+ ولم يستمر البابا إلا نحو ستة أشهر، وانتقل إلي الدار الباقية٠

البابا اسكندر (٣١٢-٣٢٨م،٢٨-٤٤ش)،ألكسندروس، :

+ بعد أن تلقي العلم بالاسكندرية، رسمه البابا مكسيموس اناغنستسا (قارئاً) والبابا ثاونا رسمه شماساً (deacon) والبابا بطرس رسمه قساً.

+ ولكن بعد موت أرشلا، رشح أريوس نفسه لكرسي البابوية، فرفض الاكليروس والشعب ترشيحه، وأقاموا البابا اسكندر، الذي أضعفت الشيخوخة جسمه، إلا أن عقله كان كامل القوة (الحكمة).

+ ولما كان البابا بطرس قد أوصاه ألا يقبل أريوس عضواً في الكنيسة، فبالرغم من أن البابا أرشلا قد أعاده إلي الخدمة، إلا أن البابا اسكندر حرمه منها، وأخذ يناهض بدعته باقي حياته، فاضطر أريوس أن يتملّق البابا كما عمل مع سلفه، وأرسل اليه أتباعه لتقريّب الثقة بينهما، لكن البابا رفض وساطتهم، وأمرهم أن يقولوا له: «أوصاني أبي ألا أقَبلك، فلا تدخل إليَّ ولا أجتمع بك، وذلك حسب أمر السيد المسيح، فاعترِف للمخلص بخطيئتك.فإذا قبلك فهو يأمرني بقبولك».

+ فاغتاظ أريوس، وحقد علي البابا، وأخذ يتحيَّن الفُرص لمعارضته، بقوة أسلوبه واجتذاب الكهنة والشعب إليه، فبينما كان البابا يعظ يوماً عن سلطان السيد المسيح في إقامة الموتي، إذ بأريوس في مكان آخر يعظ علي الآية القائلة «أبي أعظم مني».

+ ثم تقدم كثيرون للبابا اسكندر بالشكوي من انحراف اريوس عن العقيدة المسيحية، فجمع البابا الأساقفة المجاورين وعرض عليهم الأمر سنة ٣١٩م. ثم أصدر رسائل تُثبِّت العقيدة الارثوذكسية. وحث فيها المنحرفين علي الرجوع إلي الحق، ولكن هذا لم يُقنع أريوس ولا أتباعه. فعقد البابا سنة ٣٢١م مجمعاً آخر، من أساقفة الكرسي المرقسي، حضره نحو مائة أسقف من ليبيا ومصر. وأصدر الحُكم بتجريد أريوس من رُتبته، وحرْم اتباعه. وأمضي الجميع هذا القرار، عدا أسقفين كانا يناصران أريوس.

+ فهاج سخط أريوس، وأرسل لصديقه أوسابيوس أسقف نيكوميديا (بآسيا الصغري)، يبلغه أمر الحكم الصادر ضده، ويقول له: «هم يضطهدوننا لأننا نُعلّم أن الله الإبن (المسيح) قد وُجِد من العدم، وأن له ابتداء بعكس الله الآب الذي لا ابتداء له، إذ أنه موجود بنفسه».

+ وفي نفس الوقت أرسل البابا لسمّيه، الاسكندر بطريرك القسطنطينية لتفنيد بدعة أريوس، وإظهار العقيدة الارثوذكسية بقوله: «نؤمن مع الكنيسة الرسولية بالآب الواحد، الذي لم يولَدِ ولم يتغيَّر، ولابُد من وجوده. ونعترف بإبن واحد هو يسوع المسيح، إبن الله الوحيد الجنس الذي وُلِد من الله الآب الحي - لا من العدم - بنوع لا يُدّرك ولا يُعَّبر عنه»[١].

+ ولما وجد أريوس أن الحملة قد اشتدت عليه بالاسكندرية، وأن كل الأساقفة والبابا غير راضين عنه، تركها وذهب ينفث سمومه في بقاع أخري لم تصل اليها ألاعيبه، فحل بفلسطين ثم بآسيا الصغري، وأخذ يُشّهر بالبابا. فأنخدع بآرائه أوسابيوس أسقف نيكوميديا، وغريغوريوس أسقف بيروت، وثاؤغنس أسقف نيقيا وغيرهم، وسمحوا له بإلقاء المحاضرات الدينية!!

+ ولما كان للتلحين أثره السريع في نفوس السامعين، وضع أريوس كتاباً باسم «ثاليا» في مقطوعات شعرية كالترانيم، حشا بها عقيدته، ولقنّها لأتباعه، يترنمون بأنغامها، وهم لا يدرون أنها تحمل في طياتها سُم عقيدته (علي النظام البروتستانتي).

+ وكان من جراًء هذا، أن أرسل الأساقفة مناصرو أريوس، رسائل للبابا يرجونه أن يسحب حكمه علي أريوس، فأوضح لهم الأسباب التي حملته علي حرمه، وأنه لا يسمح بقبوله مرة أخري، مادام مُصّراً علي عقيدته التي تُناقض ماجاء في الآية الأولي من إنجيل يوحنا: «**في البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله**».

---

(١) ثيؤدوريتس، تاريخ الكنيسة، ك ١ ف ٤ و ٥ (Theodoritus, Eccles - Hist.)

+ فاقتنع بعض الأساقفة بأقوال القديس، أما بعضهم الآخر فقد تمسكُوا بمشايعة أريوس، فعقدوا مجمعين أولهما في بيثينيا سنة ٣٢٢م، والآخر في فلسطين سنة ٣٢٢م، وقرروا فيهما إلغاء الُحكم الصادر من البابا، فعاد أريوس إلي الاسكندرية للمنازعة، واشتد الخلاف بين الارثوذكس وبين أتباع أريوس لدرجة المناقشات الحادة، حتي وصلت بهم الحال الي الجدال علي قارعة الطريق، الأمر الذي جعل الوثنيين يهزأون بالمسيحيين. فأضطر البابا إلي إشهار حرْم الأريوسيين، وطرد زعيمهم من الاسكندرية للمرة الثانية، فعاد إلي مُناصريه.

+ وكان أسقف نيكوميديا يعرف قسطنديا أخت الامبراطور قسطنطين فطلب منها التوسُّط لدي شقيقها في هذا الموضوع، فندب الامبراطور شيخاً جليلاً معروفاً بسعة علمه، وهو «أوسيوس» أسقف قُرطبة، ليتوسَّط في الصلح بين الفريقين. فأتي أوسيوس إلي الاسكندرية، ورأي أن الخلاف لا يمكن حلّه. فرجع وأخبر الملك قسطنطين بحقيقة الحال.

+ وكان من نتيجة ذلك، أن أنعقد المجمع المسكوني الأول بمدينة نيقيا سنة ٣٢٥م. فحضره البابا اسكندر وشماسه أثناسيوس. وأنتصر المجمع للبابا، وحرم أريوس، وأمر بنفيه الي الاليريكون، وأحرق مؤلفاته خصوصاً كتاب «ثاليا»، فأخمدت البدعة الأريوسية بعض الوقت.

+ ولم يستمر البابا بعد ذلك إلا نحو خمسة أشهر، وأنتقل الي فردوس النعيم سنة ٣٢٦م.



الفصل الثاني

البابا أثناسيوس (٣٢٦-٣٧٣م)

+ منحت الكنيسة لقب (الرسولي) لهذا البابا، لأنه أشبه الرسل في التعُّمق في معرفة العقيدة المسيحية، وفي الدفاع عنها، واحتمال الآلام في سبيلها. واعتبرته نجماً ساطعاً، لا في سماء الكرسي الاسكندري فقط. بل وفي العالم المسيحي أجمع، ولا في جيله فقط، بل وفي كل الاجيال. وهكذا رسم اثناسيوس طريق العظمة المكللة بأشواك الجهاد المستمر.

نشأته:

+ وُلِد البابا أثناسيوس (= خالد) في الاسكندرية[1] سنة ٢٩٦م من والدين وثنيين غنيين، ثم فقد والده وهو صغير فربته والدته تربية وثنية، إلا أنه كان يخالط أولاد المسيحيين (في مدرسة الكنيسة) ويُسّر بعشرتهم، ويتردد علي البابا اسكندر. فتغذيء بالمباديء المسيحية، ومال للزهد في الحياة.

+ ولما بلغ سن الرشد أرادت والدته أن يتزوج، لأنه كان وحيدها، فرفض وأوضح لها مافي الحياة الزوجية من هموم، ثم تدرج إلي إقناعها بسمو المباديء المسيحية، التي تَحض علي الزُهد في الحياة. فتقدَّمت مع إبنها إلي البابا اسكندر، الذي عمدَّهما وأخذ أثناسيوس تحت رعايته في الدار البطريركية، وأهتم بتهذيبه بالعلوم في المدرسة الاكليريكية، فنبغ نبوغاً عظيماً إلي درجة أنه في سنة ٣١٨م، كتب وهو طالب رسالة ضد الوثنيين امتازت بغزارة مادته وقوة حُجته.

+ ثم انفرد مدة مع القديس أنطونيوس، وتعلَّم منه حياة النُسك والتقوَّي، ولما عاد سُر البابا اسكندر بعلمه وتقواه، فرسمه سنة ٣١٩ شماساً، فرئيساً للشمامسة (أرشيدياكون)، ثم أتخذه مساعداً له يحيل عليه عويص المشاكل، وأعظمها مشكلة أريوس، التي عقد بسببها مجمع نيقيا المسكوني، واستصحبه البابا معه إلي هذا المجمع، وكان لأثناسيوس في الرد علي هذه البدعة الرأي الصائب.

---

(١) لإثبات جنسيته بحث خاص رقم ١ بملحق هذا الكتاب.

+ وقد قال المؤرخ البيزنطي سقراط[1]: عن هذا البابا «إن فصاحة أثناسيوس في المجمع النيقاوي قد جرّت عليه كل البلايا التي صادفها في حياته».

+ وفي أواخر سنة ٣٢٩م أوصي البابا اسكندر بانتخاب أثناسيوس خليفة له. فلما بلغه هذا، لجأ إلي الجبال، لاعتقاده بعدم أهلّيته لهذا المنصب الخطير، ولكن الشعب أخذ يبحث عنه إلي أن وجده، وأحضره الي الأساقفة، فوضعوا عليه الأيادي، بين مظاهر الفرح والتهليل (وكان لم يزل شاباً).

امتداد سلطانه إلي إثيوبيا:

+ دخل علي البابا يوماً شخص يدعي فريمونات (فريمنتوس) الصوري، وقص عليه ماجري له في رحلة إلي أثيوبيا فقال: إنه ذهب مع شقيقه إيدوس برئاسة عمهما ميروبيوس الغني، في رحلة إلي بلاد الهند مع آخرين، ولاحتياجهم إلي الطعام عند مرورهم بالبحر الأحمر، نزل الجميع الي البر فهجم عليهم البرابرة وقتلوا الجميع، ماعدا فريمونات وايدوس اللذين اختفيا تحت شجرة يصليان ويطالعان في الكتاب المقدس، فلما عثر عليهما البرابرة، ورأوا ما يبدو عليهما من جمال، أخذوهما وقدموهما هدية للملك في أكسيوم[2] «عاصمة أثيوبيا في ذلك الحين»، فجعل ايدوس رئيساً لسقاته، وفريمونات أميناً لخزائنه.

+ وبعد موت الملك، أُعتقا من الأسْر، إلا أن الملكة استبقتهما ليساعداها في تربية أولادها الصغار، فبقيا هناك، وأصبحت لهما الكلمة الأولي في المملكة، فاستخدما نفوذهما في اجتذاب الأحباش الي المسيحية. وساعدهما تجار مسيحيون كانوا يُقبلون الي تلك الجهات، فنمت البذار بسرعة.

+ ولما كبر ولي العهد، تركا أثيوبيا عائدين إلي بلادهما، ولكن فريمونات لم يُهن عليه ترك بذار المسيحية في إثيوبيا بدون عناية. فتخلف عند البابا أثناسيوس، ليتولي هذا الحقل بعنايته. فأجابه البابا: «ومن أين لنا برجل مملوء بروح الله، ويدرك حاجيات تلك البلاد مثلك»؟!.

---

(١) سقراط، تاريخ الكنيسة، ك ٢ ف ٨ (Socrates, Eccles. History).

(٢) أكسوم.

+ ثم قام برسامته سنة ٣٣٠م أسقفاً علي بلاد أثيوبيا باسم الأنبا «سلامة» وكان هو أول أسقف لها من قِبَل الكرسي الاسكندري، ومن ذلك الوقت ظل يقوم البابا الاسكندري برسامة أساقفة أثيوبيا.

موقف الأريوسيين ضد البابا في عهد قسطنطين الكبير ونفيه الي تريف (Trèves):

+ لما صدر حكم مجمع نيقيا بحرم أريوس، ونفيه في عهد البابا اسكندر اغتنم أتباعه فرصة انتقال هذا البابا للسماء وبدأوا يعملون علي اعادته من المنفي، واستعانوا بقسطنديا أخت الملك، التي كانت تعترف علي يد قس أريوسي. فطلبت من قسطنطين العمل علي تبرئة أريوس وإعادته من المنفي.

+ فاستدعاه الملك سنة ٣٢٨م وطلب منه تقريراً يشرح فيه عقيدته، فوضع أريوس خطاباً مملوءاً بعبارات ملتبسة، لا تقيد الأريوسيين بعقيدة خاصة فاقتنع قسطنطين ببراءته، وأصدر أمره بالعفو عنه، وعن الأساقفة المنفيين بسببه.

+ فحضر الجميع وهم متحفزون لتنشيط حزبهم، وعقدوا سنة ٣٢٩م مجمعاً، أصدروا فيه حكماً بحل أريوس، وبوجوب اشتراكه في الخدمة الكهنوتية.

+ ثم كتب أوسابيوس أسقف نيكوميديا وأحد المجتمعين، رسالة إلي البابا أثناسيوس يبلغه فيها قرار هذا المجمع، ويدعوه الي قبول أريوس، فرفض البابا قبوله، لِمَا في ذلك من المخالفة لقرار مجمع نيقيا المسكوني.

+ فجرد الأريوسيون حملتهم المسعورة علي البابا أثناسيوس ووصموه بالتهم الآتية:-

١) أنه يغذي بالمال قائد الملك فيلومينوس، عدو الحكومة الرومانية ليشق علي الامبراطور قسطنطين عصا الطاعة.

٢) أنه أمر بكسر كأس التقديس، التي استخدمها القس أسكيرا، وهدم مذبحه.

٣) أنه قتل الأسقف أرسانيوس واستخدم ذراعيه في السحر.

٤) أنه اغتصب راهبة وفض بكارتها.

+ ومع أن البابا برأ نفسه أمام الامبراطور من التهمة الاولي (تشجيع عدو المملكة) إلا أن التهم الاخري كان لابُد من نظرها أمام مجمع الأساقفة.

+ فأنعقد لذلك مجمع منهم في «صور» لمحاكمته بتحريض أوسابيوس أسقف نيكوميديا. فحضر أساقفة كثيرون من الأريوسيين، وقل عدد الحضور من الأرثوذكس، وبهذه الاكثرية لم يكن للبابا أثناسيوس الإكرام اللائق به. فأثار هذا احتجاج الأرثوذكس، ولكن بلا جدوي، بسبب الاغلبية الهرطوقية.

+ ثم نظر المجمع في التُهم الباقية:-

٢) في تهمة كسر كأس القس اسكيرا وهدم مذبحه، كانوا قد اتفقوا معه علي ألا يظهر، إلا أنه ندم علي اتفاقه معهم زوراً، وحضر إلي المجمع، وبَرَّأ البابا أثناسيوس من تلك التهمة المُلفقة.

٣) وفي تهمة قتل أرسانيوس واستخدام ذراعيه في السحر، كانوا قد اتفقوا معه علي الاختفاء وأحضروا ذراعي أحد الموتي، ووضعوهما في صندوق للتدليل علي التهمة، غير أن أرسانيوس أنَّبه ضميره، وندم علي اتفاقه معهم، وآتي الي صور، وأراد قبل دخوله إلي المجمع، ان يستسمح البابا أثناسيوس، فأودعه البابا في غرفة مجاورة للمجمع.

+ وعند نظر هذه التُهمة وقف أثناسيوس للدفاع عن نفسه، وقال: «هل منكم من يعرف أرسانيوس؟ فَرَد البعض بالإيجاب. وحينئذ طلب البابا من أرسانيوس الدخول الي المجمع، فدخل وذراعاه مختفيتان في داخل ثيابه، فقالوا: «إنه هو بنفسه» عندئذ قال أثناسيوس «أين ذراعاك يا أرسانيوس؟ أظهرهما؟!» فما كان منهم إلا أن صرخوا قائلين: «إن أثناسيوس ساحر، استطاع أن يوجد لأرسانيوس ذراعين آخرين» وهاجوا ضده وأرادوا الانقضاض عليه، فخرج من وسطهم.

+ وذهب البابا بعد هذا الي الملك ليعرض عليه قضيته، فأرسل الأريوسيون وراءه، لكي لا يتمكن من مقابلته.

٤) وفي أثناء ذلك تقدمت إلي المجمع المرأة الزانية صاحبة التُهمة الرابعة وأدّعت أنها راهبة، وأن أثناسيوس قد فض بكارتها. فقام تيموثاوس القس الاسكندري الذي كان

مُرافقاً للبابا، وتحدث باعتباره أثناسيوس المتهم. وقال لها: «كيف تتجاسرين وتقولين إني نزلت بيتك وقهرت إرادتك بفعل الدنس؟» فقالت: وهي لا تعرف شخصية أثناسيوس». «نعم أنت ياأثناسيوس أغريتني وأفقدتني عفتي، التي نذرتها للرب» فظهر كذب إدعائها وإدعاء الأريوسيين علي البابا.

+ أما أثناسيوس فلما لم يستطع مقابلة الملك، بسبب تعطيل الأريوسيين انتهز فرصة خروجه للمرور، وصرخ اليه لينقذه من الأريوسيين، ولكن جموعهم من حوله كانت أكثر عدداً من الأرثوذكس، فاختلقوا له تهمة خامسة وهي أنه يُحرِّض علي منع تصدير الغلال من الاسكندرية الي العاصمة البيزنطية، وهيجوا سخط الامبراطور عليه (بتهمة سياسية).

+ وأخيراً نجحوا في التآمر مع الملك لأراحة العالم (كما يتصورون) من أثناسيوس، بنفيه من كرسيه.

+ فأصدر الملك أمراً بنفيه إلي «تريف» في جنوب غرب فرنسا. فوصل اليها البابا في ٥ فبراير سنة ٣٣٥م، حيث قوبل مقابلة حسنة من مكسيموس أسقف تلك الجهة، ومن واليها قسطنطين الصغير.

نهاية أريوس:

+ رجع أريوس خلال ذلك إلي الاسكندرية، فرفضه أهلها جميعاً، وخاف واليها من حدوث ثورة، فأرسله إلي الامبراطور بالقسطنطينية، والذي أمر بطريركها اسكندر بقبوله. فصلي البطريرك للّه (ومعه يعقوب أسقف نصيبين) في كنيسة إيريني، طالباً إما أن يأخذه اللّه قبل أن يري أريوس مصلياً في كنيسة القسطنطينية، أو يُريح الكنيسة منه.

+ وفي اليوم المحدد لاحتفاء الأريوسيين بدخول زعيمهم إلي الكنيسة وإذا بمرض مفاجيء يصيب احشاءه وينتهي إلي نزيف دموي يقضي عليه وتستريح منه الكنيسة.

+ وقد قال سقراط[1] يصف موته «إنما أمات الله أريوس في مرحاض عمومي، حيث إندلقت أمعاؤه، وقد اعتبر الشعب هذه الميتة انتقاماً من العدل الإلهي».

عودة أثناسيوس من المنفي وموقف الأريوسيين ضده:

+ كانت هذه الحادثة سبباً في تبديل شعور الملك قسطنطين نحو البابا أثناسيوس، فأوصي سنة ٣٣٧م، وهو علي فراش الموت بإرجاعه، وأثبت هذا في الوصية التي قسم فيها المملكة بين أولاده الثلاثة، وأصبحت مصر بموجب هذه الوصية تحت حكم قسطنديوس، فطلب اليه أخوه قسطنطين الصغير (حاكم فرنسا) تنفيذ وصية والده في إعادة البابا المصري من منفاه. فصدر الأمر بذلك في سنة ٣٣٨م، بعد أن بقي البابا في المنفي سنتين وأربعة أشهر.

+ ولما بلغ الاسكندريون خبر قدوم أبيهم، استقبلوه بفرح عظيم، وتحوَّل كل بيت من بيوتهم إلي كنيسة تُرفَع فيها ابتهالات الشكر لله لأجل عودته بسلام.

+ إلا أن هذا لم يُرْضِ الأريوسيين طبعاً فتحركت جموعهم، وعقدوا مجمعاً حرموا فيه أثناسيوس، وعينّوا بدله شخصاً يدعي غريغوريوس الكبادوكي. وبعثوا أيضاً بهذه القرارات لأسقف رومه «يوليوس»، وفيها مثالب عدة عن البابا أثناسيوس.

+ ولخلو ذهن اسقف رومه، من تفاصيل موضوعات الشرق، أرسل إلي البابا أثناسيوس يستفهم منه عن الحقيقة، فعقد البابا سنة ٣٤٠م مجمعاً في الأسكندرية احتج فيه علي الأريوسيين. ثم حرر رسالة دورية لجميع الكنائس، مظهراً فيها براءته من كل ما اتهموه به من افتراءات ظالمة.

+ فخشي الأريوسيون تأثير هذه الرسالة، وأرادوا تعكير الجو علي البابا بقدر المستطاع، فاتفقوا مع الملك قسطنديوس - بعد أن أقنعوه برأيهم - وكذلك مع والي

---

(١) سقراط، تاريخ الكنيسة، ك اف ٦٨.

مصر فيلوغوريوس، ليساعدا بطريركهم غريغوريوس بقوة الجند علي الدخول إلي الأسكندرية، والاستيلاء علي كنائسها.

+ فأرتاع الشعب الاسكندري لذلك، وقرر المقاومة، إلا أن الأريوسيين هجموا علي الكنائس يوم جمعة الصلب، وهتكوا حرمة العذاري، وذبحوا المصلين من الشعب من الأطفال إلي الشيوخ، وهكذا طاحت الأرواح البريئة في تلك المجزرة الأريوسية(١).

استغاثته بالعالم وترك كرسيه للمرة الثانية إلي رومه:

+ أرسل البابا أثناسيوس رسالة إلي أساقفة المسكونة يقول فيها «استغيث بكم كما استغاث ذلك الرجل الاسرائيلي، الذي عندما ماتت زوجته - بعد أن أغتصبها منه أعداؤه - قسّم جثتها إلي أثني عشر قسماً - وبعث بكل قسم منها إلي سبط من أسباط اسرائيل، ليجتمعوا جميعاً ويأخذوا بثأر تلك الزوجة».

+ ثم رأي ضرورة عرض قضيته علي العالم بنفسه، لأن الرسائل لم تُجدِ، فسافر إلي رومة واتفق مع أسقفها يوليوس علي عقد مجمع بها يضم الأريوسيين مع الارثوذكس، فوافقه اسقف رومه علي هذا، وفي الفترة اللازمة لدعوة هذا المجمع إلي الانعقاد، شغل البابا نفسه ومعه بعض رهبان مصر بنشر سيرة القديس أنطونيوس، فكان لنشرها في الغرب أثر كبير علي الكثيرين ليقتفوا أثر هذا الراهب القديس.

+ ولما بلغت دعوة الأسقف يوليوس الي الأريوسيين عقدوا مجمعاً في انطاكية للرد عليها، قرروا فيه مخالفة قانون ايمان مجمع نيقيا في النص علي «مساواة الإبن للآب في الجوهر، ووضعوا بدلاً منه نصاً آخر «بأزلية وجود الإبن في حضن الآب». وبهذا خالفوا البدعة الأريوسية. التي تنص علي «عدم مساواة الابن للآب في الجوهر»، فوقعوا بذلك في البدعة المُسمَّاة بالنصف الأريوسية. ثم أرسلوا هذا القرار للأسقف الروماني يوليوس.

---

(١) سقراط ٢ ف ٨. وسوزومين ك ٣ ف ٥.

مجمع سرديكا (صوفيا في بلغاريا حالياً):

+ أثار وصول هذا القرار سخط الأسقف يوليوس، فعرض الامر علي الأمبراطور قسطاس قيصر رومة، الذي طلب عقد مجمع لحل موضوع أثناسيوس. فانعقد المجمع في سرديكا (صوفيا) سنة ٣٤٧م وكان مؤلفاً من مائة أسقف غربي، وسبعين أسقفاً شرقياً، ورأس المجمع أوسيوس أسقف قرطبة.

+ ولما طلب الغربيون حضور أثناسيوس للدفاع عن نفسه، أنكر الشرقيون المحالفون للأريوسيين هذا الطلب، وانسحبوا من المجمع.

+ فلم يُعِر الغربيون انسحابهم إلتفاتاً، واستمروا في عقد المجمع وقرروا :

* **أولاً:** براءة البابا أثناسيوس من كل ماهو منسوب اليه.

* **ثانياً:** تثبيت قانون إيمان مجمع نيقيا.

* **ثالثاً:** حرم الأساقفة الأريوسيين .

* **رابعاً:** عزل غريغوريوس الذي أقامه الأريوسيون بطريركاً علي الاسكندرية.

+ ثم أنتدبوا أسقفين، ليسلما هذه القرارات للإمبراطور قسطاس. فأيدها وأرسلها لشقيقه قسطنديوس (حاكم الشرق)، مشفوعاً برسالة يقول فيها: «إنه يُعلن عليه الحرب، إن لم يُرجِع البابا أثناسيوس إلي كرسيه».

+ فوافق قسطنديوس علي طلب أخيه، بشرط أن يسمح أثناسيوس للأريوسيين بالاسكندرية، باقامة شعائرهم، في احدي الكنائس الأرثوذكسية.

+ فلما عرض هذا الشرط علي البابا اشترط هو ايضاً أن يسمح الأريوسيون للأرثوذكس في أنطاكية، بأقامة شعائرهم في إحدي الكنائس الأريوسية. فكانت النتيجة أن رفض الأريوسيون هذا الحل.

+ وفي هذه الأثناء، قام بعض الاقباط بثورة ضد الأريوسيين، وقُتل فيها بطريركهم الدخيل غريغوريوس سنة ٣٤٩م، وكان هذا سبباً في عودة أثناسيوس إلي كرسيه للمرة الثانية.

+ وأحتفل الشعب به احتفالاً عظيماً، وصفه غريغوريوس الثيؤلوغس بقوله: عن كثرة المستقبلين «وكان ازدحامهم أشبه بالنيل عند فيضانه». ثم أشار إلي سعوف النخل والأبسطة وكثرة الأيدي المصفقة.

خروجه من كرسيه للمرة الثالثة إلي البرية بسبب قسطنديوس:

+ احتمل الأريوسيون عودة أثناسيوس إلي كرسيه علي مضض، نظراً لتوسط قسطاس. واشتغل أثناسيوس بتعمير ماخرّبه الأريوسيون من كنائس وأقام أساقفة جدد، وحض الناس علي التمسك بالآراء الأرثوذكسية.

+ ولكن حدث بعد ذلك أن رجلاً يُدعي ماغنانتيوس، أغتصب المُلك من قسطاس وقتله سنة ٣٥٠م، ثم طمع في الاستيلاء علي الشرق. فأرسل إلي مصر رجالاً، يبثون فيها روح التمرد ضد قسطنديوس. غير أن البابا أثناسيوس، أوصي الشعب بالخضوع للقيصر، ثم نشب القتال بين المغتصب وقسطنديوس، فقتل الأول سنة ٣٥٢، وخلا الجو للقيصر.

+ وانتهز الأريوسيون فرصة موت قسطاس، معضد أثناسيوس، وتحركوا للعمل ضده، فأوغروا صدر الامبراطور قسطنديوس، الذي كان يميل إلي تعضيدهم، وادعوا كذباً أن البابا كان يبث في الشعب روح التمرد لمساعدة عدو المملكة، فجمع الامبراطور مجمعاً من الأساقفة الأريوسيين، وأصدر حكماً بنفي أثناسيوس.

+ ثم كلف سريانس والي مصر بتنفيذ الحكم. فذهب إلي البابا وطلب منه شفوياً مرافقته. فرفض الخضوع إن لم يصله أمر رسمي من الأمبراطور، فهاج سخط الوالي وعاد بعد ثلاثة أسابيع ومعه خمسة آلاف جندي، وحاصر كنيسة السيدة العذراء (التي بناها البابا ثاونا)، وقت صلاة الغروب.

+ وكان البابا يتلو المزمور (لأن إلي الأبد رحمته). فاندفع الجند بشدة إلي داخل الكنيسة للقبض عليه، لكن الله وضع غشاوة علي عيونهم، فلم يُميزّوه من بين الشعب،

ثم أنطفأت المصابيح بسبب الهياج، فخرج البابا وذهب الي الصحراء وبقي مدة مع الآباء الرهبان.

+ فاتخذ الأريوسيون من فراره أداة للحط من قدره، فكتب احتجاجاً علي هذا قال فيه «هم يلومنني علي هربي، غير عالمين أنه لو كان في الهرب جناية، لكان في الاضطهاد جنايات، وكيف لا يعلمون أن في فراري منهم حجة عليهم، فالمرء لا تفزعه الرِقّة واللين، بل غلظة القلب والتوّحش».

+ ثم عين الأريوسيون من قبلهم جورجيوس الكبادوكي أسقفاً، علي الاسكندرية، ففاق سابقه في الفضائع التي ارتكبها، إذ أرسل جنوداً أحرقوا الارثوذكس الذين ذهبوا إلي المقابر ليقدموا بخوراً عن موتاهم، كما استولي علي أوقاف كنائسهم، وقبض علي إثني عشر أسقفاً وزجهم في السجن، لعدم الخضوع له. إلا أن مدته لم تطل فقد قام عليه بعض الوثنيين الذين اضطهدهم، وقتلوه وأحرقوا جسده وألقوه في البحر.

عودته ثم ترك كرسيه للمرة الرابعة الي طيبة بسبب يوليانس:

+ لم تستمر هذه الحال طويلاً، فقد مات الامبراطور قسطنديوس عضد الأريوسيين، وقام بعده ابن عمه الامبراطور يوليانس، الذي كان يكرهه لأنه أهلك كثيرين من العائلة المالكة. وكان يوليانس يريد من ناحية أخري أن يجتذب قلوب الشعب، فأفرج عن المنفيين ومن بينهم البابا أثناسيوس.

+ فأخذ البابا كعادته في اصلاح ما أفسدته الأيام. فعقد مجمعاً سنة ٣٦٢م من الأساقفة، ووضع شروط قبول الأريوسيين الراجعيين، كما أهتم بالتبشير وسط الوثنيين. فعمَّد كثيرين منهم، إلا أن هذا لم يلق قبولاً لدي القيصر يوليانس، لأنه كان يميل إلي الوثنيين. فأرسل لوالي الاسكندرية يقول «كان يتحتم عليك أن تخبرني علي تصرفاتك مع أثناسيوس عدو الآلهة وكاره الأوثان. إنني أُقسم بالاله سيرابيس إن لم يبرح أثناسيوس الاسكندرية، فأني أُغرَّم جميع موظفي حكومتك مائة رطل ذهباً، قصاصاً لهم. واعلم أنني بطيء العقاب، ولكنني بطيء العفو والصفح».

+ فلما بلغ هذا البابا أثناسيوس، خرج من الاسكندرية وركب مركباً في النيل، حيث تبعه الوالي بمركب أخري للقبض عليه، فقال له من حوله هوذا مركب الوالي تسير وراءنا، فأمر أن تدار مركبه لناحية الاسكندرية. فقابلتهم من بعيد في عرض النيل مركب الوالي، وسألهم من فيها: ألم تقابلكم مركب أثناسيوس؟ فقالوا له: «إنه كان ذاهباً إلي طيبة وهو ليس ببعيد عنكم» فأسرع الوالي بمركبه في طريقه، ولما وصل إلي أقرب مدينة لم يعثر علي أثناسيوس، وكان البابا في هذه الأثناء قد أختفي في جهة ما.

+ وقد تأثر من حوله لكثرة الاضطهادات، التي وقعت عليه، فأظهر لهم أنه في وقت الاضطهاد يشعر بسلام داخلي وبازدياد شموله بنعمة الله أكثر من الوقت العادي.

+ ثم زاد علي ذلك قوله: «إن اضطهاد يوليانس كسحابة صيف سوف تنقشع». وبينما هم في هذه الأحاديث واذا بالخبر يأتيهم أن يوليانس قد قُتِل، فأنقشعت بموته غيوم الاضطهاد.

عودته وانفراده في مقبرة والده بسبب فالنز:

+ وبعد قتل يوليانس تولي يوبيانس الملك، وأطلق حرية الأديان، وقرر إلغاء الأمر الصادر ضد البابا أثناسيوس. وبعث اليه رسالة يمتدح ثباته وشهامته، ثم طلب اليه أن يوضح له العقيدة الارثوذكسية، وقرارات مجمع نيقيا. فأرسل اليه البابا رسالة بذلك، ثم ذهب اليه ليشكر غيرته.

+ ولكن بعد قليل مات يوبيانس وتولي فالنز الأريوسي الذي اضطهد الأرثوذكس، كما ذُكِر ذلك في باب الملكة المسيحية.

+ وفي سنة ٣٦٧م أصدر قراراً بنفي البابا، فاضطر أن يهجر الاسكندرية ويختفي في مقبرة والده، ويبقي بها أربعة أشهر، لقت الكنيسة أثناءها الأمرّين إذ قتل الملك ثلاثين أسقفاً من المخلصين لأثناسيوس، وشحن السجون بالأقباط، واغتصب أملاكهم، ولكنه

بعد ذلك خشي حدوث ثورة من الأرثوذكس، لما رأي صلابتهم، وعدم خضوعهم لأمره بالصلاة في كنائس الأريوسيين (كما حدث في الرها)، فقرر رفع الاضطهاد عنهم، وإعادة أثناسيوس إلي كرسيه سنة ٣٦٨م.

+ ومع أن اثناسيوس كان قد بلغ الثانية والسبعين من عمره، فلم تكن شيخوخته مع كثرة الاضطهادات لتُقعِدُه عن واجباته، فقام بترميم كنيسة سيزاريون، التي أحرقها الوثنيون بالاسكندرية، ووضع أساساً لكنيسة أخري دُعيت باسمه، ووضع كتابين في تفنيد بدعة أبوليناريوس اللاذقي، وعمل علي قطع دابر البدع المختلفة في الشرق والغرب ومقاومة مبتدعيها، الي أن فارق الحياة سنة ٣٧٣م.

+ وقد قال عنه القديس غريغوريوس: «إن من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها».

+ ونظراً لما أظهره أثناسيوس من ثبات أمام الاضطهادات التي لاقاها في حياته، جري عليه المَثَل الافرنجي «Athanasius Contra Mondum» أي أثناسيوس ضد العالم.

آثاره:

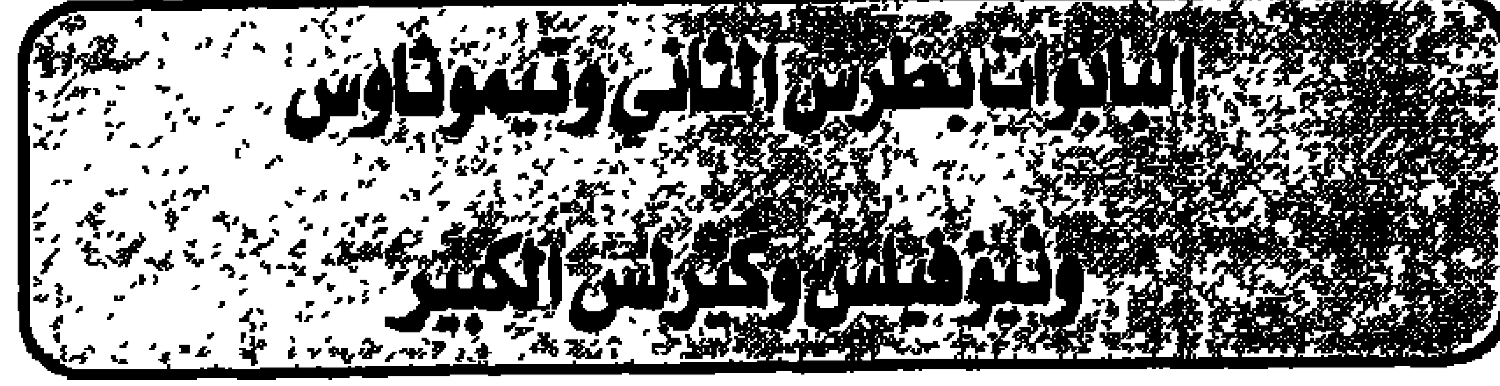
+ وللبابا أثناسيوس نوادر ومحاسن ورسائل وكتب عدة في دحض البدعة الأريوسية، وفي التجسد وفي قوانين مجمع نيقيا وفي جدول الأسفار الإلهية ورسائل في المزامير... الخ.

+ انظر بيان هذه المولفات في كتاب تاريخ الكنيسة عن الإنجليزية طبع أورشليم سنة ١٨٩٢ م (ص ٢٣٣) ونوادره ومحاسن أعماله في كتاب تاريخ الكنيسة القبطية للقمص منسي (ص ١٧٦ – ١٧٩) ومختصر تاريخ الأمة القبطية لسليم سليمان ص ٤٦٧.

+ وقد أمتدح الأنبا قزمان هذه المولفات بقوله «من يجد شيئاً منها فليكتبه حالاً علي قرطاس ومن لم يجد فليدوّنه علي ثيابه»



الفصل الثالث



البابا بطرس الثاني (٣٧٣ - ٣٧٩م):

+ كان تلميذاً للبابا أثناسيوس، واكتسب منه الخبرة في محاربة الأريوسيين، فأرسله الي سوريا ليساعد القديس باسيليوس في الكفاح ضدهم.

+ ثم خلف أستاذه علي كرسي البابوية، فاستمر في محاربة الأريوسيين. فهاج سخصهم عليه وطلبوا من القيصر فالنز عزله، علي اعتبار أنه لا يصلح للكرسي، وتعيين لوسيوس الأسقف الأريوسي بدله، فأرسل القيصر ليلاً «ديوس» الوالي لتنفيذ ذلك، واستولي لوسيوس علي الكرسي بقوة الجند، ولكن الشعب الارثوذكسي فضل الصلاة في المنازل علي الصلاة معه.

+ أما البابا بطرس، فلما رأي أن وجوده لا يُجدِي نفعاً أمام القوة، ذهب إلي رومه، فقابله أسقفها داماسوس بالاحترام، وكانت هناك بدع أبوليناريوس وسابيليوس ومكدونيوس منتشرة انتشاراً ذريعاً، مما حفز البابا لعقد مجمع سنة ٣٧٢م، للنظر في إرشاد الخارجين علي الكنيسة. وقد نجح بواسع علمه وتقواه في الوصول إلي تحقيق غرضه المقدس.

+ ولما قُتِل فالنز، وخلفه الامبراطور ثيؤدوسيوس معضد الاثوذكسيين رأي البابا أن سند لوسيوس الاسقف قد انهار، فعاد إلي كرسيه، الذي هرب منه لوسيوس بسرعة البرق.

+ وقد استدعي الامبراطور البابا بطرس ليُصلح أحوال كرسي القسطنطينية، فذهب إلي هناك، وقام برعاية هذا الكرسي، إلي أن أتفق مع الامبراطور علي أختيار غريغوريوس النزينزي أسقفاً عليها.

البابا تيموثاوس (٣٧٩ - ٣٨٥):

+ خلف البابا بطرس الثاني علي الكرسي البابوي، وكان يُلّقب بالفقير، لأنه وزع كل ما

يملك علي الفقراء، والتحق بالاكليريكية، ثم تتلمذ علي يد البابا أثناسيوس وشاطره كثيراً من أتعابه.

+ وقد ظهرت نجابته وسرعة خاطره في دفاعه عن أستاذه، لما تقدمت إحدي البغايا إلي مجمع صور تتهمه بالزنا بتحريض الأريوسيين، فتحقق كذب ادعائها.

+ وفي عهده أنعقد المجمع المسكوني الثاني وكان البابا أشهر الحاضرين فيه، ولما نظر المجمع في الشئون الادارية، ووضع الكرسي الاسكندري في المرتبة الثالثة بعد القسطنطينية وروما، انسحب ومن معه من أساقفة مصر من المجمع.

+ وقد شغل البابا نفسه في كتابة تواريخ (سير) القديسين، ووضع قوانين للكهنة، ثم رقد في الرب سنة ٣٨٥م.

البابا ثيؤفيلس (٣٨٥-٤١٢م):

+ وُلد بمدينة منف، من والدين مسيحيين، إلا أنه لم يهنأ بهما، إذ فقدهما هو وأخته وهما طفلان، فاعتنت بهما خادمتهما الحبشية، وأعتادت أن تأخذهما إلي الكنيسة لسماع تعاليم القديس أثناسيوس، وتختار مكاناً قريباً من المنبر.

+ فسألها البابا في أحد الأيام عن قصة هذين الطفلين، فأخبرته عنهما فكلف من يعتني بهما، ولما كبرا وضع الفتاة في دير(١) أما ثيؤفيلس فأهتم البابا بتربيته، ثم اتخذه سكرتيراً خاصاً له، وبعد قليل رسمه قساً، فاستمر يخدم في كنائس الاسكندرية إلي أن أنتقل البابا تيموثاوس. فأقيم خلفاً له علي الكرسي.

+ وقد وافق ارتقاؤه عصر الامبراطور ثيؤدوسيوس الكبير، الذي أصدر مرسوماً باعتبار المسيحية ديانة الدولة الرسمية، وأمر بهدم المعابد الوثنية، فسنحت الفرصة أمام البابا لتحويلها إلي كنائس مسيحية، بعد أخذ موافقة الامبراطور.

+ وقد عاب عليه البعض هذا التصرّف، بزعم أنه يتنافي وحرية الأديان، ولكن الحقيقة أن أندفاع الوثنيين بكثرة، إلي اعتناق المسيحية جعل معابدهم الوثنية خالية من العابدين، فأصبحت مأوي للصوص، فللبابا عذرّه في تعمير هذه المعابد بتحويلها إلي كنائس.

(١) بقيت فيه إلي أن تزوجها أحد مسيحيّي المحلة الكبري حيث ولدت كيرلس الذي خلف خاله ثيؤفيلس.

+ وقيل إنه لما كان سكرتيراً للبابا أثاسيوس، أطل البابا يوماً من نافذة قصره علي مكان تعلوه الأكوام والأطلال، فتمني إزالتها ليبني مكانها كنيسة، ولكن المنية عاجلته.

+ وفي عهد البابا ثيؤفيلس، تصادف أن أتت أرملة لتجمع حطباً من فوق هذه الأكوام، فعثرت علي كنز مغطي بحجر منقوش عليه ثلاثة حروف «Θ» ثيتا. فأخبرت البابا بذلك، فقام لوقته وكشف الغطاء. ثم فتح باباً أوصله إلي هذا الكنز، الذي يرجع تاريخه إلي عهد الأسكندر الأكبر، واستنتج البابا أن هذه الحروف الثلاثة يشير أحداها إلي اسم الله (Theos) والثاني إلي اسم الامبراطور (Theodosius) والثالث إلي اسمه هو (Theophilos) أي أنه بموجب هذا الكنز، وفي عهد الامبراطور «ثيؤدوسيوس» والبابا «ثؤفيلس» ستبني كنائس لله، ولذلك استعان البابا بهذا الكنز علي بناء كثير منها.

ومن المعابد الوثنية التي تحولت الي كنائس ما يأتي:-

١) معبد ديوناسيوس:

+ وهو خاص بباخوس إله الخمر. هُدّم سنة ٣٨٩م، وسميت الكنيسة التي بُنيت علي أنقاضه بكنيسة الامبراطور ثيؤدوسيوس.

٢) معبد السرابيوم:

+ كان أعظم معبد للوثنيين بالاسكندرية يعلو بناؤه علي الأرض، نحو مائة درجة، ويمتد ذراعاً تمثاله الي عرض المعبد.وعندما جاء البابا بأمر الملك لهدمه، أشاع الوثنيون انه اذا انهدم هذا المعبد انهار معه العالم. فخاف الجند، ولكن تقدم أحدهم وكسر فك التمثال، فخرج منه سرب من الفئران.فضحك الحاضرون. ثم أتي الباقون عليه وهدموه.

+ وأقام البابا كنيستين، إحداهما علي مكان معبد إيزيس باسم هونوريوس ابن الامبراطور، والاخري علي أطلال معبد سيرابيس، باسم أركاديوس أبنه الآخر.

+ وقد شيد البابا أيضاً كنائس علي إسم العذراء، والملاك رافائيل بالاسكندرية. كما اهتم بتشييد عدة أديرة، اشهرها دير السيدة العذراء المعروف "بالمُحرّق."

بين البابا والرهبان:

+ ومع أن البابا أهتم هذا الاهتمام بالأديرة، إلا أن ظروفاً أوجدت خلافاً بينه وبين الرهبان، لأن بعض رهبان الأسقيط، انحازوا الي بدعة إفوديوس[1] الذي اعتبر أن الله له صورة بشرية وأعضاء لحمية. وفي أحد أعياد الفصح، أصدر البابا منشوراً ذكر فيه «أن الله روح لا يدركه الفهم وليس هو مجرد أنسان يقع تحت الحد والحصر».

+ فهاج الرهبان ضد البابا وتجمهروا عليه، وأرادوا الفتك به، إلا أنه قابلهم بالحُسنىَ وقال لهم: «إنني أذ رأيت وجوهكم شعرت كأني أشاهد الله لأنكم علي صورته ومثاله». فهدأت ثورتهم واعتبروا البابا يشايعهم.

+ ثم حدث شقاق بين رهبان الأسقيط ورهبان نتريا، لأن الأولين كانوا يعتبرون مؤلفات أوريجانُس أساساً لكل هرطقة، والآخرين كانوا يؤيدونها، ولنزاع بين البابا وبين رهبان نتريا نصر رهبان الاسقيط عليهم، فثاروا ضده، فاضطر البابا الي إيقاع الحرم عليهم وطردهم الي أورشليم، حيث قبلتهم كنيستها، ثم إلي القسطنطينية، حيث قبلهم يوحنا فم الذهب.

بين البابا ويوحنا ذهبي الفم:

+ إلا أن هذا التصرف من يوحنا جعل الصلة بينه وبين البابا متوترة، فأنتهزت الملكة افدوكسيا هذه الفرصة لتقتص من عدوها يوحنا ذهبي الفم وحرضت البابا ثيؤفيلس علي حرْمه. فذهب البابا الي القسطنطينية سنة ٤٠٣م، واجتمع بفريق من الأساقفة في باسنديانه (بقرب خلكيدون)، وقرروا حرم فم الذهب!!

+ وقد شعر البابا بعد عودته الي الاسكندرية بخطأ تصرُّفه هذا، وأظهر حُزنه علي نفس هذا القديس!!

+ ووضع هذا البابا قوانين للكنيسة، أحدها خاص بكيفية اختيار وإقامة الأكليروس، ويعطى للشعب حق انتخابهم، وللإكليروس حق اختيارهم وللأسقف حق اختبارهم ورسامتهم. وتنيح البابا بسلام سنة ٤١٢م.

---

(١) أصله من بين النهرين وعاش في القرن الثالث.

البابا كيرلس الرابع والعشرون (٤١٢ - ٤٤٤م):

نشأته:

+ هو إبن أخت البابا ثيؤفيلس، والذى أهتم بتربيته وهو صغير، وأدخله الأكليريكية.فنبغ فيها وانكب بالأخص - على دراسة الفلسفة. ثم رأى خاله بعد إتمام ثقافته أن يرسله إلى وادى الأسقيط ليمارس مبادئ النسك والرهبنة، فإستمر هناك نحو خمس سنوات تلميذاً للقديس «سيرابيون». ومن فرط قساوته على نفسه فى ممارسة الصلوات كان يسلط على جانبيه سيفاً من حديد، ليوقظه إذا ما أخذته سِنّة من النوم.

+ ثم استدعاه خاله ورسمه شماساً، وعينه واعظاً للكنيسة الكاتدرائية بالأسكندرية: فكان الناس يتهافتون على سماع عظاته، التى تفيض علماً وحكمة.

+ ولهذا أُختير بعد نياحة خاله خلفاً له على الكرسى المرقسي الأسكندرى.

ثورة اليهود على المسيحيين فى عهده:

+ وقد واجه البابا فى بدء عهده صراعاً بين اليهود والمسيحيين. وسبب ذلك أن الأولين لما رأوا امتداد المسيحية، سعوا لدى الولاة بالرشوة لمساعدتهم ضد المسيحيين.

+ ثم دبروا مكيدة، بأن أشاعوا ذات ليلة أن كنيسة القديس اسكندر قد إلتهمتها النيران، فإندفع المسيحيون كالنهر الجارف من الأزقة والشوارع لإطفائها، فأعمل اليهود فيهم السيف. وقتلوا الكثيرين منهم.

+ شعر المسيحيون بتدبير هذه المكيدة ضدهم من اليهود. فذهبوا إلى البابا فى حالة هياج شديد يريدون السماح لهم بالإنتقام منهم. فسمح لهم بإخراجهم فقط من الأسكندرية، دون أن يمسوا أحدهم بأذى. فأخرجوهم واستولوا على معابدهم.

+ وكانت هذه الثورة سبباً فى غضب الوالى (لاورستا). ولكن البابا أظهر له: أن ما عمله المسيحيون كان قليلاً بالنسبة إلى ماعمله اليهود معهم. فهدأ غضب الوالى، وأهداه البابا كتاباً مقدساً.

كفاحه مع الخارجين على الكنيسة:

١- فنَّد آراء الملك يوليانس الجاحد، الذى وضع عشرة فصول ضد المسيحية، واتخذها الوثنيون مفخرة لهم، ظانين أنها هادمة لأركان الدين المسيحى، فأظهر البابا ما بها من آراء فاسدة. ولهذا أصدر الإمبراطور ثيؤدوسيوس أمراً بإحراقها.

٢- كافح أتباع نوفَّاتيانوس الرومانى، الذن كانوا يعتقدون أن الله يرفض قبول توبة جاحدى الإيمان، فرد عليهم مُظهراً أن هذا المعتقد ينَسِب لله تعالى عدم الرحمة. ثم طاردهم حتى هرب أسقفهم ثيؤبمتُس من البلاد.

٣- قاوم بدعة نسطور أسقف القسطنطينية، الذى اعتقد بالفصل بين طبيعتى السيد المسيح اللاهوتية والناسوتية، وبعدم جواز تسمية العذاء بوالدة الإله، فرد عليه البابا سنة ٤٢٩م برسالة جاء فيها: «أنى لأتعجَّب ممن يشك في وجوب تلقيب مريم العذراء **بوالدة الإله**، لأنه إن كان المسيح إلهاً فيكف إذن لا تكــون والدته أماً لله:. هذا هو الإيمان الذى علمنا أيــاه الرسل والآبـــاء. إنما لا يُفهم من ذلك أن طبيعة الكلمة (اللاهوت)، أخذ بدايته من مـــريم العذراء، بل أن فيها قد تصوَّر وأخذ نفساً ناطقة. وبه اتحد الكلمة اتحاداً اقنومياً. ومن ثم يقال أن الكلـــمة قد ولد حسب الجسد. وهكذا فى نظام الطبيعة: الأمهات لا يشتركن البتَّة فـى خلقة النفس، ومع ذلك لا يمتنع القول بإنهن أمهات الإنسان كله، وليس أمهات الجسد فقط».

+، فكان البابا بذلك أول الأساقفة المسيحيين، فى اظهار ضلال نسطور، حيث أن كلستينوس، أسقف رومه، أرسل ليستوضحه الموضوع. فأظهر له الفرق بين العقيدة الصحيحة وعقيدة نسطور الزائفة، كما فصَّل العقيدة الأرثوذكسية فى إثنى عشر بنداً، وختم كل بند منها بإيقاع الحرم على كل من يخالفه.

+ وكان من وراء اشتداد هذا النزاع، أن تقرر عقد المجمع المسكونى الثالث ودافع فيه البابا عن العقيدة الأرثوذكسية. وكان من نتيجة ذلك أن قرر المجمع وضع مقدمة قانون الإيمان، التى بدأت بالقول «نعظمكِ يا أم النور الحقيقى ... إلخ».

+ وقد كافح البابا النساطرة بعد ذلك. وبقى صامداً لهم، إلى أن أتم جهاده سنة ٤٤٤م.

+ وتــرك مؤلفات أشهرها تفسير الأسفار الخمسة وأسفار الأنبياء وإنجيل لوقا ومؤلفه ضد يوليانس ورسائل فى الثالوث وفى التجسد وفى العبادة الروحية[١]. كما وضع قداساً مازال للآن بإسمه، كان أساسه قداس مارمرقس الرسول.

---

(١) أنظر منسي، تاريخ الكنيسة (طبعة المحبة) ص ٢٩٥، وكتاب الخريدة (نشر المحبة، ومن إعدادنا).

الباب الخامس

المجـــامع المســـكونية

مقدمة عامة:

+ أخذ الرسل بمبدأ حل المسائل المختلف عليها بواسطة مجامع، تضم رجال الدين، فعندما وقع الخلاف بينهم على شروط قبول الداخلين من الأمم، أنعقد مجمع من الرسل والقسوس فى أورشليم سنة ٥٣م لحل هذا الإشكال، كما هو واضح مما ورد عنه من قرارات فى سفر أعمال الرسل (١٥).

+ وقد سارت الكنيسة على هذا المبدأ، خصوصاً وأن نظامها (قوانين الرسل والدسقولية) يقتضى ألا يكون سلطان لأسقف أحد الأقاليم، على أسقف إقليم أخر.

+ وفى حالة حدوث خلاف بين الأساقفة، على أمر من أمور الكنيسة، كان لابُد من انعقاد مجمع (محلي) من الأساقفة للفصل فى هذا الخلاف.

+ وعلى هذا الأساس انعقد مجمع أساقفة فى أنطاكية فى القرن الثالث، للنظر فى آراء وتصرفات أسقفها المنحرف بولس السميساطى، وقرر هذا المجمع إيقاع الحرم عليه. وطرده من كرسيه.

+ إلا أن كل المجامع التى سبقت الملكة المسيحية، لم تعتبر اصطلاحاً (Ecumenical Councils) بمجامع مسكونية، بل أعتُبرت مجامع مكانية. **أما المجامع المسكونية اصطلاحاً فيشترط فيها ما يأتى:-**

١- أن تنعقد بسبب بدعة أو شقاق ديني.

٢- أن تنعقد بدعوة الإمبراطور المسيحى.

٣- أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة لتتمثل فيها المسكونة (البطريركيات).

٤- أن تقرر شيئاً جديداً لم يكن مقرراً من قبل (علي ضوء الكتاب وقوانين الكنيسة).

+ ويظهر من تاريخ الكنيسة، أن المجامع التى تنطبق عليها هذه الشروط **ثلاثة فقط.** ونَفَذت قراراتها على جميع الكنائس المسيحية.

+ وقد ورد ذكر هذه المجامع فى كتاب القداس (الخولاجى) في تحلِّيل الخُدَّام، الذى يُتلى قبل قراءة الرسائل، وفى مجمع الآباء القديسين، الذى يُتلى أثناء القدَّاس. إذ نص فيه على عدد الأعضاء وإسم البلدة التى انعقد فيها كل مجمع بقوله: (٣١٨ المجتمعين بنيقيا، ١٥٠ بالقسطنطينية، ٢٠٠ بأفسس)، حسب الرأي الأرثوذكسي.

✣ ✣ ✣

الفصل الأول



+ كان لابُد من انعقاد مجمع نيقيا، فى ذلك العصر المسيحى، لأن مشاكل دينية عديدة كانت تشغل فكر الأساقفة فى ذلك الحين، لبقائها بدون حل، من الأجيال السابقة.

أسباب انعقاده:

(أ) أسباب غير مباشرة:

١- مشكلة تحديد اليوم الذى يقع فيه عيد الفصح (القيامة).

٢- مشكلة إعادة معمودية الهراطقة، ومشكلة قبول العائدين منهم إلى الكنيسة.

٣- انشقاق ملاتيوس أسقف أسيوط، الذى عاصر دقلديانوس، وحاد عن الإيمان بالرغم من أن أربعة من زملائه الأساقفة أرسلوا له وهو فى السجن، ليُحضوُّه على الثبات فى الإيمان واحتمال الإضطهاد، فإنه خاف للأسف على حياته وبخرّ للأوثان!!

+ ومع أنه ندم ورجع إلى المسيحية، لكنه اتخذ وظيفة رئيسه البابا بطرس خاتم الشهداء، ورسم بنفسه نحو ثلاثين أسقفاً. مما دعا البابا بطرس أن يعقد مجمعاً، تقرر فيه حرّمه هو وأساقفته. فلم يُعر هذا الحرم إلتفاتاً، واستمر الشقاق بينه وبين عدة بابوات للأسكندرية.

(ب) السبب المباشر:

+ كل مامر، كان من الأمراض الدفينة فى جسم الكنيسة، والتى تحتاج إلى انعقاد

مجمع لعلاجها، إلا أن السبب المباشر الذى أدى إلى انعقاده، هو بدعة القس أريوس الليبي، الذى وُلد فى الخمس مدن الغربية، وتهذّب بالإكليريكية ثم اندفع إلى المناداة، بأن السيد المسيح مخلوق من الآب، وأنه أول الخليقة. ولهذا فقيمته أقل من الآب في نظره، حتى أنه لما علم أن البابا الأسكندر تحدث عن سلطان المسيح على قيامة الأموات، تحداه ووعظ عن الآية القائلة «أبى أعظم منى».

+ وقد رأينا فيما مضى، كيف طُرِد من مصر، وكيف استقبله أساقفة فلسطين وآسيا الصغرى، وكيف أغواهم بالترانيم على الإعتقاد بصحة بدعته، وكيف سعوا لدى البابا اسكندر لقبوله، فرفض إلى أن تدخل الإمبراطور قسطنطين وكلف أوسيوس أسقف قرطبة، للتوسط في التوفيق بين البابا وأريوس، ولم ينجح. وأخيراً اضطر الإمبراطور إلى عقد مجمع مسكونى من الأساقفة.

مكان وزمان الإجتماع:

+ أما المكان الذى أختاره الإمبراطور لإنعقاد المجمع فيه، فهو مدينة نيقيا، لأنها ليست بعيدة عن القسطنطينية، حتى إذا ما احتاجوا إلى شئ منها حصلوا عليه، وبعيدة من الناحية الأخرى عن ضوضائها، كما كانت من الأماكن، التى اختارها الإمبراطور، ليتمتع فيها بقسط من الراحة من عناء الأعمال. ولهذا جهز فيها قصراً فاخراً، توفرت فيه كل وسائل الراحة.

+ وخص الملك ساحته الكُبرى للإجتماع، حيث صُفّت فيها المقاعد للأساقفة، وخُصص للملك مقعد مذّهب. وتحدد لإنعقاد المجمع أحد الأيام من شهر مايو سنة ٣٢٥م (وقيل أحد أيام شهر يونيه من ذات السنة).

افتتاح الجلسة الأولى وأشهر الحاضرين:

+ لما أُعلن الأساقفة بهذا الميعاد، تقاطرت جموعهم إلى نيقيا، وقد بلغ عددهم ٣١٨ أسقفاً. وقيل إن عدد الشرقيين، كان منهم ٣١٠ أسقفاً، وعدد الغربيين ثمانية فقط. ويرجع هذا إلى قلة الأساقفة، وضعف المسيحية فى الغرب فى ذلك الوقت.

+ وكان من الغربيين أساقفة إيطاليا وأسبانيا والغال وبريطانيا ... إلخ. وأوسيوس

أسقف قرطبة، الذى أُسندت إليه الرئاسة لتقدُّمه فى السن، أما سلفستروس أسقف رومة، فلم يحضر لكَبر سنّه، وأرسل بدله القسيسين ويتن وويكندس.

+ أما الأساقفة الشرقيون، فكان أشهرهم اسكندر بابا الأسكندرية (ولم يلقب فى ذلك الوقت بهذا القب «بابا» سواه) ومعه شماسه أثناسيوس، ويفنوتيوس أسقف طيبة (الذى قُلعت عينه اليمنى، وكويت حواجبه بالحديد المُحمَّي بالنار، وقُطِعَت يده اليسرى فى عهد دقلديانوس) وغيرهما.

+ وحضر عن أورشليم أسقفها مكاريوس، وعن أنطاكية أسقفها أسطاسيوس، وعن قيصرية فلسطين أسقفها أوسابيوس المؤرخ، وعن قيصرية الكبادوكية أسقفها بولس.

+ ولأن أسقف القسطنطينية كان مريضاً، أرسل بدله القس اسكندر.

+ وحضر مع أريوس أوسابيوس أسقف نيكوميديا وثاؤغنس أسقف نيقيا.

+ وحضر أيضاً الملك قسطنطين، ومعه بعض حاشيته. واتخذ له مكاناً فى آخر القاعة، فأشار عليه الأساقفة أن يجلس فى الموضع الذى خُصص له فى صدر القاعة. غير أنه أظهر لهم أن حضوره وسطهم كمستضيف، يؤدى واجب الضيافة فقط. ثم قال: «إن الحُكم فى قضايا الإيمان، لا يختص بسُلطة الملك، إنما خصّه السيد المسيح بالأساقفة فقط».

+ ثم وقف أوسابيوس القيصرى سكرتير المجمع، وألقى خطاباً إفتتاحياً ورد فيه: «أيها الملك العزيز .. الشكر لله العلى، الذى أعطاك المُلْك الأرضى. وأنارك بنور الديانة المسيحية، حتى هدمت أماكن الأصنام .. وشيدت الهياكل المسيحية الشريفة لعبادة الإله الحقيقى».. ثم دعا للملك. وأخيراً قال: «بما أنك علمت بالقلاقل التى آثارها أريوس. نتوسل إليك أن تأمره، أن يتقدَّم بعرض هذا التعليم الغريب .. ونحن نفاوضه. وحينئذ يتبيَّن الحق من الباطل».

+ فرد عليه الإمبراطور باللاتينية قائلاً: «أيها الآباء الموقرون. إننى أشكر الله لمشاهدتى لحفلكم البهى هذا، وإننى أُسَر أعظم السرور لأننى استحقيت، أن أجمع عدداً وافراً من رؤساء كهنة المسيح، للبحث فى تعليمه القويم، وأنتم كلكم تعلمون أننى بنعمة الله، تركت دين آبائى وأجدادى، واعتنقت الديانة المسيحية، لأنى رأيت بعينى فى رابعة

النهار علامة الصليب الكريم، مكتوباً عليها أنك «**بهذا تغلب**» وبمعونة سيدى .. غلبت أعدائى .. وقد شاء الله أن يكف الإضطهاد عن المسيحيين بواسطتى. إلا أن إبليس عدو البشرية، لما رآنى مغتبطاً .. أثار بلبلة فى كنيسة المسيح ليُكدّرنى. فلذا أطلب إليكم، أن تبذلوا الجهد لإقناع الخصم بالبراهين الواضحة، وأحثكم أن تحافظوا على الوئام والمحبة. وإن كنت بينكم لا أتصدّى لأحدٍ منكم على الإطلاق، لكنى أترككم لتبُينُّوا آراءكم، بملء الحرية وتمام الإختيار».

+ ومن دليل دعة الملك، أنه رأى أسقفاً يدعى أكاكيوس، من أتباع بدعة نوفاتيانُس، يجلس على إنفراد، فسأله عن السبب. فأجابه الأسقف أنه لا يرضى الجلوس مع مخالفى عقيدته (وهو يعتقد أن الله يرفض توبة جاحدى الإيمان) فقال له الملك: «أُنصب سلّماً ياأكاكيوس واصعد وحدك إلى السماء»!!

+ ولما قُدمت إليه عرائض هجاء فى حق بعض الأساقفة، أحرقها أمام المجمع قبل أن تُتلى. وقال: «لو نظرت بعينى أحد رجال الكهنوت فى عثرة، لسترّته بإرجوانيتى». يقصد بهذا أن لا يتسع الأمر،فيكون إظهار خطأ رجل الدين، سبب عثرة عظيمة لغيره.

جلسات المجمع:

+ بدأ المجمع بالنظر في موضوع **بدعة أريوس**. وكانت قد حدثت مناقشات عدة قبل انعقاد الجلسة بين أريوس والشماس أثناسيوس الأسكندرى. فإنتصر الثانى على الأول بأدلته الدامغة(١).

+ ولما انعقد المجمع كَثُرَ الجدل والغضب، وانفضت الجلسة الأولى بلا نتيجة.

+ وفى اليوم التالى، قدم أريوس صورة عقيدته، وتضمنت: أن الإبن ليس مساوياً للآب في الأزلية، وليس من جوهره. وأن الآب كان فى الأصل وحيداً، فأخرج الإبن من العدم بإرادته. وأن الإبن إله لحصوله على لاهوت مكتسب!!

+ فهاج الأساقفة عندما سمعوا هذا، وكذلك عندما سمعوا بعضاً من أناشيده، التى كان يُعلّمها للشعب. وزاد سخطهم بإنقضاض البعض منهم على الأوراق، التى

---

(١) اسيذيروس، جـ١، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٢.

كانت تحتوى هذه الترانيم الهرطوقية (Thalia) وتمزيقها، مما جعل حزب أريوس يثور أيضاً. واضطر الملك أن يدعو الجميع إلى الهدوء.

+ ثم سأل المجمع الأريوسيين، إن كانوا يقبلون أن يُكتب فى العقيدة عن طبيعة الإبن أنه من الله ؟ فأجابوا بالموافقة، لأنهم يعتبرون أن السيد المسيح، وكافة البشر متساوون فى انتسابهم إلى الله، مستندين إلى الآية التي نصها «لنا إله واحد .. ونحن له»[1]. أو الآية التى نصها: «ولكن الكل من الله»[2]. وهذا لا يتعارض مع عقيدتهم.

+ وسُئِلوا أيضاً إن كانوا يعترفون، أن الإبن ليس مخلوقاً بل هو قوة الله كله وصورته، وأنه هو إله حقاً، فنظر بعضهم إلى بعض، ثم أجابوا بالموافقة، لأنهم يعتبرون أن السيد المسيح وكافة البشر لهم صورة الله – مُستندين إلى الآية التى نصها «أن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لأنه صورة الله»[3]. وهذا لا يتعارض مع عقيدتهم.

+ وعندئذ تدخل الشماس أثناسيوس، ليفضح مشورتهم، واقترح أن يطلق على العقيدة هذه العبارة (Homo - ousion) **أى مساوٍ فى الجوهر لله**، عن حقيقة صلة الإبن بالأب، بطريقة موجزة واضحة. فعارضه الأريسيون فى إضافتها، واقترحوا استبدالها بعبارة (Homoi - ousion) **أى مشابه فى الجوهر**، وترك للمجمع الفصل فى أى العبارتين أصح.

+ ثم أُخِذ رأى المجتمعين فى ذلك، فتقرر الموافقة على العبارة التى وضعها أثناسيوس.

+ وعلى آثر ذلك اقترحت غالبية الأعضاء، **وضع قانون الإيمان**. وتم وضعه فعلاً ابتداءً من عبارة «نؤمن بإله واحد» إلى عبارة «ونؤمن بالروح القدس» ووقع بالموافقة عليه حوالى ٣٠٠ أسقفاً، ورفض ذلك أريوس ومن شايعوه، وعددهم نحو ١٧ أسقفاً. فقرر المجمع إيقا ع الحرم عليهم، ونفى أريوس.

+ ولما شعر أوسابيوس أسقف نيكوميديا وثاؤغنس أسقف نيقيا، وهما ممن لم يوقعوا

---

(١) ١ كو ٦:٨

(٢) كو ١١:٣

(٣) ١كو ٧:١١

على القرارات أن الكنيسة شرعت فى تعيين غيرهما، أقَّرا بخطآهما فأُعيدا إلى مركزيهما.

+ أما أريوس فنُفى إلى الاليريكون (بجوار بحر الأدرياتيك).

قرارات المجمع:

ثم اتخذ المجمع قرارات أخرى فى المواضيع الآتية:-

١- فى تحديد يوم عيد القيامة تقرر:

+ أن يكون فى الأحد التالى للبدر، الذى يكون فيه عيد الفصح عند اليهود، حتى لا يكون عيد القيامة سابقاً لفصحهم، إذ لا يصح أن يسبق المرموز إليه (عيد القيامة) الرمز (فصح اليهود). فضلاً عن أن السيد المسيح قام بفروض الفصح اليهودى – مع تلاميذه – قبل أن يُقدّم نفسه للصلب.

+ وتقرر أن تقوم بابوية الأسكندرية، بإعلان باقى الإسقفيات، بميعاد العيد – فى كل سنة – لأن هذه المدينة كانت مركزاً للعلوم الفلكية.

٢- وفي معمودية الهراطقة وأتباعهم :

+ قرر المجمع عدم صحة معمودية من يُعمدّهم الهراطقة، لأنهم لا يعترفون فيها بإسم الثالوث الأقدس. فينبغى إعادة تعميدهم. أما من كان معمداً بالكنيسة المسيحية ثم هرطق، فلا تعاد معموديته عند رجوعه.

٣- وفى الشقاق الذى سبّبه ملاتيوس الأسيوطى:

+ قرر المجمع حفظ الحقوق والواجبات التى لبابا الأسكندرية على مرؤوسيه، وحفظ هذه الحقوق أيضاً لأساقفة رومة وأورشليم وأنطاكية (ذلك كما توضح بالقوانين أرقام ٥، ٦، ٧، من قوانين المجمع).

+ ثم أرسل المجمع للمصريين رسالة ورد فيها «إننا إذا راجعنا الحقيقة نجد أن ملاتيوس لا يستحق إكراماً أو صفحاً ... إلا أن الشفقة والحنان يحتمان علينا، أن نعامله بالرأفة. ولذلك أذن له المجمع بالإقامة فى بلدته (مسقط رأسه) وأمره ألا

يُمارِس أية وظيفة كهنوتية. وتبقى له صفته الشخصية فقط .. أما الذين عينّهم هو فى وظائف، وثبتوا فيها بواسطة رسامة قانونية فيجب قبولهم فى عضوية الكنيسة بالشروط الآتية وهى: أن تبقى لهم وظائفهم، ولكنهم يعتبرون، أقل درجة من الآخرين، الذين عينهم رئيسنا المحترم البابا اسكندر. وعليه فإذا سُنّ قانون آخر غير هذا أو إذاحدثت رسامة كاهن ليست قانونية، فيكون لغبطة الحبر المفضل، حق التدخل فى الأمر. وأن يفحصه فحصاً دقيقاً، ويبت فيه بحكمة، لأنه ليس بصاحب صوت فقط فى الذى يحدث، ولكن له الرئاسة العليا والسلطة التامة فى تنفيذ أى عمل يريده».

٤- وقد اقترح البعض بأن يكون جميع الأكليروس من البتوليين، فعارض القديس بفنوتيوس أسقف طيبة هذا الإقتراح وكان بتولاً. وقال: «لا يجب أن يُثَّقل على ذوى الكهنوت، خشية حدوث ضرر للبيعة عوض النفع». فتأثر الجميع برأيه، واكتفى المجمع بما كان يجرى، وهو عدم إعادة زواج الكهنة المترملين، ليكون كل منهم كما قال بولس الرسول: «بعل (زوج) إمرأة واحدة»(١).

قوانينه العشرون:

+ وقد سن هذا المجمع عشرين قانوناً، ولكن الكاثوليك أضافوا عليها قوانين أخرى حتى بلغ عددها ٨٤. ولإثبات صحة العدد الأول مبحث خاص رقم ٢ بملحق هذا الكتاب.

+ وبعد أن أنتهى مجمع نيقيا من جلساته وقراراته، أولم الملك قسطنطين لأعضائه وليمة فاخرة فى ٢٤ يولية سنة ٣٢٥م.

+ وقد وصف أوسابيوس المؤرخ هذا الإجتماع بقوله «إن اجتماع آباء الكنيسة فى سلام وصفاء، بهذه المأدبة الفخمة، كان يشبه صورة ملكوت المسيح، وقد تجلّى هذا المنظر أمامى كحلُم، أكثر مما هو حقيقى».

+ ثم ألقى الملك خطاب الوداع، وزودّهم بأوامر للولاة تتضمن توزيع الغلال على الكنائس، بما يكفى مؤونة إكليروسها وفقرائها وأراملها.

✣ ✣ ✣

(١) «تي ١:٦».

الفصل الثانى

المجمع المسكونى الثانى

مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م

+ بعد أن أنتهى المجمع الأول من وضع حد لهرطقة أريوس وإزالة الشقاق الذى حل بالكنيسة بسببه، ظهرت عدة بدع استدعت انعقاد المجمع المسكوني الثانى.

أسباب انعقاده:

١- **بدعة مكدونيوس** الذى كان أريوسى المذهب، وأقامه الأريوسيون أسقفاً على القسطنطينية سنة ٣٤٢م وفى سنة ٣٦٠ عُزّل: لأنه جاء ببدعة جديدة، وهى انكار لاهوت الروح القدس.

٢- **بدعة أوسابيوس مُجدّدِ بدعة سابليوس**(١) فى انكار وجود الأقانيم الثلاثة.

٣- **بدعة أبوليناريوس** الذى درس الفلسفة الأفلاطونية، ثم سيم أسقفاً على اللاذقية بالشام. وقد دفعته فلسفته إلى الإعتقاد بوجود نفسين للإنسان، إحداهما حيوانية والأخرى عاقلة. وكلاهما متحدتان بالجسد. وبنى على هذا الإعتقاد بدعة جديدة وهى: أن لاهوت السيد المسيح قام مقام الروح الجسدية فى احتمال الآلام والموت. واستنتج من ذلك أن الآلام والموت وقعا على جوهر اللاهوت. كما اعتقد بوجود تفاوت بين الأقانيم الثلاثة فالروح القُدس عظيم والإبن أعظم والآب الأعظم.

+ وقد عقد البابا أثناسيوس الرسولى مجمعاً مكانياً بالأسكندرية سنة ٣٦٢م رد فيه على بدعته، وأظهر فساد معتقداته. فلم يقتنع للأسف، وتمسك برأيه بصلف.

+ وكان قد نفث سموم بدعته فى كتاب حفظه عند احدى السيدات بأنطاكيا - فذهب إفرآم السُريانى واستعاره منها. ثم أعاده بعد أن لصق جميع صفحاته فأصبحت قطعة واحدة. ثم ذهب لأبوليناريوس ليجادله. ولما اشتدت بينهما المناقشة احتاج أبوليناريوس إلى كتابه فوجده بهذه الصورة. فتأثر أيما تأثر لضياع مجهوده الجبار.

---

(١) عقد البابا ديوناسيوس الأسكندرى سنة ٢٦١م مجمعاً محلياً بالاسكندرية قرر فيه حرم سابليوس لأجل بدعته.

+ وفى ذلك الوقت إدعًي قوم أن اللاهوت أثناء مروره بمريم العذراء ترك بها جزءاً منه، ولهذا يتحتم عبادتها : وكان من نتيجة ذلك أن ورد فى القرآن فى سورة المائدة : أن المسيح دعا القوم ليتخذوه وأمه إلهين من دون الله!!

زمان المجمع ومكانه وأشهر الحاضرين:

+ انعقد هذا المجمع فى عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير سنة ٣٨١م. واختار له مدينة القسطنطينية، وحضره ١٥٠ أسقفاً. من بينهم البابا تيموثاوس الأسكندرى، وكيرلس أسقف أورشليم، وميلاتيوس أسقف أنطاكية وغريغوريوس الثيؤلوغس أسقف القسطنطينية.

+ ولم يحضر داماسوس أسقف رومة هذا المجمع، كما أنه لم يرسل نواباً عنه، إلا أنه خضع للقوانين التى صدرت منه، على اعتبار أنه ضم أغلب أساقفة المسكونة، وسلطانهم مجتمعين أعظم من سلطان أى أسقف وحده.

جلساته:

+ جاء فى سنكسار أول أمشير - عما دار بين البابا تيموثاوس والمبتدعين فى هذا المجمع - مايأتى:-

+ سأل الأنبا تيموثاوس بابا الأسكندرية ورئيس المجمع مكدونيوس قائلاً: «ما هو اعتقادك؟» فأجاب بقوله : «أن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات» فقال له: القديس تيموثاوس: «أن الروح القدس هو روح الله. فإذا قلنا كزعمك أن روح الله مخلوق : فنكون قد قُلنا أن حياته مخلوقة. وإذا كانت حياته مخلوقة فهو إذاً عديم الحياة، وحاشا الله من ذلك. ثم نصحه أن يرجع عن سوء رأيه، فلم يرجع. فقطعه وأسقطه من رُتبته».

+ وسأل أوسابيوس قائلا: «وأنت ما هو اعتقادك؟» فأجابه: «أن للثالوث ذاتاً واحداً، وأقنوماً واحداً» فقال له الأب تيموثاوس: «إذا كان الثالوث ذاتاً واحداً كما زعمت، قد بُطل ذكر الثالوث وبطلت أيضاً معموديتك لأنها بإسم الآب والإبن والروح القدس. ويكون على زعمك

الثالوث تألم ومات. وبَطُل قول الإنجيل القائل: «إن الإبن كان قائماً فى الأردن، والروح القدس نازلاً عليه شبه حمامة، والآب يناديه من السماء» ثم نصحه بأن يرجع عن كفره، فلم يرجع. فقطعه وأنزله من رُتبته.

+ وسأل أبوليناريوس قائلاً: «وأنت ماهو اعتقادك؟» فأجابه بقوله: «إن تجسُّد الإبن كان بإتحاده مع الجسد البشرى وبدون النفس الناطقة، لأن لاهوته قام مقام النفس والعقل» فقال له الأنبا تيموثاوس: «إن الله الكلمة أنما اتحد بطبيعتنا لكى يُخلّصنا. فإن كان اتحاده بالجسد الحيوانى فقط، فهو إذن لم يخلص البشر بل الحيوانات، لأن البشر يقومون فى يوم البعث بالنفس الناطقة العاقلة، التى معها يكون الخطاب والحساب، وبها ينالون النعيم والعذاب. وعلى ذلك تكون قد بطلت منفعة التجسُّد. وإذا كان هكذا فيكف، يقول هو عز وجل عن ذاته : أنه إنسان إذا كان لم يتحد بالنفس الناطقة العاقلة؟» ثم نصَحه كثيراً ليرجع عن كفره فلم يرجع فقطعه».

قرارات المجمع:

+ وقد قرر هذا المجمع إضافة ما بقى من قانون الإيمان، **خاصاً بالروح القدس**، بعد عبارة «نؤمن بالروح القدس» فأضاف «الرب المُحيِّى الكل، المنبثق من الآب، الذى هو مع الأب والإبن، يُسجد له ويتمَّجد، الناطق فى الأنبياء ... إلخ).

+ ووضع هذا المجمع سبعة قوانين لنظام الكنيسة، وسياستها. وورد فى القانون الثانى منها: «لا يتَعدَّى الأساقفة .. على الكنائس التى خارج حدودهم، ولا يقلقوا الكنائس. بل وفقاً للقانون لأسقف الأسكندرية أن يسوس أمور مصر فقط، ولأساقفة الشرق أن يسوسوا الشرق فقط، مع المحافظة على التقدم الذى فى قوانين نيقية لكنيسة الأنطاكيين .. إلخ».

+ ونص فى القانون الثالث «أما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم فى الكرامة بعد أسقف رومة، لكونها رومة الجديدة» على اعتبار أن القسطنطينية هى العاصمة الثانية للإمبراطورية الرومانية».



الفصل الثالث

المجمع المسكونى الثالث

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م

+ بالرغم من صدور قرارات آباء الكنيسة بقطع المبتدعين من عضويتها ونفيهم إلى جهات بعيدة، فلم يكن هذا كافياً لردع الخارجين على تعاليم الكنيسة، فإنه قد ظهرت فى خلال خمسين عاماً، من تاريخ انعقاد المجمع المسكونى الثانى بعض البدع، التى استدعت عقد المجمع المسكونى الثالث.

أسباب انعقاده:

١- **بدعة بيلاجيوس:** الذى وُلِد ببريطانية سنة ٤٠٥م، وتردد زماناً بين رومة وفلسطين، ثم سيم راهباً وحصل على درجة القسيَّسية. وسقط فى بدعة مضمونها: أن خطيئة آدم كانت قاصرة عليه ولم تتسرب منه إلى نسله. ثم استنتج من ذلك أن كل إنسان حينما يُولَد، يكون كآدم قبل الخطيئة. وبهذا يمكنه - بقوته الطبيعية وحريته المطلقة - أن يبلغ أسمى درجة فى القداسة.

+ ولا يخفى مافى هذا الزعم من الحط من قيمة الفداء بدم المسيح، وفى الواقع أن الإنسان بالآثام صور وبالخطية وَلَدته أمه[1]، فلا يمكن أن يكون كاملاً إلا بنعمة الخلاص بدم السيد المسيح.

٢- **بدعة نسطور:** وكان راهباً فى دير ببلدة مرعش بجوار أنطاكية انتخبه الملك ثيؤدوسيوس الصغير ليكون أسقفاً على القسطنطينية فقال للملك بكبرياء: «استأصل معي الهراطقة، وأنا أستأصل معك جنود الفُرس، وأملك فوق ذلك جنة الخلد».

+ ولكنه أصبح فيما بعد من أكبر الهراطقة، لأنه سقط فى بدعة شغلت الكنيسة أجيالاً عدة وهى تتلخّص في:

«فصل طبيعة السيد المسيح اللاهوتية عن الناسوتية».

---

(١) «مز ٥١:٥».

وترتّب على ذلك ما يأتى:

١- عدم تسمية العذراء « Theotokos » أى والدة الإله .

٢- انتقاد المجوس فى سجودهم للطفل يسوع، بأعتباره (بحسب زعمه) ناسوتاً فقط وينبغى أن يكون السجود للاهوت وحده.

٣- استبعاد الجزء الأخير من كل من الثلاث التقديسات وهى (يا من وُلِدت .. إلخ.ويا من صُلبت .. إلخ.ويا من قُمت .. إلخ).لأن اللاهوت (بحسب معتقده) لم يشترك فى اتمام الولادة والصلب والقيامة[١].

بين البابا كيرلس الأسكندرى ونسطور:

+ نشر نسطور آراءه هذه، وبلغت البابا كيرلس الأول. ففندها وأذاع رده عليها، خصوصاً وسط الرهبان. ثم أخذت هذه الردود تنتقل إلى أن وصلت إلى نسطور. فإغتاظ مما احتوته، وكلف أحد كهنته للرد عليها. ولم يخل رد هذا الكاهن من التشهير بالبابا كيرلس.

+ فلما بلغ البابا هذا، كتب لنسطور كتاباً دفع فيه التُهَمَ الموجهة إليه، وأوضح العقيدة القويمة، وأعلنه بأنه لا يخشى بأس أحد، فى الدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية. فرد عليه نسطور رداً مختصراً، استنتج منه البابا إصراره على بدعته.

+ فكلف البابا وكلاءه، بالقسطنطينية ليلاحظوا أثر خطاباته على نسطور.فلم يجدوا منه الإ إصراراً وعناداً واستكباراً.

+ فلما تحقق البابا من إصراره، أرسل للعائلة المالكة رسائل توضح حقيقة الإيمان. وعقد مجمعاً محلياً فى الأسكندرية من أساقفته. وعرض عليهم ما نادى به نسطور. فأجمع رأيهم على ارسال منشورات لكل الكنائس، بتفصيل العقيدة النسطورية وردهم عليها. وقد تضمنت إثنى عشر بنداً، ينتهى كل بند منها بحرم من يؤمن به. فلما بلغت رومه وأورشليم وافقتا على ماجاء بها.

---

(١) نظراً لإختلاف الآراء بين الكنائس بخصوص هذه العقيدة، وُضع لها مبحث خاص رقم ٢ بملحق هذا الكتاب.

+ ولكن نسطور لم يهدأ بل ثارت ثائرته، وفصّل عقيدته فى إثنى عشر بنداً، وختم كلاً منها بحرم من يخالفها. كما كتب ثيؤدوريتُس أسقف كورش - بإيعاز من يوحنا أسقف أنطاكية - إثنى عشر فصلاً، ضد منشورات البابا وهكذا انقسمت الكنيسة شطرين، شطر يشمل روما وأورشليم وآسيا الصغرى فى جانب البابا المصري كيرلس. والشطر الآخر - وهو أنطاكية وبعض تخومها من أساقفة الشرق - فى جانب نسطور.

المجمع فى أفسس وأشهر الحاضرين:

+ ولما رأي الملك ثيؤدوسيوس الصغير هذا، طلب انعقاد مجمع مسكونى فى أفسس، وحدد ميعاده يوم عيد العنصرة سنة ٤٣١م، للنظر فى هذا الأمر. وأرسل من قبله مندوباً يدعى كانديديانوس – وأمره أن يجتنب الدخول فى تصرفات الأساقفة فتقاطرت جموعهم إلى أفسس، وبلغ عددهم ٢٠٠ أسقفاً.

+ وكان يصحب البابا كيرلس الأسكندرى، خمسون أسقفاً مصرياً انضم إليهم كثير من الأساقفة، ومنهم يوبيناليوس أسقف أورشليم، وممنون أسقف أفسس، وكلستينوس أسقف رومه، الذى أرسل نيابة عنه الأسقفين أركاديوس وبروياكتس والقس فيلبس.

+ أما نسطور فكان يصحبه أربعون أسقفاً. ولم يحضر من أنصاره أساقفة الشرق ويوحنا الأنطاكى.

+ وكان عدم حضورهم سبباً فى تأخير انعقاد المجمع ستة عشر يوماً، وأرسلوا بعدها يعتذرون، ويعدون بالحضور بعد مدة وجيزة.

+ وفى خلال هذه الفترة، أخذ بعض الأساقفة ينصحون نسطور، بالكف عن عناده، ولكنه لم يذعن.

+ وفى الوقت نفسه أعلن مطرانان شرقيان - عن لسان يوحنا الأنطاكى - بأنه لا مانع من انعقاد المجمع قبل مجيئه. فبدأ المجمع جلساته، وأرسل أربعة أساقفة إلي نسطور ليحضر، فاعتذر بأنه يخشى الحضور، لأن أعداءه أكثر من أنصاره، وطلب

انتظار حضور يوحنا الأنطاكى، وباقى مؤيديه. ووقع معه على هذا الطلب خمسون أسقفاً وستة عشر مطراناً.

+ فلم يلتفت المجمع إلى هذا الطلب، وعقد جلسة عُرضت فيها كتابات نسطور عن عقيدته. ثم تليت ردود البابا كيرلس وكلستينوس أسقف رومه، ورسائل لأثناسيوس وغيرها. فصدّق المجمع على رسائل كل من البابا الأسكندرى والرومانى.

قرارات المجمع:

١- **قرر مقدمة قانون الإيمان**، التى تبدأ بالقول «نعظمكِ يا أم النور الحقيقى .. إلخ». ووضع ٨ قوانين لنظام الكنيسة، كان آخرها حفظ الحق على قدم المساواة لكل متروبوليت (مطران) وعدم جواز السطو على ابرشية الغير.

٢- **حرم بيلاجيوس المبتدع.**

٣- **وبخصوص نسطور** فقد كتب ما نصه: «من المجمع المقدس الملتئم فى مدينة أفسس، بموجب مراسيم ملكنا، إلى نسطور يهوذا الثانى: أعلم أنه لأجل تعاليمك النفاقية، عُزلت وقُطعت من هذا المجمع المقدس، وحُكم عليك بأنك مفرز وغريب» عن كل خدمة كنسية».

مجئ يوحنا الأنطاكى وأثره:

+ ولكن يوحنا الأنطاكى كان قد حضر، وغضب لسرعة الحكم على حبيبه نسطور، فإتفق مع الأساقفة النساطرة. وقرر حرم كيرلس مع رسائله، وممنون أسقف أفسس، وبراءة نسطور. وأرسل هذا للملك طالباً إعادة فحص القضية. فإجتمع أنصار كيرلس ثانيةً واستدعوا يوحنا للإستعلام منه عن سبب قطعهم. فأجاب «إننى لا أستطيع أن أشترك مع أساقفة محرومين». ولما كرروا عليه الطلب قال: «اننى منتظر أمر الملك». فحكم عندئذ المجتمعون بحرم يوحنا الانطاكي.

وصول القرارات إلى الملك وكيفية تنفيذها:

+ وصلت للملك قرارات يوحنا، ولم تصله قرارات كيرلس، لأن نسطور نظراً لوجوده

بالقسطنطينية كان متصلاً بكانديديانوس (مندوب الملك فى المجمع) فإستطاع أن يوصل قرارات يوحنا، ويُعّطل قرارات البابا كيرلس ومن معه.

+ فلما فطن كيرلس إلى ذلك احتال على توصيلها بأن كّلف شخصاً أن يتزّيى بزى رجل فقير (شحاذاً) يحمل فى يده عكازاً مفرغاً وبداخله القرارات وجميع التصرفات ويذهب بها إلى دلماتيوس المتوحد بالقسطنطينية (وكان معروفاً لديه) لإيصال هذه القرارات إلى الملك.

+ فظهرت عندئذ الحقيقة ناصعة أمام الملك. فأمر بنفى نسطور من كرسى القسطنطينية فذهب إلى الدير الذى نشأ فيه، وأقيم مكسيميانوس أسقفاً عليها بدله. ورجع البابا كيرلس إلى كرسيه بالاسكندرية.

+ ولكن نسطور، أخذ ينفث سموم تعاليمه وهو فى الدير، فنفاه الملك إلى أخميم بصعيد مصر، حيث أدركته المنية هناك. وقد اختلف المؤرخون فى سبب موته. فقيل أن اليأس استحوذ عليه فشج رأسه بيده. وقيل إن لسانه أكله الدود، ومات شر ميتة.

نتائج المجمع:

+ استمر الشقاق بين يوحنا الأنطاكى وكيرلس الأسكندرى مدة، إلى أن توسط رسل الصلح بين الفريقين، بناء على رغبة الإمبراطور. فأرسل كيرلس شماسين برسالة إلى يوحنا يطلب منه توقيع قرار الحرم على نسطور ومن يتبع بدعته، فقبل يوحنا هذه الشروط بعد أن أدخل عليها بعض التعديل، وأرسلها له على يد بولس أسقف حمص.

+ وقد ورد فى هذا التعديل عبارتان، عاب البعض على البابا كيرلس قبولهما ونص الأولى «لأنه صار اتحاد الطبيعتين فلذلك نعترف بمسيح واحد. وبحسب معنى هذا الإتحاد الخالى من الإختلاط نعترف بأن القديسة مريم هى والدة الإله».

ونص الثانية: «أما الأقوال الإنجيلية والرسولية المقولة عن الرب، فنعلم أن علماء اللاهوت يجعلون بعضها عامة كأنها تنبغى لإقنوم واحد. ويفصلون بعضها لإختلاف الطبيعتين، وينسون تلك الواجبة لله للاهوت المسيح، وينسبون الوضيعة لناسوته».

+ ومن الأرثوذكس الذين عابوا على البابا كيرلس قبول الصلح على هذا الأساس، أكاكيوس أسقف ميليتيني، وأولوجيوس كاهن العاصمة.

+ ومن النساطرة الذين عابوا على يوحنا قبوله تسمية العذراء **والدة الإله** (Theotokos) ما يلي:

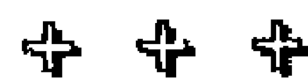
١- تاوضروس أسقف المصيصة وأستاذ نسطور.

٢- إيهيبا أسقف الرُها الذى اعتنى بترجمة مؤلفات تاوضروس المذكور من اليونانية إلى السريانية، والمتضمنة رداً على حروم كيرلس الإثنى عشر.

٣- ثيؤدوريتس أسقف كورش الذى كان زميلاً لنسطور فى التلمذة. وممن رد على كتابات البابا كيرلس ضد نسطور.

٤- إيريناوس الذى نفاه الملك إلى بلاد العرب لمشايعته لنسطور. ثم أعيد من المنفى ورسمه دمنوس الأنطاكى (خليفة يوحنا) أسقفاً على صور، بالرغم من أنه كان ذا زوجين (تزوج مرتين).

+ ولو أن إبعاد نسطور إلى المنفى (حيث لقى حتفه) كان من نتائج هذا المجمع إلا أن أتباعه الذين تمسكوا بتعاليمه، استمروا فى مناوأة الكرسى الأسكندرى وقتاً من الزمن. وانضم إليهم فيما بعد أسقف رومه (ليو) فكان ذلك سبباً فى انعقاد مجمع أفسس الثانى فمجمع خلكيدون. ثم انقسام الكنيسة.



ملحق الجزء الأول

مقدمة:

+ يتبيّن من عنوان هذا الكتاب أنه موضوع فى صيغة موجزة، إلا أن عدة مسائل مهمة، قد اعترضت واضعه، وكان لابُد من التوسّع فيها، لكثرة الجدل الذى قام حولها.

+ فإضطر لوضع هذا الملحق – فى ثلاث مباحث – لإيضاح الموضوعات الآتية:–

- **المبحث الأول:** فى جنسية البابا أثناسيوس.
- **المبحث الثانى:** فى إثبات صحة قوانين مجمع نيقيا العشرين.
- **المبحث الثالث:** فى الآراء المختلفة الخاصة بتجسد السيد المسيح.

✣ ✣ ✣

المبحث الأول

فى جنسية البابا أثناسيوس

تمهيد:

+ قد يستغرب البعض، من وضع ملحق خاص، عن أصل البابا أثناسيوس، أو لأى أمة ينتسب؟ وماهى جنسيته؟! ولكن لو عُرِف السبب بَطُل العَجب.

+ فلقد كثرت فى هذه الأيام (القرن ٢٠) الهجمات على الكنيسة القبطية، ومن ضمنها السعى إلي تجريدها من أبطالها العظام، ونسبتهم إلى ممالك آخرى: ليكون للمدعين من وراء ذلك تقوية عنصرهم، وإضعاف سلطان الأقباط ودورهم في المجامع المسكونية.

+ وهذا ماجرى فعلاً من اليونان: فلقد أعلنوا فى القرن العشرين، أن أثيوبيا مدينة لليونان بنشر المسيحية فيها، لأن الأنبا سلامة ـ أول أسقف للهذه البلاد ـ أقامه البابا أثناسيوس اليونانى!!

+ وليس من يُنكر أن الصلة بين الكراسى المسيحية فى القرون الأولى، كانت وثيقة. فقد

زار مثلاً القديس بوليكربُس أسقف أزمير نكيطس (Necetas) أسقف رومه، زيارة ودية. كما ذهب بنتينوس مدير الإكليريكية بالأسكندرية فى القرن الثانى، إلى الهند والحبشة واليمن.

+ وقد ينتقل الإنسان من بلد إلى أخرى فى طلب العلم، كما انتقل ديوناسيوس الأثينى إلى الأسكندرية، فى القرن الأول، ليتعلَّم الفلك ثم عاد إلى بلاده، ورُسِم أسقفاً عليها. وكذلك زار غريغوريوس العجائبى الأسكندرية، ثم رُسِم بعد ذلك أسقفاً على قيصرية البحر الأسود. وجال باسيليوس الكبادوكى بين رهبان وادى النطرون يتعلم منهم، ثم رُسِم أسقفاً لبلاده. كما تعلم غريغوريوس الثيؤلوغس (النزينزى) فى معاهد الأسكندرية وقيصرية فلسطين وأثينا، ثم رُسِم أسقفاً على القسطنطينية.

+ ويحتمل أن يتخذ الإنسان موطناً له فى غير بلده، كما اتخذ يوحنا فم الذهب الأنطاكى مولِداً مدينة القسطنطينية موطناً له، واكليمندس الأثينى مولِداً، مدينة الأسكندرية موطناً له، واشتهر بأكليمندس الأسكندرى.

+ إلا أن البابا أثناسيوس بالرغم من ذلك، فلم تكن له زيارات ودية تذكر للمشغوليات العظمى، التى كان يضطلع بها طول حياته، كما أنه لم يتعلم فى غير مصر. ولم يتألّق نجمه إلا فى مصر (التى نشأ فيها). ولم يكن يونانياً مطلقاً:

والدليل على ذلك ما يأتى:

أولاً - دفع ما قد يُستنتج منه أنه يونانى:

١- أثناسيوس من أصل شريف:

+ قيل فى التاريخ إن أثناسيوس من أصل شريف، واستنتج البعض من ذلك أنه كان يونانياً. وقد يجوز أن يكون هذا الإستنتاج صحيحاً، فى القرن السابع قبل الميلاد لما احتل اليونان نقراطيس وغيرها من البلاد المصرية، أو فى القرن الثالث قبل الميلاد، لما كان البطالسة اليونان يحكمون مصر.

+ ولكن فى عصر البابا أثناسيوس، لم يكن لليونان سلطان على مصر، بل كان الرومان هم أصحاب النفوذ فيها.

٢- والد البابا أثناسيوس كان وثنياً:

+ قيل فى التاريخ أيضاً، إن والد أثناسيوس كان وثنياً، واستنتج البعض من ذلك، أنه من يونان الأسكندرية الوثنيين.

+ إلا أن التاريخ ذكر عن بعض الوثنيين المصريين، انهم من أصل يونانى، أمثال البابا ديوناسيوس الأسكندرى، الذى كان من اليونان الوثنيين بمصر. ثم اعتنق المسيحية ورُسِم أسقفاً على الكرسى الأسكندرى.

+ أما البابا أثناسيوس، فلم يذكر التاريخ عنه - أو عن والده - أنه كان من أصل يونانى وثنى.

+ ومع ذلك فقد ذكر شينو عن أثناسيوس فى كتابه (قديسو مصر)[1] أنه وُلِدِ من والدين مسيحيين.

٣- البابا أثناسيوس كان يجيد اليونانية:

+ كان أثناسيوس يجيد اليونانية، واستنتج البعض من ذلك، أنه يونانى. ونحن نتفق معهم فى أنه كان يجيد اليونانية، كما ورد فى دائرة المعارف الدينية (م ٢ ص ١٦٨) «أن تعليمه كان إغريقياً .. ولا يجاريه أحد من الآباء فى معرفة الكتاب المقدس اليونانى»[2].

+ ولكن هذا لوحده غير كاف لإثبات يونانيته، فظروف البابا، ودفاعه فى مجمع نيقيا المسكونى .. إلخ كانت تضطره إلى معرفة اللغة اليونانية وآدابها معرفة تامة.

+ ومن المستشرقين الآن، من يُتقن لغة احدى البلاد أكثر من أهلها، ومع هذا لا يمكن القول بأنهم شرقيون.

+ ولقد ذكر بولس مسعد المارونى (فى كتابه الدُر المنظوم ص ٣٠) مستشهداً ببطرس ليرون (م ٤ ف ٢ ص ١٧٥) «أن أثناسيوس لما كان يكتب باللغة اليونانية، أُحصِي بين آباء الكنيسة اليونانية، مع كونه قبطياً».

---

(1) Cheneau, Les Saints d' Egypte (راجع ترجمتنا، طبعة مكتبة المحبة)

(2) Encyclopedia of Religion and Ethics, V. 2. P. 168.

+ وقد كـانت اللغة، التى كُتب بها العهد الجديد، والتى كتبت بها محاضر أعمال المجمع المسكونى الأول، هى اليونانية. فكان من الواجب على علماء المسيحيين في كل العالم إجادتها إجادة تامة.

٤- إسم أثناسيوس كان يونانياً:

+ استنتج البعض من تسمية أثناسيوس بهذا الإسم اليونانى (= خالد) أنه يونانى الأصل ولكن من الأمور المشهورة أن يختار الوطنيون، أسماءً أجنبية لأبنائهم على سبيل الإستحسان. ومن المصريين الآن من يحمل أسماءً إفرنجية، ومع ذلك فلا يقال عنهم أنهم افرنج.

ثانياً- إثبات مصرية البابا أثناسيوس:

١- من نشأته:

+ أثبتت الكتب التاريخية، أن البابا أثناسيوس «وُلِد فى الأسكندرية سنة ٢٩٦م» كما ورد فى كتاب الشهب الصبحية للروم الملكيين ص ٦٣ وكنز العباد الثمين (م ٢ ص ١٠٢) والترجمة العربية لتاريخ موسهيم (ك ٢ ق ٤ ف ٣ ص ١٤٣) ودائرة المعارف للبستانى، وسنكسار ٧ بشنس .. إلخ.

+ وورد فى دائرة المعارف البريطانية (م ٢ ص ٨٢٨) «أن أثناسيوس وُلِد فى الأسكندرية، ومن الأمور المؤكد وضوحها، أن الأسكندر البابا ٢٢ قريبه وقد أخذه صغيراً إلى بيته، ووظفه سكرتيراً خاصاً له. وكان ذلك حوالى سنة ٣١٣م .. ومن غير شك، أنه كان طالباً بالمدرسة الإكليريكية بالأسكندرية. وأن الإضطهاد الذى قاسته الكنيسة بالأسكندرية فى ذلك الوقت، وصداقته إلى الراهب العظيم أنطونيوس، كان لها التأثير على عاداته، وكانت واسطة لتقوِّى فيه الأخلاق القَويمة وروح الإيمان العالية التى امتاز بها عن سواه».

+ ومع هذا أيضاً فمما يدل على أن والده كان مصرياً أصيلاً، ومن أشراف الأسكندرية: أنه بنى مقبرته (التى آوى إليها ابنه عند هروبه من وجه فالنز مدة أربعة أشهر) على الطراز الفرعونى. وقال عنها صاحب كتاب كنز العباد الثمين للكاثوليك «قبر والده الذى كان حسب عادة قبور المصريين القدماء بعمارات على وجه الأرض يمكن فيها السكن» {ك ٢ ص ١٢٧}.

٢- من لغته الأصلية:

+ قضى الطفل أثناسيوس أيامه الأولى، معاشراً الأطفال المسيحيين بمصر - وكان هذا من أكبر الأسباب فى صيرورته مسيحياً – ثم إندمج فى سلك المدرسة الإكليريكية المرقسية بالأسكندرية.

+ وقد ورد فى دائرة المعارف الفرنسية (la Rousse) تحت كلمة: "Athanase" ماملخصه:

* «أنه تتلمذ علي يد القديس أنطونيوس، وبالطبع لم يتفاهم معه فى خُلوته إلا باللغة القبطية».

+ وذكر المؤرخ بطلر، (فى تاريخ القديسين م ١ ص ٢٥٥) وهزيون فى سلسلة المؤلفين (ص ٣٨٣) «وقد بعث القديس أثناسيوس وهو فى رومه، برسالة إلى رهبان مصر «بلغته ولغتهم» (اللغة القبطية) التى لم يكونوا فى ذلك العهد يعرفون غيرها».

٣- من تاريخ حياته قبل الرسامة:

+ كانت أيام أثناسيوس الأولي تتصل أتصالاً وثيقاً بالبابا اسكندر سلفه، حتى أنه فى سن السابعة عشرة تقريباً، رسمه شماساً ثم رئيساً للشمامسة، واتخذه البابا - من ذلك الحين - سكرتيره الخاص. ثم استصحبه معه إلى مجمع نيقيا. وبعد عودته معه ونياحة البابا اسكندر أُختِير أثناسيوس ليحل محله.

+ وفى هذه المدة كلها، لم يرد عنه، أن أتصل باليونان مطلقاً.

+ وقد ذكر يوساب أسقف فوة فى كتابه عن بطاركة الأسكندرية المصريين[1] إسم أثناسيوس من بين هؤلاء البطاركة، وكان يشير عند ذكر اسم بابا، ليس من أصل مصرى، إلى أنه غير مصرى. كما سار قبله على هذا المنوال ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين.

٤- من زياراته إلى البلاد الأخرى:

+ قيل فى التاريخ إن البابا أثناسيوس لم يترك مصر أثناء حياته إلا مضطراً – بسبب نضاله مع الأريوسيين. فلو كان من أصل يونانى، لكان ينبغى أن يلجأ إلى بلاد اليونان، ليستعين بها على خصومه. إلا أن المدينة الوحيدة، التى لجأ إليها فى ذلك الوقت، والتى يجوز أن تكون لها صلة باليونان – وهى مدينة القسطنطينية ـ فقد منعوه فيها من مقابلة الإمبراطور قسطنطين الكبير، بل وفيها صدر الأمر بنفيه إلى تريف (بفرنسا).

+ أما باقى البلاد التى لجأ إليها فى هذا النضال، أمثال رومة وصور وأنطاكية فإنها لا تمت إلى اليونان بصلة.

٥- نهاية حياته:

+ لم ينقل البابا أثناسيوس أثناء حياته ـ إلى نظام الكنيسة القبطية ـ أية عادة من عادات اليونان، كما فعل البابا إبرآم السريانى، الذى نقل من كنيسة السريان إلى الكنيسة القبطية، نظام صوم نينوى.

+ وأخيراً أنتهت حياة البابا أثناسيوس فى الأسكندرية سنة ٣٧٣م، كما ذكر المؤرخون، ودُفِن فيها، ولم يقم شعب اليونان بأى حركة تدل على اهتمامهم بذكراه.

+ وخاتمه الأدلة على مصرية البابا أثناسيوس، ما أورده العلامة استانلى بقوله: «إن أوصاف شعر البابا أثناسيوس تشبه أوصاف شعر الموميات المصرية المحنطة أى شعر خفيف أسمر ضارب إلى الحمرة. ولا عبرة أن إسمه قد يغرى بأنه يونانى إذ نجد فى التاريخ إسماً يونانياً بحتاً مثل «أنطون» قد سُمِّي به شخص لا مشاحة أنه قبطى صميم» (مجلة الكرمة م ٩ ص ١٨٤).

+ كما أن القديس مقاريوس الكبير كان مصرياً صميماً من بلدة شنشور بالمنوفية.مع أنه كان يحمل إسماً يونانياً (مُبارَك = Makarius).

(١) راجع نص مخطوط هذا الكتاب (من إعدادنا، ونشر مكتبة المحبة).

المبحث الثانى

فى أثبات صحة
قوانين مجمع نيقيا العشرين
وزيف قوانين رومه الـ ٨٤

تمهيد:

+ من الأمور المهمة دراسة قوانين مجمع نيقيا، لأنها أول قوانين صدرت من هيئة مسيحية كبرى، مكونة من ٣١٨ أسقفاً من أساقفة المسكونة، ومؤيدة من الملك قسطنطين المسيحى.

+ ومما يزيد فى أهمية دراسة هذه القوانين، الجدل الكبير الذى قام بخصوص عددها ونصوصها، بين رومة من جانب، والكراسى الرسولية الأخرى من جانب آخر. فقالت الأولى أن عددها ٨٤ قانوناً، وقال الآخرون أنها **عشرون فقط**.

+ وتقصد رومه من وراء التمسك بقوانينها، الإستفادة من نص القانون ٣٧ (المُزَّور) الذى يقول: «أمروا أن تكون البطاركة فى جميع الدنيا أربعة، لا غير، مثل كتبة الأناجيل .. ويكون الرئيس منهم صاحب كرسى بطرس بروميه» وقانون ٤٤ الذى ورَد فيه «كما أن البطريرك أمره وسلطانه على من تحت يده، كذلك لصاحب روميه سلطانه على سائر البطاركة» {أنظر القوانين لإبن العسال طبعة سنة ١٩٠٧ ص ٤}.

• **ويدور هذا المبحث حول النقط الآتية:**

(أولاً) لمحة تاريخية عن الجدل بخصوص قوانين مجمع نيقيا .

(ثانياً) سند الغربيين فى إثبات صحة قوانينهم الـ ٨٤.

(ثالثاً) إثبات زيف الـ ٨٤ قانوناً وصحة العشرين بأدلة منطقية .

(رابعاً) إثبات صحة العشرين قانوناً بأدلة تاريخية.

(خامساً) نص العشرين قانوناً.

أولاً: لمحة تاريخية

عن الجدل بخصوص قوانين مجمع نيقيا

١- **بين زوسيموس وكلستينوس أسقفى رومه، وبين أغسطينوس:** لقد ظهر هذا الجدل ولم ينقضِ مدة قرن من تاريخ وضع القوانين بمدينة نيقيا. ويقول الأنبا كيرلس مقار(١) عن تفصيل هذا الجدل فى كتابه «**الوضع الإلهى**» ما يأتى:-

* «اقترح القديس أغسطينوس أن يجتمع مجمع كبير إفريقى مكون من ٢١٧ أباً فى قرطاجنة، ليفصل فى قضية البيلاجيوسيين. فأجتمع فى أوائل شهر مايو سنة ٤١٨م. وأرسل إليه البابا زوسيموس نوابه وهم: الأسقف فوستينوس والقسان فيلبوس وآساوس.

+ وكان رئيس أساقفة أفريقيا رئيساً لهذا المجمع. فأمر أن يبدأ المجمع أعماله بقراءة قوانين المجمع النيقاوى المسكونى. فإعترضه فوستينوس نائب البابا قائلاً: «إن المجمع يجب أن يبدأ أعماله بما يحمله هو من التعليمات البابوية».

+ وبعد أخذ ورد طويلين أصر الآباء على الإطلاع على رسالة البابا التى تحتوى تعليماته. وأطلع المجمع على تلك الرسالة فألفاها منطوية على أربعة بنود - البند الأول منها: يقضى بعدم أحقية البابوات فى قبول استئناف قضايا الأساقفة وذلك بمقتضى القوانين ٣، ٤، ٥ من مجمع نيقيا. ويشير ثالث هذه البنود إلى قضايا الكهنة والشمامسة، ووجوب استئنافها أمام مجمع الأساقفة المجاورين، وذلك بمقتضى قوانين نيقيا أيضاً.

+ وأقرب الأساقفة لكرسى أفريقيا هم أساقفة إيطاليا ولاسيما روميه.

+ غير أن الآباء الـ ٢١٧، عندما سمعوا هذه الدعاوى، أخذتهم الدهشة، وصرخوا كلهم بصوت واحد قائلين «أن نُسَخ مجمع نيقيا التى بأيدينا ليس بها مثل هذه القوانين»(٢)

---

(١) كان بطريركاً بكنسية الكاثوليك بمصر- أوائل القرن العشرين - ثم رجع إلى الكنيسة القبطية وأكد صحة معتقداتها فى كتابه المذكور بعاليه.

(٢) انظر الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٤).

+ ثم قرروا ارسال القس اينوشنسيوس إلى الأسكندرية، والشماس مارسيل إلى القسطنطينية، وثالث إلى أنطاكية، ليَطلّعوا هناك على النُسخ الأصلية لقوانين نيقيا.

+ كما طلبوا من أسقف رومه أن يرسل لهذه الجهات، من يتحقق أصل القوانين حيث أن النسخ اللاتينية الموجودة بقرطاجنة لا توجد بها هذه البنود.

+ ولما اطلع الرسل على الأصل الموجود طرف البابا كيرلس الأسكندرى، والأسقف واتيكوس القسطنطيني. وبطريرك أنطاكية، لم يجدوا فيها أثراً لما قاله أسقف رومة. (انظر الخريدة النفيسة ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٧) ومجموعة المجامع لأبّيه[1] (٢م ٢).

٢- مصدر هذا الإدعاء:

+ أتى أسقف رومه بهذه البنود في الواقع، من قوانين مجمع سرديكا المكانى. ويقول أنبا كيرلس مقار السابق ذكره (أنظر الخريدة النفيسة لإيسونورس، ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٢) ما نصه: «شهادة التاريخ تنطق بأن المسيحية لم تعتبر مجمع سرديكا مجمعاً مسكونياً. وأن حق الإستئناف الذى نصت عليه قوانين هذا المجمع، لا يتناول جميع القضايا الكنسية. وليس هو حقاً إلهياً غيرقابل للتحوُّل. بل هو حق وقتى ليشمل قضايا الأساقفة فى عصر البابا يوليوس. وإذا كانت المسيحية لم تعتبر مجمع سرديكا مجمعاً مسكونياً، فما ذلك إلا لأنه انعقد سنة ٣٤٧م، أى بعد المجمع النيقاوى بإثنين وعشرين سنة. فلو كانت له الصيغة المسكونية لسمته الكنيسة المجمع المسكونى الثانى».

+ ومعلوم أن الكنيسة لم تُطلِق هذا الإسم إلا علي المجمع الذى انعقد بالقسطنطينية (٣٨١م) والقوانين ٣، ٤، ٥ لا تشمل الأساقفة بوجه التعميم. بل هي خاصة بالأساقفة المعاصرين للبابا يوليوس.

* وهذا نص القانون الثالث «.. إذا كان لأحد الأساقفة قضية ضد زميل له فى الأسقفية فلا يرفعها أمام أساقفة أبرشية أخرى للفصل فيها - ولكن للأسقف المحكوم عليه، إذا وثق من حقه. فإن شئتم فلتكن الكرامة فى هذه الحالة لبطرس

---

(١) هو فليب لأبّيه (L'Abbé) اليسوعى (١٦٠٧ - ١٦٦٧م) وإليه تنسب مجموعة المجامع باليونانية واللاتينية.

الرسول. وليكتب الأساقفة الذين قضوا في الأمر أولاً إلى يوليوس أسقف رومه، حتى يُعَاد النظر في القضية بواسطة أساقفة الأبرشيات المجاورة، الذين ينتدّبهم يوليوس.

* وجاء في القانون الرابع «قال الأسقف غورنسيوس: إذا حط الأساقفة المجاورون أسقفاً عن درجته، وكان في حالة تُمكّنه من إظهار براءته، فلاُ يسام على كرسيه أسقف جديد، قبل أن يُرفع الأمر إلى أسقف رومه. يوليوس، وقبل أن يبدأ رأيه فيه». فأجاب المجمع: «أننا لموافقون».

+ وهكذا القانون الخامس:

+ فمن هذه القوانين الثلاثة لم يُرِد المجمع السرديكى إلا أن يُؤّيد الرأي. بأن يُمنَح المحكوم عليهم حقاً يمكنهم من إعادة قضاياهم أمام هيئة ثانية.

+ ولما أراد البابا زوسيموس بأن يُقيم للأفريقيين الدليل على ما له من الحق في قبول أساقفة أفريقيا وكهنتها، أطلق على مجمع سرديكا إسم مجمع نيقيا».

+ ومجمع سرديكا الذي وضع هذا القانون اشترط لتنفيذه ما يأتي:

١- أن القضايا المستأنفه هي الخاصة بالأساقفة الأريوسيين في غرب أوربا فقط.

٢- أنه خص البابا يوليوس دون غيره بنظر هذه القضايا.

+ ومما يؤيد عدم اعتراف الكنائس الشرقية إلا بالعشرين قانوناً فقط ما أورده مترجم كتاب تاريخ موسهيم في قوله:

* «إن الكنيسة القديمة لم تُسلِّم إلا بالعشرين قانوناً النيقاوية .. نعم إن أساقفة روما اجتهدوا في القرن الخامس أن يجروا بعض قوانين مجمع سرديكا، كقوانين مجمع نيقيا. فقاومهم عند ذلك أساقفة أفريقيا، وأرسلوا إلى بطاركة الأسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية، يطلبون نُسخاً كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم، فكان فحوى الجواب، أن كنيسة الروم القسطنطينية لم تقبل إلا هذه العشرين قانوناً. (انظر أعمال مجمع قرطاجنة السادس سنة ٤١٩م).

* «ولكن في القرن السادس عشر، أتوا من الأسكندرية إلى روما، بنسخة عربية، تحتوى على ثمانين قانوناً، من جملتها هذه العشرين قانوناً. فتُرجمت حالاً وطُبِعَت».

* «فحصل أولاً شك. ولكن فى برهة وجيزة اقتنع كل العلماء بأن الستين قانوناً الزائدة لم تكن من الأصل النيقاوى»(١).

+ وقد قصد بابا رومة من إثارة هذا الموضوع سنة ١٥٨٣م، اقناع البابا يوحنا الأسكندرى الـ ٩٦ وخليفته البابا غبريال الـ ٩٧ بالخضوع إلى رئاسته، ولكنه لم ينجح فى هذه المحاولة.

(ثانياً) سند الغربيين فى إثبات صحة قوانينهم الـ ٨٤:

+ يستدل الكاثوليك فى ذلك على كتاب القوانين لإبن العسال (القبطى) الذى أثبَت فيه شيئاً من الـ ٨٤ الخاصة بهم، ولكن هذا السند واهٍ،لأن كتاب إبن العسال كان جامعاً لقوانين عديدة أي موسوعة قانونية.

+ **وقد أُشير فى مقدمة هذا الكتاب، إلى تمييز القوانين العشرين عن القوانين الـ ٨٤ بالنص الآتى :-**

* «قوانين المجمع الخامس. وهو أول المجامع الكبار المسكونية. اجتمعوا بنيقيا سنة ٣٢٥م للتجسد. اجتمعوا بسبب كُفر أريوس. فناقشه الأب الأسكندروس بطريرك الأسكندرية. ووافقه المجمع، على قطعه (حرمه) ونفيه. وكتبوا كتاباً فيه قوانين الأمانة المستقيمة ووضعوا - فى الأحكام - قوانين كثيرة. وفى هذا الكتاب جزءان أحدهما **عُدته عشرون قانوناً وهو متفق عليه** وعلامته «**نيق**» والآخر عنى **بإخراجه الملكية والنسطورية**. وعُدته فى النسخ الملكية ٨٤ قانوناً.والنسخة التى بيد الملكية فيها زوائد تخصهم وعلامته «نيقية»(٢).

ومن هذا يتبيَّن:-

١- تمييزه العشرين قانوناً بعلامة (نيق).

٢- قوله عنها (مُتفَق عليها) .

٣- إسناد الأربعة والثمانين قانوناً إلى الملكية (الروم) والنسطورية.

(١) موسهيم، تاريخ الكنيسة، ك ٢، ف ٤، ص ١٧٢ .

(٢) أنظر كتاب القوانين لإبن العسال، طبعة سنة ١٩٠٨ ص ٤ عن نسخة مخطوطة تاريخها سنة ٩٥٥ ش.

٤- قوله عنها «إن بها زوائد تخصهم.

٥- إعطاؤها علامة خاصة بها وهى (نيقية).

+ فهل من تمييز أبلغ من هذا ، بين القوانين العشرين والأربعة والثمانين؟!

+ وهل يُستنتج من إيرادها بهذه الصورة فى كتاب إبن العسال. أنها مقبولة عند الأقباط؟ فى حين أنه خصّها (نسبها إلي) بالملكية والنسطورية.

+ وقد أورد ابن العسال نصوص قوانين أخرى من هذا القبيل. كقوانين الرسل (الخاصة بالملكية والنسطورية). وأعطاها علامة (رسطا) وقوانين الرسل (الخاصة بالأقباط) وأعطاها علامة (رسطب ورسطج).

ثالثاً: أثبات زيف الـ ٨٤ وصحة العشرين منطقياً:

بتحليل القوانين الـ ٨٤ قانوناً منطقياً يتضح مايأتى:-

١- جاء فى القانون ٣٧ «لا يجب أن يكون فى الدنيا إلا أربع بطريركات إذ ليس فيها إلا أربع جهات أصلية وأربعة أناجيل. وتكون البطريركية الأولى فى روما كرسى القديس بطرس. والثانية فى الأسكندرية كرسى القديس مرقس الإنجيلى. والثالثة فى أنطاكية كرسى القديس بطرس أيضاً. والرابعة فى أفسس كرسى القديس يوحنا الإنجيلى. وقد نقلت هذه الأخيرة إلى القسطنطينية».

ويتضمن النقد على هذا القانون ما يأتى:

(أ) لم تكن هناك بطريركية فى مدينة أفسس.

(ب) كلمة بطريركية ظهرت لأول مرة فى المجمع الخلكيدونى (فى منتصف القرن الخامس) ولم ترد فى ماكتبه آباء مجمع نيقيا فى القرن الرابع[1].

(جـ) لم يرد فى هذا القانون ذكر لأسقفية أورشليم بالمرة. وهى الأسقفية الأولى التى رأسها يعقوب البار، وذُكرت فى الصلوات التى تركها الرسل.

---

(١) أنظر ايسونورس جـ ١ ص ٣٣٥.

٢- جاء فى القانون الـ ٤٤: «ينظر البطريرك فى كل عمل وأمر يعمل به مطارنته وأساقفته. فإن وجد فيها شيئاً على غير ما ينبغى. فليغيره. ويعمل بما يراه لأنه أبو جميعهم. وكما أن البطريرك وأمره وسلطانه على من تحت يده. كذلك لصاحب رومة سلطان على سائر البطاركة. فإنه الأول مثل بطرس، فى ما كان له من السلطان على جميع رؤساء المسيحية وجماعة أهلها، لأنه خليفة المسيح ربنا على شعبه وكنائسه».

ويتضمن النقد على هذا القانون ما يلي:

(أ) إعطاء بابا روما السلطان على أساقفة المسكونة. وهذا لم يحدث فى التاريخ بينهم وبينه. ويتعارض مع قوانين الرسل التى تنص (فى «رسطب ٣٣») على أن أساقفة كل إقليم: يجب عليهم أن يعرفوا من هو الأول منهم فيدعوه لهم أنه رأس ولا يفعلوا شيئاً إلا برأى المُقدَّم».

(ب) اعتباره أسقف روما الأول بين الأساقفة كما كان لبطرس من السلطان على باقى الرسل. ولم يكن لبطرس أى سلطان ممتاز. بدليل أن السيد لما وجد روح العظمة تدب فى تلاميذه: أقام ولداً وسطهم ليرجعوا ويصيروا مثله، حتى يدخلوا ملكوت السموات.

+ وإن كان هذا السلطان لبطرس: فلماذا تنفرد به روما ولا تأخذه أنطاكية وقد بشرها بطرس وأقام لها أسقفاً؟ ولماذا لا يكون هذا السلطان لمصر التى زارها بطرس وكتب رسالته الأولى فيها (١بط ٥:١٣). وأخذ كاروزها مارمرقس الخلافة منه (كما يقول الكاثوليك) أما إن قيل بإعطاء السلطان إلى روما، لأن بطرس الرسول قد مات فيها. فينبغى بالأحرى أن يعتبر موت السيد المسيح فى أورشليم، وهو سيد القديس بطرس، سبباً فى إعطائها سلطاناً أعظم.

٣- وجود تناقض بين القوانين فى موضوع السلطان. فبينما القانونان السابقان يخصان بابا روما بالسلطة. إذ بالقانون رقم ٤ يسلبه هذا السلطان.فينص.«ينبغى أن يقام الأسقف على الخصوص، من جميع أساقفة الأبروشية. فإن كان هذا عسراً، إما لضرورة شديدة. أو لبُعد المسافة، فلابُد من اجتماع ثلاثة معاً بعد اشتراك الغائبين فى الأصوات .. أما تثبيت الإجراءات فمنوط فى كل أبرشية بالمتروبوليت».

+ والقانون رقم ٥ يسلبه هذا السلطان أيضاً فينص: «لقد رأينا حسناً أن نعقد مجامع في كل أبروشية مرتين في السنة، لكي تفحص أمثال هذه المسائل - بإجتماع عمومي - من جميع الأساقفة، الواحد قبل صوم الأربعين والثاني نحو فصل الخريف».

+ والقانون رقم ٦ ينص «لتُحفَظ العادة القديمة التي في مصر وليبيا والخمس مدن، بأن يكون السلطة على هؤلاء كلهم لأسقف الأسكندرية، بما أن هذه العادة مرعية في رومية أيضاً .. ومثل ذلك ليُحفظ التقدُّم للكنائس في أنطاكية والأبروشيات الأخرى».

+ وكان سبب صدور هذا القانون هو عدم خضوع ملاتيوس أسقف أسيوط للبابا الأسكندري. ولأجل هذا احتفظ المجمع بالعادة القديمة، وساوى في هذه العادة بين بابا الأسكندرية وأسقف روما وغيرهما.

+ وكذلك يعطي القانون رقم ٧ هذا السلطان لأسقف أورشليم بالنص الآتي: «بما أنه جرت العادة والتسليم القديم أن يكون الأسقف الذي في إليا: «أورشليم» ذا كرامة فليكن له التبعية في الكرامة مع المحافظة على رتبة المتروبوليت الخاصة بها».

+ فكيف تتفق نصوص القوانين أرقام ٤، ٥، ٦، ٧ التي تعطي السلطان لأساقفة بعض الأبرشيات. مع القانونين رقمي ٣٧، ٤٤ اللذين يعطيان أسقف رومه السلطان على كل الأبرشيات في العالم؟!

٤- تكرار بعض القوانين وعدم انسجامها:

+ فبينما ينص القانون رقم ٥ على اجتماع أساقفة كل بلد إلى مطرانهم - مرتين في كل سنة - لفحص مسائل الأبرشية، ينص القانون رقم ٤٦ على ما يأتي: «كذلك المطارنة والأساقفة يجتمعون إلى بطركهم دفعة واحدة في كل سنة».

وفي هذا تناقض:

+ ولما كانت قوانين الرسل تنص على اجتماع أساقفة كل اقليم دفعتين في السنة (رسطج ٢٨). ففي هذا الدليل الكافيء على صحة القانون الأول رقم ٥. وزيف الثاني رقم ٤٦.

+ وبينما بنص القانون رقم ١٦ على الإمتناع عن الربا. يتكرر هذا النص فى القانون رقم ٥٦.وفى هذا الدليل الكافى على أنهما لم يصدرا من هيئة واحدة. أو أن الثانى قد صدر عن هيئة أخرى غير مجمع نيقيا.

+ وينص القانون رقم ٤٢ على ما يأتى «والحبش فلا يبطرك عليهم بطرك من علمائهم. ولا بإختيار منهم أنفسهم، لأن بطركهم إنما يكون من تحت يد صاحب الإسكندرية. وهو الذى ينبغى أن يّصلح عليهم قاثوليقا (جاثليقاً) الذى هو من دون البطرك. ومن قبله فإذا بطرك عليهم هذا المذكور بإسم القثلقة. فليس له مطلقاً أن يُمطرّن مطارنة كما يمطرنهم البطاركة. لأنه أنما يُكرم بإسم البطريركية من غير أن يكون له سلطان ذلك. وإن عرض أن يجتمع فيه سينودس (مجمع) بأرض الروم وحضرهم هذا الحبشى. فليجلس فى المجلس الثامن»(١).

+ وإن كان هذا القانون يعطى حق الرئاسة للكرسى الأسكندرى على أبرشية أثيوبيا. إلا أن الوقائع التاريخيةُ تثبت عدم صحة هذا القانون. لأن أثيوبيا لم تخضع رسمياً للكرسى الأسكندرى. إلا عند رسامة أول مطران لها - وهو أنبا سلامه - بواسطة البابا أثناسيوس فى سنة ٣٣٠م. أى بعد انعقاد مجمع نيقيا بخمس سنوات.

رابعاً - إثبات العشرين قانوناً بأدلة تاريخية :

+ يُستدل من أقوال أشهر المؤرخين - علاوة على ماسبق - على أن هذه القوانين عشرون فقط كما يلي:-

١- فكتاب كنز العباد الثمين فى أخبار القديسين تأليف مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الملكيين الكاثوليك (م ٢ ص ٢٨) يقول: «قد نودى بالتئام مجمع مسكونى عام سنة ٣٢٥م، فى مدينة نيقيا. حيث إلتأمت فيه أساقفة الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً. ومن حيث أن القديس سلفستروس رأس الكنيسة الجامعة المنظورة لم يمكنه أن يحضر بذاته فى هذا السينودس العام. من قبَل شيخوخته، فقد أرسل نيابة عنه أوسيوس العظيم أسقف كوردبا. ونينوس وفنجينوس الكاهنين الرومانيين اللذين بإسمه قد ترأسوا على المجمع المسكونى المذكور .. ففى هذا المجمع قد حُرمت

(١) انظر قوانين ابن العسال طبعة سنة ١٩٠٨ ص ٢٢ - ٢٣.

تجاديف أريوس وأتباعه. وتألف قانون الإيمان المدعو النيقاوى. وبعد ذلك حدد هذا السينودس إلتزام وضع عيد الفصح السنوى. فى كل العالم وترتب عشرون قانوناً فيما يخص التهذيب الكنسى».

٢- وفى كتاب تاريخ المجامع لساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين طبعة باريس سنة ١٩١١م (ص ٤٩٦ - ٣٢) ورد هذا القول «وضعوا بعد ذلك القوانين وهم عشرون قانوناً».

٣- وقد ورد فى تاريخ الكنيسة المترجم عن الإنجليزية والمطبوع بأورشليم سنة ١٨٩٢م (ص ١٧٦) «وقد وضع المجمع عشرين قانوناً فى نظام الكنيسة وتأديبها منها. وأنه يجب عقد مجمعين محليين فى كل مقاطعة سنويا. وأن يُصادق المتروبوليت على انتخاب الأسقف قبل تقليده. وأن تجرى الرسامة من ثلاثة أساقفة على الأقل. ووضع قانوناً يمنع نقل الأساقفة من أبروشية إلى أخرى. وآخر يُحدّد أبرشيات رؤساء الأساقفة كأساقفة الأسكندرية ورومه وأنطاكية، ونهى عن وجود أكثر من أسقف واحد فى مدينة ما فى وقتٍ واحد، ما لم يكن أحدهما من أتباع نوفاتيانوس. وعن اختلاس الشماس لحقوق أحد القسوس ... إلخ».

٤- وكذلك ورد فى Dictionary of Christian Antiquities للدكتور وليم سمث والأستاذ شتهام (الآثار المسيحية) {م ٢ ص ١٣٩١} تحت كلمة "Nicaea" ما نصه:

+ "لقد تم الإتفاق على عشرين قانوناً للسير بموجبها. وخلُصَت من الجدل وسلِمَت من الإختلاف موثوق بها. وأن رسالة الإحتجاج التى أرسلها البابا أثناسيوس إلى البابا مرقس التى تتضمن ٨٠ أو ٨٤ قانوناً عربياً تبيّن لنا الكذب. ويمكن أن نجزم مما تقدم ومن دليل الأسقف هفيل Hefele أن الكنيسة لا تعتقد بوجود أكثر من عشرين قانوناً، كما جاز فى نفس الخطأ البابا زوسيموس وأنوسنت وليو (٣٦٠ - ٣٧٢م).

+ أن القانون الذى يستحق النظر هو القانون السادس، الذى يشير إلى أولئك الذين انضموا إلى ميليتوس، الذى يعد الثانى بعد أريوس. وميليتوس هذا رَسم قسوساً وشمامسة فى أبروشيات خارج أبروشيته وكذلك أقام أساقفة بمفرده. على ذلك قام المجمع وحرمه نهائياً. وجرّده من كل سلطته، إلا أنه استعمل معه الرأفة ومع أتباعه.

ولكي يمنعوا هذا العمل الشاذ مستقبلاً جاء فى القانون الرابع والخامس والسادس ما معناه «أنه لا يجوز مطلقاً رسامة أسقف ما لم يؤخذ رأى الأساقفة جميعاً، ويعنى أساقفة المقاطعة التى تقع بينها الأبروشية الخالية. ومن يتعذر حضوره يجب أن يعتذر كتابةً، وأقل ما يكون فى الرسامة أن ثلاثة أساقفة يضعون الأيدى عليه. إلا أن المصادقة من الجميع يلزم الحصول عليها لمن يصير أسقفاً. وفى حالة اختلاف الأساقفة فى الرأى يلزم أن يقوم ثلاثة أساقفة بالرسامة تؤيدهم فى ذلك المتروبوليتية ويقر عملهم الرئيس ولا ضرورة أن يكون الأساقفة الذين يقومون بالرسامة من نفس المنطقة أو الدائرة» هذا هو التفسير الذى أضافه الآباء فى المجمع الثانى».

٥- وقال أيضاً أنبا كيرلس مقار (فى كتابه الوضع الإلهى) كما ورد فى الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة لإيسونورس (ج ١ ص ٣٢٤) «أما فيما يختص بنسبة الـ ٨٤ قانوناً إلى آباء نيقيا فأظنك لا تجسر عليه لأن المسيحية تشهد فى ذلك العهد بصوت واحد بأن المجمع المسكونى الأول لم يسن إلا عشرين قانوناً لم تزل موجودة باللغة اليونانية ومنقولة بأمانة فى مجموعة المجامع لأوبيه».

٦- وورد أيضاً ما يؤيد صحة العشرين قانوناً فقط فى المؤلفات الآتية:

أ - كتاب الخريدة النفيسة لإيسونورس (ج ١ ص ٢٩٦ - ٢٩٩)

ب - المؤرخ البيزنطي ثيؤدوريتس، فى تاريخ البيعة (م ١ ف ٨).

جـ - جلاسيوس سيزينوس (م ٢ ص ٣١).

سادساً: نص القوانين العشرين لمجمع نيقيا:

+ ورد نص هذه القوانين فى كتاب قوانين الرسل والمجامع المسكونية طبع المحروسة سنة ١٨٩٤م نقلاً عن نسخة مخطوطة لأحد بطاركة الشرق تاريخها سنة ١٧٥٤ لتجسّد المسيح.

+ وكذلك أوردها بطرس نتشايف الروسى. ونقلها إلى اللغة العربية جميل فتح الله الأنطاكى فى كتاب الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين، طبعة سنة ١٩٠٧م (ص ٢٤٠ - ٢٤٦).

والنص هنا نُقِل من النسخة الثانية لسلاسة أسلوبها، وهو:-

١- «كل من خصاه الأطباء فى مرض، أو خُصىَ من البربر، فليستمر فى الأكليروس. وأما من خصى نفسه وهو فى حال الصحة، وكان معدوداً فى طغمة الأكليروس فليُعزل. ولا يجوز - من الآن فصاعداً - أن يُنتخب أحد من أمثال هؤلاء».

+ والأمر واضح أن الكلام يتعلق بالذين يتحرون هذا الأمر، ويجسرون أن يخصوا نواتهم. وأما الذين خصاهم مواليهم أو البربر، وكانوا ذوى استحقاق فيقبلهم القانون فى الأكليروس».

٢- بما أنه حدث كثيراً مايُخالف القانون الكنسى، إما من قبَل ضرورة أو بإلزام الناس حتى أن أشخاصاً قادمين حديثاً إلى الإيمان من السيرة الإممية وموعوظين فى مدة يسيرة، يقبلون حالاً إلى الحميم الروحي، وحالما يعتمدون، يرشحون لدرجة الأسقفية أو الكهنوتية. فَلاح لنا أنه واجب أن يُمنع أمر مثل هذا فيما بعد، لأن الموعوظ يحتاج إلى زمن بعد المعمودية إلى اختبار أكثر، كما يتضح من الكتابة الرسولية القائلة «يجب أن لا يكون حديث الإيمان (غريب) لئلا يفتضح فيسقط فى عقوبة وفخ إبليس» (١تى ٣:٦) وأما من وجدت فيه خطيئة نفسية مع تمادى الزمان، وأُثبِت ذلك من شاهدين أوثلاثة، فليعزل من رتبته الإكليريكية. وكل من يخالف ذلك متجاسراً بوقاحة ضد المجمع العظيم فقد عرَّض نفسه لخطر السقوط من الأكليروس».

٣- «أن المجمع العظيم قد نَهَى بالكلية الأسقف والقس والشماس وكافة الأكليروس السكنى مع إمرأة أجنبية، إلا أذا كانت أمه أو أخته أو عمته أو خالته أو من الأشخاص المنزهين عن كل شُبُهة».

٤- «يجب أن يُقام الأسقف على الأخص، من قبل جميع الذين فى الأبروشية. فإذا تعذر ذلك لضرورة جازمة، أو لطول مسافة الطريق. فمن الواجب أن يجتمع ثلاثة معاً، وأن يكون سائر الغائبين مشتركين معهم بالإنتخاب، الذى يقدمونه كتابةً. وحينئذ تجرى الشرطونية. وأما المُصادقة على مايجرى فى كل أبروشية فمن حقوق المتروبوليت» . .

٥- «أنه بخصوص الذين منعهم من الشركة أساقفة كل أبروشية، سواء كانوا

إكليريكيين أو علمانيين، فليحفظ الرأى حسب القانون الذى يحدد أن الممنوعين من آخرين لا يُقبلون من غيرهم، بل يُفحصون لئلا يكونوا قد قُطعُوا، إما لصغر نفس، أو لخصومة أو بسبب كراهية الأسقف لهم. وعليه قد استُحسِن لإجراء الفحص المناسب. أن يُعقد مجمعان فى كل أبروشية مرتين فى السنة».

+ «ويجرى فحص مسائل كهذه بإجتماع أساقفة الأبروشية عموماً، أوالذين يتضح أنهم مجرمون ضد الأسقف. فليكونوا ممنوعين بحق من الشركة. حتى يرتأى مجمع الأساقفة عموماً، إعطاء قرار أكثر رأفة بهم. أما هذان المجمعان، فليُعقد أولهما قبل الصوم الأربعينى. لتتقدم الهدية الطاهرة لله. وثانيهما فى فصل الخريف».

٦- «فلتُحفظ العوائد القديمة التى فى مصر وليبية والخمس مدن بأن تكون سلطة أسقف الأسكندرية، على هذه جميعها، كما أن لأسقف رومية هذه العادة أيضاً. وكذلك ليحُفظ التقدم للكنائس التى فى أنطاكية وفى سائر الأبروشيات. وبالإجمال أنه الأمر واضح: أن من يصير أسقفاً بدون رأى المتروبوليت (المطران) فقد حدد المجمع العظيم أنه لا ينبغى أن يكون أسقفاً. وأما إذا خالف أثنان أوثلاثة لخصام شخصى رأي جميع الأساقفة، المطابق للقانون الكنسى، فليُعمل بأكثرية الآراء».

٧- «بما أن العادة والتقليد القديمين قد أمَرا بأنْ يُكرَم أسقف إيلياء (أورشليم) فلتثبت له الكرامة، مع بقاء المقام الذى هو للمدينة المتروبوليتية محفوظاً».

٨- «أن الذين يُسمُّون أنفسهم أتقياء، حينما يتقدمون إلى الكنيسة الجامعة الرسولية، قد لاح للمجمع المقدس العظيم أنه بعد وضع اليد عليهم، يقيمون فى الأكليروس على هذه الحالة، وقبل ذلك كله يجب أن يعترفوا كتابةً، أنهم يتحدون بالكنيسة الجامعة الرسولية، ويتبعون عقائدها. أى أنهم يشتركون مع أصحاب الزواج الثانى، ومع الذين يسقطون فى الإضطهاد بحسب الزمان الذى يترتب عليهم. وتحديد الوقت بحيث يكونون متبعين فى جميع الأحوال عقائد الكتب الجامعة. وإذا كانوا مُشرّطنين،

(مرسومين) ووُجِدوا فى بلدة ما وحدهم، فليلبسوا الإسكيم نفسه. أما إذا كان هناك أسقف الكنيسة الجامعة، وحضر إليه بعضهم، فمن الواضح أن لأسقف الكنيسة كرامة أسقف، ولأسقف المدعوين أتقياء كرامة قسيس. إلا إذا رضى الأسقف أن يشاركه بكرامة الإسم. وأما إذا لم يقبل فليفرز (يخصص) له مقام خوريبسكوس[1] أو قس، لئلا يكون أسقفان في مدينة واحدة».

٩- «أن الذين صاروا كهنة بدون فحص، أو أنهم بعد الفحص اعترفوا بخطاياهم، وبعد اعترافهم تحرك الناس خلافاً للقانون، وساموهم، فهؤلاء لا يقبلهم القانون[2] لأن الكنيسة الجامعة تتوخى من لا لوم فيه[3]».

١٠- «أى رجل من الساقطين يُسام اكليريكياً سواء كان من تلقاء الجهل به أو بمعرفة من سامه، يجرى عيه ما يأمر به القانون الكنسى وهو القطع (الحرْم)».

١١- «قد لاح للجمع أن يُعاَمل بالشفقة كل الساقطين لغير ضرورة أو دون أن تُسلَب منهم مقتنياتهم، أو بلا خطر، أو ما أشبه مما كان يجرى على عهد ليكينيوس المغتصب، وإن كان غير أهل للشفقة. أى أن الذين يندمون ندامة حقيقية، يجب أن يقضوا ثلاث سنين مع السامعين، ويركعوا سبع سنين، ويشتركوا سنتين مع الشعب بالصلوات، دون أن يتقدَّموا إلى مناولة الأسرار الطاهرة».

١٢- «أن الذين دُعُوا من لدن النعمة، وأظهروا الإقدام الأول، ثم طرحوا المناطق، وعادوا إلى قيئهم كالكلاب، حتى أن البعض بذلوا فضة وهدايا ليعودوا إلى الجندية، فهؤلاء يترتب عليهم، بعد تتميمهم مدة الثلاث سنين مع السامعين، أن يركعوا عشر سنين. وعلاوة على كل هذا، يجب فحص ميلهم ونوع توبتهم. فالذين يُظهرون رجوعهم بالخوف والدمع والصبر وأعمال الصلاح فعلاً لا صورة،

---

(١) أي المُشرف علي القري.

(٢) ق ٣٥

(٣) «١ تيمو ٣:٢»

فمن الواجب متى أتموا زمان الإستماع المحدد أن يشتركوا بالصلوات. ومن ثم يُتاح للأسقف أن ينظر فى أمرهم بأكثر شفقة. أما الذين ساروا بعدم اكتراث وظنوا أن دخولهم إلى الكنيسة كافٍ لرجوعهم. ولو كان صورة، فليتمموا حتماً الزمان المحدد» (لعقابهم).

١٣- «يجب أن يُعامل المُحتضِرون بموجب الناموس القديم القانونى. بحيث أن المحتضِر لا يعدم الزاد الأخير الضرورى (التناول) غير أنه إذا كان يائساً من الحياة. قد حظى بالشركة ثم عُدَّ بين الأحياء. ينبغى أن يقف فى الصلاة فقط مع المشتركين. وعلى الإطلاق كائن من كان محتضراً، وطلب أن يحظى بالشركة. فيجب على الأسقف أن يناوله مع الإحتضار».

١٤- «قد لاح للمجمع المقدس العظيم. بأن الذين سقطوا من الموعوظين. يقضون ثلاث سنين فقط مع السامعين. وبعد ذلك يُصلُّون مع الموعوظين».

١٥- «أنه سبب التشويش العظيم والمنازعات الحاصلة. قد لاح بأن تنزع بالكلية العادة التى جرت فى بعض أماكن. خلافاً للقانون الرسولى. بحيث لا ينتقل أسقف أو قس ولا شماس، من مدينة إلى مدينة. وإذا باشر أحد أجراء ذلك بعد تحديد المجمع المقدس العظيم أو تحرَّى لنفسه أمراً كهذا، فليُلغَ مشروعه بالكلية. ويرجع ذلك الأسقف أو القس أو الشماس إلى الكنيسة التى سيم عليها».

١٦- «أن القسوس والشمامسة وسائر المعدودين فى الطغمة الإكليريكية الذين يتصرفون دن أن يضعوا مخافة الله نُصب عيونهم. ولجههم بالقانون الكنسى يغادرون كنيستهم الخاصة. يجب أن لا يُقبلوا فى كنيسة أخرى على الإطلاق. بل يُلزموا كل الإلزام أن يرجعوا إلى أماكنهم. وإن أصروا على ذلك، يُمنعون من الشركة. وإذا تجاسر أحد أن يختطف شخصاً مختصاً بغيره. ويرسمه فى كنيسته دون رضى أسقفه الخاص. الذى غادره الشخص المشار إليه فى القانون، فلتكن هذه السيامة ملغاة».

١٧- «بما أن كثيرين يسعون وراء الطمع القبيح والربح الخسيس ناسين النص الإلهى القائل: «وفضته لم يعطِها بالربا»[١] فيقرضون أموالاً طالبين عُشر المائة بالربا. لذلك قد حكم المجمع المقدس بأن كل إكليريكى يفعل مثل ذلك، بعد صدور هذا الحد، ولو بقصد المعيشة. فليُخلع وليكن غريباً عن القانون».

١٨- «لقد بلغ علم المجمع المقدس العظيم بأن فى بعض المدن والأماكن الشمامسة يناولون القربان للقسوس. وذلك ما لم يسلمه قانون ولا عادة أصلاً. على أن الذين ما امتلكوا سلطاناً على التقدمة. بأنهم يناولون جسد المسيح للذين يقدمونه. وقد عرف هذا أيضاً. وهو أن بعض الشمامسة. يتناولون القربان قبل الأساقفة فليُبطل هذا كله ولتقم الشمامسة فى حدودهم، عارفين نواتهم. بأنهم خُدّام الأسقف. وأنهم أدنى من القسوس. ويتناولون القربان حسب رتبتهم بعد القسوس. على أن الأسقف يناولهم أو القس. بل ولا يجوز للشمامسة أيضاً أن يجلسوا فيما بين القسوس. لأن حدوث هذا الأمر هو واقع بخلاف القانون والترتيب. فكل من لا يريد الخضوع أيضاً بعد صدور هذه الحدود (القوانين) فليكّف عن خدمة الشموسية».

١٩-« قد تحدد أن يُعاد بدون تردد عماد الذين يكونون بولسيين[٢] ثم يلجأون إلى الكنيسة الجامعة، وإذا كان البعض قد احصوا فى الأكليروس سابقاً، وظهروا بلا عيب ولا لوم، يجب أن يساموا من أسقف الكنيسة الجامعة، بعد أن تُعلن معموديتهم. وإن وُجِدوا - بعد الفحص - غير مستحقين، يجب أن يُقطعوا. وكذلك ينبغى أن يحفظ هذا الرسم بالشماسات المعدودات فى الإسكيم بما أنه ليس لهن شرطونية (رسامة) بل هن معدودات من العوام (العلمانيات) فى كل حال».

٢٠- «بما أن البعض. يحنون ركبهم فى يوم الأحد، وفى أيام الخمسين، فقد لاح للمجمع المقدس. حفظاً للرسوم جميعها، فى كل مكان، أن تؤدى الصلوات لله وقوفاً».

---

(١) «مز ١٤:٥».

(٢) نسبة إلى بولس السيمساطي وهـو من سيمساط الواقعة بين النهرين بقرب الفرات. ولذلك دُعىَ بهذا الإسم نسبة إليها.وكان أسقفاً على أنطاكية سنة ٢٦٠م، بعد وفاة أسقفها ديمتريانوس. وقد جدّف على سر الثالوث الأقدس ناكراً أقنومى الإبن والروح القدس، زاعماً أن الله مع كلمته واحد، كما أن الإنسان مع كلمته واحد.

المبحث الثالث

فى الآراء المختلفة الخاصة بتجسّد السيد المسيح

تمهيد:

+ يقول الكتاب المقدس «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد»(١). ولما كان السر فى تنازل الخالق من علو سماه، وظهوره فى جسد إنسان، مـــن القضايا التى يقصُر عن إدراكها العقل البشرى، فـقد تشــعّبت الآراء فــى تصوير تجسّد السيد المسيح: ـ

١- فمن (هرطوقي) قائل إنه وُلِد ولادة طبيعية، بإتصال يوسف بمريم.

٢- ومن قائل، أنه أتى فى جسد خيالى من السماء، ومر فى بطن مريم العذراء.

٣- ومن قائل، أنه ذو طبيعتين منفصلتين، إحداهما لاهوتية والآخرى ناسوتية، ولكل منها عملها الخاص.

٤- ويقول الكاثوليك، أن طبيعته اللاهوتية والناسوتية متحدتان، ولكن لكل منهما عملها الخاص.

٥- ويقول الأرثوذكس، بوجود طبيعة واحدة للكلمة المتجسد.

ويشمل هذا البحث تفصيلاً وافياً لكل من هذه الآراء الخمسة:

أولاً - القائلون أن المسيح إنسان عادى:

+ نادى بهذا الرأى المبتدع (أبيون)، الذى ظهر فى القرن الأول بعد خراب أورشليم وأعلن: أن السيد المسيح لم يكن إلهاً، بل كان إنساناً وُلِد بالطبيعة من مريم ويوسف.

+ ونادى (كيرنثوس) اليهودى أيضاً، الذى اعتنق المسيحية فى القرن الأول. أن يسوع

---

(٢) « ١ تي ٣:١٦».

البار هو إبن يوسف ومريم. وفى أثناء التعميد حلَّ عليه المسيح - وهو أحد الأرواح الخالدة.

+ وقال أيضاً (بولس السميساطى) - فى القرن الثالث - أن المسيح إنسان محض وفيه حلت الحكمة الإلهية.

+ ولا تتفق هذه المجموعة من الآراء مع ما أبداه غير المسيحين كالفُرس الذين أنبأهم - زرادشت رئيسهم الدينى «أن بكراً عبرّانيةً ستلد بغير مجانبة (لقاء جسدي) صبياً فيه قوة إلهية، ويظهر لكم عند مولده كوكب».

+ وكذلك لا يتفق مع ما نادى به الإسلام عن المسيح عيسى بن مريم، أنه **كلمة الله أوحاها إلى مريم، وروح منه.**

+ وأما المسيحية فقد أظهرت طريقة الحَبَل به.فقال الملاك لمريم «الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلى تُظّللكِ فلذلكِ أيضاً القدوس المولود منكِ يُدَعى ابن الله»[1].كما أظهرت أيضاً عدم اتصال يوسف بمريم فى قول الإنجيل: «لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر»[2] .

ثانياً - القائلون أن المسيح نزل فى جسم خيالى:

+ **ونادى بهذا الرأى فى القرن الثانى عدة مبتدعين منهم:**

١- فالنتيوس الذى قال: «إن المسيح نزل من السماء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز الماء فى القناة».

٢- وقال سطرينس: «إن المسيح أتى إلى العالم بغير جسد حقيقى».

٣- وقال مركيون: «إن المسيح أتى لابساً هيئة جسد».

٤- وقال تاتيانُس: «إن المسيح لم يكن ذا جسد حقيقى».

٥- وقال برديسياس: «إن المسيح نزل إلى عالمنا لابساً جسداً سماوياً».

---

(١) «لو ١:٣٥»

(٢) «مت ١:٢٥».

وفى القرن الثالث:

+ نادى مانى أن المسيح نزل إلى عالمنا لابساً جسداً خيالياً. وقد أمسكه اليهود وصلبوه، لكنهم لم يقدروا أن يؤذوا جسده لأنه خيالى.

وفى القرن الرابع:

+ نادى أبوليناريوس أن الكلمة أخذ جسداً نامياً فقط بلا روح وأن اللاهوت مارس وظيفة الروح، وامتزج بالناسوت، حتى أنه احتمل معه الصلب والموت.

+ **ثم ذهب أتباعه فى ذلك مذاهب شتى منها:** أن جسد يسوع المسيح المولود من مريم العذراء كان مساوياً فى الجوهر للاهوت الكلمة. ومنها أن الكلمة لم يتخذ جسده من مريم العذراء، بل أتى به من السماء.

+ وقد اندفع قوم فى ذاك العهد وقالوا أن فى العذراء مريم شيئاً من اللاهوت أثر حلول الروح القدس عليها وتجسُّد الكلمة فيها، فينبغى عبادتها.

وفى القرن الخامس:

+ ظهر أوطاخى (أفتيخوس) – رئيس دير بضواحى القسطنطينية – وتطرَّف فى التعبير عن سر التجسد، فنادى بوحدة طبيعة السيد المسيح، ولكنه أنكر تأنسه، إذ ادعى بإمتزاج واختلاط إحدى الطبيعتين بالأخرى، حتى استحال الناسوت وتلاشى فى اللاهوت (كنقطة خل في محيط).

+ واستمرت بدعته أيضاً للقرن السادس فإعتنقها يوليانس الخيالى.

+ ويدعى كل هؤلاء بالخياليين، لأنهم اعتبروا للمسيح جسماً خيالياً، أو لاهوتاً تلاشى فيه الناسوت.

+ وهذه الآراء لا يمكن قبولها، لأنها تنسب لله جل شأنه، التمويه (الخداع) على البشر، بإعطائهم الخلاص من خطاياهم، بهذه الصورة غير الحقيقية.

+ وقد قرر البابا أثناسيوس فى ذلك أن: «كل من اعترف أن جسد مولانا نزل من السماء، ولم يقل أنه من مريم العذراء، وقال إن اللاهوت استحال إلى الناسوت واختلط وتغير، فإن الكنيسة تحرمه».

ثالثاً - القائلون بفصل طبيعة المسيح اللاهوتية عن الناسوتية

ونادى بهذا الرأى نسطور بطريرك القسطنطينية فى القرن الخامس وترتب على عقيدته هذه ما يلي:-

١- عدم تسمية العذراء بوالدة الإله (Theotokos) بإعتبارها والدة الناسوت وتسميتها «أم يسوع» فقط[١].

٢- انتقاد المجوس فى سجودهم للطفل يسوع، بإعتباره ويحسب معتقده ناسوتاً.

٣- استبعاد الجزء الآخير من الثلاث تقديسات وهى «يا من وُلدتَ.. ويا من صُلّبتَ .. ويا من قُمت .. إلخ». لأن اللاهوت (بحسب معتقده) لم يشترك فى إتمام الولادة والصلب والقيامة.

+ ولكنه لم يكن مصيباً فى الفصل بين الطبيعتين ولا فى النتائج التى رتبها عليها.

+ فأدلة الرّد على الإدعاء الأول، هو عدم تسمية العذراء والدة الإله وتسميتها أم يسوع فقط هى:-

أ- أن العذراء تسمى والدة الإله بإعتبارها أماً له، وكل أم تعتبر والدة لمولودها، حتى ولو كانت مصدراً لناسوته فقط.

ب - ولا يمكن أن تُسمّى أم يسوع فقط، لأن الكتاب المقدس قد نص على أن يسوع، هو «**الله الذى ظهر فى الجسد**» والنتيجة المنطقية لهذه القضية هى أنه نظراً لأن العذراء أم يسوع. ويسوع هو الله. إذن تكون العذراء والدة الإله.

جـ- نطقت اليصابات بالروح القدس، مخاطبه العذراء فقالت «من أين لى هذا أن تأتى

---

(١) من قول نسطور فى ذلك «أنا اعترف موقتاً، أن كلمة الله هو قبل كل الدهور، إلا أنى أنكر على القائل: إن مريم والدة الإله. فلذلك عين البطلان، لأنها كانت إمرأة. ولا أنكر أنها أم المسيح إلا أن الأمومة من حيث الناسوت فقط، لأن مريم لم تلد إلهاً وأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً، وأن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنساناً».

«أم ربى» إلىّ» [لو١:٤٣] وفى هذا النُطق السامى، الدليل الكافى على أن العذراء والدة الإله (Theotokos).

● **وأدلة الرد على الإدعاء الثانى وهو انتقاد المجوس فى السجود للطفل يسوع هى:-**

أ- أن رئيس المجوس (المدعو زرادشت) قال لهم عن هذا الصبى أن «فيه قوة إلهية ويظهر لكم عند مولده كوكب ممتاز».

ب- أن ظهور النجم أمام المجوس، واستقراره حيث كان الصبى كان أكبر دليل لهم على أن لهذا الصبى سلطاناً تخضع له النجوم، فترشدهم إلى موضعه ثم تختفى.

+ ولذلك كان حريًّاً بهم أن يسجدوا لهذا الطفل الممتاز، ويقدموا له هداياهم المعروفة.

● **أما أدلة الرد على الإدعاء الثالث - وهو استبعاد الجزء الأخير من الثلاث تقديسات:** فنظراً لأن الكاثوليك اتبعوا هذا الرأى، فقد وضعت ضمن الوجه (رابعاً) من هذا المبحث الخاص (باتحاد طبيعتى المسيح لفظاً وفصلهما فعلاً» فى نظر الكاثوليك.

+ وقد لمس البابا كيرلس الأسكندرى - معاصر نسطور - انحرافه، ففصّل أسس العقيدة فى أثنى عشر بنداً، وختم كل بند بإيقاع الحرم على كل من يخالفها وهى:-

١- «من لم يعترف: أن عمانوئيل، هو إله حقيقى، ومن أجل هذا أن العذراء الطاهرة هى والدة الإله، لكونها ولدت جسدانياً **الكلمة المتجسد** (Logos) الذى من الله، لكون الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً».

٢- من لم يعترف: بأن كلمة الله الآب، صار واحداً مع الجسد كالأقنوم، وأن المسيح واحد فقط مع جسده، وهو إله وهو إنسان، فليكن محروماً».

٣- من فرّق - من بعد الإتحاد - المسيح الواحد إلى أقنومين، وطابقهما فى بعضهما

بالمصاحبة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان. ولم يحسن أن يُوحدّهما بوحدانية طبيعية فليكن محروماً».

٤- من ميّز تلك الأصوات المذكورة فى كتب الإنجيليين. أم فى رسائل الرسل أم نطق بها الآباء القديسون أم قالها المسيح على ذاته وفرزها إلى أقنومين أم إلى إثنين كل قائم بذاته. ويفهم أن البعض منها لائقة لإنسان خصوصي وحده فقط. كأنه غريب عن كلمة الله وأن البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الآب وحده، فليكن محروماً».

٥- «من تجاسر وقال: إن المسيح الذى يستعمل السلطان الإلهى هو إنسان ساذج ولم يُحسن أن يقول أنه وُلِد بالحقيقة. وإبن واحد بالطبيعة الذى كالإتحاد الأقنومى، واشترك معنا فى اللحم والدم، لكون الكلمة صار جسداً على ما فى الكتب، فليكن محروماً».

٦- «مَنْ قال: إن كلمة الآب هو إله، أم رب المسيح. وليس يُحسِن الإعتراف بأن المسيح هو نفسه إله. وهو إنسان لكون الكلمة صار جسداً على ما فى الكتب، فليكن محروماً».

٧- «مَنْ قال: إن الله الكلمة كان يفعل فى الإنسان يسوع. وإن عزة ابن الله الوحيد اتصلت به كأنه آخر غير الكلمة، فليكن محروماً»

٨- «مَنْ تجاسر وقال: ينبغى أن يُسجد للإنسان الذى أُصعِد إلى السماء مع الله. وأن يُمجّد معه. أو يُسّمى معه إلهاً كأن واحد مع آخر. وهو يضطر أن يعترف بأى زيادة فى كل حين. ولا يُمجّد عمانوئيل بسجدة واحدة. ويوصل إليه هذا المجد فقط لكون الكلمة صار جسداً. فليكن محروماً».

٩- «مَنْ قال إن ربنا يسوع المسيح الإبن الوحيد أنه كان مُمَجَداً من قبل الروح القدس بقدرة غريبة منه. وأنه بنعمة الروح القدس كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على إخراج الأرواح النجسة. وبه يتم الآيات اللاهوتية فى البشرية. ولا يقول إن الروح خاص له وأنه كان يفعل به آيات اللاهوت، فليكن محروماً».

١٠- «أن الكـتاب المقدس يقـول: أن المسيح صار رسولاً وعظيم أحبار إيماننا. وأنه قرّب نفسه لله - لأجلنا ولأجل خـلاصنا - بخوراً طيباً لله الآب. فأما من قال إن الكلمة الله ليس هو الذى صار رسولاً ورئيس الكـهنوت. وتجسد وصار إنساناً مثلنا. بل أنه أخذ جسداً خارجاً عنه وهو إنسان فقط من إمرأة دون الكلمة. ثم ومن قال أيضاً أن المسيح قرَّب نفسه لله الآب لأجل نفسه ولم يُحسِن القول أنه قرَّب نفسه لأجل خلاصنا نحن البشر فقط،لأنه لم يحتج إلى قربان،إذ لم يعرف خطية، فليكن محروماً».

١١- «مَنْ لم يعترف: بأن جسد الرب شافٍ ومُحيّي كونه لكلمة الله الآب، ويعكس الحق ويقول: إنه آخر خارجاً عنه اجتمع بالتمجيد وكان فيه فقط بحلوله ظاهراً. ويقول إنه مُحيّى على ما قلنا لكون الله الكلمة كان ساكناً فيه، غير متحد به بإتحاد أقنومى. ولم يُحسِن كما سبق قولنا: إنه مُعطى الحياة لكونه صار كلمة الله خاصة الذى هو قادر أن يُحيِّى الكُل، فليكن محروماً».

١٢- «مَنْ لم يعترف: بأن الله الكلمة تألم فى الجسد وصُلِب فى الجسد وذاق الموت، وأنه بكر الأموات. مثلما أنه الحياة وهو المُحيِى كالإله، فليكن محروماً».

* وعلى أساس ذلك أصدر المجمع المسكونى الثالث القرار الآتى: «من المجمع المقدس الملتئم فى مدينة أفسس .. وبموجب مراسيم ملكنا. إلى نسطور «يهوذا الثانى» .. إعلم أنه لأجل تعاليمك النفاقية وتمرُّدك على القوانين، قد عُزِلْت وقُطِعت من هذا المجمع المقدس، بموجب قوانين الكنيسة. وحُكم عليك أنك مُفْرَز من كل درجة، ومعدوم كل وظيفة، وغريب من كل خدمة كنسية».

رابعاً- قول الكاثوليك بإتحاد طبيعتىّ المسيح لفظاً وفصلهما فعلاً:

+ نادى الكاثوليك (بروما) بهذا الرأى (واتخذته عنهم الكنائس اليونانية والبروتستانتية). ويظهر ذلك من أقوال أسقفهم ليو الأكبر وغريغوريوس الثالث عشر.

فالأسقف ليو الأكبر:

+ أرسل إلى فلابيانُس أسقف القسطنطينية رسالة (طومس)، لتلاوتها أثناء انعقاد مجمع أفسس الثانى فى القرن الخامس. ومما ورد فيها قوله «حقاً يأتى المسيح الإثنان الإله والإنسان. وأن الأول يُبهر بالمعجزات والآخر ملقى للإهانات». وإن كان المجال لم يسمح بتلاوة هذه الرسالة فى ذلك المجمع، إلا أن موضوعها أثير بعد ذلك فى مجمع خلكيدون، الذى كانت غالبيته من الكاثوليك والنساطرة.وكان له الأثر الأعظم فى قرار هذا المجمع وهو «أن المسيح هو إله تام وإنسان تام مولود بحسب اللاهوت من الآب، وبحسب الناسوت من مريم البتول والدة الإله. ومعروف واحداً بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا ابتدال ولا انقسام ولا انفصال»[1].

+ ويتضح من هذا القرار: أن طبيعتى السيد المسيح (اللاهوتية والناسوتية) متحدتان لفظاً ومنفصلتان فعلاً **وهل يتفق هذا مع الحقائق الآتية؟!**

أ- وُلِدَ السيد المسيح والباب مغلق، واستمرت بتولية العذراء، فتمت بولادته نبوة حزقيال «هذا الباب يكون مُغلقاً لا يُفتح. لأن الرب دخل منه»[2] أفليست هذه الولادة الخارقة للطبيعة، دليلاً على اتحاد اللاهوت بالناسوت قولاً دون انفصالهما فعلاً ؟. لأنه اعتبرت الولادة مُختصة بالناسوت فقط - حسب رأيهم - كان لابد من انفضاض بكارة مريم، كما وقد استمرت بتوليتها كما كانت قبل الولادة، ففى هذا الدليل الواضح على اتحاد اللاهوت بالناسوت قولاً وفعلاً.

---

(١) نص البنود السابقة بكتاب علم اللاهوت للقمص ميخائيل مينا، القسم الخاص بلاهوت المسيح ص ١٩٨ - ٢٠١ ومنسى ٢٨٥ - ٢٨٧ و كنز النفائس فى اتحاد الكنائس تأليف الأستاذ امبرازي (باثينا) وترجمة حزبون (طنطا سنة ١٩٠٤ ص ٧٧)

(٢) حز ٤٤:٢

ب - شفى السيد المسيح الأعمى، بأن تفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً، وطلى به عينيه فلم يكن عمل الناسوت منفرداً - وهو التفل على الأرض وتكوين الطين - كافياً وحده لشفاء عينّى الأعمى - كما أن الشفاء أيضاً لم يكن من عمل اللاهوت منفرداً، دون اشتراك الناسوت معه. إذن تكون النتيجة أن الطبيعة الناسوتية، المتحدة مع اللاهوتية، للكلمة المتأنس هى التى قامت بهذه الأعجوبة، ولا يمكن فصل قوة عمل إحداهما عن الأخرى.

جـ - نطق السيد المسيح بعبارة «لعازر حبيبنا قد نام»[1] دون أن يصله خبر وفاته - كما نطق بعبارات تنبئ بحوادث مستقبله فيما يأتى :-

١- «ابتدأ يسوع يُظهِر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم. يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم»[2].

٢- «الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيُسلّمنى. وهو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى»[3].

+ ولم تكن هذه العبارات مع ما فيها من قوة إدراك خفايا الأمور، وسلطان لمعرفة الحوادث المستقبلة صادرة عن اللاهوت منفرداً، لأن المتحدث بها هو الناسوت. كما أنها لا يمكن أن تنسب إلى الناسوت منفرداً. إذن تكون النتيجة أن الطبيعة الناسوتية - المتحدة مع اللاهوتية للكلمة المتأنس - هى التى نطقت بهذه العبارات، ولا يمكن فصل قوة عمل إحداهما عن الأخرى.

د - يسجد المسيحيون لمخلصهم يسوع المسيح، بقصد العبادة المقرونة بفروض الشكر على الفداء ويعتقد الكاثوليك، أن الآم هذا الفداء، وقعت على الناسوت فقط دون اللاهوت.

---

(١) «يو ١١:١١»

(٢) «يو ٢١:١٦»

(٣) «يو ٢١:١٣ - ١٦»

+ فإذا كان هذا السجود موجهاً إلى اللاهوت فقط – بحسب نظرهم – فهذا يسلب الناسوت حق الشكر الواجب له على الإنسان.

+ ولا يمكن أن يقال أن المقصود بهذا السجود هو الناسوت فقط، لوقوع الآم عليه – دون أن يكون موجهاً إلى اللاهوت، إذن يجب أن يكون السجود موجها من الإنسان، إلى الطبيعة اللاهوتية المتحدة مع الناسوتية دون أنفصال بينهما بناء على ذلك :

+ لا يمكن القول مع الأسقف ليو، عن اللاهوت أنه (يبهر بالمعجزات) وحده، وعن الناسوت أنه (ملقى للإهانات) بمفرده – بل يتحتم، أن يكون طبيعة اللاهوتية متحدة مع الناسوتية، فى الكلمة المتأنس، (دون انفصال بينهما قولاً ولا فعلاً) هى التى أبهرت بالمعجزات واحتملت الإهانات.

+ وقد أدرك هذا خطأ سابقه يوليوس أسقف رومه فى القرن الرابع، فأنكر الإعتراف بطبيعتين فى رسالته إلى ديوناسيوس أسقف قبرص بقوله: «الذين لا يعترفون بالإله الذى نزل من السماء أنه تجسَّد من عذراء، وأنه واحد مع جسده، يثقون فى قول المنافقين الذين يقولون ـ على ما بلغنى ـ أنه ذو طبيعتين .. بالضرورة لزم الذين يعتقدون بطبيعتين أن يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للأخرى»(١) وقال فى رسالة له عن التجسد «كما هو مكتوب .. فإنه إذا سجد أحد للكلمة قد سجد للجسد .. وإذا سجد للجسد فقد سجد للاهوت»٠

+ كذلك لم يعتقد خليفته انوريوس أسقف رومة فى القرن السابع. بوجود مشيئتين للسيد المسيح. فخضع للرأى الذى أبداه الإمبراطور هرقل بوجود مشيئة واحدة وأرسل لسرجيوس بطريرك القسطنطينية يقول [أنه من حيث المشيئة يعترف بمشيئة واحدة فى المسيح](٢) والإعتراف بالمشيئة الواحدة ينقض التعليم بوجود طبيعتين.

أما غريغوريوس الثالث عشر:

+ فقد أصدر منشوراً فى ١٤ شباط سنة ١٥٧٧م – يتضمن الأمر، بعدم تلاوة الجزء

(١) انظر تاريخ الإنشقاق لجراسيموس مسرة ص ١٩٢، وايسونورس ج ١ ص ٤٦٣.

(٢) ايسونورس ج ٢ ص ١٢٤.

الأخير من الثلاث تقديسات وهى «يا من وُلدت .. ويا من صُلبت .. ويا من قُمت ..». ويقصد من منشوره هذا، أن ينسب الولادة والصلب والقيامة، للناسوت فقط، ولا يستسيغ نسبتها إلى اللاهوت معه.

+ ولكن إن قيل أن الناسوت فقط، هو الذى قام بالفداء، فليس من المقبول عقلاً أن يستطيع هذا الناسوت - مهما كان طاهراً - أن يمحو خطايا البشر أجمعين.

+ ولو كانت الإهانات، التى لاقاها يسوع، موجهة إلى الناسوت فقط، لكان جزاؤها لا يقاس، بما إذا كانت موجهة إلى اللاهوت المتحد بالناسوت (الإله المتأنس).

+ وهل الإهانة الموجهة إلى شخص عادى، يكون جزاؤها، كنفس الإهانة إذا كانت موجهة إلى الملك؟.

+ إذن لابُد أن يكون اللاهوت. قد اشترك فى الآلام مع الناسوت. فأعطاه القيمة الكبرى التى تتناسب مع أهمية عمل الفداء. وإيفاء العدل الإلهى حقه على البشرية.

+ ويمكن التدليل على اشتراك اللاهوت مع الناسوت فى الآلام - دون أن يتأثر جوهره - بالمثل الآتى:-

+ تقع أحياناً آلام على روح الإنسان - نتيجة بعض الشتائم والإهانات - ثم يتأثر الجسم منها - بحكم اشتراكه مع الروح - وقد ينتابه بعض الضعف.

+ وتقع أحياناً آلام على الجسم - كبتر أحد أعضائه - فتشترك معه الروح فى الآلام. وفى كلا الحالتين لا يمكن أن يُنقِص شئ من الروح فى جوهرها، بالرغم من أن الجسم ينتابه النُقصان.

+ وعلى هذه الصورة يكون اللاهوت قد اشترك مع الناسوت فى الآلام اشتراكاً أدبياً دون أن ينقص شئ من جوهره.

+ وقد أيد ذلك يوليوس أسقف رومة (السابق ذكره) بقوله: «لما صلب اليهود الجسد،

فالله الكلمة المتجسد هو الذى صلب. وليس فى الكلمة الإلهية فرق بين الكلمة وجسده، بل هو طبيعة واحدة وفعل واحد»(١).

+ كما اقتنع الموارنة بهذا الرأى أيضاً بالرغم من أنهم يتبعون كنيسة روما - فخالفوا بذلك منشور الأسقف الروماني غريغوريوس(١٣).

+ وورد عنهم فى تاريخ سوريا ليوسف الدبس (م ٥ ص ١٤٩) ما يأتى:-[إن ليوحنا مارون «أبى الموارنة» رسالة فى التريصاجيون Tri - Sagion (الثلاث تقديسات) عنوانها: جواب على من يزعمون أننا نعزو الصلب إلى الثالوث الأقدس إذ نزيد على التقديسات «يا من صلبت لأجلنا» وقد أورد سيادته فقرة منها وهى:-

+ «إننا نبين لسؤالكم - أيها الأبناء الأحباء. هل ينبغى أن يترنم بالتقديسات مع الزيادة عليها «يا من صلبت من أجلنا»؟ ومتى يترنم بذلك ؟ فاعلموا أن هذه التسبحة توجه تارة إلى الثالوث الأقدس وتارة إلى أحد الأقانيم الإلهية فقط. فإذا وجهت إلى الثالوث المسجود له لم يسغ البتة أن يلحق بها «يا من صلبت». على أن التسبحة توجه أحياناً إلى أحد أقانيم الثالوث وهو الإبن، وذلك بيّن فى نوافير (قداسات) الرسل القديسين وأبائنا الطهار. الذين ذكرناهم آنفاً. فمتى وجهت هذه التسبحة إلى الإبن. فلا مانع من أن يزاد عليها ذكر الآلام والصلب والموت والدفن والقيامة. وباقى أسرار تدبير مخلصنا. إذ - بكل تأكيد - أن الإبن تألم وصلب ومات لأجلنا». -

+ وإذا ثبت أن الموارنة استعملوها بهذا المعنى فلا يؤخذ من ذلك أنهم كانوا غير كاثوليكيين .. على أننا لا ننكر أن هذه الزيادة استعملت وقتاً ما فى كتب فروضنا. ولكن بالمعنى الكاثوليكى الذى أشار إليه القديس يوحنا مارون .. ولذلك لما أمر البابا غريغوريوس الثالث عشر برفع هذه الزيادة لم يوجب عى الموارنة شبه بدعة](٢).

---

(١) ايسونورس جـ ١ ص ٤٦٤ .

(٢) أنظر ايسوزروس جـ ١ ص ٥٥٩ - ٥٦٢

● وفى الأسانيد الآتية الدليل الكافى، على نقض منشور غريغوريوس المذكور، وإثبات صحة الثلاث تقديسات بوضعها الكامل:

١- أن نسطور قد سبقه. فى المناداة بهذا الرأى. فى القرن الخامس. فحرمه المجمع المسكونى الثالث (الذى انعقد فى أفسس عام ٤٣١م).

٢- أن بطرس الرسول. الذى يعتبره الكاثوليك. مؤسس الكنيسة فى رومه. قد أمر بتلاوة هذه الثلاث تقديسات بنصها بالكامل. واستمرت تلاوتها بهذا النص. من بدء تأسيس كنيستهم. إلى أن جاء هذا الأسقف. وأمر بحذف الجزء الأخير منها. فى القرن السادس عشر.

٣- أن الأسقف أغناطيوس الثيؤفورس - خليفة الرسولين بطرس وبولس -على كنيسة أنطاكية (سوريا)؛ قد اذاعها فى ابروشيته بنصها الكامل ومازال السوريان يتلونها. منذ بدء تأسيس كنيستهم إلى الآن.

٤- وردت هذه الثلاث تقديسات كاملة فى كتاب ترتيب أسبوع الآلام للكنيسة القبطية لتلاوتها عند ذكرى الدفن. لأن يوسف ونيقوديموس. كانا يتلوانها أثناء تحنيط جسد السيد المسيح. ومازالت الكنيسة تتلوها فى كل صلاة إلي الآن.

خامساً - قول الأرثوذكس بإتحاد طبيعتى المسيح لفظاً وفعلاً:

تنادى بهذا الرأى الكنيسة القبطية، والسُريانية، والأرمينية، وجميع أتباعها من الكنائس الأرثوذكسية، وتطلق عليه تعبيراً آخر، وهو «**وجود طبيعة واحدة للكلمة المتجسد**» ...

وأثبات صحة هذه العقيدة يتضح مما يأتى:-

(أ) من الكتاب المقدس:

(ب) من أقوال بعض الأباء

(ج) من دفع اتهام الكنيسة القبطية بأنها تتبع بدعة أوطاخى.

أ - من الكتاب المقدس

+ تثبت بعض آيات الكتاب المقدس، أن الكلمة المتجسد **طبيعة واحدة**، لأنها لا تُميّز بين طبيعتىّ اللاهوت والناسوت.

١- نطق السيد المسيح بالآية الآتية: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»[1] يجد الباحث أن المتحدث هو الناسوت، وأن الحديث يدل على أزليته، مع أن الناسوت له بدء والأزلية من صفات اللاهوت. وفى ذكر كلمة (أنا) عن ذاته، دليل على وجود الطبيعة الواحدة فى الكلمة المتجسد.

٢- ورد فى رؤيا يوحنا عن المسيح قوله [أنا هوالأول والآخر، والحى وكنت ميتاً، وها أنا حى إلى أبد الأبدين][2].

+ يجد الباحث أن المتحدث هو اللاهوت الأزلى الأبدى، ولكنه يقول أيضاً «كنت ميتاً»، مع أن الموت لم يقع بالفعل على اللاهوت - بل وقع على الناسوت. وفى تصدير هذا القول واختتامه بكلمة (أنا) عن ذاته دليل على وجود الطبيعة الواحدة فى الكلمة المتجسد.

٣- قال بولس الرسول عن السيد «يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد»[3].

+ يجد الباحث أن إسم [يسوع] المقصود بالحديث لم يُطلقَ على الإبن الكلمة إلا بعد أن تأنس. وهذا الحديث ينسب إليه الوجود الدائم وهو من صفات اللاهوت. وفى ذكر كلمة [هو] مكررة عن ذات يسوع تأكيد الدليل على وجود الطبيعة الواحدة فى الكلمة المتجسد.

٤- قال يوحنا الرسول عن المسيح [ليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذى نزل من

(١) «يو ٨:٥٨»

(٢) «رؤ ١:١٢»

(٣) «عب ١٣:٨»

السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء][1]. وقال بولس الرسول [الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات، لكى يملأ الكل][2].

+ ويجد الباحث أن المقصود بهذا الحديث [إبن الإنسان]، وهو اللقب الذى اتخذه الإبن الكلمة – بعد أن تجسد. والحديث يُنسب إليه النزول والصعود إلى السماء، وهما من عمل اللاهوت. وفى ذكر كلمة [الذى] عن ذاته، الدليل على وجود الطبيعة الواحدة فى الكلمة المتجسد.

٥- قال الإنجيلى يوحنا: «الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبرّ»[3].

+ وهنا يتحدث الإنجيلى عن الإنسان المنظور أمامه، وهو السيد المسيح، ويقول عنه أنه موجود فى حضن الآب، وأن رسالته إلى العالم. وهذه الصفات من خصائص اللاهوت. وفى ذكر كلمة (هو) مكررة عن ذات الإبن، تأكيد الدليل على وجود الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد.

٦- صدر النطق الإلهى من السماء، موجهاً إلى يسوع الذى كان يتعمد فى الماء أمام يوحنا المعمدان بالنص الآتى:-

+ «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُررت»[4]، فلا يمكن أن يقال أن المقصود بـ (الإبن الحبيب)، هو الناسوت فقط، لأن الناسوت بمفرده لا يصلح أن يكون أبناً حبيباً لله الآب. كما لا يمكن أن يُقال إن المقصود هو لاهوت الإبن، لأن النطق الإلهى صدر عندما كان المسيح قائماً فى الماء. إذن تكون النتيجة أن المقصود بذلك هو الإبن "الكلمة" المتجسد.

٧- قال يوحنا الإنجيلي «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد»[5]. مُظهراً محبة الله للعالم، فى بذل إبنه. فلا يمكن أن يُقال أن المبذول هو الناسوت فقط. لأن

---

(١) «يو ١٣:٣» .
(٢) «أف ١٠:٤» .
(٣) «يو ١٨:١» .
(٤) مت ١٧:٣ .
(٥) يو ١٦:٣ .

المقصود فى هذا النص هو [ابن الله الوحيد]. ولا يمكن أن يقال أن المبذول هو لاهوت الإبن فقط، لأن البذل وقع فعلاً على الناسوت. إذن تكون النتيجة أن المقصود بذلك هو الإبن الكلمة المتجسد.

٨- ورد فى حديث لبولس الرسول:«كنيسة الله التى اقتناها بدمه»[١]، مُظهراً أهمية عمل الفداء للكنيسة. ولا يمكن أن يُقال أن المقصود هو دم الله لأن الله روح ليس له لحم ولا دم. ولا يمكن أن يُقال أن عمل الفداء قد تم بدم الناسوت فقط. لأن النص ينسب الدم لله. إذن تكون النتيجة أن المقصود هو نسبة عمل إحدى الطبيعتين للأخرى. وبالأحرى أن الفداء قد تم بواسطة الإبن الكلمة المتجسد.

• وهو عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية.

ب - من أقوال الآباء :

+ ورد فى كتاب (اعترافات الآباء) أقوال صريحة تثبت عقيدتهم فى الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد. نقتطف منها ما يأتى :-

١- **من قول غريغوريوس العجائبى** «الله الحقيقى ظهر فى الجسد. وهو تام فى اللاهوت الحقيقى الكامل. ليس هو شخصين ولا طبيعتين ولا نقول أننا نعبد رابوعاً. الله. وابن الله. وإنساناً. والروح القدس ... إن كلمة الله صار إنساناً من أجل خلاصنا. لننال صورة الإنسان السماوى. ويُصيرنا كصورة الإبن الحقيقى»[٢].

٢- **ومن قول القديس باسيليوس** فى تفسيره الآية القائلة «**أن الرب خلقنى**» [لسنا نقول عن الإبن الوحيد أنه إثنان. ولا نقول أن «اللاهوت» منفرد بذاته. ولا «الناسوت» بذاته. بل نقول طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً. لأن بطرس السليح (الرسول) لم يذكر

---

(١) «أع ٢٠:٢٨»

(٢) كل هذه الأقوال نقلاً عن ايسونورس ص ٤٦٢ - ٤٨١.

طبيعتين لكن اعترف وقال «أن المسيح تألم من أجلنا بالجسد».وأيضاً من جهة ولادته بالجسد بشّر الملاك الرعاة قائلاً:«إنه قد وُلِد لكم اليوم مُخلّص، المسيح الرب»].

٣- **ومن أقوال القديس غريغوريوس الثيؤلوغس:**[هو أُقنوم واحد،طبيعة واحدة، سجدت له المجوس لأن وحدانية الله الكلمة ليست بعدد طبائع ولا أقانيم، فقد وُلِد من عذراء، وحفظ أيضاً عذريتها وبتوليتها بلا تغيير .. هو ابن واحد وليس للمسيح طبيعتان بعد الإتحاد، ولا هو مفترقاً ولا مختلطاً فى ما اجتمع من الجهتين، لأن طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا إلى وحدانية].

٤- **ومن قول القديس فم الذهب** فى المقالة الثالثة من تفسير أفسس «أن الله الكلمة أخذ الإنسان كله من طبيعتنا وهو كامل فى كل شئ، وله أقنومه فيه، أعنى الكلمة - فلأجل هذا نقول عنه أنه طبيعة واحدة: الله الكلمة صار جسداً».

٥- **ومن أقوال البابا كيرلس الأسكندرى**، فى رسالته إلى الملك ثيؤدوسيوس «إننا لا نُعَرِّى الناسوت من اللاهوت، ولا نُعَرِّى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الإتحاد الغامض، الذى لا يمكن تفسيره، بل نعترف بأن المسيح الواحد، هو من شيئين اجتمعا إلى واحد مؤلف من كليهما. لا يهدم الطبيعتين، ولا بإختلاطهما، بل بإتحاد شريف فى الغاية».

+ وفى كتابه عن تجسد الكلمة «متى أتفق شيئان متخالفان واتّحدا بتركيب، وقيل إن أحدهما حالّ فى الآخر، فلا يجب أن يُقَسَما إلى إثنين، ولا ينبغى أن يُنزَع الإتحاد من بينهما».

+ وفى رسالته الثانية إلى سوكيسُس أسقف الهيسورية مُسَفهاً رأى من يتهموه بإمتزاج الطبيعتين: "هم يتفوهون بكلام عزيز أعنى الذين يقولون إن كان للكلمة المتجسد طبيعة واحدة، فهذا الفعل يُضاف إليه أنه اختلط أو امتزج، إن كانت الطبيعة نقصت أو خفيت. وقولنا إنه تجسد، يكفى فى تبيين أنه صار إنساناً. فلو سكتنا عن هذا لكانت وقيعتهم تجد السبيل».

+ وفى الإعتراض على من يعتقدون بطبيعتين: «ليكن هذا برهاناً أعنى الإنسان الذى تفتّهم أن له طبيعتين، واحدة هى النفس، والأخرى هى الجسد، ونحن نعرف هذا بقلوبنا، ولا نقسم الطبيعتين، بل هو واحد نعرفه، حتى أن هذين الإثنين، لا يكونان

بعد إثنين، بل يكون منهما حيوان واحد،وهو الإنسان. هكذا إذا قلنا عن عمانوئيل أنه من طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت، فإن الناسوت قد صار الكلمة، وهو ابن واحد معه".

جـ - دفع اتهام الكنيسة القبطية بأنها تتبع بدعة أوطاخي:

+ يظن البعض أن الكنيسة القبطية - ومن يعتقد بعقيدتها في الطبيعة الواحدة تتبع عقيدة أوطاخي المبتدع، الذى نادى بإمتزاج ناسوت المسيح وتلاشيه في لاهوته وبوقوع الألم على اللاهوت، ويستندون فى ذلك، إلى أن البابا ديوسقورس - لما كان رئيساً لمجمع أفسس الثاني - قرر قبوله فى عضوية الكنيسة.في حين أن استدعاء أوطاخي للمثول أمام المجمع المذكور - كان لمحاكمته على بدعته هذه - وقد أظهر أثناءها الندم،واعترف بخطئه وأقرّ بصحة العقيدة الأرثوذكسية في قوله «إني أعتقد بعقيدة الآباء القديسين، وألعن كل من يقسم المسيح الواحد إلى طبيعتين أم جوهرين أم أقنومين بعد الإتحاد - ثم أندم على قولي واعترافي الذى تظاهرت به في القسطنطينية. وأسجد لطبيعة واحدة هي لاهوت الإبن الوحيد المتأنس[1]».

+ ولما رأى البابا ديوسقورس - بعد هذا الإعتراف - أن غالبية أعضاء المجمع قد قررت قبوله فى عضوية الكنيسة كان هو آخر الموافقين على ذلك.

- **ويظهر خطأ هذا الظن أيضاً من الأدلة الآتية:-**

١- أنه لما أُثير موضوع بدعة «أوطاخي» بعدئذ فى مجمع خلكيدون - قال البابا ديوسقورس ما نصه «إن كان رأى أوطاخي لا يتفق مع رأى البيعة، فهو لا يستحق العقاب فقط بل النار»[1].

٢- أرسل البابا ديوسقورس - وهو فى المنفي - رسالة إلى تلميذه أبريطن قال فيها:

---

(١) ايسونورس جـ ١ ص ٥٠٤

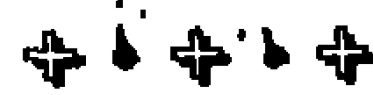
«يجب أن نُخرِج عنا، كل من يقول أن الله الكلمة تألم أو مات بلاهوته. أما نحن فما نؤمن هكذا ، بل نؤمن أن الله الكلمة صار جسداً بحق وبغير آلم ولا موت بالجملة بلاهوته. لكن قوماً يظنون، أننا إذا قلنا : إن المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نوجد فى هذا القول موافقين لمجمع خلكيدون. ونحن نجيبهم ونقول: «إذا كان أهل مجمع خلكيدون يعترفون، أن الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فإننا نوافقهم».

+ ويظهر من هذا أن البابا يقطع (يحرم) كل من يعتقد ببدعة أوطاخى، فى أن الألم وقع على اللاهوت.

٣- أن بعض بابوات الأسكندرية، الذين خلفوا البابا ديوسقورس، أمثال البابوين بطرس منغوس فى القرن الخامس وثيؤدوسيوس فى القرن السادس، قد حرموا من يعتقد ببدعة أوطاخى.

٤- أن البابا كيرلس السنجارى - فى القرن العاشر - أراد أن يُضيف على الإعتراف (الذى يُتلى فى نهاية القداس)، هذه العبارة (وجعله «الجسد» واحداً مع لاهوته) - فإعترضه رهبان وادى النطرون - لئلا يُستنتج من معناها، أن الكنيسة تعتقد بعقيدة أوطاخى. ولمنع هذا الإلتباس. أضيفت إليها هذه العبارة «**بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير**».

٥- أن موسهيم المؤرخ البروتستانتى. أوضح الفرق بين العقيدة الأرثوذكسية وعقيدة أوطاخى فى قوله «أن افتيخُس (أوطاخى) أعتقد أن طبيعة المسيح الإلهية امتزجت بالإنسانية. حتى صار المسيح بطبيعة واحدة إلهية .. أما هذه العبارة مع أفتيخس، فقد تركها ورفضها مقاومو المجمع الخلكيدونى .. (ويقصد بذلك الأرثوذكس الشرقيون) ولهذا يسمون **ذوى الطبيعة الواحدة لا أفتيخيين**. لأن كل الذين يُطلَق عليهم هذا الإسم، اعتقدوا أن الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط بدون تحويل أو امتزاج».



(تم الجزء الأول)

الجزء الثاني

في تاريخ الكنيسة القبطية
من عصر المجامع المسكونية إلي الوقت الحاضر

مقدمة:

+ قضت الكنيسة القبطية الأربعة القرون الأولي في المسيحية - علي فترتين إحداهما فترة الثلاثة قرون الأولي - التي ذاقت فيها العذاب ألواناً من الأباطرة الوثنيين الرومان، والأخري من القرن الرابع الذي كان فيه الأباطرة البيزنطيون مسيحيين. واشتهرت فيه بعض المجامع المسكونية - وفي كلتا الفترتين صمدت الكنيسة أمام الاضطهادات - وفاقت الكنائس الأخري في عدد الشهداء، وفي ابتداع نظام الرهبنة، وكان لها الدور الفعلي في قيادة هذه المجامع المسكونية لكثرة علمائها - وظهر في الدفاع عن العقيدة المسيحية كثيرون أمثال أثناسيوس في المجمع الأول - وتيموثاوس في الثاني وكيرلس الأول في الثالث، كما توضح ذلك في الجزء الأول.

+ إلا أن الحال قد تغيّر في القرن الخامس، حين حسد أساقفة روما الكرسي الاسكندري واستعانوا بالأباطرة البيزنطيين (حكام مصر في ذلك الوقت) في نفي باباواته وتعيين بطاركة دُخلاء يشايعونهم، ومؤيَدين من الملك البيزنطي - فدُعوا بالبطاركة الملكيين - وأنقضي قرنان والكنيسة القبطية مُحارَبة من هؤلاء البطاركة الدُخلاء علي الكرسي المرقسي المصري.

+ ولما استولي عَمر بن العاص علي مصر - صارت الكنيسة القبطية تحت الحكم الاسلامي - في عصور مختلفة - فمن القرن السابع الي التاسع حكم مصر الخلفاء الراشدين من مكة، والأمويون من دمشق، والعباسيون من بغداد، وكانت كل دولة تُرسل الولاة لحُكمها - وهو ما تضمنه:

* **القسم الأول** من هذا الجـزء وهو **حكم مصر من الخارج** - ومن القرن التاسع إلي القرن السادس عشر، حكم مصر الطولونيون والأخشيديون من القطائع، والفاطميون من القاهرة - والأيوبيون من القلعة، والمماليك البحرية من الروضة، والمماليك الشراكسة من القلعة.... وهذا ما تضمنه:-

* **القسم الثاني**، وهو **الحكم المحلي**... ومن القرن السادس عشر إلي القرن العشرين تدّخل الاجانب سياسياً ومذهبياً ودينياً في السيطرة علي مصر من كاثوليك روما وعثمانيين أتراك وفرنسيين، ومن أسرة محمد علي، ومن الانجليز وهذا ما تضمنه:

* **القسم الثالث وهو التدخل الأجنبي**... وفي القرن العشرين نالت مصر استقلالها وحدثت الثورة سنة ١٩٥٢ وهي خاتمة هذا الكتاب.

+ وتتميز هذه الفترات – من القرن الخامس الي الآن – بما لاقاه المسيحيون من ظلم الولاة وقسوتهم. وبما فُرض عليهم من ضرائب باهظة وإلي حد إلزامهم بلبس خاص – إلي طرد الموظفين من الدواوين وإلي التضييق عليهم في العبادة، وإلي حضهم علي اعتناق دين آخر – وهدم كنائسهم. وقد استشهد كثير من الأقباط في هذه الفترات.

+ لم يُضعف كل هذا إيمان الكنيسة – بل زادت في تمسكها بعقيدتها... فبقيت تكافح الزمن... وستبقي والرب في وسطها، فلن تتزعزع إلي الأبد. وأبواب الجحيم لن تقوّي عليها، حسب وعد الله لها.

✢ ✢ ✢

القسم الأول

حكم الولاة (التبعية)

من نحو نصف القرن الخامس إلي أواخر القرن التاسع

+ وتتضمن هذه المدة – حُكم الدولة البيزنطية إلي منتصف القرن السابع – ودخول الاسلام، وعهد الخلفاء الراشدين، ثم حكم الدولة الأموية وبعدها حكم الدولة العباسية. وكانت فيها مصر تُحكم من القسطنطنية ومكة ودمشق وبغداد.

الباب الأول

الحكم الروماني

+ ويمتاز بانعقاد مجمعَي أفسس الثاني وخلقيدونيا الذي قسم الكنيسة. وظهور البطاركة الملكيين لحكم مصر سياسياً ودينياً.والمساعي التي بذلها بعض الأباطرة لاتحاد الكنيسة.

الفصل الأول

مجمع أفسس الثاني

والبابا القبطي ديوسقورس (٤٤٤ - ٤٥٤م)

+ بعد أن أنتهي مجمع أفسس الأول (المسكوني الثالث) من حرم نسطور وكان قائد الحركة ضده بابا الاسكندرية (كيرلس عامود الدين) كاد النساطرة لكرسي الاسكندري وسعوا في ضم بعض الأساقفة اليهم.

بدعة أوطاخي:

+ ظهرت في هذه الأثناء بدعة في القسطنطينية سقط فيها اوطاخي (أفتيشيس) رئيس دير بالقسطنطينية.

+ فبينما كان يدافع عن عقيدة الكنيسة ضد عقيدة النساطرة (بفصل طبيعة السيد المسيح اللاهوتية عن الناسوتية) تطرف في دفاعه حيث قال «ليس هو إنسان مثالنا ولا جسده كان من العذراء وليس له الطبيعة الناسوتية لكن طبيعة الكلمة فقط»[1] وبذلك وقع هو في بدعة أخري وهي «خيالية السيد المسيح».

+ فعقد بطريرك القسطنطينية (فلابيان) في سنة ٤٤٨م مجمعاً مكانياً في القسطنطينية برئاسته من ٣٠ أسقفاً للنظر في هذه البدعة.

+ ولما كان هذا البطريرك نسطورياً فقد وجّه لأوطاخي أسئلة لا تتفق مع العقيدة الأرثوذكسية وتميل الي النسطورية منها قوله: «أتعتقد بطبيعتين بعد التجسد[2]؟» فأجاب بالرفض - فحرمه المجمع من درجته..

+ وكان لأوطاخي أصدقاء في البلاط الملكي، فسعوا لدي الامبراطور ثيؤدوسيوس

---

(١) مجمع خلقيدون،طبع روما سنة ١٤٩٦ م باب ٤ ص ١٦.

(٢) الكتاب السابق، باب ١٣، ص ٤٢.

الصغير في استئناف قضيته أمام مجمع مسكوني. فدعا الامبرطور إليه في مدينة أفسس سنة ٤٤٩م.

دعوة البابا ديوسقورس:

+ ولما كان للكرسي الاسكندري دور هام في إظهار العقيدة الأرثوذكسية، في المجامع السابقة. فقد أرسل الامبراطور خطاباً يدعوه فيه لرئاسة المجمع. كما وجه خطاباً آخر يمنع ثيؤدوريتس النسطوري من دخوله.

+ ومما جاء بهذا الخطاب قوله «نهب لقدسكم سلطاناً ونجعلك مُنفِذاً ليس فيما يختص بإبعاد ثيودوريتس فقط بل ومايختص بكل المجمع المقدس... ويكونون في طاعة قدسك المشهور بنعمة الله في السيرة الحميدة»(١).

+ وقد أثار هذا الخطاب حسد «ليو» (لاون Leon) أسقف رومه للكرسي الأسكندري بسبب استمرار توليته رئاسة المجامع المسكونية... فأنضم ضده إلي النساطرة. وأرسل طومس (رسالة) مع بعض النواب إلي «فلابيان» النسطوري بطريرك القسطنطنية جاء فيها «حقاً يأتي المسيح الأثنان - الإله والإنسان - الأول يُبهر بالمعجزات والثاني ملقي للإهانات»!!

جلسات المجمع:

+ انعقد المجمع في أغسطس ٤٤٩م بمدينة أفسس برائاسة البابا ديوسقورس وبحضور أساقفة الكرسي الاسكندري ويوبينال أسقف أورشليم ودمنوس أسقف انطاكية وفلابيان أسقف القسطنطينية، ويوليانس نائباً عن أسقف رومه. وآخرون منهم مندوب الملك (ثيؤدوسيوس الصغير).

+ وافتتح الجلسة القديس يوحنا رئيس أساقفة أفسس. إذ أعلن رغبة امبراطوَّري القسطنطينية وورمه في عقد هذا المجمع، لاستئناف قضية أوطاخي، ثم بدأ في تلاوة

(١) مجمع خلقيدون ب ١٨ ص ٨٩.

مرسوم امبراطور القسطنطينية الخاص بذلك، فاعترض نواب رومه - بأن لديهم رسالة من أسقفهم طالبين تلاوتها أولاً.

+ فأجابهم الرئيس البابا ديوسقورس بقوله: «يُقبل ماكتبه قُدس أخينا لاون، ورفيقنا في درجة الاسقفية[1] وأودعت الرسالة في سكرتيرية المجمع.

+ ثم أثير موضوع ترتيب تلاوة الرسائل، فقرر المجمع أن يبدأ تلاوة المراسيم الملكية المنصوص فيها علي ضرورة التمسُّك بالعقيدة التي أقرَّتها المجامع المسكونية السابقة.

+ وعلي أثر تلاوتها قال الرئيس «لنفحص إن كانت هذه الأمور التي حدثت توافق فرائض آبائنا القديسين أم لا؟.. أم لعلكم تريدون أن تُجددوا شيئاً علي اعتقاد الآباء الاطهار؟

+ فأجاب المجمع «إن جدَّد أحد فليكن محروماً... إن الآباء فرضوا كل شيء بغاية الكمال»، ثم طلب معتمد الملك أن يحضر أوطاخي ليدافع عن نفسه... فوافق المجمع علي ذلك. وقال أسقف أورشليم «الواجب أن يحضر أوطيخا الارشمندريت العابد ويحتج عن نفسه».

+ وعند الشروع في تلاوة محاضر جلسات مجمع القسطنطينية المكاني والمستأنف أمام هذا المجمع طلب نواب رومه تلاوة رسالة أسقفهم أولاً.

+ فقال أوطاخي «إنني مُتشكك بالرجال المرسلين من قبل البابا، لأنهم لما وصلوا إلي هذه المدينة نزلوا في منزل «فلابيان» وهذا أكرمهم للغاية، فلذلك أتضرع أن تنظروا إليَّ لئلا يقضوا (يحكموا) عليَّ بغير الصواب». فلم تُقرأ الرسالة. وبدأ المجمع في بحث ماجري في مجمع القسطنطينية المكاني، وأنتقد المجمع السؤال الآتي الذي وجهه فيه «فلابيانس» إلي «أوطاخي» وهو «أتعتقد بطبيعتين بعد

---

(١) الكتاب السابق ب ١٥ ص ٤٦.

التجسد؟» وأظهر المجمع أن هذا لا يتفق والعقيدة الارثوذكسية، بخصوص الإبن المتجسد ذي الطبيعة الواحدة.

+ ولما عُرِض السؤال الآخر. الموجه اليه: وهو «إن لم تعترف بطبيعتين بعد الاتحاد لقد أدخلت بينهما الامتزاج»[1] وقف أوطاخي وقدّم صورة عقيدته المأخوذة من قانون مجمع نيقيا ومنها قوله: «إني أومن برب واحد يسوع المسيح إبن الله الوحيد مولود من الآب أي من جوهر الآب. إله من إله... مولود غير مخلوق... مساوٍ للآب في الجوهر... أعني ذات واحدة مع الآب الذي من أجلنا نزل وتجسد وصار أنساناً وتألم وقام في اليوم الثالث... أما أولئك الذين يقولون بقبوله الاستحالة أو التغيير فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الكاثوليكية (الجامعة) الرسولية... وأني أحرم ماني وفالنتينوس وأبوليناريوس ونسطور... أولئك الذين يقولون إن جسد ربنا نزل من السماء».

+ وبمقارنة هذه العقيدة بعقيدة الآباء أثار المجمع الذكري الطيبة للبابا كيرلس الأول الاسكندري، الذي دافع عن هذه العقيدة في المجمع المسكوني الثالث.

+ وقد تبيّن مطابقة «عقيدة» أوطاخي هذه لعقيدة الآباء، إذ قال عنها أسقف أورشليم وانطاكية أنها عقيدة أرثوذكسية. ووافقا علي قبوله... كما وافق علي ذلك بقية الأعضاء.

+ ثم أحضروا رهبان اوطاخي فأقرُّوا بما قاله رئيسهم. فتقرر قبولهم أيضاً في الكنيسة، ولما لاحظ المجمع أن «فلابيان» أصر علي اعتبار المسيح ذي طبيعتين بعد التجسد قرر حرمه ونفيه. وتعيين أناطوليوس مكانه. وقد مات بعد قليل من نفيه.

+ ثم نظر المجمع في الشكوي المقدمة من الكاهن سيرياك ضد دمنوس أسقف انطاكية مؤيدة برسائل وفصول. وطلب تثبيت نسطوريته. فقرر حرمه وتعيين مكسيموس مكانه.

---

(١) مجمع خالقيدون، ب ١٣، ص ٤٤ .

+ كما قرر المجمع حرم ايهيبا أسقف الرها (بسوريا) وايريناوس أسقف صور، لأنهما نسطوريان، ولأن الأخير تزوَّج بإمرأتين.

+ وكذلك أيدً حروم ثيودوريتس أسقف كورش وزميل نسطور في التلمذة ومعلمهما تاودروس أسقف المصيصة.

نتيجة المجمع:

+ قبول أوطاخي لاعترافه وحرم النساطرة لإصرارهم علي عقيدتهم. الأمر الذي أقره المجمع المسكوني الثالث، وبهذا اعتُبِر مجمع أفسس الثاني مُكملاً للسابق، لإنه لم يُقرِّر شيئاً جديداً.

دفع تهمة لصوصية هذا المجمع:

+ إدعي أساقفة روما ومن يناصرهم من النساطرة أن هذا المجمع كان مجمع لصوص وأن ديوسقورس رئيسه كان مسيطراً عليه، ويملي إرادته علي الأعضاء.

والأدلة علي عدم صحة هذا الاتهام ما يأتي:-

١) أنعقاد المجمع بطلب الامبراطور رسمياً.

٢) تمثيل جميع الكراسي المشهورة فيه (هي روما والقسطنطينية وأنطاكية وأورشليم والاسكندرية).

٣) ترك الحرية للأعضاء ليُبدّي كلٍ رأيه.

٤) نظر في الأمور بدقة مع أخذ الأصوات قبل الحُكم علي أحد.

٥) جلساته المتعددة للنظر في رسائل الملك وفي محاضر جلسات مجمع القسطنطينية المكاني ضد أوطاخي، وفي مقارنة عقيدة أوطاخي بعقيدة الآباء السابقين، والنظر في قضايا النساطرة.



الفصل الثاني

مجمـــع خلقـــيدون

+ كان عدم تقدير رسالة «ليو» أسقف روما وعدم تلاوتها في مجمع أفسس الثاني سبباً في التحفز للقيام ضد بابا الاسكندرية، فجمع تحت رئاسته النساطرة الذين تأيد حرمهم، في المجمع المذكور. كما أنضم اليهم أيضاً ثيودوريتس الذي أمر الامبراطور بمنعه من دخول هذا المجمع، فتكتلوا جميعاً للسعي في استئناف قراراته أمام مجمع مسكوني آخر.

+ فتقدم الاسقف «ليو» إلي ڤالنتينان (والنديانوس الثالث) امبراطور رومه، طالباً عقد مجمع آخر، ولكن لم يكن في استطاعته تنفيذ هذه الرغبة... لأن غالبية الكنيسة كانت تابعة لثيؤدوسيوس (الصغير) إمبراطور القسطنطينية. وبعد الحاح علي إمبراطور الغرب توسط لدي امبراطور الشرق، الذي زهد في انعقاد المجامع «حيث انعقد في عهده مجمعان مسكونيان في أفسس ومجمعاً مكانياً في القسطنطينية» فضلاً عن أنه كان مستريحاً للقرارات المطلوب استئنافها. فرفض الموافقة علي هذا الطلب.

+ وقد قال المؤرخ ثاوفانيس في هذا «كان البابا يتوسل بدموع إلي انشونسيوس الثالث قيصر الغرب وزوجته افدوكسيا وأمه بلاكيديا، أن يكتبوا للقيصر ثيودوسيوس ويقنعوه لإجابة طلبه فكتبوا، ولكن ثيؤدوسيوس أجابهم أن ماجري يكفي «وهو حسن ولا حاجة لعقد مجمع آخر»[1].

+ وكتب لأسقف رومه يقول «إن مجمع أفسس قد فحص كل شيء بمقتضي رسوم العدل والإيمان (السليم) فأقصي فيه غير مستحقي الكهنوت. وأُعيد المستحقون الي درجاتهم[2].

---

(١) تاريخ الانشقاق جـ ١ ص ٢٢٥.

(٢) تاريخ الأرطقات رأس ٥ ج ١، ص ٢٥٦ .

الظرف المساعد لعقد المجمع:

+ وبعد مدة وجيزة مات ثيؤدوسيوس دون خلف. فورثته أخته بوليكريا زوجة القائد مرسيان (مركيان) ولزواجهما قصة قال عنها الأب أنطوان صالحاني ما يأتي:-

* «مركيانوس قيصر ملّك سبع سنين وتزوج بوليخاريا أخت ثيؤدوسيوس الصغير التي كانت راهبة. وأن جماعة من الأساقفة (المنافقين) أفتّوها في أمر الزواج، وقد كانت قبل ذلك متهمة بالزني معه»(١).

+ وعلاوة علي انحراف هذا الامبراطور وانحراف زوجته، فإن في سيرتهما مايدل علي ميلهما الي النساطرة. وكان هذا سبباً في أن أقنعهما مندوب روما لدي بلاط القسطنطينية بغطرسة البابا ديوسقورس وقوته. وكتبت في ذلك المؤرخه الإنجليزية مسز بوتشر ما يأتي «أنها رأت الحد الذي وصل اليه بابا الاسكندرية من القوة وان إتساع سلطته يضر بالملكة، اذ لا يبعُد أن تضيع مصر من يديها وهي أخصب أراضى سلطتها. ورأت أن أقوّي سلاح يقطع أوصال ديوسقورس هو اتهامه بالهرطقة»(٢).

+ ولهذا انتهز البابا «ليو» (لاون) هذه الفرصة، وطلب من الأمبراطور عقد مجمع جديد. فأمر بعقده في خلقيدون (بآسيا الصغرى).

جلسات المجمع:

+ انعقد هذا المجمع في سنة ٤٥١م بحضور البابا ديوسقورس الاسكندري ومعه مكاريوس أسقف ادكو صاحب العجائب(٢) وأناتوليوس أسقف القسطنطينية ومكسيموس أسقف انطاكية ويوبينال أسقف أورشليم وقضاة مندوبين عن

(١) تاريخ مختصر الدول لإبن العبري ص ١٤٥.

(٢) بوتشر، تاريخ الأمة القبطية جـ ٦ ص ٥١ .

(٢) القمص أرمانيوس السورياني تاريخ ديسقورس ص ٧٣ - ٧٧

الامبراطور، ونواب أسقف رومه. ومعهم فريق من النساطرة الذين يؤيدونهم وعلي الخصوص ثيؤدوريتس أسقف كورش «الذي حُرِم من دخول مجمع أفسس الثاني».

+ ولما فُتِحَتِ الجلسة تقدم البابا ديوسقورس باستعلام عما دعا الي إنعقاد هذا المجمع؟ فواجهه نائب روما بأنه لا يجب ألا يقف موقف الاستعلام بل موقف الأتهام، لأنه مُدَان، إلا أن القضاة اعترضوا علي النائب وقالوا له: «لا ينبغي أن تكون مُدعياً وقاضياً في آنٍ واحد».

+ ثم طلب نواب روما قراءة رسالة أسقفهم «ليو» (لاون) التي لم تُتْل في مجمع أفسس الثاني. فاعترض البابا ديوسقورس علي تلاوتها لما فيها من أخطاء عقائدية. ولكن «ثيؤدورتيس» أيدّها وزعم أنها عقيدة الكنيسة.

+ فالتفّت إليه الأساقفة الارثوذكس معترضين علي وجوده بصفته من المحرومين، إلا أن النساطرة وقفوا في وجههم. وأبقوه في الجلسة معتمدين علي قرار أسقف رومه برفع الحرم عنه، وموافقة الملك ثيؤدوسيوس الصغير علي دعوته.

+ ولما كانت غالبية المجتمعين ضد الارثوذكس، فقد وجهوا للبابا ديوسقورس عدة تُهم تلخص مع الاجابة عليها فيما يأتي:-

* **التهمة الأولي**: أنه عقد مجمعاً من تلقاء نفسه بدون أذن بابا رومه.

الاجـــابــة: أن الملك ثيؤدوسيوس هو الذي أمر بانعقاد المجمع ولم يحدث قبل الآن أن وجه بابا رومه الدعوي الي عقد مجامع مسكونية.

* **التهمة الثانية**: أنه لم يقرأ رسالة أسقف روما في ذلك المجمع.

الاجـــابــة: أنه قال: «أنني قررت قبول ما كتبه قدس أخينا ليو».

* **التهمة الثالثة**: أن اتباعه هم الذين كتبوا محاضر الجلسات بما يتفق وأراؤه.

الاجـــابــة: أن كل أسـقف كـان له أتبـاعـه الذين دونُّوا صـورة من هذه المحاضـر لأسقفهم. وأيد ذلك عدة اساقفة منهم يوبينال أسقف أورشليم.

* **التهمة الرابعة**: أن أتبـاعـه أجبروا الجـمـيع علي توقـيع قـرارات المجمع. وأيد ذلك أسقف أُفسس في قوله: «أنه مُنِع من مغادرة محكمة الكنيسة حتي وقَّع بالموافقة علي القرارات المكتوبة من ديوسقورس ويوبيبنال وتلاسيوس.

الاجـــابــة: أن المسيحي لا يُجْبر علي توقيع قرار يخالف عقيدته لأنه لا يخاف أحداً، ولو كان الشهداء يخافون من الناس، لما فازوا بإكليل الشهادة.

* **التهمة الخامسة**: أنه وقَّع من المجتمعين علي أوراق بيضاء ثم كتب فيها ما يريد.

الاجـــابــة: هذا يناقض ما قـرره أسقف أفسس تأييداً للتهمة الرابعة من أنه وقع قرارات مكتوبة.

* **التهمة السادسة**: قوله في ذلك المجمع أنا أفحص في قوانين الآباء التي وضـعت في مجامع نيقيا وأفسس «وفي فحص هذه القوانين جريمة».

الاجـــابــة: أن الفحص لا يفيد معني التغيير أو التحريف، وقد أمر مخلصنا أن نفحص الكتب.

* **التهمة السابعة**: أنه حرم فلابيانُس أسقف القسطنطينية بدون وجه حق.

الاجـــابــة: صدر الحكم علي فلابيانُس لأنه كان يعتقد بوجود طبيعتين للمسيح بعد التجسد، في حين أن عقيدة الآباء هي: «**طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد**».

* **التهمة الثامنة**: أعتناقه بدعة أوطاخي بدليل إلغاء الحرم الذي أُوقعَ عليه.أي الصادر من مجمع القسطنطينية المكاني.

الاجـــابــة: «أفرد لها بحث خاص في الفصل التالي».

+ ولما رأي المدُعُّون أن اتهاماتهم ذهبت هباءً، قالوا: «أخطانا جميعنا وكلنا نسأل الغفران»، ثم طلبوا تأجيل الجلسة لخمسة أيام.

+ ولكنهم - بعد ثلاثة أيام - اجتمعوا في غيبة القضاة والأساقفة الأثوذكس ووضعوا علي باب منزل ديسقورس الحراس، لمنعه بالقوة من حضور الجلسة، ثم اتهموه بإلغاء الحرم الذي أوقعوه علي أوطاخي.وادعوا عليه بتهمة أخري تمس شرفه.

قرار المجمع:

+ وهكذا أصدر المجمع - **غيابياً** - الحُكم علي ديوسقورس بالحرم والنفي. وأبلغوا قرارهم للملك مركيان وللأساقفة!

+ ولما كان هذا الحُكم خالياً من الأسباب التي تؤيد العزل. فضلاً عن أنه حُكم غيابي، فقد أستأنفه أعداء ديوسقورس - بعد أن تكتلوا ضده - ثم استدعوه للحضور فرفض لسبب منعه من حضور الجلسة السابقة ولأن القضاة لم يحضروا الجلسة المستأنفه.

+ فأصدروا قرارهم بتأييد الحكم المستأنف، وأرسلوه للإمبراطور للتنفيذ. وقد ورد في كتاب تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية:«لاشك أن عزل ديوسقورس **كان غير قانوني لأسباب عديدة»**:-

١) لأنه كان حكماً غيابياً لم يستمع الذين أصدروه إلي دفاعه عن نفسه، كما تقضي بذلك القوانين الكنسية.

٢) لأن الجلسة التي قُضي فيها بعزله لم تكن قانونية، اذ لم تُعقد في اليوم الذي حدده القضاة موعداً لها.

٣) لأن الذين حكموا به كانوا فقط القائلين بقول الهرطوقي نسطور بدون حضور القضاة- ممثلي الدولة البيزنطية.وأساقفة مصر،والذين معهم.

٤) لأن الأساس الذي بُني عليه الحكم ضعيف، وهو أن ديوسقورس دُعي ثلاث مرات الي المجمع ولم يحضر. وقد بيّنا سابقاً أنه كان محاطاً بالحراس الذين منعوه من الخروج، فكيف يذهب؟!

٥) لأن ديوسقورس كان متمسكاً بالايمان القويم الذي حدد بصدده مجمع أفسس الأول في قانونه السابع حرماً علي كل من يُدخِل عليه زيادة أو نقصاناً.

٦) لأن مُصْدريه لم ينسبوا الي ديوسقورس بدعة ما... وقد شهد أناطوليوس القسطنطيني بقوله: «إن عزل ديوسقورس لم يكن بسبب الايمان، **بل لأنه منع قراءة طومس لاون، ولانه دُعي ثلاثاً الي المجمع ولم يحضر**»[1].

+ ولكن مع كل هذا فعندما بلغ الامبراطور قرار المجمع أصدر أمراً بنفيه الي جزيرة غيغرا إحدي جُزر الأرخبيل اليوناني - بعد أن كُسِرَت أسنانه ونُتفت ذقنه... فجمع البابا بعضاً منها وأرسله الي أساقفة كرسيه (بمصر) قائلاً: «هذا هو ماينبغي أن نعمله للمحافظة علي العقيدة».

حالته في المنفي:

+ وقد زاره في المنفي أحد أغنياء الاسكندرية وقدّم اليه سبيكة من الذهب للصرف منها علي نفسه، إلا أن البابا قطّع هذه السبيكة قطعاً متساوية ووزعها علي فقراء الجزيرة.

+ ثم طلب منه أحد المرضي أن يسمح له بقليل من دمه ليدهن به موضع المرض المُزمن لثقته في الشفاء بهذه الوسيلة. فجرح البابا نفسه لأجله، ونال هذا المريض نعمة الشفاء!!



(١) تاريخ الكنيسة تأليف ساويرس يعقوب توما، جـ ٢، ص ١٧٧.

الفصل الثالث

حـــول مجـــمع خليقـــدون

١ - دفع تُهمَة « أوطاخية » الكنيسة القبطية:

+ أتهم مجمع خلقيدون البابا ديوسقورس وكنيسته باعتناق بدعة أوطاخي، مستنداً في ذلك إلي صدور قرار مجمع أفسس الثاني (الذي كان يرأسه البابا) بالعفو عنه،

• **ويتبيّن خطأ هذا الاتهام من الأسباب الآتية:-**

١) أن البابا ديوسقورس أقر - عند عرض عقيدة أوطاخي - بقوله: «لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة»[١]. بل وقال عنه ما نصه: «إن كان أوطاخي يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو لا يستحق العقاب فقط، بل النار أيضاً»[٢].

+ أما صدور قرار البابا ديوسقورس بالموافقة علي العفو عنه فكان نتيجة إقراره كتابةً بعقيدة تتفق مع عقيدة الآباء، وبعد موافقة جميع أعضاء المجمع علي ذلك.

٢) أرسل البابا ديوسقورس - وهو في المنفي - الي تلميذه إبريطن رسالة جاء فيها. «يجب علينا أن نخرج عنا كل من يقول «إن الله الكلمة تألم أو مات بلاهوته... وأما نحن فما نؤمن هكذا، بل نؤمن أن الله الكلمة صار جسداً بحق، ويبقي بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته. لكن قوماً يظنون ويقولون إننا إذا قلنا أن المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نُوجَد في هذا القول موافقين لمجمع خلقيدون، ونحن نجيبهم ونقول إذا كان أهل مجمع خلقيدون يعترفون أن الله الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فإنا نوافقهم»[٣].

٣) أن بعض بابوات الاسكندرية اللاحقين لديوسقورس استنكروا بدعة أوطاخي كالبابا بطرس منغوس وثيؤدوسيوس.

٤) أوضح المؤرخ موسهيم الفرق بين عقيدة أوطاخي وعقيدة الكنيسة القبطية في قوله:

---

(١) ايسونورس، الخريدة النفيسة جـ ١، ص ٥٢٠.

(٢) نفس المصدر جـ١، ص ٥٢٠ .

(٣) نفس المصدر، جـ ١ ص ٥١٩.

«إن افتيخوس اعتقد بأن طبيعة المسيح الالهية امتزجت بالانسانية حتي صار المسيح طبيعة واحدة إلهية[1]. أما مقاومو المجمع الخلقيدوني (الارثوذكس) يُسمّون ذوي طبيعة واحدة:"لا إفتيخيين"؛ لأن كل الذين يُطلق عليهم هذا الاسم اعتقدوا أن الطبيعة الالهية والطبيعة الانسانية اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط ولكن بدون تحويل أو امتزاج»[2].

٢) أسباب عدم الاعتراف بمجمع خلقيدون:

+ يتبّين مما تقدم بطلان التُهم التي وجُهت الي البابا ديوسقورس. وتبعاً لذلك ترفض الكنائس الأرثوذكسية قرارات مجمع خلقيدون، **ولا تعترف باعتباره من المجامع المسكونية للأسباب الآتية:-**

١) عدم مسكونية جلسته الثانية التي أصدر فيها قراراته - بدون القضاة (مندوبي الملك) والأساقفة الارثوذكس. واقتصاره علي وجود الأساقفة النسطوريين ونواب رومه.

٢) أنعقاد هذه الجلسة قبل موعدها المقرر بيومين. واصدار الحُكم علي البابا ديوسقورس - غيابياً - بعد منعه بالقوة من حضور هذه الجلسة.

٣) عدم اعتراف المجامع المسكونية التالية به ومنها مجمع القسطنطينية الذي انعقد في سنة ٤٦٨م من خمسمائة أسقف بدعوة الامبراطور باسيليكوس، وقد قال عنه صاحب كتاب تاريخ الانشقاق: «أن باسيليكوس بحال ارتقائه إلي كرسي المملكة أعاد بطرس القصّار بطريرك انطاكية وتيموثاوس إيلوروس الي مركزيهما . وبرأيهما أصدر منشوراً ضد المجمع الخلقيدوني ورسالة البابا ليو وجعل مذهب الطبيعة الواحدة الديانة الاولي في المملكة عموماً»[3].

+ ومنها أيضاً المجمع الذي انعقد في عهد الامبراطور زينون Zeno في القسطنطنية نحو سنة ٤٧٧ ومن بين من وقع قراراته - برفض بدعة اوطاخي وقرارات مجمع خلقيدون - نواب أسقف رومه وأساقفة اسكندرية وانطاكية وأورشليم والقسطنطينية.

---

(١) وعبر الهرطوقي أوطاخي عن ذلك بأن اللاهوت إبتلع الناسوت كوجود نقطة «خل» في محيط (المُراجع).

(٢) تاريخ موسهيم ق ٥ قسم ٥:٢٣.

(٣) لجراسيموس مسرة جـ ٢ ص ٢٦٥ .

ملاحظة ختامية:

+ أقام مجمع أفسس الثاني أناطوليوس أسقفاً علي القسطنطنية بدلاً من فلابيانُس ومكسيموس أسقفاً علي انطاكية بدلاً من دمنوس.

فإذا كان مجمع خليقيدون قد أنعقد للاعتراض علي قرارات هذا المجمع، فلماذا لم يحرم هذين الأسقفين – خصوصاً وأن دمنوس أسقف انطاكية الاصلي كان علي قيد الحياة وقت انعقاده؟ وهذا يدل علي اعتراض ضمني من مجمع خلقيدون بصحة قرارات مجمع أفسس الثاني.

٣) نتيجة مجمع خليقدون علي مصر:

+ بعد أن نفي الامبراطور مركيان البابا ديوسقورس اختار قساً من الإسكندرية اسمه بروتوريوس، وأقامه بطريركاً علي مصر – بدلاً منه – وكان ذلك ضد رغبة الشعب المصري وأساقفته الأرثوذكس.

+ فعقد الأقباط مجمعاً بالاسكندرية قرروا فيه رفض قرارات مجمع خلقيدون، وبراءة البابا ديوسقورس، وحرم البطريرك الجديد (الدخيل).

+ فأضطر الامبراطور إلي تأييده بقوة الجند. وأرسلهم معه إلي مقر الكرسي (بالاسكندرية) وتصادف وقت وصوله وجود الأنبا مكاريوس أسقف ادكو، الذي وجه اليه اللوم الشديد، بسبب تعديه علي كرسي ولي نعمته البابا ديوسقورس.

+ فأثار هذا اللوم بروتوريوس وجنوده، الذين أنهالوا عليه ضرباً وركلاً حتي مات شهيد الدفاع عن الأيمان الأرثوذكسي – وهو أحد الثلاثة المقارات القديسين!

+ ولما استولي هذا البطريرك الدخيل – بالقوة – علي كنائس الاسكندرية، رأي امتعاضاً وتسفيهاً وإهانة من الكثيرين من الأقباط – ولم يستطع أن يُقيم بها، فجمع نفائسها وذخائرها وسكن في قصرٍ منفرداً.

+ كانت هذه النفائس سبباً في طمع اللصوص. فسطوا عليه ليلاً وقتلوه.

+ واضطرت الكنيسة الأرثوذكسية أن تُسمِّي هؤلاء البطاركة الذين أقامتهم الحكومة البيزنطية بالبطاركة الملكين، لأنهم مؤيَّدون منها، وضد أرادة الاساقفة والشعب المصري، وبدأ الصراع بين الأقباط والملوك البيزنطيين الظالمين.

الفصل الرابع

نجاح الاتحاد أيام باسيليكوس وزينو

١ - باسيليكوس:

+ لم يترك الله كنيسته يشمت بها العدو ولكنه وهب لها الامبراطور باسيليكوس أولاً الذي لم يرضَ بهذا الوضع. فعقد مجمعاً في الفسطنطينية سنة ٤٦٨م من ٥٠٠ أسقف. وقرر هذا المجمع رفض قرارات مجمع خلقيدون وقبول «الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد» (Logos).

+ وكان حاضراً في هذا المجمع البابا «تيموثاوس القلموني» (٤٥٠ - ٤٧٧م) الذي شهد عنه المؤرخ القبطي الأسقف يوحنا النقيوسي بقوله: «إنه عاش عيشة صالحة بينما كان راهباً في دير القلمون بمديرية الفيوم إلي أن تعين قساً بكنيسة الاسكندرية ثم خلف ديوسقورس بعد وفاته وهو مثال التقوي والدين»[1].

+ ومع أنه قاسي التشريد والنفي الي غنغرا من الملكيين - إلا أنه تمسك بالعقيدة ومعه الشعب - حتي اضطروا إلي مُهادنة الاقباط - وكان بطريركهم (الذي دعوه باسم البابا تموثاوس وسُمّي في التاريخ «تيموثاوس ذو القلنسوة البيضاء») أول المسالمين - إذ ذهب الي ديره بمجرد مجيء البابا تيموثاوس القلموني من المنفي.

٢ - الأمبراطور زينو والبابا بطرس منغوس (٤٧٧ - ٤٨٩م):

+ ولما أرتقي الامبراطور زينو علي القسطنطنية - كان يميل أولاً الي الملكيين، لكن ثبت له نفاقهم، عندما أتاه أحدهم وهو يوحنا «من تلا المنوفية» يقدم مشروعاً يضمن ترك الحرية للاقباط ليختاروا بطريركهم - فقال له الامبراطور «هل لك مصلحة في هذا؟!» فنفي عن نفسه هذه المصلحة - واذا بالامبراطور يجد التزكيات مجهزة له ليصير بطريركاً ملكياً بعد موت تيموثاوس الابيض. فغضب عليهم، وبعد أن كان البابا بطرس منفياً عن كرسيه - بسبب وشايتهم وبقي نحو خمس سنوات، طلب إرجاعه ودعواته له.

+ وأرسل تموينا للأديرة، وعمل حصوناً لبعضها - خصوصاً بعد أن ترهبت إبنته **«إيلاريا»** وشُفيت أبنته الأخري بصلوات أختها من مرضها المزمن، بعد مجيئها الي الاديرة المصرية بوادي النطرون.

---

(1) Jean de Nikiou, Histoire de L'Eglise (ed. Zotenberg).

الاتحاد مع الكرسي القسطنطيني:

+ وكانت ظروف اتحاد الكنيسة مؤاتية عندما تبودلت الرسائل بين البابا بطرس والبطريرك أكاكيوس (اكاسيوس) القسطنطيني[1] بدأت الصلة أولاً عندما دعا بطريرك القسطنطينية الشماس الاسكندري يوليانس الذي كان بها وتحدث عن ذلك بقوله: «لما كُنت بالقسطنطينية أرسل إليَّ أكاكيوس شماساً يدعوني الي المكان الذي كان يبيت فيه. فلما سرت اليه قال لي: «أيها الشماس يوليانس؛ هل أنت مزمع أن تشترك معي في الصلاة؟» فأجبته قائلاً: لا، لأنه لا توجد هنا الأرثوذكسية» ثم أمرني أن أجلس وكنا كلانا منفردين – ولما حمل الانجيل قال لي هكذا إنطلق الي الاسكندرية وفتّش علي الأنبا بطرس، واحلف له كما حلفت لك أنا الآن بقولي، وحق الكتب المقدسة أني أرغب من كل نفسي أن أتوب وأطرح عني هرطقة مجمع خليقدون الدنسة... وحيث أني الآن أخشي أن تدركني ساعة الموت... أطلب وانا مستعد أن افعل كل ما يُريح فؤادي... وأني أحرم كل هرطقة».

+ وأبلغ الشماس يوليانس البابا بهذا وتبودلت الرسائل بينهما وقررا أن يصوما معاً ويرفعا القرابين لتظهر أرادة الله، وفي آخر الصوم ظهر لكلٍ منهما أعجوبة واحدة هي حمامة السلام ترفرف أمامهما. وبهذا تقرر الاتحاد علي أساس رفض قرارات مجمع خليقدون ورسالة «لاون» وبدعة «أوطاخي» وأرسل البابا شيوخاً من عنده الي القسطنطينية. وعُقِد فيها مجمع سنة ٤٨١م بدعوة الامبراطور «زينو» (Zeno).

+ ثم أصدر الامبراطور مرسوم الاتحاد «**هنوتيكن**» حَكَم فيه بفساد بدعة أريوس ونسطور وأوطاخي. وتثبيت بنود البابا كيرلس الإثني عشر وتأيدت المجامع المسكونية الثلاثة الأولي.

+ وقام أيضاً الامبراطور أناسطاسيوس «زوج والدة زينو» وعضد هذا الاتحاد وشجع الارثوذكس علي بناء كنائسهم وأديرتهم. وأحسن الي رهبانهم. وصرف المرتبات السنوية لهم.

+ إلا أن فريقاً من الأقباط لم يرضوا عن هذا الاتحاد مع البطريرك القسطنطيني وانفصلوا عن البابا بطرس. وكانوا أقلية وسمُّوا بالذين **لا رأس لهم** «الاسيفاليون» ولكن أنشقاقهم لم يستمر طويلاً، إذ أرجعهم البابا مرقس الاسكندري اوائل القرن التاسع ورسم أسقفين منهم ثانيةً، أحدهما علي طنطا والآخر علي أتريب «بنها».

(١) هذه الرسائل عثر ت عليها جمعية الاثار الكنسية بدير الانبا شنوده بسوهاج باللغة القبطية وطبعتها مع ترجمتها الفرنسية سنة ١٨٨٨م.

الفصل الخامس

الانشقاق في الكنيسة أيام چستنيان

+ لم يسكت عدو الخير علي نجاح الكنيسة. فأثار ضدها الامبراطور چستنيان في منتصف القرن السادس، بدأت أيامه في الكرسي الاسكندري ببدعة من يوليانس الخيالي الذي جدد بدعة أوطاخي، ونفي چستنيان البابا ثيؤدوسيوس الاسكندري.

البابا ثيؤدوسيوس:

+ وكان عارفاً بكتب الكنيسة «فكتبوا تقليده وقدموه لرتبة الرئاسة، وكملوه (رسموه) باتفاق من جميع الشعب المسيحي» (القبطي).

+ « وكان إنسان قد كبر في السن إسمه قيانوس وكان أرشي دياكن (رئيس شمامسة) البيعة بالاسكندرية وكان قائماً وقت قِسمَة الأب تاودوسيوس بطركاً مع الاساقفة والكهنة ومقدمي المدينة» (الأراخنة).

+ «بعد هذا أضله قوم وغيروا فكّره... وأشاروا عليه قائلين هذه الرُتبة والتقدَّمة تجب لك ودخّلوا في عقله (أقنعوه) ... حتي قَبِل مشورتهم. فأخذوه ومضوا به إلي بيت قس اسمه تاودروس وكان رديء الفعل (سيّء السُمعَة) فقسموا (رسموا) قيانوس بطركاً. وكان معهم معاوناً لهم يوليانس الفاسد الأمانة. ثم أنه مضي الي الوالي (بالاسكندرية) والي متولي المعونة، وصانَعهم وطيّب قلوبهم بكثرة الهدايا حتي أقاموا علي الأب تاودسيوس البطرك وعلي البيعة شراً عظيماً وطردوا تاؤدوسيوس القديس عن كرسي الاسكندرية... وكتم الوالي عن الملك أمره... وكان يوحنا مقدم الاسكندرية وغيره مجتهدين في خلاصه منهم. فتشاوروا مع الآباء وأخذوه سراً وأنزلوه في مركب في البحر ومضوا به الي قرية مليج وأقام بها سنتين فقلق شعب الاسكندرية، لبُعده عنهم. وقالوا للوالي: «لماذا أبعَدت عنا الراعي الصالح؟!» فخاف الوالي منهم... فأخرج قيانوس المخالف من المدينة.

«ثم مضي أحد المقدمين (المسئولين) لقضاء حوائج له من الملك (البيزنطي) فأعلم الملكة ثاودورة المؤمنة بنفي المغبوط ثاؤدوسيوس من مدينة الأسكندرية، لأن أصلها منها. فدخلت إلي الملك بسكون وحكمة ووداعة. وأعلمته بكل ما جري علي الأب ثاودوسيوس البطريرك بمدينة الأسكندرية بغير أمره.فلما سمع ذلك فرح في قلبه بما نال الأرثوذكسيين من القلق والجهاد (التعب) لأنهم لم يرضوا أن يشاركوه في أمانته

الفاسدة الخلقدونية. ثم أراد أن يُرضِي الملكة، ويُطيِّب نفسها. فناداها السلطان (الامبراطور) وطلب منها أن تفعل ماتريد».

« فأرسلت الي مدينة الاسكندرية لتكشف عن الخبر... وأمرت الرسل أن يُعملوها كيف كانت بطريركيته عند قسمته.؟. وكيف كانت قسمة قيانوس الأرشيدياكون؟ ومن كان منهم الأول.؟. وكتب مائة وعشرون رجلاً من الكهنة، ومقدميّ المدينة خطوطهم (وقعُوا) بأن ثيؤدوسيوس هو الأول في القسمة (الرسامة)، ثم أجتمعوا – ومعونة السيد المسيح معهم – وأحضروا أمراء الملك وقواده... وقدموا الانجيل المقدس وسجل الملك الذي فيه خاتمه وقدموا الأب ثاودوسيوس البطرك... فتقدم قيانوس قدام الجماعة واعترف .... وسأل الصفح عنه.... وأما يوليانوس وتاودروس فثبت الاثم عليهم أنهم مخالفون ولم يتوبوا. فأما قيانوس فصار تحت طاعة تاودوسيوس»(١).

+ ولكن الامبراطور جستنيان كان يميل إلي الأخذ بمُناصَرة كرسي رومه، وتثبيت قرارات مجمع خلقيدون واعتبار طومس لاون رسالة مُدَققة في تعبيرها، حتي أنه نفي من كرسي إنطاكية بطريركها ساويرس المذكور في مجمع الآباء بالقداس. فأتي إلي مصر التي أكرمته. وكان مُعزِّياً للبابا ثاودوسيوس عند خروجه (ترك كرسيه) في المرة المذكورة سابقاً. هذا من ناحية، ومن ناحية أخري كان ينتظر أن يظهر الخطأ في رسامة البابا ثاودوسيوس الأرثوذكسي».

+ «ولما لم يصل الي غرضه، أرسل إلي والي الاسكندرية ومقدمها وللآب ثاودوسيوس يجتذبه اليه، وأن يقبل طومس لاون ويساعده علي ذلك وتكون له الرئاستان البطريركية والولاية. ويكون جميع أساقفة إفريقية تحت طاعته.... وإن هو لم يُطع فليخرج من البيعة، لأن «من لا يوافقني علي أمانتي، لا تكون له رئاسة». فلما سمع الاب ... كتاب الملك قال أمام الجميع والوالي والرسل: قال: «الانجيل المقدس: «إن أبليس أخذ السيد المخلص وأصعده الي جبل عالٍ وأراه جميع ممالك العالم ومجده وقال له هذا كله لي، وأنت إن سجدت لي، دفعته لك» هكذا ماوعدتموني به. وهو هلاك نفسي إن فعلته. وأصير به غريباً من المسيح. ورفع يديه، وقال بالحقيقة أحرم طومس لاون ومجمع خلقيدونية». ثم قال للوالي ليس للملك سلطان إلا علي جسدي والسيد يسوع المسيح الملك الحقيقي له السلطان علي نفسي وجسدي»(١).

---

(١) Evetts تاريخ البطاركة. ص ٤٥٦ – ٤٦٢ (١٩٢ – ١٩٨).

(٢) الكتاب السابق ص ٤٦٢ – ٤٦٣ (٩٨ – ١٩٩).

+ «فتركه الوالي ليذهب حيثما شاء، كطلب الامبراطور. فذهب البابا الي الصعيد،حيث قضي أربع سنوات يُثبِّت الأرثوذكس ويُصبِّرهم علي احتمال الاضطهاد».

+ «ولكن الامبراطور لم يسكت. واستدعاه الي القسطنطينية ليُحادثه بنفسه. ولما قابله خاطبه بلطف «وكانت الملكة تاودورة تعتني به هو والبطريرك ساويرس الذي ذهب معه». وحاول أن يقنعه برأيه فأجابه بقوله: «لا حياة ولا موت ولا سيف يصد قلبي عن أمانة آبائي». فلما لم يقدر الملك علي اجتذابه، أرسله الي المنفي، ورسم لهم إنساناً يسمي بولس التنيسي بطركاً علي كرسي الاسكندرية.فلما وصل اليها لم يقبله أحد من أهلها وكانوا يقولون: «هذا يودس (يهوذا) الجديد».فأقام سنة وهو لا يسمع أحد منه، ولا يتقرّب (يتناول) من يده أحد، إلا الرسول الذي جاء صحبته. والوالي ومن معه فقط».

+ «وكان أهل المدينة يشتمونه، فكتب إلي الملك يُعلمه بما جري عليه. فحنق الملك، وأرسل كتاباً يأمره فيه، أن تُغلَق أبواب البيّع التي بمدينة الاسكندرية. ويختم عليها بخاتمه ويجعل عليها حُراساً. فلما دخل ذلك الكتاب المملوء أثما الي المدينة كان هناك حزن عظيم وضيق ونوح لا حد له علي الشعب الارثوذكسي. ومكثوا علي هذا سنة كاملة بلا قُربان ولا بيعة يُصلُّون فيها. لكن كانت كتب أبيهم ثاودوسيوس تصل اليهم من المنفي».

+ «فلما زاد قلقهم اجتمع جماعة الارثوذكسيين فتشاوروا في ان يبنوا بيعة غرب الاسكندرية في الموضع المعروف بالسواري والصربيون وهي (بيعة) الانجيليون سراً في المائة وخمس درج وقوم آخرون من الشعب بنوا أيضاً بيعة علي اسم قزمان ودميان شرقي الملعب وغرب الأعمدة قليلاً. فعلم الملك فانفذ وفتح جميع البيع وجعلها تحت سلطان الخلقيدونيين[1]».

+ «وبعد ذلك أهلَك الرب بولس التنيِّسي بموتة سوء. وجعلوا عوضه أبوليناريوس فتسلط علي البيع بأمر الملك. وأمر ألا يظهر أحد من الأساقفة الارثوذكسيين في مدينة الاسكندرية».

+ وانتقل البابا ثاودوسيوس سنة ٥٦٧م. وترك الكنيسة في رعاية ربها!

---

(١) Evetts تاريخ البطاركة ص ٤٦٥ - ٤٦٧ (٢٠١ - ٢٠٣).

الفصل السادس

الاتحاد الصوري أيام هرقل

+ تنصّب بعد البابا إثنان آخران من بابوات الاسكندرية، والانقسام مخيم علي ربوع مصر بسبب الخلقيدونيين. أولهما البابا أناسطاسيوس الذي كان حكيماً ويتمتع بفضائل وكان خادماً بالكنائس التي بناها الأرثوذكس خارج الاسكندرية. وبعد تنصيبه لم يحترم قرار منع الأرثوذكس من دخول الاسكندرية.

+ وكان يختار معاونيه من أحسن المستحقين (للرسامة) فيقيمهم أساقفة وكهنة وردّ ورمم بعض الكنائس التي سلبها الخلقيدونيون.

+ وقد عكّر صفّوه البطريرك أولوجيوس الملكي (البيزنطي) الذي استطاع بقوة الحكومة أن يستولي علي كنيسة قزمان ودميان من يد الأرثوذكس في الاسكندرية.

+ ولكن النشاط دب في الكنيسة عند مازار البابا أثناسيوس بطريرك انطاكية وبقي بمصر شهراً واحداً موضع الحفاوة. وظهر إتحاد الكنيسة القبطية والانطاكية. وكان البابا أنسطاسيوس متعزياً بوجود بطريرك انطاكية أثناسيوس في ضيافته.

+ وانكّب البابا علي كتابة تعاليم البيعة وبدأها في كل سنة بحرف من الأبجدية القبطية وترك في هذا ١٢ مجلداً لأثنتي عشرة سنة، قضاها علي الكرسي المرقسي.

+ فلما كان في أربعين يوم الصوم الذي للميلاد نظر السيد المسيح اليه وأراد أن ينقله إلي كورة الأحياء الي الأبد. فتنيّح في الثاني والعشرين يوماً من كيهك»[١] وكان ذلك سنة ٦١٦م.

---

(١) Evetts المصدر السابق، ص ٥٨٣ (٢١٩).

+ وقد كان اتحاد الكنيسة القبطية والانطاكية بادرة من بوادر اتحاد الكنيسة الذي عطّله هجوم الفُرس علي ممتلكات الدولة الرومانية واستيلائهم علي القطر المصري وتخريب نحو ٦٠٠ دير خارج الاسكندرية، كان يسكنها رهبان وراهبات. وجمعوا شبان الاسكندرية في ميدان فسيح وهم يعدون أنهم سيوزعون علي كل واحد ٢٠ ديناراً. وبعد أن أكتمل عددهم، أحاط بهم الجيش الفارسي وقتلهم.

+ ولكن الامبراطور هرقل استطاع ان يطرد الفرس ويستّرد البلاد. وفكر في مشروع لتوحيد الكنيسة.

+ وكان قد قابل أثناء طرد الفرس البطريرك أثناسيوس بانطاكية. وطلب منه قبول ماقرره مجمع خلقيدون. ووعدهُ بإطلاق يده في كرسي انطاكية. ولن يكون هناك حاكم معه. فلم يعبأ بهذا الوعد، وصار يوضح له حكمة العقيدة القائلة بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد. وأظهر له ان العقيدة القائلة بطبيعتين تؤدي الي عقيدة نسطور المبتدع.وليُقرّب ذهنه الي ذلك سأله قائلاً: «أتعتقد أيها الملك أن المسيح فعلاً واحداً أم فعلين» فقال له: «إن سلمنا لكم بأن للمسيح فعلاً واحداً بدون ذكر الطبيعة والطبيعتين هل تكونون معنا علي رأي واحد»!فأجابه البطريرك الي قبول ذلك»[1].

+ ثم ذهب الي الرُها وحضر الكنيسة. وأراد التناول، فرفض مطرانها أشعيا إن لم يحرم مجمع خلقيدون وطومس لاون. فخرج وهو ينوي إخضاع الكل لرأيه الذي يريده. واكتفي بالقول أن للمسيح مشيئة واحدة وأصدر دستور إيمانه المعروف بالاكتيسيس واستخدم القوة في إخضاع الناس لرأيه هذا.

+ «فأرسل إلي مصر «قيرس» ليكون بطريركياً وواليا. فلما وصل الاسكندرية أُعلِم الأب بنيامين (٣٨) بابا الاسكندرية الذي كان غنياً من البحيرة وذهب في دير قينوبوس (شرقي الاسكندرية).فظهر ملاك الرب وأمره أن يهرب .... فدبر حال البيعة وتقدم

---

(١) اسيذيروس، الخريدة النفيسة جـ ٢ ص ٧٥.

الي الكهنة والشعب وأوصاهم بالتمسُّك بالأمانة المستقيمة حتي الي الموت. ثم كتب إلي سائر أساقفة كورة مصر بأن يختفوا من قدام التجربة الآتية. وبعد هذا خرج من طريق مريوط وهو ماشي علي رجليه ليلاً. ومعه أثنان من تلاميذه، حتي وصل الي المنفي ومن هناك مضي الي وادي هبيب (النطرون) ومضي الي الصعيد. وأقام مختفياً هناك في دير صغير في البرية الي كمال العشر سنين، كما قال له ملاك الرب وهي السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس[1] مُسلطيْن علي ديار مصر. وظفر هرقل بالمغبوط مينا أخي الأب بنيامين البطريرك. فانزل عليه بلايا عظيمة. وأشعل في جنبه المشاعل وقلع أضراسه وأسنانه باللكمات، لاعترافه بالأمانة (الايمان الارثوذكسي) وأمر أن يُملأ جوال رملاً ويُجعَل القديس مينا فيه ويُغرَّق في البحر وكان هرقل الكافر قد أوصاهم وقال: «إن قال احد أن مجمع خلقدونية حق خلوه (أتركوه) ومن قال إنه ضلال أغرقوه»[2].

+ لهذا كان هذا الاتحاد الذي نادي به هرقل اتحاداً صورياً، شجع فيه القائمين ضد الأرثوذكسيين؛ ولهذا لم ينجح. وأتي الاسلام وأخذوا الشرق منه.





(١) لاحظ أن البطريرك والحاكم قيرش (Cyrus) كان دخيلاً وخلقيدونياً. ويسمّيه العرب خطأ: «**المقوقس عظيم القبط**» وكان البابا الشرعي «**بنيامين**» هارباً من وجهه، إلي أن أرجعه العرب الي كرسيه، بعد ١٣ سنة.

(٢) Evetts ج. ٤٨٩ - ٤٩١ (٢٢٥ - ٢٢٧).

الباب الثاني

بدء الحكم الاسلامي = حكم من مكة

+ في سنة ٦٤١م استولي عمر بن العاص علي مصر(١).وقد سهّل عليه غزوها ثم حُكمها هو وغيره - في عهد الخلفاء الراشدين - والاستيلاء أيضاً علي السودان والنوبة وليبيا بعد هذا الوقت بقليل. وكان للإسكندرية شأن عظيم. وظهر بابوان من بابوات الاسكندرية - الأمور التي سيظهر موجز أحداثها في الفصول الآتية:-

✤ ✤ ✤

الفصل الأول

سهولة دخول العرب مصر

+ كان غريباً نجاح عمر في غلبة مصر وهو قليل العدد والقوة أمام جيش الروم كثير العدد والعُدَّة - **ولكن يرجع ذلك لأسباب تتعلق أولاً بالرومان وثانياً بالعرب وثالثاً بحالة مصر** (الدينية والسياسية والأقتصادية المُترديّة) وهي كالتالي:—

أولاً: حُكم البيزنطيين ورداءة سياستهم في مصر:

+ فكان قد أدرك هذه الدولة الشيخوخة ولم يكن مركز الامبراطور وراثياً في أغلب الاحيان. فقد قام بعد جستنيان موريس الذي سلَب منه الامبراطورية فوكاس وقتله وأولاده. وعاش عيشة استهتار. وأنتهز هرقل القائد في شمال افريقيا فرصة كُرْه الناس له وهجم عليه وأمر بقطع يديه ورجليه. ثم حصد ما زرعه بقتل موريس عندما قام عليه هرقل وقتله.

+ وعلاوة علي هذا الاضطراب في مركز الامبراطورية، كان الأمبراطور يُبقِي معه جزءاً

---

(١) فصَّل المؤرخ الأسقف يوحنا النقيوسي (المعاصر للأحداث) ذلك في كتابه الذي ترجم أجزاء منه المرحوم كامل صالح نخله، وطبعته جمعية نهضة الكنائس في مجلتها، عددي ٧ و ٨ لسنة ١٩٤٩، جـ ٢ ص ١٢٨ - ١٥١.

كبيراً من الجيش ليحتفظ بمركزه - فضعفت الحاميات في الاقاليم. وضعفت الرقابة علي ولائها.

+ وسياسة الأباطرة أيضاً كانت رديئة كتدخلّهم المُشين أيام مركيان أو جستنيان أو هرقل في الشئون الدينية.واضطهاد مخالفيهم في العقيدة؛ كما عملوا مع البابوات تيموثاوس وثيؤدوسيوس وبنيامين، واستخدام العنف في الاستيلاء علي الكنائس الارثوذكسية وتعضيد البطاركة الملكيين الدخلاء. كل هذا أوجد نفوراً بينهم وبين المحكومين من الشعب المصري.

ثانياً: قوة العرب وحُسن سياستهم في بدء عهدهم:

+ فقد إلتّف فريق منهم حول رسول الاسلام الذي أنقذهم من العبادة الوثنية خصوصاً والديانة المسيحية، التي ظهرت في بلاد العرب أيام الامبراطور ثيودؤسيوس في بلاد الحيرة وغسّان -كان منهم نساطرة- وكذلك في نجران ببلاد اليمن لم تنتشر، لقلة الرعاة وصعوبة المواصلات إليها.

+ فلهذا نظر - إلي محمد بن عبد المطلب الذي تاجر بأموال خديجة واتصل بالمسيحيين واليهود ببلاد الشام وتأثر بالانجيل والتوارة عندهم - أنه هو مرشد الكل. واستطاع بسياسته أن يكسب الكثير منهم حتي أنه عندما رأي كثرة أنصاره بمكة لم يصد البقية، ليكسبهم - فيما بعد - وهاجر للمدينة لكي يُكتّل أتباعه سنة ٦٢٣م.

+ وكان أتباعه يرون في أنفسهم قد اهتدوا الي الصراط المستقيم. فدافعوا بدمائهم في سبيل ماقتنعوا بصحته. والرسالة الجديدة تكون أولاً قوية في الأتبَاع. وظهرت قوتهم في نجاح أكثر غزواتهم التي قاموا بها.

+ وكانت سياستهم حسنة في أول العهد. فبعد أن ذهبوا لفتح القدس مثلاً ورأي

قائدهم إصرار البطريرك صفرونيوس علي عدم تسليم البلد إلا للخليفة عمر بن الخطاب - نزل علي رأيه، واستدعي الخليفة للمدينة المقدسة.

+ وكذلك عندما استولوا علي مصر أعطوا الحرية الدينية لأهلها مقابل دفع جزية. وأقاموا العدل أولاً حتي ضربوا مثلاً أحد الاعراب الذي تعدّي - بدون وجه حق - علي أحد أبناء الاقباط.

ثالثاً: حالة مصر وموقف الاقباط:

+ كان يحكم مصر في ذلك الوقت من قبل الامبراطور هرقل والمقوقس (والأصح قيرس) وكان رئيساً دينياً وسياساً... وحصل علي كثير من الضرائب ولم يوردها لعاصمة الامبراطورية لاضطراب الحال بها.

+ ولما رأي بعض النجاح للإمبراطور هرقل خاف من مطالبته بالمتأخرات فتقرّب الي نبي المسلمين وأهداه مارية إبنة ابراهيم، وأطفأ نشاط الجنود الرومانيين، حتي لا تقف ضدهم، وهو يظن انه قد يكون بهذا أحسن حالاً!

+ وأما أقباط مصر فقد استاءوا من تصرفات الأباطرة الرومان والبيزنطيين وكان آخر حوادثهم معهم إغراق "مينا" شقيق البابا بنيامين.

+ ولكن من ناحية أخري كانوا يتهيبون الانقلاب الذي سيحدث عند انتصار أمة غريبة عنهم في الدين، فلم يكن هناك قرار نهائي في تشجيع الروم أو العرب، وهذا الموقف من المقوقس من ناحية ومن الأقباط في انصرافهم عن تأييدهم أضعف قوة الدفاع معنوية كانت أو مادية. كل هذا سهّل علي العرب دخول مصر في مدة وجيزة.



الفصل الثاني

أوائل ولاة العرب علي مصر

+ كان أول ولاة مصر هو عَمرو بن العاص. وأول الداعيين الي غزوها لأنه زارها. وحرّض الخليفة عُمر بن الخطاب علي ذلك فكان رد الخليفة: «تراني مستخير الله في سيرك وسيأتيك كتابي سريعاً... فإن أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها... فانصرف... وإن كنت دخلتها، قبل أن يأتيك كتابي، فامْضِ لوجهك، واستعن بالله واستنصره. وكان ذلك بعد افتتاح بيت المقدس... فسار عَمرو ومن معه قاصداً مصر... فلما بلغ رفح حتي أدركه رسول من قبل أمير المؤمنين... فخاف أن يكون ذلك الكتاب مؤذناً بالإنصراف عن مصر، وهو لم يدخلها بعد! فأجل فتحّه حتي يدخل أرضها. وكان إذ ذاك علي مسافة يسيره منها. فأمر بجد السير، حتي أمسي المساء.

+ «فسأل أين نحن؟!» فقيل له: «في العريش» فعلم أنه دخل أرض مصر... ثم وقف وفي يده كتاب الخليفة فتلاه... وهكذا دخل عَمر بن العاص مصر»(١).

+ اجتاح البلاد عن طريق الفرما وبلبيس ثم استقر قليلاً خارج حصن بابليون (مصر القديمة) واستطاع أن يفتح الحصن بعد أن عمل صلحاً مع المقوقس بالشروط التي أملاها عمرو في قوله «ليس بيني وبينكم إلا أحد ثلاث خصال، إما إن دخلتم في الإسلام، فكنتم أخواننا وكان لكم ما لنا. وإن أبيتم أُعطيتم الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون. وإما إن جاهدناكم بالصبر... والقتال ... حتي يحكم الله بيننا وبينكم، وهو خير الحاكمين»(٢).

+ وعلي هذا مَنْ كان من المصريين فقيراً في الايمان والمال غيّر دينه. ومن كان غنياً في الايمان وفقيراً في المال استشهد. ومن كان غنياً في الايمان والمال اشتري إيمانه بالجزية.

+ ثم استولي عَمر علي الاسكندرية بعد ذلك. وجعل عليها المقوقس والياً وعلي الوجه

(١) جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، جـ ١، ص ٩٤ – ٩٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٩

القبلي عبد الله ابن ابي سرح. وتولي بنفسه ولاية مصر وخراجها الذي كان يُجنّي منها ١٢ مليون دينار. وجعل عاصمة البلاد الفسطاط (مصر القديمة) بدلاً من الاسكندرية حتي لا يفصل بينها وبين مركز الخلافة بحراً...

+ وعُمِّرت الفسطاط بالأبنية الفاخرة التي بناها الأقباط وبالكنائس والبساتين. وكذلك عُمِّرت بالجامع الذي بناه وأخذ أعمدته من معابد منف.

+ وقد أفادت مصر بلاد العرب كما هو ظاهر من الخطابين الآتيين المُتبادلين بين الخليفة وابن العاص فقد أرسل الأول يقول «أما بعد. فلعمري ياعمرو ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك وأن أهلك أنا ومن معي؟ فياغوثا. ثم ياغوثاه» فرد عليه عمرو يقول «يا أمير المؤمنين أما بعد فيالبيك ثم يالبيك. قد بعثت اليك بعيراً أولها عندك وآخرها عندي والسلام»[(١)] يقصد بذلك كثرة الجِمَال المحملة من خيرات مصر لتغيث عمر ورعيته في المجاعة.

عبد الله بن أبي سرح:

+ بعد موت عمر بن الخطاب وتولية عثمان بن عفان أعطي الأخير الولاية الي عبد الله إبن أبي سرح. وقد نشط الأخير في جباية الضرائب. فبعد أن كان عمرو يجمع ١٣ مليوناً، استطاع عبد الله أن يكثّرها الي ١٤ مليون دينار.

+ ومن هذه الضريبة التي كانت تفرض علي كل شاب مقدار دينارين يمكن معرفة عدد دافعي الجزية. فعلي هذا الأساس يكون عددهم نحو ٧ مليون من الأنفس. وإن أعتُبِر هؤلاء بنحو ربع السكان، ماعدا النساء والأطفال والشيوخ، كان سكان مصر من الاقباط في ذلك الوقت نحو ٢٨ مليونا من الأنفس. - والبلاد الخربة في بقاع متعددة من القطر المصري الآن تُظهِر دليلاً لذلك الخراب الذي حل بالبلاد، فيما بعد.



(١) جورجي زيدان، المصدر السابق ص ١٢١

الفصل الثالث

الاسكندرية والسودان في هذا العهد

١) الاسكندرية:

+ كانت قبيل هذا العهد عاصمة البلاد السياسية والدينية. وبها كنيسة كُبري لمارمرقس الرسول وبها جسده ومكتبة كبري.

+ ولم يكن سهلاً علي عَمر بن العاص الاستيلاء عليها.ولكن الظروف ساعدته بموت هرقل أثناء الاقتراب منها، وحتي بعد الاستيلاء عليها أيام عبد الله بن أبي سرح (الذي أكثر الضرائب) وهجم الروم عليها لاستردادها. فأتي عَمرء وأرجعها بالقوة للعرب.

محاولة نقل رأس مارمرقس:

* ورد ذلك في كتاب سيرة البطاركة لساويرس بن المقطع ما يأتي: «في سنة ثلثمائة وستين لدقلديانُس... من بعد أن ملك عَمرو مصر بثلاث سنين (٦٤٤م) ملكوا المسلمين مدينة الأسكندرية وهدموا سورها. وأحرقوا بيعاً كثيرة بالنار. وبيعة مارمرقس التي هي مبنية علي البحر، حيث كان جسده موضوعاً هناك. وهو الموضع الذي مضي إليه الأب البطريرك الشهيد قبل استشهاده وبارك فيه - وسلم اليه القطيع الناطق، كما تسلمه (من الرب) فأحرقوا هذا الموضع وماحوله من الديارات وكانت أعجوبة عند حرق البيعة المذكورة فعلها الرب هناك».

* «وذلك أن أحد رؤساء المراكب وهو رئيس مركب الدوقس سانوتيوس (الحاكم شنودة) نزل الي البيعة وأتي الي التابوت فوجد الثياب قد أُخِذَت لأنهم ظنوا أن في التابوت مالاً. فلما لما يجدوا شيئاً أخذوا الثياب من علي جسد مارمرقس وبقيت عظامه فيه، قلما جعل رئيس المركب يده في التابوت وجد رأس القديس مارمرقس، فأخذها وعاد الي مركبه سراً. ولم يعلم به أحد. وخبأها في الخُنّ في قماشه»[١].

* «فلما أراد المراكب التي فيها زاد العسكر... وحوائج الدوكس سانوتيوس المؤمن

(١) ساويرس، تاريخ البطاركة ✓ ٤٩٤ (٢٣٠).

(المسيحي) وأصحابه تقلع (للاستيلاء علي ليبيا) وقف المركب الذي لخاصته. ولم يقدر يقلع. فاجتمع اليه جمع كثير فظنوا أنه قد وحل فربطوا فيه لبانات وجروه بجهدهم، فلم يتحرك بالجملة. فمضوا الي الدوكس وأعلموه ذلك لأنه كان راكباً مع الأمير فتعجب جداً. وأرسي المركب الذي الامير عمرو فيه وعاد منه الدوكس (Dux) ومعه جمع كثير».

* «فلما وصل الي المركب رأي عنده خلقاً كثيراً لا يُحصَي عددهم. وهم لا يقدرون يحركونه فقال لهم: « أديروا مقدم هذا المركب الي المدينة» فلما أداروه للدخول الي المدينة جري اليها مثل السهم. فقال لهم "جروه الي براً" فجروه حتي انتهي الي مكانه الأول فوقف ولم يتحرك ثم أعادوه الي داخل فجري وعادوا جروه الي براً" فوقف هكذا ثلاث دفعات. فعند ذلك قال الدوكس لرئيس المركب «أصعد الي بقماش النواتية أفتّشه، لكي أنظر ماهو وأعرف السبب الذي أوجب وقوف هذا المركب دون جميع هذه المراكب كلها» فخاف الرئيس الذي كان أخذ رأس القديس مارمرقس الانجيلي. فطرح نفسه علي رجلي الدوكس واعترف له بما فعله وأن الرأس مخبأ في قماشه. فصعدوا بقماشه من الخُن فوجدوا الرأس فيه. فمضوا بسرعة وأعلموا البابا بنيامين بالخبر علي جليته. فركب لوقته وأخذ معه جماعة من الكهنة وأتي الي الدوكس... وفي الوقت الذي جاء فيه بنيامين البطريرك الي المركب وأخذ الرأس الطاهرة، وأطلقه فأقلع المركب لوقته إقلاعاً مستقيماً. فعلم هذه الاعجوبة. ومجدوا الله ودفع الدوكس للبطريرك مالاً كثيراً. وقال له: "إبنِ بيعة القديس مارمرقس، واسأله السلامة لنا»[1]. والرأس الآن (القرن ١٠م) مازال بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية».

مكتبة الاسكندرية:

+ وهذه المكتبة كان لها شأن عظيم أيام البطالسة. وتُرجِم فيها العهد القديم من الكتاب المقدس الي اللغة اليونانية. وبعد أن أحرقها أغسطس قيصر، نُقلت اليها مكتبة

(١) ساويرس المصدر السابق، ص ٤٩٤.

«برجامن» (كهدية لصديقته كليوباترا) وصارت أشهر من الأولي. وقد قيل إن المسيحيين في القرن الرابع أحرقوها ولكن أنكباب المسيحيين علي دراسة فلسفة الوثنيين يُبعد هذه التهمة عنهم. وقد اعتبر اكلمندس الاسكندري الفلاسفة أنبياء الوثنية. وكما كان أنبياء العهد القديم يُمهّدون عقول الناس لقبول المسيحية، كذلك مهّد الفلاسفة عقول الوثنيين لقبولها.

* وقد وَرَد عن إحراقها أيام الفتح الاسلامي ما يأتي: «شَوَّه كتبة الافرنج تاريخ أعمال عَمرو بن العاص والخليفة عُمر... فقالوا إنها حُرِقت بمشورة الأول وبأمر الثاني. وهاك ما ورد في اقوالهم: «لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية علم بوجود مكتبة عظيمة هي مكتبة الاسكندرية الشهيرة. وكان أمرها مكتوماً عنه لمحاولة أهل الاسكندرية إخفائها حرصاً عليها، لأنها كانت مشتملة علي أثمن الكتب التي معظمها مكتوب علي البردي. إلا أن أحد علماء الروم القاطنين بالاسكندرية واسمه يوحنا الفراماطيقي اعتزل للدرس والمطالعة».

* «فلما فتح الاسلام الاسكندرية خطر له أن هذه المكتبة العظيمة لا تلبث حتي يتشتت شملها. فرأي أن يسعي جهده ليستولي علي شيء منها. فطلب الي عَمرو أن يسمح له بالاطلاع علي بعض كتبها. فاستمهله ريثما يخاطب أمير المؤمنين بذلك. فكتب له يستفتيه فأجابه: «أما المكتبة فلا يخلو أن تكون كتبها مُصَدِّقة لما في الكتاب العزيز فلا حاجة لنا بها. أو مناقضة له فهي رجس وضلال. وعلي التقديرين حرقها أوليً. فلم يسع عُمر إلا الإذعان. فجعل الكتب التي اقتضي كتابتها أجيال، وقوداً لحمامات الاسكندرية ستة أشهر»[1].

+ وقد ذكر إحراقها ابن القفطي وأبو الفرج الملطي (وعبد اللطيف البغدادى).

٢) السودان والخمس المدن الغربية:

+ بعد أن أستقر العرب بالقطر المصري، أرادوا أن يبسطوا نفوذهم أيضاً علي ما يتبع

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث جـ ١، ص ١١ .

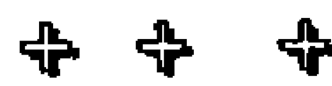
الكرسي الاسكندري. فأرسل عَمرو جيشاً إلي بنتابوليس (الخمس المدن الغربية)[1] ولم يستطع أخضاعها. وأكتفي منها بالاسلاب واستمرت هكذا إلي أن أخضعها عقبة إبن نافع في عهد الدولة الأموية.

+ أما السودان وكان يمتد من جزيرة فيلة الي الجنوب. فقد انتشر فيه المسيحيون الي شمال إثيوبيا. وكانوا يقرون الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد، ويرفضون قرارات مجمع خليقيدون. وكان يتكون السودان من عدة ممالك أشهرها دنقلة.

+ أرسل اليها عَمرو سنة ٦٤٣م عبد الله بن أبي سرح. فاجتمع جيش كبير بالسودان ضد العرب وأغاروا عليهم وأمطروهم بوابل من حرابهم التي كانوا يوجهونها الي أعين أفراد الجيش العربي فتعميها أو توجه نحو أي عضو فتقطعه. ولهذا فشلت هذه الحملة.

+ ثم أعادوا الكَرَّة سنة ٦٥٣م وجهزوا جيشاً كبيراً للإنتقام من النوبين. وتوغل عبد الله إلي أن وصل دنُقله ووضع حولها المتاريس التي لم يرَها النوبين. وأخذ يرمي الحجارة علي المدينة فأصابت كنيستها الكبري وهدمت جزءاً منها. فضعفت الروح المعنوية عندهم. واضطروا الي التفاوض في الصُلح. واشترط الاسلام عليهم وأن يبنوا جامعاً بدنقلة يخدمه النوبيون. واعطاء الحرية الدينية للإسلام بها. وأن يُرسَل سنوياً ٣٦٠ عبداً إلي مصر. ويخصص لوالي أسوان ٤٠ عبداً زيادة عن هذا المقدار.

+ وقد كلف أحد تجار النوبة أن يعمل منبراً حسَن الصُنع لجامع عَمرو بالفسطاط فجهزه وأقامه في موضعه المدعو بقطر أحد تجار دندرة.



(١) هي قيرين وتبعد ١٥ ميلاً من مرسي سوسة و برنيقة (بني غازي) و أبولونيا (مرسي سوسه) و أرسينوي وبطولمايس (طلميته) وللمزيد عن موقعها وتاريخها وكنائسها، راجع كتابنا: «كنيسة الخمس المدن الغربية» طبعة مطرانية البحيرة (١٩٨٧).

الفصل الرابع

البابا بنيامين والبابا أغاثو

١) البابا بنيامين الاسكندري:

+ وقد حضر جزءاً من اضطهاد الامبراطور هرقل وكان آخر ماذُكر عنه أنه هرب الي الصعيد من وجه هرقل وكيرس (كيرَش) الذي أغرق شقيق البابا، لتمسُّكه بعقيدته الأرثوذكسية.

+ «ولما استقر الامر لعَمرو بمصر أشار عليه الدوقس (الارخن) شنوده «سانوتيوس» بأن الأمر لن يهدأ عند الاقباط إلا بأرجاع باباهم إلي كرسيه.

+ فأصدر عمرو منشوراً بإعطاء الامان للبابا بنيامين ليأتي الي كرسيه، فقوبل البابا من عَمرو ومن الشعب القبطي بحفاوة بالغة.

+ وكان كثيرون من الملكيين (الروم) قد هاجروا من البلاد. فاسترد البابا بعض الكنائس التي سلبها الملكيون من سابقيه.

+ وأنتقم الرب من كيرش الذي لما رأي سوء الحال بالنسبة للرومان شرب سماً ومات. ولم يستطع خليفته بطرس من البقاء بالاسكندرية، فذهب الي القسطنطنية.

+ أما البابا بنيامين فبعد أن أستقر به الحال، أراد أن يُصلح ما أفسدته الأيام فذهب الي وادي النطرون الذي مر به وراه خرباً وعمّره، خصوصاً دير أبي مقار. وورد في كتاب سير البطاركة أنه بينما كان يُكرِّس كنيسة أبو مقار رأي شيخاً عليه علامات التقوي بين الحاضرين. ففكر في أن يقيم هذا أسقفاً. فظهر له ملاك الرب، وقال له إنه القديس مقاريوس.ثم لم يجده»[1]؛

+ واستمر هذا الأب يجاهد إلي أن أنتقل لعالم المجد نحو سنة ٦٥٩م.

البابا أغاثو الاسكندري:

+ ورد عنه في سيرة البطاركة «كان قساً في الكنيسة، وهو من أهل مريوط.وكان في زمان هرقل يتزيّ بزي العلمانيين في مدينة الاسكندرية. ويطوف في الليل يُثّبت الأرثوذكسيين المختفين. ويقضي حوائجهم من السرائر المقدسة. وإذا كان بالنهار

---

(١) Evetts : ٥٠٧ (٢٤٣).

حمل علي كتفه قُفّةً فيها الآت النجارين. ويظهر أنه نجار، حتي لا يعترضه المخالفون. ويجد بذلك السبيل الي دخول دور الارثوذكسيين ومنازلهم يعطيهم من السرائر ويُصبرّهم ويُعزّيهم. فمكث هكذا عشر سنين الي حين ظهور المسلمين.

+ فلما عاد المغبوط بنيامين جعله معه - مثل إبنه - في تدبير البيعة المقدسة[1] «لما مات الأب بنيامين - وأن الشعب المؤمن ... أخذوا ذلك القس الخائف من الله"أغاثون" وأجلسوه بطركاً كأتفاق اسمه مع فعله معاً، إذ هو صالح وعمله صالح».

* «وكان المسلمون يقاتلون الروم... فأسروهم من بلادهم الي بلاد غريبة وكذلك صقلية... ملكوها وأخربوها... وجابوا سبيها الي مصر ... وكان البطرك أغاثون حزين القلب إذ يري أعضاءه في أيدي الأمم! وكان الغزاة قد أباعوا منهم أنفساً عدة، فيشتريهم ويعتقهم... وأوقّع به الشيطان تعباً عظيماً.....».

* «فتولي في تلك الايام أمر الاسكندرية إنسان إسمه تاوضوروس... وكان رئيساً في جماعة من الخلقيدونيين... وكان مُقاوماً للأرثوذكسيين. فمضي الي دمشق الي مقدم المسلمين وإسمه زياد بن معاوية، وأخذ منه سجلاً يتسلط به علي شعب الاسكندرية... ولا يكون لوالي مصر عليه حكم، لأنه دفع له مالاً جزيلاً - وعاد وتسلّط علي الأب أنبا أغاثون وأقلقه، وطلب منه المال الذي غرّمه وأخذ منه ستة وثلاثين ديناراً جزية كل سنة عن تلاميذه.... وكان يحتاج الي سبعة الآف دينار لتاوضروس الخلقيدوني.... وما كان يمكنه يخرج من باب قلايته (الدار البطريركية) من قوة بغضته له... حتي أنه أمر وقال: «من رأي البابا يخرج ليلاً أو نهاراً فيلُرجمه بالحجارة ويقتله وأنا المجاوب عنه»... ثم أن قداسة البابا أكمّل أيامه بشيخوخة حسَنة ثم تنيّح بسلام».

* «ولما تنيّح وضع تاوضوروس الخلقيدوني يده علي الكل (أملاك البطريركية) حتي أنهم لم يجدوا خبزاً يأكلونه في يوم وفاته، لأنه ختّم علي كل ماله».

* «الي أن أنتقم منه الرب بضربة صعبة في أحشائه، وهي علة الاستسقاء. وصار يأكل كل يوم إثني عشر رطلاً خبزاً، وأربعة وعشرين رطلاً لحماً... ورطلين تيناً. ويشرب زقّاً واحداً نبيذاً من مريوط، ولا يشبع ولا يُرَوي ولا يمتليء بطنه. ومات بموتة سوء»[2].

---

(1) Evetts، ٥٠٢ (٢٣٨).

(٢) المصدر نفسه ٢٥٨ - ٢٦٤.

الباب الثالث

حكم الأمويين من دمشق ٦٦١ - ٧٥٠م

+ نجح الأمـويون في أخـذ الخـلافـة من علي بن أبي طالب، آخـر الخلفـاء الراشـدين. وجعلوا مقّر عاصمتهم دمشق.وكان أشهر خلفائهم الوليد بن عبد الملك (الذي بني الجامع الكبير بدمشق والمشهور بالجامع «الأموي» وكان في جانب الجامع كنيسة للنصاري تُعرَف بكنيسة مار يوحنا.فهدمها الوليد وأدخلها في الجامع).

+ وفي أيام هذا الخليفة امتدت فتوحات الاسلام الي داخل افريقية. وحدثت بعض اضطرابات داخلية في أسبانيا بين ملوكها وأشرافها، فتحت الباب لدخول الأسلام.... في أوائل القرن الثامن إذ كان موسي بن نصير عاملاً علي بلاد المغرب... أتوا إلي موسي وطلبوا منه أن يُقيم حرباً علي الاندلس وينتقم من ملكها فريدريك الذي كان اغتصب تاج المُلك.... فأرسل طارق بن زياد لافتتاح تلك البلاد... ورسا بسفنه تجاه جبل الفتح الذي تسمي باسمه.أي جبل طارق الي يومنا هذا... وافتتحها... وكان حكم الاسلام ممتداً من البحر الابيض المتوسط الي جبال الرون» (فرنسا).

* «وقطعوا تلك الجبال ودخلوا تخوم فرنسا... فاستعد لقتالهم الملك كارلوس مارتل والتقاهم بعسكر عديد بالقرب من طور (جبل)... وبعد وقائع هائلة... ظفر ملك فرنسا... ولم يعد يمكنهم أن يُثيروا حرباً ثانية علي تلك الجهات[1].

+ ومع هذا الاتساع الذي وصلت اليه الامبراطورية الاسلامية في هذا الوقت وغيره، فقد أبتُليت مصر بولاة ظالمين.... وأدي الأمر الي ثورة الأقباط ضدهم، والي تدخل ملك السودان (النوبة) لإنقاذهم.



---

(١) يوحنا إيكاريوس «تاريخ الدهور»، طبع بيروت، سنة ١٨٨٥م، ص ١٠٨ - ١١٠ .

الفصل الأول

ظُلم الــولاة

+ كثر عدد الولاة في عهد الأمويين وكان أكثرهم من أقارب الخلفاء. وكثر ظلمهم أيامهم. وعلي سبيل المثال ماعمله بعضهم. وهم عبد العزيز وأبنه وعبد الله وقرة وأسامة.وقد عاصر أغلب هؤلاء البابا ألكسندروس الزجاجي (من دير الزجاج) سنة ٧٠٣ – ٧٢٨م.

١) عبدالعزيز(٦٨٤م-٧٠٥م):

+ وهو إبن مراون بن الحكم أتي به والده معه الي مصر، ولما هّم بالرحيل قال له إبنه «يا أمير المؤمنين كيف المقام في بلد ليس به أحد – من بني أبي، فقال له مروان «يابُنيّ عاملهم بإحسَانك يكونوا كلهم بني أبيك.واجعل وجهك طَلقاً تصفُ لك مودتهم وادفع الي كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره، يكن لك علي غيره.ألِيس ذلك أحسن من إغلاق باباك وخمولك في منزلك»[١]؟!

+ ولكنه لم يعمل بنصيحة والده وتجبر.وحصل في أيامه حريق بالفسطاط فأراد أن يبني عاصمة أخري في حلوان (ونقل اليها بيت المال وكان الامين عليه رجل قبطي يسمي «أنيتاس») وابتني القصور الشامخة وزينها بالبساتين الناضرة. واذ كان القبط هم أهل البلاد وذوي الثرورة.... كلف عبد العزيز أهل اليسار من القبط أن يبني كل منهم له داراً بحلوان... وكان يُكثرون التردد لزيارة الأمير»[٢].

+ ولما رأي أنه في احتياج الي المال... وكان الكهنة والرهبان بلا جزية،أمر بفرض دينار علي كل منهم،«وأمر بكسر جميع الصلبان التي في كورة مصر صلبان الذهب والفضة فاضطربوا (قلق) نصاري أرض مصر. ثم كتب عدة رقاع وجعلها علي أبواب البيع (الكنائس) بمصر والريف يقول فيها محمد الرسول الكبير الذي لله وعيسي أيضاً رسول الله وأن الله لم يلد ولم يولد»!

(١) هند اسكندر «تاريخ مصر» طبع دار المعارف، سنة ١٩٩٣ ص ١١١

(٢) روفيله «تاريخ الأمة القبطية» ص ٦٥ – ٦٦ .

+ وكان لعبد العزيز ملك مصر، ولد يُسمي الأصبع[1] فولاه علي جميع الكورة... وكان مُبغضاً للنصاري... وكان المخالفون يسعون عنده بالرهبان النصاري ويقولون إنهم يأكلون ويشربون... فأحصّي جميع الرهبان في كل الكور ووادي هبيب.... وجعل عليهم جزية ديناراً... ثم أن آساقفة الكور ألزمهم أن يقوموا بألفيّ دينار.. فلم يمهله يسوع المسيح.وفي زمان يسير أزعجه، وذلك أنه لما كان يوم سبت النور لما دخل الي دير حلوان، نظر الي الصور مزينة كما يجب. وكانت صورة السيدة الطاهرة مريم والسيد المسيح في حضنها. فلما نظر اليها وتأملها، قال للأساقفة: «لمن هذه الصورة؟!» فقالوا «هذه مريم أم المسيح» فافتري عليها وملأ فاه بصاقاً وبصق في وجهها. وقال: «إن وجدت زماناً أمحو النصاري... ومن هو المسيح حتي تعبدوه إلهاً؟!».

+ ولما كان في تلك الليلة أنزل الله عليه إنتقاماً. فأصبح وجاء إلي أبيه. فوجده جالساً وعنده جماعة من المسلمين ومن النصاري. وكان يوم أحد الفصح المقدس. وقال لوالده: «إن الشياطين عذّبتني هذه الليلة». فقال له أبوه: «كيف يا ولدي؟» فقال: «نظرت وكأن واحداً جالساً علي كرسي عظيم مخوفاً، ووجهه يُشرق نوراً، وحوله ألوف وربوات حاملين السلاح.... وأنا وأنت خلفه قياماً، مربوطين بسلاسل حديد فسألت واحداً بصوت خفي مَنْ هذا؟! فأجاب: هذا يسوع المسيح ملك النصاري، هذا الذي هزأت به وبصقت في وجهه» وفيما هو يقول لي هذا واذ قد جاء اليَّ واحد من حاملي السلاح فطعنني بحربة في جنبي. ولم يقطعها حتي أسلمت روحي. فلما سمع والده حزن جداً. وأصيب الصبي للوقت بحُمّي عظيمة، وحُمِل لوقته وأضجعوه علي فراشه ولم يفتح فاه بعد... فلما كانت الساعة الثانية من الليل مات ودُفن، ولم يقدر واحد أن يُسلّي والده عنه، وبعد أربعين يوماً مات أبوه»[2].

٢) عبدالله وقرّة :

+ والأول عينّه والده عبد الملك بن مروان «فأشتد علي النصاري حتي أنه كان في أكثر أوقاته إذا جلس علي المائدة يأمر بذبح بعض الأقباط أمامه، ليتلذذ برؤية دمهم...

(١) سُمي أحياناً عصبة.

(٢) Evetts : ٥٤ (٣٠٤ - ٣٠٨)، ومنسي، تاريخ الكنيسة، ص ٤٣٢ - ٤٣٤.

وأمر عبد الله أن تصير الكتابة في دواوين الحكومة بمصر باللغة العربية سنة ٧٥٦م وكانت الي ذلك الحين باللغة القبطية... تحت رئاسة إنتاس. فعزله وولّي مكانه إبن يربوع الغزاوي من أهل حمص.

* «ولما رأي القبط أن هذا التغيير يعودعليهم وبالاً... جدّوا في تعليم اللغة العربية... ونُقلت أيضاً أسماء البلاد الي العربية، فتحرفت عن أصلها»(١).

* «وفي تلك الأيام خرج البابا الطوباوي ألكسندورس وسار إلي مصر ليُسلِّم عليه كالعادة.فأخذه وسلمه (للحبس) الي أن يقوم بثلاثة آلاف دينار... فلما نظر ذلك جرجة الشماس التمراوي، فقال: «أنحدِر به الي بحري، أطلب له من الأراخنة فطاف به المدن... حتي حصّل المال وحمله. وكان علي الارض قلق واضطراب... حتي انتقم الرب منه بسرعة بعد أن أقام سنتين. فقبض الرب نفس عبد الملك أبيه وتولي موضعه الوليد».

* «ولما جلس علي كرسي المُلك بدأ يعزل الولاة ويولي غيرهم من أصحابه. فولّي واحداً أسمه «قرة» سنة ٧٠٩م ولم يعرف ذلك الكافر عبد الله.وبينما هو جالس في قصره وصل الوالي عوضه بغتة وجلس موضعه فلَحَقه لذلك فضيحة عظيمة وخزي. وأنزل «قرة» بلايا عظيمة علي أصحاب عبد الله والنصاري والمسلمين وطرحهم في السجون فلما وصل «قرة» إلي مصر مضي الآب البطريرك كالعادة ليهنئه بالولاية. فقال له: «الذي قَبَضه منك عبد الله عبد الملك نحتاج أن تقوم لي.بمثله» فقال له الأب البطريرك: «شرعنا يأمرنا ألا تكون لنا قنية». فقال الأمير: «هذا الكلام ماينفع. ولو أنك تبيع لحمك لابُد من ثلاثة آلاف دينار»!!

+ فلما رأي أنه لا يخلص منه سأله أن يُسيَّره الي الصعيد. فكان الرب يشفي أمراض كثيرة بصلواته. وكان كل أحد يفرح به ويقول: «إن من زمان الأب بنيامين مارأينا بطركاً في الصعيد».

* «ولقي تعباً وغُربة ومشّقة حتي أن الشيطان – مُبغض الخير – فعل هذا الأمر. وهو أن سائحاً اسمه فيلباسطس وهو مقيم علي صخرة ومعه راهبان تلميذاه.فأمرهما أن

(١) القمص منسي «تاريخ الكنيسة القبطية» ص ٤٣٣ - ٤٣٤، Evetts، ٣٠٤ـ٣٠٨ .

ينظفا له موضعاً خارجاً عن الصخرة، وفيما هما ينظفان ويحفران وجدا خمسة كيزان نحاس مملوءه مالاً من سِكّة الروم.فأخفوا أحدهم وأظهروا الأربعة للسائح فقال لهما الشيخ السائح... «الرب قد وفّق هذا المال للآب البطرك».ثم أنفذ الي وكيل البطرك، وكان اسمه جرجه الراهب والي كاتبه، وسلّم لهما الأربعة كيزان. وقال لهما «خذا هؤلاء ادفعاها عن الأب ألكسندروس». فأخذاها ومضيا ودفناها... وكان الاب غائباً يجمع المطلوب سداده في الصعيد».

+ «فأخذ الرهبان ولدا السائح الكوز المال واقتسماه... وتركا الرهبنة. فقبض الوالي علي احدهما وقال له: «من اين لك هذا المال؟!» فلما أحرقه الضرب قال لهم عاهدوني ألا تفعلوا معي سوءاً» فعاهدوه. فأعلمهم خبر الخمس كيزان، وأن الأربعة عند وكيل البطرك وكاتبه. فأعلموا «قرة» بذلك. فأمر بغلق الابسقوبيون[1] وأخذ كل ما فيه من الأواني الذهب والفضة والكتب والبهائم (دواب الحمل) وأخذ الأربعة كيزان المال سوي أواني البيعة. وأنفذ الي الصعيد، وأحضر البطرك، وهمّ بقتله بسبب أنه ليس معه ذهب. فمنعه الرب. فكبّله بالحديد وطرحه في السجن. فأقام سبعة ايام».

* «ثم بعد هذه البلايا قام عليه أهل الاسكندرية والكهنة وألزموه أن يقدم لهم رسماً في ثالث يوم عيد الفصح. ولم يكن له شيء يدفعه. وكان يقول لهم: «ياأخوة قد نظرتم نهب جميع مال البيعة بحتي الكاسات (كؤوس التناول) جعلنا عوضاً عن الذهب والفضة كاسات زجاج من أجل نهب قرة».

* «ثم أنزل الله علي أرض مصر وباءً عظيماً صار من يموت كل يوم لا يُعرَف عددهم وكان أكثر من يموت من المسلمين. ثم دخل الوباء منزل «قرة» فمات نساؤه وغلمانه وكان يهرب من موضع الي موضع خوفاً من الموت حتي فرغ أجله. فمات بغتة، بموتة سوء[2]».

---

(١) دار الاسقفية (البابوية).

(٢) Evetts، ٥٤ - ٦٦ (٣٠٨ - ٣١٨).

٣) أُسامة « ٧١٥م »:

* «وكان جابي الخراج (الضرائب) أيام خلافة سليمان بن عبد الملك (سنة ٧١٤ - ٧١٧م) «لقبّه بعامل الخراج» وقد أتفق جمهور المؤرخين من مسلمين واقباط علي استبداد هذا الرجل وظلمه مما جعلهم يزيدون تظلماً من أنه لم يكتفِ بإعلان الرهبان باستمرار الضريبة عليهم علي حين انهم كانوا ينتظرون رفعها عنهم، لكن أمر أن يلبس كل منهم في كل سنة خاتماً من حديد في أصبعه، محفوراً عليه اسمه، يأخذه من جابي الخراج إشارة الي خلو طرفه. ومن يخالف ذلك تُقطع يده. فإذا اصرَّ علي المخالفة يُقتل. فكانت العساكر تطوف الاديرة والكنائس في هذا الجيل.فكم قتلوا من نفس زكية»؟! .

* «ومن ضرائب أسامة ضريبة فادحة مقدارها عشرة دنانير، تُطّلب من المار في النيل صاعداً أو نازلاً . ولا يمّر إلا من كان في يده أمر مؤذن له بذلك. ومما يُحكَي أن أرملة سافرت في النيل مع ابن لها، بعد دفع الفروض، ونوال تذكرة المرور ولكن بكل مشقة، نظراً لضيق ذات يدها، فحدث وهي في أثناء السّير أن إبنها هذا مال إلي النيل مستقياً، فاختطفه تمساح وابتلعه وثيابه، والناس ينظرون. وكانت تذكرة المرور في جيبه. ولما وصلت المكان المقصود اعترضها صاحب التذاكر. وأبي إلا أن تُبرِز تذكرتها . فأخبرته بما كان من أمر ضياع إبنها علي مشهد من الناس. فاغلق أذنه عن صراخها . ولم يفرج عنها، حتي باعت ما بين يديها ودفعت الفلس الأخير».

* «كل هذه الاجراءات وغيرها جعلت المصريين في قنوط.فثاروا علي أسامة يطلبون الانتقام.... ثم بعث الخليفة «عمر بن عبد العزيز» بالقبض علي أسامة وتكبيله بالحديد وتسمير يديه ورجليه بأطواق من الخشب، وإرساله اليه. فمات أسامة في الطريق»[1] .



(١) جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث ١٨٨٩ (جـ ١ ص ١٥٠ - ١٠٢).

الفصل الثاني

ثـــــورة الأقـــــباط

+ قبل الاقباط علي مضض ظلم هؤلاء الولاة وأمثالهم. وفكروا في طريقة يُظهرون بها استياءهم، فاتبعوا ما يأتي:-

١) الشكوي:

+ كما شكوا قرة «من ظلمه ونسبوا اليه الاستخفاف بديانتهم، لأنه كان يدخل ورجاله كنائسهم ويقطع عليهم صلواتهم»(١).

+ «ورفعوا إلي الخليفة عمر بن عبد العزيز شكواهم من أسامه فعزله، وعيّن أيوب بن شرحبيل وكان هذا ورعاً نزيهاً عادلاً وبعدئذ فُرضت الضرائب علي من أسلم فأرسل الخليفة للوالي ابن شرحبيل يقول له: «قبح الله رأيك. إن الله بعث محمداً هادياً وليس جابياً» (٢).

٢) المقاطعة:

* «وكان ذلك عندما عين حنظله بن صفوان وتوقف أهل تنوديمي وقربيط مع أهل الحوف الشرقي، بين بلبيس ودمياط عن دفع الجزية سنة ٧٢٥م، وبعد أن أرجعه هشام الملك زاد في الضرائب جتي جعلها علي الحيوانات. «وكان يختم الايصالات المُعطاة منه بختم عليه صورة أسد، وكان يقطع رأس كل من لم يكن معه هذا الرسم من المسيحيين»(٣). ولم يقف حنظله عند هذا الحد، بل لما أراد أن يبني له دوراً بالفسطاط فاستخدم فيه الأقباط وضغط عليهم ضغطاً شديداً لم يطيقوه.فهاجوا في مدن ببلوصا وسمنود وما يجاورها وفي بلاد الصعيد، وقاموا علي عمال الخراج وأخرجوهم من بلادهم. وحصلت بينهم وبين جنود الوالي واقعة عظيمة، قُتِل فيها كثيرون. فشكوه للخليفة فعزله»(٤).

---

(١) هند اسكندر «تاريخ مصر» ص ١١٣.

(٢) جورجي زيدان، «تاريخ مصر الحديث» جـ ١ ص ١٥١.

(٣) المصدر نفسه، جـ ١ ص ١٥٤.

(٤) القمص منسي «الكنيسة القبطية» ص ٤٢٩ .

* «وتقلبت ولاة ذاك وعاد في أثنائها «حنظلة بن صفوان من أفريقيا ونزل الجيزة فكتب (أمر) مراون «الحمار» بتوليته علي مصر. فشق ذلك علي المصريين ومنعوه من المقام في الفسطاط وفي سنة ٧٤٥م ولي مراون بن الحوثرة»[1].

٣) الاستعانة بالملوك المسيحيين في الخارج

* وكان أقرب هذه البلاد السودان وكانت الصلة وطيدة بين الكرسي الاسكندري والسودان وأثيوبيا، حتي عندما بلغ البابا أيساك (اسحق) الشبراوي وقوع حرب بينهما، أرسل خطاباً لكل منهما ليكف عن القتال ويتعاملان بالمحبة المسيحية. فتصالحا بمشورة أبيهما البابا الاسكندري.

* ولكن في عهد مراون الحمار آخر خلفاء الأمويين. وكان بمصر والٍ يُسمي «عبد الملك ابن موسي» كان غليظ الطبع سيِّء الخُلق كثير الطمع مستبداً وأداه طمعه إلي إلزام النصاري بدفع مبالغ طائلة وألزم البطريرك - والأساقفة - أن يدفع غرامة لم يكن في طاقتهم آداؤها وكان ذلك أيام البابا ميخائيل المقاري».

* «فطلب إليه البطريرك أن يُمهله حتي يطوف البلاد ويجمع المال من أهل الخير. فصرَّح له بذلك. فقام قاصداً الوجه القبلي. فوجد جماعة الاقباط في ضيق شديد .وصار ينتقل من بلد الي بلد حتي وصل أقصي الصعيد».

* «وأن كرياكس (قرياقوس) ملك النوبة لما علم بذلك غضب من سوء معاملة الوالي للبطريرك، والأقباط. فجمع جيشاً كبيراً، وسار به إلي مصر. وصار يعيث فساداً في البلاد إلي أن صار علي مقربة من الفسطاط».

* فلما علم بذلك عبد الملك بن موسي حتي أنزعج وتحيَّر في أمره، لعدم إمكانه محاربته نظراً لقلة عساكره، وما كانت عليه البلاد حينئذ من الضعف والإخلال (بالأمن) بسبب ظهور أبي العباس مؤسس الدولة العباسية - وأنشغال مروان - آخر خلفاء الدولة الأموية بمحاربته - فلما علم عبد الملك بن موسي بسبب مجيء ملك النوبة، استدعي البطريرك، وأبرأ ذمته من المبلغ الذي كان فرضه عليه. وأوعز اليه أن يتوسَّط في

---

(١) هند اسكندر «تاريخ مصر» ص ١١٧.

الصُلح بينه وبين ملك النوبة. فأجاب طلبه ومازال بالملك حتي عاد ملك النوبة إلي حيث آتي»[1].

* «وبعد هذا رفع البابا القرابين لله في بيعة الشهيدين سرجيوس وباخوس، وناول كثيرين من الشعب «وجاء رجل يطلب أن يتناول القربان وهو يمنعه، ولما سرَّح الشعب وصرف الناس بسلام، حضر ذلك الرجل الي الأب وهو يبكي... فقال: «إني كنت أفطر في بيتي وآجيء بعد إفطاري الي الكنيسة أتقرّب (أتناول) وكذلك فعلت اليوم» وفي صعيد مصر قوم كثيرون يفعلون هذا، ولا يعلمون أنها خطيئة» فلما سمع الأب البطريرك ذلك أمر ألا يتقرّب أحد من المؤمنين إلا وهو صائم. ولا يتقرب دفعتين في يوم واحد».

+ وكانت أبنة الوالي عبد الملك قد سكن فيها روح نجس وكان عمرها أربع سنين - فسأل البطريرك أن يصلي عليها. فأخذ زيتاً وصلي عليه ودهنها فخرج الشيطان منها. فصار يحب النصاري»[2].

٤) الثورة ضد الحكومة:

* «وكان هذا آخر سلاح استخدموه، وكان ذلك في عهد مراون الحمار، وكانت أقسي ثورة ضد الحكومة هي ثورة آقليم الدقهلية والمنزلة ودمياط وتسمي في التاريخ بثورة «البشامرة» وقاموا علي عمال الخراج وقتلوهم. فجرد عليهم الوالي عساكر وحاربوهم وانتصروا عليهم دفعتين - وكان القائد للبشموريين رجل قبطي منهم يسمي مينا».

* «فلما رأي ذلك مراون... حمل عليهم بعساكر. فقاوموهم ولعلمهم أنهم لا يستطيعون الثبات أمام مروان تركوا ميدان القتال وتحصنوا في بلادهم فلم يستطع أن يتعقبهم بسبب علو المياه التي حالت بينه وبينهم»[3].

+ وكانوا يأتون ليلاً وينقضون علي جيوش الأمويين، ولم تنته الحرب معهم إلا عندما استولي العباسيون علي مصر.... وإن كانت ثوراتهم تجددت أيام هؤلاء آيضاً خصوصاً أيام الخليفة المأمون العباسي.

---

(١) Evetts، ١٤٦ ـ ١٤٨ (٤٠٠ - ٤٠٢).

(٢) روفيله «تاريخ الامة القبطية» ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٦ - ٧٧.

الفصل الثالث

طريقة اختيار بعض البابوات

+ أمتاز هذا العصر بطريقة اختيار ممتازة لبعض البابوات منهم يوحنا السمنودي، واسحق الشبراوي، وسمعان السوري....

١) يوحنا السمنودي ٤٠ (٦٨١ - ٦٨٩):

* «وكان طاهر القلب ونقي الفكر عارفاً بالحكمتين البيعية (علوم الكنيسة) والعالمية. إسمه يوحنا من سمنود،كان مقيماً في البرية. واعتل علة عظيمة. فقال في فكره: «لو أن إنساناً يُمسكني أنا أيضاً لأتقدم وآخذ بركة فلعلي كنت استريح من هذه العلة والوجع» فعند ذلك تقدم اليه واحد ممن كان حوّل الكرسي وهو لابس لباس البطاركة. وعلي صدره كتاب يشبه إنجيل. فقال: «تختار أن أقُدّمك لسيدنا ليُنعِم عليك بالعافية» فسجد له بدموع وطلب اليه قائلاً: «أرحمني يا سيدي، وأمضِ بي إليه، لأنني في تعب عظيم» «فأجاب ذلك القديس وقال له: «يايوحنا إذا عوفيت من الرب تكون لي ولداً وأنا أمضي بك اليه». فعاهده في الرؤيا. فقال له: «قد أنعمت عليك بالعافية لأجل يوحنا الانجيلي. فامضِ وكل ما يأمرك به فافعله» فاستيقظ من الرؤيا وهو معافي. وفكر قائلاً: «ماهذا الفعل الآن» فنزل عليه الفرح من ذلك اليوم، وصار الي دير من أعمال الفيوم. واختفي هناك».

* «فظهر للآب أغاثون من قال له: «انفذ الي يوحنا القس الذي من سمنود ليُعيّنك ويساعدك.وهو الذي يجلس بعدك علي الكرسي» فأنفذ كهنته الي أسقف الفيوم أنبا مينا، وطلب اليه بأن يرسل له القس يوحنا. وكان ذلك الأسقف يحبه ويربح من كلامه. فما قدر أن يخالف الأب البطريرك. فحملوه في مركب وأرسله الي الاسكندرية».

* «فلما رآه البطريرك فرح به لأنه كان حكيماً جداً. فسلم له بيعته، وجعل له السلطان

عليها . وكان بعض الناس يسألوه أن يقسمه أسقفاً علي الصعيد، وكان الله يحفظه، حتي يتم ماهو موعود[1] وهكذا اختير هذا الأب».

٢) اختيار البابا إسحق ٤١ (٦٨٩-٦٩٢م):

+ كان قبل نياحة البابا يوحنا أنه طلب من الرب أن يرشده الي من يصلح للجلوس بعده علي الكرسي. ولما علم عن أخ تقي يتعبد في دير أبي مقار، فكتب البطريرك لرئيس الدير وأحضره اليه. وطلب منه أن يكتب كتاباً . فأفسده حتي لا يعين في وظيفته. فأدرك هدفه ووضعه تحت عنايته. وكان هذا الراهب الذي يدعي «اسحق» مجتهداً في أعماله وفي الكتابة والنسخ.فأشركه معلمه في خدمة البيعة.

+ وحدث بعد نياحة البطريرك أن إجتمع الأساقفة وفي مقدمتهم غريغوريوس أسقف القيس ويعقوب أسقف أرواط ويوحنا أسقف نقيوس. وتشاوروا علي أن يقدموا الشماس جرجس من سخا بطريركاً. وكان حينئذ عبد العزيز بن مروان حاكماً.ثم أخذوا الشماس وقسموه (رسموه) وألبسوه إسكيم الرهبنة وأذاعوا الخبر بأنه هو الذي سوف يصيرالبطريرك.

+ فلما كان الغد اجتمعوا بارشيدياكن المدينة، وكان اسمه مرقس، وهو رجل فاضل فجمعهم وقال: «إن لم تحضروا يوم الاحد كما جرت العادة لا أرسله» وحينئذ ظهر أن الذي أوصي به البابا يوحنا هو إسحق لا جرجس. فغضب الوالي وأمر بتقديم من سبقت الوصاية عليه. وقد حاول الشماس أن يدفع أموالاً يستميل بها الوالي الي حزبه ولكنه لم يفلح. فقطعه الاساقفة من درجته. ثم عادوا الي الاسكندرية ووضعوا الأيدي علي الأب اسحق. وأجلسوه علي الكرسي في نفس الشهر الذي توفي فيه سلفه في عهد خلافة عبد الملك بن مراون.

+ ومن أمر هذا البابا أنه وُلد فى شبرا من أعمال المغربية. من أبوين اشتهرا بالغِنيَ

(١) Evetts، ٦ - ١٢ (٢٦٠ - ٢٦٦).

والشـرف.وعُــين كاتباً في الديوان... وكان متقشفاً للغاية. يلبس علي جسده من داخل لباس شعر، وفــوقه رداء فاخر... حرّكهٔ والده للزواج ولكنه أبي... فاستعفي من وظيفته وقصد دير أبي مقار... وتتلمذ للأسقف زكريا .وخشي سطوة أهله. فأرسله الي البطرانة ليقيم بها... وبعد ذلك استدعاه وألبسه اسكيم الرهبنة. ووضعه تحت ارشـاد قس يُدعَي الأنبـا إبراهيم وأمره بأن يذهب ويختفي... حتي ينتهي الانزعاج الحاصل بسببه... فاستمر ستة أشـهر، خطر له في نهايتها، أن يزور أهله ليُهدّيء بالهم... بشرط أن يضمن عدم حجزهم إياه.... تقبلوا ذلك... ثم إلتمسوا أن يبقي عندهم شهراً، فقبل. وبعده رجع الي معلمه الأسقف زكريا، ولبث عنده حتي استدعاه البطريرك كما سلف. وجلس في البيعة الكبيرة التي للقديس مارمرقس»(١).

٣) اختيار سيمون (سمعان) السوري ٤٢ (٦٩٢ - ٧٠٠م):

* «وكان الشعب والكهنة مهتمين في من يقدمونه بعده (بعد البابا اسحق) علي كرسي البطريركية. ووقع بين كهنة مارمرقس الانجيلي وكهنة بيعة «الإنجيليون» في المدينة خصام.وكان قوم يقولون لأجل يوحنا الاغومنُس بدير الزجاج أنه مستحق لأنه رجل عالم وكاتب، وآخرون يقولون عن انسان اسمه بقطر أغومينوس بدير الاسكندرية وكان أيضاً رجلاً فاضلاً».

* «ثم عرفُوا أهل بيعة «الانجيليون» لأجل يوحنا، وفيها مائة وأربعون كاهناً. فكتب عنهم تادرس أرخن مدينة الإسكندرية الي الأمير عبد العزيز، يذكر له يوحنا... وكان معه في الدير رجل قديس اسمه سيمون. ثم أن تادرس أخذ سيمون أولاً من أيام اغاثون ومضي به إلي آبا يوحنا ليعلمه قوة الكتابة. وهو كان الثاني بعد أبيه يوحنا».

(١) تاريخ الكنيسة للقمص منسي، ص ٣٨٦ - ٣٨٨ .

* «فكتب الامير وانفذ يحضر يوحنا فسار ولده معه... فلما رآه طاب قلبه عليه... ثم سأل الكهنة والأساقفة والأب فيه، فقالوا: «نعم هو يَصلُح» وبعد أن استقر تقدمة يوحنا أقام الله واحداً من الاساقفة... وقال: «هذا لا يكون، أن سيمون مُستحق لهذه الرتبة» فأمر الأمير بإحضاره قدامه. فلما نظر سألهم وقال: «هذا من أي موضع هُو؟» فقيل له: «هو سورياني» ثم التفت الي المغبوط سيمون وقال له "تستصّوب ان يكون هذا الشيخ يوحنا بطركاً" فأجابه وقال له: «ما يوجد في كورة مصر ولا في المشرق من يستحق مثل هذا، وهو أبي الروحاني، ورباني من صغري وسيرته كسيرة الملائكة».

* «فلما سمع الأمير هذا تعجَّب، وخرج صوت من الأراخنة والأساقفة والكُتّاب قائلين: «سلّم الكرسي لسيمون، فهو مستحق البطركية» فأمرهم بمعونة الله أن يمضوا به ويرسموه بطركاً... وتقدم الي أكثر الاساقفة بالمسير صحبته. فمضوا به الي الاسكندرية وقدّموه علي الكرسي الرسولي في البيعة المعروفة «بالانجيليين»، ثم أنه أقام أباه يوحنا علي أمور البيعة. وكان هو يقرأ في الكتب المقدسة، وفي طول حياة يوحنا لم يلتفت الأب البطريرك لشيء من أمور البيعة، بل سلَّم جميع ذلك الي يوحنا أبيه.كما كان معه في الدير. وكان مطيعاً له، ويدعوه «أبي...»».

+ فلما أقام ثلاث سنين خرج أبوه بسلام واستحق ان يجعل المغبوط سيمون البطريرك يده علي عينهِ، حتي أنه كفنه بيده، وأخذ بركة أبيه وحمله الي الدير ودفنه، وقام عنده أربعين يوماً، حتي بنيّ قبراً وجعل جسده فيه ووسعه لنفسه، إذا مات، ليُدفن معه فيه»(١).



(١) Evetts:٢٥ / ٣٠ (٢٧٩ / ٢٨٧).

الفصل الرابع

البابا سيمون (سمعان) السوري السابق ذكره

وضع السم في الطعام له:

+ كان زمانه كله يأكل خبزاً وملحاً مدقوقاً بكمون... وما يشبه ذلك، ليُضعِف قوة شهوات الجسد.

* «ولم يكن يحضر مع الأساقفة ولا الكهنة، لأنه كان يطلب الانفراد لملازمة أوقات الصلاة ولأجل هذا صار مبغوضاً من أهل الاسكندرية».

* «فمضي قوم من الكهنة الي قوم سحرة. ودفعوا لهم ذهباً، حتي عملوا له سموماً للموت وجعلوها في الإناء الذي يشرب فيه. وجاءوا بها إلي الأب سيمون البطرك ليستعمل منه وكان قد تناول من السرائر المقدسة قبل أن يشرب منه. فلما شربه لم يضرّه. ثم فعلوا ذلك دفعة ثانية فلم يضرّه، ولا ناله سوء... فلما نظروا ذلك السحرة بُهتوا من أمر هذا القديس ثم أنهم أخذوا تيناً حسناً في غير أوانه، وجعلوا فيه سماً قاتلاً وأوصوا الكهنة وقالوا لهم: «إطعموه هذا وهو علي الريق صائم بغير قربان فإنه ينشق منه». فأتوا اليه بذلك بمكر. وسألوه أن يأكل منه... فتحركت عليه أحشاؤه وقام أربعين يوماً في كرب عظيم حتي أن كل أحد حتم عليه (تمنيّ له) الموت. فأقامه الرب المُحّي. فلما وصل الأمير (الحاكم العربي) الي المدينة نظر اليه وقد تغيَّر منظره مما جري عليه، فسأل عن سبب ذلك،فقيل له من الكتّاب أن أربعة من الكهنة سقوه سُماً»؛

+ فأمر الامير أن يحرقوهم، فركع الأب علي وجهه بدموع غزيرة قدام الأمير، وسأله فيهم وقال له: «إن نالهم شيء من أجلي وجب علِيّ القطع»... فتعجَّب الامير من حُسن أفعاله وأمر بإطلاقهم.وأن يحرِقوا السحرَة أحياءً لأجل عمل تقدم لهم، فأُحرِقوا بالنار»[1].

+ وبعد هذا حدثت للبابا صلة بالهند أتعبته، وحادث في الداخل أيضاً، كما يلي:-

(١) Evetts ، ٣١ – ٣٢ (٢٨٥ – ٢٨٧).

١) الصلة بالهند:

* «وصل قس من أهل الهند إلي أباسيمون يطلب منه أن يقسم له أسقفاً للهند. ولم يكونوا أهل الهند تابعين للمسلمين. فقال له ما أقدر أن أقسم لكم أسقفاً بغير أمر الأمير. فخرَج من عنده ليمضي الي الأمير. فاجتمع به قوم من الغايانيين ومضوا به الي تادرس رئيس اصحاب فنطاسياس، وعرّفوه السبب الذي أوصله من كورته. فقال له:"أنا أقضي به حاجتك» ثم أخذ إنساناً من مريوط أوسمه له (رسمه) أسقفاً وأوسم له كاهنين وأنفذهم سراً إلي الهند».

* «وبعد أن مشوا عشرين يوماً قبضوهم حفظة الطريق، وأنفذوهم الي الأمير الكبير عبد الملك. فهرب القس الهندي، وعاد الي مصر، ومضوا بالثلاثة الي عبد الملك فانفذهم الي مصر الي عبد العزيز وكتب اليه «أن بطرك النصاري المقيم بالاسكندرية قد أنفذ أخبار مصر الي الهند... وكان البطرك آباسيمون يومئذ بحلوان. فوصلت الكتب... فانفذ وأحضر القديس... وقال: «حقاً ولّيت أحداً أسقفية الهند؟!» فأجاب وقال له: «يصل الي مرقس من هناك وسأعرف منه هذا الأمر، وكلّما جري ستقف أنت عليه».

+ « وعند مغيب الشمس – في اليوم الثاني – نظر ولده الراهب الروحاني، الراهب الاسود الهندي الذي كان قد جاء اليه. وسأله أن يصلح له أسقفاً ماشياً ولم يكن يعلم شيء مما جري فمضي اليه وقبضه ومضي به الي القديس... فما كان غداة اليوم الثالث مضي به الي الأمير... وكان مهتماً كيف يخلصه ويخلص تاودرس من الموت. فأعلمه بكل ماجري وأن سيمون بريء من هذه القصة... فكتب الي عبد الملك أخيه يُعلمه بما جري»[١].

٢) أما الحوادث الداخلية التي أقلقت البابا فكانت:

* «أولها قصة يوحنا المؤرخ الذي سلّمه أسقفية نيقيوس، وتدبير حال الديارات «لأنه

(١) Evetts ؛ ٣٦ – ٤٢ (١٩٠ – ٢٩٦).

كـان خـبـيـراً بتـقلب قـوانينهم، وأعطاه سلطاناً عليـهم... ثم أن قـومـاً من المحـبين الشـهوات أخـرجوا عـذراء من ديرها ودخلوا بهـا وادي هـبـيب، وأوقـعـوا بهـا الفـعل سـراً... فلمـا ظـهـر ذلك بين الرهـبـان كـان بينهم قلق عظيم، لم يُسمَع بمثله في ذلك الموضع. فـأخـذ الأسـقف الراهب الذي عـمل الخطيـة، وضـربه ضـربـاً موجـعـاً، وبـعد عشرة أيام من تاديبه مات الراهب!

* «فلمـا شـا ع الخـبر اجـتمعـوا جمـيع الأساقفة بكورة مـصـر سـراً. وسـألوا الأسـقف عن قـضـيـة الراهب فـأخـبرهـم بـهـا. واعـتـرف انه الذي ضـربه. فـأوجـبوا عليه القطع لكونه تعـدي حد الواجب في أدبه. فقطعوه فوقف في وقت قطعهم. إياه وكانوا قـالوا له: «مـاأنت في حل أن تدنو الي شيء من آلات الهـيكل من الآن، بل تـأخـذ الســرائر كراهب. فنادي وقـال: «كما قطعتموني ظُلماً، الرب الإله، الذي أعرف اسمه، يجعل جـميعكم يا أُساقفة غرُباء عن كراسيكم الي تمام الزمان الذي حكمتم عليّ فيه» ثم أقاموا آخر اسمه مينا من دير أبي مقار عوضه».

* «وبعد أيام قلائل تم كلام الأسقف علي الأسـاقفة المساعدين علي قطْعه، فنزل عليـهم أمر كـان في ذلك الزمان، قـوم يتشبّهون بالأمم وتخلُّوا عن نسـائهم الحـلال، وأخذوا نسـاء غير الحـلال.يظهرون محبتهم للشـهوة. وكانوا يقولون انهم نصاري، فيُردعـهم الأسـاقفة ويمنعونهم من السرائر المقدسة. فمضـي منهم قوم الي الامير وقـالوا له: «قـد منعـونا أن نتـزوّج وأخـرجـونا بزعم إننا نزني» فـغـضـب وجـمـع الأسـاقـفـة من كراسيهم الي مدينة الاسكندرية. فاجتمع أربعة وستون أسقفاً. فوافَق الأساقفة علي رأيهم ومعهم البابا سمعان».

القس مينا ومخالفة البابا:

* «وكان مينا قسـاً تحت يده أوراقاً ومالاً للبيعة. وكان يوصيه، ويقول له: «يا قس مينا لا تتـرك شيئـاً لهـا فـي منزلك، فيـنزل عليك البـلاء».فلم يطعـه ...ثم أن الله أنزل عليه سـرعـة علة إذ إلتصق لسـانه بحنكه، وزال عـقله. وكـان يقضم لسانه وهو نـائم علي فراشه. وثلاثة رجال يمسكونه. فحملوه الي بيته وكان الاب سيمون البطرك مهموماً لأجله، ولأجل مـال البيعة، لأنه تحت يده ولا يعرفه غيره. وسأل السيد يسوع المسيح أن يُقيمه من هذه العلّة لأجل مال البيعة»

* «فلما كان النصف من الليل وصل الخبر الي الآب البطريرك بأن القس مينا قد قارب الموت. فأنفذ خادماً له ليتقدم إليه ويسأل زوجته إن كانت لها معرفة عن مال الكنيسة. ومن قبل أن يصل رسول البطرك الي البيت خرج صوت صارخ بأن القس قد مات».

+ ولما توفي ألبسوه لباس الكهنة وأضجعوه علي فرشه. فلما وصل رسول البطرك إلي البيت، وتقدم اليه ليُقبّله، فوثب جالساً، وعلّق يديه في رقبته وقال: «الله الواحد الاله. والآب الطوباوي أنبا سيمون ، أقامني بصلواته. فلما نظرته الجموع الذين حوله، هربوا خوفاً من ذلك الأخ الذي أمسكه. فقال: «ثق وتقوّ وتصبّر ياقس مينا». فأجاب وقال له: «بصلوات سيدي الأب البطرك وهب لي الله الحياة دفعةً أُخري»... ثم قام ونهض، وقد عوفي. ثم أخرج جميع مال البيعة وسلّمه للأب القديس»(١).

خاتمة حياته:

* «أقام تسع سنين ونصف بطركاً، ثم أعتل في يوم الخمسين.وأعلن أنه وجع نياحته وتقدم لأولاده أن يجعلوا جسده في دير الزجاج لأنه كان موضعاً جُعِل فيه جسد أبيه يوحنا. وأُنزل جسده الي قبره بتمجيد»(٢).

٢) البابا ميخائيل المقاري ٤٦ (٧٤٣-٧٦٧م):

طريقة اختياره:

* «كان والي مصر حفص بن الوليد واجتمع مجمع أساقفة مصر، في سنة أربعمائة وخمسين لدقلديانوس. في اليوم الثامن والعشرين من مسري. وكان معهم كهنة الأسكندرية والأراخنة. وأحضروا قوماً بصحبتهم ليقع التخيُّر منهم علي أحد. وكان بعض الأساقفة قد ذكروا إسماً. وهذه أسماء الاساقفة الذين كانوا مجتمعين عند البطرك: ابراهام أسقف الفيوم، مويسيس أسقف أوسيم، مينا أسقف تمي، يعقوب أسقف بوصير، تادرس أسقف مصر، بقطر أسقف مليج، يعقوب أسقف صهرجت، إسحق أسقف سمنود، إبراهام أسقف بلبيس، بطرس أسقف ترنوط، خايال أسقف

(١) Evetts ، ٤٣ - ٤٥ (٢٩٥ - ٢٩٧)

(٢) نفس المصدر ، ٣٦ - ٤٧ (٢٩٥ - ٢٩٩).

أتريب، وكهنة الاسكندرية... ومضوا الي بيعة أبي شنودة بمصر. وصلّوا... وجميعهم وجوههم مُطرقة إلي الأرض...».

* «ثم حدث شقاق بين أساقفة الوجه البحري وكهنة الاسكندرية في جانب وأساقفة الوجه القبلي في جانب آخر. وقرر الجميع أن يستدعوا موسي أسقف أوسيم ليحل النزاع، وكان ضعيفاً جداً... وحملوه قوم مؤمنون علي أكتافهم الي أن وصلوا به الي الفسطاط... فصلوا وجلّسوا. وبدأ يتحاوروا في الكلام... وكان الطوباوي أنبا مويسيس أسقف أوسيم ملقياً في وسط الجميع من شدة الوجع.... فقام بقوة الروح القدس التي معه، وأومأ الي كهنة الاسكندرية فقربوا منه. فقال لهم: «ماذا تقولون أنتم؟!» فقالوا: «نحن الذين نقدم بطركاً وليس لكم أنتم في هذا شيء» وكان بجانبه جريدة يتوكأ عليها لضعفه... فقام وطرد كهنة الاسكندرية وجري خلفهم وضربهم بالجريدة حتي أخرجهم من الباب... فصار ذلك اليوم - بعد صلاة السادسة - حزن عظيم. وكان يذكر أسماء جماعة. ولم يتفقوا علي أحدهم».

* «فلما كان النصف من الليل أيقظ شماس الأسقف أنبا مويسيس، وقال له: «اغفر لي يا أبي(قد عرفت واحداً يستحق هذا الأمر... هو القديس القس ميخائيل ببيعة القديس أبي مقار، بتول طاهر، تربّي في البرية. فصرخ الأسقف الأنبا بطرس وقال: «هذا الشماس يتكلم فيه المسيح». فلما كان الغداة اجتمعوا وجري بينهم الخطاب... فأجْرُوا ذِكر القس ميخائيل. وخرج فريق منهم برسالة لإحضار المذكور. فصرخ جميع الشعب الكبير والصغير - كلهم من فمٍ واحد - قائلين: «بالحقيقة هذا مستحق» (الرسامة).

* «وكان الرب يسوع المسيح قد حرك مُقّدمي وادي هبيب لسبب جرَى.فخرجوا من البرية وبصحبتهم القس ميخائيل المذكور - وكان السبب أنهم اجتمعوا وتشاوروا قائلين: «إن الغاشم الظالم ضاعف علينا الخراج، والجزية فوق طاقتنا..، وقد وصل ملك (حاكم عربي) جديد فنمضي اليه... ونسأله أن يزيل عنا الظلم» فوصوا في اليوم الثالث عشر من توت إلي الجيزة - وفي اليوم المذكور خرجوا الرسل بالكتب متوجهين الي البرية - فلما عدّوا البحر (النيل) لقوا شيوخ الرهبان وأنبا ميخائيل معهم، الذي ساروا لأجله .... فلما رأوه تعجّبوا وفرحوا...».

* «ولما كان في الغد وهو الرابع عشر من توت ركب الاساقفة المراكب وانحدروا الي الاسكندرية... ولما وصلوا به شوارع المدينة ومعهم شمع وصلبان وأناجيل نزل عليهم مطر ثلاثة أيام... وأن جميع القبائل بالاسكندرية قالوا: «هذا رجل من الله. فقد مضت سنتين ولم ينزل مطر». وأوسموه (رسموه) في اليوم السابع عشر من شهر توت».

* «ولما أرتقي كرسي مارمرقس توالت الحوادث أيامه. فظهرت صلة الكنيسة بالنوبة وتضايقت من هجوم جنود الأمويين علي الأديرة... وتضايقت أيضاً عندما وقع الصراع في مصر بينهم وبين العباسيين.... وفي أوائل أيام العباسيين كانت الصلاة لزيادة مياه النيل - وصلة بالكنيسة الانطاكية... وأما نضاله مع الملكيين فسيظهر في الفصل التالي».

صلة مصر بكنيسة النوبة (السودان):

+ وكان في دنقلة ملك اسمه مرقوريس... وهب له الرب ولداً أسماه زخاريا. فلما مات لم يختر أن يكون ملكاً - بل كان مشغولاً بكلام الله. فعمد الي شاب شجاع من القصر اسمه ابراهيم جعله ملكاً. وكان متكبراً شريراً. فكان أسقف مدينة الملك يُردِعُه ويُعلّمه... فلا يلتفت اليه ... ولأجل ذلك وقع بين الملك والأسقف خصومة. فكتب كتاباً الي الآب البطرك أنبا ميخائيل يقول فيه: «إنك إذا لم تقطع كيرياقوس وإلا جعلّت كورتي كلها تعبد الأوثان».

+ فلما وقف البطرك علي ذلك كتب له كتب سلامة - فلم يرضَ، لكنه رجع كتب أُخريَ اشر من الآولي؛ وأنفذها الي الاسكندرية مع كرياقوس الأسقف فجمع الأب الأساقفة، وأخرج الكتب وقورئت. فعلموا أن كل ما فيها حال (حادث فعلاً) ثم أنهم قالوا كلمة لاجل ملك تلك الكورة، لئلا يكون فساد من الشيطان، فسألوا الأسقف كرياقوس أن يجلس في أحد ديارات الاسكندرية، إلي أن يزول غضب الملك فلم يجب الي ذلك - فلما رأوه لا يسمع منهم قالوا - أمضِ الي حيث تريد هناك - ولم يطلقوا له القداس في كنائس مصر - وقسموا الذي أنفذه لهم الملك وكان اسمه يؤانس،

وكان الأسقف شيخاً ابن ثمانين سنة – في ذلك اليوم – وكان منظره مثل ملاك الله ثم أنصرف الاساقفة الي كورهم ومضي كرياقوس الأسقف الي دير من ديارات بلاد النوبة – ويؤانس الأسقف الجديد مضي الي مدينة المملكة.

+ «وأن المطر لم ينزل في تلك الكورة مدة ما كان بقي من حياة كرياقوس الأسقف – وفي كل سنة يأتي عليهم وباء والذين شهدوا عليه بالزور عميت عيونهم سريعاً –وكان له من العُمر مائة وأربعة سنين – ثم سأل الله أن ينقله من الجسد. فلما تنيح مضي أهل كورته الي قبره، وسألوه بدموع أن يسأل الله أن ينزل عليهم المطر. فكان ذلك حتي أخصبت كورتهم وارتفع الوباء عنهم – فلما نظر زخريا الملك هذه الأمور نفي ابراهيم. ثم أقاموا ملكاً اسمه قرياقوس»(١) وهو الذي أنقذ البابا من ظلم الوالي عبد الملك بن موسي، كما ظهر ذلك في الفصل السابق.

هجوم الجنود علي الأديرة وقصة الراهبة فبرونيا:

* «كانت في ذلك الوقت ثورة البشامرة الذين قتلوا كثيرين من جنود مروان الحمار «والذي خلص من الموت مضي الي مروان – وعرَّفه الذي جري عليه. ووصل الخبر الي مروان – بأن اعداءه (يقصد العباسيين) قد قربوا منه وقتلوا صهره زوج ابنته – والي دمشق.فكتب مع الذين أنصرفوا اليه من عند البشموريين كتاباً يقول لهم – «تعالوا إليّ بسرعة فقد احتجت اليكم وكل بلد تصلون اليه انهبوه واقتلوا أهله». فساروا ... الي الصعيد ... وأحرقوا ديارات الرهبان، وأخذوا الراهبات ووصلوا الي الشرق (غالباً عند أخميم) وكان هناك دير راهبات عذاري... وعددهن ثلاثون عذراء –فملكوهن عسكر مراون – وكان فيهم صبية عذراء دخلت الي الدير وهي إبنة ثلاث سنوات – فلما نظروها بُهتوا من حُسنها... فأخذوها... وتشاوروا فيما يفعلونه فيها... فمنهم من قال: «نتقارع عليها» ومنهم من قال: «نمضي بها الي الملك».

* «وفيما هم يقولون هذا... قالت لهم الصبية: «أين هو مُقدِّمكَم؟! أُعلِّمه بشيء يساوي أموالاً... وتخلّوني، فانا عابدة لله، وما يحل لكم أن تفسدوا عبادتي... فقال لها

---

١) تاريخ البطاركة «Evetts، ١٤٠ - ١٤٣ (٣٩٤ - ٣٩٧) وأيضاً Lanepool

مقدمهم: «أنا هو». فقالت له: «آبائي كانوا قوماً مقاتلين... دفعوا لي دواءً كانوا يدهنون به إذا خرجوا للقتال... فلا يعمل الحديد فيهم شيئاً... وتصير السيوف والرماح مثل الشمع قدامهم... فإن أخلّيت سبيلي - دفعتّه لك - وإن كنت لا تُصدّق كلامي فأنا أدهن رقبتي قُدامك ... وجبْ أجوَد سيف يكون مع رجالك... ودع أقوي مَنْ فيهم أن يضربني فلا يقطع فيٍّ شيئاً». وإنما قالت ذلك لأنها رأت أن تموت بالسيف، ولا يتنجس جسدها الطاهر بينهم».

+ ثم دخلت حجرتها - فأخرجت زجاجة فيها زيت، قد صلّي القديسون عليه. وكان محفوظاً عندها... فدهنت به رقبتها ووجنتها وجميع جسدها وصلّت، ومدّت عُنقها. ثم قالت لهم: «من كان فيكم قوياً... فيُظهر قوته». عند ذلك وثب شجاع بسيف يفتخر به ... فضرب القديسة الشهيدة فطارت رأسها فعلموا... أنها خدعتهم، فندموا. فوقع عليهم خوف - ولم يلتفتوا بعدها لإحدي من الراهبات العذاري»(١).

الصراع في مصر بين الأمويين والعباسيين سنة ٧٥٠م:

* «قد تضايق البابا عندما ضيّق العباسيون الخناق علي الخليفة الأموي (مروان) فجري أمامهم (هرب) وأتي إلي مصر، إلي أن صار هو في الجيزة وهم في الفسطاط. وقبض الخليفة الأموي علي البابا وحبسه في الجيزة».

* «ولما رأي مروان مساعدة بعض المسيحيين للعباسيين وقول البعض لإخوانه عنه «تقووا فإن الله ينزع الملكة من مروان ويُسلّمها لأعدائه، نتف شعر لحية البابا (وكان نازلاً علي صدره) وألقاه في البحر (النيل)».

+ فلما أراد الرب أن ينتقم منهم، لم يصبر عليهم بعد أن أفسدوا واستباحوا من النساء وأفسدوا من العذاري (الأقباط) فجاء قوم يعرفون مخائض البحر - فعرّفوا الخرسانيين (يقصد العباسيين) بها. ودلّوهم عليها وعدّوا بهم الي بر (النيل في) الغرب. فجعلوا عسكرهم أربعة أجزاء - جزء مع رجل يسمي صالحاً، وجزء مع أبي عون... وأجتمع الآباء الرهبان «بوادي هبيب» للصوم والصلاة في البيعة ليلاً ونهاراً صارخين الي السيد المسيح ان ينظر ما الناس فيه من السبي والقتل ... فسمعهم

(١) Evetts تاريخ البطاركة، ١٦٢ - ١٦٤ (٤١٦ - ٤١٨).

الله. وأثار عليهم الخرسانيين (العباسيين) فعدًا ابو عيون وجيشه الي بر الغرب، وعدًا عسكر الخرسانيين في اليوم الذي اجتمع فيه الرهبان الي البيعة (للصلاة) وكان يوم سبت آخر يوم من أبيب - وقتلوا خلقاً كثيراً من عسكر مروان - ولم يبق معه من ثمانية آلاف خرج بها من مصر (القديمة) سوي أربعمائة رجل فقط. والخرسانيون ماكان أحد يقاومهم».

* «ثم أنهم نادوا من كان نصرانياً - يعلق مثال الصليب من الذهب أو الفضة أو النحاس علي جبهته وعلي ثوبه وعلي باب بيته - ومن لم يعلق يقتل، فلا ذنب علينا منه - ثم لحقوا مروان - وولده - العسكر الذي مقدمه (قائده) صالح - وكانوا قد طاردوه يوماً كاملاً وقُتل».

* «وملك الخرسانيون حلوان، وقُتل اصحاب مروان بالسيف، وأخذوا كل ما لهم وكان الناس يقولون: «إن يد الرب مع الخرسانيين» وكانوا اذا وجدوا قوماً عليهم علامة الصليب - يخففون عليهم الخراج. وصلبوا مروان منكساً، بعد أن قتلوه... وخلُّوا الأب القديس أنبا ميخائيل وأكرموه كرامة عظيمة... وكانت لحيته قد تجددت وطلعت أحسن مما كانت عليه... وأما البشامرة فأنهم سامحوهم بالخراج[1].

+أعجوبة زيادة مياه النيل:

* «في أوائل حكم العباسيين نقصت مياه النيل ووصل الماء فقط الي ١٤ ذراعاً.وقرار وضع الخراج علي ١٦ ذراعاً».

+ «وكان الأساقفة وصلوا من كراسيهم الي البطريرك ليجتمعوا في عيد الصليب. ولما كان السابع عشر من توت - يوم عيد الصليب المجيد - جمع كهنة الجيزة وأكثر أهل الفسطاط... وحملوا الأناجيل ومباخر البخور - ودخلنا البيعة التي علي اسم القديس بطرس وكان آساسها في البحر (علي النيل بالجيزة) ورفع البطرك الصليب... وكان معه أنبا مينا أسقف منف... ووقفنا علي شاطيء النيل قبل طلوع الشمس، وصلّي الاب البطرك، وأنبا مينا الأسقف. ولم يزل الشعب صارخين «كيرياليصون» (يارب أرحم) الي ثلاث ساعات من النهار حتي بُهت جميع الجموع من اليهود والمسلمين وغيرهم من صراخنا الي الله، فسمع جلّ اسمه الكريم - وطلع (فيضان) البحر وزاد ذراعاً واحدة... ومجدّ كل أحد الله وشكره - بعد ذلك أتي المسلمون وأهانوا النصاري في صلواتهم. فلم تُقبل أمام الله ونقص النهر ذراعاً»!

(١) Evetts المصدر السابق ،١٨١ - ١٨٨ (٤٣٥ - ٤٤٢).

* «وتقدّم في اليوم الثالث ان لا يخرج أحد ... وبعد ذلك أمر الوالي بإحضار النصاري الذين بالفسطاط – وتقدم الي أنبا مويسيس أن يصلّي هو وشعبه – فصلّوا الصلاة وشكروا الله الي سادس ساعة من النهار – ونزلوا طافوا بمصر – وأتوا الي ساحل البحر (النيل) وصلّوا بقية النهار، وفي تلك الليلة زاد البحر ثلاث أذرع حتي صار علي رأس سبع عشرة ذراعاً.... ففرح الناس كلهم فرحاً عظيماً. وشكروا الله ومجّدوا اسمه القدوس».

* «وأما (الوالي) أبو عون فلاجل ذلك، زاد في فعل الخير مع النصاري وكنائسهم»[1].

كرسي أنطاكية والكرسي الاسكندري:

+ أرتقي في هذا العهد بطاركة علي انطاكية كان أصلهم أساقفة وحصل نزاع بين البطريرك وشعبه، أدي احياناً الي سفك دم... وفصّل ذلك – ساويروس ابن المقفع – في كتاب تاريخ البطاركة، فيما يأتي:-

* «كان أبونا يوحنا البطرك في انطاكية الذي كان أسقفاً، بينه وبين أساقفته مشاجرة عدة أيام. ولم يستطع الصلح – وكتب الي الملك كتاباً... ما وجد سبيلاً لانفاذها... فلما وصلوا تسلّم الأب أنبا ميخائيل من الرسل السنوديقا[2] والكتب فقرأها وحزن جداً لأجل الخلاف.... لأنهم قالوا: «إنه أسقف وليس بطرك»[3] إلي أن تنيّح».

+ «ولم تزل بيعة انطاكية بغير بطرك بعد أنبا يوحنا المُتنيّح، لأجل الحروب والعساكر إلي أن ملَك الخرسانيون (العباسيون) وفي أول مُلكهم مضي اسحق أسقف حرّان إلي عبد الله بن محمد المنصور الشهير بأبي جعفر، فسأله في بطركية انطاكية... ذلك أن عبد الله الملك كان من أهل حرّان – وكانت زوجته عاقراً – فرأت في منامها هاتفاً يقول لها: «أطلبي إسحق الأسقف ليصلّي عليكِ والرّب يعطيكِ ولداً». فأحضروا الأسقف أنبا إسحق... في صباح الغد... فعرّفته ما رأت في منامها، فسأل الله أن يتمّ ماطلبته».

---

(١) Evetts، المصدر السابق . ١٩٤ – ١٩٧ (٤٤٨ – ٤٥١).

(٢) Synodica أي رسالة المجمع السُريّاني.

(٣) المصدر نفسه، ١٣٢ – ١٣٣ (٢٨٦ – ٢٨٧).

* «ثم مضي الي الدير الذي كان فيه راهباً.فأعلَم الاخوة بالخبر – فاجتمعوا الي البيعة علي جسد (ذخائر) أبي الدير، واستشفعوا به الي الله بسببها، ولما كان ثلاثة أيام وهم صيام نظرت المرأة إلي رجلين قائمين علي موضع فراشها يشبهان أنبا اسحق الأسقف وأبا الدير – قائلين لها: «إن الله قد سمع الدُعاء – وفي هذه الليلة تحبلين بولد ذكر». ثم غابا عنها. فقالت لبعلها ... ذلك ... ففرح جداً. ثم حبلت وولدت غلاماً... ولأجل ذلك كانا يحبان الأسقف الأنبا إسحق، وأمر الخليفة أنه متي قاومه أحد يُقتل بالسيف... ثم أنه قتل مطرانين كبيرين... لأجل أنهما نالا كرسي البطركية غصباً».

* «ثم كتب أنبا إسحق الأسقف السرياني كتاباً عن نفسه الي الأب المغبوط أنبا ميخائيل بطرك مدينة الاسكندرية وكتب كتاباً عن نفسه أيضاً – الي أبي عون الوالي بمصر بأنه إن لم يوافق البطرك القبطي علي الاعتراف به بطريركاً لسوريا فليحضر الي عبد الله الملك (العباسي).

+ فاستقر الأمر مع البطرك أنبا ميخائيل إذ قال: «السيف أو النار أو الرمي الي الأسد أو النفي أو السبي... فما يقلقني – ولست أدخل تحت ما لا يجب ولا أدخل تحت حرّمي الذي كتبته بخطي ... وبدأت به بأن لا يصير أسقف بطركاً... والآباء الفضلاء أحرموا من يأخذ رتبة من رتب الكهنوت بيد السلطان... لأن الاساقفة كانوا قد كتبوا من إنطاكية في زمان أنبا يوحنا البطرك أن كل من ثبت بعده من الاساقفة علي الكرسي (الإنطاكي) يكون محروماً – فكتبت هذا بخطي... فكيف يجب أن أحرم نفسي وأحلل اليوم ما حرّمته بالأمس؟... وخاطبوا الاب البطرك... في المسير ... فاهتم الاب البطرك بالسفر وهو وجع القلب... فلما استعدينا للمسير وصل الخبر الي مصر في تلك الليلة ان اسحق الأسقف الذي وثب علي كرسي انطاكية بيد السلطان قد توفي بانطاكية»[1].

+ وبعد ذلك تنيّح الأب الأنبا ميخائيل... بعد هذا الجهاد الوافر بسلام... سنة ٧٦٧ م.

---

(١) إبن المقفع، المصدر السابق ٢٠٧ – ٢١٢ (٤٦١ – ٤٦٦) والواقع إن موضوع اختيار الأساقفة والمطارنة ليصيروا بطاركة، وإن كان قد أثار المتاعب في سوريا، لكننا نري أنه لا يتعارض مع قوانين الكنيسة أو قرارات المجامع المسكونية لأن درجات بابا و بطريرك ومطران وأسقف هي «واحدة» (= الأسقفية) وأن الأسقف بالطبع أكثر خبرة من الراهب الجديد في إدارة الكنيسة. وقد شغل آباء مطارنة وأساقفة كثيرون – في مصر – كرسي مارمرقس، ومنهم قداسة البابا شنودة الثالث أطال الله حياته، وتسير عليه الكنيسة الكاثوليكية حتي الآن.

الفصل الخامس

الملكيون في عصر الأمويين

* «كـان آخـر بطرك ملكي أيام الخلفـاء الراشـدين هو تـاوضـروس الذي مـات بمرض الاستسقاء - واستراحت الكنيسة منه، لتقابل مضايقة زوج أخته توفانيس للبابا القبطي يوحنا السمنودي»٠

* «وفي أول سنة تولي عبد العزيز مضي الي الاسكندرية... ليأخذ خراجها ٠ولم يكن وصوله ظاهراً...فلم يخرج البطرك ... فحيئذ سعي توفانيس زوج أخت تاوضوروس الخلقيدوني وقال... أنه ما خرج إلا لكثرة تجبره وكبريائه... وكثرة ماله... فأنفذ بغضب وأحضر الطوباني أنبا يوحنا... وقال له ماسبب غلظ رقبتك... وتأخيرك عن الخروج للقائي» فأجاب الطوباني وقال له: «قد علم الله إني لم أفعل هذا لغلظ رقبتي لكن لضعفي... وغضب الأمير... وسلّمه للمترسمين الي أن يقوم بمائة ألف دينار... فتسلمه أول يوم من جمعة الفصح الكبير وأخذه... حتي يقوم بالمال»٠

* «فأظهر البابا أنه لا يملك شيئاً٠ فأمر أن تحضر له قصرية نحاس مملوءة جمر نار.. وتُجعَل رجلاه فيها حتي يقول إنه يقوم بالمال... والله مدبر عُبيِّده أنزل في تلك الليلة علي زوجة الامير عبد العزيز أمراً صعباً حتي أنها قلقت وأنفذت أستاذها... وقالت: «احذر أن تفعل سوءاً برجل الله البطرك - لأنه قد أصابني بسببه بلايا عظيمة في هذه الليلة»٠

* «فخلاّه... وفي يوم الخميس الكبير... دخل الي البيعة وصلّي علي القصرية (اللقان) وغسل أرجل الشعب... ثم قدّس - وحمل السرائر المقدسة وقرب (ناول) الشعب وعاد الي قلايته برحمة الله ومعونته.... ونال المخالفين من ذلك خزي وغم كثير... ولاسيما توفانيس الرئيس (الحاكم) علي مريوط... قبض عليه الامير بسرعة وسلّمه الي الكاتب٠ فأنفذه الي السجن٠ ثم قتله بعد عذاب شديد»[١].

---

(١) Evetts:المصدر السابق، ١٨،١٣ (٢٦٧ - ٢٧٢)٠

* «وفي عهد خلافة مروان الحمَّار والبابا خائيل المقاري حدث نزاع مع الملكيين علي كنيسة مارمينا بمريوط تفصيله فيما يلي:-

* «كانوا تجاراً من البلاد... جمعوا مالاً بينهم ودفعوه لمروان... وسألوه أن يدعهم يبنون بيع مصر. فأجابهم ولكن واحداً من أصحاب تاوفليكتُس الخلقيدوني ويدعي قِسما – قال له: «إن لنا كنائس كثيرة بمصر تغلب عليها القبط... وليس لنا بيعة نسأل أن يُكتب لنا، بأن تُسلّم لنا بيعة ابي مينا بمريوط لنتقرَّب فيها... لأنه كان لنا اسم وعجائب وأوقاف في كل موضع... فأخذ توفلكتس الكتب الي عبد الملك بن موسي، بأن يكشف الحال... ويحققوا من بَنَيّ هذه البيعة؟ ويسلموها اليه. تقدم باحضار البطركيين (القبطي والملكاني) وجمع عبد الملك الإثنين وقرأ عليهما الكتاب وكشف علي الحق... وجري من الخصومة قدامه أمر عظيم... وكان الأرثوذكس ظافرين بالخلقيدونيين».

+ وكان رجل اسمه عيسي بن عامر وسلمهم له، ليسمع كلامهم، فمضي الخلقيدونيون سراً الي دار عيسي وحملوا اليه هدايا ليساعدهم في ما يلتمسونه. فجمع الأنبا ميخائيل وكتب كتاباً مملوءاً من كل حكمة (مؤيداً بالأدلة) وما كان من بناء البيعة للشهيد مارمينا، ودفعوا ذلك الي عيسي المذكور فقرأه وتعجَّب».

+ وكان عيسي لاجل البرطيل (الرشوة) الذي أخذه منهم يريدوا أن يصدقهم ويكذّب القبط... فقال: «لا أنتم ولا هم... أتيتم بحجة فامضوا واكتبوا غير هذين الكتابين واحضروا الينا» وكان ينتظر منهم (الأقباط) رشوة».

+ وفي ذلك الاسبوع كافأ الله المخالف بصلوات أبينا وعزله الوالي عن ديوانه... وصار آخر عوضه رجل من أولاد قضاة المسلمين يسمي أبو الحسين. وكان شيخاً وديعاً لا يُحابي أحداً ولا يأخذ برطيلاً». وبعد التحقق من وجود شهادات مكتوبة من البابوات السابقين علي أحجار الكنيسة «سلم البيعة لنا وأطلقونا مُبجلين ومُكرّمين فتسلّمنا بيعتنا»[1].

---

(1) Evetts، ١١٩ - ١٣٢ (٣٧٢ - ٣٨٦).

الباب الرابع

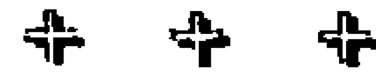
حكم العباسيين من بغداد

(٧٥٠م - ٨٧٠م)

+ امتازت الدولة العباسية بكثرة الولاة الذين أرسلتهم لحكم مصر. فقد بلغ عددهم في مدة حكمهم التي كانت ١٢٠ سنة ٦٧ والياً عباسياً.

+ وكانت النتيجة لهذا أن اهتم الوالي بمصلحته الشخصية. وحاول استغلال مدته القصيرة في ابتزاز أموال المصريين، ونتج عن هذا ثورة البشامرة مثلاً، حتي اضطر الخليفة المأمون أن يحضر الي مصر بنفسه لإخمادها... وبدأ في أواخر هذا العهد إلزام الاقباط بلبس زي خاص.

+ وسيتضمن هذا الباب عهد أبي جعفر المنصور - والبابا مينا السمنودي... وعهد هارون الرشيد والبابوان - مرقس الاسكندري ويعقوب المقاري - وعهد المأمون والبابا يوساب المنوفي... وعهد المتوكل علي الله - والبابا سانوتيوس البتانوني.



الفصل الأول

عهد أبي جعفر المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥م)

+ استطاع شقيق أبي جعفر المنصور، وهو عبد الله السفاح سابقه، أن يقتل كثيرين من الأمويين وعلي رأسهم مروان الخليفة الذي قُتِل في أبي صير -بالجيزة - ولم ينج منهم إلا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي أسس الدولة الأموية في الأندلس سنة ٧٥٦م. ولكثرة من ذبحهم - دُعي بالسّفاح... ولم تزد مدة حُكمه عن خمس سنوات - ومات بمرض الجُدري.

+ ثم نُصِّبَ شقيقه أبو جعفر المنصور ليكون خليفة علي المسلمين... ولم يظهر بالاستقرار في حكمه، حتي أنه في بحر سبع سنوات من حكم مصر - أرسل ستة من الولاة - وهو الذي بني مدينة بغداد - وصارت عاصمة للعباسيين، وصار يصدر منها الحكم لولاياتهم ومنها مصر.

* «وفي أيام مينا «البابا» اشتد الولاة والعمال علي القبط وضيَّقوا عليهم وساموهم العذاب... فخرج منهم جماعة بناحية سخا وأخرجوا العمال (الحكام) وطردوا أرباب الجباية وذلك سنة سبعين وسبع مائة للميلاد. فبعث اليهم يزيد بن حاتم أمير مصر إذ ذاك عسكراً عظيماً. فأتاهم القبط ليلاً وقتلوا منهم عدداً كثيراً، وهزموا باقيهم - شر هزيمة - وشرّدوهم . فاشتد البلاء بأسباب ذلك علي النصاري في الأقاليم القبلية والبحرية... وهُدمت جميع الكنائس، فكان منها كنيسة العذراء بجوار أبي شنوده بمصر... فلما ولّي موسي بن عيسي أذن لهم في بنائها، فُبنيت كلها»(١).

البابا مينا السمنودي ٤٧ (٧٦٧-٧٧٦م):

+ كان من سمنود وترهب في دير أبي مقار وعاش أغلب حياته مفكراً في التغلب علي المكائد التي كان يحيكها له الراهب بطرس!!

* «فقد أقام الشيطان مُبغض الخير تجربة علي الأب المغبوط. فتكلم علي لسان انسان جعله له مسكناً - وكان شماساً راهباً اسمه بطرس... هذا الشماس من قرية تُسمي دسيمة... وكان هذا الراهب ولد الأنبا ميخائيل المُتنيح.وطرح مبغض الخير في قلبه أن يطلب أسقفية وليس هو مستحقها... فقال له الأب... ليس له نصيب».

* «فركب المراكب ومضي الي الشمال... وعمل كتباً مزورة عن أنبا مينا الي بطرك

---

(١) ميخائيل شاروبيم، الكافي في التاريخ، جـ ٢ ص ١٥٨.

السريان أنبا جرجة.يقول في الكتب أن البيعة بمصر جري عليها تعب عظيم وشدة... فلما وقف بطرك انطاكية علي الكتب... جمع له مالاً يستعين به علي فعله الرديء. وبعد أيام وصل الي مدينة الملك (بغداد) وبدأ يكتب قصص في البطرك أنبا مينا وقلبه مملوء حنقاً ومكراً... ويقول فيه إن بيت مال الملك خالٍ.. وبمصر انسان بطرك ... يعرف يعمل كيمياء الذهب... ولأجل هذا ملأ كنائسه الآت ذهب وفضة... وأنت أيها الملك مستحق آن تكون هذه في خزانتك».

* «فلما كتب هذه القصة وقف ينتظر يوماً يجد فيه الوسيلة لدفعها (تقديمها للخليفة) ودفع لكل حاشية الملك مصانعات (رشاوي) حتي يقدموها».

* «وكان في ذلك الزمان ابو جعفر عبد الله «الذي صلّي لأجل إمرأته، أسقف حرّان فرُزقت بولدين... فمات إحداهما وكانت وفاته قبل وصول الشماس بطرس... فخرج الملك ذات يوم... فتتطلع ونظر بطرس قد جعله الشيطان في عينيه بشبه صورة ولده الميت... ودخل إلي زوجته وقال لها: «إذا رأيتِ شبه ولدكِ حيّاً تتخلين عن هذا البكاء؟!». فقالت: «ومن أين لي هذا؟»».

* «حينئذ أمر الملك آن يدخل الشماس... فأقام عندهما في القصر عدة شهور... وقال له:"إن كان لك حاجة عرّفني بها لأقضيها لك".. فعرفه... وبعد ثلاثة شهور سأل الملك أن ينفذه الي مصر... وأن يكتب له بإصلاحه (رسامته) بطركاً علي مصر. وأن يُسلّطه علي أنبا مينا البطرك وأساقفته ليعمل فيهم مايحب.. فكتب له سجلاً الي والي مصر... عبد الرحمن... ثم أمر أن تُعمل له قلنسوة من ثوب جليل».

* «فلما وصل الي مصر دفع الكتب للوالي. فلما وقف عليها أنفذ وأحضر البطرك الي فسطاط مصر.فأعلموا الوالي بوصوله... فقال للأب مينا ... «قد وصل أمر الملك بأن تطيع الواصل ولا تخالفه». فتطلع الشجاع في وجه يودس (يهوذا) الجديد، أعني بطرس ـ فقال له: «كل شجرة لا يغرسها الآب السماوي تقطع وتُلقي من أصلها"».. فاجابه: «افعل الآن ما آمرك به». والتفت فقال للوالي: «عوّض ما يُجيب بالسمع

والطاعة... يسأل الله ان ينزع مني السلطان» فأجاب الوالي وقال للبطرك: «لا تقاوم أمر الملك».واستدعي البابا جميع الاساقفة».

* «واجتمعوا بفسطاط مصر... فلما علم ذلك الضال أنهم قد اجتمعوا في البيعة يوم الأحد قام بشيطنة ومعه جند من عند الوالي وتقدم - بغير خوف - وصعد الي الهيكل ليقول صلاة الشكر والسلامة... كالبطرك، والقلنسوة التي عليها مكتوب اسم الملك علي رأسه».

*«فلما رآه الآباء الاساقفة - وقد فعل هذا الفعل اجتمعوا بروح القدس - فوثب اليه أنبا مينا أسقف صنبو... وأنبا مويسيس أسقف أوسيم ومسكا القلنسوة ورمياها... ورميا به من علي الهيكل... فامتلأ خزياً ذلك النجس... ثم غضب جداً وأمر الذين معه أن يمضوا بجميع الأساقفة الي الحبس! » .

* «فلما جازت أيام .. وهم فى الحبس .. فنظر الرب إلى تنهد أصفيائه .. ففعل أعجوبة.. وانتقم الذى يقدر على الإنتقام .. فأقام نزاعاً بين بطرس وبين الوالى .. على السلطة والنفوذ .. فأمر الوالى - أن يمضوا به إلى الحبس ويُكبّل بالحديد فى يديه ورجليه .. فأقام هكذا ثلاث سنين .. وتقدم للوقت بالإفراج عن البطرك والأساقفة المجاهدين عن الحق .. بعدئذ تغير الوالى عبدالرحمن بآخر وأُخرج المسجونين - فذهب بطرس إلى أبى جعفرالمنصور، وعرض عليه اعتناق الإسلام، فدفع له الملك كرامات كثيرة .. وسماه أبا الخير»!

+ فأراد الرب أن يُريح الأب أنبا مينا .. من هذا الرجل الجاحد فأظهر الله أعجوبة، لما نظر الذى سُمى أبا الخير وهو أبو كل الشرور .. فدفع له الملك ما طلبه منه من الكتب للوالى بمصر .. فسار إلى مصر .. واعتقد أنه يفعل بالبطرك كل سوء تصل قدرته إليه .. فمن قبل أن يصل إلى مصر مات عبدالله الملك (أبو جعفر) - فلما علم الشقى أن رجاءه قد بطل خزى، ومضى إلى بلدته(١) - ومات مرفوضاً من الله ومن الناس.

+وتنيح البابا مينا بسلام - سنة ٧٧٦م ».



(١) تاريخ البطاركة (Evetts) ، ٣٦٢ - ٣٨٠، ٤٧٦ - ٤٩٤) .

عهد هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩م)

+ كثر الولاة أيضاً فى عهده .. فقد بلغوا ٢١ والياً. أى والٍ لكل سنة تقريباً وكان «أولهم على بن سليمان - وكان هذا تقياً ورعاً يغار على حرمة الدين (الإسلام) فنهى عن المنكر والملاهى والخمور. وأكثر من التصدق على الفقراء ولكنه أساء معاملة القبط .. وهدم الكنائس المحدثة فى مصر. وقد بذل له فى تركها خمسون ألف دينار، فامتنع .. (لم يقبل). ونقل إلى الرشيد أن واليه طامع فى الخلافة .. فعزله واستخلفه موسى بن عيسى .. فأذن هذا للنصارى فى بنيان الكنائس التى كان قد هدمها سلفه[1].

البابا مرقس الأسكندرى ٤٩ (٧٩٨ - ٨١٨م):

طريقة اختياره:

* «كان اسكندرانياً. وكان أبونا أنبا يوحنا (البابا السابق له) يعرفه من صباه. وكان قيّم بيعة أبى مينا - وبحكم معرفته له ولأهله جعله شماساً .. وكان يقرأ الإنجيل فى كل موضع يقدس - بصوته الجميل - وبألحان مطربة تخشع لسماعها القلوب .. وعند قراءته يجعل كل كلمة فى موضعها .. وكان عالما بالكتب - وكان أبونا البطرك إذا شاهد هذا الشماس وأفعاله يفرح .. فتركه له مشيراً .. وكان مرقس كلما قدّمه البطرك إزداد تواضعاً».

* «فلما إمتلأ من النعمة طلب من أبينا أن يجعله مستحق الرهبنة - فأخذه معه إلى البرية .. إلى دير أبى مقار . فلما لبس الإسكيم نظر إليه إنسان شيخ راهب مضئ بروح القدس فقال: «هذا الشماس، هو مستحق أن يجلس على كرسى أبيه مرقس». وبدأ أن يزيد فى التواضع والطهارة .. ثم كلفه البابا ببناء البيعة".

---

(١) هند اسكندر، تاريخ مصر، ص ١٢٤ .

+ وسلم كل ما يحتاج إليه البناء وجميع الفعلة والرؤساء وصلى ووضع أساس البيعة والمساكن المحيطة بها وسلم كل ما يحتاج إليه في يد الشماس مرقس .. وكان الله معيناً له بالنعمة. والبناء كل يوم ينمو .. وكملها في مدة خمس سنين - وكرزها بإسم رئيس الملائكة ميخائيل ..».

* «كان في ذلك الزمان شيخ قديس في البرلس اسمه جرجس .. وكان حسن الأفعال .. وكان قد تنيّح أنبا جرجة .. أسقف مصر .. واجتمعوا وكاتبوا الأب يوحنا .. وسألوه أن يجعل ولده مرقس الشماس أسقفاً عليهم بمصر .. فلما وقف على الكتب آراد بلوغهم غرضهم. وأمر أن يُقدّم لهم مرقس الشماس .. وخاطبه فلم يفعل - وطرح في رجليه قيوداً حديديه وأقسمه (رسمه) قساً .. ليتمه أسقفاً وهذا بغير اختياره .. وكان باكياً حزيناً ويقول: «أنت يا رب تعلم أنني لا أصلح» فسمع الرب - وقال لذلك المؤمن: «قم أُخرج من هذا الموضع... فوقع الحديد من رجليه».

* «فلما أصبح طلبه فلم يجده. فأمر بالبحث عنه. فما قدر عليه !! فصعب عليه .. وكان إنسان يسمى ميخائيل حسن الفعَال أقسمه (رسمه) لهم أسقفاً ..» .

* «وكان البطرك قد وجد حزناً من الشماس مرقس لهروبه ومخالفته لأمره. فكتب كتاباً إلى الأب القديس جرجس في البرلس .. يُعلمه أنه يشتد على ولده مرقس لمخالفته وهروبه منه».

+ فأجابه جرجس القديس: «الله قد حفظه ليأخذ كرسيك ورئاسته بعدك» فلما سمع الأب البطرك هذه النبوة تعجب .. فلما علم بهذا مرقس عاد إلى البطرك، واستغفر منه فلم يحزن عليه بعد .. "ثم أوصى البابا أسقفَي مصر ومنوف بأن خليفته .. سيكون مرقس .. ووقع اختيارهم عليه لرسامته. فلما اتصل بالقمص مرقس خبر الكتب التي كتبت من أجله .. هرب إلى دير أبي مقار».

* «ثم بلغ الأسقف أنبا ميخائيل هروب القس مرقس .. فأنفذ للوقت الأساقفة وكهنة وأمرهم أن يقيدوه ويمضى به إلى الأسكندرية .. وكان يوم أحد يوم وصوله إلى

الأسكندرية .. وأوسيم فى اليوم المذكور .. فلما كمل خدمة القداس .. وبعد تكريزه بإسبوع كانت جمعة الرفاع فمضى إلى دير الزجاج (قرب الاسكندرية) ليعتكف فيه على الصلوات فى أيام الصيام المقدس(١).

بناءالكنائس:

* «لما تم عيد الفصح دخل الأب البطرك أنبا مرقس إلى فسطاط مصر – ليسلم على الوالى .. فلما دخل وسلم على الوالى إلتقاه .. ودعا له حتى تعجب الوالى من حلاوة لفظه .. وقال له قرّى منّتك، وشِد أزرك (اذكر مرادك وتشجّع) فإنى أقضى جميع حوائجك».

* «فقال له البطرك: «إن الله يرفع سلطانك ويسعد أيامك ويوفق رعيتك ببقائك». وقال أنبا ميخائيل أسقف مصر «الواجب أن نهتم بعمارة البيع فى هذا الوقت لما ظهر من محبة الوالى للنصارى».

* «ولما كان بالغداة عاد البطرك إلى الوالى وخاطبه قائلاً .. «قد قلت لك بالأمس أنى اقضى جميع حوائجك ولم تطلب منى حاجة .. والآن فمهما كان لك من حاجة فأذكرها فأنها مقضية عندى لمحبتى لك...».

* «فقال له البطرك بكلام لين – الرب يحفظ أيامك .. تعلم أنهم لم يولوا عبدك على مال ولا خراج .. بل على الأنفس والبيع .. وراغب إلى جلالتك أن لنا هاهنا بيعاً قد هدم الظالم بعضها قبل وصولك، إلى مصر .. فهدم الرب دياره – وقطع حياته من على الأرض .. فإن رأى رأيك فيها أن يتقدم لنا بعمارتها لنصلى فيها .. فالآمر لله». فجعل الله فى قلبه عاجلاً أن يأمر بعمارتها. فبنيت جميع بيع فسطاط مصر .. وكان فرح عظيم لجميع الأرثوذكسيين(٢)».



---

(١) تاريخ البطاركة (Evetts)، ٣٨٥ – ٤٠٦ (٤٩٩ – ٥٢٠).

(٢) المصدر نفسه، ج ٤١٠ – ٤١٥ (٥٢٥ – ٥٢٩).

بناء أنفس الخارجين على الكنيسة (البرشنوفيين):

* «كان بمصر قوم يعرفون ببارشنوفة - ويسمون أيضاً من ليس لهم رأس (بلا رئيس ديني) من أيام بطرس البطرك الذى جُعل بعد تيموثاوس .. فى أيام زينون الملك .. كانوا بعد هذه المدة باقيين على خلافهم. فحزن الأب مرقس الذى يهتم بخلاص أنفس الناس ودَعَى إلى الرب من أجلهم .. فسمع الرب دُعاءه .. بسرعة وحرك قلوب رؤساء تلك الهارسيس[1] وكان مقدمهم اسمه ابراهيم - وأبوه الجسدانى كان أسقفاً لهم .. وطرحا نفسيهما بين يديه».

* «فلما رأى أبونا البطرك رفضهما ماكانا عليه، ودعوتهما إلى القطيع الروحانى .. فرح جداً .. ثم أمر أن يؤخذ الرجلان جرجس وولده ابراهيم - وبعد أن تحقق نياتهما أوسمهما (رسمهما) أسقفين وقرأ عليهما الصلاة القانونية وألبسهما ثياب الأسقفية وكان ذلك ببيعة الشهيد مارمينا بمريوط يوم عيده .. وهو الخامس عشر من هاتور .. وأخذ هذين الأسقفين إليه ولازمهما .. وبعد قليل تنيّح أسقفان من جملة الأساقفة بكورة مصر، أحدهما بقيرة أسقف طنبدا - ومينا أسقف أتريب .. وقسم ابراهيم على أتريب وجرجه على طنبدا ...».

* « فلما نظر البرشنوفيون .. أن رؤساءهم قد عادوا أرثوذكسيين .. كتبوا للأنبا مرقس يسألونه أن يمضى إليهم ليكرز بيعهم .. فلما وقف على الكتب فرح فرحاً عظيماً. وترك جميع أشغاله ومضى مُسرعاً إلى مصر، وكرز لهم البيع والديارات[2].

مساعدة البابا فى بناء كنيسة انطاكية روحياً:

* «لم يصبر العدو عند نظره السلامة .. فى قلوب الشعب - فأطلق سهاماً فى بيعة المشرق .. وعمل فى مطران من مطارنة قرياقس البطرك بأنطاكية يسمى إبراهيم

---

(١) هارسيس (Hersis) وتحرفت في العربية الي هرطقه وهي كلمة يونانية تعني بدعة (Heresy) والهرطوقي هو المُبتدع في الدين (Heretic).

(٢)Evetts المصدر السابق - ٤٠٦ ، ٤٠٨ - ٤٠٨ (٥٢٠ - ٥٢٢)

حتى أنه قال كلاماً معوجاً فى سرائر المسيح .. "أنكر استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم السيد المسيح" .. حينئذ لما سمع أبونا مرقس حزن .. وكتب إلى الأب البطرك قرياقس: «أيها الأب لا تغفل عن طلب الضال وغذه بالطعام الذى يجب أن يغذى به الأعلاء الذى هو كلام الله».

+ «فلما وصلت الكتب إلى بطرك انطاكية تعجب من اهتمام هذا القديس واهتم بكل جهده فى إعادة ذلك الظالم .. فلم يقدر عليه .. حتى أن جماعة معه من الأساقفة مالوا إليه .. وافترقوا من البيعة»(١).

شراء شبان الروم:

* «ومع اهتمام البابا ببناء الكرسى بنفسه وكرسى انطاكية، أهتم أيضاً ببناء المسيحيين الذين سباهم الأندلسيون».

* «دخل الأسكندرية قوم ومعهم شئ كثير من جزائر الروم، يُسمَّون بالأندلسيين وأقاموا على هذه القضية من مصر إلى جزائر الروم ينهبون ويجيبون السبى إلى الأسكندرية ويبيعونهم كالعبيد.. فلما نظر أبونا مرقس .. كان يشترى منهم كثيراً مثل الرهبان والقساوسة والشمامسة والعذارى والأمهات والاولاد، إلى أن اشتري منهم ستة آلاف نفس .. وكان إذا اشترى منهم شخصاً كتب له عتاقته، وسلم له كتاب عتقه فى يده ويقول لهم «من أراد منكم أن يجلس عندى فهو مثل ولدى، ومن أراد العودة إلى بلده دفعت له مما يوصله إلى أهله .. وكان جماعة منهم عند نظرهم أفعاله يقعدون عنده، فيسلمهم لمعلمين يعلمونهم المزامير، وعلم البيعة»(٢).

+ وبعد جهاد تناول من الأسرار المقدسة. وتنيح بسلام سنة ٨١٨ م.

(١) تاريخ البطاركة (Evetts) ، ٤١٦ - ٤١٨ (٥٣٠ - ٥٣٢)

(٢) تاريخ البطاركة (Evetts) ، ٤٢٩ - (٥٤٣).

الخليفة المأمون (٨١٣-٨٣٣م)

* «بعد موت هارون الرشيد وقع خلاف بين إبنيه.فانتهز مسلمو الأندلس هذه الفرصة وهجموا على مصر.وكثيرون من الأقباط .. ساعدوا الأندلسيين على أخذ الأسكندرية ولكن مسلمى الأسكندرية قاوموا الأندلسيين (العرب) واشتبكت الحرب بين الفرقتين مدة أطلق فيها البغاة أيديهم لسلب ونهب الأقباط»؛

* «واستقل المأمون بن الرشيد فيما بعد بالخلافة وولى مصر أخاه المعتصم فوكل عنه عمر بن الوليد، فغار وجار، فقام الأقباط بثورة .. قاصدين التخلص من النير الأجنبى، فإمتنع أهل الوجه البحرى عن دفع الخراج. فكان بينهم وبين عساكر الوالى ثورة هائلة .. قُتِل فيها من الفريقين خلق كثير، وقُتِل عمر فإستحلف مكانه عيسى الجلودى، وأقتدى أقباط الصعيد بأهل الوجه البحرى - فأصبحت البلاد جميعها فى حالة فوضى».

* «وأستمر الأقباط ثائرين وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم والولاة يوقعون بهم .. حتى بلغ خبر الثورة للخليفة المأمون. فقدم إلى مصر "سنة ٨٣٢ م . وشاهد ظلم الولاة. فسخط على عيسى وحل لواءه (طرده) - وأخذه بلباس أبيض. عقوبة له - وقال له (لم يكن هذا الحدث إلا من فعلك وفعل عمالك - حملّتم الناس ما لا يطيقون، وكتمتم الخير حتى تفاقم الأمر، واضطربت البلاد» ثم حمل المأمون على البشموريين بعساكره فشتت شملهم ودخل بلادهم وقتل رجالهم وهدم كنائسهم»[1].

ماريا القبطية:

* «ومر المأمون بقرية تسمى «طأ النمل» وتجاوزها لحقارتها. فلما ابتعد عنها قليلاً خرجت فى أثره عجوز تدعى ماريا القبطية، وهى تصيح. فوقف ظانا أنها متظلمة. فلما وصلت إليه دعته أن يبيت فى قريتها هو وعسكره».

---

(١) القمص منسى، تاريخ الكنيسة القبطية ، ٤٧٩ .

* «فأجاب دعوتها ورجع إلى القرية فإستعدت ماريا بكافة أنواع الأطعمة اللذيذة – ومدت الموائد له، ولجميع الجيش، فأكلوا وفضل عنهم شئ كثير. وفى اليوم التالى لما قصد الخليفة أن يركب ويسافر حضرت أمامه ماريا ومعها عشر جوارى تحمل كل واحدة على رأسها طبق – فوضعت الطباق بين يديه – وإذا فى كل طبق كيس من ذهب – فإستحسن ذلك، وأمرها بإعادته. فأبت طالبةً أن يقبل منها هذه الهدية .. فتأملها وإذا بها مسكوكات عام واحد».

* «فقال لها ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك، فألحت عليه بالقبول قائلة: «لا تكسر قلوبنا ولا تُحقّر بنا». فقال لها: «أن بعض ما صنّعتِ لكفاية، ولا نحب التثقيل عليك، فردِّى مالكِ بارك الله فيكِ».

+ فأخذت قطعة من الطين وقالت: «يا أمير المؤمنين إن هذا الذهب من هذا الطين. ثم من عدلك. وعندى منه شئ كثير». فأخذه منها وأقطعَها (وهبها) عدة ضياع – وأعطاها من قريتها مائتي فدان بلا خراج .. وانصرف متعجباً من كرم مروءتها وسعة حالها»(١).

البابا يعقوب المقارى ٥٠ (٨١٩ - ٨٣٠م):

* «كان قساً بدير أبى مقار واشتهر بصنع العجائب، فى أيامه – فعندما ذهب فريق من الأساقفة للدير «أخذوا القس يعقوب بغتة قبل أن يعلم وساروا به إلى مدينة الأسكندرية. وكان يبكى ويقول: «مبارك هو الرب – الويل لى أنا الغير مستحق لهذه الكرامة العظيمة لنقصى عن هذا الأمر، والمجد العظيم الذى أنا قادم عليه». ويسأل الله ليله ونهاره أن يخرج من العالم قبل أن يُقلّده هذا الأمر»(٢)(كرسي مارمرقس).

عقاب الشماس جرجة:

* «كان شماس اسمة جرجة من مقدمى كهنة الأسكندرية .. فبدأ يتكلم عن هذا الأب

(١) تاريخ البطاركة (Evetts): ٤٤٦ (٥٦٠).

(٢) المصدر نفسه، ٤٥١ – ٤٥٢ (٥٦٥ – ٥٦٦).

حـتى أنــه قال له: «تـدفع لنا ما نحتاج إليه، كما جرت العادة (من بطاركة سابقين لكهنة الاسكندرية)وإلا فـأمض إلى البرية من حـيث جئت». فلما سـمـع الأب البطرك قول هذا العـاتى. وأنه مـا احتشم فى كلامـه. قال له: «لا تعـود من الآن تدخل رِجْلك من هذا الباب إلى هذا الموضـع».

* «فخرج الشماس بغضب عظيم من عنده ومضى إلى بيته ولم يلتمس من الأب القديس تحليـلاً ولا تاب – فلحقـتـه حُمَّى .. وتوفى فى يومـه .. وأعلمـوا البطرك بهذا، فـحزن حزناً عظيماً، وطلب إلى الله أن يحل نفسه»[1].

العرب المدالجة والأديرة:

* «ولما قربت الأربعون يوماً للصوم المقدس أراد الأب أن يمضى إلى برية أبى مقار – ليقوِّى الأخوة الرهبان – ويعزيهم ويقيم عندهم إلى عيد الفصح .. فلما وصل إليـها فرح جميعـهم .. وكان فى أيام قسيسيتـه قد بدأ بعمارة هيكل على اسم القديس شنوده – قبلى هيكل القديس أبى مقار – وكمّله وجدد البيعة».

* «فلمـا رأى الشيطان هذا زأر مـثل السبع .. وكـان فى ذلك الزمـان للبطرك شمـاس يختص به لخدمته .. فضرب أحد التلاميذ لأجل شئ عمله – فمن كدره لما ضربه مات .. فلما شـاهد المدالجة ـ غفراء الدير ـ ذلك، أمسكوا الأب البطرك، وأقلقوه لأجل موت الإنســان – وطلبوا منه الشمـاس ليقتلوه عوضـه .. وطلبوا منه مـالاً جزيلاً .. فأعانه الأساقفة والشعب .. إلى أن دفعوا لهم شيئاً وخلصوه من أيديهم[2]».

إقامة ابن الأرخن مقار النبراوى:

* «وكـان مقـار النبـراوى الأرخن يشـتـهى أن يرى الأب البطرك ويبارك عليه فى منزله – وجاء إلى بيته وكان قد وُلِد له وَلَد ذكر، ففرح به .. وعمل صدقات كثيرة. وأراد الله أن يُمـجّـد البطرك بهـذا السـبب – فـأظهر هذه الأعـجـوبة – فـبعـد أيام يسـيـرة إعتّل

(١) Evetts، المصدر السابق، ٤٥١ – ٤٥٢ (٥٦٥ ـ ٥٦٦).

(٢) المصدر نفسه، ٤٥٢ – ٤٥٤ (٥٦٦ – ٥٦٨).

الصبى ومات فأخذه بأمانة (بايمان وسلام)،وجاء به إلى قلاية البطرك وقال الأرخن – للبطرك: «أعن عبدك فإن إبنى يموت» فقال: «أحضره إلىّ» فأحضره، فقبل الصبى إليه، وصلّب على صدره وجبهته وقال: «يا سيدى يسوع المسيح مُعطى الحياة .. أقم هذا الطفل لأبيه دفعة أخرى حياً» فعادت نسمة الحياة وفتح عينيه وحرّك يديه ورجليه .. فقال أبونا بصوت عالٍ: «إن وَلدِك لم يمُت، بل كان نائماً». فلما رأى الأرخن هذا تعجب ومجّد الله .. وزاد فى صدقته»(١).

سرقة جسد القديس مرقس:

* «شهد سنكسار ٤ أبيب أن كنيسة القديس مرقس ببوكاليا كانت لاتزال تضم جسده فى القرن الخامس، وشهد أيضاً بأنه كان هناك كنيسة أخرى جنوبى الأسكندرية بإسم القديس مرقس أيضاً، وقد ظلت كنيسة بوكاليا قائمة للقرن السابع .. ثم خُرِبّت على يد العرب .. ثم صغُرت وأطلق عليها "الكنيسة التى تحت الأرض».

+ وقال أبو المكارم المؤرخ .. «لما حصل خلاف فى الإيمان الأرثوذكسى بمدينة خلقيدون سنة ٤٥١م طلب الملكيون أن تُقّسم كنائس الأسكندرية بينهم وبين القبط – فإختص الملكيون بالكنيسة التى تحت الأرض – والتى أُبقِىَ بها جسد الرسول – واختص القبط بالكنيسة الأخرى الجنوبية، التى نُقِل إليها رأس الرسول، فما كان من الأفرنج إلا أن سرقوا هذا الجسد بوضعه فى عامود مجوّف من الرخام، ولما وصلوا بغنيمتهم إلى البندقية قابلهم أهلها بفرح عظيم – وجعلوا جمهوريتهم الحديثة تحت حماية الأسد المرقسى(٢).

+ ووجدت قطعة أثرية فى أحدث الكتب الخارجية البولندية، تخبرنا عن كيفية سرقة أهالى البندقية لجسد الرسول مرقس .. هذا نصها: «الإمبراطور آمون الأرمني الذى

---

(١) Evetts، المصدر السابق ، ٤٦٠ – (٥٧٤).

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية للقمص منسى ص ٤٧٧.

حكم من سنة ٨١٣ – إلى سنة ٨٢٠م منع رعيته من معاملة مدينة الأسكندرية تجارياً، نظراً لإحتلالها وقتئذ بالمسلمين أعداء اليونانيين – واللاتينيين – ومع ذلك فبعض التجار البندقيين كانوا ملزمين بحكم العواصف والرياح أن يلتجأوا إلى ميناء الأسكندرية ليمضوا فيها بعض الزمن إلى أن يتمكنوا من استئناف المسير» (رحلاتهم البحرية إلي إيطاليا)».

* «وفى ذلك الحين عزم سلطان مصر على تشييد قصر فخم له فى قاعدة ملكه، فأمر برفع العمدان وألواح الرخام المُزّينة بها الكنائس، ليقيمها فى قصره ....».

* «وقد هُدِمت كنيسة مارمرقس الموجودة ببوكالي القريبة من شاطئ البحر كغيرها وأُخِذَت أعمدتها وأحجار الرخام – الموضوعة بها حول قبر الرسول مرقس – وأرسلت إلى مصر .. وفى هذه الإثناء فكر التجار البندقيون .. فى أخذ بقايا القديس .. وعزموا على إرشاء حراس قبر القديس بقولهم: «إن بقاياه ستُحفظ فى بلد مسيحية وتكون موضع احترام وتعظيم». وقد اقتنع الحراس بهذه الوعود .. وسلموا بقاياه إلى هؤلاء التجار، ووضعوا جثة أحد القسيسين مكانها».

* «فأقلع البندقيون بالجثة إلى إيطاليا ولكى يخلصوها من العمال المسلمين – وضعوا فوق الصندوق قطعاً من لحم الخنزير .. ولما وصلوا البندقية عرضوا الجثة على حاكم المدينة الذى وضعها فى كنيسة قصره ريثما يتمكن من تشييد كنيسة – يليق بهذا القديس العظيم (١)».

+ وغالباً كان هذا أيام البابا يعقوب المقارى الذى تنيَّح بسلام سنة ٨٣٠م.



(٢) تاريخ الكنيسة القبطية للقمص منسى ص ٤٧٧ . وقد تم نقل جزء من جسد القديس مارمرقس الي كنيسته الجديدة بالأنبا رويس بالعباسية، في عهد قداسة البابا الراحل القديس كيرلس السادس، ويرقد في مزار خاص أسفل الكاتدرائية.

الفصل الرابع

البابا يوساب المنوفى ٥١ (٨٣١-٨٤٩م)

+ امتاز هذا الأب بوجود انقسام عند انتخابه - نتج عنه مضايقة أسقفين له، وكذلك والين .. واتصلت مصر أثناء أيامه بالكرسى فى الخارج.

نشـــــأته:

* «هذا القديس من آباء أخيار مشهورين من مدينة منوف من مُقّدمى مصر. فلما ماتوا بقى القديس يتيماً .. فنظره أرخن محب لله كان متولى كورة مصر اسمه تادرس من أهل نقيوس .. فأخذه إليه ليصيِّره له وُلداً .. ففكر فى نفسه - وقال: «هوذا أنا اليوم يتيم وما لى أجود من البرية المقدسة .. "فأظهر له تادرس شظف العيش فى البرية" ثم أنفذه إلى الأسكندرية إلى الأب البطرك أنبا مرقس .. ففرح به القديس .. وسلمّه إلى شماس ليتعلم الكتابة بلغة اليونانى. فلما أقام عند الأب .. أيام قلائل ضرب له المطانوه.فأنفذه إلى دير أبى مقار إلي عند قس اسمه بولا .. فرح به .. ولم يزل يزيده بالتعاليم. فإستحق أن يصير شماساً .. وبعد قليل استحق أن يكون قساً .. بيد الأنبا مرقس البطرك»(١).

الإنقسام عند انتخابه بسبب ترشيح متزوج:

* «أجتمع الشعب الأرثوذكسى بمدينة الأسكندرية وتشاوروا فى أن يقيموا بطركاً .. فإفتكروا فكراً رديئاً خارجاً عن القوانين البيعية .. وكان بفسطاط مصر .. صاحب ديوان اسمه اسحق بن اندونه .. كتبوا له كتاباً يقولون له: «إننا ما نختار أحداً نقدمه بطركاً سواك .. وكان رجلاً علمانياً وهو متزوج بإمرأة فإنعزل بعض الأساقفة .. ثم مضى بعض الأساقفة إلى اسحق وساعدوه .. واسماؤهم .. زكريا أسقف أوسيم وتادرس أسقف مصر».

* «وكان فى ذلك الزمان أساقفة قديسون وهم أنبا ميخائيل أسقف بلبيس وأنبا ميخائيل أسقف صا، وأنبا يوحنا أسقف بنا، وكثير مثلهم كاملين فى الدين والأمانة».

---

(١) Evetts تاريخ البطاركة، ٤٨٢ - ٤٨٤ (٥٩٦ - ٥٩٨) .

* «فلما بلغهم ما فعله الأسقف. وجماعة أهل الأسكندرية تحركت فيهم النعمة الإلهية .ويمعونة الله .. ذُكِر إنسان قديس .. يوساب القس ببيعة أبي مقار .. كونه مصاحباً للأب أنبا مرقس. فأنفذوا بعض الأساقفة وكهنة الإسكندرية إلى الوادى – وبينما هم سائرون قالوا هكذا: «إن كان الرب يختار تقدمة هذا الإنسان، فإننا نجد باب قلايته مفتوحاً». فلما وصلوا باب الدير بالغداة وقفوا على باب قلايته فوجدوه قائماً. وقد خرج ليغلق الباب خلف أولاده – وقد مضوا ليملأوا الماء فبُهتُوا».

* «فلما نظر إليهم المغبوط .. سجد لهم وسلم عليهم – ودخل بهم إلى قلايته بسرعة – فلما صاروا داخل بيته ضربوا بيدهم إليه وطرحوا القيد الحديد في رجليه – وقالوا له أنت بالحقيقة مستحق البطريركية. فبدأ يبكي بكاء عظيماً .. واجتمعوا في البيعة وأخذوا السرائر المقدسة، ووصلوا إلى الأسكندرية فاجتمعوا في بيعة مرقس الإنجيلي .. وكملوا الصلاة على الهيكل .. وبدأوا أن يصعدوا به إلى الرتبة البطريركية يباركون ويُمجدُّون الله[1]».

رسامة اسحق الأرخن شماساً:

* «كان الأب البطرك أنبا يوساب بمصر. فنظر إلى ذلك الأرخن اسحق – الذي كان طلب البطريركية وهو متقد ناراً بسبب سُخْرَيَة الأسكندرانيين به والأساقفة .. يكلمه بكلام ليّن ليؤنسه من أفكاره المقلقة .. ثم دبر أمر حكمة لطيب نفسه فقال له: «يا سيدى إسحق أنا مشتاق إليك .. وأحب أن تنوب عنى .. ويكون معك خاتم البطريركية ليعلم كل أحد أنك المدبر لى فى جميع الأمور البيعية، والسلطانية» (الرسمية).

* «فلما سمع منه هذا فرح جداً، وطاب قلبه. فقال لأبينا البطرك: «أنا عبدك فى كل ما تأمرنى به». ولما حضروا فى بيعة السيدة بمصر فى قصر الشمع يوم عيد الشعانين رسم الأرخن اسحق شماساً [2]».

---

(١) Evetts، تاريخ البطاركة، ٤٧٦ – ٤٨٢ (٥٩٠ – ٥٩٦)

(٢) المصدر نفسه، ٤٩٦ – ٤٩٧ (٦١٠ – ٦١١) .

ثــورة البشــــامرة:

+ أكثر النصارى البشموريين كانوا يعذبونهم بعذاب شديد .. وكان الذى يعذبهم رجل اسمه غيث .. وتمادت عليهم الأيام وانتهوا إلى الموت .. فلما نظر أهل البشموريين أن ليس لهم موضع يخرجون منه وموضعهم لا يقدر عسكر يسلكه لكثرة الوحلات فيه وما يعرف طرقه إلا هم. فبدأوا أن يمتنعوا أن يدفعوا خراجاً .. واتفقوا وتآمروا على ذلك .. وكان الملك فى ذلك الوقت الخليفة المأمون .. ولما انتهى إليه حال مصر، أرسل إليهم عسكراً مقدمه أمير اسمه الافشين .. فقُتِل الذين نافقوا، وكان الأفشين يقُتِل حتى الأبرياء .. وقُتِل جماعة من الأراخنة .. وتم البشموريون مؤامرتهم وصنعوا لهم سلاحاً وحاربوا السلطان – وقرروا فيما بينهم أن لا يدفعوا خراجاً وكل من يمضى إليهم - ليتوسط بينهم - قاموا عليه وقتلوه».

+ لما نظر أبونا البطرك أنبا يوساب حزن على أوائك الضعفاء، لأنهم لا يقدرون على مقاومة السلطان .. وكان يكتب لهم[1] بعد هذا أبلغ الأفشين الخليفة المأمون، ليأتى إلى مصر .. ويخمد الثورة».

* «وسار (البابا يوساب) إلى البشموريين ثم نصحهم ووبخهم ليتخلوا عن أفعالهم .. فلم يجيبوه وأعلم المأمون بذلك. فأمر المأمون الأفشين بأن يسير لهم بعسكره، وأن يقاتل البشموريين – فلم يقدر عليهم لتحصين مواضعهم بالمياه، بل كانوا يقُتِلون من عسكر الأفشين .. فلما اتصل الخبر بالمأمون سار بجيشه وانحدر إلى هناك وأمر أن يحشدوا جميع من يعرف طرق البشموريين من أهل المدن والقرى المجاورة ومن كل الأماكن ومن أهل تندا، وشبراوسنبوط .. وكانت العساكر تتبعهم إلى أن سلموا لهم البشموريين فهلكوهم وقتلوهم بالسيف ونهبوهم وخربّوا مساكنهم - وهدموا بيعهم»[2].

---

(١) Evetts، المصدر السابق ، ٤٨٧ – ٤٩٠ (٦٠١ – ٦٠٤) .

(٢) المصدر السابق ، ٤٩٣ – ٤٩٤ (٦٠٧ – ٦٠٨) .

أسقفان يضايقان البابا:

* أحدهما «كان أسقفاً على كرسى تنيس (صان الحجر شرقية) اسمه اسحق، وكان شعبه قد سعى به دفعات بكلام ردئ، وقالوا للأب يوساب إذا لم تقطع هذا الأسقف وتنزله عنا وإلا خرجنا من دين الأرثوذكسية».

* «والآخر» كان أيضاً بمصر .. اسمه تادرس[1] قد ذكر شعبه عنه مثل هذا وكتبوا إلى البطرك يقولون له إن لم تقطعه وتُبعِده عنا وإلا رجمناه وقُتِلناه .. »،

+ فلما نظر البطرك قيام الشعب حزن جداً وكان يدعو ويقول: «يارب ثَبِّت شعبك لرعاتهم.. وبقى الشعب متمادين على فعلهم .. فلما رأى ذلك أنفذ وجمع الأساقفة من كل موضع وعرّفهم الخبر، وقال لهم: «أنا برئ من هذا .. نكتب ونمنع الأسقفين .. وحطهما من كرامتهما. وأبعدوهما عن الأسقفية» – ولم يتخلّ أبونا الرحوم من دوام الصلاة وسكب الدموع الغزيرة والتنهد على قطع هذين الأسقفين»[2].

مضايقة واليين له:

(١) «الأفشين» حضر المبغض للخير (الشيطان) ودخل فى الأسقفين المقطوعين .. فمضيا إلى الأفشين الأمير .. وقالا له .. قد أسلم ألله إليك أعداءك – وأفنيتهم (ويقصدان البشموريين) ويجب أن لا تُبقِي أحداً ممن كان سبب نفاقهم .. فقال لهما «ومن هو الذى أحوجهم، للنفاق على الملك؟» فقالا: «إنه البطرك يوساب وهوذا هو مجتمع فى البيعة ومعه جمع كثير ما يخالفونه». ووقت دخول الأسقفين إلى الأفشين كان سكراناً فإمتلأ غيظاً».

* «وأنفذ أخاه إلى البيعة ومعه جمع كثير، ليُحضِر إليه الأب البطرك ليقْتله – وكان يمشى أمامه اسحق أسقف تنبس .. فدخل إلى الهيكل، وأوّمأ بأصبعه إلى البطرك

(١) وهو الذى تحزب لترشيح اسحق المتزوج (هامش أصلي).

(٢) Evetts، تاريخ البطاركة، ٤٩٠ – ٤٩٢ (٦٠٤ – ٦٠٦)

لكى يُعرِّفهم به ليأخذوه .. فجرد أخو الأفشين سيفه ليأخذ رأس البطرك· فعند ذلك مالت يده فوقع السيف فى عمود رخام وانكسر»·

* «فازداد غضباً .. وكان فى وسطه سكين (خنجر) فأخذها من وسطه، وأومأ بها إلى جنب البطرك ليقتُله .. فقطعت الثياب وانتهت إلى المنطقة التى فى وسطه فقطعتها· ولم ينل جسده شئ (من الضرر) بالجملة»·

* «فلما نظر أخو الأفشين هذه الأعجوبة أخذه ليمضى به إلى أخيه· ودخل إلى الأفشين فخاطبه بما قاله عنه الأساقفة· وسعوا به فقال له: «بنعمة الله» أمرَ الأسقفين وسبب قطعهما لقيام شعبهما عليهما. فعلم الأفشين الحق وبطلان قولهما عنه – وبدأ أن يقول البلايا عليهما .. فلما نظر القديس أن الإنتقام يحل بهما بسببه قال له: «مذهبى يأمرنى بفعل الخير .. مع من يعمل معى الشر .. فأسألك أن تفعل معهما خيراً. اتركهما كرامة لله» ·فلما نظَر فعله تعجب، وأطلق الأسقفين»·

* «ولما علم المأمون الخبر من الواردين عليه، أمر أن يكتب له سجل بكرامته ورعايته وأن لا يعترضه أحد فى أحكامه ولا فى من يرسمه أو يقطعه .. ثم بعد ذلك أراد الأب يوساب أن يرسم أسقفين بمصر وتنيس عوضاً عن المقطوعين· فأما اسحق الأرخن الذى عينه شماساً ونائباً عنه أوسمه أسقفاً على أُوسيم – واوسم انساناً اسمه ديمتريوس على تنيس· وبقى فسطاط مصر بغير أسقف· وبقى أسقف أوسيم مدبراً لكرسى مصر – وجعل سلطانه عليه»:

(٢) الحدر أو "حرثمه" مالك بن ناصر:

* «لما كان فى السنة الثامنة عشرة من بطريركيته ولى على مدينة الأسكندرية مالك بن ناصر الحدر وكان ظالماً .. عمل قياساً كبيراً وجعل ينادى ويقول .. «من وجد عنده ثوب ناقص عن هذا القياس أنا أعتقله وأُهينه» فلما شاهده أهل الأسكندرية حزنوا .. وكانوا يصرخون ليلاً ونهاراً .. بأن ينقذهم الله»·

+ لما كان بعض الأيام ركب ذلك الأمير وجاء إلى قلاية البطرك ومعه سرارى !! فأكل

وشرب معهن، ثم أنه قام وطاف جميع مساكن البطرك، حتى انتهى إلى المخدع. فطرد الأب منه وأدخل سراريه إليه وأكل معهن وشرب هناك - ونام معهن فيه وهو الموضع الممتلئ بخوراً وطيباً من صلوات القديسين البطاركة. فلما شاهد هذا الأب القديس حزن وبكى جداً».

* «فلما فعل هذا .. خرج وعاد إلى موضعه والله صانع العجائب فى كل حين انتقم منه. فلحقته فى ذلك اليوم آلام فى أحشائه وقارب الموت .. والألم يتزايد عليه والدم يجرى من تحته ولا ينام ليلاً ولا نهاراً. ولم يقدر طبيب يداويه .. ونادى المنادى فى الأسواق قوموا ادفنوا الوالى[1]».

اهتمام البابا بالكرسى فى الخارج:

+ لم تشغل البابا هذه المضايقات عن الإهتمام بالكرسى فى الخارج كما يلي:-

* **في النوبة:** "راسل ملكها زكريا الذى أرسل للبابا ابنه جرجة ليباركه. فأسكنه فى قصر وسلمه «هيكلاً مكرزاً معمولاً من خشب ينفصل ويتركب إلى داخل كقصر الملك حيث كان نازلاً فيه - وكان معه أساقفة من بلاده - يقدسون له - فيتقرب ابن الملك وكل من معه - وأمر بضرب الناقوس فوق السطوح التى للقصر فى وقت القداس .. كما يفعل فى البيع - فتعجب كل أحد من هذا .. وفى أيامه سافر ابن الملك فمشى معه أبونا البطرك إلى موضع يعرف ببولاق[2]».

+ **وفى إثيوبيا:** «كان فى ذلك الزمان أسقف أسمه يوحنا. وكان الأب الأنبا يعقوب قد رسمه لبلاد الحبشة وكان ملك الحبشة قد خرج فى حرب. فوعظ أهل البلاد - فأخرجوا الأسقف وأقاموا أسقفاً بإختيارهم - غلاف القانون - فعاد المذكور إلى مصر ونزل فى دير براموس بوادى هبيب لأنه كان ترهب فيه أولاً --- فأنزل الرب عليهم وباءً وفناءً عظيماً، وعلى بهائمهم. وجعل ملكهم مغلوباً .. فلما عاد من الحرب

(١) Evetts المصدر السابق، ٥٤٠ - ٥٤٤ (٦٥٤ - ٦٥٨).

(٢) المصدر نفسه، ٥٠٧ - ٥٠٨ (٦٢٠ - ٦٢١).

لحقه حزن عظيم. ولم يعلم بما جرى على الأسقف ولا كيف نفوه من بلدهم. وكانت الملكة التى فعلت هذا. فلما علم الملك بذلك أسرع وكتب إلى الراعى الصالح أنبا يوساب يقول له: «أنا أسجد للكرسى الإنجيلى .. وبنعمته ثبّت مُلكى والآن فإن قوماً من كورتى ضلوا .. لما أخرجوا خليفتك .. فأنزل الرب مجازاة ذلك على رؤوسنا. فأذاقنا عنه الإنتقام بموت الناس والبهائم بالوباء ومنع السماء من المطر علينا».

* « والآن يا أبانا القديس إغفل عن جهلنا وانفذ إلينا من يدعو إلى الله فينا ويصلى عنا لنخلص بصلواتك المسموعة. فلما وقف الأب على الكتب فرح بأمانته، وأنفذ بسرعة وأحضر ذلك الأسقف من دير البراموس وعزّاه وسيَّره إليهم. وأنفذ معهم قوماً مأمونين (حُراساً) لأجل الطريق. ودفع له ما يسافر به»[1].

الكرسى خارج القطر المصرى (شمال وشرق افريقيا):

* «أصلح (رسم) .. أساقفة كثيرين، وأنفذهم إلى كل موضع من كرسى مارمرقس وهى إفريقية (الخمس مدن ومنها القيروان واترابولوس) وكورة مصر والحبشة والنوبة، لأنه قال: «إذا لم يكن الرعاة كثيراً (كثيرين) لحفظ الرعية هلكت»[2].

+ واهتم البابا بإحضار شبان من هذه الجهات ليُعلّمهم ثم يرسمهم أساقفة لبلادهم فتنشط الكنيسة فى الخارج. فوشى به البعض لقاضى مصر - محمد بن عبدالله الذى «استقصّى عن غلمان البطرك الروم، الذين يفدون إليه من إفريقيا والخمس مدن (ليبيا) والحبشة والنوبة - وقالوا له: «إن له غُلماناً بالأسكندرية فى المكتب يتعلمون» فأنفذ أعوانه إليها حتى دخل مدينة الأسكندرية إلى الموضع الذى كان فيه الغلمان وأخذهم وساقهم كمثل الخراف حتى جابوهم إلى مصر - وكانوا ثمانى مائة نفر. فقال القاضى لأبينا البطرك: «لا يجوز أن تستعبد هؤلاء الصبيان وتنصرّهم» فقال له: «هم نصارى أولاد نصارى». فأمر الوالى بإحضار الصبيان قُدَّام البطرك،

(١) Evetts تاريخ البطاركة، ٥٨ - ٥١٠ (٦٢٢ - ٦٢٤).

(٢) المصدر نفسه، ٥١٢ (٦٢٦) والخمس المدن في شمال شرق ليبيا.

وخوّفهم حتى أسلموا قُدامه – وأبونا حاضر يُنّصرهم. وكان يقول: «إن كل من يبغي (هلاك نفوس) هؤلاء الصبيان، الرب يهلكه. وكان يقول: «أنا يا رب خاطئ، لكن يارب آتي على هذا القاضى الظالم بالإنتقام»[1].

* وكان فى ذلك الزمان ملك للمسلمين اسمه جعفر بن ابراهيم فأنفذ إلى مصر رجلاً اسمه يعقوب بن ابراهيم ليكشف أحوال مصر ويعرفه بها. فلما وصل إليها عرفوه بأمر من الله حال القاضى الظالم وأفعاله الردية التى فعلها .. فعند ذلك أخذه وأشهره فى جميع شوارع مصر، وحلق لحيته، وكل أحد يشاهده هكذا. ورماه في الحبس ونهب ماله.. وأصحابه تبددوا، حتى أولاده. ثم نفاه إلى مدينة الملك (بغداد) ومات هناك بموتة سوء»[2].

شفاء مجنون مسيحى:

* «حضر عند البابا إنسان مسيحى قال له: «يا أبى الروحانى تراءف عليَّ، فإن لى ولداً اعتراه روح شيطان يعذبه .. ثم انه يصرخ ويقول: ما أزول عنه حتى يأمرنى أنبا يوساب البطرك»». فقال للرجل: «وأى شئ عملى مع هؤلاء. لكن بأمانتك يخلُص». وحسب طلب الرجل، كتب الأب البطرك ورقة يقول فيها: «يوساب الحقير أصغر البطاركة جميعهم يأمرك أيها الروح النجس أن تخرج من عبد المسيح إلهنا، ولا تعود إليه، فيما بعد، بقوة الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد». فأخذ أبو صبى الكتاب ومضى مُسرعاً إلى بيته. وقرأه على وِلده. وللوقت خرج منه الشيطان، ولم يعد إليه»[3]. وتنيَّح البابا بسلام بعد هذا الجهاد الوافى سنة ٨٤٩ م.

---

(١) Evetts تاريخ البطاركة، ٥٢٨ – ٥٣٠ (٦٤٢ – ٦٤٤).

(٢) المصدر نفسه، ٥٤٥ – ٥٤٦ (٦٥٩ – ٦٦٠).

(٣) المصدر نفسه، ٥٣٢ – ٥٣٤ (٦٤٦ – ٦٤٨).

الفصل الخامس

عهد المتوكل على الله (٨٤٧-٨٦١م)

+ بالنسبة لتصرفاته لا يجوز أن يسمى متوكلاً على الله، بل على الشيطان الذى كان يسوقه إلى اضطهاد المسيحيين، فيُلزمهم بلبس خاص، ويُضيِّق عليهم – وقد كتب فى هذا المقريزى: «آمر المتوكل على الله فى سنة خمسه وثلاثين ومائتين أهل الذمة بلبس الطيالس العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالرُكب الخشب – وعمل كرتين فى مؤخر السرج وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب، قُطر كل واحدة منهما أربع أصابع، ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى. ومن خرج من نسائهم تلبس إزاراً عسلياً .. ومنعهم من لبس المناطق».

+ وأمر بهدم بيعهم المُحَدثة .. وبأخذ العشر من منازلهم. وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب. ونَهَى أن يُستَعان بهم فى أعمال السلطان ولا يُعلِّمهم مسلم – ونهى أن يظهروا فى شعانينهم صليباً – وألا يشعلوا فى الطريق ناراً .. وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض .. وكتب بذلك إلى الآفاق. ثم آمر فى سنة تسع وثلاثين ومائتين ـ أهل الذمة ـ بلبس ذراعتين عسليتين، وبالإقتصار فى مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل(١)».

* «وكان فى إلزام السيدات المسيحيات باللباس العسلى ليشبهن فى مظهرهن الباغيات (الفاسدات).، ولما كن يلبسّن المناطق، حشمة منهن منعهن من لبسها».

* «ولكن الله لم يسكت على المتوكل. فحرك عليه إبنه المنتصر «فبينما المتوكل فوق قصره يشرب مع نُدمائه وقد سكر، إذ دخل عليه إبنه الصغير، وأمر النُدماء بالإنصراف، ولم يبق عنده إلا الفتح بن خاقان .. فإذا الغلمان الذين عينهم المنتصر لقِتله قد دخلوا عليه وبأيديهم السيوف، فهجموا فقال الفتح: «ويلكم، أمير المؤمنين». ثم رمى بنفسه عليه فقتلُوهما معاً. ثم خرجوا إلَى المنتصر، فسلمُّوا عليه (هنأوه) بالخلافة»(٢).

---

(١) المقريزي،القول الإبريزى، طبع جمعية التوفيق سنة ١٨٩٨م، ص ٤٨ – ٤٩.

(٢) ميخائيل شاروبيم، الكافي جـ ٢ ص ١٠٩٩ .

+ وقتله بهذه الصورة الفظيعة كان نظير تضثيقه على أبناء الله .

أعجوبة سر الشكر:

* « قيل إن إعرابياً من قريش جعل يشاغل قساً أثناء خدمة الأسرار. ففى ذات مرة كان يتطلع من الكُوَّة على ما يجريه القس فى القُداس. فشاهد على المائدة المقدسة حَمَلاً مذبوحاً مقطعاً. ثم دخل الكنيسة فلم يشاهد شيئاً من ذلك، ماعدا الخبز. وعاد إلى تلك الكُوَّة فرأى المنظر الأول. فدهش وللحال ترك قبيلته وانطلق إلى الدير. وطلب أن يعتمد – وبعد عماده دعاه الخليفة ولاطفه ليرتد إلى الإسلام فلم يقبل. فهدده فلم يخف فحبسه. وبعد مضى سنتين أخرجه من الحبس. وعرض عليه الإسلام فرفضه. فقطع رأسه وعلقه على السور مدة .. وكان المؤمنون يشاهدون نوراً نازلاً من السماء على جسده – وفى النهاية سرقه انسان وسار به إلى بلاد فارس»(١).

البابا سانوتيوس ٥٥ (شنوده البتانونى) ٨٥٩ - ٨٨٠م:

نشأته:

+ كان من البتانون منوفية. ومال للرهبنة. فذهب لدير أبى مقار. وصار أقنوماً (رئيساً) للدير: وأظهر الله منه أفعالاً حسَنة من أمانته. وكان فى الدير خلائق لاتُحصى لاجل العجائب التى تظهر فى البيعة، وفعل الأقنوم شنوده. وكان يرجو المجازاة من الله. ولما رأى الرهبان يتزايدون .. بَنَي بحرى البيعة الكبيرة بيعة بإسم الآباء التلاميذ .. وأكملها وزّينها، ودَعَى أنبا يوساب البطرك إلى هذه البيعة. فلما نظرها امتلأ قلبه سروراً وكرزها .. وكان فى يد أبينا عكاز لطيف دفعه لشنودة الأقنوم وقال: «خذ هذا يا وُلِدى تذكاراً لله»(٢).

مستحق اختياره...

* «كان الأساقفة يتخيَّرون وهم لا يشاورون الكهنة ولا الأراخنة بمدينة الأسكندرية

(١) ايسونورس، الخريدة النفيسة جـ ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) Evetts تاريخ البطاركة ٢: ٥٣٨ – ٥٤٠ (٦٥٢ – ٦٥٤).

ومصر. وكذلك كان الأراخنة والكهنة .. فلما طال ذلك عليهم اجتمع الأساقفة وشعب الأسكندرية، وصاروا إلى مصر ليجتمعوا بهما».

* «وكان بمصر .. أقنوم بيعة القديس أبو مقار .. وهو شنوده القس .. وكان قد دخل إلى مصر للإجتماع بإبراهيم الأرخن بسبب خراج البيعة. فلما رآه الأساقفة والشعب فرحوا به. ليشاركهم في الرأى .. فذكر لهم قوماً يعرفهم بالطهارة .. وسار هو مسرعاً إلى البرية في الليلة السابعة والعشرين من كيهك. وكان قصداً منه أن يلحق عيد الميلاد المجيد في بيعته».

* «فلما كان بالغداة اجتمع الجمع إلى بيعة أبو سرجة .. للنظر فيما هم بصدده. فلما اجتمعوا ظهرت آية لجميعهم. وذلك أن جماعة منهم قالوا ما يصلح لهذه الرتبة إلا شنوده .. وقال جميعهم «*مستحق*» فأنفذوا إليه ليطلبوه فأعلموهم أنه سار إلى مكانه. فنهضوا مسرعين في طلبه فقال لهم ابراهيم الأرخن: «أنا أحضره لكم بحجة أسأله عن قوم آخرين» فقبلوا مشورته وكتب .. يسأله الحضور .. فظن أن نفوسهم طابت لبعض من ذكرهم .. وسار مع رسول ابراهيم فوصل إلى مصر في أول طوبة. ومضى إلى دار ابراهيم الأرخن فلم يجده فيها، وقيل له أنه في كنيسة أبو سرجه .. فلما دخلها وجدهم قد بدأوا بالقداس .. والكاهن الذى يقدس يقول: «أكسيون كاذيكأون» الذى تفسيره مستحق».

+ ووثبوا عليه وأمسكوه ورموا قيد حديد في رجليه .. فلما رأى ذلك صرخ وبكى وقال: «لا تخطئوا أمام الرب بظنكم إنى مستحق هذه النعمة. فلست مستحقاً ولا أهلاً لها». فتزايد صراخهم قائلين: «هو مستحق» وساروا به إلى الأسكندرية ليكرزوه هناك .. فاستقبلوه بفرح عظيم. وكان وصوله إليها في اليوم الحادى عشر من طوبى «عيد الغطاس» فهبطت عند دخوله مطرة عظيمة .. وكرزوه في ٢٣ طوبى سنة ٥٧٥ ش(١).

زياراته الرعوية:

١- إلى مريوط:

+ «وكانت ضيعة من قرى مريوط .. بها قوم ينكرون الآلام المحيية .. ويقولون إنها كانت خيال .. فلما سمعوا بنعمة الروح القدس الفائضة، من أبينا شنوده جاءوا إليه بفرح.

(١) مخطوط سير البطاركة بمكتبة دير البراموس رقم ٧٦/٧ ورقة ٧١ - ٧٤

فقبلهم بمسرة وأعطاهم خاتم المعمودية واعترفوا وحرموا أبوليناريوس، وأفتيخوس، وبوليانوس. فمضى معهم وكرز لهم كنيستهم، وقسم لهم فيها كهنة. ثم عاد إلى الأسكندرية»[1].

* «ومضى دفعة إلى بيعة القديس مارمينا بمريوط، فى عيده الذى هو فى ١٥ من هاتور .. فبينما نحن سائرون .. صحبنا خلق كثير .. فلم يجدوا ماءً ليشربوا لأن المطر لم يمطر ثلاث سنين وييبست الآبار .. فلما رأى الأب البطرك كثرة الشعب وهم مسرعون إلى البيعة لشدة عطشهم حزن جداً .. فعزاهم وقال لهم: «أؤمن أن الله يُرينا رحمته سريعاً بصلوات شهيده القديس مارمينا».

* «ولما تم القداس .. سأل الرب من كل قلبه .. أن يذكر شعبه .. وييسر قلبهم بالماء .. فعند تمام صلاته حدث رعد عظيم .. ونزل غيث كالسيل»[2].

٢- إلى الصعيد:

* «وقصد الوجه القبلى، ليفتقد رعيته .. فوجد نصارى البلّينة قد خرجوا على أسقفيهما واعتنقوا بدعة سابيليوس[3] فأخذ يقنعهم من أقوال الآباء القديسين بخطأ اعتقادهم .. ولبث يرشدهم حتى عادوا إلى حضن الكنيسة»[4].

٣- إلى دير أبى مقار:

+ «اعتاد هو وبعض الإكليروس والشعب أن يتوجهوا سنوياً إلى دير أبى مقار قبيل عيد الفصح .. وحدث فى إحدى السنين أن العربان الذين كانون يملأون تلك البرية تعدوا على المسيحيين ونهبوا متاعهم .. وهجموا فى يوم الخميس الكبير على الدير .. فتقدم البابا شنوده بعكازه إلى العربان الهائجين دون أن يمنعه استعطاف الرهبان كى لا يخرج .. وتقدم إلى الأشرار وطلب منهم أن يقتلوه .. فلما رأوا هيئته الموقرة رجعوا إلى الوراء تاركين الدير. ولما أظهر الرهبان خوفاً من قيام العربان عليهم مرة أخرى إبتنى لهم فى كل دير حصناً منيعاً»[5].

---

(١) مخطوط سير البطاركة بمكتبة البراموس رقم ٧٩/٧ ورقة ٧٧/٧٨.

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) اعتقد بعدم وجود ثلاثة أقانيم بل بوجود أقنوم واحد، وذلك فى القرن الثالث .

(٤) تاريخ الكنيسة للقمص منسى ص ٤٦٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤٧٢.

بعثة البابا إلى الخليفة المعتز بن المتوكل على الله:

* «وإن كان البابا شنوده قد اهتم بهذه الزيارات. فلم ينس مطلقاً التفكير فى رفع الضيم (الظلم) عن شعبه .. فأرسل بعثة للخليفة المعتز بن المتوكل على الله لأجل ذلك (وقد استولى على كرسى الخلافة المعتز بالله سنة ٨٦٦م) – فإنتخب البطريرك رجلين من كبار الأقباط وهما الأرخن ساويرس والأرخن ابراهيم، وأوفدهما إلى الخليفة ليبسطا له ما ذاقته مصر من المُر – لجُور ولاتها وظلم حكامها .. ويرجوه أن يرحم بلادهما .. ويقيم فيها نِصَاب العدل، ودَعَى لهما البطريرك بالتوفيق ..».

* «فلما مَثُلا بين يدّى الخليفة أحسن استقبالهما .. وأجاب مطلبهما. وأعطى لهما أمراً يقضى بأن جميع الأراضى والكنائس والأديرة وأوانى المذبح التى سُلِبَت منهم ينبغى أن ترجع إليهم ثانيةً .. فجاء الرسولان إلى البابا شنوده بذلك القرار. فكتب منه عدة صور وأرسل لكل أسقف صورة منه»(١).

+ ولم تمنع البابا مشغولياته هذه من القيام بمشاريع مدنية ومنها ما يلي:–

توصيل المياه إلى الأسكندرية:

* «من أعماله المبروزة أنه انتهز عهد الراحة فى ولاية مزاحم، فاشتغل بتوصيل المياه إلى مدينة الأسكندرية فى قناة بَنَي لها صهريجاً مرتفعاً فى المدينة، ومدّ منه المجارى (المواسير) إلى المنازل والمساكن، فصار سكان الأسكندرية يشربون ماء زلالاً .. وعمت بواسطة هذا الخليج المياه لسقى الأراضى. فكانت سبباً فى زيادة الخصب والنماء»(٢).

+ وتنيح البابا شنوده بعد هذا المجهود المُضنى بسلام سنة ٨٨٠م.

+ وهنا ينتهى حُكم التبعية الذى كانت فيه مصر تحكم من الخارج، لتستقبل فى القسم الآتى حكم حكامها الذين يقيمون بها.

---

(١) تاريخ الكنيسة للقمص منسى ص ٤٦٨ – ٤٦٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦٩ .

القسم الثانى
الحكم المحلى

+ امتد هذا القسم من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر .. وتغير وضع الحكم فى مصر. فبعد أن كانت الآوامر تصدر إليها من القسطنطينية أو مكة أو دمشق أو بغداد .. صار الحكم محلياً - فبدأ أولاً بفترة قصيرة حكَم فيها الطولونيون والأخشيديون وبنى الأول مدينة القطائع موضع القلعة الآن .. ثم أتى الفاطميون وحكموا مصر من مدينة القاهرة .. ولما أتى الأيوبيون حكموها من قلعة صلاح الدين - وبعدهم حكم المماليك مصر من جزيرة الروضة وهم المماليك البحرية، ومن القلعة وهم المماليك الشراكسة. وكل هذه البقاع فى دائرة عاصمة القطر المصرى الآن (القاهرة).

الباب الأول
حكم الطولونين والأخشيديين

+ استمرت هاتان الدولتان من سنة ٨٦٨ - ٩٦٩م وبدأ حكمهما بإستقلال مصر وعدم خضوعهما للخليفة العباسى في بغداد.

الفصل الأول
حكم الطولونين (٨٧٠ - ٩٠٥م)

+ كان أحمد بن طولون من الأتراك، وكان أبوه رئيساً لحرس الخليفة المأمون. ولما توفى والده خلفه فى حراسة الخليفة.

+ وفى سنة ٨٦٨م إلتزم الأمير التركي باك باك مال مصر من الخليفة المعتز، ولم يبرح دار الخلافة بل أرسل إلى مصر نائباً عنه ابن زوجته أحمد بن طولون، وجعله قائداً للقرة العسكرية. «أما الإدارة المالية فعهد بها إلى أحمد بن المُدّبر - وابن المُدّبر هذا لم يكن من التدبير على شئ. بل كان عاتياً ظالماً، فزاد الضرائب وشدد الوطأة

خصوصاً على المسيحيين[1] ثم استطاع ابن طولون أن يطرد أحمد بن المدبر فإستراحت البلاد منه. ثم استقل بمصر.

بناء القطائع:

* «وقد ضاق ذرعاً عن سعة مهماته وعبيده وتُحفه. فأخذ يسعى إلى ايجاد محل آخر وافٍ بالمقصود من قُربة للفسطاط، فصعد إلى المقطم ونظر إلى ما حوله، فرأى بين العسكر والمقطم بقعة من الأرض مساحتها نحو ميل مربع، لا شئ فيها من العمارة إلا بعض المدافن للنصارى .. فإختارها للبناء. فأمر بحرث المدافن وهدمها، واختط في موضعها بناءً عظيماً دعاه القصر، ومحلاً آخر بالقرب منه دعاه الميدان، وتقدم إلى أصحابه وغلمانه أن يختطوا لأنفسهم حوله فإختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط. ثم قُطعت إلى قطائع، وثبتت كل قُطّيعة بإسم من سكنها»[2].

توصيل المياه إليها وبناء جامع لها:

* «ولما علم أن الأقباط هم أرباب الفنون والصنائع في مصر طلب إليه مهندساً قبطياً ماهراً فجاءه ابن كاتب الفرغاني، وطلب منه أن يوصل المياه إلى المدينة فعمل المهندس القبطي قناة عجيبة .. ولكن لسوء الحظ بينما كان ابن طولون يتفرج عليها .. عَثُر حصانه بكومة تراب أهمل العمال في نقلها، فغضب على المهندس وألقاه في السجن».

* «وفكر بن طولون بعد ذلك في بناء جامع .. يقيمه على ٣٠٠ عامود من الرخام. فقيل له إن مثل هذا العدد من الأعمدة لا يمكن الحصول عليه إلا إذا هُدِمت كنائس النصارى .

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، جـ ١، ص ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، جـ ١ ص ١٩٢ - ١٩٣.

+ ولما سمع ابن كاتب الفرغاني – وهو في السجن – ما كان من رغبة ابن طولون، وتردُّده كتب عريضة وهو مسجون يفيده أنه قادر على إتمام مشروعه .. بغير إحتاج لأكثر من عمودين يجعلهما في القبلة[1].

+ «فلما قرأ عريضته استدعاه إليه، وقبل العمل بمشورته، وطلب منه أن يضع نموذجاً مجسماً لذلك البناء الضخم .. فصنعه ابن كاتب من الجلد – ولعله أول من فكر في عمل نماذج مجسمة للأبنية من هذا النوع قبل البدء فيها. فسُر ابن طولون وعَهَد إليه ببناء الجامع .. فنجت الكنائس – بفضل ذلك المهندس الماهر – وجعل تحت تصرُّفه مائة ألف دينار، على أن تُزاد عند الحاجة .. فتعهَّد المهندس العمل إلى أن أتمَّه في سنة ٨٧٩ م[2]».

المكتشف القبطي:

+ لم يكن للأقباط أيام ابن طولون أمثال إبن كاتب الفرغاني المهندس فقط بل كان منهم من اكتشف منابع النيل كما يظهر ذلك من الشهادة الآتية:-

* «قال المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أن أحمد بن طولون علم في سنة نيف وستين ومائتين هجرية أن رجلاً قبطياً بأعلى بلاد مصر له من العمر مائة وثلاثون سنة. وقد عُرِف بالعلم الواسع والإطلاع الكثير، إذ ساح في بلدان عديدة».

* «وشاهد الممالك ووعى شيئاً كثيراً في صدره لاسيما عن مصر ونيلها المبارك – فأمر ابن طولون بإحضاره. فحملوه إليه – فإذا هو رجل دلائل الشيخوخة فيه ظاهرة، ولكن لاتزال حواسه سليمة، وعقله صحيحاً. يفهم من يخاطبه ويُحسِن البيان والجواب .

* «ولما أخذ يستفسره عن حالته وجد أنه عاش طول حياته **معتدلاً في مأكله ومشربه لا يحتسي الخمر .. ولا يتأنق في الطعام،** ولا يلبس إلا البسيط من الثياب. وأنه كان يحرص على نظافة بدنه – ولا يميل إلى شهوات نفسه .. فأُعجب الحاكم به»[3].

+ ثم سأله عن منابع النيل. فأجابه: «أما مُنتهى النيل في أعلاه. فالبحيرة الواسعة

---

(١) القمص منسي، تاريخ الكنيسة، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٢) لجنة التاريخ القبطي، الحلقة الثانية ص ١٣٣ .

(٣) طبع باريس سنة ١٨٦٣م ص ٢٧٢ عن لجنة التاريخ القبطي، حلقة ثالثة، ص ١٢.

الأطراف وهي عند المكان الذى يتساوى فيه الليل والنهار طول الدهر .. وما ذكرت فمعروف وغير منكور – ومعلوم أن العلماء والمستكشفين لم يهتدوا إلى منابع النيل إلا فى القرن ١٩ ولكنها كانت معروفة لهذا العالم القبطى في القرن ٩م، وحدد بدقة موقع هضبة البحيرات، عند خط الإستواء»(١).

موت ابن طولون:

* «لما علم بدنو أجله استغاث بصلوات شعبه، فصعد المسلم والمسيحى واليهودى إلى المقطم، وأقاموا هناك الدعاء .. ولما دنت ساعته صلى قائلاً "اللهم أرحم عبدك وعلمه قدر نفسه، لأنه لم يعرف لها قدراً وعامله برحمتك. وتوفى سنة ٨٨٤م»(٢).

خمارويه:

+ «وملك بعده ابنه خمارويه سنة ٨٨٤م وكان صديقاً للأنبا باخوم أسقف طحا. فأحسن للأقباط ورفع عنهم الجزية وأعطاهم صكاً بذلك حتى لا يعود أحد يطالبهم بها. وقيل إنه كان ميالاً للمسيحية والمسيحيين، حتى أنه كان يصرف ساعات من النهار واقفاً أمام صورة فى كنيسة الأورام بالقصير(٣) – بهيئة التعبُّد والخشوع –

---

(١) المصدر السابق (طبعة ١٩٢٨م ص ٧١م).

(٢) منسى اسكندر، تاريخ مصر ص ١٣٩، وهو درس هام لكل متجّبر ومُتكبّر.

(٣) «دير القصير هو دير حسن البناء .. فيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة فى الحجر يستقى له منها الماء وفى هيكله صورة مريم فى لوح. والناس يقصدون الموضع للنظر إلى هذه الصورة – وفى أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه .. لها اربع طاقات إلى أربع جهات. وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجباً بالصورة .. وفى الطريق إلى هذا الدير من مصر صعوبة، وأما من قبليه فسهل الصعود والنزول .. وهو مطل على القرية المعروفة بشهران (المعصرة حالياً) .. وهى قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر .. وقال علماء الأقباط من النصارى أن ارقاديوس ملك الروم طلب أرسانيوس ليُعلّم ولده فظن أنه يقتله – ففر إلى مصر وترهب .. وتحول إلي جبل المقطم شرقى طرة وأقام فى مغارة ثلاث سنين ومات. فبعث إليه ارقاديوس فإذا هو قد مات. فأمر أن يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير – ويعرف الآن بدير البغل من أجل أنه كان به بغل يستقى عليه الماء فإذا خرج من الدير أتي الموردة وهناك من يملأ عليه .. فإذا فرغ من الماء تركه. فعاد إلي الدير. وفى رمضان سنة ٤٠٠ أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير» (المقريزى طبعة التوفيق ص ٧١).

وكان هو صديقاً حميماً للرهبان - في القصير. ونظراً لميله ومحبته في البقاء معهم ابتنى لنفسه غرفة وسط صوامعهم، لكي يتمكن من مشاهدتهم وقت العبادة، والتمتع برؤية الصور المقدسة»(١).

البابا ميخائيل الأول ٥٦ (٨٨٠-٩٠٧م):

خلاف مع أسقف سخا عند تكريس كنيسة دنوشر:

+ «لما توفى أنبا سانوتيوس البطريرك الذى بنى هيكل مارمرقس بالأسكندرية - قُسِم (رُسِم) من بعده أنبا ميخائيل. وكان ذا خصالٍ جميلة، وقد احتمل التجارب التى لحقته، وصبر عليها».

* «وذلك أنــه كـان علـــى كرسى سخا أسقف شرير - وكان من جملة كرسيه - الضيعة المعروفة بدنوشر .. فكان فيـــها بيعة .. تحتاج إلى تكريس .. فاجتمع رؤساء الناحية إلى الأب البطرك أنبا ميخائيل والآباء الأساقفة الذين حضروا معه التكريز (الرسامة) وسألوهم الحضور إلى البيعة، لينالوا بركتهم. فحضروا جميعاً. واجتمع شعب عظيم».

* «وجاء وقت القداس. وكان أسقف سخا غائباً عن البيعة، مهتماً بعمل طعام لهم. وجاز وقت القداس .. فأنفذوا إلى الأسقف فلم يحضر .. فسأل الأساقفة الجماعة الأب البطرك أن يُحَمل القربان إلي الهيكل إلى أن يحضر الأسقف ففعل ذلك».

* «ومن بعد هذا حضر الأسقف فوجدهم قد بدأوا قبل حضوره فغضب .. ثم تقدم للهيكل وأخذ القربان .. وكسّره ورماه. وخرج غاضباً!! فصعب ذلك على الأب البطرك وعلى جميع الحاضرين .. ثـم أخذ قرباناً آخر .. وكملّوا القداس .. فلما كان بالغداة جلس الأب البطرك واجتمع إليه الأساقفة وقطعوا ذلك الأسقف، وقدموا (رسموا) غيره ..

---

(١) القمص منسى، المصدر السابق، ص ٤٨٥ .

بين البابا وابن طولون:

* «ولما علم «أسقف سخا» ذلك داخله الشيطان فمضى إلى أحمد ابن طولون. وكان محباً لجمع المال .. فشكى له البطرك .. وقال له: «إن معه مالاً عظيماً .. وكان ابن طولون مهتماً بتجريد عسكر للشام .. ففرح بقول الأسقف، ليأخذ من البطرك ماينفقه علي العسكر .. فأنفذ وأحضر الأب البطرك. فقال له: «أنا إنسان ضعيف لا أملك ذهباً ولا فضة».

* «فلما سمع ابن طولون غضب .. ثم أمر بحبسه ..».

* «وكان أحمد ابن الماردانى – وزير ابن طولون – له كاتب اسمه يوأنس فسأل هذا الكاتب صاحبه الوزير أن يسأل الأمير فى البطرك ..».

* «ثم مضى إلى الأمير كعادته – وذكر له حال البطرك فقال له: «أنا اقتله فأنه تجالد (بخل) عليّ .. قال له: «ما فى قتله فائدة، لكن نجتهد فى أن يُحصّل منه شيئاً لبيت المال».فحينئذ خرج من الحبس .. وسار فى موضع مفروش .. مزين - كما يجب - بجوار الوزير».

* «ثم استقر حاله (الاتفاق) بعد سؤلات كثيرة على عشرين ألف دنار. منها عشرة آلاف إلى شهر والبقية وهى - النصف - إلى أربعة شهور .. فطابت نفس ابن طولون بذلك – فلما قرُب فراغ الشهر .. ولم يحصل له شئ .. أحصوا الكراسى الخالية من الأساقفة فوجدوها عشرة فأقاموا لها عشرة أساقفة بعد أن قرروا مالاً يقومون به فى مدة عشرة أيام».

* «وأحضر يوأنس وولده ألفى دينار، ودفع لهم الوزير ألف دينار من ماله سُلفة. ومضوا إلى كُتاّب مسلمين اقترضوا منهم سبعة آلاف دينار. فجمدوا (جمعوا) العشرة آلاف إلى الأمير (إبن طولون) عند انقضاء الشهر.

* ثم أنه استخار الله تعالى وانحدر إلى تنيّس[1] ليأخذ منها شيئاً من صدقات

(١) غالباً اشتوم عند بورسعيد، وقد غرقت في بحيرة المنزلة بعد زلزال كبير .دعيل صان الحجر .

النصارى .. فلما أقام فى تنيس يوماً واحداً حضر جماعة، ليتباركوا منه، ويسألوا عن أخباره.وإذا راهب مستور الوجه نحيف الجسم دخل إلى البطرك وسط الجمع - وأخذ بركته، ولم يقل له أحد إجلس .. فجلس إلى جانب التلاميذ. وقال لأحدهم: «لماذا ابونا البطرك قلق؟! امضِ إليه وقل له بعد أربعين يوماً يُمزّق الرب عنه الخط (التعهُّد بالدفع).. ولا يُطلَب منه مالاً، فتقدّم التلميذ وأعلَم البطرك بذلك - فأمر البطرك التلميذ بإحضاره فلم يجدوه .. فأنفذوا إلى دمـــياط وإلى المواضع القريبة منه يطلبونه فلم يجدوه!!».

+ وفى تمام الأربعين يوماً التى أخبر (تنبأ) بها الراهب، مات أحمد بن طولون. وجلس ابنه خمارويه ملكاً موضعه. فعند ذلك أخرج أحد بن على الماردانى الوزير الخط (الكمبيالة) وسلمه ليوحنا المليجى كاتبه. وأنفذ وأحضر الأب البطرك من تنيس. فلما وصل بيعة السيدة بقصر الشمع (المعلقة بمصر القديمة) أحضروا الخط فمزقه، وعاد إلى بيعته ممجداً الله، حزيناً على ما انحل من قوانين البيعة، وعلى ما يأتى بعده على كرسيه من حال الشرطونية (الرسامة بالمال) وتنيح فى أيام خمارويه بن أحمد بن طولون[1]».

+ وقد كتب المقريزى فى هذا: «ألزَمَه أحمد بن طولون بدفع ٢٠ ألف دينار. باع فيها ربع الكنيسة الموقوف عليها .. وأرض الحبش، ظاهر فسطاط مصر، وباع الكنيسة (الموجودة) بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود»[2].



(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ١٤٨/١٥٦

(٢) طبع جمعية التوفيق ص ٤٩، وكانت تُعرف باسم «الملاك ميخائيل» وهي المجاورة لكنيستَي بربارة وأبي سرجة. وهي حالياً «معبد يهودي» (synagogue).

الفصل الثانى

الأخشيديون (٩٣٥-٩٦٩م)

+ تولى مصر أبو بكر محمد الأخشيد (٩٣٥ - ٩٤٦م) من قبل الدولة العباسية[١] بعد انتهاء الطولونيين، ولكن تبلبل الأحوال فيها جعله يعلن استقلال مصر. فإعترف به الخليفة، ولقبّه بالأخشيد (ملك الملوك).

+ ثم صار الأمر فى هذه الدولة للأستاذ أبو المسك كافور - وأصله حبشى اشتراه الأخشيد من بعض أهل مصر بثمانية عشر ديناراً .. فمازال يتقدم عنده بعقله وحُسن رأيه وشجاعته إلى أن صار من أكبر القواد. وأخذ كافور بعد موت الأخشيد على عاتقه تدبير المُلك وصياً على إبنيه .

+ وغزا ملك النوبة مصر سنة ٩٦٣م - حتى بلغ أخميم «فأرسل كافور جيشاً تحت قيادة محمد بن عبدالله الخازن عن طريق البّر،وأنفذ عمارة بحرية فى النيل، وفرقة سارت إلى البحر الأحمر، فنزلت إلى سواحله، ومنها إلى ما وراء نوبيا، لتسد على النوبيين السبيل. فتضايق النوبيون وفروا تاركين حصنهم فى إبريم وراء أسوان بيد المصريين[٢]».

البابوات غبريال وقزمان ومقار: ٩٠٨ - ٩٥١م:

١- البابا غبريال المنوفى ٥٧ (٩٠٨ - ٩١٩م)

* «كان غبريال من أهل المنية «منوفيه» وكان شاباً قد ترهب عند آب قديس "بدير أبى مقار" .. وكان من عادته أن يُعلّم أولاده خلاص نفوسهم، ويجتمعوا حوله. وكان هذا الشاب غبريال. وكان يأخذ بركته ويمضى ليقعد وحده .. فقال له الشيخ: أنت تهرب منا يابنى - لابُد لك أن تجلس بين الشعوب والنساء »!

---

(١) رجعت مصر إلى حكم العباسيين من سنة ٩٠٥ لغاية ٩٣٤م .

(٢) جورجى زيدان، تاريخ مصر الحديث ص ٢٤٤ .

+ فلما أمسكوه وجعلوه بطريركاً ذكر نبوة الشيخ. فلما مضوا به إلى الأسكندرية قال له الكهنة: "أكتب لنا خطك (توقيعك) بإعتقادك وأمانتك". فقال: «اطلبوا لنا نجاراً يعمل لهؤلاء أمانة جديدة. أي شئ حدث فأزيد أنا على أمانة آبائي؟!»[1].

+ «وكان هذا الأب شاباً في سنّه - وكانت الشهوة تثور فيه وتتعبه، وكانَ يُكثِر الصوم والسهر ليذل الطبيعة فلم ينتفع - فإعترف لبعض شيوخ البرية، فأُشير عليه بمداومة الإتضاع - لأنه أكثر أدوية هذا المرض - فصنع مجرفة من حديد - وكان يقوم في الليل وعليه ثوب زرى مقصر فيدور على بيوت الماء التي للقلالي وينظفها من غير أن يعلم به أحد. فأقام على هذا سنيناً إلى أن نظر الله إليه وإلى جهاده في طلب الطهارة وانسحاق قلبه، فرفع عنه القتال والآلم .. وتنيح ودفن في دير أبي مقار»[2]

٢- البابا قزمان ٥٨ (٩١٩ - ٩٣١م):

* «قُسِم بعده - (أي أنبا غبريال) بطركاً. وظهر في أيامه أمر عظيم عجيب. وذلك أنه رَسم مطراناً من الرهبان على بلاد الحبشة .. وكان اسمه بطرس - فقبله ملكها بإبتهاج - فلما قربت وفاته أحضر المطران وسلّم إليه تاج المملكة ووليه. وقال له: «أنت خليفة الملك المسيح .. وهوذا سلمت لك مملكتي وولدّى وجعلتهما في يديك لتدبرهما إرادة الرب. ومن رأيته منهما مستحقاً، اجعل عليه تاج المملكة». ثم تنيّح الملك.وكان المطران رجلاً عاقلاً فرأى الولد الصغير أوفى (أكثر حكمة) من الكبير - فجعل عليه التاج وأجلسه ملكاً».

* «وإذا براهب «يُدعَى مينا» من دير أنبا أندونا يدور البلاد ويحوز الأرض ومعه رفيق له يدور معه اسمه بقطر - فمضيا إلى بلاد الحبشة. وحضرا عند المطران، وطلبا منه

(١) مخطوط دير البراموس ٤٦٤/٧ ورقة ٨٥ .

(٢) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ١٦٠ .

أن يعطيهما دنانير .. فلم يدفع لهما شيئاً. فعلمهما الشيطان أن يلبس أحدهما ثياب الأساقفة والآخر عمل تلميذه – وكتبوا كتباً مزورة عن البطرك يقولون فيها: «بلغنا أنه جاء عندكم إنسان ضال اسمه بطرس. وحكى عنا أننا انفذناه إليكم مطراناً – وليس هو صحيح ولا الكتب التى معه من عندنا ولا رسمناه .. والذى أنفذناه صحيحاً – وهو المطران الواصل إليكم بكتبنا على يده .. فعند وقوفكم عليها إبعدوا بطرس عنكم. وأجلسوا مينا هذا على الكرسى. وبلغنا أنه أجلس ابن الملك الصغير فى المملكة ورفض الكبير – وهذا ظلماً لأن الكبير أحق بالمُلك».

* «ومضيا بالكُتب إلى ابن الملك الكبير – وكان منفرداً فى موضع وحده – وكان قد تبعه يسير من الناس – فلما وقف على الكتب المُزورَّة فرح جداً وجمع إليه الجيش – وعرّفهم بالكتب وما فيها – فوجد بها السبيل إلى محاربة أخيه. وانضم إليه الجيش فغلبه – وقبض عليه ونفاه – ونفى المطران أيضاً – وأجلس ذلك الراهب مينا عوضه».

* «ومن بعد أيام يسيرة – وقع الخلاف بين هذين الراهبين المزورين. فنهب بقطر المطرانية – وأخذ جميع ما فيها وفر هارباً إلى ديار مصر – وأسلم – وأتلفه جميع ما فى صُحبته فيما لا يُرضِى الله».

* «فلما بلغ البطرك خبر مينا .. حزن جداً وكتب كتابة حرمه فيها. فلما سمع الملك ذلك أخذ مينا الراهب المُزّور فقتله .. ولم يعد البطرك يَقسِم للحبشة مطراناً إلى تمام خمسة بطاركة، وهو فيلوثاوس».

* «ثم أن الملك أنفذ إلى بطرس المطران ليعيدم إلى كرسيه. فوجده قد توفى في النفى وبقى تلميذه. فطلب أن يسير إلى مصر، فلم يمكنه الملك – وقال له تجلس

عوضاً عن معلمك - وسأل الملك أن يُمكّنَه من السير إلى مصر ليرشمه البطرك مطراناً - ويعود فلم يفعل بل لبسه بغير اختياره وأجلسه بغير قسمة. ومكث إلى زمان الأب فيلوثاوس البطرك ثم أن الأب قزمان - تنيح صلاته تكون معنا»(١).

٣- البابا مقار الشبراوى ٥٩ (٩٣١ - ٩٥١م):

* «الراهب من دير أبو مقار من ضيعة بالريف تسمّى شبرا - قريبة من الأسكندرية. وقد كُرِز فى الأسكندرية ودير أبو مقار ومصر القديمة على العادة. فلما أنجز شغله في مصر انحدر إلى الأسكندرية .. وعند انحداره عول على العبور على والدته ليُسلّم عليها - ويبشرها .. وكانت قد كبرت جداً - فلما وصل إلى الضيعة ومعه شعب كثيراً ليودعوه، قيل لوالدته وهى جالسة تغزل فى منزلها: «هوذا إبنكِ مقار قد صار بطركاً. ووصل إلى ها هنا ليفتَقدكِ». فلم تجاوب .. ولا تحركت من موضعها، ولا خرجت للقائه بل كانت .. تشتغل شغلها وتبكى».

* «فما دخل من باب منزلها لم تقم للقائه .. وكان مسروراً بما عليه من الموهبة - فلما رآها .. احتشم جداً من الذين كانوا معه لأنها أهانته قدامهم. فقال: «فما تفرحى أنتِ الآن معى؟!».. فأجابته بفهم وقالت .. «ليت لو آتونى بك محمولاً - على نعش - ميتاً ولا تدخل إليَّ بهذا المجد الفارغ !!..إحزن لأن هذا الشعب كله الذى يُمجّدك أنت مُطالَب بخطاياهم» - فصار من ذلك الوقت كلام أمه له (الحكيمة)موعظة»(٢).



---

(١) دير البراموس المخطوط السابق ورقة:١٦٢ - ١٦٤ .

(١) دير البراموس المخطوط السابق ورقة:١٦٥ - ١٦٦ .

الباب الثانى

حكم مصر أيام الفاطميين

(٩٦٩ - ٩٧١م)

+ كانت مصر أيضاً تُحكم فى عهد الفاطميين من القاهرة التى بنوها واستقر فيها كل خلفائها. وظهر منهم المعز لدين الله وابنه العزيز - ثم الحاكم بأمر الله وبعدهما الخليفة المُستنصَّر، ثم عهد الوزراء - وسيُذكر عهد كلٍ منهم، مع البابوات المعاصرين لهم فى الفصول الآتية:-

الفصل الأول

المعز لدين الله الفاطمى وابنه العزيز

(٩٦٩ - ٩٧٥ - ٩٩٦م)

البابا إبرآم السريانى/٦٢ (٩٧٥ - ٩٧٨م):

+ انتهز المعز لدين الله الفاطمى ودولته فى شمال افريقيا - فرصة الخلاف بين حكام مصر فى العهد الأخشيدى، فأرسل قائده جوهر الصقلى الذى فتحها وخطب فى جامع عَمر بإسم المعز. فأنزل الشعار الأسود العباسى. وألبس الخطباء الثياب البيضاء.

بناء القاهرة:

+ وشرع فى بناء مدينة جديدة، بين جبل المقطم والخليج - كان بها دير للمسيحيين موضع الجامع الأقمر - سُميت القاهرة - وأتمها فى ثلاث سنوات - وبنى الجامع الأزهر (٩٧٠- ٩٧٢م) - وأخذ أعمدته من عدة كنائس - كما يستنتج ذلك عند النظر إلى تيجان الأعمدة المختلفة الأشكال.

الجدل الدينى فى أيامه:

* استوزر المعز يعقوب بن كلس (الذى كان يهودياً من بغداد وجاء لمصر كغيره وأسلم طمعاً فى الترقّى فرقّاه) - وكان أيام المعز البابا إبراهام السورى - الذى كان قبلاً تاجراً - وكان بينه وبين المعز صداقة لسبب بضائعه التى كان يحصل عليها منه «وكان وزير المعز .. يعقوب بن كلس .. لما رأى محبة الملك للبطرك حسده وقال للمعز: «أريد أن تُحضِر بطرك النصارى لأجادله بين يديك ليظهر لك دينه»· فقرروا بينهم يوماً معلوماً يكون فيه اجتماعهم .. وكان من جملة الأساقفة حاضراً أسقف كرسى الأشموتين يُسَّمى ساويرس - ويُعرف بابن المقفع - أعطاه الله نعمة فى اللسان العربى إلى أن كتب كتباً كثيرة وجادل قضاةً من شيوخ المسلمين فغلبهم»·

* «واتفق أنه كان جالساً عند قاضى القضاة إذ عبر عليهم كلب· وكان يوم الجمعة .. فقال له قاضى القضاة: «ماذا تقول يا ساويرس فى هذا الكلب! هل هو نصرانى أم مسلم؟!» فقال: «أسأله فهو يُجيب عن نفسه» - قال له القاضى: «هل الكلب يتكلم؟» .. قال: «نعم يجب أن يُجيب هذا الكلب وذلك أن اليوم يوم الجمعة والنصارى يصومون ولا يأكلون فيه لحماً· فإذا أفطروا شربوا النبيذ - والمسلمون لا يصومون ولا يشربون فيه النبيذ - ويأكلون فيه اللحم - فاجعلوا قدامه اللحم والنبيذ - فإن أكل اللحم فهو مسلم، وإن لم يأكله وشرب النبيذ فهو نصرانى». فلما سمعوا كلامه تعجبوا من حكمته·

* «فأخذ البطرك ابراهام هذا الأسقف .. ومضى به معه إلى القصر .. وحضر الوزير ابن كلس· فجلسوا زماناً طويلاً وهم سكوت - فقال لهم الملك المعز تكلموا فقال الأسقف للملك: «ما يجوز مخاطبة رجل يهودى بحضرة أمير المؤمنين». فقال له اليهودى: «أنت تعيبنى وتقول - بحضرة أمير المؤمنين ووزيره - أنى جاهل» قال له الأسقف أنبا ساويرس: «إذا ظهر الحق ما يكون فيه غضب». قال الملك المعز: «لا يجوز أن يغضب أحد فى المجادلة»· قال الأسقف: «ما أنا شهدت عليك يا يهودى -

بل نبى كبير شهد عليك .. وهو إشعياء الذى قال .. عرف الثور قانيه - والحمار عرف مذود صاحبه، واسرائيل لم يعرفنى .. قال الله إن البهائم أفهم منك وما يجوز لى أن اخاطب من تكون البهائم أعقل منه؟ فأعجب الملك المعز ذلك، وآمرهم بالإنصراف».

حادثة الجبل المقطم:

* «استحكمت العداوة بين الفريقين - وقد غضب الوزير اليهودي - فلما كان فى بعض الأيام وجد السبيل إلى أن قال للمعز: «مكتوب فى إنجيل النصارى أن من كان فيه إيمان مثل حبة خردل، فإنه يقول للجبل انتقل أسقط فى البحر فيفعل».

* «وأنفذ الملك المعز طلب ابراهام البطرك - وقال له: «ماذا تقول فى هذا الكلام؟ هو فى إنجيلكم؟» قال البطرك: «نعم هو فيه» قال له: «هوذا أنتم نصارى وأنت مقدمهم يجب أن يكون فيك هذا الفعل، وإلا أفنيتكم بالسيف» قال له البابا: «أمهلنى ثلاثة أيام حتى أطلب من الرب جل اسمه أن يُطيّب قلب أمير المؤمنين على عبيده» فأمهله».

* «وعاد إلى منزله بمصر وأحضر الكهنة والأراخنة وبعض الشعب الأرثوذكسى - وعرّفهم الأمر - وهو يبكى - وكان بمصر رهبان من وادى هبيب - فجعل على جميعهم قانوناً أن يجتمعوا لمداومة الصلاة فى البيعة الليل والنهار - فأما البطرك فلم يفطر فيها بالجملة. وبعضهم كان يفطر من الليل - على خبزٍ وملح وماء فقط وكان هذا الإجتماع فى كنيسة السيدة العذراء بقصر الشمع بالمعلقة».

* «فلما كان صباح اليوم الثالث سقط البطرك القديس على الأرض من حزن قلبه وتعبه في صيامه. وغفى غفوة يسيرة، فرأى السيدة الطاهرة مريم وهى تقول له بوجه فرح: « قُم الآن وأُخرج من باب درب الحديد تجد إنساناً على كتفه جرّة مملوءة ماء .. بعين واحدة - فأمسكه فهو الذى تظهر عليه هذه الآية».-

+ فإستيقظ البطرك وهو مرعوب، ونهض ولم يدع أحداً يعلم به .. فأول من دخل من الباب الرجل الذى قيل له عنه فأمسكه ... وعرف قصته أنه دباغ يُوزّع طعام أجرته

على المحتاجين ويأتي بالماء إليهم. قال: «أسألك يا أبى ألا تُظهّرنى لأحد فليس لى قُدرة أن أحتمل مجد الناس. بل الذى أقوله لك إفعله .. اخرُج أنت وكهنتك وشعبك كله إلى الجبل الذى يقول لك الملك عنه - ومعكم الأناجيل والصلبان - والمجامر والشمع الكبير - وليقف الملك وعسكره فى جانب - وأنت وشعبك فى جانب - وأنا خلفك قائم فى وسط الشعب - واقرأ أنت وكهنتك وصيحوا قائلين: «يا رب إرحم» ساعة طويلة - ثم آمرهم بالسكوت والهدوء. وتسجد ويسجدون كلهم معك .. وافعل هكذا ثلاث مرات. فكل دفعة تسجد وتقف ثم تصلب على الجبل فسترى مجد الله».

* «فلما قال هذا القول طاب قلب البطرك، ثم نهض وجميع الشعب معه وصعدوا إلى الملك وقالوا له: «أُخرج إلى الجبل». فأمر جميع عسكره وخواصه بالخروج - وفعل الأب البطرك كما قال له ذلك القديس .. وصرخوا: «يا رب إرحم» دفعات كثيرة .. ثم أمرهم بالسكوت - وسجد على الأرض - وسجدوا معه ثلاث دفعات .. وكل دفعة يرفع وجهه ويُصلّب فيرتفع الجبل من على الأرض، فإذا سجدوا نزل الجبل وحده».

+ فخاف الملك المعز خوفاً عظيماً - وصاح الملك والمسلمون «الله أكبر لا إله غيرك» ثم قال للبطرك بعد ثالث دفعة «حسبك يا بطرك، عرفت صحة إيمانك ودينك».

نتيجة هذه الإعجوبة:

+ ثم قال الملك للبطرك أنبا ابراهام: «تمنّى علّى شيئاً أفعله لك». فقال له: «إن كان لابُد فأنا أسأل إن أمكن من بناء بيعة أبو مرقوره بمصر لأنها كانت لما هدموها لم يصنوهم من عمارتها. وجُعلت شونة للقصب - وكذلك المعلقة أسأل الأذن بتكملتها».

* «فأمر للوقت أن يُكتب له سجل (تصريح) لتمكينه من ذلك .. وأطلق له من بيت المال ما يصرفه في العمارة (البناء) فأخذ السجل وأعاد المال».

٢ «ولما قُرئ السجل (القرار) عند بيعة أبو مرقورة. فاجتمع الباعة وأوباش الناس

وقالوا: «لو كلنا أجمعين بسيف واحد ما كان أحد يقدر أن يجعل حجراً على حجر فى هذه البيعة».

* «فعاد البطرك إلى الملك المعز بالخبر - فغضب لذلك - وركب من ساعته وجميع عساكره حتى أتى إلى المكان .. فوقف وأمر بحفر الأساس - فحُفر بسرعة - وجمع له عدد كثير من البنائين .. وحُملت إليه الحجارة من كل مكان .. وبنوا فيه لوقته - فلم يجسر أحد أن ينطق بكلمة .. إلا شيخ واحد كان يصلى فى المسجد الذى هناك .. فرمى نفسه فى الأساس - وقال: «أريد اليوم أن أموت على إسم الله ولا أدع أحداً يبنى هذه البيعة».

* «فعلم الملك المعز بذلك، فأمر أن تُرّمى عليه الحجارة .. ويُبنى فوقه .. فلما رمى فوقه الجير والحجارة آراد أن يقوم فلم يمكنه الأعوان لأن المعز أمر بدفنه فى الأساس فلما رأى البطرك ذلك وقف بين يدّى الملك المعز وسأله فيه إلى أن أمر بإصعاده من الأساس - فلم يجسر أحد بعد هذا أن ينطق بحرف واحد، إلى أن كملت عمارة البيعة.وكذلك بيعة المعلقة .. وكذلك البيع بالأسكندرية»[1].

اهتداء الواضح ابن رجا (الأب بولس) إلى المسيحية:

+ بسبب حادثة جبل المقطم أيضاً اهتدى مسلمون إلى المسيحية. منهم الواضح بن رجا ابن قاضى وكان يهزأ بمسيحى يستشهد في منطقة فم الخليج بمصر القديمة.

* ««من المسلمين الشهود بمصر، الذين يحضرون مجلس الحكم بها وأبوه رجل شاهد يعرف بإبن رجا - وكان الشاب قد تعلم ناموس المسلمين - وحفظ القرآن - فعبر فى بعض الأيام على ساحل البحر (النيل) ويعرف ببركة رمسيس بمصر - فوجد إنساناً كان مسلماً - وتنصر - فقد تعلق به جند الملك، وهم يمسكوه وأعدوا له بركة رمسيس بالحطب والبوص ليحرقوه. وقد اجتمع عليه جمع كبير من الناس - وهم متزاحمون لينظروه»».

+ وكان هذا الشاب بن رجا غيوراً جداً فى الدين - تقدم إلى ذلك الشهيد وقال له: «يإنسان، ما الذى جعلك على هلاك نفسك بسبب دين تكفر فيه بالله تعالى وتُشرك به الآخر، لأنك تجعل الله ثالث ثلاثة .. دعك من هذا الكُفر، وعُد إلى دينك».فقال: «لا تسبنى إلى الكُفر .. وإنا لا نجعله ثلاثة .. ونحن النصارى إنما نعبد إلهاً واحداً

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧/٧٧ ورقة ١٧٧ - ١٨٣ .

وأنت يا هذا الآن قلبك مظلم .. وأنا أرى أنه بعد قليل يدنو منك النور .. وتجاهد عن الذى أنا أجاهد عنه، وعلى اسمه أبذل نفسى وجسدى للألم والموت. وستقبل أنت أيضاً هذه الآلام».

* «فلما سمع الشاب قوله حقد عليه. ثم خلع نعله من رجليه ولطمه به على فمه ووجهه ورأسه. ثم أنهم ضربوا عُنقه وطرحوا عليه حطباً كثيراً وأطلقوا فيه النار .. وبقيت عليه النار ثلاثة أيام – والجند يحرقونه ليلاً ونهاراً – ومن بعد ذلك كشفوا عنه نار الحريق – فوجدوا جسده مثل الذهب – فأعلموا المعز بذلك فأمر بدفنه».

* «فمضى ابن رجا الشاهد إلى منزله وبات تلك الليلة موجع القلب، لأجل ما خاطبه به شهيد المسيح – فلم يأكل ولم يشرب تلك الليلة – بل كان جالس باهت»!

* «أجتمع إليه أبوه وأخوته .. وقالوا له: «ما الذى حل بك؟!» فأعلمهم ما قاله الشهيد. فعند ذلك عزوه وقالوا له: «لا تجعل فى قلبك من كلام ذلك الضال» فلم ينسَ ما فى قلبه».

بين مكة وكنيسة أبى سيفين بمصر القديمة:

* «ومن بعد تلك الأيام إبصر الشاب المذكور جماعة من أهل مصر مسافرين إلي الحجاز ليحجوا – فقال لأبيه أريد أن أحج مع الناس. ففرح أبوه بذلك ودفع له مائة دينار وسلمه لصديق له من المسافرين إلى مكة .. فلما ساروا أبصر الشاب مناماً فى بعض الليالى – وكأن شيخاً راهباً وقف به وقال له: «اتبعنى تربح نفسك». فلما استيقظ قص المنام على صديق والده – فقال له: «يا ولدى يوفقك الله» فإن الراهب هو الشيطان يريد أن يُجرّبك، فلا تجعل فكرك عنده» ثم ظهر له ليلة أخرى وثالث ليلة أيضاً».

* «فلما قضوا حجهم وعادوا .. نزلوا عن جمالهم ليلاً – ثم ركب صديق والده جمله وتأخّر هو – فأنقطع عنه، ولم يَر أحداً – فسعى يجرى حتى تعب فلم يلحقهم .. وبقى وحده تائهاً فى البرية. فجلس وهو خائف من وحوش البرية لئلا يأكلوه. وإذا شاب راكب فرساً متمنطق بمنطقة ذهب – وقف قدامه – وقال له: «كيف تُهت فى هذه البرية وحدك؟! فقال له الشاب: «نزلت عن جملى أريق الماء فأنقطعت عن رفقتى» – فقال له: «اركب خلفى الفرس» فلما ركب طار به فى الجو، فلم يدرِ حتى صار بسرعة فى كنيسة أبو مرقورة بمصر القديمة. ففتح له الباب .. ودخل معه .. فأنُزِل هناك .. فبقى مندهشاً كأنه فى منام».

* «فدخل الأمنوت (قيِّم) البيعة وظن أنه لص . وأراد أن يصيح، فأشار إليه بيده أن يسكت. ثم قص عليه قصة حضوره وقال له: «من صاحب هذه البيعة؟!» قال له: «هو القديس أبو مرقوره، الشهيد» قال له الشاب: «فكيف صفته وصورته؟!» فمضى به إلى موضع صورته. فلما رآها قال: «الحق صاحب هذه صورة هو الذى ظهر لى فى البرية».

* «والآن فأنا أعلمك أننى رجل مسلم من أهل هذه المدينة. وقد رضيت لأجل هذه الأعجوبة أن أصير نصرانياً، لكن أريد أن تصنع معى جميلاً وتُخفّينى فى موضع حتى تدبر ما أفعل وأتي لي بكاهن عالم يُعلّمنى قوانين النصارى». فأجابه القيمً إلى ذلك. وأخفاه عنده فى البيعة – ومضى إلى شيخ قس عالم تقّى فأعلمه قضية حاله – فنهض معه وهو مسرور به. فلما اجتمعا شرح له عن كل ما سأله عنه. فسأله الشاب أن يأتيه بكل كتب البيعة ويفسر له القبطى بالعربى. فأحضر له القس – الإنجيل وكتب الأنبياء .. فقال الشاب: «مبارك الذي سلك هذه الطريقة الذى هو شاول المسمى بولس .. هكذا فعل الله لكى يهدينى» وأقام أياماً يبحث حتى أنار الله قلبه .. فسأل الشيخ الكاهن أن يعمِّده .. فعمده وسمَّاه بولس».

* «فلما لبس نور حلة المعمودية إلتمس ثياباً بسيطة .. وخرج ولم يعرفه أحد لتغيير زيه وسحنته من كثرة صومه».

* «وأما الحجاج فأنهم وصلوا إلى مصر .. فلما خرج أخوته للقائه .. فسألوا عنه الرجل الذى بصحبته – وعرفهم أن أخاهم تاه فى البرية ليلاً وأكلته الوحوش .. فلما سمعوا هذا شقُوا ثيابهم وعادوا إلى أبيهم، فأخبروه بذلك. فأقام عليه مناحة وجنازة عظيمة».

* «فلما انقضت الجنازة كان شاب من أصدقائه ساكناً بجوار بيعة الشهيد مرقوره بمصر. فأبصره يوماً قد خرج من البيعة وعاد إليها وعليه ثياب ضوف وزنار صوف – فقال: «بالحقيقة الناس يتشابهون» ثم لقى أباه وأخوته – فقال لهم آردت اليوم أن أمسك انساناً نصرانياً عند كنيسة أبو مرقوره – وقلت: انه ولدكم لولا علمى بموته».

اهتداء أهله إليه واضطهاده:

* «ثم أن اخوته اشتهوا أن ينظروا ذلك الشخص .. فنهضوا وقت العشاء وهم متنكرون

بلباس بسيط .. فلما انقضت الصلاة - خرج الشاب فى وسطهم فتأملوه وعرفوه وتبعوه إلى الساحل. فلما صاروا فى موضع منقطع عن الناس أمسكوه وبكوا.وضربواوجوههم وقالوا له: « ما هذا الذى فعلته بنا؟!».ولازموه إلى أن مضوا به إلى البيت برفق - فجدد أهله الجنازة لما رأوه على تلك الحالة، وأغلقوا الأبواب، وقالوا له: «ما أنت ولدنا». قال لهم: «أنا بولس». قال له أبوه: «فضحتنى يا ولدى .. بين القضاة والشهود» ولم يزالوا معه إلى نصف الليل.وهو يقول لهم: «ما أعرف ماتقولون»!

* «فلما لم يجدوا فيه حيلة جعلوه فى بيت مظلم ثلاثة أيام بلا طعام ولا شراب. ولم يقدروا عليه. فلما أعياهم أمره تشاوروا على قتله لئلا يُفتضَحوا به .. وأخرجوه سراً ومضوا به إلى الجيزة. وقالوا له: «إبعد عنا نستريح من فضيحتك».

ذهابه إلى وادى النطرون:-

* «فمضى إلى وادى هبيب - وأقام هناك عند راهب علّمه طريق الله، ورهبّنه. فلما أقام أياماً قليلة - قال له بعض من لا يفهم من الرهبان: «أن الرب لا يقبل نصرانيتك إلا أن تمضى إلى مصر وتشتهر بحيث تُعرّف». فسمع منه وعاد إلى مصر طاعةً له ومضى إلى منزل أبيه.وطيّب نفسَه على القتل ».

رجوعه وإغراق ابنه:

* «فلما رآه ابوه بزى الرهبان ضج واغتاظ منه. ثم أخذه وحبسه فى مطمورة مظلمة وكان يطرح فيها كناسة التراب ووسخ الدار .. وأقسم على كل من فى الدار أن لا يعطوه خبزاً ولا ماءً - وأمر غلمانه أن يرموا عليه كل ما يكنسونه .. وأقام على ذلك ستة أيام وأمه باكية .. وكانت تُدلّي له الخبز والماء بحبل .. وكان ملازماً الصلاة ليله ونهاره - وظهر له فى اليوم السابع راهب فى يده خبز نقى، وقال له: «أنا مقار أب وادى هبيب، والآن فقد أُرسلت إليك لأعزيك فتقوّ - وأصبر، فأن لك مجازاة عظيمة *.ثم غاب عنه».

* «ثم أن أباه أخرجه وتعب معه. فلم يقدر عليه - وكان له قديماً سرية قد رُزق منها ولداً قبل مُضيّه إلى مكة - وولده الطفل يتعلم العوم فقال لأبيه المؤمن: «إن أنتَ لم تُطعنِى وترجع عن ما أنت فيه وإلا غرّقت إبنك قدامك - هذا الذى أنت تحبه» فقال: «نعم أنا أحبه وهو ولدى - غير إنى أحب الرب أكثر منه».فأحضر العوّام الذى يُعوّمه سراً.ودفع له دينارين وقال له: «إذا نزل الصبى معك عشية لتعلمه العوم غرّقه» !! فأجابه العوّام إلى ذلك .. فلما صار فى وسط البحر غرّقه.وأبوه الرّاهب ينظر إليه».

+ ثم أن أباه أعاده إلى داره وحبسه فى موضع آخر أشر من الأول - وكتب فيه رقعة للسلطان - وكان الخليفة الحاكم بأمر الله - فأمر الخليفة بحضوره مع أبيه .. ليناظروه. ولم يثبت لأبيه عليه حجة - فأمر الحاكم بإطلاقه - ليمضى حيث شاء .

القس بولس بن رجاء

* «فمضى إلى رأس الخليج وشرع فى عمارة بيعة على اسم الملاك ميخائيل (القبلي بمصر القديمة حالياً) وكان هذا القديس صديقاً للرجل العالِم أنبا ساويرس أسقف الأشمونين المعروف بإبن المقفع».

* «ولما أكمّل القديس بولس عمارة الكنيسة عاد إلى وادى هبيب - ورسموه قساً .. فلما وصل خبره لأبيه .. أنفذ دنانير إلى بعض العربان .. ليقتلوه .. فلما سمع بعض الرهبان أعلموه وقالوا له: «قد فعلت مايجب وأظهرت اسم المسيح فى المواضع الذى لا يجب إظهاره فيها. والآن فلا تُسلّم نفسك للموت، لكن امضِ إلى الريف. فكن فيه متخفياً». فأطاعهم وخرج إلى صندفا .. فأقام فيها سنتين وصار «قيّم» كنيسة الشهيد تادرس. وظل ملازماً لخدمتها ليلاً ونهاراً».

* «واتفق حضور شماس من أهل منوف اسمه تيدرا بن مينا - وكان يومئذن كاتب كرسى مارمرقس . وهو الذى أخذت أنا الحقير ميخائيل ناظم هذه السيرة خدمته بعد وفاته. فلما دخل البيعة المذكورة بصندفا فوجد القديس بولس بن رجا - وهو مريض بحمًى شديدة فقال له: «لا تفارقنى حتي توارينى التراب .. فلما كان بعد يومين تنّيح. وهذا الشماس هو الذى شرح لى سيرة هذا القديس بولس بن رجا، من فمه الصادق»(١).

+ لم تكن أيام المعز والبابا افرآم السورى غنية بحادثة جبل المقطم - وظهور الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين(٢) والأب بولس بن رجا. لكن ظهر أيضاً قزمان بن مينا.

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ١٨٧ - ٢٠١.

(٢) ألف الكتب الآتية: ماعدا الميامر والتفاسير ؛ وهى التوحيد - الإتحاد الباهر - رد على اليهود - الشرح والتفصيل - رد على النسطورية - فى الدين للوزير قزمان - نظم الجوهر - المجالس - طب الغم وشفاء الحزن - المجامع - تفسير الأمانة - التبليغ - رد على اليهود - الرد على سعيد بن بطريق - معنى أطفال المؤمنين والكفار وكيف تقوم النفس - الإستيضاح وهو مصباح النفس - السير للإستبصار - ترتيب درجات الكهنوت الإثنى عشر - طقوس البيعة - اختلاف الفِرق - الأحكام - ايضاح الإتحاد - سِيرَ البطاركة (هامش أصلي).

قزمان بن مينا (ابو اليُمن):

* «فى بداية قسمة أنبا ابراهام بطركاً كان الوزير بمصر أبو اليُمن قزمان بن مينا[1] وكان رجلاً متديناً بتولاً .. يفعل الخير مع كل الناس - رُزق (نال) محبة من المعز، بحُسن سيرته وقوة أمانته .. فلما رأى يعقوب بن كلس الوزير (اليهودي) تقدمة أبو اليمن عند المعز- حسده - فأشار على المعز وقال له: «قزمان بن مينا يصلح أن تنفذه إلى أعمال فلسطين ليُديرها لأنه رجل مأمون». وكان غرضه إبعاده عن المعز. فأُنفِذ (أُرسِل) إلى فلسطين»٠

* «فلما وصل إليها ونظر فيها استخرج منها - مائتي ألف دينار - ثم قام خارج من ديار الشرق رجل يعرف بالقرمطى٠ فملك بلاد الشام - حتى وصل إلى أعمال فلسطين .. فلما بلغ قزمان بن مينا خبره أخذ المال الذى حصله ومضى به إلى دير فوق جبل طابور - وسلّمه لمُقدم (رئيس) الدير وجعله وديعة عنده ليحفظه، وعاد إلى عمله .. فلما وصل إليه القرمطى - قال له: «لا تخف فلا يلحقك منى شر، وأنا أجعلك تصحبنى (تشترك معي في الإدارة) كما كنت مع المعز»٠ وعاهده على ذلك»٠

* « فكتب أصحاب الترتيب إلى المعز بذلك .. فلما علم الوزير اليهودي بذلك وجد السبيل إلى ذكره بالردئ - وقال: «هذا قزمان بن مينا، الذى تقول إنه ثقة قد صالح عدّوك، وودفع له المائتي ألف دينار التى استخرجها من بلادك ليُقوِّيه بها عليك»٠

* «فغضب المعز - وبعد قليل هلك ذلك الخارجى - وكتب قزمان بن مينا إلى المعز وأعلمه بما جرى مع القرمطى، وكيف تلاقاه إلى أن تخلّص منه - وخلّص المائتي ألف دينار».

* «فنقم المعز على الوزير بن كلس، وقبض عليه وقتله .. وأنفذ أحضر قزمان بن مينا فوصل والمال بصحبته - فأخلع عليه (كافأه) وأكرمه»٠

* «وكان قزمان بن مينا قد جمع قبل مسيره إلى فلسطين ٩٠ ألف دينار - فلما أراد المسير دفعها للأب ابراهام البطرك٠ وقال له: «إذا سمعت أننى توفيت بها٠ فأصرفها فى خلاص نفسى، للبيع والمنقطعين (الرهبان).وأنا إن عُدت آخذ مالى»٠

---

(١) وزير كافور - ووجد نعمة قدام جوهر، فأبقاه على حاله ناظراً فى كورة مصر (مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ١٧٢)٠

+ فلما عاد إلى مصر وإنصلحت أحواله مع المعز طلب من البطرك الـ ٩٠ ألف دينار فقال له: «سمعت ما جرى لك فى الشام - فظننت أنك لا تعود إلى هنا وخفت أن يبلغ المعز خبر المال فيأخذه، ولا يحصل لك منه شئ ولا منفعة فى الآخرة - فصرفته فيما أمرتنى به». فلم يقل له: «كلمة ولا فى أى شئ صرفت مالى»؟ بل قال له: «**يا أبى قد أحسنت لى**»(١).

عادة التسرى:

* «ولما رأى «البطرك» جماعة من الأراخنة تسرُّوا بالسرارى وولدوا منهن الأولاد، فحرم من يفعله - فأطاعه الأراخنة إلا واحداً جليلاً من أصحاب الدواوين، خالف البطرك. حينئذ ركب البطرك، ومضى إلى داره ليُخاطبه - فلما أعلموه .. أغلق باب داره. فلما وصل البطرك الباب وقف ودقّه - فلم يُجبه أحد بكلمة - فحَرَمه ونفض قدميه على العتبة - وبعد أيام يسيرة هلك ذلك الأُرخن وكل ما له»(٢).

* «ويقال إن إنساناً من الأراخنة يُعرَف بأبى السرور كانت له وجاهة فى الدولة - وكان له سرارى. فأمره «البطرك» بإخراجهن فلم يفعل. فحرمه ومنعه من القربان - فاحتال علي البابا ابرآم بن زرعة حتى سقاه سقاه سقية قتلته. ومضى القديس إلى الرب بسلام»(٣). بعد أن أقام ثلاث سنين ونصف علي كرسي مارمرقس. ولم يبق معه من الـ ٩٠ ألف دينار «الخاصة بقزمان» ولا من المال الكثير الذى كان معه لنفسه قبل بطركيته درهم واحد، بل صرف جميع ذلك فى بناء البيع والصدقات، ومايُرضى الله»(٤).

* «وقد أضاف هذا البابا على أصوام الكنيسة القبطية ثلاثة أيام نينوى، وأضاف أيضاً ثلاثة أيام نقل الجبل على **صوم الميلاد** الذى كان أربعين يوماً فقط بموافقة المجمع المقدس»(٥).

---

(١) مخطوط دير البراموس، المصدر السابق ورقة ١٨٥- ١٨٦ (وهو درس هام لكل نفس).

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٦ .

(٥) تشبهاً بصوم موسى قبل استقبال كلمة الله (الوصايا العشر) على الحجر في سيناء.

الفصل الثانى

الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢١م)

* «كان حُكمه بعد والده العزيز بن المعز لدين الله – وكانت والدته سرية رومية – وكان لها أخ إسمه «أرسانى».فجعلته بطركاً للملكية بعنايتها، لأن السلطان كان يميل لها. – فقوىَ على بيعتنا بفسطاط مصر. وكان لنا بقصر الشمع بيعتين على اسم السيدة الطاهرة إحداهما المعلقة والآخرى بزقاق ابو حصين – فأراد أن يأخذ المعلقة – فجرى بمقدّمينا معه أحداث كثيرة إلى أن أخذ كنيسة السيدة بزقاق أبو حصين – وبقيت المعلقة لنا»(١).

* «وكان الحاكم بأمر الله متقلباً. وقام ضد المسيحيين وأصدر أوامر تسلب حريتهم – وقَتَل بعضهم – وضايق البابا زخارياس – ثم رَضي عنهم أخيراً».

أوامره ضد المسيحيين:

* «أنزل بالنصارى شدائد لم يعهدوا مثلها – وذلك أن كثيراً منهم كان قد تمكن فى أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء .. فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك.وكان لا يملك نفسه إذا غضب .. فقبض على عيسى بن نسطوريوس(٢) وهو اذ ذاك فى رتبة

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٠٣ .

(٢) «لعله بسطوروس كان أميناً على أموال الحكومة وإيراداتها فى أيام العزيز – ولما تولى الحاكم أقره فى ديوانه الخاص .. وكان عاتياً جباراً – ومن أخباره أنه فى سنة ٣٨٠ هـ – حدث حريق بالقاهرة – وأحرقت السفن – وكان بالقرب من هناك جهة كان يسكنها الروم النصارى فاتهمهم البحريون المسلمون بإلقاء النار عمداً وقتلوا منهم أكثر من ١٠٠ رجل – وأخذوا من بقى منهم وحبسوهم .. وكان الخليفة ببلبيس .. والقائم مقامه يونس.. الذى لما وصله خبر الحادثة بادر إلى الحضور، ومعه عيسى بن باسطوروس – ولدى وصولهم أحضروا الروم المحبوسين وبسؤالهم اعترفوا بإلقاء النار – فكتب عيسى بذلك إلى العزيز وذكر له فى الكتاب – خبر من قتل من الروم وما نُهب منهم بما تبلغ قيمته ٩٠ ألف دينار – فصدر أمر إليه بتجديد السفن – وفى أثناء ذلك مات العزيز بالله وقام بعده ابنه الحاكم بأمر الله وخلع على (كافأ) عيسي بن نسطوروس وأقره فى ديوانه الخاص ثم قبض عليه بعد سبع سنوات .. وأمر بضرب عنقه – وفيما هو ماض إلى القتل قال «اذكر انه كان بين القوم المتهمين بنهب بيوت الروم شاب قبض عليه .. فأمرْتُ بقتلهِ .. فكانت أمه معه – فصاحت ولطمت وأقسمت أنها وإبنها ما كانا فى مصر ليلة النهب».. فلم اعتد بقولها. وأمرْتُ بضرب عنقه.«قالت لى: «أقتلت ولدى؟» كذلك يقتلك الله..يا قاسىَ القلب».. فأمرت بضربها. ثم كان من الأمر ما ترون مما أنا صائر إليه» (تاريخ الأمة القبطية»روفيلة ص ١٢٠ – ١٢٢) «فالجزاء من جنس العمل».

تُضاهِي رُتبة الوزراء وضرب عنقه - ثم قبض على فهد بن ابراهيم[1] النصراني كاتب برجوان، وضرب عنقه»٠

* «وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس الثياب الغير لائقة، وشد الزنار في أوساطهم. ومنعهم من عمل الشعانين[2] وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عادتهم فعله في أعيادهم من الإجتماع واللهو»٠

* وقبض على جميع ما هو محبس (موقوف) على الكنائس والديارات - وأدخله في الديوان، وكتب إلى أعماله (إداراته) كلها بذلك .. وأحرّق صلبان كثيرة - ومنع النصارى من شراء العبيد والإماء»٠

* « وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر مدينة مصر. وأخرب كنائس المقس[3] خارج القاهرة وأباح ما فيها للناس فأنتهبوا منها ما يصعب وصفه٠ وهدم دير القصير ونهب العامة ما فيه٠ومنع النصارى من عمل الغطاس[4] على شاطئ النيل في مصر، وأبطل ما كان يُعمل فيه من الإجتماع للهو (الفرح الروحي)٠

---

(١) «قتل الرئيس أبي العلاء فهد بن ابراهيم - وسبب ذلك أنه كان لفهد مناظر مسلم يسمى على بن العداس .. علي ديوان الإستيفاء .. فإغتاظ من ذلك وكان لإبن العباس صاحب في الديوان يسمى ابا طاهر النحوى كان مختصاً بالنظر في أعمال الشام .. فأوعز أن يبلغ الحاكم بشكوي من تظافر النصارى وأن فهد هو الذى يقوّي نفوسهم .. وبينما كان الحاكم يطوف البلد .. ومعهابن طاهر - إنتهز الفرصة وبلّغه ذلك فحمى غضب الحاكم على فهد - ولما كان الصباح ذهب فهد لمقابلة الحاكم كجاري عادته فلم يحظ منه بالإلتفات.فإرتعدت فرائضه .. ولم تمضِ أيام حتى قبض على فهد بن ابراهيم وضرب عنقه» (روفيلة، المصدر السابق,ص ١١٦ - ١١٨)٠

(٢)"وكان من عادتهم الإحتفال به احتفالاً شائقاً إذ يطوفون الشوارع والحارات بضجة عظيمة، حاملين الشموع - وسعف النخل وكثيراً ما كان ينزل الخلفاء في عهد الدولة الفاطمية للتفرُّج على هذه الإحتفالات لاسيما احتفال ليلة عيد الغطاس ويوم النيروز"(روفيله، ص ١٢٥)٠

(٣) "المقس موضعه الآن خارج باب البحر (الأزبكية) لأن النيل كان ممتداً إلى هناك - ثم انحسر عنه - ولذا سُميت تلك الجهة باب البحر (حاشية ص ١٢٠بالمصدر السابق وتاريخ الأمة القبطية - يعقوب نخله روفيله) .

(٤) (وكان من أجمل المواسم وله شأن كبير عند المصريين عموماً - فكانوا يخرجون كبيرهم وصغيرهم إلى النيل ويوقدون المشاعل والأنوار وينصبون الأسرّة على ضفته - ويحيون ليلهم في سرور وانشراح ولهو حتى الصباح) {روفيله المصدر السابق ص ١٢٤}٠

* «وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التى زنة كل صليب منها خمسة أرطال، فى أعناقهم - ومنعهم من ركوب الخيل - وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسرج ولُجم غير محلاة بالذهب والفضة. بل تكون من جلود سود .. وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد .. وركُب سروجهم من خشب الجميز».

* «وأخذ فى هدم الكنائس كلها وأباح ما فيها.. ونهب جميع أمتعتها .. وبنى فى موضعها المساجد. ومآذن بالصلاة فى كنيسة شنوده بمصر .. وأحيط بكنيسة المعلقة جامع، فى قصر الشمع. وأكثر الناس فى رفع القصص بطلب (العفو عن) كنائس أعمال مصر ودياراتها. فلم يرِّد قصة منها .. فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أوانى الذهب والفضة .. ووجد بكنيسة شنوده مال جليل - ووُجد فى (كنيسة) المعلقة من المصاغ وثياب الحرير أمر كثير جداً».

* «وكتب إلى ولاة الأعمال (المحافظات) بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات - فعم الهدم فيها من سنة ٤٠٣ هـ حتى ذكر من يثق به فى ذلك أن الذى هُدِم إلى آخر سنة ٤٠٥ هـ بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل **نيف وثلاثون ألف بيعة !!** وألزم النصارى أن تكون الصلبان فى أعناقهم إذا دخلوا الحَمَّام .. وفى هذه الحوادث أسلم كثيرون من النصارى[١]».

+ وكان يغصب البعض على اعتناق الإسلام - فيتقدم بعضهم للإستشهاد - ومنهم :-

١- يوحنا أبو نجاح:

* «فأحضره إليه وقال له: «أريدك أن تتخلَّى عن دينك، وتعود إلى دينى، وأجعلك وزيرى». فقال له: «أمهلنى إلى غد حتى أشاور روحى» فأمهله - فمضى إلى منزله وأحضر أصدقاءه وعرفّهم بما جرى له معه - وقال لهم: «إنى مُستعد أن أموت على

(١) المقريزي، طبعة التوفيق، ص ٥١ - ٥٣.

اسم المسيح. وما كان غرضى فى إمهالى إلى الغد مشورة روحى، وأنما قلت هذا حتى أجتمع بكم وبأهلى وأودعكم».وقوّىَ قلوبهم أجمعين بكلامه، وثبتهم على أن يموتوا على اسم السيد المسيح».

* «فلما كان بالغداة مضى إلى الحاكم بأمر الله – فقال له: «يا نجاح، تُرَى هل طابت نفسك؟» قال له: «نعم» قال: «على أية قضية؟!» قال: «بقائى على دينى».فأمر بنزع ثيابه وأن يُشدّ فى الهنبازين، ويُضرب. فضُرِب ٥٠٠ سوط .. ثم أمر أن يُضرب تمام الألف سوط – وهكذا تمت شهادته»[١].

٢- الشماس بقيرة الرشيدى:

* «ترك الخدمة فى الديوان الذى كان له (يعمل فيه) وحمل صليبه ومضى إلى القصر، وصاح على بابه «المسيح ابن الله» فلما سمع الحاكم صوته أمر بإحضاره. واجتهد به أن يُنكر دينه ويعترف بالإسلام – فلم يفعل .. فأمر أن يوضع فى حلقة طوق حديد وسلسلة حديد ويُرمَى فى حبس الدم .. وهو مشدود إلى وتد كبير – مضروب فى الأرض – وظل قائماً يصلى ووجهه إلى الشرق .. حتى أنفذ الحاكم وأخرجه من الإعتقال – وكتب له سجلاً بالأ يعترض أحد بقيرة الرشيدى .. ونزل إلى مصر وطاف على النصارى الخائفين وطمأنهم[٢]{وهو درس هام لكل نفس لتكون أمينة}.

+ «وفى ذلك الزمان ظهر أمير تركى برأس الأب البشير مارمرقس الإنجيلى فقيل له: «إن النصارى يدفعون لك فيها كل ما تريده» فحملها إلى مصر – فلما علم بقيرة الرشيدى بذلك أخذ منه الرأس بثلثمائة دينار. وحمله إلى البطريرك. وهو يومئذ بدير أبو مقار»[٣].

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢١٢.

(٢) مخطوط دير البراموس، ورقة ٢٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ورقة ٢١٨ .

البابا زخارياس (زكريا) ٦٤ (١٠٠٤-١٠٣٢م):

* «بعد انتقال البابا فيلوثاوس اجتمع الأساقفة فى الأسكندرية ببيعة مارمرقس – لإنتخاب خلف له: «وكان بالأسكندرية فى بيعة ميخائيل .. قس شيخ اسمه زخريا .. وكان الأساقفة نازلين عنده فى البيعة وكان يخدمهم .. صعد يوماً إلى علو البيعة لينزل بجرة خل للطباخ الذى يعمل ليأكل الأساقفة – وفيما هو نازل من السلم – زلق ووقع، والجرة معه لم تنكسر .. فقال الأساقفة .. هذا بالحقيقة رجل الله. ثم سألوا عنه أهل الأسكندرية .. فقالوا كلهم: «ماسمعنا عنه قط كلمة سوء، بل هو فقير بائس»، فقالوا: «جيّد أن يُقدّم (يُرشّح) وأخذوه وقسموه بطركاً فى عشية ذلك اليوم»(١).

الحاشية تُتعِب البابا - والنتيجة إلقائه للسباع بأمر الحاكم:

* «كان راهب اسمه يوأنس قساً فى اسكنا (كنيسة) أبو مقار، وساكن فى بيعة القديس أبو نفر .. رأي جماعة يشترون الأسقفية بالمال – فألقى الشيطان فى قلبه نار مَحبة الأسقفية .. ولم يكن معه شئ يدفعه. فحضر عند أنبا زخارياس البطرك وقال: «أريد أن تلبسنى ثياب الأسقفية فقط، واجعلنى على كرسى خَراب» وكان البطرك عفيفاً جداً .. ولم يكن يفعل شيئاً حسب رأيه، وكان كالأخرس، وكان أهله وتلاميذه حاكمين عليه، وهم الذين يأخذون المال في من يقدمونه له .. ومن إلتمس منه كهنوتاً أرسله إليهم .. فلما أتاه هذا الراهب أنفذه إليهم. فلما علم منه أنه يريد الأسقفية بلا شئ يدفعه وأعنى لأخى البطرك وهو ميخائيل أسقف سخا – سبه وقال له بعد الشتم «إنك إن ذكرت من فمى شئ على هذه القضية جعلت التلاميذ يهينونك»(٢).

* «ولما تحقق أنه لا يُرسَم أسقفاً مضى إلى مصر، وكتب شكوي وذكر فيها البطرك بكل سوء – ووقف للحاكم وقال له: «أنت خليفة الله فى أرضه». وناوله الشكوي، فأخذها

(١) مخطوط دير البراموس، المصدر السابق، ورقة ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٥٠ .

منه وكان فيها مكتوب «أنت ملك الأرض، لكن للنصارى ملك لا يعنى بك، لكثرة الأموال، لأنه يبيع الأسقفية بالمال»·

* «ولما وقف الحاكم على الرقعة .. أعتقل «البابا» ثلاثة شهور - وكان اعتقاله في يوم ١٢ هاتور سنة ٧٢٧ ش. ثم آمر بأن يُطرَح للسباع لتأكله .. فلما رُمِىَ لها نقَلَ اللّه طبعها .. وضبطها عنه فلم تأكله .. فنقم الحاكم على سايسها وقال له: «أنت، أطعمتَ السباع كثيراً ولم تُجوّعها» وأمر بأن تُجوّع السِبَاع ثانيةً - فإذا اشتد جوعها تُذبح شاة ويُعرّى البطرك من ثيابه ويُلطخ جسده بدمها .. وتنطلق السباع عليه»· ففعلوا به ذلك· فلم تؤذه»[1]!

* «وبعد ذلك أطلق سراح البابا وذهب إلى أديرة وادى النطرون، ليصلى لله ليرفع غضبه عن شعبه .. فكانت نتيجة هذه الصلاة أن رجع كثيرون ممن أسلموا منهم»·

الراهب بيمن:

* «عاد إلى دينه وسأل الحاكم أن يُمكّنه من عمارة دير خارج مصر على اسم مرقوريوس - وهو دير شهران (بالمعصرة)·فبناه وسكنه مع إخوة له رهبان· وكان الحاكم يجئ إلى عندهم دفعات كثيرة، ويقيم هناك ويأكل من طعامهم .. وكان كل من عنده حاجة عند الحاكم يمضى إلى الراهب بيمن يُخاطبه عليها - وقت حضوره عنده - فيقضيها له»·

* «فلما علم بيمن أنه قد صار له قولاً مقبولاً، ذكّره بموضوع أنبا زخارياس البطرك - وسأله الإذن فى بناء البيع فوعده بذلك .. فأنفذ أحضر البطرك من دير أبو مقار - وأخفاه عنده فى دير مرقوريوس الشهير - فلما أتاه الحاكم - كما جرت العادة - أخّرج له البطرك· فسلّم عليه بسلام الملوك· وبارك عليه ودعا له»·

---

(١) مخطوط دير البراموس السابق ، ورقة ٢١٨.

* «ثم أن الحاكم جاء إليهم ومعه سجل عظيم بفتح الكنائس كلها وعمارتها - وأن يُعاد إليها الأخشاب والأعمدة والطوب المأخوذ منها والأرض، والبساتين التى كانت لها فى كورة مصر».

* «وكان هدم الكنائس سنة ٧٢٧ ش - وفُتحت وأُطلِق عمارتها سنة ٧٣٦ ش - وفى السجل (التصريح) أعفاهم من لبس الأسوَّد وحمْل الصليب - وسمح أن يضربوا الناقوس فى الكنائس»[١].

نهاية الحاكم :

* «فى سنة ١٠١٨م بلغ بالحاكم الهَوَس (الجنون) إلى حد أنه إدعَّي الألوهية واضطهد الإسلام واتخذ شيعة جديده وأشياعاً أصفياء أشهرهم دُرزِي - وقد آمن فريق بشيعته - وانتهى الأمر بوقوع ثورة دينية سنة ١٠٢٠م - قُتِل فيها كثيرون من مُصدّقيهِ وأراد المسلمون قتل دُرزى - ففر إلى وادى التيم بقرب جبل لبنان حيث نشر الدين الجديد وإلتف حوله أتباع يعرفون اليوم بالدروز».

* «ورأت «سيدة المُلك» أخت الحاكم ظلم أخيها، وارتباك أموره. فنصحت له بأن يعتدل فى سياسته. فقابل نُصحها بالإعراض - فإنضمت إلى أعدائه».

+ وفى سنة ١٠٢١ م قُتِل الحاكم فى طريق المقطم - ولم يعثر أحد على جثته، إنما وجد بعضهم ثوبه مُزّرراً كما لو كان ملبوساً، وفيه آثار عدة طعنات. فقال أشياعه أنه انتقل عن الدنيا وسيُبعث حياً - وجهل الناس قاتليه - فقيل إن أخته قتلته بالإتفاق مع قائد من بنى كتامه يُدعَى ابن دواس»[٢]!

+ وتنيح البابا زخارياس بعد استجابة صلواته بخصوص الكنيسة وشعبها سنة ١٠٣٢م.

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٢٨ / ٢٣٠.

(٢)هند اسكندر، تاريخ مصر، ص ١٦٦.

الفصل الثالث

الخليفة المستنصر (١٠٣٦-١٠٩٤م)

+ كان الخليفة المستنصر من أكبر المعمرين ولكن أيامه امتازت بالقحط الذى حل بمصر وبمضايقة وزيره اليازورى وقائد جيشه ناصر الدولة - وبعد أن استراح منهما أسند الوزارة إلى بدر الجمالى .

القحط فى أيامه:

* «حدثت المجاعة العظيمة التى لم يُسْمع بمثلها من قديم الزمان، حتى أكل الناس بعضهم بعضاً . وكان الكلب يُباع بخمسة دنانير - والقط بثلاثة دنانير - واشتد الغلاء - وعظم البلاء على الناس - حتى صودف أحياناً أن الكلاب كانت تدخل الدور - وتأكل الأطفال وهم فى المهود - وأمهاتهم ينظرون إليهم ولا يستطيعون النهوض، لإنقاذهم من شدة الجوع .. وخرجت إمرأة ذات يوم إلى السوق - وبيدها عقد من الجوهر فقالت:"من يأخذ منى هذا العقد ويعطينى عوضه قمحاً ؟".فلم تجد من يأخذه.ثم إلتفتت إلى العقد وقالت:"إذا كنت لا تنفعنى وقت الحاجة فلا حاجة لى بك وألقته على الأرض»(١) !

الوزير اليازورى (١٠٥٠-١٠٥٨م):

* «ارتكب خطأً فاحشاً، إذ باع ما كان فى مخازن الحكومة من القمح - غير عابئ بكوارث الأيام .. وكان اليازورى كل أيام وزارته - يضطهد الأقباط ويشدد عليهم فى الضرائب .. وأقفل الكنائس وهدم بعضها»(٢).

+ «فثار مسيحيُّو مصر والقطر جميعاً - وتجمهروا . وكادت تكون فتنة لولا أن الخليفة تلافى الأمر - وقبض على هذا الوزير المستبد، ونفاه إلي جهة تانيس - وبعد قليل قتله "مسموماً" لأنه كان يُهيّج المسلمين عليه .. بإدعائه عليه أنه لا يُراعِي جانب المسلمين - ويُعِين النصارى عليهم»(٣).

---

(١) ابكاريوس، قطف الزهور، ص ٢٠٤ .

(٢) هند اسكندر، تاريخ مصر، ص ١٧٠ .

(٣) روفيله، المصدر السابق، ص ١٣٢ .

قائد الجيش - ناصر الدولة:

* «أصدر المستنصر بعد ذلك أمراً قصد به إرضاء خواطر المسلمين، يقضى بهدم كنائس الوجهين القبلي والبحرى .. وكان المكلف بهدم كنائس الوجه البحرى - يُدعىَ ناصر الدولة - وكان أكثر قساوة. فتخربت كنائس دمنهور - وأقفلت سائر كنائس الدلتا. وفرّض على الأقباط ضريبة ٧٠٠٠ دينار. فى نظير صبره على إغلاق الكنائس»(١).

* «ولكن الخلاف وقع بينه وبين الخليفة لأنه أراد أن يحصر السلطة فى يده .. فحرك المستنصر صهر ناصر الدولة الذى كان يبغضه وحرضه عليه - «فدخل عليه يوماً فى بيته وطعنه بالخنجر - فقتله وقتل أخاه فخر العرب - وأخذ رأسيهما وألقى بهما بين رجلّى الخليفة» (٢) فإستراحت الكنيسة من ظلمه».

بدر الجمالى الأرمنّي(٣):

*«قائد جيش الشام - دعاه "الخليفة" وعهد إليه بأمور الدولة. فجاء سنة ١٠٧٤م وبطش بأمراء الأتراك .. وأكثر من جلب مواطنيه الأرمن»(٣).

+« ولما كان فى أبيب سنة ٨٠٣ ش - وصل من القسطنطينية .. بطرك الأرمن واسمه اغريغوريوس - ولقى من أمير الجيوش بدر الجمالى لقاءً حسناً. ونزل فى كنيسة السيدة مارت مريم التى للملكية بأرض الزهرى بجانب كنيسة أبو قزمان التى لليعاقبة (يقصد الأرثوذكس)، عند القنطرة التى بين القاهرة ومصر .. ثم اجتمع بالأب أنبا كيرلس البطرك. فأكرّمه وفرح به • واعترف له بالأمانة الأرثوذكسية»(٤).

---

(١) القمص منسى، تاريخ الكنيسة، ص ٥٢٩ .

(٢) چورچ زيدان، تاريخ مصر، ص ٢٧٧ .

(٣) هند أسكندر، تاريخ مصر، ص ١٧٢.

(٤) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٣١٩.

* «وعاصر الخليفة المستنصر البابا اخرستوذولو (عبدالمسيح) والبابا كيرلوس السنجارى»٠

البابا اخرستوذلوس البراموسى ١٠٤٧ - ١٠٧٧م:

+ كان قسيساً .. فى دير البراموس .. وكان له أخ فى الرهبنة اسمه يعقوب صار قمص براموس .. لما ذُكِر فى المجمع اتفق رأيهم على تصييره (رسامته) فسار إليه عشرة من مُقّدمي الأسكندرية .. ومضوا إلى عنده، والتمسوا أن ينزل إليهم٠ فإمتنع إلى أن أحضروا له رجلاً كان إشبيناً له .. يُعرف بابن زكرى – فطلع إليه ولم يزل به إلى أن قرر معه الإجابة إلى ما يريدونه٠ وقال لهم: «قد استقر أنه يصير (يرسم) لكنه ما ينزل من صومعته حتى يلبس الثياب .. فألبسوه الثوب فوق٠ ورُسم يومئذ وهو لا يملك إلا درهمين٠ وساروا به إلى الأسكندرية، وكرزوه (رسموه) فى كيهك سنة ٧٦٣ ش» (١٠٤٧م)٠

تكريس الكنائس:

* «وكرز بيعة على اسم الشهيد ابومرقوره وبيعة رافائيل الملاك .. وبيعة أبو مينا، وبيعة لمارجرجس .. وقام بتجديد بيعة مارمرقس، ورسم يوم تكريس بيعة رافائيل الملاك قساً واحداً ونيف ستين شماساً – وشرط على آبائهم أن ليس لهم حق فيما للبيعة»(١).

انتقاله إلى القاهرة :

* «بعد خروجه من الأسكندرية إلى مصر .. مضوا به إلى بيعة السيدة بالمعلقة٠ وكان معه أربعة وعشرون أسقفاً٠ وقدس معه فى ذلك اليوم أنبا فيلوثاوس أسقف مصر»(٢).

بقام بن ابقورة الذى أسلم ورجع:

*"حدث أن أحد كبار موظفى الأقباط كان له ولد عاصى – فطرده من بيته لخروجه عن

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٣١٩.

(٢) المخطوط نفسه، ورقة ٢٥٦.

طاعته - فإعتنق الدين الإسلامي. وكان خاله جرجس أسقف ميسارة .. فوعظه كثيراً لكي يرجع إلى دينه، فلم يرجع. فحرمه من ميراث أبيه، ولكنه بعد مدة ندم وعاد إلى ديانته - وترهب .. وتراءىَ له - فيما بعد - أن يُكفِّر عن جحوده بالمسيح بإعلان إيمانه أمام الذين كانوا يعرفونه وقت إسلامه .. فإنطلق إلى القاهرة واجتمع بأهلها - وهو بلباس الرهبنة - فإغتاظوا منه وأنهالوا عليه ضرباً وألقوُّه في السجن».

* «فسعى والده لدى القاضي ودفع له رشوة ليُفتِي بإخراجه - فأفتى القاضي بإمكانية خروجه إذا تظاهر بالجنون .. فأقنعه والده بضرورة اتباع تلك الطريقة للتخلُّص من السجن - فإعترف بإيمانه بالثلاثة أقانيم .. فأمر "القاضي" بقطع رأسه. فسيق إلى مكان يدعى رأس الجسر (فم الخليج بمصر القديمة حالياً) - والجماهير تتبعه بكثرة - من مسلمين ومسيحيين».

* «وقبل اعدامه عرض عليه الضابط المكلف بذلك الإعتراف بالإسلام - ووعده أن يهبه مقابل ذلك الحصان الذى كان راكباً إياه .. ويرفعه الخليفة إلى أسمَّى الرُتب .. فأجاب الشاب: «لا تُتعب نفسك مع من يتأكد أن مجد العالم يساوى شيئاً يسيراً من ملكوت السموات». فتقدّم إليه الجلاد وسيفه يلمع في يده .. وأراد أحد المؤمنين أن يغطى عينيه - ولكن لم يتمكن من ذلك، لأن الجند منعوه .. فناداه باللغة القبطية قائلاً: «تشجع يا جندى المسيح، فإن ملاكاً آراه فوق رأسك وبيديه إكليل جهادك».

* «تحول الشاب إلى ناحية الشرق وجثى على ركبتيه - وصلى - ومد عنقه للجلاد، فأطاح عنه رأسه[1] «وجعلوا أربعة يحرسونه في تلك الليلة. فرأوا بالليل نوراً عظيماً قد نزل عليه حتى أن أثنين منهما تجننا والإثنان الآخران خرجا من مصر ولم يُعرَف لهم خبر إلى اليوم. ولما بلغ هذا الخبر إلى المستنصر أمر بإطلاقه (إعطاء جسده)[2]

---

(١) القمص منسي، المصدر السابق ص ٥٢٧ .

(٢) جسده موجود حالياً بكنيسة دير الملاك القبلي بالزهراء (بمصر القديمة)، ويُحتفل بعيد استشهاده يوم ٧/١٥ (المراجع).

إلى أهله .. ليدفنوه .. فحمله أبوه إلى كنيسة ميكائيل ودفنه خارج الباب – وفى اليوم الثالث وصل الأب أنبا اخرستوذلوس – من دير الشمع إلى البيعة المذكورة .. وأمر بهدم القبر، فدخل به إلى الكنيسة»[١].

الأمير حصن الدولة الكتامى:

+ فى الوقت الذى كان فيه يعمل الشيطان لتبديد شعب المسيح بقفل كنائسهم – وهدمها بواسطة الوزيرين اليازورى وناصر الدولة، كان يعمل وسط المسلمين – لتخفيف هذا الكرب خصوصاً فى الأمير حصن الدولة الكتامى – والى الأسكندرية.

* «وكان مُحّباً للنصارى ويراعى كنائسهم، حتى أنه رأى اليازورى البيع فأحضرنى (يقصد كاتب هذه السيرة، وهو موهوب بن منصور الأسكندرانى)[١] وخالى صدقة ابن سرور، لأننا كنا نخدمه فى مهماته. وقال لنا: «هذا كتاب اليازورى إذ وصل بغلق البيع والقبض (الاستيلاء) على جميع مالها .. ونحب أن تمضوا الساعة وتنقلوا جميع ما فى بيعكم من الآلات وكساوى وغيرها، حتى تنظروا بعد هذا ما أفعله فى غد .. ويكون هذا أمر مخفى».

* «فلما كان الغداة جلس وأحضر القاضى والشهود، وأظهر الكتاب، وأمرهم أن يمضوا إلى البيع ويثبتوا ما فيها ويحتاطوا عليه. فمضوا وعادوا إليه بإثبات ماوجدوه، وهو حُصْر ومصيدة للفأر فى كنيسة السوطير (المُخلّص) فأمر أن تُغلَق بيعنا».

+ وكتب إلى الوزير بذلك « فأحضرَنا وأوقفنا عى الكتاب.ودعوّنا له. ثم شكونا له حالنا فى غلق البيع وانقطاع الدُعاء له فى أوقات الصلوات – فدفع لنا مفتاح كنيسة مارجرجس التى كانت قديماً بيت إنيانو – أول البطاركة».

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٧١ ـ ٢٧٣ .

(٢) مخطوط دير البراموس، ورقة ٢٥٣ .

* «وكان رسم (طقس) النصارى بالأسكندرية أن يُخرجـوا الزيتونه (الأغصان والورود) يوم عيد الشعانين فى الليل ويشقّوا بها المحجة والسوق - من بيعة القديس أبو سرجة - إلى بيعة السوطير بالدعاء والقراءة - إلى أن جرى من المسلمين ما أوجب أن أقاموا ١٥ سنة ماطافوا بها».

* «فلما ذكرنا ذلك للأمير حصن الدولة أمر بإخراجها على جارى العادة - وأنفذ معنا أصحابه وأمر بأن أى دار يُرمى منها حجر يُختم بابها - وأى انسان يتكلم من المسلمين (ضد المسيحيين) يمضوا به إلى الحبس - ونادى مناديه بذلك فى المدينة. فأخرجناها فى تلك الليلة وطفنا بها المدينة بالقراءة والتمجيد والصلبان والبخور وكانت ليلة حسنة».

* «**وكان غلاء عظيم** .. فما أخرّجنا الزيتونة .. **تزايد الرخاء وأزال الله الغلاء برحمته** وتحقق المسلمون بالأسكندرية أن ذلك ببركة خروج الزيتونة - وصاروا يفرحون بخروجها فى كل سنة فى ليلة عيد الشعانين[1] ».

* «وفى مسرى سنة ٧٦٤ ش - كتب البابا خريستوذولس قانوناً أظهرَ فيه أوقات الأصوام والأعياد والطقوس التى تجرى فيها[2] - وتنيح الأب القديس فى ١٤ كيهك سنة ٧٩٤ ودُفن فى المعلقة بمصر القديمة».

(١) مخطوط البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٢) ضمّنهُ ما يأتى: لا يغطى أحد قربانه بخبز قبل التسريح. أن يكون وقوفهم .. فى الآحاد والأعياد بخوف ورعدة. لا يتكلم أحد فى أوقات الصلاة إلا فى هذين الأمرين - وهما أمر الدين والقراءة.كذلك النساء يقفن فى مواضعهن بعفاف. ويستعمل المؤمنون فى صوم الأربعين النُسك والتواضع - ولا يكون فيها تزويج البتة - ولا يكون فى الجمعة الكبيرة (أسبوع الآلام) معمودية ولا تجنيز (للموتى) ويُلزم فيها البيعة والنُسك لأنها جمعة حزن. وبعد فراغ القداس فى يوم أحد الزيتونه يُقرأ إنجيل ترحيم الموتى - ويُقرأ بعد ذلك على جميع الشعب التحليل - لأن جمعة الآلام لا يجوز فيها ترحيم ولا تحليل ولا تجنيز، إلى انقضاء يوم عيد الفصح . ويكون قداس يوم الخميس برهبة وخوف. بغير قُبلٌ ولا يُقال ابروسفارين. وفى قداس يوم السبت الكبير يقال الترحيم والتحليل بغير تقبيل. ويجب على المؤمنين صيام الرسل الذى هو بعد الخمسين إلى اليوم الخامس من أبيب - ويُعيدوا فيه كما جرت العادة. وكذلك صوم الميلاد يكون من عيد مارمينا فى ١٥ هاتور إلى ٢٩ كيهك. وإن وافق يوم عيد الميلاد يوم أربعاء - أو جمعة فيفطروا فيه وكذلك عيد الغطاس المقدس فى ١١ طوبه. وإن وافق العاشر من طوبه الذى فيه صوم (برامون) الغطاس أن يكون سبت أو أحد فلا يصام (أنقطاعيا) بالجملة. بل يصومون يوم الجمعة التى قبل ذلك عوض ليلة عيد الغطاس.ولا يجوز لأحد من المؤمنين أن يصوم سبتاً إلا السبت الكبير (سبت النور) ويوجب صوم الأربعاء والجمعة طول السنة إلا أيام الخمسين فقط. ولا يجوز للقس إذا لم حضر يوم القداس من أوله أن يتقدم ويقسم الجسد. ولا يخرج قس بمجمرة البخور بعد قراءة الإنجيل المقدس فى وسط الشعب. ولا تخالف الشمامسة ولا من دونهم قسوسهم» (مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٥٨ - ٢٦١).

البابا كيرلس الثاني السنجاري ٦٧ (١٠٧٨ - ١٠٩٢م):

+ كان من بلدة إفلاقة بمديرية البحيرة - ترّهب في دير أبو مقار وتوحد في صومعة سنجار. وكُرّس للبطريركية في ٢٢ برمهات سنة ٧٩٤ ش - ١٠٧٨م - ثم «سار إلى مصر فأنفذه يعقوب أسقف مصر إلى الشيخ أبو الفضل .. متولى ديوان الأبواب وديوان الصناعة وأعلمه بوصوله إلى كنيسة ميخائيل المختارة بجزيرة مصر (منيل الروضة)، فأنفذ له سائق المركب السلطاني فركب ومن معه وعبر إلى مصر، فإجتمع إلى الشاطئ خلق كثير وطلع إلى القاهرة وبين يديه القراء، فحتى وصل إلى القصر .. ودخل إلى المستنصر .. وعنده أمه وأخته جالسين وبين أيدهم طيب كثير - فضمخوه من ذلك الطيب، وقالوا: «بارك علينا وعلى قصرنا» فبارك عليهم. ودعا لهم. ففرحوا به وقالوا له: «جعلك الله مباركاً علينا وعلى قصرنا»[١].

+ وفي أيامه آتى ملك النوبة سلمون واتصلت مصر بأثيوبيا أيام مطرانها ساويرس - كما سيظهر ذلك في الفصل الخامس.

رسامة أساقفة:

+ «ولما خلت عدة كراسي من أساقفتها قسَم لهم أساقفة جُدداً ولم يأخذ شرطونية (مالاً للرسامة) بالجملة.وقطعَها أصلاً.وشرط على كل من يقسمه أن يكون نصف ما يتحصل في الكرسي للأسقف والنصف لقلاية مارمرقس .. وأوقف ما يتحصل من بعض الكراسي على دير أبو مقار وهي دميره وأبو صيربنا، ودمنهور وإهناسيا، يسلمها للرهبان رؤساء الدير. وأوقف أيضاً نصف كرسي رشيد ونصف كرسي مصيل - على بيعة القديس مارمرقس الإنجيلي .. فأنفقه على عمارة بيعة القديس مارمرقس بالأسكندرية[٢].

(١) مخطوط دير البراموس المصدر السابق، ورقة ٣٠٧ .

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣١٠ .

مجمع من الأساقفة:

* «شكاه بعض الأساقفة إلى بدر الجمالي – فرأى أن ليس من حقه إدانته .. وطلب عقد مجمع من جميع الأساقفة فحضر ٢٢ أسقفاً من الوجه البحرى وأساقفة مصر والخندق (أنبا رويس) والجيزة و٢٢ أسقفاً من الوجه القبلى»(١)

+ «انعقد المجمع على هذا الترتيب – ووضع الكتاب المقدس فى الوسط ممثلاً حضور الإله الديان العادل .. وجلس أساقفة الوجه البحرى على جانب وأساقفة الوجه القبلى مع أساقفة الضواحى على جانب آخر وجلس المشتكون المدعون معاً وجلس البطرك على إنفراد. ثم وقف الجميع وصلوا .. ثم جلس أساقفة المجمع كل واحد على كرسيه .. وقام المشتكون في الوسط(٢) وقدموا تقرير دعواهم – وقرأوه بنداً بعد آخر .. ثم آمر المجمع البطرك أن يجاوب على النقط المشار إليها .. فجاوب عليها بكل هدوء، ورزانة.ومن أجوبته عرف المجمع أن المسألة لا تستلزم خلّعه – وأنه مُمكن حسم النزا ع بالصلح والسلام»(٣).

---

(١) هم: يعقوب ـ مصر. غبريال ـ الخندق. صدقة ـ أوسيم والجيزة.

أساقفة الوجه البحرى هم: يوحنا ـ سخا ـ مرقس ـ سمنود ـ صموئيل ـ تنيس ـ ميصائيل ـ دمياط ـ تادرس ـ تلبانه ـ يوأنس ـ دميره ـ خائيل ـ أبو صير ـ يسطس ـ سهرجت ـ خائيل ـ منوف ـ يوأنس ـ طنطا ـ خائيل ـ نوسا ـ خائيل ـ البرلس ـ غبريال ـ نستّروه ـ مقار ـ صا ـ مقار ـ بنا ـ تاوضروس ـ خربتا ـ غبريال ـ دمنهور ـ مرقوره ـ مصيل ـ رافائيل ـ سرسنا ـ يوسطس ـ رشيد ـ تاوضروس ـ اتريب ـ مينا ـ بلبيس .

وأساقفة الوجه القبلى هم: يعقوب ـ اطفيح ـ دانيال ـ طموه ـ صموئيل ـ اهناس ـ متاؤس ـ الفيوم ـ مقار ـ القيس ـ بطرس ـ البهنسا ـ ببنوده ـ طحا ـ خائيل ـ الأشمونين ـ اسحق ـ انصنا ـ مرقوره ـ قسقام ـ أندونه ـ اسيوط ـ إبرآم ـ شطب ـ متاؤس ـ قاو ـ اكليدس ـ إخميم ـ مرقس ـ البلينا ـ قلته ـ هو ـ مرقوره ـ الأقصرين (قصير البر والبحر) بمون ـ أرمنت ـ تاوضروس ـ اسنا ـ بفام ـ اسوان ـ يوحنا ـ دندرة ـ بدير ـ قوص ـ والذين لم يحضروا هم خائيل ـ قطور. تاوضروس ـ سنجار ـ بطرس ـ دقميره ـ بفام وقزمان ـ اسقفا الواحات (مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة٣١٣).

(١) هم يوحنا اسقف سخا، وأخوه مرقس أسقف سمنود، ويوأنس اسقف دميره، وخائيل أسقف أبى صير – ومقار اسقف القيس – والشماس أبو غالى بيمن بن تيدر بن مرقورة من أعيان مصر .

(٢) إيسونورس، الخريدة النفيسة، جـ ٢، ص ٣١٥ .

المجمع ووشاية شيت الخولى لبدر الجمالى :

* . «فلما علم أمير الجيوش بإجتماعهم أحضرهم إلى بستانه الكبير بظاهر القاهرة، فى يوم السبت ٢٣ مسرى سنة ٨٠٢ ش - فخاطبهم بكلام شديد أنطقه الله به (توبيخاً لهم)......» .

* "وكان شيت الخولى .. قد تعصب لخصوم البطرك فى يوم حضورهم البستان عند أمير الجيوش .. وأظهر العناية بهم بحُكم قُربهِ من السلطان وهو الذى كان يرفع شكاويهم إليه - فعاتبه بطرس أحد تلاميذ البطرك وخوّفه من الأثم فيه. فجرى على التلميذ من شيت ما يكره، وخاطبه بالقبيح .. وتفاقم الأمر بينه وبين التلميذ إلى أن خرج أبونا البطرك من البستان ليسمع ما جرى. فكلم شيت بكلام لين .. فلم يرتدع وجرى بينه وبين البطرك حواساً إلى أن قال له البطرك: «يا شيت إذا كان لك سلطان - فللمسيح سلطان السماء والأرض معناً». ونزل من دابته وضرب مطانيه لشيت - فى دهليز البستان .. ولم يتنغص (يتألم) من ذلك ..»."

* "فلما كان يوم السبت آخر مسرى مثل اليوم الذى ضرب الأب البطرك فيه المطانية انتهى إلى أمير الجيوش عن شيت الخولى شيئاً أنكره وأغضبه .. وأسخط فى نفسه عليه. فركب لوقته إلى البستان وأمر بشيت الخولى، فضُربت رقبته فى الموضع الذى ضرب له البطرك فيه المطانية، فى مثل تلك الساعة بعينها ..»!

* «ثم أمر أمير الجيوش بإحضار البطرك وجماعة الأساقفة إلى مجلسه بعد أن قاموا بمصر نيف من عشرين يوماً وقال لهم: «كونوا كلكم شرعاً واحداً .. وأطيعوا مُقدمكم ». فخرجوا من عنده مسرورين ونزلوا كلهم إلى بيعة القديس أبو مرقوره وقدسوا فى ذلك اليوم السبت والأحد - وكان لهم يومان عظيمان لم يسمع بمثلهما. وساروا إلى كراسيهم بعد ذلك وهم مسرورون[1]. ثم تنيح البابا كيرلس فى يوم الآحد ١٢ بؤونة سنة ٨٠٨ ش» (١٠٩٢ م).

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٣١٤ - ٣١٦ .

مشاهير الأقباط فى هذا العصر:

١- أبو اليُمن يوسف بن مكرواه:

+ «كان أميناً على خزانة الخليفة. ثم ارتقى إلى نظارة الريف بالوجه البحرى، ولُقِّب بأمين الأمناء – وهو الذى عمّر دير أبى سيفين بطموه – الباقى إلى اليوم – وأحاطه ببساتين واسعة.وكان يتردّد عليه وزراء الدولة لترويح النفس. وتقلد ابنه أبوسعد منصور الوزارة أيام المستنصر الفاطمى.ثم نزل عنها وتولى قيادة العساكر الموالية للخلافة – وخرج للقاء ناصر الدولة – زعيم جند الأتراك – وحاربه وهزمه، ورده إلى أقصى الوجه البحرى»(١).

٢- موهوب وأبوالخير ويوحنا :

* «كان من أمر أبو الطيب الظالم أنه اعتقل موهوب وأبوالخير كُتاَّب الدولة .. وسلط أبوالحارس كاتب الخزانة عليهم. وحثه على معاقبتهم .. فأخرجنى "(يقصد يوحنا بن القلزمى كاتب السيرة) أبو الحارث يوماً من الإعتقال .. وقال: «قد ضجرت» وعاقب موهوب بن فرج الأسكندراني وولده وزوجته وأبوالخير ولد أبى السرور بن الأبح إلى أن يقدموا له مالاً».

* «وحلف أبوالحارس قائلاً لى: «إن لم تُحضر لى (يقصد نقوداً كثيرة) عشية هذا النهار .. لأعاقِبّن ولدك قدامك فى هذه العشية». قلت له: «يا مولاى هو مطروح – وقد قارب الموت لشدة ما ناله من العقوبة». فأعاد القَسَم .. وكان إذا أقسَم يفعل مايُقسِم عليه .. وكان هذا الخطاب غداة يوم الإثنين ٢٩ برمهات سنة ٧٨٠ (١٠٦٤م) ثم أخرج معى رجلين لأطوف وأُحصِّل الدنانير التى ألتمسها».

---

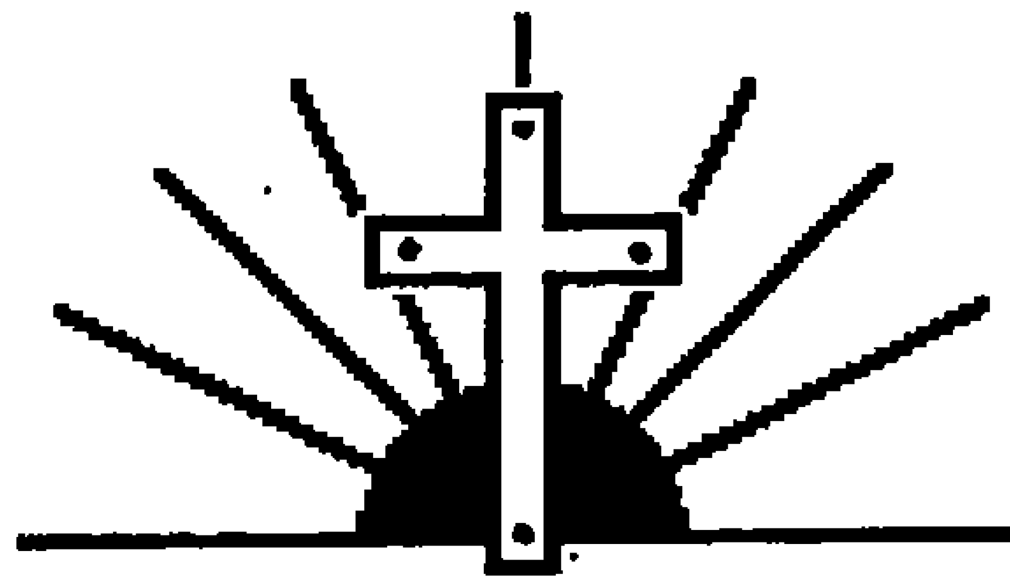
(١) تاريخ الامة القبطيةولجنة التاريخ القبطي، الحلقة الثانية، ص ١١٩.

* «فنزلتُ إلى مصر وقصدت كنيسة السيدة العذراء بالمعلقة بقصر الشمع – وطلعت إلى صورتها .. ووجدت هناك أبوالفتح بن رفائيل الكاتب – وكان هو أيضاً مُطَالباً مثلى فبكينا بين يديها وقُلت: «كمثل هذا اليوم بشركِ الملاك غبريال بخلاص جنس البشر وفى مثل هذا (اليوم) نسألكِ لا تغفلى عنا». وكان الدعاء كثيراً على ابن الظالم .. وكذلك أبوالحارس – فأظهر الله فيهما أعجوبة للوقت، وبينما نحن فى الكنيسة المذكورة – توصلت الأخبار من القاهرة بالقبض على إبن الظالم وأبوالحارس واعتقالهما فى دار سهم الدولة كمنش .. ولما كان غداة يوم الأربعاء أول برموده أُخْرِجَا على جملين إلى خارج باب القصر، وصُلِبا على صاريين وضُرِبا بالنشاب (السهام) حتى ماتا»[1].

٢- منصور التلبانى :

+ «كان الغُز (الغزناويون) لما ملكوا مدينة القدس .. كَذَّبوا النور الذي يظهر فى كنيسة القيامة. فلما علموا صحة نزوله .. راعوا النصارى المقيمين، واستخدموا منصور التلبانى وله زوجة مثله (في عمل الخير) وكان معونة لكل من يصل إلى القدس من النصارى من مصر وغيرها .. واجتهد إلى أن عَمَّر كنيسة الأرثوذكسيين فى القدس»[2].

+ + +



(١) مخطوط البراموس ٧٩/٧، ورقة ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(٢) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ، ورقة ٣٣٠ .

الفصل الرابع

عهد الوزراء وهجوم الصليبيين (١٠٩٤ - ١١٧١م)

* «كان الأمر (الحُكم) فى هذا العهد للوزراء – وكان الخلفاء مستكينين فى دورهم – لا يهتمون إلا بالمظاهر الدينية .. واشتهر من هؤلاء الوزراء:–

١- الأفضل بن بدر الجمالى ..

* «أوصي المستنصر بالخلافة لإبنه الثانى .. فبادر الأفضل إلى القصر – وأجلس أحمد فى منصب الخلافة ولقبه بالمُستّعلي بالله .. وسيَّر إلى الأمير نزار فإمتعض .. فأمره الأفضل بتقبيل الأرض .. فإمتنع .. وخرج مُسرِعاً وتوجه إلى الأسكندرية».

* «وكان الأفضل حاقداً على نزار لأسباب منها أنه دخل يوماً من باب وهو راكب فصاح به نزار: «انزل يا أرمنى الجنس» فحقدها عليه»(١).

* «وكان نزار يوم مات أبوه فى الخمسين من عمره .. وفر نزار إلى الأسكندرية .. وسار إليه الأفضل بعساكره – وشتت جموعه وقتله وكبار دُعاته»(٢).

الأفضل والحروب الصليبية:

* «كانت الحملة الأولى سنة ١٠٩٦م .. وكان فى طليعتها ملوك وأمراء أشرهم جودفرى – فحالفهم الأفضل شاه هن شاه (ملك الملوك في الفارسية) واتخذهم عوناً له على السلجوقيين .. الذين كانوا قد استولوا على القدس فهاجمهم فيها وطردهم منها – فأقام الصليبيون جودفرى على القدس – ثم لقى فريق منهم الأفضل ورجاله بقرب عسقلان – فحاربوه .. وهزموه .. وفر إلى القاهرة».

* «بايع الأفضل الآمر بأحكام الله (١١٠١ – ١١٣٠م) بعد موت أبيه، ففى السنة الأولى

---

(١) چورچ زيدان، تاريخ مصر الحديث، جـ ١، ص ٢٨٤ .

(٢) هند أسكندر، تاريخ مصر ص ١٧٢.

من خلافة الآمر فتح الصليبيون يافا .. ثم أخذ الصليبيون طرابلس سنة ١١٠٩م .. وفي سنة ١١١٧م زحف الملك بلدوين على مصر. وأحرق قسماً من الفرما وبلغ تنّيس - ثم اضطر للرجوع على أعقابه لمرضٍ اعتراه[1] «فمات قبل أن آدرك العريش فنزعوا أحشاءه ودفنوها فى مكانٍ لا يبُعد كثيراً من العريش، فى وسط أرض رملية وأقاموا على قبره حجراً كبيراً ولايزال ذلك المكان معروفاً .. بإسم رمال بردويل. أما جثته فحملوها إلى بيت المقدس»[2].

٢- بهرام الأرمنيّ:

* «كان رجلاً نصُرانياً أرمنياً يسمى بهرام تاج الدولة ... ولاّه الولايات وهو باقٍ على دينه وكان أخوه .. بطركاً للأرمن .. وصل إلى مصر .. وسُمّي أنبا غريغوريوس».

* «واستمر تاج الدولة بهرام فى الوزارة من سنة ٥٢٩ هـ - ٥٣١ هـ - فكثر كلام المسلمين فيه لأجل مذهبه. وحسدوه لأجل محبة الخليفة له، ولكونه على كلمته عليهم .. وكان منهم .. النظار والمشرفين .. فلما ضعفت كلمة المسلمين .. ألجأتهم الضرورة .. فقصدوا الراحة منهم بزوال الوزارة عن تاج الدولة بهرام».

* «فتعصبت منهم جماعة .. ومضوا إلى الغربية واستصرخوا برضوان واليها. وقالوا له: «ما للمسلمين من ينقذهم من إهانة الأرمن غيرك .. فإن قوماً .. دخل دين النصارى ونهض معهم». وحشد العربان .. وعلق مصاحف القرآن على أسنة الرماح قدام العسكر».

+ فلما وصل إلى مسجد الخضر .. توصلت أخباره لبهرام .. قصد حقن دماء الناس - وقال لأصحابه: «لابدُ أن أموت فيطالبني الله بدم مَنْ قُتِل منكم ومنهم .. قوموا خذوا ما قدرتم عليه من أموالكم وأولادكم وامضوا بنا إلى قوص. ثم نمضى إلى بلادنا». وسار من وقته إلى قوص .. وطلع إلى الديارات البيض وأقام فى أحدهما[3].

---

(١) هند أسكندر، المصدر السابق، ص ١٧٣ - ١٧٥.

(٢) چورچ زيدان، تاريخ مصر الحديث، جـ ١ ص ٢٩٢.

(٣) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٨٣ - ٢٨٦ .

٢- رضـــــوان:

* «أما رضوان فدخل إلى القاهرة وخلع الخليفة عليه (ولاه) الوزارة فى سنة ٥٣١ هـ. وأرسل جنداً خلف بهرام .. فأحضروه من الأديرة البيض، واعتقله بمنزله .. ونهب كنائس القاهرة والخندق وأحرق المسلمون دير الأرمن – المعروف بالزُهرة.وقتلوا بطركهم»!

* « وكان ميخائيل أسقف صهرجت قد اهتم بتجديد كنيسة منية زفتى – وكرزها وقدس فيها. وأكملها على اسم القديس مارجرجس – فوثب المسلمون بمنية زفتى وهدموها .. وجعلوها مسجداً. فوقف ميخائيل الأسقف للوزير رضوان واستصرخ به .. وأوضح له أنها بيعة قديمة.فوقع له بخطه بعمارتها وإعادتها إلى ما كانت عليه من حدودها علوا وسنداً – فأعمرها وكملّها وكرزها بعد أن قاسى عليها شدة عظيمة وغرامة كثيرة».

* «واستمر رضوان فى الوزارة إلى أن قام عليه الأجناد وأمراء الدولة. فخرج من دار الوزارة بالقاهرة هارباً . ولم يلبس لرجليه سوى خُفّاً واحداً – ولم يمهلوه حتى يلبس الآخر .. ونزل فوق الجبل عند موضع الرصد على الجبل المقطم .. فلما جرى على رضوان ما جرى، أنفَذ مولانا الحافظ ونقل "بهرام" إلى قصره وطلبه أن يعود إلى وزارته فلم يفعل – وقال: «أنا راهب ما أنا جندى». واستقر فى القصر إلى أن توفى مخدوماً وأُخرِجَ تابوته من باب الغاياط إلى كنيسة الزهرى .. ودفنوه فيها[1].

البابوات ميخائيل السخوى - ومقار المقارى - وغبريال بن تريك:

البابا ميخائيل السخوى ٦٨ (١٠٩٢ - ١١٠١م) :

شروط قبل رسامته :

+ طلبوا منه أن يكتب شروطاً بخطه (توقيعه) وقالوا له: «تذكُر فيه إلتزامك .. لكهنة الأسكندرية بما جرت عادة من تقدمك بالقيام لهم فى كل سنة ليصرفوه فى عمارة البيع وفى القرابين المرفوعة على هياكلها – وفيما يلزم ضعاهم قال: «نعَم» وأن تذكر

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٨٣ – ٢٨٦ .

فيه أنك لا تأخذ شرطونية (مالاً) من أحد ممن تُنصِّبه فى درجة الأسقفية وتردّ أيضاً إلى أساقفة الكراسى ما اغتصبه من كان قبلك من كنائسهم ودياراتهم .. لأنك تعلم أن البطرك أنما هو أسقف الأسكندرية وله التقدمية على أساقفة كراسى مصر، ولا يشاركهم فى كراسيهم.فقال لهم: «وما هى البيع والديارات التى أخذها البطاركة؟» قالوا له: «المأخوذ من كرسى مصر كنيسة السيده بالمعلقة - كنيسة بو مرقوره بساحل الشعير - وكنيسة السيدة أيضاً بحارة الروم .. ومن كرسى أوسيم والجيزة كنيسة ميخائيل بجزيرة مصر المعروفة بالمختارة، من كرسى طموه دير الشمع ودير الفخار. فأجابهم إلى جميع ذلك وقال لهم: «كل ما التمستموه وشرطتموه واجب» وكتب لهم خطه[1] (توقيعه)».

بين البابا وسنهوت "شنوده" أسقف مصر..

* «إلتمس أنبا سنهوت أن ينفذ له ما كتب به خطه من إعادة كنائسه المتقدم ذكرها إليه. فلم يفعل وجرى بينهما من الخصائم ما يطول شرحه».

* «ومنعه من التصرُّف فى كنائسه ومن القداس (الصلاة فيها) فلم يهمه ذلك .. فأنفذ إلى كهنة جميع الكنائس بالقاهرة ومصر وأمرهم أن لا يذكروا اسمه فى القداس ولا فى صلاة .. فلما علم ذلك اختفى منه بدير القلامون - من أعمال الفيوم - وبقى كرسى مصر كنائسه خاليه منه وأحكام أهله واقفة .. إلى أن اجتمع الأراخنة ومضوا إلى أنبا ميخائيل البطرك وهو يومئذ مقيم فى جوسق كنيسة ميخائيل المختارة بجزيرة مصر وقالوا له: «أمورنا واقفة .. لغيبة أسقفنا .. نريد أن تعرفنا السبب فى منعه .. نحن قد جئنا إليك. فمطانيه (اظهار الخضوع والطاعة) ولا تحوجنا أن نتظلم منك إلى غيرك» فتمرمر وتنكد - وجرت بيهم خطوب يطول شرحها إلى أن حلّله .. وكتب الأراخنة إليه بذلك مع رسول .. فوصل إلى مصر وفرح به الكهنة والأراخنة والشعب ومضوا معه إلى البطرك أبينا ميخائيل حتى سلّم عليه، وشكروه على إعادة أسقفهم إليهم[2]».

+ «أما أنبا سنهوت أسقف مصر فأنه أقام فى مدة بطريركية أنبا ميخائيل فى عيش

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٢) نفس المصدر، ورقة ص ٣٤٤ - ٣٤٦.

كدر – وكان كل وقت يمنعه (من الصلاة) بذنوب يختلقها له، فلما كان فى بشنس فى السنة العاشرة لجلوسه بطركاً ـ عقد مجلساً على أنبا سنهوت ـ اجتمع فيه من الأساقفة جماعة. وادعى عليه بأنه كان فى أيام كيرلس البطرك قدّس فى يوم واحد قداسين فى المعلقة وفى أبو سرجة. وأن أنبا كيرلس حرمه – ولم يحلله وأنه بهذا الحكم قد بطلت أسقفيته. وكتب ذلك فى رقعة وألزمهم أن يكتبوا خطوطهم فيها بغير اختيارهم لخوفهم من سطوته عليهم .. ولما صارت خطوطهم معه آنفذ بعض التلاميذ إلى انبا سنهوت ليحضره .. فسبق الخبر إليه فخرج هارباً من قلايته ومضى إلى القاهرة واختفى عند بعض أولاد الكهنة. وسار فى الليل إلى دير القديس ساويرس فى جبل أسيوط وأقام فيه أياماً. وكان البطرك مقيماً فى كنيسة السيدة بالمعلقة يطلب الأسقف».

* «فلما كان غداة يوم السبت ركب أنبا ميخائيل المذكور دابته وخرج هو وجميع الناس المتميزين ليلقوا الأفضل عند رجوعه من تنيس – فلقيه عند دمنهور فسلم عليه وعاد – فلحقه طاعون فى طريقه .. وخرس لسانه من ساعته .. فضبطوه .. حتى أوصلوه إلى كنيسة المعلقة .. وتوفى فى غداة يوم الأحد آخر بشنس سنة ٨١٨ ش – وهو يوم عيد الخمسين .. وعاد أنبا سنهوت إلى كرسيه – وفرح الشعب به»[١]:

البابا مقار المقارى ٦٩ (١١٠٢ - ١١٢٨م):

* «اتفق رأيهم على تقدمة أحد رجلين – أحدهما مقاره القس القديس بدير أبو مقار المعروف بالمصور، أو الشماس يوأنس بن سنهوت – واختلفوا فى من يقدمونه منهما فإستقر بينهم أن كتبوا لأراخنة مصر .. والذين كانوا يعرفونهما زكوهما جميعاً ثم – أن قالوا أن مقاره كهل جيد الكلام .. وضابط لقوانين الرهبنة .. وأن يوأنس الراهب شاب جيد الكهنوت صبيح الوجه فصيح المنطق – فرغب جميعهم فى مقارة لأجل شيخوخته وحكمته».

(١) مخطوط دير البراموس، المصدر السابق ورقة ٣٥٢.

* «وقام بعض الأساقفة والكهنة والرهبان – حيث مقارة المذكور. وقبضوا عليه وأتوا به إلى الجمع – فتضرر من ذلك وامتنع .. وقال لهم: «أنا ابن الثانية (١) ولا علم لى ولا كهنوت ولا أصلح لما تريدونه منى» فلم يلتفتوا إلى قوله: وقيدوه وألبسوه الثوب – ورسموه فى يوم الأحد ١٣ هاتور سنة ٨١٩ ش – وساروا إلى مصر – وكان وصوله .. فى يوم الخميس ١٧ هاتور».

* «وساروا إلى الأسكندرية. فخرج كل الشعب للقائه وكان تكريسه بكنيسة مارمرقس ١٢ كيهك بعد أن جرى له مع الأسكندريين خطوب كثيرة، بسبب الرسم المستقر لهم .. فإمتنع من أن يكتب لهم الخط (التعهد) وقال لهم: «أنا راهب ما لى شئ، ومما قدرت عليه دفعته لهم .. فإن رضيتم علىَّ هذه القضية، وإلا اتركونى أرجع إلى حيث كنت، وهو أصلح لى وأحسن».

* «ووصل مصر فى ٢٤ كيهك – واجتمع الأراخنة والشعب فى يوم الأحد وظنوا أنه يقدس فى كنيسة السيدة بالمعلقة .. فإجتمع جماعة من رهبان دير أبو مقار وقالوا: «ما يقدس بعد قداسه فى الأسكندرية إلا فى دير أبو مقار، كما جرت عادة مَنْ تقدّمه». وسار إلى دير أبو مقار، وفى النصف من طوبة وقدّس، فى يوم الأحد ٢٣ منه وعاد إلى مصر وقدس فى كنيسة السيده بالمعلقة فى يوم الأحد آخر طوبه، وقُرِأ تقريره (تقليد رسامته) على الأنبا مقار يونانياً وقبطياً وعربياً(٢).

هدم كنيسة ميخائيل المختاره بجزيرة مصر (بالروضة):

+ «فى يوم الجمعة ٣ توت سنة ٨٢٨ ش فى الساعة الثالثه من النهار كانت زلزلة عظيمة، فلما كان فى الليل هُدمت كنيسة ميخائيل المختارة .. وقيل إنها سقطت من الزلزلة وكان السبب فى ذلك على ماحكاه جميل بن يحنس الصعيدى قس الكنيسة المذكورة أن يوسف المسلمانى بن قرقورة البناًء صار مقيماً فى الجزيرة أكثر وقته لعمارة المواضع والمتنزهات المستجدة بجوار هذه الكنيسة – وهى البساتين المُسماة "بالروضة" التى أمره الأفضل بإنشائها. فلما كمُلت أدار عليها كلها حصناً. فإنتهى إلى طاحون الكنيسة وهى قبالة بابها».

---

(١) ابن الثانيه لأم لا يجوز، ولكنه كان ابن الثانية لأب .

(٢) مخطوط دير البراموس ورقة ٣٥٥ – ٣٥٨.

* «فذكروا أن يوسف هذا قال لهم: «أعطونى شيئاً حتى أوارب (أبعد حائط) الحصن عن الطاحونة وإلا هدمتها وأجزته فى وسطها... ولم يعطوه شيئاً».

* «فلما حدثت الزلزلة فى اليوم المُتقدّم ذكره، بات هو والفعلة معه فى الروضة، فى العمارة فلما جاء الليل أمر الفعلة بهدمها .. فلما كان بالغداة، أذاع هو والفعلة أن الزلزلة التى كانت بالنهار شققت حيطانها. فلما جاء الليل هبت عليها الرياح وسقطت لأنها حيطان قديمة»[1].

نياحة سنهوت أسقف مصر:

* «فى ١٧ بشنس سنة ٨٢٨ ش تنيّح الأب القديس أنبا سنهوت أسقف مصر. فلقد كان فاضلاً، غزير العلم قنوعاً متواضعاً، نقي النية، صبوراً طاهراً، وحُمل إلى كنيسة أبو سرجه فى عيدها. وكان عيد الخمسين المقدسة. وحضر الأب غريغوريوس بطرك الأرمن لتجنيزه، وكان الأب القديس أنبا مقاره فى قلايته التى في جزيرة بنى ناصر»[2].

* «وفى عهد هذا البابا آتى بلدوين إلى مصر، ورجع ومات قبل وصوله للعرش (بالقدس)، كما ذكِر فى تاريخ الأفضل».

+ وتنيّح البابا مقار المقارى فى ٤ توت سنة ٨٤٧ ش (١١٣١م).

البابا غبريال بن تريك ٧٠ (١١٣٠ - ١١٤٤م):

+ كان من أهل مصر .. وكان اسمه وهو علمانى أبو العلا. وكان شماساً فى كنيسة القديس أبو مرقورة بمصر. وكان رجلاً كهلاً عاقلاً، يدفع صدقة كثيرة ومحباً للصلوات والقداسات .. مجتهداً فى قرأءة الكتب .. وناسخاً جيداً .. وكان يخدم فى ديوان المكاتبات. وانتقل منه إلى كتابة بيت المال. ومن هذه الخدمة أُخِذ لما وقع الإتفاق عليه .. وكان عمره فى ذلك الوقت ٤٧ سنة .. وذكر عنه من كان يعاشره من

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٣٥٩ – ٣٦٠ .

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣٦٠ – ٣٦١.

صباه .. أنه كان قد عمل موضعاً من دار أبيه، مثل كنيسة وكان يقرأ فيها كأنه يُقدّس، ويلعب وهو طفل ويقول: «أنا بطركم» ولما كبر قُسِم شماساً».

زيادة فى الإعتراف آخر القداس:

+ ولما عاد هذا البطرك إلى الجيزة بعد مجيئه من الأسكندرية طلع إلى دير القديس أبو مقار ليكرزوه هناك على جارى العادة لمن تقدمه. وجرى الحديث فى معنى الإعتراف المقول على القربان قبل تناوله «**وهو أؤمن وأعترف أن هذا هو جسد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وصيره واحداً مع لاهوته**». فأنكر قوم من الرهبان بالدير المذكور قول هذه اللفَظة : «وصيّره واحداً مع لاهوته»[1]، فإعتذر بأنه قالها فى يوم تقدمته (رسامته) كما لقنه الأساقفة .. ولا يسوغ له تركها .. وجرى فى ذلك مناقشات كثيرة، واستقر أمرها على إضافة الكلمات: «بغير افتراق ولا إمتزاج ولا اختلاط». فوافقهم على ذلك .. وفى بداية قسمته توفى أنبا يوأنس أسقف مصر .. وصلى عليه.. ولم يقسم أحد بعده على مصر مدة بطريركيته»[2].

* «وكان عدد الأرمن فى مصر عظيماً .. فلما مات بطريركهم طلبوا من البطرك غبريال أن يرسم لهم أسقف أطفيح الأرمنى بطريركاً. وأن يرسم تاج الدولة "بهرام" أسقفاً بدلاً منه. وكان البطريرك غبريال عاقلاً بصيراً بعواقب الأمور. فخشى معارضة الكنيسة الأرمنية.. فأبى ولكنه لما رأى الأرمن مُصرّين، وأنهم لجأوا إلى بعض الأساقفة أن يجيبوهم إلى طلبهم عاد إلى الرضَى وأجابهم. ولم يأخذ من الـ ٥٣ أسقفاً الذى رسمهم .. مليماً واحداً»[3].

(١) وذلك لئلا يختلط على البعض أنه بمعنى بدعة أوطاخى الذى يمزج الناسوت باللاهوت .

(٢) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٣٧٨ – ٣٨١ .

(٣) بوتشر، تاريخ الأمة القبطية، جـ ٢ ص ٩٠ .

+ وتنيح البابا(١) يوم ١٠ برموده سنة ٨٦٢ ش - وعاصر بهرام ورضوان الوزيران.

مشاهير الأقباط فى أواخر أيام الفاطميين:

(١) **القس أبو ياسر بن القسطال** .. كان عالماً فاضلاً أهتم بإصلاح العادات الدينية والإجتماعية. فأشار فى أمر الزواج بأن يرى الخطيبان كلاهما الآخر. وأذاع عدم ضرورة ختان الأطفال قبل عمادهم. لأن الختان ليس فريضة مسيحية. فإضطُهد من أجل آرائه هذه وطُرِد من كنيسة العدوية، ولكن كل ما ألقاه من بذور الإصلاح نبت ونما بعد ذلك.

(٢) **الشيخ المكين أبو البركات الكاتب المعروف بإبن كتامه** .. كان كاتب الدولة فى خلافة الفايز بنصر الله الفاطمى، جدد كنيسة الأربعة حيوانات سنة ١١٧٧م وبنى كنيسة بإسم مارجرجس بأعلى كنيسة ماربقطر. ثم جدد بجوارها كنيسة بإسم الشهيد أبو مينا سنة ١١٧٨م كما جدد عمارة دير نهيا بالجيزة.

(٣) وممن اشتهروا من الأقباط من ذِكر: **الأنبا ميخائيل أسقف دمياط** صاحب مجموعة القوانين. **والأسعد أبى الخير** جرجة بن وهيب **الشهير بأبن الميقات** - وقد جدد كنيسة يوحنا المعمدان فى خلافة العاضد. ودُفِن شهيداً فيها .. والسيده تُرفة من أغنياء مصر القديمة وقد اشتهرت بالتقوى والغيرة الدينية والمحبة المسيحية - ومن مآثرها أنها اقامت كنيسة بإسم القديس أبى نفر السائح من مالها الخاص وبنت بأعلاها محلاً فسيحاً ليكون ديراً للراهبات .. وأبو المليح الشهير **بأبى مماتى** - وقد اشتهر بالغِنىَ وفعل الخير والإحسان(٢).

---

(١) «وُجِد البيان الآتى باللغتين القبطية والعربية فى كتاب بصخة، تاريخه ١٠ بشنس سنة ١٥١٠ ش: «أنه لما كان القانون الرسولى يأمر بقراءة أسفار العهدين العتيق والحديث صار ذلك فرضاً لازماً على كل مسيحى، حتى جلس الأب الموقر الأنبا غبريال بن تريك فرأى أن الناس بالنسبة لانهاكهم فى عملهم وخدمة السلاطين والخلفاء وبقية الأشغال الثقيلة لا يمكنهم اتمام القانون الرسولى. فجمع علماء من ذوى المعرفة والفهم ورهباناً كثيرين.. وأخذوا من العتيقة والحديثة ما يُلائم. ووضعوه كتاباً وسموه كتاب «البصخة» وصاروا يعملون الفصح كل سنة فى بيعهم حتى صار الأب المكرم الأنبا بطرس أسقفاً على كرسى البهنسة - فنظر فى البصخة فرأى انهم يعملون (يقرأون) فى ساعة نبوات وأناجيل كثيرة، وفى ساعة أخرى قليلة .. فجمع من الكتب المقدسة ووضع لكل ساعة. مايوافقها - وبهذا صار تلاوة الساعات متساوية - ووضع لكل يوم من أيام الإسبوع عظتين من أقوال الآباء» (منسَّي تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٥٦٣).

(٢) كل المشاهير نقلت عن تاريخ الامة القبطية، لجنة التاريخ القبطي، ص ١٢١.

الفصل الخامس

النوبة وأثيوبيا في عهد الفاطميين

النوبة (السودان)

بعثة سليم إلى بلاد النوبة :

* «لم يَبقَ أمام الفاطميين إلا فتح مملكة النوبة .. لأن سلطان النوبة لم يكن قد اعترف بعد بسيادة الحاكم الجديد الذى كان فى اعتقاده مغتصباً. على أن القائد جوهر كان يدرك ما وراء ذلك من الصعوبات .. فكتب كتابا سياسياً إلى الملك جرجس سلطان النوبة رقيق العبارة – يظهر له فيه عاقبة عصيانه ويُحسّن له اعتناق الدين الإسلامى – ودفع ضريبة الرقيق المتأخرة عليه .. "وكانت حدوده ما بين الشلال الثانى والحصن القائم علي ستة أميال جنوب أسوان" وقد أرسل إليه هذا الكتاب على يد ثلاثة من السفراء يرأسهم رجل يدعى عبدأحمد بن سليم من أهالى أسوان .. "وقد كتب تقريراً نقله المسيو كاترمير المؤرخ جاء فيه" أن هذا الإقليم تحت سلطة نائب ملك النوبة وكان يسمح للمسلمين أن يقيموا فيه وقد أُطلقت لهم حرية التجارة به – وأنه لم يكن يوجد فرداً بين هؤلاء المسلمين الذين عاشوا مدة طويلة مع المسيحين يستطيع أن يتكلم اللغة العربية جيداً».

+ وكان هذا «الإقليم» معتبراً في رأي هذا الكاتب أنه إقليم سلام وخير كثير.

* «والمرحلة الثانية الكائنة جنوبى هذا الإقليم عبارة عن حصن طبيعى مُكّون من صخور هائلة ووراءها صحراء شاسعة وطرق وعرة ».

+ وقد أثنىً أحمد بن سليم كثيراً على هاتين المملكتين المسيحيتين المعروفتين بإسم مقورة ومالوه، الكائنتين فى ابتداء الشلال الثالث إلى مما يليه جنوباً.

* «وقد دُعَى ملك النوبة بملك مقورة – نسبة لإسم النصف الجنوبى .. وعاصمتها دُنقلة وبعد سفر يومين فى داخل النوبة يمر الإنسان على ٣٠ بلداً تقريباً. فيها الأبنية

الفخيمة والقصور الجميلة والكنائس الكبيرة والأديرة العظيمة .. من دنقله إلى حدود ألوه (علوة) وهي أطول كثيراً من حدودها (مسافاتها) إلى أسوان».

* «وعند نقطة تفرُّعْ النيل إلى نهرين (النيل الأبيض والأزرق) توجد بلدة تدعى صويح (الخرطوم) وهى عاصمة مملكة ألوه».

* «وكان ربع هذه المدينة يأوى إليه المسلمون. وكان ملك ألوه أشد بأساً من ملك مقوره وأن كل المسيحيين فيها كانوا تابعين لبطرك البلاد المصرية كأساقفة الحبشة وكتبهم الدينية كانت مكتوبة باللغة اليونانية ولكنهم ترجموها إلى لغتهم».

+ وكان الملك يلبس عادة تاجاً كله من الذهب الخالص ..

* «وشاهد ابن سليم فى بلاد جنوب ألوه قوماً، أغلبهم يعتقدون بوجود إله، ولكنهم (وثنيون) يُألِّهون الشمس والقمر والنجوم وبعضهم يعبدون النار والأشجار والحيوانات.

* «على أن الرحالة بن سليم .. لم ينجح هو ومن معه فى مهمتهم، لأنه ما جاء فى كتاب القائد جوهر لم يصادف استحساناً أو قبولاً لدى حكومة القسم الجنوبى ولم يؤثر ارسال هذا الوفد فى حكومة دنقله. ولو أن أعضاءه قوبلوا بكل حفاوة وإكرام من الحكومتين».

* «وبيان ذلك أنه لما مَثَل أعضاء هذا الوفد بين يدَى ملك النوبة وسلم الرئيس كتاب القائد جوهر أمر الملك بعقد مؤتمر من الأساقفة وعقلاء الأمة وأباح لأعضائه حرية البحث والمناقشة فى أمر هذا الكتاب .. واشتغل هو بكتابة الرد عليه – ثم تلاه على الحاضرين وهذا ما جاء فيه .. "بعد السلام .. أننا ندعوكم لإعتناق الدين المسيحى – وإن أجدادى كانوا على الدوام يعاملون المسلمين بكل إخلاص ومسالمة .. وإنى كنت أتاهب لعقد معاهدة مهمة معكم. وختم كتابه ببعض عبارات التودد الرقيقة ولكن لم يذكر شيئاً بالمرة عن جزية الرقيق التى أشار إليها القائد جوهر فى كتابه».

+ وبينما كان ابن سليم ومن معه مقيمين فى تلك البلاد حل عيد الأضحى. فدعا رئيس الوفد جماعة المسلمين وعددهم لا يزيد عن ٦٠ نسمة. فأقاموا الإحتفالات والمهرجانات. وقد ألفوا موكباً دينياً سار فى المدينة .. وقد حاول بعض المقربين إلى الملك منع هذه المظاهرات الدينية فإنتهرهم الملك وزجرهم على هذا التعصب القبيح».

* «ثم سار الوفد إلى مصر .. وهم فى غاية الإرتياح»(١).

الإستعانة أيام القحط بغلال النوبة أيام المستنصر:

+ «لما اشتد الحال بالسكان أرسل الأقباط إلى الملك جرجس ملك النوبة يطلبون منه إمدادهم بالمؤنة – وكان ملك النوبة يومئذ قد أرسل رجلاً يدعى بامون ليرسمه البابا مطراناً على النوبة. فرسمه وأوصاه أن يُخابر الملك فى شأن المدد. فلما وصل إلى هناك رفع إليه تقريراً بالحالة السيئة التى بات فيها الأقباط فى مصر. فأخذته الشفقة عليهم – وأرسل إليهم شيئاً كثيراً من الزاد. فلما وصل الوفد الذى يحمل المؤنة إلى حدود مصر اعترضهم ناصر الدولة بجنوده. وأرغمهم على العودة من حيث أتوا. فعادوا آسفين. وطغى ذلك الوزير حتى منع كل إمداد يرد من الخارج. فعم البلاء واشتد الويل»(٢).

الملك سلمون يتعبد بمصر:

+ «وكان سلمون ملك النوبة قد ترك المملكة وعزل نفسه عنها وسلمها لجرجة بن أخته وانفرد هو للعبادة والنُسك – فلما كان في السنة الثانية لبطريركية أنبا كيرلس مضى سلمون المذكور إلى وادى يحمل إسم القديس أبو نفر، ليتعبد هناك فى بيعة على اسمه – بينها وبين أطراف النوبة مسيرة ثلاثة أيام – وكان والى أسوان آنئذ أسعد الدولة شاروكين .. فأتاه أحد أخوة كنز الدولة وقال له: «يا مولاى أتريد أن أمضى وآخذ سلمون الذى كان ملك النوبة وآتيك به». قال له: «نعم».

---

(١) بوتشر، تاريخ الأمة القبطية، جـ ٣، ص ٤ – ٩ .

(٢) بوتشر، المصدر نفسه، جـ ٣، ص ٥٧ .

* «فأخذ معه ٢٠ رجلاً وركبوا المركب - وساروا فى خفية حتى وصلوا إلى البيعة بوادى أبو نفر. وهجموا عليه بغتةً فأخذوا سلمون المذكور، وأحضروه إلى أسعد الدولة فسيره إلى القاهرة. فلما وصل إليها تلقاه كل من فيها من الأمراء والمقدمين بالطبول».

* «ولما دخل إلي القاهرة أكرمه أمير الجيوش وأنزله فى دار حسن - وحمل إليه الكسوة والفرش - والآنية. وأقام على هذه الحال مقدار سنة. ثم تنّيح ودُفن فى دير القديس مارجرجس بالخندق(١) - وكان قد قابل البابا كيرلس بإكرام جزيل - رفع من قيمته فى نظر من لا يعرفونه».

اثيوبيا فى عهد الدولة الفاطمية:

+ انقطعت الصلة بين مصر واثيوبيا نحو سبعين سنة بعد البابا قزمان لتصُّرف الملك الشاذ الذى قام ضد المطران بطرس. وتنصيب نفسه بدل شقيقه الأصغر الذى أقامه المطران. وبعد موته - أنفذ أحد خلفائه إلى ملك النوبة كتاباً - يصف حالة إثيوبيا الرديئة.

رد الملك المغتصب:

* «وعرف ما أدبَّه الرب به هو وأهل كورته - وهو أن إمرأة ملكة علي بنى الهوية ثارت عليه - وعلى كورته وسبت منها خلقاً كثيراً. وأحرقت مدناً كثيرة وأخربت البيع. وطردتهم من مكان إلى مكان وقال له: «أحب أن تساعدنى وتكتب كتاباً من جهتك إلى الأب البطرك بمصر تسأله أن يحاللنا .. وليُزيل إلله عنا وعن أرضنا هذا البلاء، ويقسم (يرسم) لنا مطراناً».

* وذكرت لك - أيها الأخ - ذلك خوفاً من أن ينقرض ويبطل دين النصرانية، لأن هوذا ستة بطاركة قد جلسوا، ولم يلتفتوا إلى بلادنا - وقد مات أساقفتنا وكهنتنا.. فلما

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٣٠٩ (ودير الخندق هو دير أنبا رويس الحالي بالعباسية).

وصلت الكتب .. انفذ من جهته كتبا ورسلاً إلى البطرك فيلوثاوس .. وشرح له جميع ما ذكره ملك الحبشة - فأجاب سؤاله ورسم لهم راهباً من دير أبو مقار اسمه دانيال وأنفذه إليهم مطراناً فقبلوه بفرح. وأزال الله عنهم الغضب. وأبطل أمر المرأة التى قامت عليهم»[1].

+ وأجلس المطران الملك على العرش وحرم المرأة المغتصبة. فحكم الشعب بإعدامها.

المطران ساويرس - ومحاربة عادة التسرى:

* «قسم أنبا كيرلس مطراناً للحبشة وهو شاب عالم اسمه ساويرس بن أخت بقطر المطران المتوفي - وكان قد تربّى هناك مع خاله المذكور».

+ وكان قد وعد أمير الجيوش بمواعيد كثيرة «منها بناء أربعة جوامع».

* «ثم وصلت كتب من ساويرس مطران الحبشة يعلمه (البابا كيرلس) أن بلاد الحبشة قد تمهدت وأن الملك ووزرائه وأهل مملكته، كان لهم عدة نساء لكل واحد منهم وأنه لم يزل مع الملك يردعه .. ويلاطفه ويعظه إلى أن أبعد عنه جميع نسائه. ولم يبق إلا زوجة واحدة مع أم أولاده .. وأنه سمح له فى ذلك، خوفاً من أن ينحرف الأمر معه - وأنه فعل كذلك مع أهل مملكته .. وتركوا كلهم ما كانوا يعتمدون عليه من اتخاذ كثرة النساء».

* «وسأل فى كتابه أن يكتب البطرك كتاباً إلى الملك وأهل مملكته .. يعظهم فيه ويعلمهم أن هذا هو الصواب ويمنعهم من التمسك بالعادات العتيقة. ويذكر لهم التعاليم الروحانية من الكتب المقدسة .. فأجاب سؤاله .. وأنفذ إليه مع الرسل الذين وصلوا بكتبه»[2].

بدر الجمالى وبناء الجوامع بأثيوبيا:

* «والتفت إلى أخي المطران، وقال له: «كان أخوك قد شرط على نفسه أن يبنى فى الحبشة أربع مساجد وما فعل. فقال له: «قد بنى فى المواضع التى استطاع البناء فيها سبعة مساجد، وأمرها مشهور - يعنى الحبش هدموها وأرادوا أن يقتلوه. وأن الملك لما بلغه هذا، قبض على المطران واعتقله.فقال أمير الجيوش «مبارك».

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٢٠٢ .

(١) المخطوط نفسه ورقة ٢٠٩ - ٢١٠ .

+ ثم قال للبطرك (كيرلس السنجارى) «والأساقفة أيش تعمل»؟، فقالوا قد كتب الكتب .. فقال« فمن يسير منكم بهذه الكتب مع كتابى ورسولى؟» فقالوا: «هذين الأسقفين» فنظرهما وقال: «مبارك»· وأمر لهما بنفقة .. وحكى لى بعض الثقاة أن أمير الجيوش قال فى كتابه إلى ملك الحبشة «إن لم تفعل كذا وكذا، وإلا هدمت البيع التى فى بلاد مصر»·

+ «فكتب له الجواب يقول: «إذا هدمت من البيعة حجراً واحداً حملّت إليك طوب مكة كاملاً – وأوصله إليك جميعه – ومتى ضاع منه طوبة واحدة أنفذْتُ إليك مقدار وزنه ذهباً»(١).

+ وبعد هذا سكت بدر الجمالى ولم يتشدد فى طلبه، لأنه عمل ذلك إرضاءً للمسلمين.

زيارة البابا ميخائيل وزيادة النيل:

* «ثم أقيم (رُسم) ميخائيل وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه إلى بلاد الحبشة بهدية سنية فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه – فعرفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك – فأمر بفتح سد يجرى منه الماء إلى أرض مصر· ففتح وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت· ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن إليه»(٢).

المطران جرجس ورجوعه لسوء تصرفه:

* «فى سنة ٨١٨ ش وصل رسول من ملك الحبشة إلى الأفضل ملتمساً أن يقام لهم مطران لبلاده .. فأحضر أنبا ميخائيل البطرك – وتقدم إليه أن يُقيم مطراناً للحبشة ويعمل به ليسير مع الرسول .. فخرج البطرك أنفذ إلى دير أبو مقار وأخذ راهباً اسمه جرجس وقسمه مطراناً للحبشة .. فأقام عندهم مدة يسيرة – ولم يفلح ولا عرف أن يسوس أمره معهم .. فقيل عنه إنه تعدى هناك إلى أمور قبيحة .. ولا تليق برتبته – فقبض عليه الملك وأخذ جميع ما كان قد تحصل له هناك· وأعاده إلى مصر .. فأمر «الأفضل» بالقبض عليه واعتقله فى حبس الشرطة بمصر· فأقام فيه معتقلاً عدة سنين»(٣).

(١) المخطوط السابق، ورقة ٣٢٢.

(٢) المقريزي، مطبعة النيل سنة ١٣٢٦ ص ٤٠٠ وقد أُسندَت هذه الحادثة - في بعض المصادر - للبابا خرستوذولو.

(٣) مخطوط دير البراموس، رقم ٧٩/٧ ورقة ٣٥٠.

طلب رسامة أكثر من سبعة أساقفة:

* «طلب ملك الحبشة من أنبا ميخائيل .. أن يكرز له أسقف زائد عن العادة الجارية .. من قديم الزمـان – فإمتنع من ذلك وقال ما أقدر أن أعمل شيئاً إلا برأى البطرك "أنبا غبريال بن تريك فأنفذ الملك إلى البطرك كتاباً يسأله فى ذلك – وكتاباً آخر صحبه رسول إلى ملك مصر .. فخرج أمر الخليفة إلى البطرك لإجابته إلى ما طلبه .. فإعتذر من ذلك وقال: «إذا صارت الأساقفة عند الحبشة أكثر من هذه العادة تجاسروا على قسمة مطران وخلعوا نفوسهم عن طاعة بطاركة مصر .. وما يبقى لهم ببطاركة مصر حاجة .. ويخرجهم ذلك إلى العداوة والمحاربة بمن هو متاخم بلادهم من المسلمين»٠

* «ثم كتب البطرك كتاباً يأمره أن يرجع عما طلبه .. وسير الكتاب إليه – ولما عاد رسل البطرك من الحبشة أخبروا أن ناراً نزلت من السماء على قصر الملك فأحرقت البعض٠ ثم أصاب الحبشة غلاء عظيم فى تلك السنة ووباء عظيم .. ولم يمطر فيها مطر – وقاسوا لأجل ذلك صعوبة عُظمى٠ فقبل الملك كتاب البطرك .. وسأل البطرك أن يحله .. فكتب له بذلك٠ وسيرّه إليه٠ فرفع الله فى ساعة وصول الكتاب إليهم سخطه٠ وأدركتهم رحمته٠ فمطرت الأمطار وزرعت البلاد»(١)٠

طلب طرد مطران وعدم رضى البابا:

+ «فى أيام البطرك يوحنا ٧٢ نحو سنة ١١٥٢م وصل كتاب من ملك الحبشة إلى العادل بن السلار «وزير الظافر بن الحافظ الفاطمى» يلتمس رسامة مطران، وكان عنده مطران يقال له أنبا ميخائيل٠وكان اسمه حبيب الأطفيحى. فلما كبر وشاخ نفذ الملك يطلب مطراناً غيره وكان قد قَسَمه أنبا مقار البطرك٠ فلما جرى بينه وبين الملك كلام حزن منه، وكتب يطلب غيره. وسبب ذلك أن الملك كان قد تغلب على المملكة بغير حق .. فوبخه المطران٠ وأنفذ الملك كتاباً للسلطان وكان فى ذلك الوقت العادل ابن السلار – وكتاباً أيضاً للبطرك يطلب مطراناً غيره – وهو لا يزال بالحياة لم يمُت»٠

* «فإمتنع أبونا البطرك من ذلك، وقال للوزير العادل ما فى شريعتنا يعد أن تولّى واحد

(١) مخطوط دير البراموس، ورقة ٣٩٠ – ٣٩١ .

رتبة الكهنوت نرجع ونعزله حتى يموت - فإذا مات ولّينا غيره .. لأن رتبة الكهنوت سمائية - ماهى أرضية». فضجر عليه العادل، وأمر بإعتقاله فى سجن دار الوزارة»[1].

+ ثم أنفذ إليه يقول له لابُد من عزل هذا البطرك، من أجل سؤال ملك الحبشة فى ذلك - فقال: «يا مولاى، ما عندى جواب غير ما قلته لك .. وحكمتك وقدرتك إنما هى على الجسم الضعيف الذى بين يديك - وأما روحي فما لك عليها سبيل. والله ما أعزله فاتقى كل مكروه» فأمر الملك العادل بإطلاقه، واعتذر إلى ملك الحبشة»[2].

+ ومع هذه الصلة بأثيوبيا والنوبة وتاريخ البابوات الحافل بالحوادث - والإضطهاد الذى وقع على الأقباط والعجائب التى كان الله يؤازرهم بها، يرى الباحث أن الأقباط فى عهد الدولة الفاطمية قد أتقنوا القواعد الحسابية (الميزانية) للدواوين، ولا يمكن لغيرهم أن يصل إلى ضبطها مثلهم.

+ كما أتقنوا اللغة العربية. ولهم فيها مؤلفات تشهد لهم بطول الباع - ونقلوا إليها مؤلفات كثيره من القبطية واليونانية. فصارت الحكومة تلقبهم بألقاب التفخيم - كالرئيس وهبه - والأمجد ابن سعد - والشيخ - ونجيب الدولة - وتاج الدولة - وفخر الدولة.... الخ.

+ وكانت معظم الصنائع والفنون فى أيديهم .. وكان إتقانهم لها بالغاً مُنتهاه - فإستعان بهم المسلمون فى تكوين القطع الفنية التى مازالت بالمتحف العربى. وكذلك تركوا بالكنائس آثاراً فنية رائعة مازالت بكنائس مصر القديمة وحارتّى زويله والروم (بجوار الأزهر).

+ كما اهتموا بعلم الطب وعلم المواقيت - وألفوا فيها مؤلفات واسعة.

+ كل هذا جرى فى الوقت الذى كانوا يُلزمُون فيه بلبس السواد والزنار، أو تُهدَم كنائسهم - فالذهب يزداد لمعانه كلما اقتربت منه النيران[3].



---

(١) المخطوط السابق ورقة ٤١٤.

(٢) القمص منسي، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٥٣٥.

(٣) ويقول مار اسحق السُرياني «إن التجارب أبواب للمواهب».

الباب الثالث

الدولة الأيوبية (١١٧١ - ١٢٥٠م)

+ ضعف خلفاء الدولة الفاطمية - فكان آخرهم العاضد - فإختلف فى عهده إثنان على الوزارة، وهما شاور وضرغام - واستعانا بالصليبيين - وبأسد الدين شيراكوه - وابن أخيه صلاح الدين - اللذين آتيا إلى مصر - واستطاع صلاح الدين الأيوبي بحزمه وبحكمته وقوة جيشه أن يستقل بمصر، وأن يُسقِط اسم الخليفة العاضد ..

+ وأسس دولته التى استمرت أقل من قرن من الزمن.

+ ويتضمن هذا الباب حالة الأقباط أيام الأيوبيين - والصلة بأثيوبيا - وتاريخ البابا كيرلس بن لقلق - ثم الحروب الصليبية ومشاهير الأقباط.



الفصل الأول

حالة الأقباط أيام الأيوبيين

+ لاقى الأقباط توفيقاً مع صلاح الدين وابن أخيه الكامل - ولكن معاملة عمه أسد الدين شيراكوه - ووزيره بهاء الدين قراقوش - لم تكن مُرّضية.

+ أسد الدين شيراكوه - والتضييق على المسيحيين فى زيهم:

* «سار شاور وشيراكوه .. إلى القاهرة ونزلوا فى أرض الطباله واللوق - وداير القاهرة وحاصروها ولم يزل الحرب مستمراً وضرغام وأخوته مباشرين الحرب .. ثم خرج من باب زويله فأدركته خيل الغزاة فقتلوه .. فلما جابوا رأسه عرفه شاور وركب للوقت وجاء إلى القاهرة».

* «فلم يستقر به القرار حتى بلغه أن أسد الدين يريد أن يغدر به .. فتقدم إليه وقاتله .. وامتدت أيدى الغزاة فى سكان مصر من النصارى والسودان والأرمن - والأتراك المصريين - وكانوا يقتلون منهم ويبيعونهم .. ونهبوا أموالهم وأخذوا نساءهم».

+ واستشهد على أيديهم راهب اسمه **شنوفة (بشنونة)** من دير أبى مقار - أمسكوه

وعرضوا عليه الإسلام- فإمتنع منه .. فقتلوه وراموا أن يحرقوا جسده فلم يحترق - فأخذه النصارى ودفنوه فى كنيسة أبو سرجه بمصر فى ٢٤ بشنس[١] وهدموا كنائس للشهداء، في ذلك الوقت، في ضواحي القاهرة، وهدموا كنيسة الحمرة بحارة الروم البرانية - وكنيسة الزَهَرى، ونهبوا كل كنيسة هدموها».

* «وبعد أن هدأت الأمور - أهتم الشيخ الأسعد صليب (مدير)"صاحب" الديوان بعمارة كنيسة الحَمَرة والزهرى (بفم الخليج) وما قدر عليه من الكنائس وكان يتعهدهم بالقداسات فيهم ويهتم بأقمنة الجير حتى كملت العمارة»[٢].

* «أستلم شيراكوه زمام المصلحة (الحُكم) سنة ٥٦٤ هـ - وسكن فى سراى الوزير الأعظم - وفرّق العطايا على جيوشه التى رافقته إلى مصر - وشدد على النصارى. وأمرهم بشد الزنانير على أوساطهم. ومنعهم من ارخاء الذؤابة التى تسمى العذبة - فكتب بن أبى المليح زكريا وكان مسيحياً إلى أسد الدين بقوله:

يا أسد الدين ومن عدله ... يحفظ فينا سُنَّة المُصطفيَ
كفى عياراً شد أوساطنا ... فما الذى أوجب كشف القَفَى؟!

* «فلم يسعفه بطلبته[٣] ولم يُكمل شيراكوه فى الوزارة ١٠٠ يوم وعاجلته المنية».

صلاح الدين الأيوبى يُحسن معاملة الأقباط:

+ وهو وإن كان قد تشدد عليهم أولاً من تأثير عمه شيراكوه بعد أن «تولى كرسى الوزارة سنة ١١٦٩م حكم على الأقباط بأن يُعلقوا أجراساً فى أعناقهم - وأمر أن تُنزع الصلبان الخشب من فوق كل كنيسة وتطلى كل قبة كنيسة بيضاء بالطين الأسود وبعدم دق النواقيس فى سائر الكنائس. وكان من عادة النصارى أن يزفوا فى عيد الشعانين الصليب فى الشوارع فى كل بلدة ـ وكل مدينة ـ فمنعهم من كل

---

(١) راجع سيرة القديس بشنونة ومعجزاته الحديثة في كتابنا عنه (طبع مكتبة مارجرجس بشبرا).

(٢) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٤١١ - ٤١٣

(٣) چورچ زيدان، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٨.

ذلك وأمرهم أن لا يصلوا فى الكنائس إلا بأصوات منخفضة[١]. ولكنه عاد وعاملهم معاملة حسنة».

* «أن السلطان لما تحققَ أمانتهم (الأقباط) اتخذ منهم كاتباً خصوصياً من عائلة شريفة تُعرَف بعائلة شرافي – وكان أبوه من مشاهير الحكومة – فى أيام العاضد يسمى بأبى المعالى .. ومنحه صلاح الدين لقب الشرف والرئاسة فدعاه بالشيخ الرئيس صفى الدولة ابن أبى المعالى - وكان محبوباً وبقى فى خدمته حتى مات.

+ وكان الأرمن قد هاجروا من مصر وتركوا كنيسة بالفسطاط .. وطلبها صفى الدولة للأقباط – فأعطاها صلاح الدين له ..

+ ولما تحقق صلاح الدين من إخلاص الأقباط وهبهم أعظم مكان فى بيت المقدس وهو الدير المعروف الآن «**بدير السلطان**» نسبة إليه.

+ ومما يستحق الذكر أنه فى أثناء حصار الصليبيين لدمياط سنة ١١٧٢م – حدث أن وزيراً قبطياً (يُدعي يوحنا ابن الأبح) لاقى الصعوبات فى سبيل الإستئذان فى بناء كنيسة على إسم الست بربارة، ونال الموافقة بعد جهد. وشيّد تلك الكنيسة، التى لاتزال للآن بمصر القديمة.

+ وقد دفعته الغيرة الدينية – على تجديد كنيسة القديس أبى سرجه فغضب منه الخليفة إذ لم يأذن له إلا ببناء كنيسة واحدة، وأمر بإرسال العمال بالمعاويل والفؤوس لهدم إحدى الكنيستين – كما يختار الوزير – فحزن الوزير حزناً عظيماً حتى مات فى الحال. فأسف عليه الخليفة ولم يشأ هدم إحدى الكنيستين»[٢].

بهاء الدين قراقوش يطرد الكتبة المسيحيين من الدواوين:

+ أن العمل الطيب الذى قام به صلاح الدين كان يقابله بالضد بهاء الدين قراقوش – منتهزاً فرصة أنشغال صلاح الدين مع الصليبيين – فأساء إليهم (ومما يذكر من سيرة صلاح الدين أنه أثناء حروبه فى فلسطين أسند عرشه فى مصر إلى بهاء الدين أحد خصيانه السود حيث كان يثق به.. وأطلق عليه المصريون لقب «**قراقوش**»

(١) القمص منسي، المصدر السابق، ص ٥٤٧.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في كتابنا عن سيرة القديسة بربارة (طبع المحبة).

«أعنى العصفور الأسود» (وسموه بذلك ازدراءً به)· وكان أول ما لاقاه المصريون من المسلمين والأقباط على السواء من أحكام بهاء الدين قراقوش استهزائه بقبور موتاهم وامتهانها .. وانتهاك حُرمتها بحفرها ونبشها .. وكان غرضه من هذا الصنيع إغاظة المصريين وكرهاً لهم من أنهم بيض البشرة وهو أسودها»[١].

* «أرتأى هذا أن يرمم أسوار المدينة فساق إليها المصريين من مسلمين ونصارى معاً ليشتغلوا فيها فنقم الكل عليه .. وصار الأولاد يمثلون به ويلقبونه بإسم قراقوش ولايزال إلى اليوم من يقيمون حفلات استهزاء بهذا الإسم («أراجوز»)·

* «وتعمدّ مُضايقة الأقباط مُضايقةً شديدة - فأول عمل أتاه ضدهم أنه رفت كل الموظفين منهم فى جميع دوائر الحكومة .. ولم يُبق منهم فيها إلا من أسلم على يد شيراكوه وبعده .. ثم عاد فأرجعهم من نفسه **لما رأى استحالة قيام الأعمال المصلحية وانتظامها بدونهم**»[٢].

* «ثم عمد بعد ذلك إلى الإستبداد بهم - حيث أمرهم بتعليق أجراس فى أعناقهم وصلبان كبيرة فى صدورهم· وحرَّم عليهم إقامة الزينات والإحتفالات الدينية في الأعياد»[٣].

الملك الكامل يُعامل المسيحيين مُعامَلة حسنة:

+ لما رأى الملك الكامل إخلاص المسيحيين وعدم انضمامهم إلى الصليبيين - أعطاهم الحرية الدينية، **كما يظهر من الحوادث الآتية**:-

+ أسلم راهب من دير أبو مقار .. اسمه يوحنا .. على يد الملك الكامل فدفع له حسبة منية (ميت) غمر - وأقام فيها ثلاث سنين محتسباً - ويصلى مع المسلمين·

* «وبعد ذلك ذكر دينه - ورهبانيته فندم فإشترى قطعة قماش - ومنديلاً وأخذهما ومضي للملك الكامل، وقال له: «هؤلاء كفنى، إما أن تقتلنى أو ترد لى دينى» فوقع له توقيعاً حسناً .. إلى كافة الولاة بأن يُرَدّ له دينه - ولبس ثياب رهبانيته وشهد بدين النصرانية - وأقام على ذلك زماناً»·

---

(١) بوتشر، تاريخ الأمة القبطية، جـ ٢، ص ١٤٢.

(٢) القمص منسي، المصدر السابق، ص ٥٤٨.

(٣) بوتشر، المصدر السابق ص ١٤٦ .

* «وكان بعض الوشاة قد استولوا - بدون وجه حق - على أوانى الكنائس بالأديرة - فتحقق الملك الكامل أنها نذور للكنيسة».

* «فأحضر البطرك أنبا يوأنس ٧٤ - وسلَّم له جميع الأوانى .. فأخذها وجعلها فى أطباق على رؤوس الحمّالين. واشترى شمعاً كثيراً ودار بهابجميع شوارع القاهرة - وأسواقها،وحولها خلق كثير من النصارى، تصرخ بالدُعاء للسلطان. وكان يوماً عظيماً مشهوداً وصعب على الشاميين بمصر دوران الصليب فى أسواقها وشوارعها .. ولكن لم يجسُر أحد أن يتكلم ولا يمد يده فى هيبة الملك الكامل»(١).

* «من حسنات الملك الكامل أنه رفض قبول رشوة لأجل ترشيح داود بن لقلق بطريكاً وأعفَى الرهبان من الجزية الشخصية - وزار بنفسه ديراً بوادى النطرون. وتفقد - أحوال الرهبان. وزار أيضاً دير القديس مكاريوس، فوجد أحد موظفى الإسلام ساكناً به. فأمره بالرحيل محافظة على شعور الرهبان .. وبالجملة فقد منع الملك الكامل التَّعرُّض للأقباط فى أى شئ من شئون دينهم .. وأذن لهم ببناء كنائسهم التى خربها المسلمون - وأباح لهم فتح ما أُغلق منها .. وإقامة شعائرهم الدينية جهاراً بدون مانع - ولهذا تراهم يذكرون للآن فى صلواتهم اليومية هذه العبارة «يحنّن الله قلوب المُتولّين علينا»(٢).

الملك يشفَى بزيت المتعبد فى إبيار:

* «وكان الملك الكامل قد خرج من القاهرة يريد الفُرجة والصيد، فعبر إلي الغربية. وصار فيها يريد الأسكندرية. فعبر البحر (النيل) عند إبيار - فرأى صومعة حبيس (راهب متوحد) هناك. فوقف تحتها وصاح له، فكلَّمه من فوقها، ودعا له. فشكي له وجع فى فؤاده. فصلى له على قليل من زيت طيِّب - ودفعه له وقال: «إذا دهنت موضع الوجع هو الله الشافى. فدهن به موضع الوجع - فبرئ لوقته - ووهبه شيئاً من يده - وصار له فى قلبه مودة ثم عاد إلى القاهرة»(٣).

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٤٨٩ - ٤٩٠.

(٢) القمص منسي، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٥٧١

(٣) مخطوط دير البرموس ٧٩/٧ ورقة ٤٩٣.

الفصل الثانى

الصلة مع إثيوبيا فى هذا العهد

المطران كيلوس فى عهد البابا يوأنس ٧٤ التاجر والملك الكامل

* «كان رسل ملك الحبشة والنوبة قد ردوا عليه بكتاب لكى يقسم (يرسم) مطراناً لكون الذى كان عندهم قد تنَّيح».

* «فلما جاء الرسل إلى البطرك أقاموا عنده نحو ثلاثة أشهر .. وأنشغل قلبه للفكر بكتابه فى اختيار أحد الأساقفة، ولما لم يجد أرسل من يحضر من الأصحاب والأراخنة والكهنة، ومنهم رجل كان يسمى كميل بن المُلّبس - من أهل طوخ - كان قد قسَمَه أسقفاً على مدينة فوه. فأخذه وقسمه مطراناً. وسيرَّه مع رسل الملك. «وقوبل من الملك والشعب الحبشي مقابلة حسنة جداً».

* «ولما قدّس أول قداس نثروا عليه ذهباً كثيراً وأحرقوا عوداً وعنبراً فى مجمرة الكنيسة كثيراً جداً، وأقام له عشرة قسوس لخدمته. وحفظ ما يكون من جراية المَطْرنة من الذهب والفضة والثياب وكتب الكنيسة - وخزائن أخرى - ومخازن يكون فيها حاجات المطبخ للطعام .. وكانت البلاد قد انقطع عنها المطر. فلما وصل وقدس قَبِل الله صلاته، وأنزل المطر. فإزداد به فرحهم .. وأقام أربع سنين».

* «ولما كانت السنة الخامسة وصل خبره إلى الآب البطرك أنبا يوأنس أنه فارق مدينة الملك، وخرج منها مُتوجهاً إلى مصر إلى القلاية البطريركية. فصعب ذلك على الأب البطرك.فسأله عن السبب الموجب لعودته. فذكر أن الملكة.. لها أخ اسمه خيرون وأنها لم تزل تلح عليه إلى أن قسمه أسقفاً وصار يركب بالمظلة مثل المطران - وحاز (مال) الكهنة إليه - وصار يحكم بين الناس. ويمنع الناس من الرواح لدار المطران».

* «فلما أخبر البطريرك بما قدَّمنا ذكْره - أمره أن يقيم بإحدى كنائس القاهرة حتى يكتب للملك كتاباً يستفهم عن صِحة ما ذكره المطران. فمضى المطران إلى القاهرة وأقام فى كنيسة بحارة زويلة».

+ فلما عاد الجواب من الملك وهو يقول عن المطران أنه قتل قسيساً كبيراً فى طقسه مقدم لعشرة قسوس، وسبب ذلك أنه إتهمه بأنه قد أخذ قضيب ذهب من خزانة المطران فبطحه وأمر عبيده بضربه - فضربوه قُدأمه بغير رحمة. وهو يأمرهم بضربه حتى أسلم روحه .. وأن أهل القسيس الذى قتله هم الذين كانوا يتسلقون عليه ليقتلوه عوض قتله صاحبهم»!!

* «وأما خيرون .. فقد مات بعد خروج المطران بشهرين .. ولم تمطر مطراً فى تلك السنة فى بلادهم. ولذلك أسرعوا بإيفاد الرسل فى طلب غيره. فى سنة ٩٢٦ ش أحضر «البابا يوأنس»[١] كهنة مصر والقاهرة وأراخنتها، وجَمَع مجمعاً عظيماً وتسامع المسلمون بالقاهرة بما جرى، وأنه طلع إلى مصر يقسم مطراناً فاستأجروا كل دابة من باب زويله وغيره من الأبواب، وطلعوا إلى مصر - فبلغ أجر الحمار من القاهرة إلى مصر ثلاثة دراهم - حتى طلعوا ليتفرجوا».

* «فلما إمتلأت كنيسة المعلقة من الخلق نصارى ومسلمين .. أحضر البطرك - كيل (كيلوس) إبن المُلّبس المطران القديم، وخلعه من المطرنة وضجر عليه وأبعده».

* «فقسم اسحق مطراناً - وذلك فى يوم الأحد الثانى من الصوم الكبير ١١ برمهات سنة ٩٢٦ش - أما كيل بن المُلّبس المطران المقطوع فإنه نزل من كنيسة المعلقة بخجل عظيم. وهو يصرخ ويضع التراب على رأسه - ومضى إلى حال سبيله - وقد عدم المطرانية لسوء تدبيره» (وهو درس لكل نفس).

اسحق المطران باعث النهضة بأثيوبيا بمساعدة أقباط مصر:

* «أما المطران الجديد وأخوه القس فأخذهما رسل الملك. وتوجهوا بم بكرامة وسلام إلى مدينة عرقة - مدينة الملك .. وكان اسمه .. لالينا بن شنوده (وتفسيره الأسد)[٢] فقد أسس (أدار) كنيستها بحكمة فائقة. ثم توفى بعد أن عاش أربعين سنة بين الأحباش فى صفاء وهناء، حتى اعتبروه فى مصاف القديسين بعد وفاته».

+ ومن أعماله المأثورة أنه استحضر من مصر جماعة من الأقباط المشهورين بالنقش على الحجر فنقشوا له أحجاراً صخرية صلبه - نقشاً جميلاً. وزين بها كل الكنائس الحبشية بناءً وترميماً[٣] وقد أخذ معه أيضاً نجارين وكتبة نظمّوا دواوين حكومة أثيوبيا.

---

(١) «كان اسمه .. أبو المجد بن غالب بن سوارسى - فأخذوه قهراً يوم الأحد ٢١ أمشير سنة ٩٠٥ ش وقسموه بطريركاً !! وكان بتولاً عالماً .. كاملاً فى جسده وقامته .. وذا مال .. وكان له دار وكالة فى مدينة مصر يتجر فيها وله سكرية .. وطواحين .. يصدق صدقات كبيرة .. ما كان يغفل عن صلوات السواعى الليلية والنهارية». (مخطوط دير البراموس ٧ / ٧٩ ص ٤٦٤) وكان يتردد علي بلاد اليمن فى البحر .. وكان شريكاً لقوم يدعون أولاد الخباب - فحدث مرة بينما كانوا راجعين أنكسرت بهم السفينة. وفقد كل ما بها، ماعدا ماله. فأنه كان محتفظاً به فى خنادق المركب - «فأعلم شركائه به» (منسى ص ٥٣٧).

(٢) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ورقة ٤٧٧ - ٤٨٢.

(٢) بوتشر، تاريخ الأمة القبطية، جـ ٣، ص ١٩٥ .

الفصل الثالث

البابا كيرلس بن لقلق ٧٥

السعى لرسامته بواسطة أبو الفتوح:

* «أبو الفتوح يُعرَف بإبن الميقات. قد استخدمه الملك العادل فى ديوان الجيش. فقرَّبه (الملك الكامل) منه وكان يتصدَّق بكل ما يملكه - ولا يدّخر شيئاً. ويعمل خيراً كثيراً مع كل من يقصده من نصارى ومسلمين .. ولم يكن قد تزوج قط».

+ فآوى إليه رجل قس إسمه داود، يُعرف بإبن لقلق، من أهل الفيوم. وهو خير عالم. قد قرأ العتيقة والحديثة، فصار لأبو الفتوح كالمعلم - وكان يقول بالإعتراف (بالخطايا) جهراً قدام الناس - وأما داخل قلبه على غير اعتماد النية فى المسيح».

* «فأمال أبو الفتوح إليه. واتصل خبره بالأب يوأنس فى حياته - وكان يكره القس داود ويكره أبو الفتوح من أجل أنه مقيم عنده. ومات «البابا أنبا يوأنس التاجر» وهو غير راضٍ عنهما!!

* «وكان لما مات مطران الحبشة فى حياة أنبا يوأنس وجاء رسولهم يطلب قسمة مطران - فسمع القس داود بذلك - فحمل إلى الملك العادل مائتي دينار على أن يأمر البطرك أن يرسمه مطراناً للحبشة - فسير السلطان رسولاً للبطرك يأمره أن يقسمه مطراناً للحبشة. فقال البطرك لرسول الملك - قل لمولانا السلطان: «أن هذا ما يصلح لأن أمانته بالله فاسدة».

* «وعاد الرسول إلى السلطان وأعلمه بما قاله البطرك .. فلم يكلفه ولا أجبره على قسمته وأبطل الله أمره - وضاع عليه ما حمله».

* «فلما تنيح الأب البطرك أنبا يوأنس آراد أبو الفتوح أن يساعد القس داود عند السلطان والشعب لكي يقسمه بطركاً - وشرَع فى ذلك».

* «وأجتمع بجماعة من الكُتّاب المصريين - وغيرهم - لكي يقدموا القس داود عليهم

بطركاً فوافقه منهم اليسير - وخالفه الكثير - ولم يقدر أن يجمع الكل على الرضاء».

* «ولا على رأى واحد فيه، فأنفذ رسله إلى كراسى الآباء الأساقفة بالوجه البحرى - ولأسقف طنبدى - بالوجه القبلى. وكان خيِّراً وعالماً. فاجتمع له منهم سبعة أساقفة فأضافهم وأكرمهم - وطلب منهم أن يكتبوا خطوطهم (توقيعهم) فى مسطور عمله له بأن يصلح بطركاً - وكان فيهم أسقفان فقراء أحدهما أسقف دميره والبرامون - والآخر أسقف البتانون - دفع القس داود لهما شيئاً. فكانا يقفان بالسلطان إذا ركب يطلبان منه أن يقسم لهم داود بطركاً - ويقولان للسلطان - قد كتب الأساقفة خطوطهم وجماعة الشعب أن يصلح بطركاً «وكان الملك الكامل يريد ترشيح حبيس (متوحد) إبيار الذى شفاه - ولكن أبو الفتوح طلب عدم إقلاقه - ففرح بوجوده معهم أهل إبيار».

* سمع بخبره «داود» من أهل القاهرة أسعد بن صدقة ضامن دار التفاح - فغار لله كما غار فنحاس - وأخذ جماعة من الناس ووقف للسلطان - وعاند أبو الفتوح فى قسمة داود - وجعل عمدته الملك الكامل - فقال له عن داود - أنه يصانع بالمال حتى يتقدم علينا .. وما نرضاه وقد دفع للملك العادل مالاً كثيراً - حتى يأمر البطرك «أنبا يوأنس» أن يجعله مطراناً ما صلح - فهل يحل الله لك أن تجعله علينا بطركاً - يفسد ديننا ويجعل قبط ديار مصر كلهم رومان، ويخرجها من أيدى المسلمين؟!» فأنفذ الملك الكامل إلى والى مصر يقول له: «إن أنت مكنت أبو الفتوح وأصحابه أن يقيموا لهم بطركاً بغير أمرى شنقتك».

* «وبعد أيام قلائل خرج الملك العادل إلى الأسكندرية فاستهزا به أبو الفتوح فى قسمة داود - فقال له: «اجعله بطركاً [1] والحقنى بالأسكندرية ولا تبْطئ - فلما سمع القس داود بذلك - عمل عكازين إحداهما عليه صليب فضة موشى بالذهب - والآخر

---

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ص ٤٩٢ - ٤٩٦.

موشى بخيط فضة - وفصّل ثياب حرير وما يحتاج إلى قسمته - وأخذه أبو الفتوح مع الأساقفة وطلع إلى مصر للمعلقة ليقسمه بطركاً - فإتصل خبره بوالى مصر فركب ومعه جماعة من أجناده وأعوانه، وجاء إلى كنيسة المعلقة. ونزل بهم انجس نزول .. وهرب داود وخرج الأساقفة من الكنيسة هاجين على رؤوسهم من مصر إلى كراسيهم، وبطل أمر داود»(١).

الظروف تساعد على رسامة داود بطريركاً:

+ استمرت الكنيسة ما يقرب من عشرين سنة بلا بابا - وخدمت الظروف داود عندما مات كثيرون من الأساقفة الذين عارضوه - واحتاج الملك الكامل فى حروبه مع الصليبيين إلى المال.

* «ومع أن الكامل حاز من النصر الباهر ما كلل جبينه بالفوز، إلا أنه خرج منها منهوك القُوَى لسبب ما كلفته من بذل الأمور، وجمع العُدَّة.فاضحى بحاجة شديدة إلى جمع المال الكافى لمتابعة القتال - ولم يكن الحصول على المال فى مثل ذلك الوقت الضيق بالأمر الهيِّن - ففرض الضرائب على الصناع وأرباب الحرف - وخصوصاً من الأقباط .. وحوَّل نظره إلى الكنيسة القبطية. فقبض على نصف الأموال التى كان تركها البطريرك يوحنا السادس لأخيه (البابا التالي) بعد وفاته.

* «وابتدأ الكامل ورجال حكومته أن يستميلوا الأقباط إلى داود - ويقنعوهم بلياقته وقبوله واجتهد الكامل فى ذلك أولاً للحصول على رسوم البطريركية التى تدفع لخزينة الحكومة وثانياً لأخذ المال اللازم من داود نفسه، فى نظير مساعدته له للحصول على هدفه».

* «وما كاد يشيع هذا الخبر، حتى هرع كثيرون من أساقفة جميع جهات القطر للإحتجاج على تعيين داود - وكان داود يؤمذ قد احتفل فى ديوان الحكومة بشكر الذين رشحوه إلى ذلك المنصب. فلما رأى احتجاج الأساقفة، وهياج الشعب

(١) مخطوط دير البراموس ٧٩/٧ ص ٤٩٣ - ٤٩٦.

القبطي – هبطت آماله وخاب رجاؤه مرة أخرى. غير أنه لما كان قوىَ العارضة صلب الفِكر – عمد إلى تبوُّء الكرسي البطريركي قوةً واقتداراً – ولم يُبالِ بإحتفال أو برسامة من أساقفة. فلبس لباس البطريركية واحتفل هو وأعوانه وسار إلى كنيسة القديس سرجيوس لإقامة الصلاة – وتأدية الطقوس الدينية. فإجتمع من الأقباط خلق كثير وصاروا يصخبون ويصيحون عليه ويهاجمونه – أما هو فكان محترساً لنفسه فلم يبالِ بصراخهم. وأتم صلواته وقراءة القداس وسائر الطقوس الدينية، رغم الصياح الذى يصم الآذان حتى أن نفس أعوانه لم يكونوا قادرين أن يسمعوا صوت صلاته»(١).

أعماله وهو بابا (١٢٣٤ - ١٢٤٣م):

* «في سنة ١٢٣٧م «لما ترك الكامل مصر وسار إلى سوريا .. ابتدأ البطرك داود مشروعاته المرذولة – فظلم الرعية وصار رديء السيرة. ولم يكن بينهم من يقدر أن يناقشه الحساب».

* «ثم استمال الرأى العام بأن رسم بعض الكهنة والشمامسة ولم يخصم منهم الرسوم المعتادة .. وكانت الأبروشيات فى ذلك الحين خالية كلها تقريباً من الأساقفة. فتصرف فيها داود (كيرلس) تصرفاً زاد عن الحد المعقول، لأنه فى وقت قصير باع ٤٠ أبروشية أى أنه صار يعين لها أساقفة من الكهنة الذين يتسابقون فى دفع المال. فجمع من ذلك مبالغ وافرة زادته قوة بإزاء شعبه الضعيف».

+ واعترض عليه أعيان الأقباط – وبينوا له سوء مغبة هذا التصرُّف – فكان اعتراضهم كصرخة فى وادٍ .. لأن كيرلس .. أخبرهم أنه مضطر إلى جمع النقود لسداد المطلوب إلى الحكومة، جزاء تنصيبه بطريركاً.

+ ولما كان احتجاج الشعب شديداً على السيمونية (المال للرسامة) اضطر أن يعقد جلسة دعا إليها رجال الإكليروس وأعيان العلمانيين فى كنيسة المعلقة، وأخبرهم أن

---

(٣) بوتشر، تاريخ الأمة القبطية، جـ ٣، ص ١٨١ – ١٨٢.

جمع الأموال إنما كان لإيفاء الأموال الأميرية. وصادف ذلك القول، الوقت الذى جاء فيه خبر وفاة الملك الكامل بدمشق.

* «وأعلن كيرلس (بن لقلق) لرجال الجلسة أنه بعد أن يتم جمع المال للغرض المذكور – سيمنع قطعياً أمر السيمونية (الرسامة بالمال) فى المستقبل.

+ ولم يكتفِ بإغتيال حقوق أساقفته مادياً وأدبياً – بل طمحت أنظاره إلى حقوق بطريرك أنطاكية .. وحجته بوجود كثير من الأقباط المصريين يقطنون بلاد سوريا وهؤلاء لا يفهمون لغة الأسقف السورى بأورشليم، وقت الصلاة .. «ويخضع لسلطة بطريرك أنطاكية» – فتعلل بذلك وكتب للبطريرك المذكور يقول له .. أنه ولو أن أسقفه بأورشليم من القائلين بطبيعة واحده للمسيح – إلا أن اختلاف الفهم نظراً لإختلاف لهجة اللغة توجد ارتباكاً فى الفرائض الدينية. وبناء على ذلك رَسَم مطراناً لأورشليم تابعاً للكرسى المرقسى، وأرسله حالاً إليها فاعترض الأساقفة على هذا الصنيع وعدُّوه انشقاقاً بين كنيستي أنطاكية والاسكندرية».

+ فلم يلتفت إلى اعتراضهم، لكنهم تجحوا فى حملِه على إرسال مندوب إلى بطريرك أنطاكية الذى كان مقيماً وقتئذ فى أورشليم ـ يطلب إليه الإعتراف بالمطران الجديد. فلما وصل المندوب إلى اغناطيوس البطريرك بأنطاكية رسالة قبوله رفض، وقصد إغاظة كيرلس البطريرك الأسكندرى – فعين مطراناً من قبله لكنيسة الحبشة التابعة لسلطان الكنيسة القبطية – وكان المطران الذى رسمه حبشى الجنس..

+ وبقى كيرلس بعدئذ ثمانى سنوات على كنيسته – بمساعدة أصحابه الإسلام وأخذ يرشي حكام المسلمين حتى رفت زعيم الحركة الإصلاحية، وسجنه .. وكان ذلك الزعيم راهباً يقال له (عماد) فلما سُجن خمدت نار الحركة.

+ ولكن أعماله المذمومة زادت عن الحد.. وأخيراً أجتمع أربعة عشر أسقفاً[1] يداً واحدة

---

(١) (هم يؤانس – سمنود – مرقس – طلخا ودميره – مرقس – إبيار – يؤانس – أبو صير وصندفه – إبرآم – نستروه – يوساب – فوه (المؤرخ) يوساب – دمنهور (كبير الأساقفة) خرستونولو إبن الدهيرى – دمياط – غبريال – سنهور. مرقس – نبا. مرقس – أوسيم ومنف وأسقف الخندق – خرستونولو أسيوط – بطرس – طنبدي).

سنة ١٢٣٩م «بكنيسة حارة زويله» واعترضوا على تلك الأفعال .. وبعد مداولات شديده بينه وبينهم اضطروه إلى عقد مجمع مقدس فى كاتدرائية المعلقة للنظر فى مطالب الإصلاح - فصرّح لهم بعقد المجمع،فإجتمع الأساقفة فى الكنيسة وأقروا على جملة أمور عظيمة بشأن إصلاح الكنيسة .. وبعد أن وافوه حقه (القرار)من التنقيح قدَّموه إلى البطريرك ليوقع عليه قانوناً يُرجع إليه»·

+ وقد استخرج نيل (Neale) المؤرخ الفرنسى خُلاصة ذلك الكتاب فى تاريخه وملخصه: «لا يجوز ترقية أحد من رجال الإكليروس إلى وظيفة أسقف دون أن يكون حائزاً الصفات الشخصية التى تؤهله لتلك الوظيفة - سيامة القس وترقية الأساقفة تتم بواسطة البطريرك مجاناً - يلزم تعيين لجنة من الأساقفة ذوى الخبرة - بمساعدة البطريرك فى عمل مختصر للقوانين الكنسية - عقد مجمع مقدس من الأساقفة سنوياً، فى الأسبوع الثالث بعد عيد العنصرة - لا يصرح للبطريرك ولا لأى كان من أساقفته أن يرسم أحداً لدرجة كهنوتية خارج حدود أبروشيته - لا يجوز للبطريرك أن يجبر أسقفاً على رسم من يكون لائقاً لدرجة الكهنوت بدون إرادة ذلك الفرد - لا يلزم قبول شكوى من الرهبان على بعضهم .. وأن الذى ينظر فى تلك الشكاوى .. ينبغى أن يكون من غير العلمانيين»·

+ وبعد أن قرأ كيرلس القانون المذكور رفض أن يُوقع عليه بإسمه - وتعلل بعلل لم ترق فى عيون الأساقفة .. وأخيراً هددوه قائلين: «إنه أن لم يوقع على القرار يلتزمون أن يمتنعوا عن تناول القربان المقدس معه»·

* «فلما رآهم مُصرّين على ذلك اضطر أن يوقع على ذلك القانون، وعلى ذلك عملوا مختصراً للقوانين الكنسية، وهو عبارة عن كتيب يحتوى على ١٩ قسماً فى خمس فصول والذى عمل هذا المختصر·هو صفى الملقب بإسم العسال»(١).

* «وكان لأسقف مصر أنبا بولس البوشى الفضل فى نُصح واقناع رئيسه البابا كيرلس الثالث بعد اضطراب حياته بالإلتجاء إلى حياة الوحدة والإنفراد .. وظل البابا كيرلس معتزلاً فى دير بالجيزة إلى أن تنيَّح فى يوم ١٤ برمهات سنة ٩٥٩ ش ١٠ مارس سنة ١٢٤٣م»(٢)



(١) بوتشر، المصدر السابق، جـ ٢ ص ١٥٩ : ١٩٥ ـ ٢٠٥.

(٢) مطبوعات دير السريان العامر - كيرلس الثالث، ص ١٢٦.

الفصل الرابع

الحروب الصليبية أيام الأيوبيين

+ استولى الصليبيون على بيت المقدس سنة ١٠٩٩م – وأسسوا أمارات لاتينية بها وبأنطاكية والرها .. وفتحوا يافا سنة ١١٠١م – وفى سنة ١١٠٢م حارب المصريون بقرب عسقلان الملك بلدوين فهزموه إلى يافا – وأعادوا الرملة إلى العرب .. وهاجم العرب الفرنجة فى يافا، ولكنهم عادوا بدون طائل – وكان ذلك أيام الوزير الأفضل إبن بدر الجمالى.

+ وفى سنة ١١١٧م زحف الملك بلدوين على مصر – وأحرق قسماً من الفرما، وبلغ تنيس. ثم اضطر إلى الرجوع على أعقابه لمرض اعتراه، ودُفِنت أحشاؤه فى البقعة التى تُسمّى بردويل، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

درغام وشاور والصليبيين:

* وعندما قبض شاور على زمام الوزارة نازعه فيها درغام حاجب الخليفة العاضد الفاطمى واغتصبها. «وحدث فى تلك الإثناء خلاف بين درغام الوزير وأملريك ملك الفرنج فى أمر الجزية. فحمل أملريك على مصر، وهزم درغاماً فى بلبيس .. وبينما هو فى نزاع معهم – اتصل به خبر مساعى شاور لدى نور الدين، فحاول استرضاء الأفرنج ومحالفتهم على عدّوه – ولكن نور الدين لم يُمهله - بل عّبأ جيشاً جراراً وأرسله مع شاور بقيادة الأمير أسد الدين شيراكوه وابن أخيه صلاح الدين - فهزم المصريين فى بلبيس، وتابعوا السير إلى القاهرة – فحاصروها مدة. ثم دخلوها وقتلوا درغاماً وعاد شاور إلى الوزارة».

* « وكان قد عاهد نور الدين على أن يعطيه ثلث دخل البلاد – وأن يأتمر بأمره ويقيم شيراكوه بمصر، بعساكره – بحمايته – فنقض العهد – فعوّل شيراكوه على تنفيذ الإتفاق بالقوة .. وأرسل صلاح الدين لإحتلال بلبيس وما يليها».

* «فإستنجد شاور بأملريك – فأمده بجيش قاتل صلاح الدين ثلاثة أشهر على أنه اضطر للرجوع إلى فلسطين لمساعدة قومه على نور الدين».

+ أما شيراكوه فأصبح موقفه فى مصر حرجاً، لقلة المؤنة لديه ووجوده بين عدوين. فعقد الصلح وعاد إلى الشام ..

+ وعاد إلى مصر بحملة أخرى سنة ١١٦٧م – فتتبعه الملك أملريك – وسار الجيشان على ضفتى النيل إلى القاهرة – فعسكر أسد الدين شيراكوه قرب الجيزة – ونزل ملك الفرنج قرب الفسطاط – ثم عبروا النيل ليلاً إلى ناحية الأعداء فسار شيراكوه من أمامهم إلى الصعيد .. وتلاحم الجيشان – عند المنيا «وكانت الغلبة لشيراكوه» – ورجعوا إلى القاهرة وصار صلاح الدين حاكماً على الأسكندرية ..

+ فجمع الفرنجة والمصريون جموعهم وساروا إلى الأسكندرية لقتال صلاح الدين بينما كانت سفن الفرنجة تحاصر شواطئها – فإشتد الضيق على الأسكندريين – وطلبوا التسليم – ولكن صلاح الدين أقنعهم بوجوب المقاومة حتى تأتيهم النجدة من عمه. فظل الحصار ٧٠ يوماً حتى وصل شيراكوه من الصعيد إلى القاهرة وحاصرها حصاراً شديداً. فحمل شاور وحلفائه على ترك الأسكندرية وعقد الصلح بين المتقاتلين على أن تظل مصر للمصريين وأن ينسحب عنها شيراكوه مقابل مبلغ يتقاضاه من المال».

* «أما الفرنجة فقد أبقوا فى القاهرة نائباً عنهم – وبعض الحامية وزادوا الأتاوة التى كانوا يتقاضونها من مصر. ثم طمع من بقى منهم فى مصر للإستيلاء عليها – فإستدعوا ملكهم من أورشليم – وجاءهم بجيشه وفتح مدينة بلبيس عنوة سنة ١١٦٨م – وجرت فيها مقتلة عظيمة وأحرق المصريون الفسطاط، لئلا تقع فى يد الفرنجة فظلت النيران متقدة فيها ٥٤ يوماً».

* «ولم يكن للخليفة العاضد يد فى كل هذه الحوادث، لأن شاور لم يترك له نفوذاً ولكن لما بلغت بلاده هذه الحال استنجد بنور الدين. فأرسل إليه جيشاً معقود اللواء (قائده) لأسد الدين شيراكوه ولصلاح الدين.

+ فتقهقر الفرنجة إلى فلسطين بدون قتال ودخل جيش نور الدين القاهرة منصوراً وخلع الخليفة على شيراكوه خلعاً ثميناً (هدية) ثم أغراه على قتل وزيره شاور. فقتله

.. ويعث إليه برأسه· ثم صار وزيراً· وبعد موته صار ابن أخيه صلاح الدين الوزير بعده إلى أن مات العاضد»[1].

بين صلاح الدين والصليبيين:

+ زحف على دمياط مانوئيل الأول امبراطور القسطنطينية – وأموري «أميلريك» ملك أورشليم سنة ١١٦٩م ودخلوا برجالهم البلاد· فأجلاهم صلاح الدين عنها .. وفي سنة ١١٧٠م – فتح إيلات على خليج العقبة – وحصنها .. وعقد صلاح الدين هدنة مع الفرنج – وفي سنة ١١٧٧م – أخل الفرنجة بشروط الهدنة واعتدوا على ضواحي دمشق – فخرج عليهم صلاح الدين وحاربهم بقرب الرملة· فهزموه ونجا هو بنفسه· على أنه حشد جيشاً جديداً بعد ذلك في حمص– وعاود الكّرة على الأعداء – سنة ١١٧٩م – وانتصر .. وفي سنة ١١٨٠م سار صلاح الدين لقتال الفرنج· فخافه ملكهم بلدوين – وعقد معه هدنة لسنتين.

+ ودخل صاحب الكرك البحر الأحمر وأمسك فيه مراكب الحجاج – فتحول صلاح الدين إلى الفرنج وخرّب لهم عدة حصون .. فعقدوا معه هدنة جديدة لأربع سنوات.

+ وكان صلاح الدين يأنف من مبادأة الفرنج العداء .. ففتح له البرنس (الأمير) ارناط صاحب الكرك باباً للقتال، ذلك أنه اعتدى على قافلة كانت سائرة تحت أسوار حصنه وسلبها أموالها وكانت معها أخت لصلاح الدين· فأقسم أخوها أن يقتله بيده.

+ ولم يلبث أن زحف على الصليبيين سنة ١١٨٧م – ففتح طبرية وتقدم إلى تل حطين حيث تحصن أعداؤه .. فهزمهم وبينهم البرنس أرناط.فقتله وبرّ بقسمه·

+ ثم تابع القتال وحالفه النصر بفتوحاته القدس حيث أسر ممن فيها ١٦ ألف من الرجال والنساء والأولاد – وأخرج منها ٦٠ ألفاً· وبلغ ما تقاضاه من مال الفدية ٣٠٠ ألف دينار .. ولم يبق للفرنج ملجأ يأوون إليه إلا صور – وقد نوى صلاح الدين فتحها ولكن أمراء الفرنج الذين كانوا أسرى – أقسموا له أن لا يعودوا إلى قتاله[2].

---

(١) هند أسكندر تاريخ مصر ١٧٩·

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٤.

صلاح الدين والحملة الثالثة الصليبية:

+ قام ملوك ألمانيا وفرنسا وانجلترا ليقاتلوا صلاح الدين. فمات ملك ألمانيا فردريك بربروسا غريقاً - فى آسيا الصغرى - ورجع ملك فرنسا - فيليب أغسطس «فلاقاه ملك انجلترا «ريكاردوس» وكانت بينهما حروب تعب منها الفريقان - فعقدا فى الرملة معاهدة إلى ثلاث سنوات على أن يكون للفرنج الشواطئ من يافا إلى عكا - فصور فطرابلس فأنطاكية. وأن يكون للحجاج منهم أن يزوروا الآثار المقدسة بأورشليم. قضى صلاح الدين خمس سنوات فى قتال الصليبيين (١١٨٧م - ١١٩٢م) ولم ينعم كثيراً بثمرة فوزه. فقد أصابته حُمًّى أودت بحياته سنة ١١٩٣م(١).

الملك العادل والحملتان الصليبيتان الرابعة والخامسة:

+ **والحملة الرابعة**: وأن كانت قد ذهبت إلى القسطنطينية - وتأسس بواسطتها هناك إمارات لاتينية إلا أنهم «قد أغاروا على شواطئ مصر» فردهم الملك العادل عنها خاسرين. وحروب أخرى أدت إلى عقد هدنة .. ألا يعودوا إلى القتال».

+ وفى سنة ١٢٠٥م مات الملك اميلريك وخلفته ابنته مارى. ثم تزوجت بأحد أمراء الصليبيين وهو يوحنا دى بريان - ولكن «العادل» لم يركن إلى هذه العهود. فتحالف مع أهل البندقية سنة ١٢٠٨م على أن يكونوا سداً فى وجه الأفرنج يمنعهم من الزحف على مصر. وأن يُسّهل لهم العادل لقاء ذلك وسائل الإتجار على النيل ومع البلاد المصرية .

+ **الحملة الصليبية الخامسة**: وفى سنة ١٢١٧م رست على عكا الحملة الصليبية الخامسة يقودها يوحنا دبريان، وعادوا إلى الحرب عازمين على استرجا ع القدس.

+ وقد كانت لهم مع المسلمين صراعات آلت إلى نزولهم على دمياط - سنة ١٢١٨م بينما كان العادل فى الشام - فخرج الكامل بجيوشه لقتالهم - وأمده أبوه بنجدات من الشام. ثم سار إلى نجدته بنفسه .. فعاجلته منيته فى الطريق. وحُمِل إلى دمشق.

(١) هند أسكندر، المصدر السابق، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٢) اتجه الصليبيون بعد الحملة الخامسة الي مصر.

الكامل والحملة الصليبية السادسة (١٢١٨ - ١٢٣٨م):

+ استلم الكامل زمام الأمور بعد موت أبيه. وألح الصليبيون علي القتال .. وحاصروا دمياط[1] ففاوض الفرنج في الصلح - فعرض عليهم إن هم تحولّوا عن دمياط - جعل مملكة أورشليم كما كانت سنة ١١٨٧م - قبل فتح صلاح الدين. فأبوا وظلوا يقاتلون حتى فتحوا المدينة .. ثم قضوا في دمياط سنة ونصف في نزاع بينهم .. وكان الكامل في تلك الإثناء قد بنى حصوناً منيعة على النيل جنوب دمياط - عند قرية، سماها «المنصورة» ودعا قومه للجهاد، فلبوا نداءه .. وصار الفرنج جنوباً فإعترضت سيرهم حامية المنصورة وفتحت عليهم سدود النيل من كل صوب فغمرت المياه الأراضي حول الصليبيين ورأى الفرنج حرج موقفهم فحاولوا الهرب ليلاً إلى دمياط فداهمهم المسلمون وكسروهم بعد قتال شديد. فسلم الفرنج وطلبوا الأمان على أن يرحلوا عن البلاد - وأن يمتنعوا عن محاربتها ثماني سنوات .

+ وكان امبراطور ألمانيا فردريك الثاني ممن صحبوا الصليبيين إلى سوريا سنة ١٢١٥م وانجدوا الفرنج في دمياط سنة ١٢٢١م - وقد تزوج سنة ١٢٢٥م - ابنة يوحنا دي بريان الملقب بملك أورشليم .. وفي سنة ١٢١٨م - عقد مع الكامل المعاهدة - وتعهد له بأن ينصره على أعدائه مسلمين ونصارى. وأن يمنع عن أمراء الفرنج في طرابلس وانطاكية وغيرها كل نجدة قد تأتيهم من الخارج.

+ وأطلق الكامل لقاء ذلك سراح الأسرى الفرنجة وتنازل لفردريك عن القرى بين عكا ويافا وبين اللد والقدس - واشترط عليه ألا يجدد سور هذه المدينة - وأن يبّقى (مسجد) الصخرة والجامع الأقصى في أيدى المسلمين - فإطمأن فردريك لذلك - وعهد في أمور أملاكه الجديدة إلى من وثق بهم من رجاله. وأقلع من عكا إلى إيطاليا »[2]

الصليبيون والسلطان الصالح (١٢٤٠ - ١٢٤٩م):

+ اتفق عمه في دمشق مع الصليبيين ضده. فحالف الصالح الخوارزميين. فانضموا

---

(١) اتجه الصليبيون - بعد الحملة الخامسة الي مصر.

(٢) هند اسكندر، تاريخ مصر، ص ١٩٥ - ١٩٩ .

إلى جيشه وحاربوا معه الفرنج – واستولوا على القدس سنة ١٢٤٤م – وسار الصالح إلى دمشق فأخضعها سنة ١٢٤٥م.

الحملة الصليبية السابعة :

+ أعد لويس التاسع ملك فرنسا – المعروف بالقديس لويس – عُدتّه للزحف على مصر – ولما انتهى إلى الصالح خبر وصوله إلى مصر وكان لايزال مريضاً فى دمشق – قدم إلى مصر محمولاً وأرسل فى الحال المؤن والأسلحة وسائر معدات الحرب إلى دمياط ولما بلغوا دمياط. قابلهم الفرنج – ففروا من وجههم إلى أشمون طناح .. وأما الملك لويس فدخل دمياط، ولكنه ظل فيها نحو ستة أشهر فأضاع فرصته الوحيدة للتوغل فى البلاد وامتلاكها – بينما كان الملك الصالح مريضاً.

طوران شاه (١٢٤٩ - ١٢٥٠م):

+ مات الملك الصالح فيما بين النهرين – فكتمت زوجته شجرة الدر خبر موته – وأوهمت الأمراء والأعيان أن السلطان يأمر بإستدعاء ابنه طوران شاه ومبياعته، فبايعه الأمراء. وسار الفرنج على فارسكور وظلوا زاحفين حتى المنصورة – وكانت هناك معارك بين الفريقين، فبرز مماليك الصالح .. وقاتلوا بجلد بقيادة بيبرس و هزموا الفرنج. على أن لويس ظل يقاتل .. وفى تلك الإثناء وصل طوران شاه فإشتد به أزر المسلمين وهاجموا الفرنج براً وبحراً – فتقهقر الصليبيون وتتبعهم طوران شاه إلى أن أدركهم غرب فرسكور – حيث هزمهم وأسر ملكهم (لويس).

+ ثم عقد الصلح مع الصليبيين على أن يُسلموا دمياط وأن يدفع ملكهم ١٠ ملايين من الفرنكات، فدية نفسه، بعد أن أُسِر فى دار ابن لقمان بالمنصورة.

+ وحدث أن عزل «طوران شاه» مَنْ كانت فى يدهم الأمور من المماليك. وولى مكانهم رجالاً ممن جاءوا معه – وأساء إلي زوجة أبيه «شجرة الدر» فثار عليه المماليك وهمُّوا بقتله. ففر منهم إلى برج كان قد أقامه فى فرسكور للحصار – فأحرقوا البرج. فألقى بنفسه فى النيل – فأدركوه وقتلوه سنة ١٢٥٠م – وهو آخر ملك من

ملوك الأسرة الأيوبية. وقد قامت بموته - على انقاض دولتهم - دولة المماليك البحرية(١).

حالة الأقباط أيام الصليبيين:

+ في سنة ١٢٠٤م في أيام الملك العادل فاجأ الأفرنج مصر من جهة رشيد وتقدموا إلى فوه. وتحصنوا فيها - وكانت خاصة بالأقباط ولها أسقف مخصوص - فقتلوا كثيرين وطردوا غيرهم .. ونهبوا البعض - والبعض الآخر لم يسعه الا الهرب - أما الأسقف فلما وجد نفسه وحيداً تركها وذهب إلى مصر. وأقام بها حتى وُلِيّ مطراناً على بلاد الحبشة».

+ «أن وجود الصليبيين - في البلاد المصرية - لم يعد على «سكان البلاد» بالفائدة المطلوبة، لأن الصليبيين كانوا يعتقدون أن الأقباط هراطقة - ما داموا خارجين عن المذهب الكاثوليكي - وليسوا تحت سلطة البابا».

+ وقد زاد التعصب الديني - عند الإسلام - على المسيحيين عموماً لما شاهدوه من تأثير الغزو، الذي قام به المسيحيون اللاتين - **وكانت عواقب ذلك كله واقعة على رؤوس الأقباط المساكين..** فسواء كان الغالبون هم الصليبيين أو المسلمين - فإن للأقباط من كليهما نصيباً وافراً من الضيق .. وبلغ من عنف المسلمين يومئذ أن الجنود التي أرسلت لإنقاذ دمياط من أيدي الصليبيين صارت تهدم كل كنيسة قبطية انتقاماً من النصارى عموماً. وكانت بالأسكندرية كنيسة قبطية عظيمة - قديمة العهد - بإسم مارمرقس هدمها المسلمون(٢) عن آخرها خوفاً من أن يباغت الصليبيون مدينة الأسكندرية من أجلها ويتخذوها حصناً بسبب متانة بنائها وكثرة أعمدتها - وبعد أن هدموها - حولوُها جامعاً. .«ولاتزال آثارها باقية بقرب باب القباري(٣).



---

(١) هند أسكندر، المصدر السابق ص ٢٠١.

(٢) كل ذلك أيام حصار دمياط في عهد الملك الكامل. «جورجي زيدان» تاريخ مصر الحديث، ص ٣٤٤ جـ ١.

(٣) بوتشر، المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٨٣.

الفصل الخامس

مشاهير الأقباط فى عهد الأيوبيين

القديس برسوم العريان:

+ هـو إبن كاتب الملكة شجرة الدر - ويسمى الوجيه، وأمه من عائلة التبان - وقد رُزِقا به فى سنة ١٢٥٧م - ولما تنيح أبواه استولى خاله على كل ما تركاه - فلم ينازعه القديس بل ترك هذا العالم وعاش عيشة الأبرار السواح خارج مدينة القاهرة ٥ سنوات.

+ ولم يكن يلبس سوى عباءه من الصوف، ثم حبس نفسه داخل مغارة أسفل كنيسة القديس أبى سيفين بمصر القديمة مدة عشرين سنة، ملازماً الأصوام والصلوات، وكان فى تلك المغارة - ثعبان - ورسم القديس ذاته بعلامة الصليب وتقدم نحو الثعبان قائلاً «تطأ الأفعى والحيات وتدوس الأسد والتنين. الرب نورى وخلاصى». ورسم عليه علامة الصليب، ولم ينتهِ من صلاته حتى تحوَّل من طبعه الوحشي، وصار أليفاً».

+ وفى أيامه، لحق بالشعب المسيحي اضطهاد عظيم - وأُغلقت الكنائس، وأُلزِم المسيحيون بلبس العمائم الزرقاء .. ثم قبض الوالى على القديس وسجنه، بعد أن ضربه كثيراً. فلم يتزعزع إيمانه. بل ظل صابراً على بلواه، حتى مَنّ الله عليه بالإفراج. فذهب إلى دير شهران (بالمعصرة شمال حلوان) وأقام فوق سطح الكنيسة وزاد فى نسكه - ولم يستبدل عمته البيضاء، ولم يجسر واحد أن يُلزمه بلبس الأزرق لأن قوة الله كانت معه. وقد أكثر من الطلبة حتى رد غضبه عن شعبه. ولما أكمل سعيه تنيح بسلام سنة ١٣١٧م - وكان عمره ٦٠ سنة(١).

ومن رجال الدين أشتهر:-

١- **القس بطرس السدمنتى:** كان من علماء اللاهوت وألف كتاب: التصحيح فى الآلام السيد المسيح(٢).

٢- **القس شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر(٣):** كان قساً بكنيسة المعلقة وهو عالم

(١) سنكسار ٥ النسيء. (٢) راجع طبعة المحبة لهذا الكتاب من إعدادنا.

(٣) كان كاتباً عند أحد الأمراء أيام خليل قلاوون. واعتزل الخدمة سنة ١٢٨٣م عندما أقصى الأقباط - وصار قساً نحو سنة ١٣٠٠م على كنيسة المعلقة ولما أغلقت وأعيد فتحها سنة ١٣٠٣م ألقى خطبة بليغة وخدم الكنيسة نحو ٢٥ سنة «صور من تاريخ القبط، جمعية مارمينا بالأسكندرية، سنة ١٩٥٠م ص ٢٦٧ - ٢٨٢».

فاضل. ألّف كتاب **مصباح الظلمة وايضاح الخدمة** يتضمن جملة فوائد دينية وأدبية[1]، وله خطب تتلى في الكنائس وجلاء العقول في علم الأصول - رسالة البيان الأظهر وفيه الرد على من يقول بالقضاء والقدر - ردود على اليهود والمسلمين والسلم الكبير[2]. (وهو قاموس قبطي عربي).

٣- **بطرس أبو شاكر بن الراهب**: ويُعرف بأبي الكرم - كان شماس كنيسة المعلقة سنة ١٢٦٠م وألف كتاب «الشفا في كشف ما استتر من لاهوت المسيح وما أختفى» ومقدمة في التثليث والتوحيد، وكتاب أبقُطي (حساب الأعياد) ذو مقدمة أضافية بالقبطية والعربية.

ومن العلمانيين الذين اهتموا بالتأليف:

١- **جرجس بن العميد**: ويعرف بإبن المكين كاتب الجيش - ومن تأليفاته تاريخ مدني في جزئين - وقد تُرجم منه أخيراً الجزء الثاني إلى الفرنسية - وكتاب الحاوي ضمنه حل اعتراضات على الدين المسيحي وفسر بعض الآيات المعضلة من الإنجيل[3] وكمل تاريخ الطبري.

٢- **علم الرئاسة ابن كاتب قيصر**: كاتب الأمير علم الدين قيصر .. وضع مقدمة في قواعد نحو اللغة القبطية معروفة بكتاب التبصرة وألّف كتاباً في تفسير سفر الرؤيا.

٣- **أولاد العسال**: من أصل قبطي ويستدل على أنهم كانوا غالباً من سدمنت بالوجه القبلي ولكنهم سكنوا مصر. وبعضهم كان موظفاً بالحكومة والبعض الآخر تفرغ لخدمة الله - وكانت لهم منزلة رفيعة في عهد الأيوبيين ولاسيما أبو اسحاق الذي كان مصاحباً لهم في الشام. وكان لهم مركز رفيع في الكنيسة فإنتخب أحدهم وهو الصفي أبو الفضائل في وقت الخلاف الذي حصل أيام البّطريرك كيرلس بن لقلق ليكون كاتم أسرار مجمع محلي لفض الخلاف، في توت سنة ٩٥٥ ش - ويقول المرحوم الأغومانُس فيلوثاوس «إن عائلة بني العسال تتصاعد في النسب إلى رجل قبطي أرثوذكسي يُدعىَ أبا البشر يوحنا الكاتب المصري .. وقد أنجب الشيخ الأجّل فخر الدولة أبو الفضائل أسعد، والد هؤلاء الأفاضل».

---

(١) راجع طبعة هذا الكتاب من إعدادنا (مكتبة المحبة).

(٢) صور من تاريخ القبط، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٣) راجع طبعته الموجزة من إعدادنا باسم «موسوعة علوم الدين لإبن المكين». (طبعة مكتبة المحبة).

+ ومما اعتاده بعض كتبة ذلك الحين أن يكنوا رجال هذه العائلة غالباً بأبى الفضائل وأبى الفضل – وما أشبه – وكان لأولاد العسال معرفة بليغة بعلوم كثيرة، واشتهروا بجودة خطهم العربي والى عائلتهم ينُستب الخط الأسعدى غالباً. وهذا فضلاً عن الخط اليونانى القديم المستعمل الآن فى اللغة القبطية. والذين اشتهروا منهم بالفضل والمعرفة من أولاد الشيخ أبو الفضائل .. وما عُثر عليه من مؤلفاتهم ما يلي:

أ – **الشيخ الفاضل مؤتمن الدولة أبو اسحق**: مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين وهو من أوسع الكتب اللاهوتية – التبصرة المختصرة فى اللغة القبطية – آداب الكنيسة – خطب الأعياد السيدية وغيرها – السلم المُقفّي والذهب المُصفّى – وهو قاموس قبطى عربى – مقدمة فى رسائل بولس الرسول.

ب – شقيقه الفاضل الحكيم **الأسعد أبو الفرج هبة الله** – «تنّسك بعد ترمله»[1] وله:

مقدمة أجرومية فى قواعد اللغة القبطية – مقابلة وتصحيح لترجمات الأناجيل الأربعة – فى مقدمة رسائل بولس الرسول التى صنفها أخوه المؤتمن – حساب الأبقطى – وفيه بعض قواعد فلكية وتاريخية وجدول للبطاركة – أرجوزه فى هذا الحساب شرحها البابا يوحنا ١٠٧ – وقد عبثت الأيدى برسائل أخرى عن الأنفس بعد مفارقتها لأجسادها.

جـ – شقيقهم الشيخ الفاضل **الصفى أبو الفضائل الأمجد**: «كتاب الصحائح فى الرد على النصائح» – كتاب فى الرد على المدعين تحريف الإنجيل – جامع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوى – الكتاب الأوسط – فصول مختصرة فى التثليث والتوحيد – حواشى على مناظرات الشيخ عيسى .. مع ابن عدى – واجوبته على اعتراضات عبدالله الناشى – وأرجوزة فى المواريث – وله كتاب كفاية المبتدئين فى علم القوانين – ولكن لا أثر له»[2].

٤– **أنبا ميخائيل الأتريبى الشهير «بالجميل» أسقف مليج**: كان من كتبة القرن ١٣. وله عدة مؤلفات أشهرها السنكسار القبطى .. وكتاب الطب الروحانى .. ومقالة عن خلاص المسيح»[3].

(١) من مطبوعات دير السريان العامر، البابا كيرلس الثالث ص ١١٤ .

(٢) القمص منسى، المصدر السابق، ص ٥٦٥ – ٥٦٨ .

(٣) من مطبوعات دير السريان العامر، أنبا كيرلس الثالث، ص ١٢٤ .

الباب الرابع

دولتا المماليك

+ اشترى الملك الصالح - زوج شجرة الدر - مماليك كثيرين (وهم من الأسري من جنوب شرق أروبا، وتم تدريبهم للقتال)، لتوطيد عرشه - وكان منهم من أُشتري بألف دينار - فسُمِّي الألفي - وقد ظهرت مساعدتهم لملكته عندما انتصروا على لويس التاسع ملك فرنسا: «ابتنوا بأمر الملك الصالح قصوراً عظيمة متقنة البناء منيعة الجانب في جزيرة الروضة قرب المقياس - وقد زادها مركزها الطبيعي مناعة وجمالاً لأن النيل يتفرع هناك إلى فرعين وكان يُدعَى عند نقطة تفرّعه "بالبحر الأعظم" لاتساعه. فسُمّيَ هؤلاء بالمماليك "البحرية" - ومنها اسم دولتهم، تمييزاً لهم عن دولة أخرى ستأتي بعدها - وتُدعى بدولة المماليك "الشراكسة"[1]».

✤ ✤ ✤

الفصل الأول

المماليك البحرية (١٢٥٠ - ١٣٨٢م)

١- الحكام والأقباط

أيبك زوج شجرة الدُّر، والقديس لويس:

+ في سنة ١٧٥٠م بويع عز الدين أيبك[2] على مصر ولقب بالملك المعز - الجاشنكير - وتزوج بشجرة الدُّر، فضم حزبها إلى حزبه، وفي خلال ذلك نهض سلطان دمشق ناصر الدين يوسف الأيوبي للأخذ بثار الملك المعظم «طوران شاه» فدَعَى إليه أقرباءه أمراء العائلة الأيوبية - للمساعدة على ذلك - فاستعد لويس التاسع ملك فرنسا

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، جـ ٢، ص ٤ .

(٢) «لما قُتِل أيبك وتولى ابنه نورالدين، صادق الأمراء على تعيين شرف الدين هبة الله (تادرس) القبطي الأصل، فأظهر كفاءة سياسية وطبية .. كان من مبدئه التظاهر بحب المسلمين وكراهته للنصارى .. ضغط على إخوانه الأقباط - وضاعف الضرائب - ولما حصلت ثورة. ظهر شرف الدين أكثر إخلاصاً لسيده نور الدين .. فقبضوا على شرف الدين، وتم سجّنه ثم صلبوه على باب القلعة» (بوتشر، المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٤٥ .

وكان إذ ذاك في عكا، على أن يُعيد له مقابلة لذلك بيت المقدس. فأرسل ملك فرنسا إلى ناصر الدين راهباً لعقد المعاهدة وأنفذ إلى المماليك فى مصر مندوباً يطلب إليهم التعويض على نكث المعاهدة التى عقدوها مع الصليبيين ـ وكان من صالحهم الإتفاق مع الصليبيين على سلطان دمشق.فأجابوا مطالبه ـ وأطلقوا عدداً كبيراً من الآسرى المسيحيين – وبعثوا بهم إلى عكا وأرفقوهم بمندوبين لتجديد المعاهدة .. فاقترح لويس التاسع أن يُضَاف إليها ما يلي:–

١– إرجاع رؤوس الصليبيين التى كانت مغروسة على متاريس القاهرة.

٢– إرجاع جميع الأولاد الذين كانوا قد أُجبروا على الإسلام.

٣– التنازل عن المائتي ألف دينار التى تعّهد الصليبيون بدفعها لسهم، بمُقتضَى معاهدة المنصورة. فرضي المماليك بجميع ذلك وأهدوه فوقها فيلاً .. وتبرعوا أن يُعيدوا إليه بيت المقدس إذا تغلبوا على سلطان دمشق.

+ فإتصل آمر تلك المخابرات بسلطان دمشق. فأنفذ فرقة، تحول دوم اتحاد الجيشين فعثروا بالمصريين فى غزة – فناهضوهم حتى أرجعوهم إلى الصالحية – فأنجدهم الفارس انطاس. فأعادوا السوريين على أعقابهم إلى سوريا(١).

تعليمات للأقباط فى عهد الملك خليل قلاوون (١٢٩٠ - ١٢٩٣م)

* «فى سنة ٦٨٢ هـ كانت واقعة النصارى. ومن خبرها أن الأمير سنجر الشجاعى كانت قسوته شديدة فى أيام الملك المنصور قلاوون – فكان النصارى يركبون الحمير بالزنانير فى أوساطهم ولا يجسر نصرانى أن يحدث مسلماً وهو راكب .. ولا يقدر أحد منهم أن يلبس ثوباً مصقولاً .. فلما مات الملك المنصور وتسلّطن من بعده الملك الأشرف خليل – خدم الكتّاب النصارى عند الأمراء الخاصكيه وقووا نفوسهم على المسلمين وترفعوا فى ملابسهم وهيئاتهم – وكان منهم كاتباً عند خاصكى يُعرّف بعين الغزال».

+ فصادف يوماً فى طريق مصر سمسار مخدومه فنزل السمسار عن دابته – وقبّل رجل الكاتب فأخذ يسبّه – ويهدده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الأمير – وهو

(١) جورجي زيدان،تاريخ مصر الحديث، جـ ٢ ص ٦ .

يترفق له ويعتذر فلا يزيده ذلك عليه إلا غلظة. وأمر غلامه فنزل وكتف السمسار وضربه والناس تجمعت عليه حتى صار إلى قُرب جامع أحمد بن طولون ومعه أُناس كثيرون.. وما منهم إلا من يسأله أن يُخلى السمسار، وهو يمتنع عليهم .. فتكاثروا عليه – وألقوه عن حماره – وأطلقوا السمسار – وكان قد قرب من بيت أستاذه فبعث غلامه لينجده – بمن فيه فأتاه بطائفة من غلمان الأمير، فخلصوه من الناس – وشرعوا في القبض عليهم – ليفتكوا بهم».

* «فصاحوا عليه بما لا يحل. ومروا مسرعين إلى أن وقفوا تحت القلعة واستغاثوا – قائلين: «نصر الله السلطان».فأرسل ليكشف الخبر، فعرّفوه ما كان من استطالة الكاتب النصراني على السمسار. وما جرى لهم».

* «فطلب عين الغزال ورسم للعامة بإحضار جميع النصارى وطلب الأمير بيدر النائب والأمير سنجر الشجاعي، وتقدم إليهما بين يديه ليقتلهم – فمازال به حتى استقر الحال على أن ينادى في القاهرة ومصر ألا يخدم أحد من النصارى واليهود عند أمير .. وأمر الأمراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكُتّاب النصارى الإسلام – فمن امتنع عن الإسلام ضُرِبت عنقه.ومن أسلّم استخدموه عندهم».

* «ورُسِم للنائب بعرض جميع مُباشرى ديوان السلطان، ويفعل فيهم ذلك .. فنزل الطلب لهم وقد اختفوا .. فصارت العامة تسبق إلى بيوتهم وتنهبها – حتى عم النهب جميع النصارى واليهود. وأخرجوا نساءهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيدهم. فقام الأمير بيدر النائب مع السلطان للنظر في آمر العامة – وتلطف به حتى ركب والى القاهرة ونادى من نهب بيت نصراني شُنق – وقبض على طائفة من العامة وشهّرهم بعد ما ضربهم.فتوقفوا عن النهب، بعدما نهبوا كنيسة المعلقة.وقتلوا منها جماعة».

٢ «ثم جمع النائب كثيراً من النصارى من كُتّاب السلطان – والأمراء وأوقفهم بين يدّى السلطان عن بُعد منه. فرسم للشجاعى والأمير بيدر أن يأخذا معهما مجموعة وينزلوا إلى سوق الخيل تحت القلعة ويحفروا حفرة كبيرة، ويلقوا فيها الكُتّاب الحاضرين، ويضعوا عليهم الحطب، ويشعلوا فيهم ناراً».

+ فتقدّم الأمير بيدر وشفع فيهم ـ فأبى السلطان أن يقبل شفاعته – وقال: «ما أريد في

دولتى ديواناً نصرانياً» فلم يزل به، حتى سمح بأن من أسلم منهم يستقر فى خدمته ومن امتنع ضُرِبت عُنقه».

* «فأخرجهم إلى دار النيابة وقال لهم: «يا جماعة، ما وصلت قُدرتى مع السلطان فى أمركم إلا على شرط وهو أن من اختار دينه قُتِل .. ومن اختار الإسلام كافأه».

فأحضر العدول – واستسلمهم. وكتب بذلك شهادات عليهم. ودخل بها على السلطان فألبسهم تشاريف» (وماذا استفادوا بعد متعة قليلة)؟!

* «وأخذهم إلى مجلس النائب وقد جمع به القضاة .. فجددوا اسلامهم بحضرتهم فصار الذليل منهم بإظهار الإسلام عزيزاً يبدى من اذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كان يمنعه نصرانيته من إظهاره – وما هو إلا كما كتب بعضهم إلى الأمير بيدر النائب يعلن حقيقة ضعاف النفوس، وكما ذكره المقريزي:

أسلم الكافرون بالسيف قهراً وإذا ما خلوا فهم مجرمون
سلموا من رواح مالٍ وراحٍ فهم سالمون لا مسلمون(١)

واقعة هدم الكنائس واحراق الجوامع والملك الناصر قلاوون (١٣١٠ - ١٣٤١م):

+ أن الملك الناصر أراد أن يبنى ميداناً فسيحاً بالجهة المعروفة الآن بالناصرية وكانت فى الموضع الذى اختاره كنيسة للأقباط تسمى كنيسة الزهرى – واسعة الأطراف. مُحكَمة البناء .. وكان بها كثير من النصارى – وحولها أيضاً عدة كنائس.

+ فأشار عليه المتعصبون بهدمها. لأنه لا يصح أن تكون للنصارى كنيسة ظاهرة بهذه الكيفية – أما هو فلم يرد أن يهدمها – بل أمر أن يحفر ما حول جدرانها حتى تنهار من نفسها .. ولما كانت على جانب عظيم من المتانة استمرت واقفة ولم تسقط. فإغتاظ المسلمون. وتقوّوا على الأقباط، لما رأوا السلطان يدافع عنهم .. وكثرت حينئذ العمارات فى العاصمة.فتواطأ المسلمون مع بعض الأمراء على هدم الكنائس –

---

(١) المقريزي، القول الإبريزي، مطبعة النيل سنة ١٣٢٦ هـ. جـ ٤، ص ٤٠٢ – ٤٠٤.

لينتقموا من النصارى من جهة وليستخدموا أنقاضها وأدواتها فى العمارات التى كُلِفوا ببنائها - من جهة أخرى .

أ - **هدم الكنائس** - وعينوا لذلك يوم ٢١ بشنس سنة ١٣١٢م - وفى أحد أيام الجمع تجمع بعض الغوغاء وأثناء الصلاة بالجوامع ولم يشعر الأقباط إلا والهدم دائر فى كنائسهم وسلب ما بها من الأواني والمقتنيات - ورأوا كنيسة الزهرى قد امتدت إليها الأيدى فهدمتها وسلبت كل ما بها وقتل كل من كان فيها من المسيحيين.

* «ثم توجه الثائرون إلى كنيسة مارمينا فى حى الحمراء - التى كانت موضوع اعتبار الأقباط - ولكثرة النذور التى كانوا يقدمونها صارت أغنى الكنائس، حتى أقام حولها كثيرون من الرهبان والراهبات - فتسلق الرعاع تلك المساكن وتمكنوا من هدم الكنيسة حالاً - ونهبوا منها مالاً وقماشاً .. وجرار خمر - وأهلكوا كل من كان فيها .. ثم هدموا كنيستين كانتا بجوارالسبع ساقيات(١) ـ وكان إحداهما ديراً للراهبات. فأخرجوا منها أكثر من ستين راهبة ونهبوا ثيابهن .. وسلبوا كل ما وجدوه معهن».

+ وبعد ذلك أطلقوا النار فى بيوت النصارى، القائمة حول كنيسة مارمينا وحرقوا الكنائس الثلاث - ولم يكفهم ذلك فقاموا إلى بابليون التى كان يسكنها أكثر الأقباط وأغنيائهم .. قاصدين الفتك بهم .. ولكن هؤلاء شعروا بهم قبل وصولهم، فأغلقوا أبواب الحصن القديم وكان داخل سوره ست كنائس ـ واستعد الأقباط للدفاع عن أنفسهم».

* «وكانت أخبار تلك التعديات قد انتهت إلى السلطان وقيل له: «أن لم تسرع فى انقاذ أقباط بابليون هلكوا عن آخرهم» وبلغه خبر وجود عصابة أخرى كانت تسعى إلى هدم كنائس الموسكي وحارة زويله .. فسار السلطان إليهم .. وهددهم حتى امتنعوا ومن ثم اصدر أمره للأمير جانش - أن يقوم حالاً بفرقة من عساكر الخيالة لنجدة الأقباط الذين كانوا محاصرين فى قصر الشمع. فأسرع إليهم الأمير - ومعه أربعة

---

(١) هى عند فم الخليج وكانت تأخذ المياه من النيل فتنتقل بواسطة سبع سواقٍ فوق بعضها لتأتى بالمياه إلى القناة (مجري العيون الحالي) التى تذهب بها إلى القلعة .

من الأمراء – ثم تقدم قائد الفرقة ووصل منزل الأمير وحاول أن يمنعهم ويبدد شملهم فلم يفلح بل تناوله القوم بالحجارة – وفى أثناء ذلك كان الأمير قد وصل .. فرآهم شارعين فى حرق البوابة الكبيرة التى لم ينجحوا فى كسرها – فهجم عليهم هجمة شديدة – فتفرقت جموعهم وفروا هاربين. ونادى على الباقين أن يبتعدوا وإلا يقتلهم بالسيف – فإمتنعوا – ثم أقسم بأعلى صوته مهدداً كل من يبقى هناك بعد ساعة بالقتل – فإنصرف الجميع – وتفرّق الناس وبقى الأمير هناك إلى المساء خيفة أن يعودوا إلى الهجوم – وقبل أن يبرح مكانه شدد على رئيس الحرس بالمحافظة على بابليون. وترك له خمسين جندياً ليساعدوه».

* «الناس كانوا فى صلاة الجمعة من هذا اليوم «٩ ربيع الآخر سنة ٧١٧هـ» بجامع قلعة الجبل.فعندما فرغوا من الصلاة قام رجل متعصب – وهو يصيح من وسط الجامع – اهدموا الكنيسة التى فى القلعة» فإذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها .. واتفق أيضاً بالجامع الأزهر أن الناس لما اجتمعوا فى هذا اليوم لصلاة الجمعة أخذ شخص من الفقراء (في الدين) قبل أن يخرج الخطيب قال: «اهدموا كنائس الطغيان والكَفَرة – نعم الله أكبر – فتح الله ونصر» وصار يزعج نفسه – ويصرخ من الأساس إلى الأساس .. وخرج الناس إلى باب الجامع فرأوا البعض ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى – فسألوا عن الخبر فقيل قد نادى السلطان بخراب الكنائس .. وظن الناس الأمر كما قيل، حتى تبين بعد قليل أن هذا الأمر إنما كان من غير أمر السلطان»!!

* «وكان الذى هُدِم فى ذلك اليوم من الكنائس بالقاهرة كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويله وفى يوم الأحد الثالث.. ورد الخبر من الأمير بدرالدين والى الأسكندرية أنه لما كان يوم الجمعة ٩ ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة وقع فى الناس هرج وخرجوا من الجامع وقد وقع الصياح وهُدمت الكنائس وعُدتها أربع كنائس .. وأن بطاقة موقعة من والى البحيرة – بأن كنيستين فى مدينة دمنهور هدمتهما الناس بعد صلاة الجمعة من هذا اليوم .. إلى أن ورد فى يوم الجمعة ١٦ الخبر من مدينة قوص – بأن الناس عندما فرغوا من صلاة الجمعة قام رجل من الفقراء وقال اخرجوا إلى هدم الكنائس .. فوجدوا الهدم قد وقع فى الكنائس – فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها فى ساعة واحدة».

* «وتواتر الخبر من الوجه القبلي والوجه البحرى لكثرة ما هُدِم فى ذلك اليوم وقت صلاة الجمعة .. ما بين قوص والأسكندرية - ودمياط - فإشتد حنق السلطان على العامة خوفاً من فساد الحال. والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتد خوفهم من السلطان لما كان يبلغهم عند حد التهديد بالقتل .. فهرب عدد من الأوباش والغوغاء».

٢- **إحراق الجوامع**: لم يمضِ سوى شهر من يوم هدم الكنائس حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر .. فى عدة مواضع - وحصل منه الشناعة أضعاف ما كان من هدم الكنائس، فوقع الحريق فى ربع بخط الشوايين من القاهرة يوم السبت ١٠ جمادى الأول - وسرت النار إلى ما حوله .. واستمرت إلى آخر يوم الأحد. فتلف في هذا الحريق شئ كثير».

+ وعندما أُطفئ وقع حريق بحجارة الديلم .. بالقرب من دور كريم الدين(١) فى ١٥ جمادى الأولى، وكانت ليلة شديدة الريح، فسرت النار من كل ناحية - حتى وصلت إلى بيت كريم الدين وبلغ ذلك السلطان فإنزعج انزعاجاً عظيماً لما كان هناك من المحاصيل السلطانية وسَيّر طائفة من الأمراء لإطفائه .. وقد عظم الخطب من ليلة الإثنين إلى ليلة الثلاثاء - فتزايد الحال فى اشتعال النار - وعجز الأمراء والناس عن اطفائها - لكثرة انتشارها فى الأماكن وقوة الريح التى ألقت باسقات النخل وغرقت المراكب فلم يشك الناس فى حريق القاهرة كلها».

* «وصعدوا المآذن - وضجوا بالتكبير والدعاء. فنزل نائب السلطان ومعه جميع الأمراء - وسائر السقايين - ونزل الأمير بكتمر وكان يوماً عظيماً .. وأخذ جميع النجارين وسائر البنائين لهدم الدور - فهدم فى هذه النوبة ما شاء الله من الدور العظيمة والرياع الكبيرة .. وصار الماء من باب زويلة إلى حارة الديلم .. فى الشارع بحراً من كثرة الرجال والجمال التى تحمل النساء. ووقف الأمير بكتمر السلقى والأمير اراغون النائب على نقل المحاصيل السلطانية .. من بيت كريم الدين إلى بيت ولده بدرب الرصاص - وخربوا ستة عشر داراً حتى تمكنوا من نقل الانتاج».

+ فما هو إلا أن كمل اطفاء الحريق وإذا بالحريق قد وقع فى ربع (حي) الظاهر خارج

---

(١) القائد كريم الدين هو من عائلة تركية الاصل وأسلمت (القمص منسي، المصدر السابق، ص ٥٩٢).

باب زويله. وكان يشتمل على ١٢٠ بيتاً وتحت قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء. وهب مع الحريق ريح قوية .. فهدموا عدة دور من حوله حتى انطفأ. ووقع فى ثانى يوم حريق بدار الأمير سلار وكان ارتفاعه من الأرض مائة ذراع فوقع الإجتهاد فيه حتى أطفئ .. ووقع حريق بحارة الروم وعدة مواضع - تنبه الناس لما نزل بهم وظنوا أنه من أفعال النصارى .. وذلك أن النار كان يرى فى منابر الجوامع - وحيطان المساجد والمدارس .. وتتبعوا الأحوال حتى وجدوا هذا الحريق من نفط قد لفه عليه خرق مبلولة بزيت وقطران ..».

+ فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكبري.. بعد العشاء الأخير وقد اشتعلت النار ورائحة الكبريت فى أيديهما. فحُمِلا إلى الأمير علم الدين الخازن والى القاهرة.فأعلم السلطان بذلك - فأمر بعقوبتهما. وما هو إلا أن نزل من القلعة وإذا بالعامة قد أمسكوا نصرانياً وجد فى جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة فى داخلها قطران ونفط. وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر ومازال واقفاً إلى أن خرج الدخان فمشى يريد الخروج .. فقُبِض عليه وتكاثر الناس فجروه إلى بيت الوالى.وهو بهيئة المسلمين .. فنوقف عند الأمير ركن الدين».

* « فاعترف بأن جماعة من النصارى قد أجمعوا علي عمل النفط وتفريقه من جماعة من أتباعهم.وأنه ممن أُعطِىَ ذلك وأُمِرَ بوضعه عند منبر جامع الظاهر. ثم أمر الراهبين، فعوقبا فإعترفا أنهما من سكان دير البغل وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة«غيرة» وغضباً من المسلمين لما كان من هدمهم الكنائس .. وأن طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالاً جزيلاً لعمل هذا النفط».

* «فخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء وألا يركب أحد منهم فرساً ولا بغلاً ومن يركب حماراً فليركبه مقلوباً. ولا يدخل نصراني الحمّام إلا وفى عنقه جرس .. وعُثِر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النفط لإحراق الأماكن.فقُبض عليهم وسُمِرّوا ولم يُسمع بأشنع من هذه الكائنة «وعدد الأماكن التى احترَقت والكنائس التى خربت[1]».

(١) الكنائس بالاماكن الآتية - خرائب التتر - الزهري - البركة الناصرية - الحمراء - بجوار السبع سقايات - أبو مينا - الفهدين بالقاهرة بحارة الروم بالبندقانيين - ٢ بحارة زويلة - خزانة البنود بالخندق - ٤ بالاسكندرية - ٢ بدمنهور - ٤ بالغربية - ٣ بالشرقية - ٦ بالبهنساوية - اسيوط - منفلوط - منية الخطيب - ٨ بقوص - ١١ بأسوان - الأطفيحية - سوق وردان - ٨ المصاصة وقصر الشمع.

الإستيلاء على الأوقاف القبطية أيام الصالح بن الناصر (١٣٥١ - ١٣٥٤م):

* «فى أوائل سنة ٧٥٥ هـ «نحو ١٣٥٣م» رفع المسلمون إلى الملك الصالح تقارير مفصلة بما للنصارى من الأملاك الموقوفة للأديرة. فأُحيلت هذه التقارير إلى ديوان الأحباس.فوُجد أن للنصارى أوقافاً تبلغ ٢٥ ألف فدان من الطين (الأراضي الزراعية) كلها موقوفة للكنائس والأديرة. فعرضت على الأمير شيخو والأمير ضرغمش والأمير طاز وكانوا قائمين بتدبير الدولة، فقرروا أن يُنعِم بذلك على الأمراء زيادة على اقطاعاتهم وهدموا للنصارى عدة كنائس»(١).

* «كان للقبطى مركز ممتاز لدى أمراء الدولة وكانوا يرتدون الملابس الجديدة الفاخرة ويركبون الخيل .. فتغيظ عوام المسلمين وأعوانهم من تعاظم النصارى، إلى أن اتفق فى أيام الملك الصالح مرور أحد كُتّاب النصارى على الجامع الأزهر وهو راكب بخف ومهماز .. وقدامه طرادون يمنعون الناس من مزاحمته وخلفه عدة عبيد.فشقّ ذلك على جماعة من المسلمين .. وأنزلوه من فرسه وقصدوا قتله بلا ذنب .. لولا تدخُّل البعض فى أمره وتمكنهم من إنقاذه».

* «وكتب إلى جميع أعمال (ولاة) مصر وبلاد الشام أن لا يُستخدم يهودى ولا نصرانى (في الحكومة) ولو أسلم .. وأن من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته إن كان له وارث، وإلا فهى لبيت المال. وكان يلى ذلك البطريرك ..».

+ ولكن الله المنتقم الجبار لعبيده، الأبرار لم يمهل الملك الصالح بل أسرع فى مجازاته فسلط عليه أخاه .. فخلعه وتولى بعده. فكان خير عقاب على ما اقترفته يداه ضد شعب الله المسيحى.

+ ولما علم ملك النوبة المسيحى، بالإضطهاد الذى وقع على أقباط مصر وبطريركهم «البابا مرقس ٧٤» ألقى القبض على التجار المسلمين فى مملكته ورهنهم أسرىّ حتى يُطلق سراح البطريرك. فإلتزم المسلمون فى مصر أن يتركوه دون أن يضروه، عند علمهم بهذا الخبر(٢).

---

(١) المقريزي، المصدر السابق، ص ٤٢٧ - ٤٣٢ .

(٢) من مطبوعات السريان، المصدر السابق جـ ٢، ص ٦٠، جورجي زيدان، جـ ٢، ص ٣٨ .

٢- البابا غبريال (٧٧) والبابا يوأنس (٧٨) :

+ في الوقت الذى انتقل فيه إلى السماء البابا أثناسيوس الثالث كان يوجد راهبان أحدهما اسمه يوحنا بن سعيد السُكّرى، والآخر اسمه غبريال ابن أخت أنبا بطرس أسقف طنبدى. وكانا مرشحين للبطريركية وقد تساوت أصوات منتخبيهما فى المجمع المقدس، وكان يوحنا مُعضَّداً من أكابر الطائفة بمصر، وغبريال من بعض أعيان القاهرة .. وانقسم الأساقفة .. وأخيراً حصل الإتفاق على تحكيم القرعة الهيكلية فوقعت القرعة بإسم غبريال. فكرزوه قساً تمهيداً لرسامته بطريركاً.

+ ومع ذلك لم يرض الحزب المؤيد ليوحنا ونهض ينازع فى أمور رسامة غبريال. وكان مكوناً من علماء الأمة. فعَمَدُوا إلي استرّضاء أرباب الحُكم، ليشدّوا من أزرهم فى أمر انتخاب يوحنا، حتى تَقووا على الحزب الثانى .. وتمكنوا من إقامة يوحنا سنة ١٢٦٢م(١).

* «وبعد قيام البابا يوأنس .. مدة ست سنوات .. عُزِل وقُدِّم الأغومانوس غبريال بطريركاً فى سنة ١٢٦٨م .. وفى أيامه تم إلزام النصارى واليهود، بصبغ العمائم باللون الأزرق، والمراكيب باللون الأحمر، وأُغلِقت الكنائس بمصر والقاهرة أولاً.ثم سائر الأقاليم ماخلا الديارات وكنائس الأسكندرية، وبعض كنائس البلاد. ولما وصل رسول الإمبراطور ميخائيل الثامن الباليولوچى صاحب القسطنطينية بالشفاعة فيهم ففتحت كنيسة العذراء بالمعلقة بمصر وكنيسة ميكائيل».

+ وقام البابا غبريال بعمل الميرون المقدس .. وتنيح سنة ١٢٧١م.

+ والبابا يوأنس ٧٨ بعد أن تولى عليه البابا غبريال مدة سنتين كانت عودته سنة ١٢٧١م أيام الملك الظاهر بيــبــرس. وتنيح سنة ١٢٠٣م في أيام السلطان الناصر(٢).

---

(١) لم يقم بطركان في مصر إلا هذه المرة فقط بينما في روما كان بطريركان ٢٨ مرة، و٣ ست مرات، و ٤ أربع مرات، منسي المصدر السابق ص ٤٦١ (حاشية).

(٢) مطبوعات دير السريان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٦ ـ ٢٢ .

٣- أثيوبيا والنوبة فى هذا العهد:

طلب رسامة مطران لأثيوبيا لصد المطارنة اليونان:

* «وفى مدة بطريركية «البابا يوأنس ٧٨» أتاه كتاب من امبراطور الحبشة، يشكو له فيه تهجم المطارنة السوريين على بلاده. ويعترف بخضوعه للكنيسة القبطية دون غيرها . ويطلب منه رسامة مطران يرأس الكنيسة الحبشية. فحالما وقف البطريرك على فحوى الخطاب أسرع برسامة مطران قادر للحبشة،حتى يحفظها من هجمات الأجانب.

+ **خطاب لرد نقود تاجر مصرى:** ومما حدث فى أيامه أن تاجراً مصرياً أرسل مبلغاً من المال لشريك له، فى الحبشة. وتصادف أن الرجل مات قبل وصول المال إليه فرفع التاجر المصرى أمره لملك مصر وهذا حوله على البابا يوحنا فوعده بالمساعدة وأنفذ كتاباً لإمبراطور الحبشة مع ذلك التاجر. وحالما وصل به وعلم الناس أن البطريرك أرسل لهم خطاباً، أسرعوا لمقابلة حامله بكل إجلال وإكرام. وفى يوم الأحد تلى الإمبراطور بخشوع تام خطاب البطريرك على مسمع الجميع فى الكنيسة الكبرى وعاد التاجر إلى مصر يحمل ماله وهدايا ثمينة»[١].

حروب النوبة والسلطانان بيبرس وقلاوون:

* **بيبرس:** «بينما كانت افكار السلطان بيبرس فى سوريا وآسيا الصغرى، تصرَّف ملك النوبا «داود» تصرفا غير حميد .. وذلك أنه أقدم على غزو أسوان وقام رجال جيشه بتلفيات وأضرار عظيمة، فقام أمير قوص وجرَّد حملة قوية على بلاد النوبة، حتى وصل لجهة اقليم دنقلة وصار ينهب البلاد، وأسر جملة أشراف نوبيين، ولما رجع بيبرس إلى القاهرة قُدِّم له هؤلاء الأشراف الأسرى، فأمر بقطع جسم كل واحد شطرين».

+ ويظهر أن ذلك الملك كان غير محبوب من شعبه حتى أنه فى سنة ١٢٧٥هـ هرب شيكندر «اسكندر»ابن اخيه وإلتجأ إلى حكومة السلطان بيبرس، وبالطبع سُرَّ بيبرس وأرسل جيشاً عظيماً .. لفتح النوبة .. فقابل النوبيون الجيوش المصرية

(١) القمص منسي، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٥٦٢ .

الفاتحة وحاربوها بشجاعة لكنهم هُزِموُا أخيراً، وإلتزم والى الإقليم الجنوبي أن يخضع ويعترف بشيكندر ملكاً عليه بدل داود .. وكان داود قد جهز نفسه بجيش عظيم وآتى لمقاومة الفاتحين فهزموه وأسروا أمه وأخواته. وفرّ هو ونجا بنفسه ونودى بشيكندر ملكاً **بشروط أهمها**:

– + يتنازل لسلطان مصر عن إقليم نوبيا الشمالى - يعيد تقديم الجزية القديمة وهى ٤٠٠ عبد - يطلق كل الأسرى الذين آسرهم داود - يرسل لسلطان مصر كل أموال وزخائر ومواشى داود - تتأسس وكالة سياسية بدنقلة يقيم فيها النواب المسلمون(١).

* **قلاوون** «ولما أرتاح قلاوون من تنظيم داخليته .. أرسل الملك عدود، الذى كان يحكم أقصى جنوب السودان وفداً إلى سلطان مصر، يشكو له من تابعه الملك شكندر، وأرسل مع سفراء الملك عدود ضابطاً بصفته سفيراً وجاسوساً وسافر الجميع - على هذه الصورة - وكان الملك شيكندر مترقباً عودة ذلك الجاسوس، وأُلقِىَ القبض عليهم جميعاً.وأحضروهم إلي دنقلة. فأمر شيكندر بإعدامهم، ولكن أُشراف حكومته عارضوا فى ذلك».

* «فلما أصر على عناده، خلعوه وولوا شمامون ملكاً عليهم وسمحوا للجاسوس المصرى وحرسه أن يسافروا بأمان إلى مصر، ولكن ذلك لم يوقف عزم قلاوون عن فتح النوبة. فجند جيشاً عظيماً واتبع شمامون خطط ادخالهم إلـي البلاد.ولكنهم هزموه ففر إلي الصحراء. فأقاموا إبن أخته ملكاً بدله. فرجع ثانية وطرد ابن أخته الذى تعهّد بالخضوع لسلطان مصر مع الحامية المصرية. فأرسل قلاوون جيشاً آخر ومعهم أحد أمراء الملك داود ليقام ملكاً. واستحلفوه فى وسط كنيسة دنقلة ليطيع سلطان مصر فما بارحوا الحدود حتي عاد شمامون، فظهر بدنقلة ثانياً. وخضعت البلاد فى الحال لأمره. وطردوا الحامية المصرية ولم يترك شمامون هذه المرة ملك النوبين الإسّمِى يتمتع بحياته بل قتله .. فلم يقوّ قلاوون على تجنيد حملة ثالثة للنوبة .. فحكم شمامون مملكة النوبة بسلام حتى مات(٢)».

---

(١) بوتشر، المصدر السابق، جـ ٣ ص ٢٥٥ – ٢٥٧ .

(٢) نفس المصدر، جـ ٣، ص ٢٦٦ – ٢٦٩ .

الفصل الثانى

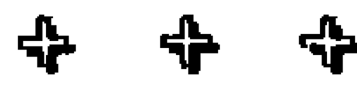
المماليك الشراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧م)

* «كان المنصور قلاوون أحد السلاطين البحرية قد اشترى عدداً كثيراً من المماليك (العبيد) ليكونوا له قوة خاصة وكان قد استقدمهم من بلاد الجركس الواقعة فى جبل قوقاس شرق البحر الأسود، وأسكنهم أبراج القلعة فعُرِفُوا بالمماليك البُرّجية. وقد ازداد عددهم شيئاً فشيئاً .. وكثرت سيطرتهم .. حتى انتهى بهم الأمر إلى مبايعة أحدهم للحُكم، وهو السلطان **برقوق** «١٣٨٢ - ١٣٩٨»[١].

* «وحدث فى أيامه أن أميراً مسلماً تعهد بهدم كنيسة للأقباط كانوا يصنعون فيها خمر الأباركة. فنهب منهما ألف جرة من الخمر المذكور. وأمر بكسرها أمام باب زويلة فى الميدان الذى تحت القلعة واقترح المجلس الأعلى على برقوق أن يضطهد الأقباط ولكنه رفض، بل أمر أن يُقتل رجل اعتنق الديانة الإسلامية»[٢].

توسط ملك إثيوبيا فى تحسين حال الأقباط :

* «لما علم ملك الأحباش بما حل بنصارى مصر، أرسل رسولاً بكتاب إلى السلطان يعاتبه فيه على هدم الكنائس وقتل الأبرياء ويذكره بالمعاهدات. ويطلب إليه أن يعيد بناء الكنائس التى خُرِّبت، وإلا يهدم كل جوامع المسلمين التى ببلاده، ولكن السلطان الناصر صرف الرسول بغير جواب. غير أنه لما هدأت الحال وعاد النظام لم يفت السلطان مصالحة النصارى، بأن صرح لهم ببناء بعض الكنائس التى هُدِمَت وذلك بناءً على طلبهم .. على شرط ألا يوسعوا فيها ولا يزيدوا عليها شيئاً مما كانت عليه قبل الهدم. غير أن بعضها هُدِم بعد تمام البناء بدعوى أنها لم تُبْن على حالتها القديمة. وأنهم زادوا على زخرفتها وإعلاء بنائها[٣].



---

(١) هند اسكندر، تاريخ مصر، ص ٢٢٨ .

(٢) القمص منسى، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٥٩٩ .

(٣) روفيله، تاريخ الأمة القبطية، ص ٢٣٧.

الهجوم على أديرة الوجه القبلي:

* «في سنة ١٤٨٤م هجم غرب الوجه القبلي على ديرّي أنطونيوس وبولا، وقتلوا جميع من فيهما من الرهبان. وبقيا خراباً مدة ٨٠ سنة، وكان فيهما مكتبتان عظيمتان يحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعوها وأحرقّوها عن آخرها. ولم يبقَ إلا ما خفى عن عيونهم[١]»

البابا متاؤس الأول البطريرك ٨٧ (١٣٧٨-١٤٠٨م)[٢]

نشأته:

* «كان من ضيّعة صغيرة من أعمال الأشمونين، وتُسمّى بني روح. تربّى في مكتب البلدة .. وبعد ذلك عهد إليه والده برعى الغنم .. ولما كان يقعد ليلعب مع الأطفال كان يضع يده علي الاطفال ويرسم جماعة منهم قسوساً وآخرين شمامسة حتى كانت والدته تشير إلى الجمع قائلة: ««إن ابنى هذا لابُد أن يصير بطريركاً» ولما صار له من العمر ١٤ سنة مضى إلى ديارات الصعيد وعمل بها راعياً».

+ وكانت هناك إمرأة وقع نظرها عليه. وأعجبها حواجبه ، فما كان منه إلا أن انفرد .. وقشط حاجبيه .. فلما نظرته المرأة تألمت، ولكنها لم تَكُف عنه، حتى سأل الأسقف الذى تتلمذ له أن يُطلق سبيله فرفض، ولكن الإمرأة ازدادت فى أمر التسلّط على (محبة) هذا البار. فتقدّم للأسقف لكي يطلق سبيله فلم يشأ. وما كان من الوديع متى إلا أن إدعّي الجنون وجمع ثياب الأسقف، فقطعها فلما نظر الأسقف هذا العمل، أطلق سبيله ثم عرف قصته» (هدفه الروحي في الهرب من مكان الشر).

رسامته قساً:

+ وقد تصادف بترتيب إلهى أن اجتمع الأسقف بالراهب الشاب متى. فقبض عليه ورسمه قساً. ومضى إلى جبل القديس أنطونيوس واختفى فى الدير، وكان فى أثناء خدمة القداس فى الكنيسة، يعمل كشماس».

---

(١) روفيله، المصدر السابق ص ٢٤٤.

(٢) من كتاب لدير السريان (١٩٥٢) عنه، إعداد الشماس كامل صالح نخلة.

ذهابه إلى أورشليم:

* «خرج القس متى من الدير، وفى عزمه أن يتوَّجه لأورشليم .. حضر إليه راهب .. فقال له: «يا رجل الله أرحمنى فإنه كان معى مبلغ .. وسرقوه منى». فلما علم الأب متى بالروح .. مضى لساعته إلى بيت وهناك قبض على السارق وأخذ الفضة المسروقة وعاد إلى أورشليم وأعاد المال لذلك الراهب».

فى دير أنبا أنطونيوس:

* «فغادرها وعاد إلى ديره. «وكان الفرنج قد هجموا علي الأسكندرية. فأراد الأمير أن يأخذ مال الرهبان. ولم يكن معهم شيء، فسبوا جزءاً . وانطلق بهم إلى مصر. ثم ضيَّق عليهم فى الطريق بالجوع والعطش. فرفع مرقس الراهب، الذى كان معهم عينيه بصلاة نحو السماء. فإستجاب الرب له. وأسقط لهم مطراً غزيراً .. وكان ذلك فى زمن الصيف .. حينئذ جلسوا وقت المطر واستراحوا وشرب جميعهم وفرحوا».

* «وهكذا مابرح الأخوة يسيرون فى الطريق إلى أن بلغوا أطفيح. وهناك وجدوا أن الأمير يبلغا قد انجز مرسوماً - بإرادة الرب - يأمر فيه بإطلاق سراحهم وعودتهم إلى دياراتهم».

فى الدير المحرق:

* «لم يمكث القس متى بالدير الأنطونى إلا قليلاً. فأخذ الأذن من الطوباوى مرقس رئيس الدير، ومضى إلى دير المحرق .. لخدمة الأخوة رهبان هذا الدير .. وعلمهم هذا الأب ضرورة المداومة على الصوم إلى التاسعة، وكان يغسل أوانى المطبخ والقدور ويخدم الشيوخ والمرضى.وكان مثالاً فى التقشُّف وكان أكثر إقامته فى مغارة خارج الجبل يصلى».

ترشيح القس متى للبطريركية:

+ انتقل البابا غبريال الرابع البطريرك ٨٦ فى سنة ١٣٧٨م فى أيام سلطنه الملك على بن شعبان المنصور .. فقامت جماعة من الشعب واستقر رأيهم على أن يسألوا القس متى فى أن يصير بطريركاً عليهم.فلم يرضَ، وقام واختفى .. ونزل فى مركب للإيجار، متجهة إلى الجهات القبلية، إلا أن الطبيعة عاكستها، إذ امتنع الهواء».

* «اتى طفل بالإلهام الإلهى فعرّفهم عليه قائلاً: «إنه مختبئ فى قاع المركب»، ولما علم أن ليس خلاص (من الرسامة)، سألهم بإلحاح كبير أن يرسلوه صحبة إثنين إلى جبل القديس أنطونيوس ليشاور أباءه الشيوخ .. وعلى الأخص الأب الطوبانى مرقس، فأعلنوا له بألا يُصرّح عما رُسِم له، بل يستعد ويقبل الخدمة ويعمل بطريركاً للإسكندرية».

البابا متاؤس الأول الملقب بالمسكين:

* «بعد ذلك أمسكه الشعب وأعضاء المجمع المقدس ورسموه بطريركاً فى ٢٥ يوليو سنة ١٣٧٨م فى مدينة الأسكندرية - مقر كرسيه - بإسم البابا متاؤس الكبير ٨٧ ... وأجلسوه بطريركاً فى يوم ١٦ مسرى سنة ١٠٠٤ ش، الذى هو تذكار سيدتنا العذراء الذى كان يحبها، ويحتمى فيها، ويلجأ إليها كل حين».

الإهتمام بالصلوات وإعانة المساكين والرهبان:

* «لم يُغَيِّر شيئاً من طريقته، بل حافظ على نُسكِهِ وتواضعه .. وقام بتركيب جرس من نحاس فى القلاية البطريركية بحارة زويلة، وصار كل من يسمع دقات الجرس ينهض لتأدية الصلاة في نصف الليل».

* «ولم يغفل عن رحمة المساكين وكان يترك مجلس القضاء (حل المشاكل) وينظر فى حال ذلك المسكين والجائع، وكان يقوم بنفسه ويطوف على بيوت الأرامل ويتعهد كل واحد منهم، ولم ينسَ ديارات الراهبات والرهبان، وكان يطوف على كل دير، وينظر فى حالهم، وصار يرسل إليهن (الراهبات) كل شهر القمح والحبوب والزيت».

* «وكان يعمل لخلاص الذين فى السجون، فكان يطرح ذاته على أبواب الأمراء، ويبذل لهم الأموال، حتى يُخَلّص نفس كل إنسان مسجون، بدون مبرر».

تواضع البابا:

٢ «كان البابا، لا يتعاظم قط .. إذ دعته الضرورة يعمل مع الفعلة والعمال معاجن الطين للبناء، وينقل الغلال (للمخازن)، وكان مع هذا كله لا يُحط من قدره، بل ازداد مجداً ووقاراً فى أعين الناس».

البابا متاؤس والسلطان برقوق:

* «لما كان الملك برقوق يحترم البابا .. ويعتقد في صلاته .. لم يشأ أن يجلس على سرير الملك قبل أن يستشير البابا-فلبى البابا نداء الملك برقوق واستعد للقيام بزيارة دير القديس انطونيوس لأخذ رأى شيوخه القديسين .. وحدثت هذه الزيارة حول سنة ١٣٨٢م وعاد إلى القاهرة حاملاً إذن الشيوخ .. بأن يُقبّل الملك برقوق المُلك، لأن الله قد اختاره ملكاً .. وقضى جميع حياته محافظاً على صداقة البابا».

السلام بين مصر وملوك الحبشة:

* «وكان من حُسن سياسة السلطان برقوق أنه عندما تولى المُلك وجه همته نحو ملوك الأحباش. وجدد معهم عهود السلام وحُسن الجوار - وكان وقتئذ الملك داود الأول .. فأشار الملك الظاهر برقوق على البابا أن يكتب كتاباً إلى ملك الحبشة».

مع راهبين يريدان درجات الكهنوت العُليا:

* «قام راهبان شريران ضد البابا لطلبهما الكهنوت باطلاً. فسعيا ضده عند الملك برقوق .. وظل يحتملهما بصبر .. فلم يرجعا عن شرهما .. فهجما ذات يوم على قداسة البابا وقالا له: «ما بالك لا تقوم وتنحط على (تترك) كرسيك» فلما سمع كلامهما تبسم قائلاً: «تمهلانى أربعون يوماً، وبعد كمال الأربعين يوماً تعاليا إلىَّ» ولم يدعهما البابا يمضيان حتى قدَّس وناولهما. ثم بعد التناول تركاه ومضيا إلى أحد الأديرة .. ولم يمضِ عليهما يوم حتى أخذهما الرب وماتا».

* «وقد أظهر الله على يدَّى البابا عجائب وأشفية متعددة (فُصِّلت فى الكتاب المطبوع الخاص بتاريخه بدير السريان سنة ١٩٥٢م) «وتنيَّح البابا متاؤس الأول فى ٣١ ديسمبر سنة ١٤٠٨م».

القديس البار الأنبا فريج «الشهير بأنبا رويس:

نشأته:

+ وُلِد القديس فريج فى منية بيمين من أعمال الغربية، وكان أبوه فلاحاً. فلما شب،

كان يساعد أباه فى عمله. فإذا ما انتهى من عمل الحقل كان يبيع الملح على قاعود (جمل) صغير وقد سمى قاعوده هذا «رويس» لأنه كان يداعب صاحبه برأسه الصغيرة، وقد كان هذا الجمل أليفاً يُلّبي دعوته. ولقد بلغ من ذكاء هذا الجمل أنه كان يغطى القديس إذا نام بدون غطاء!!

+ وحدث أن وقع اضطهاد عظيم على النصارى حتى أن والد القديس خرج عن الإيمان .. فاختفى فريج وسافر إلى مصر .. ثم توجه إلى الوجه القبلى. وفى هذه البلاد عمل على تغيير إسم فريج بإسم رويس، زيادة فى إنكار ذاته.

+ كان شديد الحنين إلى السماء. وكثيراً ما كان يترنم بقول المرنم «الويل لى فإني غريب وغُربتى قد طالت».

شدة تقشفه:

+ قسا هذا القديس على نفسه .. فكان لا يأكل إلا قليلاً .. ولا يلبس إلا ما يستر العورة. ويترك باقي الجسد عارياً معرضاً لحرارة الصيف وبرد الشتاء .. وطاف كل بلاد القطر من قوص إلى دمياط والأسكندرية. وكان إذا دخل بلداً يعمل بيديه ليحصل على ما يُقيته ويتصدّق بما يتبقى من أجرته بعد أن يرسل لوالده مايساعده على ضيقته المالية في ظل ظروف الاضطهاد الصعبة، والفقر الشديد.

+ كان هذا القديس ينظر إلى الذهب والفضة كما ينظر إلى العقارب والأفاعى.وقد تفوق فى التقوّى حتى كان يصرف حياته كلها فى الصلاة والصوم. فقد كان يصوم يومين وثلاثة صوماً انقطاعياً.

مواظبته على تناول الأسرار:

+ كان مواظباً على تناول الأسرار المقدسة فى جميع الآحاد والأعياد، وكان يتناولها فى خوف ورعدة وكثيراً ما كان يُظهر تردداً فى التناول .. ولما سأله أحدهم عن هذا التردد أجابه: «إنه لا يستحق التناول، إلا من كان جوفه طاهراً نقياً، كأحشاء سيدتنا الطاهرة مريم». ولما كانت الأعمال العظيمة التى يضطر إلى القيام بها بدافع المروءة والنجدة لا يقوم بها إلا الأنبياء وعظماء القديسين.وقد احترمه الناس، لكنه قاوم هذا الشعور، بأعمال أخرى صغيرة .. فكان يقول عن نفسه إن اسمه «رويس» وعندما ألحوا عليه لمعرفة حقيقة اسمه قال لهم: «سمونى تيچى أفلو» (أى فريج الكاذب).

غرابة أسلوبه فى حياته:

+ عاش أعماله الروحية بسلوكه الغريب. فقد كان يسير فى الطرقات مكشوف الرأس مُشوّش الشعر .. وكانوا يرجمونه ويلطمونه .. وكان يرحب بهذه الإضطهادات .. ولكى يسد نقص العذابات، كان يحبس نفسه فى أمكنة نائية ويعتزل الناس أشهراً.

اضطهاد الأمير سودون للقديس وسعى البابا متاؤس فى تخليصه منه:

+ قبض عليه الغوغاء وقادوه إلى الأمير سودون. فسأله عن قضيته. فلم يرُد. فأمر بضربه .. وبإلباسه طرطوراً أحمر والسير به عارياً فى طرقات المدينة، امعاناً فى تحقيره. ولكنه احتمل هذه السُخرية.

+ وأخيراً أمر بسجنه. وكان بالسجن ثمانون أسيراً من الأفرنج. فإلتفوا حوله فعزّاهم وصلى من أجلهم. فأجاب الله طلباته بأن أرسل البابا متاؤس إلى الأمير وطلب إليه أن يطلق القديس فريج والأسرى فأطلقهم .. فأخذ البابا القديس إلى قلايته بحارة زويلة وظهرت من القديس عجائب كثيرة. وجسده بالدير الذي يحمل اسمه بالعباسية بالقاهرة.وانتقل إلى أحضان القديسين فى ١٨ أكتوبر سنة ١٤٠٤م (١).

الشهيد صليب:

+ وُلِد فى ملوي وكان والده من الصنّاع. وقد أدبّه بآداب البيعة المقدسة. كما علمّه صناعته.. وفكر والداه فى اختيار زوجة له من أقاربه، وزوجّاه رغم إرادته، فلم يقترب القديس من إمرأته، وظلا بتوليين.

+ عقب زواج صليب هجر منزل والديه وصار يسبح فى الجبال والبرارى ويزور الأديرة ويُعزّى نفسه بعِشرَة القديسين .. ولما عثر عليه أهله قيدوه بالحديد حتى لا يفارقهم ولكنهم رأوا أن القيود قد انحلت .. بقوة السيد المسيح الحالة فيه.

+ وكان صليب يواصل ليله ونهاره بالصلوات. وكانت أمنيته الوحيدة التوسل لوالدة الإله أن تعينه على نيل الشهادة على إسم ابنها .. فظهرت له فى حلم، وأفهمته أن طِلبْته قد أُجيبتَ.

+ فتقوّى صليب بالروح القدس. وكان يظل شاهداً بإسم المسيح، معلناً إيمانه بألوهيته

(١) نقلاً من كتاب البابا متاؤس المطبوع بدير السريان سنة ١٩٥٢م.

وللكوته. فاشتد غضب غير المؤمنين. فقبضوا عليه وقدّموه لمتولى الحُكم فى بلاد الصعيد لمحاكمته.

+ فإنتهز هذه الفرصة واعترف جهراً بإيمانه وتعبده للرب يسوع، فإنهالت عليه الشتائم واللطماتّ فتحمّلها بصبر وفرح وشكر.

+ وبعد اعترافه، قيده القوم بقيود حديد ثم رجموه. فلم يُصبه شر لأن ملاك الرب كان يحرسه ثم أودعه الحاكم فى السجن .. وكان صليب يصرف ليله فى الصلاة.

*وبعد أيام أرسله قاضى الجهة إلى مصر مُقّيداً. فلما ركب السفينة قابلته أمه وأخوته بالبكاء .. وودعوه بقولهم .. «الرب يكون معك».

+ ولما وصلت السفينة إلى مصر، أخذه القائد إلى جماعة من المسيحيين وطلب منهم أجرة سفره. فدفعوا وطلبوا من القديس أن يتناول خبزاً عندهم فلبّى دعوتهم .. ثم توجه .. حيث كانت تقيم شقيقته. فلما رأته أخذت تبكى .. فودعها وداعاً صامتاً .. وفى الصباح الباكر وقف بين يدّى الملك الأشرف قانصوه الغورى وبعد اعترافه بالمسيح الرب أمام الجميع حكموا عليه بالإعدام، وإشهاره فى أرض مصر وشوارعها مُكبلاً بالحديد. فأحضر الأمير جَملاً وأمر أن يضعوا عليه القديس مصلوباً. وكان صليب يقابل ذلك بصبر عجيب متّهلّلاً .. ولما وصلوا إلى ساحة .. سألة القاضى عما إذا كان يود الرجوع . فأجابه أنه عاش نصرانياً ويموت نصرانياً.ولن يترك ربه ومُخلصه يسوع المسيح».

+ فأمر القاضى بقطع رأسه. فضرب السياف عنقه يوم الإثنين ٣ كيهك سنة ١٢٢٩ ش[١].

+ وبهذا ينتهى هذا القسم الثانى الذى كانت مصر تُحكَم فيه من أُناسٍ أقاموا بها وجعلوها مركز حكمهم حتى إذا امتّد سلطانهم إلى سوريا أو فلسطين أو بلاد العرب أو قبرص.

+ وسيّتغير الحال فى القسم الثالث القادم إذ نرى تدخُّل الأجانب فى شئون مصر الدينية والسياسية!

---

(١) مطبوعات دير السريان، جـ ٤، ص ٥٥ - ٥٩.

القسم الثالث

التدّخل الأجنبى فى حكم مصر
من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين

+ طمع كثيرون منذ القِدَم فى حكم مصر لمركزها الممتاز وخصبها. فأتاها الفُرْس واسكندر الأكبر والرومان، إلى القرن السابع الميلادى، حين أتاها العرب وحكموها وهم بعيدون عنها .. ثم أتت فترة حُكمها وهم مقيمون بها.

+ وفى هذا القسم تدّخل فى شئون مصر الدينية الكاثوليك ثم البروتستانت وتدّخل فى شئونها السياسية - والدينية أحياناً - العثمانيون والفرنسيون وأسرة محمد على والإنجليز.



الباب الأول

تدّخل الكاثوليك فى الشرق

+ كان مجئ الكاثوليك إلى الشرق فى الحروب الصليبية فى القرون الوسطى وتأسيس الأمارات اللاتينية بفلسطين وسوريا وكذلك كان لهجومهم على مصر وارسال رسلهم إلى دمياط وغيرها أيام الأيوبيين داعياً للتفكير الجدى فى التدخل فى شئون الكرسى المرقسي الأسكندرى. فأجروا مفاوضات. وأرسلوا بعثات دينية إلى مصر والى إثيوبيا !



الفصل الأول

تدّخل الكاثوليك فى مصر أيام العثمانيين

بدء حركة الإتصال

+ كان ذلك عندما هاجم الصليبيون الشرق فى حملاتهم الثلاثة الأولى. وعلى مصر فى حملاتهم الثلاثة الأخيرة. وعندما استقدمُوا مندوباً عن مصر، ليحضر مجمع فلورنسا.

+ وهذا المجمع كان انعقاده مقرراً بين كنيسة القسطنطينية وروما لعمل اتحاد دينى بينهما لكي تأتى بعده المساعدات من الغرب لها، لصد هجمات الأتراك عليها.

+ ومما يؤسف له أن كنيسة روما انتهزت هذه الفرصة، فأملت شروطها على القسطنطينية وألزمت بطريركها بالخضوع للبابا والإعتراف «بالمطهر» وجواز عمل الفطير فى سر الشكر، وغير ذلك من الأفكار الكاثوليكية المُحدَثة.

+ وقد قبل البطريرك اليوناني هذا على مضض. وهاج الشعب القسطنطينى. فلم يوافق على هذه الشروط. أما مندوب مصر وهو يوحنا رئيس دير القديس أنطونيوس. فقد وصل إلى هناك بعد أن انفض المجمع، فرجع كما ذهب .

بعثة القرن السادس عشر:

+ لما رأى الغربيون أنهم لن ينجحوا فى جر مصر إليهم فى مجمع فلورنسا - وهم يريدون السيطرة الدينية التى تأتى بعدها السيطرة السياسية - انتهزوا فرصة وقوع الظلم على أقباط مصر، فتدخلوا لرفع الظلم عنهم، حسب الظاهر.

* «فى سنة ١٥٨٣ حضر إلى مصر وفد من قِبَل البابا الروماني مؤلف من أكثر من واحد من علماء اكليروسه. ونزلوا ضيوفاً بالدار البطريركية.وكان البطريرك حينذاك يسمى يؤانس المنفلوطى ٩٦ من سنة ١٥٧١ - ١٥٨٦م فأحسن ضيافتهم وبالغ فى إكرامهم وكان شيخاً متواضعاً محباً للسلام. فمازالوا به حتى أقنعوه بأن انحيازه إلى كنيسة روما يعود على ابناء طائفته بالخير العميم فضلاً عن كون البابا لا يطمع فى شئ سوى الإعتراف له بالرئاسة العمومية على الكنيسة المسيحية.وهذا ليس بشئ فى جانب الفوائد التى تعود عليه وعلى أبناء طائفته. أما هو فيبقى بطريركاً على جميع الأمة كما هو بدون نقص شئ من كرامته أو سلطته.وأشاروا عليه أن يدعو جميع أساقفته ليعرض عليهم طلبات البابا الروماني ويشرح لهم الغرض منها، ففعل كما أشاروا.

+ ولما وصل الأساقفة إلى مصر أمر البطريرك بعقد مجمع فى بابليون. ولما كان اليوم المعين لذلك قام أحد أفراد الوفد وتكلم عن المهمة التى حضروا لأجلها وغاية البابا منها. فأظهر جميع الحاضرين الإرتياح، ولكن لما دار البحث والمناقشة فى طلبات البابا علت الأصوات، واشتد النزاع. وقويت المعارضة. فأظهر بعض الأساقفة الميل إلى إجابة الطلب واستحسان عقد اتفاق.والبعض الآخر عارَض أشد المعارضة، بدليل أن موافقتهم تضر فى المستقبل بإستقلال الأمة الدينى،الذى اشتراه أباؤهم بسفك

دمائهم. وتجر إلى مشاكل واضطرابات ومنازعات هم فى غِنىً عنها بالكلية. ومهما يكن العائد منها.

+ أما البطريرك فلشيخوخته وبساطته وسلامة نيته مال إلى الفريق على عقد الإتفاقية والإتحاد، ظناً منه أن معارضة الفريق الآخر مبنية على حق الرئاسة المطلقة لشخصه ليس إلا. إذ أن فى هذا الإتحاد فائدة حقيقية لأبناء أمته. فأثر على أفكار البعض بالموافقة وأن يتقرر عقد الأتفاق الذى أشار به معتمدو البابا.

+ وهكذا انفض المجمع على نية الإجتماع ثانيةً للتوقيع فيه من الأساقفة على هذه المعاهدة، ولكن البطريرك توفى فى تلك الليلة، ففشل المجمع.

+ ومؤرخو الكاثوليك ينسبون موته فجأة على أثر الإتفاق إلى فعل فاعل.ويقولون إنه مات مسموماً. أما رسل البابا فألقى الوالى القبض عليهم كعيون غُرباء واتهمهم بإلقاء دسائس الفتنة بين الرعايا.فزجهم فى السجن. فقام بعض أغنياء الأقباط واشتروا إطلاق سراحهم بخمسة آلاف قطعة من الذهب ليعودوا إلى بلادهم بأمان .. فعد البابا هذا جميلاً وشكرهم عليه ورد المال لهم(١).

البعثة النقدية:

+ وقد ذكر هذه البعثة المسيو ميليه(٢) القنصل الفرنسى فى مصر. فقال أنه لما لم يستطع المرسلون الكاثوليك اجتذاب القبط إليهم بالإقناع - ارتأوا بتدبير حيلة بأن صاروا يوزعون صدقات نقدية – على من يحضر منهم إلى كنيستهم. فصادفت هذه الحيلة نجاحاً عظيماً فى أول الأمر. وصار يحضر إليهم جمع غفير من الفقراء ولكن لما تغير رئيس الدير، الذى دبّر هذه الطريقة بآخر ألغى الإحسان والصدقة بهذه الكيفية لعدم ملاءمتها – انقطعوا ولم يعد أحد منهم يقرب من كنيسة الأفرنج.

+ ثم أتوا بالمدارس للتعليم – وقد بلغ الأقباط أن لويس الرابع عشر يريد ثلاثة شبان

---

(١) روفيله، تاريخ الامة القبطية، ص ١٤٨ - ١٥٠.

(٢) حضر إلي مصر بسنة ١٦٩٢ واقام بها ستة عشر سنة، درس حالة البلاد في أثنائها وأتقن اللغة العربية وقد ذكر أن سكان القاهرة خمسمائة ألف وسكان القطر كله من ابريم الي الاسكندرية أربعة ملايين، ووصف الاقباط بأنهم اقل جهلاً وغشومة ولكنه نسب اليهم صلابة الرأي وعدم التحول، عنه. مع أنه أظهر أن الاقباط لم يتأثروا بالدعاية الكاثوليكية فقد شهد باحترامهم لهم.

أذكياء منهم ليعلمهم فى فرنسا على نفقة الحكومة الفرنسية وغالباً ليجعلهم له أعواناً وعيوناً فى الشرق،فلم يتقدم لا الأغنياء ولا الفقراء - بل حاولوا أن يأخذوا واحداً من مدارسهم، فرفض الآباء أن يرسلوا أولادهم إلى مدارس الكاثوليك. وسبب امتناعهم هو نشاط الكاثوليك فى اجتذاب الأقباط إلي مذهبهم - فلم يوافقهم ذلك خشية الفتنة وبذر روح التعصب للكثلكة، واحتفاظا منهم بعقيدتهم التى ورثوها عن آبائهم.

+ وفى سنة ١٧٣١م أرسل البابا اكليمندس الثانى عشر بابا روما يحض رؤساء إرسالياته على إرسال بعض الشبان الأقباط ليتعلموا فى روما٠ فلم يستطع هؤلاء إغراء أى فردٍ منهم.

+ وقد كان من القسوس الكاثوليك فى ذلك الوقت القس كليمنت ريكوليه.ولمتهمه بعض الفرنسيين بمصر أنه خائن وأنه يبدد أموال الإحسانات التى تُعطى للمسيحيين بمصر - فخاف القس من التحقيق معه وذهب للوالى فى القلعة وطلب منه أنه مستعد أن يعتنق الإسلام.وكان ذلك فى سنة ١٧٠٣م!

+ فلما بلغ المسبو ميليه هذا أرسل إليه يستحلفه فى الحضور، وهو سيُعاقِب من اتهمُوه بتهمة سرقة الأموال٠ وأعطاه حيلة للخروج وهى أنه يدعى أنه كان سكراناً عندما أتى إلى القلعة .. وكان قد ندِم على فِعلتِه وأراد أن يعترف جهاراً بالسيد المسيح، فإستدعاه الوالى ليعلن اسلامه فقال: «أنى نصرانى» فختنوه بالرغم منه وقدموا له ثياباً وعمامة فلبس الثياب وألقى العمامة على الأرض - فضربوه ضرباً مبرحاً كاد يقضى عليه٠ ثم زجوه فى السجن.

+ ولما سعى القنصل فى إخراجه أرسل له ليتركه فيكُفّر عما حصل منه ويموت شهيداً فأُحضِر يوم عيد الصعود من تلك السنة، وضربوا عنقه أمام الناس، ثم أعطيت جثته للقنصل٠ فدفنها فى دير الخندق (دير أنبا رويس الحالي)٠.

التدخُل بالقوة:

+ لما رأى الكاثوليك أن المفاوضات الودية مع الأقباط لم تُجْدِ نفعاً قفل البابا بندكت الرابع عشر الصلات الودية بين الكنيستين وهاجم الكنيسةَ القبطية برسامة القس أثناسيوس القبطى الكاثوليكى مطراناً سنة ١٧٤١م - على مصر - ولكنه لم يحضر إليه وبقى كل أيامه بأورشليم حيث كان أولا - وكان الوكيل عنه بمصر القس يسطس المراغلى .. وقد اجتذب الكاثوليك شاباً يدعى روفائيل الطوخى من جرجا وأخذوه وهو صغير لدراسة اللاهوت بروما - وبعد إتمام دراسته رُسِم اسقفاً، وقد ساعد هذا فى تأليف وطبع الكتب القبطية بالفاتيكان٠ وقام بتنقيح الكُتب الطقسية، وترجم الكتب

اليونانية واللاتينية للغة القبطية.

* «وفي أواخر القرن الثامن عشر، تمكن الكاثوليك من استمالة أسقف جرجا القبطى فإنضم إليهم، ولما حرمته الكنيسة القبطية قام عليه القبط والمسلمون فهرب من مصر لعدم استطاعته الإقامة فيها بين أبناء الأمة الغيورين - وسافر إلى روما وعاش فيها إلى أن مات بها سنة ١٨٠٧م(١).

+ ولما تحوَّل بعض الأقباط إلي الكاثوليكية، حصل نزاع بين العائلات بخصوص التركات والزواج فتشكى كبار الكتاب للأمراء، وكان قد بلغ عددهم ٢٤ ونيف من القسوس والرهبان - فإنعقد لأجل هذا مجلس بحضورهم وحضور البطريرك - والقس اللاتينى بالمحكمة الكبرى الشرعية - وبعد سماع كل الأقوال تقرر التصريح لبابا الأقباط بإستعمال سلطته الدينية على أبناء أمته والتصرف فيهم بما توجهه قوانينه المرعية، وعدم التعرض له - وتحررت بذلك حجة من المحكمة، حُررّت فى ٢١ إبريل سنة ١٧٣٨م(٢).

+ ثم جرى نحو سنة ١٧٩٤م اتفاق بين كيرلس رئيس عام الرهبان الكاثوليك - والخواجة كركور قنصل النمسا والبابا يوأنس والمعلم إبراهيم الجوهرى على ما يأتى:-

+ المتزوجون من الفريقين لهم أن يُصلُّوا فى الكنيسة التى يختارونها، عدم زواج الكاثوليك من أرثوذكس أو بالعكس، عدم دخول الكاهن الكاثوليكي عند الأقباط ولا الكاهن القبطى عندالكاثوليك - لا يُرغم على الصلاة أحد فى جهة معينة - عند حدوث خلاف لا يصح عرضه إلا على رؤساء الكنيستين(٣).

+ ولكن السلطان التركى لما بلغه أن قدم الإرساليات الكاثوليك تثبت فى مصر، جعل غرامة على الذين يذهبون لمعابد اليسوعيين - وقد عمل هذا العمل خشية ازدياد النفوذ الأجنبى بمصر.

---

(١) روفيله، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٢) صورة هذه الحجة عثر عليها صاحب جريدة مصر وطبعها، وصورتها، بتاريخ الكنيسة القبطية للقمص منسي ص ٦٢٥.

(٣) ومن نصها «أن كل من خالف ملته وكان قبطى وانتقل من ملة القبطيين إلى ملة الأفرج وثبت على ذلك بالوجه الشرعي يكون على الأمراء السناجقة الخروج من حقه وتأديبه بما يليق عليه بزجره .. وكتب ذلك ضبطاً للواقع ليراجع به عند الإحتجاج إليه والإحتجاج به» القمص منسى ص ٦٣٦.

الفصل الثانى

تدخل الكاثوليك فى إثيوبيا

+ ساعد الكاثوليك على التدخل في اثيوبيا ضعف الكرسى الأسكندرى فى القيام بواجبه الديني لأثيوبيا، نظراً للظروف الخاصة به. والضغط الواقع عليه من حكامها.

+ وقد كان لتحول التجارة أيام المماليك من مصر إلى طريق رأس الرجاء الصالح بواسطة البرتغاليين أن استعمر هؤلاء غرب الهند. واتصلوا بأثيوبيا للتجارة معها .. ثم فكروا مع الأثوبيين فى الإتصال بأروبا. وعمل معاهدة للقيام بحرب ضد الدول الإسلامية التى تهاجم النوبة وجارتها.

معاهدة مع أوربا:

+ يقول المقريزى أنه فى سنة ١٤١٩م اكتُشِفت دسيسة غريبة وهى وجود معاهدة سرية بين الأفرنج (الصليبيين) وامبراطور الحبشة لإشهار حرب دينية مقدسة لمحو الديانة الإسلامية من العالم. وكيفية ذلك أن يزحف امبراطور الحبشة برجاله على مصر وسوريا من الجنوب والأفرنج (براً) وبحراً من الشمال. وكان السفير والنائب عن الحبشة فى أوربا الذى تمت على يديه تلك المخابرات تاجر مسيحى سافر من الحبشة بطريق السودان ومصر. ثم سافر منها براً إلى أوربا. وكان مُتنكِراً فى طريقه، مدعياً أنه رجل مسلم. وتمت مخابراته السياسية بنجاح عظيم وتقرر أن يلبس الجنود فى تلك الحرب الصليبية لباساً مرسوماً فيه شكل الصليب، ومنقوشاً عليه بحروف ذهبية اسم الهانئ (أحد ألقاب امبراطور الحبشة).

+ وبعد إتمام المخابرات وعودة ذلك السفير العظيم إلى بلاده، وصل إلى الأسكندرية. فخانه أحد عبيده. فقبضوا عليه قبل أن ينزل إلى البر. وجاءوا به أمام السلطان برسباي ومعه راهبان حبشيان وعدد عظيم من تلك الملابس العسكرية المطرزة التى اتفق مع الأفرنج عليها، كما تقدم.

+ فعقد قضاة مصر جلسة لمحاكمة ذلك التعيس. وحكموا عليه بالإعدام، ولكن قبل إعدامه اركبوه جملاً وساروا بين تهليل وتكبير فى شوارع بولاق والقاهرة والفسطاط ومشى أمام الجمل أحد المسلمين، وكان يصيح بأعلى صوته «هكذا يُعامَل كل من يقدم سلاحاً لأعدائنا».

+ ثم قطعوا رأسه بالقرب من وكالة الصالح أمام جمعٍ عظيم[1].

بعثة البرتغاليين لأثيوبيا:

+ كانت العلاقات بين الحبشة ومصر فى أيام «البابا يوأنس ٨٤ من سنة ١٤٨٤ – ١٥٢٤م» مقطوعة بسبب تتابع غارات ملوك مصر على بلاد الحبش. وكان ملك الحبشة وقتئذ يدّعى داود الثانى، الذى تولى المُلك سنة ١٥٤٠م فحمى ملكها فى عقد محالفة مع البرتغاليين اللذين كانوا على مقربة من بلاده، سعياً فى الإستيلاء على الهند. فأجابوا طلبه ودخل كثير منهم بلاده، وتوطنوا بها مدة من الزمن.

+ وفيما هم هناك رأوا أن المواصلات والعلاقات بين الحبش والأقباط بمصر معطلة وأنهم باقون بدون رئيس دينى، طلبوا من الملك أن يطلب من بابا روما أن يُرسل له مطراناً من عنده. فوقع اختياره على رجل برتغالى يُسَّمى يوازيا رمودز وكان طبيباً بالجيش فعينه مطراناً على الحبش وسماه بطريرك الأسكندرية أيضاً. فعد القبط والروم هذا تعدياً من البابا الرومانى، وأنكروا عليه الحق فى ذلك. وأبوا معرفة الشخص الذى عيّنه بأى الصفتين.

+ ويلاحظ من تصرفات بابا روما فى أمر تعيين هذا المطران البرتغالى بطريركياً على الأسكندرية ما يثبت كذب ما يدّعيه مؤرخو الكاثوليك من أن الكنيسة القبطية كانت قد خضعت لسلطة البابا. إذ لو كان ما يدعوه صحيحاً فما كان هناك موجب لتسميته بطريرك لها غير بطريركها القبطى أو أنه كان يجب على البابا عزله قبل تعيين غيره .. وإذا لم يكن هناك داعٍ لذلك، فما سبب تسمية الرجل الذى عينه مطراناً على الحبشة بطريرك الأسكندرية أيضاً[2]؟!

+ ولما مات ملك الحبش وتولى مكانه ولَدّه المسمى اقلاديوس المعروف بإسم سجاد الأول سنة ١٥٤٠م أوقف يوازيا رمودز عند حده. وأعلنه أنه إذا أراد البقاء فى بلاد الحبشة فلا يعتبر نفسه أكثر من ضيف واجب إكرامه، لأنه لا يريد أن يكون خاضعاً لغير بطريرك الأقباط، ولا تابعاً لغير كنيسته.

---

(١) بوتشر، المصدر السابق، جـ ٤ ص ٧٦ .

(٢) روفيله، تاريخ الأمة القبطية ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

+ وأرسل فى الحال وفداً من قِبلَه إلى البطريرك غبريال (٩٥ «١٥٢٥ - ١٥٦٨م») وطلب منه أن يرسل له مطراناً. فوقع اختياره على رجل يسمى يوسف. فرسمه وشيعّه إليه مع الوفد. فقابله الملك ورعيته بإكرام زائد وانشراح خاطر. وهكذا عادت العلاقات بين الأقباط والحبشة إلى ما كانت عليه قبلا بعد أن تعطلت نحو ثمانين سنة[1].

+ أما المطران اللاتينى فعاد إلى البرتغال حيث كتب تقريراً مفصلاً عما رآه فى رحلته لأثيوبيا وكان اغناطيوس لبولا مؤسس جمعية اليسوعيين مقيماً فى روما. فاتقدت نار الغيرة فى قلبه، وتوسل إلى البابا ليرسله، ولكنه لم يقبل.

+ واختار البابا شخصاً آخر من إكليروس الكنيسة اللاتينية يدُعى نونوباريتو وكاهنين آخرين معه. وسافر الثلاثة إلى جوا ببلاد الهند. ثم أقام باريتو بها وأرسل القسين إلى أثيوبيا فقابلهما اقلاديوس الملك بكل لطف، ولكنه اعتبرهما ضيوفاً فقط.

+ ووقعت فى هذه الإثناء حرب بين المسلمين وأثيوبيا فقُتل فيها الملك أقلاديوس. وخلفه أخوه فلم يعر التفاتا للكاهنين اللاتينيين.فأغرّيا أحد كبار الإشراف للإنضواء تحت لوائهما وعقيدتهما. وعقد هذا الشريف محالفة مع الإسلام ضد مينا ولكن مينا استطاع أن يجرد حملة ضدهم وهزمهم، بعد أن أثرت عليه الجروح فى الحرب، فأماتته. وتولى ابنه (سجود) وكان سنّه نحو الإثنتى عشرة سنة. وبهذا لم ينجح الكاهنان.

بعثة اليسوعيين لأثيوبيا:

+ ويظهر أن لوبولا قائد اليسوعيين لم يهدأ. فحث علي الإهتمام بأثيوبيا فى أيامه. وعلى هذا آتى (بيدوفيز) اليسوعي لأثيوبيا «أيام البابا مرقس البياضى ٩٨»[2].

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(٢) «مطارنة اثيوبيا فى هذا العصر هم اخرستوذلو - بطرس سنة ١٦٠٧م - سيمون توفى سنة ١٦١٧م وتولى بعده مطران غير قانونى .. اسمه رزق الله لأن كرسى المطرانية ظل خالياً فى سنة ١٦٣٧م وفيها رسم البابا متى الطوخى المائة فى العدد الأنبا مرقس مطراناً لها وبعده رسم البابا متاؤس البراموسى ١٠٢ المطارنة خرستونولو سنة ١٦٦٥م. وشنوده سنة ١٦٩٤م والأول عاصر الملكين - واسليدس سنة ١٦٣٢م ويوحنا الأول سنة ١٦٦٧م وشنوده عاصر · ياسو الأول سنة(١٦٨٢ لغاية ١٧٠٦م) عن تقويم الأزمنة المسيحية بمصر وإثيوبيا،تأليف شين،ص ٢٤٧ - ٢٦٩»

+ وفى سنة ١٦٠٤م وجهت الكنيسة القبطية نظرها نحو مشروعات وأعمال الإرساليات الرومانية الكاثوليكية فى الحبشة. وقبل ذلك - بأربع سنوات - سافر إلى الحبشة راهب يسوعي يدعى بيدوفير. ولما وصل إلى مصوّع سجنه الأحباش هناك، ولكنهم أطلقوا سبيله وسمحوا له بالإقامة بينهم فعاش مُعتزلاً بمدينة فريمونا من أعمال الحبشة وانقطع لدرس اللغة الحبشية، فبرع فيها حتي قيل عنه إنه كان يقرأ ويكتب فيها بطريقة أفصح وأتقن من الحبشى الأصلى.

+ فوصلت شهرة هذا العالم إلى بلاط الإمبراطور زارنجل، الذى خلف سجود على العرش الحبشى. فأرسل له واستقدمه ليُظهر براعته أمامه فى اللغة الحبشية وشيئاً من معارفة ومواهبة العلمية. فطار فيز فرحاً بهذه الدعوة. وَمُثل أمام الإمبراطور فأخذ يناقش الكهنة الوطنيين بلغتهم فى المواضيع العامية حتى تغلب عليهم ببراهينه وفصاحته، وسمح له الإمبراطور أن يُلقى موعظة أمام الحاضرين. فألقى موعظة جميلة أثَّر بها على الإمبراطور. فمال إلى اعتناق المذهب الكاثوليكى الرومانى، واقتدى به كثيرون من رجال بلاطه وحكومته.

+ فأدي ذلك إلى قيام الشعب الحبشى على الإمبراطور دفاعاً عن إيمان كنيستهم الوطنية الأصلية وإرضاءً لخاطر المطران القبطى. وقامت حرب أهلية ذُبح فيها الإمبراطور من أول معركة. وهُزم أعوانه «فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٦٠٤». وبعد قتله اصبح يطالب بالعرش الحبشى اثنان أحدهما من العائلة المالكة والآخر من الثابتين على المذهب الأصلى القديم (الارثوذكسي) وبعد نزاع وجهاد بين الطرفين وقع الإنتخاب على شنوده الذى يسميه المؤرخون سوسيانوس، وأرتقى إلى العرش الحبشى (= الإثيوبي).

+ وبعد أن هدأت الأحوال سمح الأحباش إلى اليسوعى بيدوفيز بالبقاء فى بلادهم. ولما كان يسوعياً حقيقياً وعالماً ماهراً وكان فى حماس شديد على مذهبه ولا يتحول عن غرضه مهما حالت دونه العوائق، فأنه أخذ يجتهد فى التأثير على هذا الإمبراطور الجديد، واستمالته لمذهبه، وبسعيه هذا أوقّع البلاد ثانيةً فى حربٍ أهلية!

+ وذاع وقتئذ أن وفداً سافر من الحبشة إلى ايطاليا ليعلن للبابا خضوع شنوده امبراطور الحبشة ودخول المملكة الحبشية تحت سلطان الكنيسة الرومانية. فأعلن ثانية المطران القبطى حروماً صادقة على الذين يتمسكون بالعقيدة الكاثوليكية. وهاج الشعب الحبشى ثانيةً. فأشهر السيف فى وجه الإمبراطور، دفاعاً عن دينه السليم، واستقلاله القديم، ولكن الإمبراطور انتصر على الشعب هذه المرة.

+ ومن ثم أخذ الهياج يزداد شيئاً فشيئاً، حتى ثار كل الشعب الحبشى، وأشهروا العصيان ضد الحكومة وأصبحت البلاد فى حرب أهلية هائلة فسجن الإمبراطور شنوده رؤساء العصاة الواحد بعد الآخر. وأذاع علناً إرتداده عن الأرثوذكسية واعتناقه المذهب الكاثوليكى الرومانى.

+ أما بيدوفيز اليسوعى - مصدر تلك المصائب - فقد مات سنة ١٦٧٣م. ويعتقد المرء بلا شك أنه بمساعيه غير الشريفة نجح فى تخريب المملكة الحبشية المسيحية التى أكرمته وأضافته، فأقام حرباً فيها بين أهلها وامبراطورها(١).

البعثة الفرنسية لأثيوبيا:

+ لما فشلت بعثة بيدوفيز حرك البعض لويس الرابع عشر ملك فرنسا لنشر الكاثوليكية فى أثيوبيا وربما كان لمربية أولاده مدام دى مينتنون الكاثوليكية ضلع فى هذا.

+ لما رأى اللاتينيون عدم نجاح مساعيهم فى مصر، حولوا إلتفاتهم مرة أخرى إلى الحبش، فأشار قسوس اليسوعيين على لويس الرابع عشر ملك فرنسا أن يرسل إليها عن طريق السودان طبيباً يسمى دورول، ليدبر بحسن سياسته مع ملكها «تكلاهمانوت» تمهيد الطريق لهم فى قبولهم ببلادة. وكان مع دورول ترجمان سورى يسمى «إلياس».

+ فلما وصلا إلى سنار قبض عليهما الحاكم وحجزهما. وبعد ذلك صرح للترجمان أن يذهب إلى الملك واستأذن منه عن دخولهما بلاده وأن يحضر منه أمراً بما يريده. وأبقى دورول عنده كرهينة حتى يعود.

---

(١) بوتشر، تاريخ الأمة القبطية، جـ ٤، ص ١٧٧.

+ وبعد أيام عاد إلياس الترجمان ومعه مكتوب من الملك هذا تعريبه:

* «هذا كتاب من الملك المعظم والإمبراطور المفخم سيد جميع الأمم .. أشهر الملوك المتدينين بالدين المسيحي .. حامي الإيمان .. القاضي بالإنصاف بين المسلم والنصراني، الذى هو من نسل داود وسليمان النبيين العظيمي السلطان .. لازال مباركاً وملكه مؤيداً بقوة جيشه الظافر».

* «إلى العالِم الشهير المبجل دورول الفرنساوى الآتى إلينا بقلبه وشخصه. حفظه الله من كل شرور، ورفع مقامه آمين».

* «لقد وصل إلى بلاطنا الملوكى إلياس ترجمانك الذى أرسلته إلينا. فسررنا بقدومه وقبلناه بحضرتنا. وقد علمنا منه أنك مرسل إلينا من قبل ملك فرنسا. ولكن صار حجزك بسنار. وعليه فقد كتبت إلى السلطان بأمرى ألا يمنعك ويسمح لك بالحضور. وإلاّ يُهينك بل يعاملك بالإكرام والتبجيل، أنت وجميع الذين معك، لما بيننا وبينكم من الرابطة الدينية والإيمان الواحد، مثل إلياس السورى رسولك، وكذلك جميع الآتين معك اللهم أن يكونوا تجاراً وسفراء من قبل أخينا ملك فرنسا وتوكيله بمصر. وهكذا تكون معاملته لجميع المرتبطين معنا بالإيمان، الذين تجمعنا وإياهم الجامعة الدينية الواحدة لأننا نحب أن نكون مرتبطين برباط المحبة والإتحاد والألفة مع الجميع ماعدا الذين يخالفوننا فى الإعتقاد والناموس. مثل يوسف الراهب اليسوعى وجماعته الذين طردناهم من بيننا. فإننا لا نسمح لهم بالدخول فى بلادنا لأنهم يثيرون الخواطر ويزرعون الشقاق بيننا. أما أنت فقد صرحنا لك بالمجئ إلينا. ولك منا الإكرام والإحسان»(١).

٢ «قال الراوى إلا أن سلطان سنار داخله شك من جهة دورول. فبعد أن حجزه عنده ثلاثة أشهر قتله».

+ وبهذا لم ينجح عمل المرسلين الأجانب فى أثيوبيا فى عصر العثمانيين.



(١) تاريخ الكنيسة القبطية، للقمص منسي ص ٥٦٢ .

الباب الثانى

تدخل العثمانيين فى مصر

(١٥١٧-١٧٩٨م)

+ تُنسَب الدولة العثمانية إلى آل عثمان الذين سكنوا أولاً شرق بحر قزوين فى بلاد التركستان، ثم رحلوا إلى آسيا الصغرى، وظهر عثمان (١٣٨٨ - ١٣٩٦م) وقد ألف خلفاؤه فرقة الجنود الأنكشاريه.وكانت فى أول عهدها ستة آلاف شاب مسيحى من الأسرى وحولوهم إلى الإسلام، وقد زاد عددها كثيراً فيما بعد.وقد استطاع محمد الفاتح سنة ١٣٥٤م والنقاش الدينى قائم فى داخل القسطنطينية أن يفتتحها.[1]

+ ولما قام الملك سليم الأول، حوَّل الخلافة أيضاً له. فصار خليفة المسلمين. بدل العباسيين. ورأى أن قنصوه الغورى[2] قد آوى شقيقه الذى آراد أن يأخذ الخلافة فوقعت الحرب بينهما واستخدم العثمانيون المدافع التى لم تكن للمماليك الشراكسة مثلها. فأنكسر قنصوه الغورى. ولما رأى جيش الأعداء يحيط به، آراد أن يدير حصانه فسقط من عليه وداسته أقدام الخيل ومات. ثم زحف سليم الأول نحو مصر واستطاع أن يهزم أيضاً طومان باى آخر المماليك الشراكسة. وهو ابن أخ الغورى. وشنقه عند باب زويله. وآلت مصر إلى العثمانيين سنة ١٥١٧م وقد أخذ سليم معه مشاهير الصناع الأقباط. فتعطلت بذلك مصانع كثيرة بمصر.



الفصل الأول

تحكم الباشوات والبكوات العثمانيين

+ أرسل العثمانيون من قبلهم الباشا (الوالي العثماني) ليكون حاكماً من قبلهم لمصر ومعه المماليك والجيش، وكان يهم سلاطين العثمانيين أن يستغل الباشوات مصر استغلالاً مادياً لمصلحتهم. فانصرف هؤلاء الولاة إلى جمع الأموال وفرض الضرائب.

(١) يعقوب نخلة روفيلة، تاريخ الامة القبطية ص ٢٥٨ .

(٢) وهو الذي سميت باسمه الغورية بالقاهرة.

واتخذ العثمانيون مبدأ عدم إقامة الباشا مدة طويلة بالبلد، لئلا يركز نفوذه ويستقل بمصر. فكانوا يستدعونهم بسرعة إلى درجة أن صار فى حكم مصر منهم فى مدة ٢٨١ سنة نحو ١١٩ باشا. لذلك انكب الباشوات على جمع الأموال قبل أن يرحلوا ليسددوا المطلوب منهم، ولكى يغتنوا أيضاً.

+ هذا ولم يمنع من وجود ولاة نزيهين مثل سميع باشا الخادم الذى أتى إلى مصر فى عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥م) فكان يرفض الهدايا والرشاوى التى كانت تأتيه بلا حصر، كما جرد حملة ضد المجرمين واللصوص والناهبين. فقتل منهم نحو عشرة آلاف شخص، فاطمأن الناس على أموالهم وممتلكاتهم. وقد استمرت مدة ولايته خمس سنوات وهو يحكم بالعدل وبالذكاء. وإن كان يراه البعض - فى كثير من الأحيان معبساً - لكن مصر استراحت فى عهده[1].

هجوم عرب الهوارة على الصعيد:

+ ولكن أكثر الأيام كانت أردأ من هذا العهد المؤقت فقد كان المماليك يقومون بعضهم على بعض أو يقومون على الباشا فيختل الأمن فى البلد إلى درجة أن عرب الهوارة زحفوا على الوجه القبلي واضطر بعض الأقباط إلى الإلتجاء إليهم لحمايتهم من هذه الفوضي - فكان الهوارى يقول للمسيحى هذا (نصرانى) والقبطى يقول للهوارى (بدوى).

تقدير الأقباط أيام العثمانيين:

+ كان الكشاف وكبار المسلمين - فضلا عن الولاة والحكام - قد جعلوا القبط موضع ثقتهم وسلموهم إدارة مصالحهم. فقاموا بها خير قيام. لذا كانوا يُكنون بأسمائهم فيقولون المعلم غبريال السادات والمعلم يوسف الألفى والمعلم منقريوس المورلي وغير ذلك، نسبة لمخدوميهم.

+ ولما آنسوا فيهم الصدق والأمانة أودعوهم أسرارهم واستشارتهم فى بعض أمورهم الهامة. فوجدوا فى أمانتهم الخير. وعرف العقلاء أهمية الأقباط والاحتياج إليهم

---

(١) بوتشر، المصدر السابق، جـ ٤ ص ١١٥.

فقدروهم ومنحوهم المساواة بالأفرنج الذين كانوا يعيشون فى مصر تحت حماية دولتهم. كما ذكر المؤرخ القبطي أبو دقن المنوفى(١).

زيارة الأراضى المقدسة:

+ وقد كانت زيارة القدس فى ذلك الوقت متعبة وكان يدفع الذاهب إليها ضرائب متعددة، هنا بمصر وعند الوصول إلى القدس. وقد وصف سوء الحالة المؤرخ أبو دقن المنوفى(٢) فى كتابه عندما قال: «إذا قصد أحد الأقباط زيارة الأراضى المقدسة لابُد له من دفع غرامتين، نظير التصريح له بذلك أولاهما عندما ينوى السفر وقيمتها ثمانى ريالات والثانية قيمتها أربعة يدفعها غالباً عند دخوله المدينة المقدسة».

+ سعى الأقباط سنة ١٧٥٣م بواسطة بعض كبرائهم فى تجديد عادة زيارة الأراضى المقدسة بأورشليم سنوياً فلم تعارض حكومة البلاد فى ذلك ولكن بعض المكابر المشايخ المسلمين تصدوا لهم فى السماح بذلك».

+ من حواديث هذه السنة أن النصارى الأقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس. وكان كبيرهم إذ ذاك نوروز كاتب رضوان. فكلم الشيخ عبدالله الشبراوى فى ذلك، وقدّم له هدية وألف دينار فكتب له فتوى وجواباً ملخصه أن أهل الذمة لا يُمنعون من دياناتهم وزياراتهم. فلما تم لهم ما أرادوا وشرعوا فى قضاء أشغالهم وخرجوا فى هيئة وأُبهة وجِمَال فيها نساءهم وأولادهم ومعهم طبول وزمور ونصبوا لهم عرضاً عند قبة الغرب. وأحضروا العربان ليسيروا فى خفارتهم. وأعطوهم أموالاً وهدايا وكساوى وإنعامات. وشاع أمر هذه الحادثة فى البلد. واستنكرها الناس».

* «وحضر الشيخ عبدالله الشبراوى إلى بيت الشيخ البكرى كعادته وقال له: «أى شئ هذا الحال يا شيخ الإسلام؟!» كيف ترضى وتفتِي للنصاري وتأذن لهم بهذه الأفعال؟! لأنهم أرشوك وهادوك». فقال: «لم يكن ذلك» قال: «بل أرشوك بألف دينار وهدية. وعلى أن

---

(١) روفيله، تاريخ الامة القبطية ص ٢٦٥.

(٢) وهو من مشاهير أواسط القرن ١٧ وضع كتاباً قيماً باللغة العربية شرح فيه حالة الأقباط فى ذلك العصر وعوائدهم .. ومعتقدات الكنيسة والكتاب بمكتبة جامعة اكسفورد، تُرجم إلى اللاتينية ونشر سنة ١٦٧٥ وترجم إلى الإنجليزية سنة ١٦٩٣ (روفيلة ص ٢٥٤ - ٢٦٦) وشهد فى كتابه عن شبان الأقباط بقوله: «إن شبان الأفرنج أكثر علماً من شبان الأقباط إلا أن هؤلاء أكثر زهداً وأقل شراهة فى المأكل والمشرب» (منسى، المصدر السابق ص ٦٢٥)

تصير سُنَّة"ويخرجون فى العام المقبل بأزيد من ذلك ويصنعون لهم محملاً ويُقال حج النصارى وحج المسلمين.وتصير سُنَّة عليك وزرها إلى يوم القيامة»!!

* «وقام الشيخ وخرج من عنده مغتاظاً. وأذن العامة فى الخروج عليهم ونهب أمتعهم وخرج كذلك معهم طائفة من مجاورى الأزهر فإجتمعوا عليهم ورجموهم وضربوهم بالعصى، ونهبوا ما معهم، ونهبوا أيضاً الكنيسة القريبة من الدمرداش (دير أنبا رويس بالخندق) وحزن النصارى فى هذه الحادثة بشدة وضاعت عليهم الزيارة المقدسة. وذهب ما صرفوه وأنفقوه فى الهباء[1]».

علي بك الكبير يستقل بمصر سنة ١٧٦٣ - ١٧٧٤م:

* «وعلى بك هذا كان شيخاً للبلد (القاهرة) وقد استطاع أولاً أن يهب ثمانية عشر مملوكاً رُتبة البكورية ليساعدوه فيما بعد. وكان من هؤلاء إبراهيم بك ومراد بك ومحمد بك أبو الذهب (لكثرة الأموال التى كان يُحسن بها).

+ وقد سار هذا على خطة سبيع باشا. فطهّر البلاد من اللصوص، وساد فى عهده الأمن. وانتهز فرصة قيام حرب بين روسيا وتركيا التى طلبت منه جيشاً لمساعدتها ضد روسيا-فجهّز الجيش للإستقلال بمصر. فأرسل السلطان فرماناً بقتله. فعمل حيلة للإستيلاء على الفرمان قبل وصوله، وقتل الرسل، ونجح فى هذا. وأقنع البكوات بأن الأمر لم يكن خاصاً به فقط بل بهم أيضاً. فثاروا ضد الباب العالى (السلطان العثماني) واستقلت مصر.

+ ولإطمئنان على بك إلى أمانة الأقباط عيّن ميخائيل فرحات القبطى مديراً للجمرك بدلاً من يوسف بن لاوى الإسرائيلى، الذى قُتل لخيانته. وقد خفف أيضاً الضرائب على الأقباط.

+ ولما رأى استيلاء عرب الهوارة على الصعيد فى البقعة بين جرجا وفرشوط (وقد أتوا من نواحى تونس) واستولى شيخهم على الإقليم من أسيوط إلى أسوان، أرسل إليهم محمد بك أبو الذهب سنة ١٧٧٠م الذى هزمهم. واضطروا أن يفتدوا أنفسهم بالمال الذى معهم. ولكن أبو الذهب أثرّت فيه وساطات العثمانيين. فقام على نسيبه (علي بك) وحاربه وقتله. ثم استرد العثمانيون سلطتهم على مصر.

✣ ✣ ✣

---

(١) روفيله ص ٧٦٧ – ٧٦٨ والجبرتي، جـ ١ ص ١٩٥ .

الفصل الثانى

مشاهير الكنيسة المصرية فى عهد العثمانيين

+ اشتهر من البابوات فى عصر العثمانيين غير من ذُكِر فى الإتصال بأثيوبيا وبالكاثوليك:-

البابا مرقس البياضى ٩٨ من ١٦٠٣ - ١٦١٩م (١٣١٩ - ١٣٣٦ ش):

+ وكان أصله من البياضية مديرية (محافظة) أسيوط. وبعد أن صار بابا رأى أن عادة غريبة قد سرت فى وسط الأقباط، وهى أخذ زوجات غير شرعيات، لاسيما نصارى جهة الريدانية.وشجعهم على هذا مطران دمياط، الذى جاهر بأن الإنجيل لا يمنع تعدد الزوجات[١]!!.

+ فلما شعر البابا بهذا أصدر منشوراً يحرم فيه تعدد الزوجات ويحرم المطران الذى أجاز هذا - فأتفق هذا المطران مع فريق من أكابر موظفى الحكومة على الكيد للبابا ولدى جعفر باشا الوالى الذى عزله عن كرسيه وسجنه فى برج بالأسكندرية.

+ ثم خدع المطران راهباً من البياضية أيضاً وأقامة بطريركاً. وصرح للشعب بالطلاق وبتعدد الزوجات. وعضد هذا (الشرير) شعب الوجه البحرى.

+ فوقف فى وجه هؤلاء شعب الوجه القبلى والقاهرة. وسعوا لدى الوالى لرد البابا المسجون. فردّه لهم، وصار لكلٍ حزبه، إلى أن على شدد الحرب عليّ الراهب. فتركهم وصار يعمل فى بستان، إلى أن مات. واستقل البابا مرقس بعرشه. وظل يعمل علي استئصال هذه العادات الرديئة إلي أن تنيّح بسلام.

البابا متاؤس الميرى ١٠٢ (ديسمبر ١٦٦٠ - ١٦٧٥م) :

عائلة القمص جرجس البراموسى:

* «كان أب هذا القديس من المسيحيين الأبرار .. من أغنياء مير (بأسيوط) لما بلغ هذه

(١) وقد فنّد قداسة البابا شنودة الثالث هذا الزعم في كتابه: «شريعة الزوجة الواحدة».

القامة (الروحية) زهد هذا العالم الزائل، ومضى إلى دير البراموس.وبعد أن مكث ست سنوات رأى فى حلم أن أبويه حزينان بسببه.. لأنه لم يخبر أحداً بما نوى عليه .. فقام من نومه منزعجاً .. واستشار أخوته الرهبان فى ذلك. فوافقوه على أن يسافر إلى مير، ليطمئِّن على والديه، وكان مشهوراً بإسم الراهب جرجس الميرى .. فلما رأوه فرحوا به. وعاد إلى ديره .. وبعد رسامته قساً ظل يكد فى السهر (الروحي) وإقامة الصلوات.

الخلاف على اختيار البطريرك:

+ لما تنيَّح البابا مرقس ١٠١ (١٦٤٦ – ١٦٥٦م) .. قاموا بالبحث بين الرهبان.. فدلهم الآباء على الأب جرجس الميرى. وكان فى ذلك الحين رئيساً لدير البراموس ومقيماً بناحية طوخ النصارى وقتئذ، للإشراف على أطيان الدير وتموينه. ولما فاتحوه فى أمر ترشيحه رفض مُعتذراً. فاتجه نظرهم نحو القس يوحنا، وكان رجلاً قديساً .. ولكن ترشيحه لم يجد تأييداً .. بعد ذلك ألقوا القبض عليه (جرجس) لإمتناعه .. وسجنوه فى بيت الوالى مع زميله القمص يوحنا. وقد شاهد الجند فى بعض الليالى.. كأن قنديلاً يضئ فوق الراهب جرجس – وهو فى السجن – ورُسَم فى كنيسة مرقوريوس. وجاهد فى حياته. ثم ذهب لمقبرة وقال: «اقبلينى» فتنيَّح[1]!!

الأنبا يوساب الأبح أسقف كرسى جرجا وأخميم :

* «وُلِد بالنخيلة بأسيوط سنة ١٧٣٥م،ولما بلغ ٢٥ سنة قصد عزبة دير القديس أنطونيوس ببلدة بوش. واكتسب رضاء رئيس الدير، فوافق على إرساله إلى دير القديس بالجبل، وظل منكباً على مكتبة الدير. واتصل خبره بالبابا يوأنس ١٠٧.. فإستدعاه. وقام برسامته رغماً عن إرادته سنة ١٧٩١م بإسم الأنبا يوساب أسقف جرجا.

---

(١) مطبوعات دير السريان، جـ ٤، ص ٨٩ ـ ٩٤ .

+ ولما وصل إلى كرسيه وجد الشعب مشوشاً بالهرطقة والبعثات الكاثوليكية. فبذل جهداً جباراً فى سبيل جمع شعبه .. وفى تعليم شعبه حقائق معتقدات كنيسة الأسكندرية ووضع عدة مقالات عن «**تجسُّد السيد المسيح**»، وأخذ من كتاب مجمع خلكيدون الذى طبعته روما سنة ١٤٩٦م حُجة ضدهم».

+ اختاره البابا (يؤانس) ليقوم بحملة ضد الإرساليات الكاثوليكية .. وقام بتأليف كتاب «صلاح المؤمنين» ضمنه معتقدات الكنيسة .. ورثى البابا يوأنس وإبراهيم الجوهرى. كما اشترك فى انتخاب البابا بطرس الجاولى.

+ كان الأنبا يوساب رحوماً بالفقراء. بما كان يفضُل من إيراد الكرسى يرسله إلى إخوته الرهبان بالأديرة ...تنيّح سنة ١٨٢٦م. ذُكِر فى سنكسار ١٧ طوبة»[١].

المعلم رزق:

+ كان موظفاً فى دار صك النقود فى عهد على بك الكبير، وقد اشتهر بإنسانيته التى أظهرها مع الرحالة الإنجليزى «بروس» وكان مقصد هذا السائح الذهاب إلى أثيوبيا. ولما مر بجمرك الأسكندرية حُجِزَت أمتعته استيفاءً للرسوم، فأصدر المعلم رزق أمراً من على بك الكبير بإعفائه من الضريبة. فقدم له بروس هدية نفيسة، فردَّها له مصحوبة بهدية من عنده .

+ وقد رأى المعلم رزق مع بروس آلات رصد الفلك فإستأذنه فى أن يشرح له أمر هذه الآلات. وجهزّ له مكاناً ببابليون (مصر القديمة) لينزل به مدة إقامته بالقاهرة. وأتى بخطاب توصية من البابا لنجاشى الحبشة ليُسّهل مأموريته .. والمعلم رزق هو الذى وسطَّه البابا فى تدبير وظيفة للمعلم إبراهيم الجوهرى .

المعلم إبراهيم الجوهرى:

+ يندر وجود شخص كإبراهيم الجوهرى، شهد عنه يوساب الأبح بقوله: «إنه كان أكبر

(١) مطبوعات دير السريان ،المرجع السابق ص ١٣٠ .

أهل زمانه، وكان مُحبّاً لله يوزع كل ما يقتنيه على الفقراء والمساكين ويهتم بتعمير الكنائس. وكان مُسالماً لجميع الطوائف، قاضياً حاجات الكافة، لا يُمّيز فى الحق واحداً عن آخر».

+ وشهد الجبرتى عنه وعن المعلم رزق فى قوله: «بلغ كاتبه (يقصد على بك الكبير) القبطى المعلم رزق فى أيامه من العظمة ما لم يبلغه قبطى فيما رأينا ومن كان مثله المعلم إبراهيم الجوهرى وأدرك ما أدركه بعده، فى أيام محمد بك ابو الذهب[1].

+ عاش ابراهيم الجوهرى فى أواخر القرن الثامن عشر، وتوفى سنة ١٧٩٦م وعاصر البابا يوأنس الفيومى ١٠٧ وكان والده يوسف حائكاً بقليوب، ويقال إن عائلة بأسيوط تُنسَب إليه.

+ **حالته وهو موظف**: مع أنه وصل إلى أكبر وظيفة يطمع فيها القبطى وهى رئاسة كُتّاب القطر المصرى، ولكنه كان وديعاً متواضعاً.عكفَ على صنع الخير للجميع بدون تمييز أحد بسبب دينه، ولكنه قدَّر العامل فيهم جميعاً.

+ ولم تكن وظيفته لتُعطله عن تأدية واجبه بالنسبة لخالقه وفاديه. فكان يذهب يوم الأحد مبكراً ليحضر الكنيسة، وليكون مثالاً لبقية إخوانه.

+ ذهب مرة إلى كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله. ولما تأخر الكاهن فى الصلاة أرسل خادم القلاية للقمص ابراهيم عصفور يقول له: «المعلم يطلب الإسراع فى الصلاة ليتمكن من الوصول إلى الديوان فى الميعاد». فردَّ عليه بصوت مسموع: «المُعلِم فى السماء والكنيسة لله وليست لأحد. فإن لم يعجبه فليَبنِ كنيسة أخرى». فلم يغضب المُعلم ابراهيم بل أسرع وبنى كنيسة الشهيد مرقوريوس المجاورة لها. فذهب إليه القمص وقال: «أشكر الله الذى جعل غضبك يبنى كنيسة أخرى. فزادت حسناتك».

+ **إحسان ابراهيم**: ظهر إحسانه فى شخصٍ فقير،أراد أن يختبر عِظَم سخائه. فألّح

---

(١) مطبوعات دير السريان جـ ١، ص ٣٨٤.

عليه مراراً بلغت نحو ١٨ مرة. وهو يسأله أن يُحسن إليه أثناء ذهابه للديوان. وكان يقول له: «أعطِني على اسم السيد المسيح»فكان المعلم ابراهيم يعطيه بسخاء وأخيراً قال له الفقير: «طوباك يا جوهرى» فرد عليه قائلاً: «لا تستغرب فى أن أعطيك، لأنك تطلب أمانة عندى، فهل أتأخر فى تسديدها لصاحبها عن طريق نائبه»!!

+ وقد ظهر إحسانه مع تسامحه بعدوه عندما تقدم إليه شقيقه جرجس يشكو من أحد المشايخ الذى أهانه بينما كان يمر أمامه وهو راكب جواداً .. فقال له: «إبراهيم غداً سأقطع لسانه» وعرف أن هذا الشيخ فقير، فأرسل له سمناً وجبناً وغلالاً تكفيه نحو سنة .. ولما مر جرجس ليعرف ماعمله شقيقه بالرجل، قابله بالترحاب الزائد فرجع إلى أخيه يستقّصى عن السبب.فقال له: «قد قطعت لسانه الردئ، وجعلت له لساناً حسناً» وذكرّه بالآية: «إن جاع عدوك أطعمه»فسُرّ من تصرُف شقيقه»!

+ ويقال أن واشٍ وشِيَ- بعد وفاته - أن ابراهيم غنى، لتستولى الحكومة على ثروته فكلف إبنته دميانة بإستحضار هذه الثروة فاستمهلته مدة. ثم جمعت الفقراء الذين كان يُحسِن إليهم والدها. فقالت لمندوب الحكومة «إن بطون هؤلاء هى خزائن والدى».فذكَره بالخير وانصرف.

+ ويُقَال أيضاً: «إن فقيراً كان معتاداً أن يذهب لإبراهيم فى وقت مخصوص ويأخذ الحسنة التى يُقدّمها له .. فذهب فى الميعاد وسمع أن ابراهيم قد مات .. فذهب إلى قبره، وصار يبكى بكاءً مُراً إلى أن نام بجوار القبر. فظهر له ابراهيم وهو نائم وقال له:«اذهب إلى الزيات الفلانى ببولاق؛ لىّ فى ذمته عشرة دنانير. فخُذها لنفسك».ولما ذهب الرجل للزيات تأكد أن الرؤيا صحيحة.

تجربة إبراهيم:

+ لم تكن إحسانات ابراهيم لتعفيه فى هذه الحياة من التجارب - فقد كان له ابن وحيد يُدعى يوسف، شاءت العناية الإلهية أن ينتقل من عالمنا هذا قبل والده،بعد أن جهزّه

للزواج، فتكدّر خاطره. وأغلق المكان الذى كان مُخصّصاً لإبنه. وأزال السُلّم الموصل إليه.وازدادت تجربته عندما آتى حسن باشا قبطان وطارد ابراهيم بك ومراد بك اللذين كانا يعمل معهما إبراهيم الجوهرى - فهرب ابراهيم الجوهرى معهما للصعيد. وترك زوجته بالقاهرة.فما كان من أتباع حسن باشا إلا أن اهتدوا إلى زوجة ابراهيم وطلبوا منها موضع زخائر زوجها. فأخذوا الأوانى الفضية والذهبية.وعثروا أيضاً على غرفة ولدها، فأخذوا ما بها وباعوا ماوجدوه فى الأسواق بأخمس الأثمان، وتم على إبراهيم وزوجته قول الكتاب: «الذى يحبه الرب يؤدبه» (عب ١٢:٦).

المزاحمة فى عمل الخير:

تظهر محبة ابراهيم فى عمل الخير فيما يأتى:

+ كان للمعلم ابراهيم صديق يدعى فانوس.وكان من عاداتهما أن يذهبا فى صباح كل عيد ليُعيّدا على البابا. وفى مرة تأخر فانوس فى الحضور صباحاً. فسأله عن سبب ذلك فروي له قصة تأخيره. وهى تتضمّن قوله إنه رجع إلى منزله بعد الكنيسة ليلاً فوجد زوجته وأولاده نائمين وأنوار المنزل مطفأة والزوجة حزينة. فسألها عن السبب فقالت له: «كيف تفرح وزوج فلانة جارتنا مسجون وأولاده فى حزن؟!» فذهب فانوس فى الليل، وأخرج المسجون المسيحى، ليفرح مع أولاده بالعيد.وأنه قد أمضىّ فى ذلك معظم الليل، فإستيقظ متأخراً وحضر له متأخراً .

+ ولما ذهب الإثنان للبابا شكى ابراهيم المعلم فانوس بقوله: «كيف ينفرد فانوس بعمل الخير دون أن يشركنى معه لأخذ الأجر؟!» فقال البابا: «حسنة هى الغيرة فى الفعل». ثم طلب من ابراهيم أن يعمل الخير معه بتوفير عمل له، فلا يُحَرم من الأجر !! .

+ ويظهر أن هذه الروح قد تغلغلت فى الذين كانوا يعاملون ابراهيم - فقد قيل إن أحد الأصدقاء كان قد رُفت من وظيفته. وانقضى عليه ستة أشهر. فلما بلغ ابراهيم هذا دبّر له وظيفة.واستدعاه فقال له هذا الموظف «لى جار قد مضى عليه وهو خالٍ من العمل أكثر مما قضيت أنا.فهو أحق منى بالوظيفة» فسُر ابراهيم من شعوره هذا ودبر وظيفة للإثنين .

عمل ابراهيم فى خدمة الكنيسة:

+ أن الخير الذى عمله ابراهيم للكنيسة مازالت آثاره للوقت الحاضر. فقد كان يؤجّر الخطاطين ليكتبوا كتب الكنيسة. واهتم جداً بعد تجهيز الكتب بتعمير كثير من الكنائس والأديرة. ومازالت آثاره هذه ظاهرة فى دير القديس أنطونيوس - بصفة خاصة - وكان يرسل إلى جميعها المأكل، ومازال "الترمس" الذى أرسله الجوهرى باقياً للآن فى أديرة وادى النطرون (في زمن الكاتب ١٩٦٠م).ولقد امتدت حسناته حتى إلى القدس.

+ وفى مرة آخرى تأخر ابراهيم بتأثير زوجته عن إرسال المؤونة للأديرة كعادته. وكان ذلك بعد فقد إبنهما يوسف، ولبس الزوجة ثوب الحداد على إبنهما.

+ فظهر الأنبا أنطونيوس لهما بشكل نورانى قائلاً: «إن الله أحب الولد بنقله شاباً وأحّب أيضاً الوالد. ومن ذا الذى يعرف مقاصد الله فربما أفسد الولد شُهَرة الوالد. فلا تفشلى فى عملكِ.تعزّيِ بالله وعزّيِ زوجكِ». فإستيقظت من نومها وغيرت ملابسها ولما رآها زوجها هكذا سأل عن السبب فعرفته بالرؤيا - فتعزّيا وواصلا عمل الخير، الذى كانا يعملانه.

+ وقد كان ابراهيم يصرف على الأعمال الخيرية نحو ربع راتبه وبلغت حجج الوقف التى تركها للأعمال الخيرية ٢٣٨ حجة. وبلغت أثمان العقارات الموهوبة للفقراء ٤٥ ألف ريال.

+ ولما حضرت إحدى أميرات سلطان تركيا وهى قاصدة الحج، قام ابراهيم بخدمتها خير قيام. فأرادت أن تكافئه عن عمله هذا. وسألته عما يريد - وكان معروفاً أن الأقباط يتعبون فى إنشاء الكنائس - فطلب من الأميرة أن تأتى بفرمان لبناء كنيسة بقرب منزله ببقعة الأزبكية. فأرسلته على الفور، ولكن عند وصوله مات، فلم يكمل عمله، وقام شقيقه جرجس بهذا العمل فى الموضع الذى به كنيسة الأزبكية الآن .

+ وعندما مات فى ٣١ مايو سنة ١٧٩٥ حزن عليه ابراهيم بك حزناً شديداً وسار فى جنازته. وقد كتب عنه الجبرتى فى تاريخه يقول: «أنه أدرك بمصر من العظمة ونفوذ الكلمة وبُعْد الصيت والشُهَرة لم يسبق مثله من أبناء جنسه (الأقباط) وكان كثير العلم ومعرفة الكثير من الأمور[1]».

---

(١) تاريخ الجبرتي، جـ ٢، ص ٢٦٢.

الباب الثالث

تَدخُّل الفرنسيين فى مصر سنة ١٧٩٨ - ١٨٠١م

(الأقباط فى عهد الحملة الفرنسية)

+ لقد كان لإضطراب الحُكم فى عهد العثمانيين، والنزاع الذى كان يقوم بين الهيئات الحاكمة من المماليك أو الباشا الوالى أو الجنود أن انفرط حبل الأمن وكثر الظلم والنهب والعدوان وخصوصاً على التجار والأجانب بمصر. وشكا هؤلاء لقناصلهم، وشكا القناصل للسلطان، ولكن بلا جدوى. ولكن عندما وصلت الشكوى من قنصل فرنسا لبلاده، قام نابليون وهو يريد أنتهاز الفرصة أن يُكوّن إمبراطورية فرنسية بالشرق، بحملة على مصر.



الفصل الأول

الحملة الفرنسية وحالة الأقباط فى عهدها

+ آتى نابليون[١] إلى الأسكندرية بأسطوله وسار منها فى الطريق الغربى لفرع رشيد إلى أن وصل إلى إمبابة والقاهرة. وكانت تقف أمامه فى ذلك الوقت قوة ابراهيم بك الذى لم يستطع الصمود أمامه. وهرب أخيراً بفلوله إلى الشام، عن طريق العريش.

+ أما جيش مراد بك فقابله فى امبابه وانهزم أيضاً وفرّت فلوله إلى الصعيد. فتعقبّه الفرنسيون إلى أن ذهب إلى النوبة. وكان الجيش الفرنسى مجهزاً بالآلات الحربية والأدوات الكتابية للدعاية. فقد أحضر معه نابليون مطبعة عربية. وفريق من العلماء

(١) ولما وصل نابليون طلب أن يسمع من يتكلم باللغة القبطية فكلمّه قبطي من الصعيد يجيدها ولم يُجاره، فى هذا الإمتياز سوى إمرأة عجوز، ولكن ذكر لنا ڤانسليب الراهب الدومنيكانى الذى آتى إلى مصر سنة ١٦٧٢ أنه وجد بين الأقباط من يتكلم بلغته الأصلية.

وقد أغرق مصر بمنشوراته التى كان يُظهر فيها أن الفرنسيين مُسلمون،لكى يجذب بهذا عقول المشايخ والعلماء الدينيين!

ثورة ضد الأقباط:

* «إن أرجل جنود فرنسا لما وطئت أرض أبى قير والأسكندرية، هاج فى القاهرة رعاع المسلمين وشرعوا يُجرّعون النصارى كأسات المرارة، رغماً عن اجتهاد أمرائهم الذين أخبروهم بأن هؤلاء المسيحيين (الاقباط) من جملة رعايا الدولة. وأنه من مسَّ شرفهم، فقد مس شرف الدولة نفسها».

* «فلم يرهبهم ذلك ولم يخشوا سطوة بونابرت وجنوده الباطشة. وذلك أن هؤلاء لما حاربوا المماليك وانتصروا عليهم وملكوا القاهرة وظن النصارى أن الجو المعكر صفا لهم قام على أثر ذلك معظم المسلمين وشيوخ الجامع الأزهر وتجمهورا فيه وأرسلوا القُرَّاء يطوفون فى الأسواق منادين: «فليذهب كل من يُوَّحد الله إلى الجامع الأزهر. هذا هو يوم الجهاد فى محاربة الكفار والأخذ بالثأر». فهاجت المدينة وقفل المسلمون حوانيتهم ونقلوا أسلحتهم واجتمعوا فى الجامع الأزهر. ثم جالوا ينهبون بيوت المسيحيين على اختلاف أديانهم (مذاهبهم) ويقتلون كل من صادفهم بدون تمييز بين رجل وإمرأة وطفل وشيخ. وكان سكان الوجه القبلى - لما هرب المماليك إليه - أخذوا يعيثون فى الناس ظلماً. وينهبون أموال النصارى».

* «ولما انقضت المعاهدة بين القائد كليبر الفرنساوى والصدر الأعظم (السلطان العثماني) ودارت رحى القتال مع الفرنسيين فى المطرية، اغتنم المسلمون فرصة خروج عسكر فرنسا من القاهرة وثاروا على النصارى .. ونادي نصيف باشا بأنهم غلبوا الأفرنج. وأمر بقتل باقى النصارى. فشرعوا يجرجرونهم (يذبحونهم). فاستدرك حالهم عثمان بك .. وقال: «ليس من العدالة أن تهرقوا دماء رعايا الدولة»[١].

---

(١) دير البراموس مخطوط ٣٨٠/٧ ورقة ٢٢ - ٢٤.

+وقال الجبرتي: «حضر أيضاً رجل مغربي والتف عليه طائفة من المغاربة وفعل أموراً فظيعة للغاية .. فكان يتجسس على البيوت التي فيها الفرنسيون والأقباط[1] فهجم عليهم ويقتلهم.وينهبون ماعندهم ويسلبون النساء ويسلبون ما عليهن من الحُلَل والثياب، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة (الفتاة) طمعاً فى ما على رأسها وشعرها من الذهب[2].

تنظيمات نابليون:

+ وقد ساوى نابليون بين الجميع.واقترض قرضاً[3] من جميع التجار من مسلمين ومسيحين ليستعين به على تنظيم الحال. كما أمر بهدم كل البوابات من أمام الشوارع، ليسهل على جنوده المرور وسطها لحفظ الأمن والنظام. وفرض عوائد (ضرائب علي) الأملاك.

+ وقد رتب نابليون ديواناً للنظر فى قضايا القطر. وكان مُركّباً من إثنى عشر عضواً، ستة من الأقباط المسيحيين وستة من الإسلام. وكان المعلم ملطى القبطى رئيساً له.

+ ولكن فريقاً من الأزهريين أيضاً وقف ضد مشاريعه. فإقتحمت جنود الفرنسيين الأزهر بخيولهم، وخرّبت منازل كثيرة حوله. واستخدم جنود الفرنسيين الحزم فى إقرار سلطتهم.

+ ولم يستمر الفرنسيون فى مصر إلا نحو ثلاث سنوات. إذ وقف ضد استمرارهم بها الإنجليز، الذين كانوا يريدون السيطرة على مصر، والتدّخل فى شئونها. فوقعت بين الفريقين موقعة أبى قبر البحرية والبرية، ثم خرج الفرنسيون من مصر سنة ١٨٠١م وتدّخل العثمانيون فى حكم مصر مدة بسيطة، استطاع فى أثنائها محمد على باشا (الوالي التركي) أن يستقل بمصر عنها سنة ١٨٠٥م.

---

(١) كان عدد أقباط مصر في ذلك الوقت نحو ٢٠٠ الف نسمة.

(٢) تاريخ الكنيسة، منسى، المصدر السابق ص ٦٤٩ .

(٣) ممن اقترض منهم نابليون المعلم أنطون أبو طاقية. وقد سُمّى هكذا لأنه نزع طاقيته عندما حضر إليه نابليون وكان يملأها بالمال إلى أن استوفى نابليون حاجته ولكن بعد خروج الفرنسيين قتله الأتراك وباعوا ممتلكاته بالمزاد .. فذهب حفيده ابراهيم عوض إلى فرنسا وطالب نابليون الثالث بالدين. فأعطاه خطاباً بخطه بصرف ٤٥٠٠ ليرة. ومنحه الرعوية الفرنسية» (نوابغ الأقباط فى القرن التاسع عشر لتوفيق اسكاروس جـ ٢ ص ٣٤٢).

الفصل الثانى

مشاهير رجال الكنيسة أيام الفرنسيين

البابا مرقس الطموى ١٠٨ (١٧٩٦ - ١٨٠٩م) :

+ وُلِد فى طما وترَّهب بدير القديس أنطونيوس. ولما مات سابقه رشح بعض الأساقفة أنفسهم لمنصب البطريركية[١] ولكن رأيهم أجمّع عليه بعد إجراء القرعة. فأقاموه بابا فى ٢ أكتوبر سنة ١٧٩٦، وفى أيامه احترقت الكنيستان العليا والسفلى بحارة الروم وكان الميرون الذى عمله سلفه موضوعاً فى موضع واحد بأعلى دهليز الكنيسة السفلى فإحترق.

+ وقبل حرق الكنيسة بثمانى سنوات نُقلت البطريركية من حارة الروم إلى حارة الأزبكية[٢] فى سنة ١٥١٥ش (١٧٩٩م)، والسبب فى ذلك أنه لما دخل الفرنسيون مصر حصل للنصارى الأقباط إهانة عُظمى بسببهم، وقاسى من جراء ذلك البابا مرقس كثيراً فإنتقل إلى الأزبكية فى مواضع بناها المعلم إبراهيم الجوهرى قبل وفاته.

* «وبعد دخول الفرنسيين بثمانية عشر شهراً حصل حرب بين الفرنسيين والعثمانيين وأهل البلد بالقاهرة مدة ٣٤ يوماً. وكان ذلك فى صوم الأربعين المقدسة، فعمل

---

(١) القمص منسي، المصدر السابق، ص ٦٢٨.

(٢) كان مقر الكرسى الأسكندرية وانتقل إلى مصر فى عهد البابا خرستونولو ٦٦ حيث استولى على كنيسة المعلقة فى منتصف القرن ١١ ثم إلى كنيسة مرقوريوس بدرب البحر بمصر القديمة التى جعلها كرسياً بطريركياً البابا غبريال بن تريك ٧٠ نحو منتصف القرن ١٢ ثم رجع إلى المعلقة أيام البابا مرقس ٧٢ واستمر البابوات يتنقلون بينهما إلى أوائل القرن ١٤، حين انتقل إلى كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله أيام البابا يوأنس ٨٠ سنة ١٣٠٣م وفى أيام البابا متاؤس ١٠٢ سنة ١٦٦٠م انتقل إلى حارة الروم إلى أن قام البابا مرقس ١٠٨ صاحب السيرة بنقله إلى الأزبكية (ملخص عن مخطوط البطريكية رقم ١٠١ طقس ورقة ٣٨).

البابا مرقس جمعة البصخة وعيد القيامة فى منظرة الحوش بجوار الكنيسة لأنه لم يقدر أحد على الخروج منها أو الدخول إليها. وحُرِقت فيها محلات عظيمة وحصل نهب. وكانت شدة عظيمة وقاموا بالثغر وهدموا دير مارمرقس الإنجيلى الذى بظاهر الثغر. وقد مكث الفرنسيس ثلاثين شهراً. وبعدئذ رضى الله بخروجهم، ثم أمر ببناء الكنيسة التى أهتم بها المعلم إبراهيم الجوهرى. وفى يوم الأحد ٥ توت سنة ١٥١٧ش (١٨٠١م) كرسها البابا مرقس بإسم الرسول مرقس، عوضاً عن الدير الذى هدمه الفرنسيون بثغر الأسكندرية.

إبطال دورة الأطباق وتأليف المدائح:

+ وقد اقترن عمل هذا البابا بالتقوى وإصلاح نظام الكنيسة الاداري منها قوله: «أنا أسألهم بلين المسيح وتواضعه أن تُبطَل دورة الأطباق، ولا يدور الفقراء وحاملوا الأطباق، بل يقفون بها فى الخورس التحتانى، وذلك فى وقت التسّريح. ومثل ذلك يقف الفقراء بجانبهم بأدب ووقار».

+ وقد وضع هذا الأب مدائح تُتلىَ فى عشية وليالى كيهك، بسيطة التعبير قوية المعنى. وتنيح البابا سنة ١٨٠١م وهو أول من دُفِن فى مدافن البطاركة بالأزبكية.

المعلم جرجس الجوهرى :

+ هو شقيق المعلم إبراهيم، وإن كان قد عاصر عهد المماليك البكوات والحملة الفرنسية وأيام رجوع العثمانيين ثانية ومحمد على، لكن تعتبر أيام الفرنسيين من أبرز أيام حياته، فقد دُعَى بكبير مُباشرِى الأقباط.

* «**مع إبراهيم بك وإسماعيل بك:**» ليس في شُهرة جرجس الجوهرى فقط، فى علو المنصب وعظَم المكانه بل لما امتاز به من العقل وكرم الأخلاق وعمل المعروف للجميع، بدون تمييز بين مسلم ونصرانى وعدم التداخل فيما لا يعنيه».

* «وكان بين كتبة النصارى الذين تحت إدارته رجلاً يُسمَّى يوسف كسَّاب من عائلة سورية الأصل فسولت له نفسه .. أن يسعى به عند مخدومه، وهو ذاك إسماعيل بك

واتهمه بما ليس فيه. وإذ كان المعلم جرجس محسوباً على إبراهيم بك، خصم إسماعيل بك، صدّق كلام الواشي وغضب على المعلم جرجس، وأنزله من منصبه وعينه بدله رئيساً على الدواوين ولكن لم تمضِ أيام حتى ظهر لإسماعيل بك ما فعله - يوسف المذكور. فقبض عليه وأمر بتغريقه فى نهر النيل. وإعادة المعلم جرجس الجوهرى إلى منصبه كما كان»[1].

جرجس فى عهد الفرنسيين:

+ سُمّي جرجس «بالمباشر العام» للأقباط ويقول المسيو تثبوديه «إن الأقباط انتهزوا فرصة حضور الجيش الفرنساوى وطلبوا منه (أي نابليون) منع التضييقات فى ممارسة دينهم. فرد علي جواب من المباشر العام «وصلنى جوابك الذى كتّبته الأمة القبطية، وأنه يسرنى جداً أن أمنحهم حمايتى دائماً. فمن الآن فصاعداً لا يُظلمون ولا تُفرض عليهم غرامات، وحينما تسمح الظروف .. سأمنحهم حق ممارسة عبادتهم علناً. وكما هو الحال فى أوربا فى أن يتبع كل واحد اعتقاده. وسأعاقب من قام فى البلاد بذبح الأقباط فى ثورات مختلفة، بأشد عقوبة».

* «فيمكنك من اليوم، أن تُعلنَهم بأنى سمحت لهم بحمل السلاح وركوب البغال والخيول ولبس العمائم والتزّي بالقماش الذى يليق بهم .. هذا وإنى أنصفكم وأُقدِّر غيرتكم وغيرة الشعب حق قدره. وكذلك البطريرك الذى عرفت فضائله ومقاصده. وأتعشم بعد ذلك، أن أنال ثناء الأمة القبطية»[2].

+ وقد جهز المعلم جرجس دار مراد بك بالأزبكية لنزول نابليون به. بعد انتصاره فى موقعة امبابه.ولهذا عظمت الصلة بينه وبين الفرنسيين، وكان يلازمهم فى كثير من الأحيان فى رحلاتهم إلى السويس وغيرها. لذلك فقد وضعوا صورته بحجمها الطبيعى فى قصر فرساى بفرنسا .

---

(١) توفيق اسكاروس، نوابغ الاقباط، جـ ٢ ص ٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه جـ ٢، ص ٢٩٠.

* «فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨كان يوم عيدهم (أى الفرنسيين) فضربوا فى صبيحته مدافع كثيرة وضربوا طبولهم. واجتمعت عساكرهم، ودعوا المشايخ والأعيان المسلمين والقبط والشوام واجتمعوا فى بيت سارى عسكر بونابرت وجلسوا حصة من النهار ولبسوا فى ذلك اليوم ملابس الإفتخار. ولبس المعلم جرجس الجوهرى حلّة مُطرَّزة بقصب على أكتافها إلى أكمامها، وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار. وتعمموا بالعمائم الكشميرى، وركبوا البغال الفارهة. وأظهروا الفرح والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية(١)».

+ ولكن لما قامت الثورة ضد الفرنسيين سنة ١٨٠٠م كان في المنازل التى اتجهت إليها أنظار الثوار لتخريبها، منزل جرجس الجوهرى. ثم انسحب الفرنسيون من مصر سنة ١٨٠١م ورجع الحكم للعثمانيين. وكما قال الجبرتي: «فى سنة ١٢١٦ هـ كُتِبت فرمانات باللغة العربية بتوقيع صاحبنا العلاَّمة السيد اسماعيل الوهبى المعروف بالخشاب. وأرسلت إلى بلاد الشرقية والمنوفية والغربية مضمونها الكف عن أزية النصارى واليهود وأهل الذمة وعدم التعرُّض لهم. وقد ضمنها آيات قرآنية وأحاديث نبوية. والإعتذار منهم بأن الحاصل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية، صيانة أعراضهم وأموالهم(٢).

جرجس أيام محمد على باشا :

+ ولما استقر الحال لمحمد على باشا، اتخذ جرجس للعمل معه.فكان يرأف بالعباد ولا يقسوا عليهم فى جباية الضرائب. ولطول النزاع بينهما، اضطر جرجس الجوهرى أن يهرب للصعيد. أما سبب خوفه وهربه إلى وجه قبلى، فإنه لما كثرت معارضته لمحمد على باشا وتوقفه فى تحصيل النقود التى كان فى غاية الإحتياج إليها، قبض عليه ومن معه من الأقباط بحجة أنه متأخر عليه مبالغ من حساب إلتزامه، وحجزهم ببيت كاتخدا، وأحضر المعلم غالى الذى كان كاتباً عند الألفى وعينه رئيساً مكانه وكلفه بعمل حساب إلتزام الخمس سنين الماضية. وبعد سبعة أيام أمر بالإفراج عنه ومن معه على شرط أن يدفع ٤٠٠٠ كيس.فقام هو بدفع مبلغ عظيم من هذا المقدار ووزع الباقى على الكُتّاب والصيارفة ماعدا المعلم غالى.

+ فحصلت له ولهم مضايقات شديدة اضطرته إلى التنازل عن أفخر أملاكه ولاسيما

(١) توفيق اسكاروس، نوابغ الاقباط، جـ ٢ ص ٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه جـ ٢، ص ٣٩٠.

التى كانت ببركة الأزبكية وقنطرة الدكة (بفم الخليج) ومن ذلك الحين أخذ نجم المعلم جرجس فى الأفول ونجم المعلم غالى فى الظهور، فلم يسعه غير الهرب إلى الوجه القبلى، حيث كان الأمراء المماليك. ثم نزع محمد على باشا البلاد التى كانت تحت إلتزامه. وطرحها فى المزاد على الراغبين فأخذها القادرون. وفي رواية أنه لم يهرب بل أن محمد على باشا نفاه إلى الصعيد(١)».

+ وقبل قيامه إلى الصعيد .. جمع كل حجج أملاكه وسلّمها إلى البطريركية «لتُنفق من ريعها على أهل بيته. ووضعت اليد عليها، وبقيت فى حوزتها .

+ وبعد أربع سنين صرح له الباشا (محمد علي) أن يعود بأمان إلى القاهرة. وقال الجبرتي: «ولما حضر ذهب إلى الباشا، فقابله وكرّمه ونزل فى بيته بحارة الونديك. وفرشه له المعلم غالى. وقام له بجميع لوازمه، وذهب الناس مسلمهم ونصرانيهم اليه، للسلام عليه».

عمله للكنيسة ووفاته:

+ وقد عمل المعلم جرجس - مع البابا مرقس - فى بناء كنيسة الأزبكية. كما أهتم بنسخ كتب كنسية (قطمارسات) لكنيسة المعادى وغيرها، وكل الأعمال التى عملها أخوه المعلم إبراهيم لخير الكنيسة قد اشترك معه فى كثير منها. والحجج (وثائق الأوقاف) مازالت تشهد بهذا.

* وقد ذكر عنه الجبرتى فى كتابه عند كلامه عن الذين ماتوا سنة ١٢٢٥ هـ ما يأتى: «مات المعلم جرجس الجوهرى القبطى كبير المباشرين بالديار المصرية .. وعند مجئ الوزير والعثمانيين قدموه وأجلسوه لما يسديه إليهم من الهدايا والرغائب"(ما يتمنون عمله).

* "حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو ويشرب بحضرتهم الدخان وغيره. وكان عظيم النفس يعطى العطايا ويُفرّق على جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع والعسلية والسكر والأرز والكساوى والبُن».

+ وفى سنة ١٨١١م رقد فى الرب ومدفنه مع شقيقه بدير مارجرجس بمصر القديمة. وقد أهتمت جمعية نهضة الكنائس بمصر بترميم هذه المقبرة.

---

(١) روفيله، تاريخ الامة القبطية، ص ٢٨٥.

الفصل الثالث

الجنرال يعقوب القبطى ١٧٤٥ - ١٨٠١[١]

+ وُلِد يعقوب[٢] بملوى من أبوين قبطيين.تعلم فى كُتّاب ذلك الزمن الذى كان التعليم فيه مقصوراً على القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب الإبتدائي، مع استظهار المزامير والألحان. وبعد تركه الكُتّاب انكب على الإستزادة من اللغة العربية والقواعد الحسابية.ثم إلتحق مع أحد أقاربه فى خدمة المماليك .

+ وفى عهد على بك الكبير بعد أن صار سليمان بك أغا الإنكشارية (قائد فرقة) إلتحق يعقوب بخدمة الأخير.ولما آنس فيه الأمانة والمقدرة أقامه مديراً عاماً لماليته. وقد مارس الخدمة المالية ممارسة عملية. وزادت على ذلك خبرته العسكرية، إذ بإختلاطه بالمماليك تعلم منهم الفروسية من ركوب الخيل إلى الطعن بالسيف ... إلخ.

مع القائد ديسيه (ديزييه):

+ ولما احتلت فرنسا مصر – وطاردت المماليك بقيادة مراد بك إلى الصعيد – كان الإتصال قد تم بين الفرنسيين وفريق من الأقباط. فأوكل نابليون إدارة الحملة ضد المماليك ليعقوب. فجهّز للحملة المؤن والذخائر.وأمّن لهما طرق المواصلات. ورتب تحركاتها . وقد قال الضابط بليار: «إن الشعب كان ينظر إلى يعقوب كأنه السلطان الأعظم والقائد العام الذى احتل الصعيد».

+ وقد ظهرت شهامته فى موقعة عين القوصية، بينما كان يتجسس أماكن العدو، فوقع فى حبائلهم وقابل نحو عشرة أمثال من معه. واستطاع بشجاعته أن يقف ضدهم إلى أن شعر ديسيه بحالته وأتي لنجدته. وكان الإنتصار حليفهم. وقد كان يوفق بين أوامر ديسيه القائد العسكرى وبين الأنظمة القديمة المألوفة فى مصر.

(١) من ضمن مشاهير هذا العصر إلياس بقطر الذي وُلِد سنة ١٨٧٢م واستُخدِم مُترجِماً فى جيش الفرنسيين. وعندما رحلوا رحل معهم وقد ساعد العلماء فى وضع كتاب «وصف مصر». ورُقّي لوظائف عالية فى فرنسا ووضع قاموساً سُمّى بإسمه. ولعله أول قاموس عربى فرنسي، وتوفى وعمره ٣٧ عاماً فقط.

(٢) أفردت له لجنة التاريخ القبطي بحثاً مطبوعاً.

+ ولما امتـد سلطان الحملة إلى أسوان أراد ديسيه أن يعرف طريقه للإتصال بجنوده المتفرقة على النيل. ففكر يعقوب فى طريقة لهذا، وهى أن ينظم فرقة من السعاة الهجانة تتولى أعمال البريد. ووزع الفرقة على مسافات وكانت إحداها تستلم من الأخرى. وكان هؤلاء ينقلون الجرحى للقاهرة ويتزودون منها بالذخيرة وباقي المطلوبات.

+ وقد ارتبط يعقوب بديسيه بصداقة عُظمى حتى أنه لما علم أنه مات فى فرنسا والجنود تكتتب لإقامة تمثال له بباريس أرسل خطاباً من فقراته «فى هذا الوقت الرهيب الذى يشعر فيه كل أمرئ بعظم خسارة الجمهورية بفقد ديسيه المقدّام الذى بذل نفسه فى سهول مارنجو، اسمحوا لى وأنا رفيق ديسيه فى أعماله بالصعيد بأن أنثر عن بُعدٍ بعض الزهور على ضريحه. وأسكب الدموع التى هى ترجمان الحزن الذى شملنى.. ديسيه ديسيه أنهم يقيمون لك أثراً فى فرنسا، فيعقوب الذى كنت تحبه ويعزك كنفسه سيدفع ثلث نفقات ذلك الأثر بمفرده بالغةً ما بلغت. وإذا بقى هذا الأثر شاهداً بأخبار الوقائع والحروب، التى خُضت غِمارها لإسترجاع الصعيد من أيدى المماليك واخضاعه، فسيعلم الخلف منهم أن يعقوب القبطى حارب جانبك واستحق إجلالك وإعتزازك. وقد أخلص ووهبك فؤاده من زمن مضى»[1].

الفيلق القبطى:

* «حسب يعقوب حساباً للطوارئ، بعدما شعر أن مصر محرومة من جيش وطنى يمكن الإعتماد عليه فى الحرب. ففكّر فى تأليف فرقة قبطية، وطلب ذلك من الفرنسيين فرخصوا له بتأليفها فجمعها من شبان من أهل الصعيد الذين عملوا فى الجيش الفرنسى صُنّاعاً وعمالاً. وكانوا نحو ألفين. ووكل أمر تدريبهم على الحركات العسكرية إلى ضباط انتقاهم كليبر لهذا الغرض. فأظهروا براعة فى تعليم الفنون الحربية.

(١) الجنرال يعقوب، للجنة التاريخ القبطى ص ٢٧ .

+ وضم يعقوب إلى الألفىَّ شباباً آخرين. فتألف منهم الفيلق القبطى، ولكن معظم هؤلاء الشبان عادوا بعد ذلك إلى قراهم. ولم يبقَ منهم سوى ٨٠٠ مقاتل، تولى يعقوب قيادتهم وجهزهم بالسلاح، من ماله الخاص. «ولما توفى تولى القيادة الكولونيل غبريال سيداروس ابن أخيه[1]».

+ ولما دخل الجيش التركى خلسة سنة ١٨٠٠م وحدثت ثورة ضد الأقباط: «قيل إن بعض الثائرين هجموا على جهة شارع القبيلة، المعروف بالسوق الكبير وسوق النصارى. ولما دخلوا درب الحفيدة وأغلقوا البوابة ووضعوا ورائهما أحجاراً، فأسرع يعقوب لإنقاذ مَنْ بها بطريقة لم تخطر على البال. وذلك بأن أخرج من معصرته (للزيت والسيرج) ومعاصر غيره، التى بجهة الجامع الأحمر، قطيع الجاموس وأوقفها أمام البوابة، وحصرها بين قوتين من العسكر وأمر الجنود بأن يرشقوا هذه الحيوانات بالحجارة، فثارت وأندفعت، وفتحت البوابة، ودخل الجنود وقبضوا على الثائرين[2]»:

+ وقد بنى لهذا الفيلق قلعة يعقوب التى تحدث عنها الجبرتى بقوله: «وبنى له (أى يعقوب) قلعة، وسوّرها بسور عظيم وأبراج وباب كبير تحيط به بدنات عظام. وكذلك بنى أبراجاً فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية وفى جميع السور المحيط والأبراج طبقات للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى دكه الفرنساوية (الفرنسيون) ورتب على باب القلعة الخارج والداخل فرقتَّي العسكر، اللازمين للوقوف ليلاً ونهاراً وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية».

+ وقد قال روفيله: «إنه شاهد بعينه آثار هذه القلعة قبل هدمها فى أيام المرحوم إسماعيل باشا خديوى مصر».

+ وقد كان لهذا العمل أثره فى حياة أقباط الأزبكية بعكس الأقباط الذين كانوا فى جهات أخرى، كبولاق وباب الشعرية وغيرها. فقد نالهم السلب والنهب والقتل.

(١) لجنة التاريخ القبطى، المصدر نفسه، ص ٢٣ – ٢٤.

(٢) روفيلة، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

سعى يعقوب للإستقلال:

+ ولما خرج الفرنسيون من مصر خرج معهم يعقوب وصحبته عائلته وإبن أخيه غبريال سيداروس. ومع أن حسن باشا القبطان التركى طلب بقائه بمصر لينتفع بمعرفته الحربية ولكنه لم يقبل لأن نيته كانت السعى للإستقلال بمصر من تحت يد الأتراك والمماليك. وقد دارت فى هذا مخاطبات بينه وبين قومندان البارجة الحربية التى سافر فيها. وكان الحديث سرياً، إلا أن سكرتيره دونّ ماجرى بينهما(1) وعثر على هذه الوثائق(2) بسجلات وزارتى الخارجية الإنجليزية والفرنسية وشهد عنه الأستاذ شفيق غربال فى كتابه بقوله: «أنه لا يريد عودة المماليك والعثمانيين، وإنما يعمل على أن تكون لفئة من المصرين يد فى تقرير مصير البلاد، بدلاً من أن يبقى حظهم كما كان فى الأعوام الماضية مقصوراً على التفرُّج أو الإشتراك فى نهب المهزومين»(3).

+ وقد شهد عن يعقوب الأستاذ محمد صبرى فى كتابه «تاريخ مصر الحديث» بقوله: «إن يعقوب فى بداية الإحتلال الفرنسى إلتحق بخدمة الفرنسيين الذين دخلوا مصر أصدقاء يحملون راية جديدة هي راية الحرية. وبارح مصر على رأس وقد مصرى مؤلف من أعيان القبط. وكانت فكرته الأساسية مخاطبة انجلترا فى أمر استقلال مصر».

+ ولكن الجنرال يعقوب وهو يفكر فى هذا ولم ينقضِ على تفكيره وأحاديثه وخروجه من مصر خمسة أيام حتى أسلم الروح. ونظراً لقيمة يعقوب لم يُلقَ فى البحر، ولكنه وُضِع فى برميل من الخمر، لكى يُحفظ فيه، وعند وصوله إلى مرسيليا دُفن بها سنة ١٨٠١م.



---

(١) كتب فى هذا الأستاذ شفيق غُربال فى كتابه «الجنرال يعقوب والفارس أسكاريوس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١م» المطبوع سنة ١٩٣٢.

(٢) ذكرت هذه الوثائق فى كتاب الجنرال يعقوب للجنة التاريخ القبطي من ص ٥٥ - ٧٧ .

(٣) الجنرال يعقوب، المصدر السابق، ص ٥٣ .

الباب الرابع

أسرة محمد على ١٨٠٥ - ١٩٥٦م

+ وهذه الأسرة أسسها محمد على الألباني أحد جنود العثمانيين. وإن كان قد استطاع حسب الظاهر أن يحكم مصر ويحصر حكمها فى نسله إلا أن عهد هذه الأسرة إزداد فى أثنائه التدخل الأجنبى. فتدخل أولاً الفرنسيون كما يظهره الفصل الأول، وتدَّخلوا - مع غيرهم - أيام اسماعيل، عندما استدان من الخارج، لإتمام مشروعاته. وبدأ ظهور البروتستانت أثناء ذلك العصر.



الفصل الأول

أيام محمد على وابنه إبراهيم والبابا بطرس الجاولى

+ استطاع محمد على بُحسن سياسته أن يصير والياً على مصر من قَبِل العثمانيين. ورأى ليكتمل البناء القوى للدولة أن يسند الوظائف الإدارية للمسلمين والحسابية للأقباط[1] وأمانة الخزائن لليهود، إلا أن الأخيرين رفضوا العمل، في الحكومة لأنهم كانوا يضطرون للعمل يوم السبت. وانشغلوا بالأعمال الحُرَّة .

المعلم غالى:

+ كان فى الأصل كاتباً للألفى بك. وكان على جانب عظيم من الذكاء .. ولما إلتحق بخدمة محمد على باشا لم يُظهر معارضة فى أوامره، بل كان يساعد على تنفيذ أغراضه، فيُسّهل الأمر له، ولاسيما فيما يختص بتحصيل الأموال التى أثقلت كاهل الممول المصرى المسكين «بخلاف ما كانت عليه سياسة المعلم جرجس الجوهرى الذى

---

(١) قال أحد سائحى الإنجليز فى تقرير رفعه إلى رئيس وزرائهم «أن الأقباط للقلم بمثابة الفلاح للمحراث» روفيله، المصدر السابق ص ٣٠٣ .

كان يدافع من كل قلبه عن الشعب ويرفع عنه نير الضرائب المتعددة» ولما كان المعلم غالى يعرف التركية ويتكلمها فقد زادت منزلته لدى أمير البلاد (محمد علي) وصار يُعوّل عليه فى الأعمال المالية(١).

تدخُل الفرنسيين واعتناق المذهب الكاثوليكى:-

* «فى أيام محمد على باشا كان للفرنسيين نفوذ عظيم فى مصر. فسألوه العون على ضم كنيسة مصر إلى كنيسة روما. ففاتح الأمير فى ذلك المعلم غالى، فرأى أن هذا الطلب مما يتعذر تحقيقه، وأن الأقباط سيرفضونه إذا كوشفوا به. فقال للأمير: «إنه يعتنقه هو أولاً مع أسرته، فإذا رآه القبط فعل ذلك - وهو كبيرهم - يقتدون به، فحسُن الرأي. وقيل إن المعلم غالى قصد بذلك إرضاء الفرنسيين، لعلهم يستطيعون بنفوذهم لدى الأمير أن يخلّصوه من المغارم، وعلى كل حال فإن اعتناق المعلم غالى الكاثوليكية الأمر الذى اعتبرته الكنيسة الأرثوذكسية أكبر خيانة أقدم عليها، فلعنته. كما أنه لم يأتِ بالنتيجة. إذ أدرك الأمير (الوالي محمد علي) بعد ذلك أن انضمامه.. كان لغرض سياسى، فغضب عليه(٢)».

نهاية المعلم غالى:

* «شرع الباشا فى تغيير هيئة الدواوين، واستبدلها بغيرها لتكون أنظم منها، وتعود بالفائدة على الخزينة، فرضى على المعلم غالى وكلّفه بذلك، فقسّم البلاد إلى مديريات وأقسام. والأطيان إلى أحواض ، وعند عودته أثنى عليه. ثم اتخذه كاتماً لسرّه.وخصّه بمباشرة الأعمال الحسابية. فكانت يده فوق يد الجميع .. واستمر فى هذا المنصب إلى أن قُتِل فى ميت غمر سنة ١٨٢٢م لأسباب لاتزال خافية. وبقيت

(١) روفيله، تاريخ الأمة القبطية، ص ٢٩٧ .

(٢) لجنة التاريخ القبطي، خلاصة تاريخ المسيحية ص ٢٤٥.

جثته ملقاة فى الخلاء يومين إلى أن استأذن أحد الأقباط بدفنها. فأخذها ودفنها »[1].

المعلم سيدهم بشاى ورفع الصليب:

+ كان سيدهم بشاى كاتباً بالديوان بدمياط فى أيام محمد على. وقامت ثورة من الرعاع وقبضوا على هذا الكاتب، وادعوا عليه أنه سب الدين الإسلامى وكان بريئاً. إلا أنه قُدِّم للمحاكمة أمام القاضى الشرعى، فحكم عليه بالدخول فى الإسلام أو القتل. ثم جلدوه وأرسله إلى الحافظ. فعندما فحص قضيته حكم عليه زوراً بمثل ماحكم به القاضى.فأنكر سيدهم الإسلام واستهان بالقتل. فجُلِدِ وجُرّ على وجهه من فوق سلم قصرر المحافظة إلى أسفله، ثم طاف به العسكر بعد أن اركبوه جاموسة بالمقلوب .. أما الرعاع فقد شرعوا يهزأون بسيدهم ويعذبونه بآلات مختلفة.. وطرحوه على بابه .. وبعد خمسة أيام انتقل إلى السماء فى يوم ١٧ برمهات سنة ١٥٦١ش الموافق ٢٥ مارس سنة ١٨٤٤م.

+ وأجتمع المسيحيون بدمياط، واحتفلوا بجنازة هذا الشهيد احتفالاً لم يسبق له مثيل.. وساروا به فى شوارع المدينة يحملون أعلام الصليب .. وصار الناس يستنكرون فظاعة هذا الحادث .

+ وبعد ذلك .. قرروا توسيط قناصل الدول، لعرض الأمر على والى البلاد .. والبابا بطرس .. فإهتم عزيز مصر (محمد علي) بالأمر .. واتضح إدانة القاضى والمحافظ. فنزعوا عنهما علامات الشرف ونفوهما .. وطلبوا السماح برفع الصليب جهاراً أمام جنازات المسيحيين فى الشوارع. فأذن لهم بذلك[2].



(١) روفيله، تاريخ الأمة القبطية، ص ٣٠١ – ٣٠٢ .

(٢) سنكسار ١٧ برمهات .

الفصل الثانى

أشهر رجال الدين الأقباط

البابا بطرس الجاولى ١٨٠٩ - ١٨٥٢م

(١٥٢٥ - ١٥٦٨ش)

نشأته:

+ وُلِد بقرية الجاولى مركز منفلوط بمديرية أسيوط. وترَّهب بدير القديس أنطونيوس ولشهرته بالإستقامة والتقشف، استدعاه البابا مرقس سلفه، ورشحه ليكون مطراناً لأثيوبيا، ولكنه فضَّل رسامته مطراناً عاماً على الكنيسة، بإسم وكيل الكرازة المرقسية ودُعَى ثاؤفيلس. ولما توفى البابا مرقس انتخبوه بابا.

عجائب فى عهده:

+ نظراً لتقشُّفه الزائد وصلته بخالقه، أجرًى الله على يديه عجائب كثيرة. منها أن شخصاً تقدم له يتهم زوجته وهى ابنة أحد الوجهاء بأنها زنت أثناء غيابه وحبلت. فلما سألها البابا أنكرت فقال لها: «إن الذى من الله يثبت، والذى من الشيطان يزول». فما كادت تضع رجلها على آخر سلم البطريركية حتى أسقطت ما ببطنها. ولما تقدم أبوها للبابا بوجاهته لكى لا يحكم بالطلاق، قال له: «ليس أحدكم أقوى من الضعيف متى كان مع الحق ولا أضعف من القوى متى كان مع الباطل». وحكم للزوج بالطلاق.

زيادة النيل:

+ وكذلك فى أيامه توقَّف النيل عن الزيادة كما حدث أيام العباسيين، فأمر الوالى أن يصلى جميع رؤساء الأديان، لكى يرفع الله غضبه. فصلى أولاً المسلمون ثم اليهود. ثم تقدم البابا ومعه الأساقفة والشعب. وبعد أن أقام قداساً، ألقى غسيل الآنية فى النيل مع قربان البركة، فزاد النيل حتى وصل إلى الخيمة التى كان يصلى البابا فيها . قبل أن تُرفع. وكان ذلك فى ١٩ مسرى سنة ١٥٢٥ش (١٨٠٩م).

ظهور النور:

+ وحدث لما احتل ابراهيم باشا بن محمد على باشا الأراضى المقدسة أن وشى إليه الوشاة أن ادعاء المسيحيين بظهور النور من القبر المقدس ما هو إلا أكذوبة وبُهتاناً واستندوا على أنه لا يظهر إلا على يد بطريرك الأروام.

+ فإستدعى ابراهيم باشا البابا بطرس من مصر فذهب إلى القدس حيث قابله أجمل مقابلة، وعندما عرض عليه الامر قال له: «بعدم مناسبة ذهابهما بدون وجود بطريرك الأروام - فذهب الثلاثة لداخل القبر. وكان إبراهيم باشا قد أمر أن يخرج المسيحيون خارجاً ويحتفظ الجنود بهم لقتلهم إن لم تظهر الأعجوبة. وكان البطريركان قد صاما ثلاثة أيام يطلبان فيها من الله أن يتمجد».

+ وبينما كان إبراهيم باشا والبطريركان بالقبر مع القليلين بداخل كنيسة القيامة والشعب من خارج سمعت أصوات منهم النور وكان قد شق أحد الأعمدة بالخارج. ومازال هذا العامود مشقوقاً للوقت الحاضر. (في أيام الكاتب) ثم ظهر النور للذين بداخل الكنيسة والقبر.فصرَخ ابراهيم باشا وقال (أمان بابا) واستند على البطريرك حتى هدأ روعه، ثم رده للقاهرة مُكَّرماً.

مع قنصل روسيا:

+ لما أخذت روسيا من الدولة العثمانية حق حماية الأرثوذكس بها أرسلت روسيا مندوباً من قبلها ليعرض على البطريرك المصري حماية الأقباط .

+ فذهب المندوب للدار البطريركية وظن أنه سيقابل أعظم بابا فى الشرق وعلى قارة أفريقيا.بعظمة تتفق مع مركزه. وكان قد بلغ البابا بطرس أمر حضوره.فلم يّعبأ به ولم يُغيِّر من حالة تقشفه شيئاً .

+ واستمر يقرأ فى الكتاب المقدس الذى كان أمامه - وعليه جلبابه الصوفى -ويجلس على فروة وضُعِت على أريكة خشبية!!

+ فدخل المندوب وهو على هذا الحال فظنه أحد الرهبان. ثم قال: «أين البابا لأقابله؟» فقال له أحد الحاضرين «إن هذا هو البابا». فأخذ المندوب يسأل لماذا يعيش البابا هذه العيشة؟ فقال له البابا: «ليس الخادم أفضل من سيده» ثم أخذ يقارن بين معيشة السيد المسيح، الذى لم يكن له مخزن، وعند البابا مخزن للغلال، والذى لم يكن له أين يسند رأسه؟ وهو له بيت يسكنه. فلم يردّ المندوب جواباً على هذا.

+ ثم أخذ يستفهم عن حالة الكنيسة القبطية. فقال له: «إنها بنعمة مخلصنا فى خير ومادام هو يرعاها فلابُد أن تَجوز كل الصعاب».

+ فبدأ يُظهر إليه حالة الأقباط . وعرض على البابا حماية قيصر روسيا لهم. فأجابه البابا مستفهماً بشئ من البساطة «هل مليككم يحيا إلى الأبد»؟ قال له: «لا يا سيدى البابا، بل يموت كما يموت سائر البشر» فأجابه: «إذن أنتم تعيشون تحت رعاية ملك يموت وأما نحن فنعيش تحت رعاية ملك لا يموت،وهو الله».

+ حينئذ لم يسع المندوب إلا أن انطرح تحت قدَّمى البابا، وقبَّل يديه وقال لترجمانه «إذا كانت توجد خلافة رسولية فى المسيحية، فتكون محصورة فى شخص هذا البابا فقط».

+ ثم ذهب لمحمد على باشا وقال له: «لم تدهشنى عظمة الأهرام، ولا ارتفاع المسلات وكتاباتها.ولم يهزّنى كل ما فى القطر من عجائب، بمقدار ما أثرّت فى نفسى زيارتى للرجل التقى بطريرك الأقباط. وروى ما جرى بينهما.فطفَح السرور على وجه محمد على باشا . وقام فى نفس اليوم للدار البطريركية وقدم الشكر الجزيل للبابا بطرس على ما أبداه من الوطنية الحقة ومن الإخلاص للبلاد[١].

+ وقد انتقل البابا بطرس الجاولي فى سنة ١٨٥٢م

✣ ✣ ✣

(١) القمص منسي، تاريخ الكنيسة القبطية، ص ٦٥٧.

تعمير دير مارمرقس بالأسكندرية:

+ فى أثناء إقامته بدير أنبا أنطونيوس وردت إليه البشائر لعمارة دير مارمرقس الإنجيلى بالثغر الأسكندرى الذى سبق أن هدمه الفرنسيون فى وقت احتلالهم البلاد.

+ وقد حصل البابا بطرس على فرمان من محمد على باشا بالسماح بعمارة دير القديس العظيم مؤسس كرسي الأسكندرية .. وببركة القديس العظيم مارمرقس منح الجناب العالى المعلم صالح الإذن بالعمارة...وبعد قليل أرسل المعلم صالح المكاتبات إلى قداسة البابا بطرس الجاولي.

*"ولما وصلت المكاتبات والفرمان المطلوب إلى المعلم صالح عطالله[1] وأرسلت له المبالغ اللازمة قام ببذل أكبر مجهود فى عمارة دير القديس مرقس. كما أرسل إلى القاهرة طلباً بإيفاد مهندس مع جماعة من البنائين والنجارين لإتمام المشروع. فأرسل له البابا مطلوبه. وأعانته القدرة العلوية حتى قام بتكميل العمارة لهذا الدير[2] ".

(١) ربى المعلم نخله أولاده التربية المسيحية وعلمهم الكتابة والحساب .. واللغة القبطية. وامتاز منهم ابراهيم صالح. وأُلحق ابراهيم بدائرة الكونت زغيب .. وصالح بخدمة القطاوية. ثم رئيساً لحسابات الدائرة البلدية. وقام الأخان أيضاً بتنظيم وتعديل بناء البطريركية وإقامة طابق؛ ليكون قصراً بطريركياً .. وكان البابا ديمتريوس ٢ وكيرلس ٥ يشملان بعطفهما وبركتهما هذين الأخين. ولما رأى البابا كيرلس نجاح الأخين، عين ابراهيم ناظراً على الأوقاف المرقسية ومدرستها، وشقيقه صالح ناظراً على الكنيسة المرقسية .. وقد انتقل صالح للمنصورة سنة ١٨٨٧م ولما نُفى البابا كيرلس لنزاعه مع المجلس المالى، كان ابراهيم في حركة نشاط بينهما للتوفيق، ولم يتأخر عن مد يد المساعدة ، لإدارة البطريركية بالقاهرة. فقام بنفقة فرش أرض الكنيسة وأرصفتها بالرخام على نفقة أوقاف الأسكندرية .. وفاضت روحه ١٩٠٦م (مطبوعات دير السريان جـ ٥ ص ٢٣٩ - ٢٤٣).

(٢) مخطوط البابوية طقس، ١٠١ ورقة ٤٣ - ٤٥ .

٢ - الأنبا صراباموں الشهير بأبى طرحه أسقف المنوفية:

+ وُلِد هذا الأب بمديرية الشرقية.وكان اسمه صليب ولما بلغ رشده صار يعمل بائع زيت بالقاهرة. ثم زهد الحياة وذهب للدير وبقى به إلى أن استدعاه البابا بطرس الجاولى ورسمه أسقفاً على المنوفية. وقد اشتهر بالبساطة وبالإحسان وبصنع العجائب.

فى بساطته فى مأكله وملبسه وحديثه:

+ أنه كان يقيم أغلب الليل مصلياً. وبعد الصلاة يضع حذاءه تحت رأسه وينام. وكان أغلب أكله الدشيشة فى أناء من الخشب. وقيل أنه اشتم رائحة ملوخية وفراخ فى أيام الخماسين فإشتهاها. ولما أتت إليه طلب من تلميذه ابراهيم برغوت أن يبقيها وبعد ثلاثة أيام طلبها فوضع لقمة منها فى فمه فعاتبها موبخها قائلاً"هذه شهوتكِ لماذا لم تأكليها يا ملعونة ؟".ثم أمر تلميذه، فأراقها خارجاً !

+ وقيل أيضاً أنه كان قد أودّع عند تلميذه ابراهيم مبلغ ستمائة ريال ليشترى بها داراً للأوقاف. فسرقها منه أحد أقاربه، فأتى للأسقف مذعوراً، لما لم يجد النقود. فهدّأ خاطره وقال: «إن النقود ستحضر» وبالفعل أنب السارق ضميره فأحضر النقود. فوعظه الأنبا صراباموں وأظهر له عذاب السارق الذى لا ينتهى. ثم قال له: «إن تضايقت فأحضر إلىّ لأعينك»وأعطاه بعض الدريهمات. فبكى السارق من هذه المعاملة الرقيقة وعاش أميناً .

+ ولما سعي الشيطان ليحاربه بداء الفخر، سمع البعض من القديس هذا القول: «بقا ياصليب أُعطيت مواهب الشفا ياصليب.أنت ياعفش..أنت يا نتن أنت،يا وحش تخرج الشياطين؟ ياصليب تشفِى المرضى؟ ثم يجاوب نفسه بجِدّة وغضب شديدين ويقول: «يا أخى دى قوة الله ياصليب»(١).

---

(١) منسى، المصدر السابق، ص ٦٧٩ .

شهرته بالإحسان:

+ وقد اشتهر هذا الأب بالإحسان وخصوصاً الخفى منه. وقد روى عنه حنا النجار أنه رأى فى ليلة شخصاً ملثماً يحمل سلة ثقيلة. فظنه أحد اللصوص، فتبعه إلى أن وصل إلى منزل قرع عليه وألقى السلة بعد فتح الباب، ورجع مسرعاً فقبض عليه حنا النجار ورآه هو الأنبا صرابامون، الذى كان يعرف الفقير الذى لا يستطيع السؤال ويعطيه بهذه الطريقة، وكان يستعين على إخفاء هذه الحسنات بستر وجهه بطرحة ولهذا سمى «**بأبى طرحة**».

شهرته بصنع العجائب:

+ وقد اشتهر أيضاً بصنع العجائب. ورويت عنه حوادث يعارضها العقل لولا قول الكتاب «كل شئ مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٣). وعجائبه كان أغلبها إخراج الشياطين بقراءة المزمور ٣٤ ورش المياه فى وجه المصابين .

+ آتى مرة مريض للبابا بطرس فأبقاه إلى أن يأتى أنبا صرابامون. فقال له: «أنبا إبرآم أسقف القدس: «منك يا قداسة الأب نأخذ المواهب، وتنتظر مجئ الأسقف»؟ فقال له: «إن الله قد وهب كلاً منا مواهب، وإلا فأذهب - وأنت أسقف مثله – فلما ذهب ليصلى صار الشيطان يهزأ به، إلى أن أتى أنبا صرابامون وأخذ الصليب من البابا وطلب منه أن يعينه فى الصلاة لأجل المريض، فصلى على المريض فصرخ الشيطان وهو يتساءل: «هل احتملك أنت؟ أو الآخر الذى يصلى فوق»؟ وخرج من المريض.

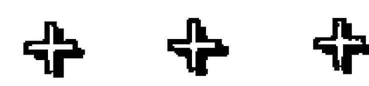
شفاء إبنة محمد على:

+ وما يستحق الذكر. أن إبنة محمد على باشا زهرى زوجة أحمد بك الدفتردار كان اعتراها روح نجس. فعانى الأطباء أتعاباً شاقة فى معالجتها. ولم يستطيعوا أن يشفوها إذ لم يكن مرضاً طبيعياً. وكان صيت أنبا صرابامون مالئاً القطر المصرى فذُكِر لمحمد على باشا من إمكان أئمة النصارى فى شفاء إبنته .. فإستدعى الأب

صرابامون .. فلبى دعوته وتوجه إليها. وكان السراى غاصة بالجنود والجماهير رجالاً ونساء. فلما ابتدأ يصلى على الأميرة تحرك الشيطان بها وألقاها صرعى على الأرض. فشرعت تصرخ بأصوات ارتجت لها السراى، فإرتعب الأب من ذلك وخاف من سوء العاقبة وصار يستغيث بقوة المسيح صارخاً وقائلاً: «عظيمة خطيئتك يا صليب. يا يسوع مّجد يمينك وانصر كنيستك». ورسم علامة الصليب على ماء وضرب به وجه الأميرة فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها، فعند ذلك قامت الأميرة صحيحة وعزفت الموسيقى فرحاً. فبُشر محمد على باشا بذلك. وجاء إلى إبنته فوجدها متعافية.

+ فرغب أن يكافئ الأب صرابامون. فصرّ صُرّة من النقود تبلغ أربعة آلاف جنيه، وقدمها للأب. فأبى أن يقبلها واعتذر قائلاً: «ليس من شئون وظيفتى أن أربح بمواهب الرب مالاً يحوجنى إليه. فلباسى كما ترى فراجية صوف أحمر وطعامى الخبز وطبيخ العدس، فعوض ذلك أسأل دولتكم أن تميلوا بتعطفاتكم نحو أبناء الطائفة القبطية وتخدموا بنيها المرفوضين» فأجابه إلى ذلك وألح عليه أن يقبل تلك العطية فأخذ منها شيئاً قليلاً وفرّقه أثناء مروره على العساكر[١].

+ وقد ظهرت منه عجائب أخرى ضد اناس آرادوا الإساءة إليه. وبصلاته نجاهم من عقاب الله عليهم. وقد دُفن هذا الأب مع البابا بطرس الجاولى والبابا مرقس سابقه فى الجهة الشرقية القبلية من الكنيسة الكبرى بالأزبكية[٢] وكانت وفاته سنة ١٨٤٨م.



(١) مخطوط دير البرموس ٣٨٠/٧ ورقة ٥٥.

(٢) وقد تم العثور علي جسده الطاهر أخيراً.

الفصل الثالث

عهد عباس الأول وسعيد ١٨٤٩ - ١٨٥٤ - ١٨٦٣م

عباس الأول:

+ لما أُسندت الخديوية إلى عباس .. قصد تقليل نفوذ الأقباط فى الدواوين. فأحضر أربعة من طلاب المدارس الأميرية، وسلّم كل رئيس ديوان واحداً منهم ليعلموهم مسك الدفاتر ويمرنوهم على الأعمال الحسابية من كلي ومن جزئي، بحيث يكونون بعد سنة قادرين على أن يقوموا مقامهم فى الأعمال، وإلا فيلقّيهم فى النيل. غير أن المنية عاجلته قبل تحقيق هذا الأمل(١).

+ فصُرف النظر عن هذا الموضوع، وبهذا نجا المعلمون من الورطة التى كانوا يخشون سوء عاقبتها ويحسبون لهذا حساباً عظيماً، حتى أن بعضهم لما مضى عليه شهر أو شهران وتحقق فى تلميذه عدم الميل إلى التعلّم، قال أنه لم يبق من عمره سوى عشرة أشهر. وهكذا كلما مضى عليه شهراً آخر كان يتوقع الموت على الدوام ويستعد له(٢).

البابا كيرلس الصوامعى ١٨٥٤ - ١٨٦١م (كيرلس الرابع أبي الأصلاح):

+ أن المدة التى قضاها البابا كيرلس على الكرسى كانت صغيرة ولكنها كانت مليئة بعظيم الأعمال النافعة للأقباط وللأمة المصرية عامة ويرجع هذا إلى نشاطه العظيم وحكمته وحزمه.

نشأته:

+وُلِد من والدين مسيحيين فى بلدة الصوامعة شرق (مديرية جرجا) ولمُعاشرته للإعراب تعلم منهم ركوب الخيل والهُجن (الجِمَال) والنشاط والشهامة. ولكنه فى سن الثانية

---

(١) قتله فجأة فى قصره فى بنها سنة ١٨٥٤ تركيان كلفهما سلطان تركيا بهذا (الخريدة النفيسة لإيسوزورس، جـ ٢ ص ٥٢٩).

(٢) روفيله، تاريخ الامة القبطية ص ٣٠٤.

والعشرين مال لعيشة الرهبنة. فذهب لدير القديس أنبا أنطونيوس وبعد سنتين من وجوده به – ظهر فيها بنشاطه وتقواه وانكبابه على درس الكتاب المقدس وسمات الرئيس. فإختاره الرهبان رئيساً عليهم. واعتمد البابا بطرس هذا الإختيار.

+ ظهر فى أثناء رئاسته للدير بحزمه،وملاحظته للآباء الرهبان وحضهم على قراءة الكتب،وكان هو مقدامهم فى هذا.ولكى يُسّهل عليهم الدرس جمع لهم عدة كتب وخصص أوقات للمناظرة فى بعض المواضيع.

+ وكذلك أنشأ مدرسة بالعزبة الخاصة بالدير، ببوش، لنشر العلم بها.

اختياره لمهام الأمور - والخلاف على اختياره بابا:

+ ولما بلغ البابا بطرس خبر فضائله، أوفده لأثيوبيا ليحل نزاعاً قام بها، وفى أثناء قيامه فى اثيوبيا مات البابا بطرس الجاولى. وقام فريق أغلبه من أراخنة الكنيسة يرشح داود. وأما غالبية الأساقفة فرشحوا يوساب أسقف أخميم ليكون بابا.

+ ولما حضر داود (الإسم الأول للبابا) إلى مصر من الحبشة اتفق الجميع على أن يقام داود مطراناً عاماً فى مصر لمدة سنة، ويُجّرب فى أثنائها. وقد فاز بعدها بالقبول فأقيم بابا على الكرسى الأسكندرى سنة ١٨٥٤م.

تنظيم الإدارة:

* «وجه نظره (البابا) إلى تحسين حالة إدارة البطرخانة. فأنشأ لها ديواناً وضع له قواعد وروابط – حتى لا يتصرف النظار بغبن .. وقسم الإدارة إلى قسمين: قسم يختص بالإشراف على الأوقاف ومحاسبة النظار وتقديم البيانات المضبوطة بالإيراد والمنصرف. وقسم يختص بالأعمال الدينية والشرعية بمباشرة أحد القسوس ومطران مصر. وكلاهما تحت ملاحظته .. وأمر بإنشاء سجل لحصر جميع الأوقاف به من واقع الحجج (الوثائق) واستخدم لهذا العمل عمالاً (عاملين) تحت مراقبته[١].

(١) مشاهير الأقباط في القرن التاسع عشر لتوفيق بك اسكاروس،، جـ ٢، ص ١٥٧.

النشاط العلمي في عهده:

* «كان أول عمل باشره بناء مدرسة وهي **أول مدرسة أقيمت لتعليم شبان الأقباط**. وأحضر لها أساتذة ماهرين. وكان يقبل التلاميذ فيها على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ويصرف لهم الكتب والأدوات مجاناً. وكان يُباشر التعليم بنفسه فلا يمر عليه يوم لا يتفقد فيه حالتها مرة أو أكثر. ولمزيد الإعتناء بها أخذ له مكاناً فيها لإستقبال الزائرين. فإذا آتى إليه زائر من الأجانب أو غيرهم من ذوى المعرفة باللغات والعلوم وطرق التعليم يكلفه زيارة المكاتب (الفصول) وفحص التلاميذ وابداء ملاحظته فيها بقصد تحسين حالتها وتسهيل طرق التعليم فيها».

* «وكثيراً ما كان يطيل الإقامة فى المكتب مصغياً لما يلقيه الأستاذ على الطلبة. ثم يقول مخاطباً التلاميذ قبل خروجه «قد استفدت معكم اليوم فائدةً لم أكن أعرفها قبلاً» وكان أحياناً يُلقى على التلاميذ عبارات أدبية وتاريخية مما يناسب سنهم وإدراكهم. وقد جعل تعليم اللغة القبطية جبرياً وكان يلاحظ دروسها بنفسه».

* «ونظراً لإحتياج الحكومة إلى موظفين لإدارة السكك الحديدية التى أنشئت فى ذلك الوقت أخذت كثيرين من خريجى هذه المدرسة. وكانت أغلب كتاباتهم باللغة الإنجليزية»..

* «وعهد إلى أحد قسوس كنيسة الأزبكية ـ المُسَّمى القمص تكلا – المشهود له بإتقان الموسيقى والألحان الكنائسية أن ينتخب من بين تلاميذ المدرسة الشمامسة عدداً معلوماً من ذوى الأصوات الحسنة وتعليمهم التراتيل الكنائسية مضبوطةً وجعل لهم ملابس مخصوصة على طراز جديد لطيف، يلبسونها أثناء وجودهم فى الكنيسة أيام الآحاد والآعياد. فنتج من هذا التحسين الواضح للناس فائدتان إحداهما إظهار فائدة المدارس. والثانية مواظبتهم على الحضور إلى الكنيسة وهم منشرحو الصدر من سماع التراتيل اللطيفة[1].

+ وكذلك بنى البابا مدرسة بحارة السقايين **ومدرسة للبنات** وكانت هذه أول المدارس الأهلية الخاصة وخصوصاً فى تعليم البنات في القطر المصري كله.

---

(٢) روفيله، المصدر السابق، ص ٣١١.

المطبعة:

* «أنشأ أيضاً مطبعة، وقبل إحضارها أختار من أبناء الأمة أربعة من شبان الأقباط ورتب لهم رواتب شهرية وملابس سنوية تُصرَف لهم من الدار البطريركية وحصل على أمر رسمي من سعيد باشا بقبولهم فى مطبعة بولاق، ليتعلموا حرفة الطباعة».

* «ومما يدل على شدة احترامه للعلم ورغبته فى نشره وتنشيطه، أنه لما علم بوصول أدوات المطبعة إلى الأسكندرية وكان فى دير أنطونيوس بالجبل بعث إلى وكيل البطرخانة بمصر يأمره بإستقبالها عند وصولها بإحتفال رسمى يقوم فيه الشمامسة بالملابس الرسمية المختصة بالخدمة الكنائسية، ويقابلونها من باب البطرخانة بالتراتيل والأناشيد. وتحدث الناس كثيراً بغرابة هذا الإستقبال. ولما عاد من الدير وعلم بحديثهم قال لبعضهم: «أنى أتّعجب لإستغرابكم هذا الإستقبال مع أنى لو كنت حاضراً لرقصت كما رقص داود أمام تابوت العهد»[1].

+ ذهب البابا كيرلس (أبي الأصلاح) إلى اثيوبيا لإزالة الخلاف بين سعيد باشا والنجاشى تاوضروس، كما سيظهر فى الفصل الخامس من هذا الباب .

أعماله الدينية:

+ وقد رأى البابا أن الكنيسة بالأزبكية التى بناها البابا مرقس الثامن صغيرة فبنى أخرى عظيمة تليق بمقام الأقباط. واحتفل بتأسيسها فى ٢٩ برمودة سنة ١٥٧٥ش ولكنه لم يهنأ بإتمامها فلم تكد تصل فى عهده إلا إلى النوافذ للدور الأول. كما اهتم بالمكتبة بالبطريركية وسعى فى زيادة ما بها عما تركه البابا بطرس الجاولى.

+ ورتب للقسوس مكاناً يجتمعون فيه كل سبت فى مدرسة الأزبكية للمطالعة والبحث فى الأمور الدينية. وكان هو يحضر معهم فى أغلب الأوقات ويناقشهم. وكثيراً ما كان يحادثهم عن واجبات الكهنة وطريقة رفع شأنهم أمام رعيتهم، وقد أقام مطراناً خاصاً بالقاهرة ليساعده فى رعاية شعبها.

---

(١) روفيله تاريخ الأمة القبطية ص ٣١٤، وهو مايدل علي إهتمامه بالطباعة والمعرفة لكل الشعب.

طريقة وفاته:

+ اتفق بعد أيام خروج كيرلس إلى دير أنطونيوس بالجبل الشرقى ومعه بطركاً الروم والأرمن الأرثوذكس ليقضوا فيه أياماً ترويحاً للنفس. فلما وصلوا بلدة بوش على مقربة من بنى سويف نزلوا بعزبة الرهبان أياماً .. وعلم قنصل الإنجليز جنرال مُرى بخبر قيامهم ونزولهم .. فسار إلى مقر سعيد باشا ودّس له بأن كيرلس إنما ذهب إلى الدير ومعه من البطاركة، للتحالف وتجديد العهد على وحدة الطوائف الأرثوذكسية بمصر. وجعل كيرلس بطركاً عليهم ووضع الكنيسة القبطية تحت حماية الروس. فإذا تم له ذلك أصبح مسند الولاية المصرية على شفا جرف تحيط به الأخطار من كل جانب.

+ فأنذهل سعيد باشا. وأنفذ إلى يعقوب بك مدير بنى سويف يقول: «سِرْ إلى كيرلس بطرك القبط وقل له أن يأتى إلينا عاجلاً فأنا فى حاجة إلى حضوره» فسار إليه بعزبة بوش وأبلغه الرسالة فقال: «أنى ذاهب مع رفاقى إلى الدير. فإذا عدنا إن شاء الله ذهبت إليه. وكتب مقالته هذه فبعث بها المدير إلى سعيد باشا فإشتد غيظه .. فلما كان أحد الأيام جاء إليه رسول من قبل محافظة مصر يستدعيه إلى الديوان لأمر، لا يتم إلا بحضوره. فلم يقبل الذهاب، وصرف عنه الرسول. فعاد إليه ثانية وثالثة فلم يرَ بُداً سوي الذهاب. وسار معه وغاب ساعته ثم عاد ووجهه يقطر منه العرق وقد نزلت به حمى شديده فلازم الفراش من ساعته واشتدت الحمى شدةً بالغة .

+ فأتوا إليه بطبيب فعرف العلة وأشار بالدواء. فلم يأته حتى أتاه طبيب محمد سعيد باشا بأمر منه، وأخذ فى علاجه وعظم الداء وفقد الرشد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته وانحّل جسده ومات[1] (فى ليلة الأربعاء ٢٣ طوبة سنة ١٥٧٧ ش - ١٨٩١م) توفى إلى رحمة الله وكان طويل القامة ممتلئ الجسم قوى البنية صحيح الأعضاء أسمر اللحية حاد النظر والذهن كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية

---

(١) نوابغ الاقباط، المصدر السابق، حـ ٢ ص ١٨٦.

أسودها طَلِق الوجه واللسان، سريع الإقدام على ما ينويه، كثير الأمثال فى حديثه وكان عالى الهمة فطناً[1]. وللبابا نوادر تظهر حُكمه الصادق ونيته واتضاعه..إلخ[2].

أنبا باسيليوس مطران القدس :

+ وُلِد سنة ١٨١٨م ببلدة الداية مديرية قنا. وفى ليلة ميلاده سمع والده فى حلم صوتاً يقول له: «قم وأرفع الشكر لله على هذه المنحة» فحمل ابنه وشكر الله. ولما كبر كان يصطحبه معه إلى الكنيسة. وكان الخشوع يظهر عليه مع الطاعة لوالديه. تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الديانة. وكان يسهر فى قراءة الكتاب المقدس. وقد نقش أمامه الآية: «فتشوا الكتب» حتى ينظر إليها عندما يهاجمه النُعاس.

+ أقام والده مرة وليمة لأصدقائه الأغنياء، فتحرّك فيه العطف على الفقراء ووزع طعام الوليمة عليهم. ولما غضب والده قال له: «إن هؤلاء لهم ما يأكلون فى بيوتهم مما تُقدّمه لهم. أما الفقراء فمحرومون من هذا الطعام».فكانت هذه غلطة بليغة لوالده واعتذر للضيوف .

اختياره الأحسن:

+ هذه المقدمة من سيرته أظهرت المستقبل الذى ينتظر صاحب السيرة فى خدمة الكنيسة.فعندما إطلع فى الكتاب المقدس على قول بولس الرسول: «حسناً للرجل ألا يمَّس إمرأة وغير المتزوج يهتم فيما للرب» رسخ فى ذهنه توجيه نفسه لعيشة البتولية. وبينما هو كذلك ذهب لكنيسة فأعطى له السنكسار، ليقرأ إحدى السيَر. فخرجت سيرة القديس أنطونيوس. فذهب إلى دير القديس أنطونيوس وترّهب فيه. وقد فاحت رائحة حياته المسكية من صوم وصلاة بحرارة، وخدمته لشيوخ الرهبان. فأقاموه قساً ثم قمصاً فرئيساً للدير .

وهو مطران القدس :

---

(١) روفيله، المصدر السابق، ص ٣٠٩.

(٢) أرجع الي منسي، ص ٦٧٤ – ٦٧٦، واسيذيروس، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٠٨ – ٥١٢ .

+ وقد شرَّفه البابا كيرلس الرابع، فرسمه مطراناً سنة ١٨٥٦م للقدس والمديريات التابعة لها بمصر فى ذلك الوقت وهى مديريات شرق فرع دمياط. وقد اهتم بأبروشيته بمصر، فبنى بكثير منها كنائس.

+ ولم يكن للأقباط غير بضعة أماكن غير مُعتنى بها. فإذا رأى بما تقتضيه واجبات الراعى الحقيقى، فعمرّ دير القديس أنطونيوس الملاصق لكنيسة القيامة، حتى أضحًى يشتمل على كنيسة وداراً جميلة للبطريركية، ونيف وأربعين غُرفة بعد أن كان خرباً. وعمَّر كذلك دير كنيسة مارجرجس واهتم على الأخص بعمل حجاب هيكلها البديع، حتى أضحَى نادر المثال. ثم وجه همته فى اصلاح باب دير الملاك المعروف بدير السلطان. وذلك بعد أن استغرق وقتاً ليس بقليل فى رفع الشكوى والدعوى إلى الباب العالى ضد جماعة الأحباش والطوائف التى كانت تأخذ بناصرحم[1].

+ وقد بذل المساعى فى ذلك لدى حكومات روسيا وانجلترا وتركيا ومصر. وحصل من السلطان عبد الحميد على أمر بتثبيت ملكية الأقباط للدير[2]

+ وتمكَّن بمهارة من إحاطة الهيكل الذى يملكه الأقباط والملاصق للقبر المقدس بسياج من الحديد مع ما صادفه من مقاومات الطوائف لاسيما الأرمن. كما اشتري داراً كبيرة معروفة بالمصبنه ولكنها ضاعت بعد وفاته!!

+ وقد اهتم بإراحة الزوار الأقباط الذين كانوا يسافرون بحراً عن طريق ميناء يافا ويفضلونه عن الطريق البرى من العريش إلى غزة، لإتقاء هجمات البدو فى الطريق فكانوا يتكدسون فى طرقات يافا. فأشترى نحو عشرين فداناً وبنى بها قصراً وغرفاً لإيواء الزائرين وكنيسة، وجهز هذه الأرض بماكينة لرفع المياه. وتعد بيارة الأقباط بيافا من أجمل بقاعها الآن (في عهد الكاتب).

+ وقد أصيب قبيل وفاته بمرض الفالج (الشلل) ومات سنة ١٨٩٩م ودُفِن بجوار الكنيسة التى بناها بيافا.وقبره مازال قائماً هناك.

---

(١) منسي، المصدر السابق، ص ٧٠٤.

(٢) انظر كتاب كيرلس الرابع لجرجس فيلوثاوس عوض، ص ٥٦ - ٧٦ ونوابغ الاقباط لتوفيق اسكاروس، جـ ٢ ص ٢٣٢ - ٢٧٩.

الفصل الرابع

عهد اسماعيل باشا (والبابا ديمتريوس الثانى)

(١٨٦٣ - ١٨٧٩م)

+ اشتهر عهد اسماعيل باشا فى مصر بإزدياد النفوذ الأجنبى، وذلك نتيجة همة اسماعيل باشا العظمى فى القيام بمشاريع كبيرة. كان أهمها فتح قناة السويس واضطر أن يستدين كثيراً لإتمام هذه المشروعات. وكان أكثر الدين من الأجانب .

+ ومع أن سعيد باشا كان قد طرد الموظفين المسيحيين من الدواوين وأعطاهم بعض أراضٍ ليستغلونها، إلا أن اسماعيل باشا سحب منهم الأراضى ووظفهم ثانيةً.

تدخل البروتستانت:

+ وقد دخل فى عهد اسماعيل باشا مرسلون أجانب من البروتستانت، كان أشهرهم لانسن الأمريكى، ويوحنا هوج الأسكتلندي. وقد استقر الأول بالأسكندرية ولما أتى الثانى بعده ببضع سنوات ذهب الإثنان إلى داخل البلاد، يوزعان الكتب المقدسة ويعظان بكلمة الإنجيل. وفي سنة ١٨٦٢ انتقلا إلى القاهرة. وذهب هوج إلى أسيوط سنة ١٨٦٥ واتخذها مركزاً لعمله. وكان يود أن يبث عقيدته البروتستانتية فى داخل الكنيسة القبطية، ولكن لم يستطع ذلك، لتمسُّك الأقباط بعقيدتهم .

+ وقد بُنيت نحو هذا الوقت كلية أسيوط الأمريكية. واستخدمت لنشر المذهب البروتستانتى، وكانت هذه الكلية من أكبر العوامل لنشر هذه المذاهب.

+ وقد تطرَّف بعض الأقباط الذين كانوا يسمعون عظات البروتستانت. وهجموا على كنيسة أسيوط الأرثوذكسية وكسروا صورها، لأنهم ظنوا أن الأقباط يعبدونها، واعتبروا إكرامها عبادة أوثان!!.

+ وتعددت بعدئذ المذاهب البروتستانتية فأتى البلموث وكنيسة الله أو الإصلاح وكنيسة الله الرسولية أو الألسن، وغيرها من المذاهب البروتستانتية التى أوجدت بلبلة فى أفكار الكثيرين. فنتج عن هذا تفكك بين مسيحيِّى مصر. وبإضافة عمل هؤلاء إلى ما عمله الكاثوليك جعل حالة المسيحيين تزداد سوءاً، وهم أقلية وسط كثرة. لذلك كان ينبغى أن يتحدوا .

البابا ديمتريوس الثانى ١٨٦٢ - ١٨٧٠م:

+ كان هذا الأب رئيساً لدير أبى مقار. واختير بعد البابا كيرلس الصوامعي سابقه أواخر عهد سعيد باشا .

+ وكان أول عمل اهتم به البابا اتمام الكنيسة التى. بدأها سلفه. حتى كملت بوضعها الحالى، ولكن بلا نقوش .

+ ولما قَدِم السلطان عبد العزيز إلى مصر فى وقت افتتاح قناة السويس[1] وكان قد دعا اسماعيل باشا الرؤساء لمقابلته فذهب البابا - وكانت العادة عند مقابلة السلطان تقبيل طرف ثوبه.

+ ولكن لما دخل البابا ـ وكان معه القمص سلامه وهو يجيد التركية ـ قبلّ البابا صدر الخليفة (السلطان) فارتجف فقال له البابا: «لا تنزعج، أنما أنا أقّبل يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين لأنه مكتوب: «أن قلب الملك فى يد الرب» (أم ٢١:١) وكان القمص يترجم هذا الكلام للسلطان. فابتسم وأنعم عليه بألف فدان من أملاك الحكومة للصرف منها على المدارس وترقية الكنيسة، وزادها الخديوى اسماعيل خمسمائة فدان أخرى فى مديرية الشرقية .

+ ولما علم البابا بإنتشار البروتستانتية فى الصعيد أخذ مركباً بخارياً من الحكومة وجال به هناك وكان معه القمص فيلوثاوس. وكان البابا يعظ الناس. ويُظهِر لهم العقيدة الأرثوذكسية، فرجع كثيرون إلى كنيستهم.

+ وقد شكا البابا لإسماعيل باشا من كسر الصور بأسيوط. فأصدر اسماعيل أمراً بنفى من عمل هذا إلى الخارج، لكنهم إلتجأوا إلى قناصل الدول الذين توسطوا لإيقاف تنفيذ هذا الأمر. فأوقفه اسماعيل باشا.

+ توفى هذا الأب ليلة عيد الغطاس ١١ طوبة سنة ١٥٨٦ش (١٨٧٠م) .



---

(١) فى ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩م اقيمت حفلة رسمية دينية لإستمطار البركات الإلهية على القناة، اشترك فيها مشايخ الإسلام وأساقفة النصارى وكهنة اليهود، وفى اليوم الثانى، افتتح الإحتفال بإطلاق المدافع.(هند اسكندر،تاريخ مصر، ص ٢٩٩).

الفصل الخامس

صلة مصر بالسودان واثيوبيا فى عصر الأسرة العلوية

الصلة بالسودان:

+ لما قام محمد على باشا بفتح أراضى النوبة .. سمح أن يرافق هذه الحملة بعض الأقباط المصريين. ولما تم الفتح صار لأولئك الأقباط اعتباراً فى تلك البلاد فإستوطنوها وقاموا ببناء عدة كنائس بها. وإلتمسوا من قداسة البابا بطرس السابع أن يرسم لهم أسقفاً اختاروه من بين الرهبان وزكوه لدى البابا. ورسمه لهم بإسم الأنبا دميان ولما تنيح قام برسامة أسقف جديد. ومن هذا الحين تجدد كرسى النوبة[1].

اثيوبيا:

+ وقد ظهر تاريخياً فى عهد الأسرة العلوية فى طورين أحدهما عهد البابا بطرس الجاولى والثانى فى عهد البابا كيرلس الصوامعى (أبي الاصلاح):

١- عهد البابا بطرس الجاولى:

* «لقد وقع خلاف بين المطران أنبا سلامه[2] وبعض كهنة وشعب إثيوبيا. فأرسل

---

(١) سنكسار البطريركية، طقس ٢٦٦ ص ٢٤٧ .

(٢) «رسم البابا بطرس خليفة للأنبا كيرلس الثالث المطران المتنيح الأنبا سلامة سنة ١٨٤١م وكان اسمه أولاً اندراوس وكان تلميذاً بالمدرسة الإنجليزية بالقاهرة، وكان القوم يؤملون دخول الإصلاح الإنجيلى بواسطته. وقد قوى أملهم استيلاء أمير يميل إليهم (تيودورس.) ولكن لما استقبله الحاكم نفى المرسلين وألقاهم فى السجن. وبعد تعيين الأنبا سلامة استمرت المشادات بشأن صحة العقيدة. وظل النزاع قائماً، حتى انتدب البابا بطرس القس داود، لحسم هذا الخلاف. فكان النجاح رائده (كيرلس الرابع، المصدر السابق ص ٥٦).

القمص داود (البابا كيرلس الرابع فيما بعد) لحل النزاع - وقد كتب فى هذا صاحب كتاب الكافى (الجزء الرابع) مظهراً سبب الخلاف بقوله: "كان فى مجدالا نفر من الإنجليز مرسلين من الجمعية المعروفة بجمعية التبشير بالإنجيل، لبث تعاليم لوثر الدينية بين الأحباش، وقد تقربوا من النجاشي (الملك) بعمل المدافع وصنع الأسلحة لعسكره، حتى مال إليهم وأباح لهم التجول فى جوف البلاد فجابوها. وبثوا تعاليمهم حتى كادت تعاليمهم تعم جميع البلاد وأصبحوا يعبثون بطقوس الكنيسة القبطية. فكبر هذا الأمر على مطران الحبشة وخشى العاقبة. فعمد إلى إيقاف هؤلاء المرسلين عند حدهم فلم يفلح، وقد كبر شأنهم واتسعت كلمتهم واشتدت الصراعات بينهم وبينه ».

+ فسافر الأب داود سنة ١٨٥١ مزوداً بدعوات البابا ووعوده الطيبة له بأن ينجح فى مسعاه، ثم تحدث صاحب الكافى وقال: «وقد كانت له الحكمة، التي كادت توصله إلى غرضه المطلوب، لو لم تدخل السعاية من بعض الدول. وقيل إنها من قِبَل قنصل الإنجليز هناك. فطالت مدة إقامته من غير طائل وكان يرسل فى أثنائها إلي البطريرك بالأخبار. فوافاه منه كتاب يستدعيه. وكان ذلك فى أيام مرضه[1]».

+ وقيل أيضاً أن سبب النزاع كان لأجل دير السلطان بالقدس والذى أصدر فيه السلطان العثماني أمراً بتسليم مفتاحه للقبط، ومنع تعرُّض الأحباش له وكان ذلك فى ١١ محرم سنة ١٢٦٧هـ (حجة بالتركية فى ربيع ثانى سنة ١٢٦٧هـ بإثبات ملكية الدير للأقباط).

٢- فى عهد البابا كيرلس الرابع:

+ وقد أرسل البابا إلى اثيوبيا حسب توصية السلطان عبد المجيد وحسب العرض الذى

---

(١) نوابغ الاقباط، المصدر السابق، جـ ٢ ص ١١٤ - ١٢٠.

عرضه عليه سعيد باشا بتوّسط البابا فى الصلح بين مصر واثيوبيا، وليسترد لمصر هرر وزيلع. فذهب البابا إلى هناك على باخرة جهزتها له الحكومة. وقابله النجاشى تيودورس على بعد ثلاثة أيام من عاصمة ملكه، ولما عرض. طلبه وافق عليه – واستاء البابا من عمل الإنجليز هناك، كما رأى فى رحلته الأولى قبل جلوسه علي كرسي مارمرقس فطلب أيضاً إبعاد المُرسلين الأجانب. فقبل ايضاً طلبه هذا. ففكروا فى مكيدة ضد البابا القبطي.

+ فذهب قنصلهم إلى سعيد باشا وقال له إن البابا سيسلم بلادك للنجاشى فإرتجف قلب سعيد باشا وذهب بجيش للخرطوم ليحمى بلاده من هجمات النجاشى. وذهبوا من ناحية أخرى للنجاشى وقالوا له: «إن البابا يريد تسليم بلادك لسعيد باشا، والدليل على ذلك وجود قواته عند الخرطوم وقد آتى إليك، بلباس مسموم ليقتلك به وطلب منك طرد الأجانب الذين يعملون بجيشك، فغضب النجاشى على البابا وسجنه وكان يسعى لإحراقه لولا توسط والدته، للتوفيق بينهما.

+ فأخذ البابا يُظهر براءته مما نُسب إليه ولبس الثوب الذى أحضره هدية له وأعطاه أيضاً لشخص آخر حُكِم عليه بالإعدام فلم يوذه. كما أرسل البابا إلي سعيد باشا ليرجع بجيشه إلى مصر لأن هذا هو أساس الصُلح. فرجع سعيد باشا – وظهرت براءة البابا أمام النجاشى. فتقدم وأخذ حجراً كبيراً ورفعه على رأسه أمام البابا، وطلب مسامحته على ما فرط منه. ثم رد البابا مكرماً إلى كرسيه.



الباب الرابع

التدخُّل الإنجليزى والإستقلال المقيَّد

+ اهتم الإنجليز بالتدخُّل فى شئون مصر، لأنها مفتاح الهند التى كانت تعتبر دُرَّة التاج البريطانى – ولما رأوا نابليون يقف فى سبيل مطامعهم فى الشرق تعقبه نلسون. واستطاع أن يساعد فى إخراج الفرنسيين من مصر، لكن الإنجليز تلكأوا فيها من سنة ١٨٠١ – ١٨٠٢ مستعينين بالماليك، فى السعى لبسط نفوذهم عليها.

+ وفى سنة ١٨٠٧م نزلت حملة إلى الأسكندرية بقيادة فريزر. واحتلتها ثم احتلت رشيد ولكن الأهالى كانوا «مُتنبهين ومستعدين بالأزقة والعُطف وطيقان البيوت» كما قال الجبرتى. فإنقضوا على الإنجليز فى قرية الحماد وقتلوا منهم عدداً، وأسروا البعض وكان الوالي محمد على يخشاهم، إلى أن أرسل له فريزر، طالباً الصُلح ثم الجلاء. ورجع الإنجليز ثانيةً، واحتلوا مصر فى ثورة عرابى (١٨٨٢م).

+++

الفصل الأول

الإحتلال الإنجليزى (١٨٨٢ - ١٩٢٢م)

ثورة عرابى:

+ قام مع رفقائه أيام الخديوى توفيق بطلب تشكيل مجلس للنواب عن الأمة، وبعض المطالب الأخرى. ووافق الخديوى على ذلك وافتُتح المجلس فى ديسمبر سنة ١٨٨١ إلا أن فرنسا وانجلترا قدمتَّا مذكرة فى يناير سنة ١٨٨٢م بالإعتراض على ما قرره الدستور للنواب من حق مناقشة الميزانية، الأمر الذى يضر بالدين الذى دفعه الأجانب إلى مصر أيام اسماعيل. ولهذا حدث التصادم بين المصريين والإنجليز. وهُزِم عرابى فى موقعة التل الكبير.واحتلوا القاهرة فى سبتمبر سنة ١٨٨٢م.

+ وقد اشترك كثيرون من الأقباط فى ثورة عرابى ضد المحتلين. وكم من نساء مسيحيات ترملن وأبناءً تيتموا فى سبيل الدفاع عن الوطن المشترك.

+ ولما اسندت رئاسة الوزارة إلى بطرس باشا غالى أيام عباس الثانى قام الخونة وقتلوه فى سنة ١٩١٠م بعد أن أعلن للملأ وطنيته الصادقة.

+ وأراد الإنجليز أن يرضوا الأقباط لينحازوا إلى جانبهم فإسندوا إليهم بعض المراكز فى الحكومة، لكنهم عادوا فسلبوها منهم. وكانت المراكز الكُبرى فى أيدى الإنجليز واستغلوا مصر فى أخذ خاماتها وصنُعها بإنجلترا . وردّها لهم بأغلى الأثمان.

ثورة سنة ١٩١٩م:

+ كان من نتيجة ذلك وغيره من الأسباب أن قام جميع أفراد الأمة من مسلمين ومسيحيين سنة ١٩١٩م - أيام الحرب العظمى الأولى - بثورة قادها الزعيم سعد زغلول ومعه من الأقباط كثيرون أمثال ويصا واصف، وسينوت حنا، وفخرى عبدالنور، وغيرهم يطالبون بإستقلال مصر عن بريطانيا .

+ وإن كان المسيحيون قد أظهروا وطنيتهم أيضاً فى هذا الوقت إلا أن ضعاف النفوس أثناء اشتداد الثورة وقطع طرق المواصلات واختلال الأمن – فكّروا فى الهجوم على منازل الأقباط فى القرى، للإستيلاء على ما بها ومن بها . فحرّك الله قلوب بعض المسلمين الغيورين على مصلحة الوطن للوقوف ضد هؤلاء. وهددوهم بالقول «من مس قبطى بأذى مسسناه بالدم». فهدأت الثورة ضد الأقباط. وتكتلت القوى ضد المستعمر ورُفِعت الأعلام وعليها الهلال يعانق الصليب.

+ وقد زاد سخط الإنجليز خصوصاً عندما بلغهم تخريب متاجر الأجانب.وقتلوا الشعب بالمدافع الرشاشة، وحلقت طائراتهم على البلاد لتهدئة الحال – وكانوا قد أعلنوا عند بدء الحرب الكبرى سنة ١٩١٤م حملتهم على مصر، التى استمرت إلى سنة ١٩٢٢م حين أُعطيت مصر الإستقلال المُقيّد في عهد الملك فؤاد. كما سيظهر فى الفصل الثالث.

الفصل الثانى

البابا كيرلس الخامس وأنبا إبرآم أسقف الفيوم

+ عاش فى أثناء الإحتلال البريطانى البابا كيرلس الخامس ١١٢، وموجز تاريخه بكتاب دير البراموس (ص ١٢٥ – ١٣٢) للرجوع إليه[١].

أنبا إبرآم أسقف الفيوم والجيزة :

+ وُلِد ببلدة دلجا مركز ملوى ومال للرهبنة فذهب للدير المحرق، وظهرت فضائله فأُقيم راهباً بإسم بولس غبريال. ثم رُسم قساً، وصار رئيساً للدير. فنمت إيراداته على يديه مع كثرة الإحسان الذى قام به على الفقراء وكثرة عدد الرهبان حتى بلغ عدد من أقامهم ٤٠ راهباً[٢] ولكن بعض الرهبان أخذوا عليه كثرة التوزيع للفقراء، فترك الدير وذهب لدير البراموس؛ عندما كان يوحنا الناسخ (البابا كيرلس الخامس) رئيساً له – فقرَّبه إليه، ورسمه ـ بعد أن صار بابا ـ أسقفاً على الفيوم والجيزة.

+ **وقد اشتهر بصفتين - الإحسان وصنع العجائب:**

+ **فمن إحسانه:** أنه ما كان يبخل مطلقاً على الفقراء والوافدين على الأسقفية. فكان يعطيهم ما بيده. وبهذا قرر بعض الخيرِّين مبالغ يعطونها له فى أوقات معلومة ليساعد بها المحتاجين. وكان يوصى أن يكون طعامه من طعامهم. فقد تفقَّد طعامهم ـ ذات مرة ـ ورآه أقل من طعامه، فأمر بإقالة الموكل على تجهيز الطعام بالمطرانية.

+ طلبت منه مرة إحدى الفقيرات إحساناً ولم يكن معه نقوداً فأعطاها شالاً حريرياً

---

(١) ونورد فيما يلي ملخصاً لسيرته. وُلِد في تزمنت بمحافظة بني سويف وترهب بدير البراموس ورُسم بابا سنة ١٨٩٧م واستمر علي الكرسي المرقسي الي أن تنيّح بسلام.

(٢) كان منهم بطرس ومتاؤس مطرانا اثيوبيا وأنبا مرقس مطران اسنا وأنبا باخوميوس الأول أسقف الدير.

أهداه له أحد المؤمنين. فكلفها ببيعه. فرآه صاحب الشال معها. فإشتراه منها ورده للأسقف، فرجعت المرأة تشكو من قلة المبلغ الذى أعطاه لها. فكلفّه بدفع ١٠ جنيهات لتسد احتياجها، فأطاعه وأعطاها.

+ وقد زاد على إحسانه **فضيلة التواضع**، فقد دعاه البابا ليقيمه مطراناً. فأجابه: «إننى أريد أن أكون حقيراً فى ملكوت السموات»وكان صريحاً فى إبداء رأيه. لا ينظر فيما يقول إلا إلى الحق لذاته.

ومن عجائبه:

+ أتتــه مسلـــمة مــن بلوط بمديرية أسيوط بها شلل أوقف جسمها ولسانها. وبعد ثلاثة أيام مـــن وجودها بالأســقفية شعرت بالقوة تدب فى جسمها. وقامت بكل صحة.

+ لم تُرزَق إمرأة رجل بروتستانتى بنسل. فنذرت إن أعطاها الله نسلاً عمدّته بإسم الأنبا إبرآم. ولما رُزقت بنسل نسيت النذر.فحلمت بقس يرتدي ملابس بيضاء ويحمل صليباً. فتذكرت نذرها وخافت على ابنها وعمدته أرثوذكسياً.

+ وذاع صيت الأب أبرآم فأتته جموع كثيرة من المرضى. وأخرج الكثير من الشياطين. وكان واسع الإطلاع على الكتاب المقدس ويلقى العظات على زائريه، ويعمل بما يُعلّم مع زهد حقيقى فلم يتجاوز طعامه ولباسه حد الضرورة، وكان يقول: «لا حوِّزنا ولا عُزِّنا» (وهو درس هام لكل نفس).

+ وفى سنة ١٩١٤م مرض وانتقل. فشيعته إلى كنيسة أبى سيفين بالعزب آلاف من الناس مسيحيون ومسلمون، كوفاء لعمل القديس العظيم للجميع، بدون تمييز بين لون أو دين أو جنس.



الفصل الثالث

الإستقلال المُقيّد (١٩٢٢ - ١٩٣٦م)

+ نجحت ثورة مصر ١٩١٩م - بإتحاد الأمة - فى إجراء مفاوضات مع انجلترا، انتجت إعلان الإستقلال سنة ١٩٢٢م مع تحفظات أربعة وهى. تأمين المواصلات البريطانية بمصر، وحماية مصالح الأجانب والأقليات، والدفاع عن مصر ضد أى اعتداء أجنبى ومسألة السودان، وأُعلِن بعدها الدستور سنة ١٩٢٣م إلا أن الملك فؤاد تطرف فى استخدام سلطته الدستورية. وأغلق مرة البرلمان بدون وجه حق مما كان من رئيسه فى ذلك الوقت - ويصا واصف - إلا أن حطّم سلاسل أبوابه وفتّحه؛

+ وبقيت علاقة مصر بانجلترا معلقة إلى أن عقدت فى سراى الزعفران معاهدة الصداقة والتحالف بينهما سنة ١٩٣٦م وكان من أهم شروطها إنهاء الإحتلال والسعى لإلغاء الإمتيازات الأجنبية وقد الغيت فيما بعد بمعاهدة مونتريه ١٩٣٧م وعُقدت مُحالفة بينهما على المشاورة فى المسائل الخارجية والسماح ببقاء قوات إنجليزية فى منطقة قناة السويس لحمياتها.



البابا يوأنس التاسع عشر البابا ١١٣

+ موجز تاريخه فى كتاب دير البراموس (ص ١٣٣ - ١٣٥ للإطلاع عليه)(١)

البابا مكاريوس الثالث (المائة والرابع عشر) سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥م (١٦٦٠ - ١٦٦١ش):

+ كتب هذا الأب جزءاً من سيرته بقلمه - فى مجلد بدير القديس أنبا بيشوى - ومنه نعرف:

(١) ونلّخص فيما يلي سيرته: وُلد بدير تاسا بالبداري بأسيوط، وترهّب بدير البراموس. ثم صار راعياً له، ثم وكيلاً للكرازة المرقسية. وأهتم بالدير وبمدارس الاسكندرية المرقسية. وتم ترقيته من رتبة المطرانية الي البابوية سنة ١٩٢٩م، وأنشأ مدرسة الرهبان بحلوان، ورسم لإثيوبيا أساقفة وزارها، وعمل الميرون. وتنيّح في ١٤ بوونة ١٦٥٨ ش (١٩٤٢م) {الخريدة النفيسة، جـ ٢، ص ٥٢١ - ٥٢٤}.

نشأته:

+ وُلد بالمحلة الكبرى سنة ١٥٨٨ش - ١٨٧٢م وسُمى عبد المسيح - رُسِم شماساً سنة ١٨٨٣م. ولما بلغ عمره الرابعة عشر اشتاق للرهبنة. وترهب وعمره سبعة عشر سنة، وفي سنة ١٨٨٨م وصل لدير القديس أنبا بيشوى (الذى قد أوقف رسوم للمحلة عليه) ولكن أهله سعوا في إحضاره. فلما علم بذلك ترك الدير وتوغل في الصحراء. ولولا عناية الله لتاه فيها. ولما رأوا إصراره على البقاء تركوه فرُسم راهباً.

+ ولكن البابا كيرلس الخامس - لإلحاح أهله في إحضاره - أشار عليهم بأن يحتالوا على ارجاعه فقالوا له: «أننا سنذهب للبابا» ثم استدعوا خاله من طنطا الذى حضر وأخذه إليها، ولكنه هرب منهم - في ظرف من الظروف - ورجع للدير.

+ ولما مر الأنبا يوأنس (البابا فيما بعد) بالأديرة رسم الراهب عبدالمسيح قساً. وقابل اضطهادات متعددة من رئيس الدير، ولكن القس عبدالمسيح المسعودى بدير البراموس أخذه، ليستعين به في إخراج كتاب «طروحات البصخة».

+ ثم اهتم البابا كيرلس الخامس بإحضاره عنده إلى أن استدعته العناية الإلهية لكرسى أسيوط.

وهو مطران على أسيوط:

+ لقد استمر يخدم في مطرانية أسيوط.فبنى مطرانيتها الفاخرة. كما بني مدرسة للبنين والبنات.وأقام ملجأً فيها للمعجزة. وزار الأبروشية زيارات متعددة وأوجد فيها نشاطاً وبنى بها كنائس.إلا أن الأمراض قد أتعبّته مدة طويلة، وكانت تُقعده عن هذا النشاط.

+ ولكنه مع هذا لم يكف عن نسخ الكتب ورسم الصلبان المتعددة التى بلغت أشكالها قُرب الألف صليب.وكذا رسوم الحروف القبطية وفاتحة الكتب القبطية - ومازال له بديرّى البراموس وأنبا بيشوى مجلدان فاخران يحويان هذه الرسوم التى تُظهر دقته وصبره وجمال فنه القبطي.

+ وكان مشهوراً بأحيائه القداسات في الأربعين المقدسة بأصوام للتاسعة، وبصلوات بدموع حارة.

وهـــو بـــابا:

+ بعد وفاة المتنيح الأنبا يوأنس السابق عُيّن الأنبا يوساب مطران جرجا (البابا فيما بعد) قائم مقام البابا، وصدرت فى أثناء وجوده لائحة انتخاب البطريرك (السابقة) بقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٤٢م. ولما كان هذا القانون مخالفاً لقوانين الكنيسة لم ينفذ فى أوقاته التى وردت فيه. واستمر الحال من وقت صدوره فى نوفمبر إلى فبراير ١٩٤٣م وأحوال الكنيسة مضطربة. قام فى أثنائها حزبان.يرى ضرورة ترشيح الراهب فقط والآخر يجيز انتخاب الأسقف. وأخيراً عُملت جلسة حسب مانصت اللائحة - كان فيها رجال الدين الناخبين نحو جزء من عشرين من عددهم(١).

+ وقد فاز الأنبا مكاريوس فى هذا الإنتخاب وتهلل الجميع بفوزه. وفى ١٣ فبراير سنة ١٦٤٤ (١٩٢٨م) أقيم بابا وظهرت حفاوة الشعب بتنصيبه عندما اندفعوا زُرافات ووحدانا، للتهنئة بجلوسه علي الكرسي المرقسي.

+ وقد أظهر ميله للإصلاح (وخصوصاً وقد أصدر فيه نبذة وهو مطران) فكتب يطلب مراجعة حسابات الأديرة وحفظ الرصيد تحت يده - ففسر المجلس الملى برأسة المنياوى باشا هذا الطلب بأنه يعني الاستيلاء على الأوقاف، مما جعل رؤساء الأديرة والمطارنة معهم يقومون ضد البابا، ويصدرون قرارات ضد المجلس الملّي.

+ ولما رأى البابا هذا الجو الملبد بالغيوم من الناحيتين ترك البطريركية إلى دير الأنبا بولا. واستمرت الأحوال سيئة إلى أن اتفقت الكلمة ورجع البابا مُكّرماً إلى كرسيه بحفاوة عُظمى، وانضم إلى المطارنة ليعمل معهم لخير الكنيسة.

+ ولكن هذا لم يُرضِ البعض من أعضاء المجلس الملي، فعاش البابا فى تعب إلى أن انتقل فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٥م.

+ بعد أن أصدر منشورات أيام الأعياد وبعد أن أحيا الأربعين المقدسة بقداسات حارة فى كنائس القاهرة المتعددة، انهضت الشعب نهضة روحية مباركة.

+ وتعيّن نيافة الأنبا أثناسيوس (الأول) مطران بنى سويف قائم مقام البابا.

---

(١) لم يقبل أعضاء المجس الملى فى ذلك الوقت اعتبار الحاصل على دبلوم الكلية الإكليريكية مساوياً للحاصل على دبلوم جامعى (بكالوريوس) فأجازوا حق التصويت فى اختيار البابا لهؤلاء.وحرموا الإكليريكيين منه.

الفصل الرابع

السودان وإثيوبيا فى عهد الإحتلال والإستقلال المُقَيَّد

١- السودان:

+ ذهب سعيد باشا بجيشه إلى السودان أثناء وجود البابا كيرلس بأثيوبيا ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك - وحارب فيه تجارة الرقيق، كما حاربها اسماعيل باشا بعده وأرسل إليها بيكر (١٨٧٠ - ١٨٧٤م) ثم غوردون (١٨٧٤ - ١٨٨٥م) وقد حارب الحبشة سنة ١٨٧٥م. وانهزم الجيش المصرى.

+ وفى أثناء ثورة عرابى بمصر، قامت ثورة المهدى بالسودان فى سنة ١٨٨٢ - ١٨٩٨م قُتِل فى أثنائها غوردون وجرّدت مصر سنة ١٨٩٦م ـ حملة ومعها إنجلترا ـ لفتح السودان بقيادة كتشنر. فهزم الدراويش أتباع المهدى سنة ١٨٩٨م وانتهت دولته. وتم اتفاق السودان سنة ١٨٩٩م بأن تحكم انجلترا ومصر السودان، حكماً ثنائياً وُيعلّق العلمان المصرى والإنجليزى على دور الحكومة.

+ وعند اتفاق مصر مع انجلترا سنة ١٩٣٦م أظهر الجميع أن الغاية من حكم السودان رفاهيته،، ولما ألغت الحكومة المصرية سنة ١٩٥١م هذه الإتفاقية وقامت الثورة سنة ١٩٥٢م بتمكين السودانيين سنة ١٩٥٣م من حكمهم الذاتى وإعطائهم حق تقرير مصيرهم. فأُلّفت وزارته برئاسة اسماعيل الأزهرى إلى أن قامت الجمهورية السودانية برئاسة عبود.

الكنيسة القبطية فى السودان فى هذا العهد:

+ نشطت الكنيسة القبطية فى السودان ويرجع الفضل الأكبر فى نشاطها إلي غيرة أبناء الكنيسة القبطية الموظفين به الذين بنوا كنائس متعددة فى بور سودان وحلفا وعطبرة والخرطوم وأم درومان والأُبيّض وغيرها. واستدعوا خريجين من الكلية الإكليريكية للعمل فى هذه الكنائس. كما قامت رحلات تعليمية منها إلى هناك، فنشطت الكنيسة فى السودان بواسطتهم.

+ وقد رُسِم للسودان فى هذه الإثناء أولاً الأنبا سرابامون أسقف الخرطوم. وكان شخصاً بسيطاً، قضى أغلب أوقاته بالقطر المصرى، وكان يقوم بالعمل نيابة عنه المتنيح القمص يوحنا سلامة(1) الذى صار وكيلاً للمطرانية سنة ١٩١٨م وأدار الكنيسة والكلية القبطية. وقام بالوعظ. وأسس جمعية السيدات ومدارس الأحد وقام ببناء المطرانية من طابقين. وقد زار البابا كيرلس الخامس السودان سنة ١٩٠٤م، وسنة ١٩٠٩م.

+ وفى الأيام الأخيرة رُسِم للسودان سنة ١٩٤٧م المُتنّيح الأنبا باخوميوس لعطبرة. وقام بعده الأنبا توماس سنة ١٩٥٩م ورُسِم أيضاً مع الأول الأنبا يوأنس مطراناً للخرطوم والجنوب. والجميع عملوا لنجاح الكنيسة بالسودان.

٢- إثيوبيا:

+ اشتهر فى هذا الوقت الإمبراطورة زوديتو وبعدها الإمبراطور هيلاسلاسى. وكان قد رُسِم لها عدة مطارنة وأساقفة منهم الأنبا متاؤس الذى اتقن اللغة الأثيوبية وحارب عادة التسرى عند الأثيوبيين(2).

+ ثم رسم البابا يوأنس الأنبا كيرلس(3) الذى كان من دير الأنبا أنطونيوس. وكان معه أربعة أساقفة اثيوبيين. وعاصر هذا المطران هجوم ايطاليا على اثيوبيا أيام رئاسة موسولينى. وقد اكتوى الأثيوبيون بنيران الإيطاليين. واضطر الإمبراطور هيلاسلاسى إلى مغادرة البلاد. وتعرض الأنبا كيرلس لشظايا الإيطاليين، ثم أخذوه إلى روما ليخضع لباباها، وأغراه بالمال والمركز الرفيع، فرفض بيع كنيسته والإبتعاد عن عقيدة آبائه، واضطروا إلى ارجاعه لمصر، حيث انتقل إلى أحضان القديسين.

---

(١) ولد بجرجا سنة ١٨٧٨م وتخرج فى الإكليريكية سنة ١٩٠٨م وصار مدرساً بدير المحرق. ومن مؤلفاته كتاب الآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة القبطية.

(٢) تاريخه بكتاب دير البراموس، ص ١٦٥.

(٣) وضعت مدارس أحد مهمشة كتاباً خاصاً بتاريخه.

+ وبعد أن رجع الإمبراطور هيلاسلاسى بخروج الإيطاليين تأثر بعض الاثيوبيين بالمرسلين الأجانب، وطالبوا بالإنفصال عن الكنيسة المصرية.

+ ولكن فى عهد القديس البابا كيرلس السادس وقّع الإمبراطور والبابا إتفاقية بين الكنيستين فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٥٩م [١] ورقى المطران باسيليوس الأثيوبى بطريركاً جثليقاً لها.

الخلاصة:

عهد الإستقلال التام والثورة:

+ بعد أن أخذت مصر استقلالها التام بمعاهدة ١٩٣٦م مع انجلترا، كانت ترتبط بها بهذا التحالف، ونية الإستعمار تسيطر على الموقف وساعد على هذا الحُكم المطلق للملك فاروق وتصرفه الشاذ وحاشيته التى لم تراعِ أصول الحُكم.

+ فلهذا قامت مصر بإلغاء المعاهدة سنة ١٩٥١م وبإلغاء اتفاقية السودان وفى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢م قامت الثورة ضد الإستعمار والإقطاع والملك وصار رئيس الجمهورية محمد نجيب الذى أظهر تسامحاً وافراً.فكان يحضر بنفسه ليجامل الأقباط فى أعيادهم فى الكنائس. وجاء بعده الرئيس جمال عبدالناصر الذى نظر بعين التقدير إلى مطالب الأقباط إن كان من جهة حرية بناء كنائسهم.أو أحوالهم الشخصية.أو غير ذلك[٢]!

---

(١) نص الإتفاقية بكتاب دير البراموس ص ٢٢٠ - ٢٢٣.

(٢) ونحن نخالف هذا الرأي لأن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد أصدر قانوناً ظالماً سنة ١٩٥٥م، بإلغاء المحاكم المِلّية المسيحية والمحاكم الشرعية الاسلامية، وأصدر قانوناً موحداً للجميع، وثار الأقباط، لأنه لا يتمشّي مع شريعتهم، ولا يزالون يُطالبون بتغييُره. وقد أعد قداسة البابا شنوده الثالث وجميع المذاهب الكاثوليكية والانجيلية مشروع قانون للمسيحيين، وهو حبيس الادراج منذ عهد السادات، وإلي الآن، ونتمنّي أن يري النور قريباً، لحل مشاكل قانونية كثيرة يعاني منها المسيحيون للآن.

البابا يوساب الثاني ١١٥ (١٩٤٦ - ١٩٥٦م):

+ أصله من دير النغاميش بجرجا. ترهب بدير أنبا أنطونيوس وصار أسقفاً لجرجا إلى أن انتُخِب بابا في ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦م. وكان لإتقانه اللغة اليونانية فضل التحدث بها بطلاقه (وكان قد ذهب وهو راهب في بعثة إلى بلاد اليونان).

+ وقد اشتد النزاع بينه وبين كثيرين من أفراد شعبه وبين الأساقفة أيضاً، بسبب تصرفات حاشيته. فقامت جماعة الأمة القبطية واختطفته.

+ وازدادت الهُوّة بينه وبين الأساقفة، فقرروا أن يذهب إلى دير المحرق. واستمر فيه إلى أن أتى إلي القاهرة وهو مريض، وانتقل بها. ودُفِن في مقبرة البطاركة.

+ وقد سعى الأقباط في عهده إلي الحصول على بعض حقوقهم، وهددوا بالإنقطاع عن إتمام ممارسات عيد الميلاد، احتجاجاً، ولكن مندوبي الحكومة في ذلك الوقت وعدوا وعوداً غير صادقة، واستطاعوا أن يُغرُّوا بعض الأساقفة لإطفاء هذه الشعلة. فأُجريت الرسوم الطقسية للعيد، والوعود لم تتم بعد!!



البابا كيرلس السادس ١١٦

(١٩٥٩ - ١٩٧١م)

* موجز تاريخه بكتاب دير البراموس(١):

+ كان من الأقباط - في عصر الإستقلال - من ارتقى مراكز كبرى في الدولة ونفعوا أمتهم وكنيستهم، وقاموا بإدارة شركات وذهبوا في بعثات إلى الخارج، وألفوا مؤلفات في كل المجالات. ولا يحتمل المجال لذكرهم، كما قامت طبقات متوسطة من

(١) قمنا باستكمال سيرة قداسة البابا كيرلس السادس ضمن كتاب «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، للأنبا اسيذيروس أسقف دير البراموس الراحل، والذي أعددنا موجزاً له (طبعة مكتبة المحبة). ولا ينسي أحد من المعاصرين أعمال قداسته العظيمة للكنيسة وللشعب، ومعجزاته التي لازالت مستمرة حتي الآن.

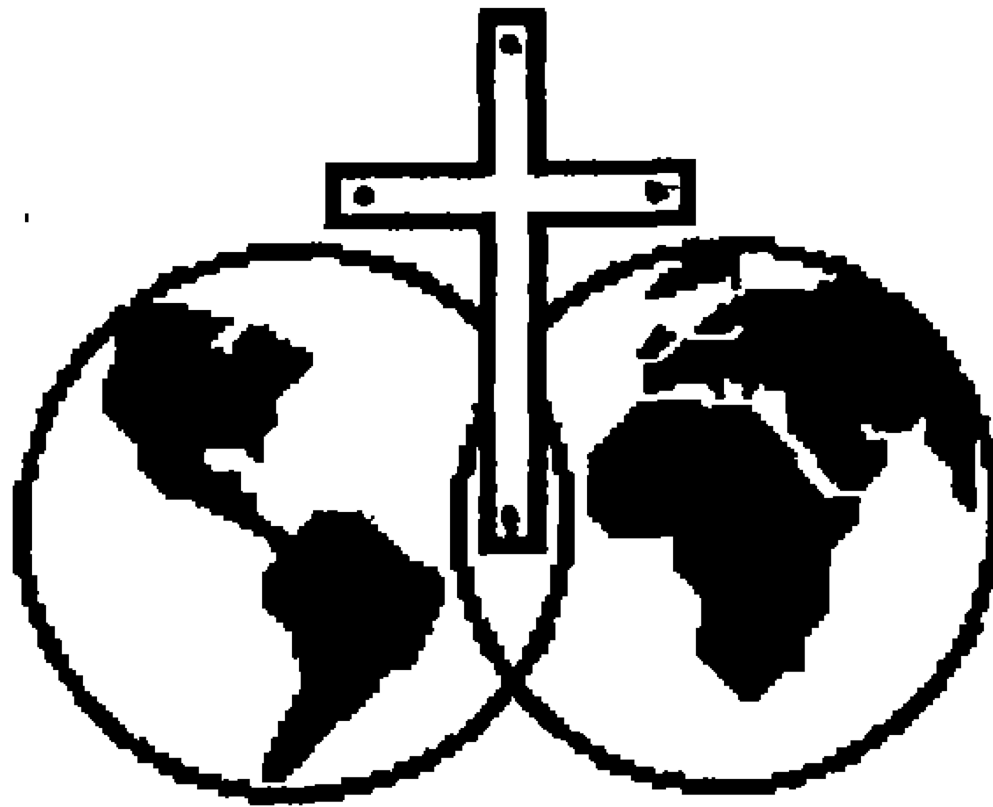
الشعب القبطى بتأليف جمعيات خيرية وأجتماعية، وبناء كنائس وملاجئ ومستشفيات في عدة بلاد لخدمة الشعب.

+ ومن رجال الدين ظهر كثيرون من المؤلفين والوعاظ والمعلمين: وأغلب هؤلاء المعلمين من خريجى الكلية الإكليريكية ومن الآباء المطارنة والاساقفة (الجامعيون) كثيرون ينشطون فى إيبارشاتهم بالقيام بأبنية المطرانيات والكنائس وعمل نهضات روحية ورسامة المثقفين من رجال العلم والدين، ويعطل العمل قليلاً فى الكنيسة تزاحم الإرساليات الأجنبية فى سحب أبناء الكنيسة منها إلى مذاهبهم. وإن كانت تبدو منهم – فى الأيام الأخيرة – روابط المحبة بين الجميع، ليؤدوا رسالتهم - بروح مسيحية - لتمجيد إسم السيد المسيح، ونمو الحياة الروحية للأقباط كلهم.

+ ويحتاج الأمر إلى تكاتف القوى العاملة فى الكنيسة مع حسن التوجيه لترجع الكنيسة إلى سابق مجدها أيام البابوات اثناسيوس وكيرلس وديسقورس وغيرهم[١].

✠ • ✠ • ✠

تم بحمد الله الجزء الثاني



(١) وهو الحادث الآن فعلاً، في عهد قداسة البابا شنودة الثالث، أطال الله حياته، وبارك مشروعاته وخدماته.

المصادر الأجنبية

HISTORICAL SOURCES OF THE COPTIC CHURCH

1 - Addison, James Thaylor The Christian Approach to Moslems, New York, Columbia University Prcss, 1942.

2 - Badawy, Alexandre, Guidc de L'Egypte Chrétienne. le Caire, Société d'Archéologie Copte, n.d.

3 - Baedeker, Karl; Egypt-Leipsic, Karl Baedeker, 1892.

4 - Baedeker, Karl, Egypt And the Sudan, Leipsic, Karl Baedekor 1929.

5 - Basset, Réné, Le Synaxaire Arabe Jacobite, Patrologia Orientalis, I, III, XI, XVI, XVII.

6 - Becker, C.H. Der Islam, Zeitschrift Fuer Geschichte und Kultur des Islamischen Orients, Strassburg, Karl Truebner,1913.

7 - Bell Idris, Egypt From Alexander the Great to the Arab Conquest. Oxford, Clarendon Press, 1948

8 - Belon du Mans, Les Observations de plusieurs singulalritées et choses Memorables, Trouvés en Gréce, Asie, Egypte, Arabie et autre Pays étrangers, en Trois Iivres.Paris: Anvers, 1955.

9 - Belon du Mans, "Peter Belenis Bemerkungen auf einer Reise von Cairo durch den Sinai Tischen Strich Von Petraeischen Arabien nach Palestina,"Paulus, Samalung, I, 0.

10- Belzoni, Giovanni Battista, Narrative of The Operations and Recent Discovries in Egypt and Nubia, London Murray, 1821.

11- Besse, J.M; Les moines d'orient anterieurs au concile de Chalcedoine, Paris: Librairie Religiouse H. Oudin, 1900.

12- Beth, Karl, Die Orientalisehe Christenheit der Mittlemeerlaender, Berlin,Sehwetsshke, 1902

13- Borchardt, Ludwig, Aegyten, Berlin, Ernst Wasmuth A. G. 1929.

14- Boussae, M. H "Deirs et Nécropoles de le Chaine Arabiques".Revue Heldomadairs, Oct, 1908.

15- Browne, W. G., Travels in Africa, Egypt and Syria from 1792- 1798. London, T, Cadwell &W. Davies, etal., 1799.

16- Budge, E. A. Wallis, A History of Ethiopia. 2 Vols. London:Nethuen & Co., 1928.

17- Burkitt, F. C. "The Monasteries of The Wadi' n NATROUN". The Journal of Theeological Studies. XXVIII, 320 /5.

18- Burkitt, F. C, "The Monasteries of The Wadi Natroun". The Journal of Theological Studies. XXXIV, 188/192.

19- Burkitt, F.C. "The Monasteries of The Wadi' n Natroun," The Journal of Theological Studies.XXXVI, 105/107.

20- Burmester, Oswald H.E., "on The date and authorship of The Arabic Synaxarium of The Coptic Church". Journal of Theological Studies, 39, 1938, 249- 53.

21- Butcher, Edith Louisa, The Story of The Church of Egypt. 2 Vols. London: Smith, Elder, 1897.

22- Butler, Alfred J. The Arab Conquest of Egypt and the last Thirty years of The Roman Dominion. Oxford: Clarenden Press, 1902

23- Butler, Alfred J., The Ancient Coptic Churches of Egypt. 2 Vols. Oxford: Clarendon Press, 1884.

24- Cadeux, Cecil John, The Early Church and the World. Edinburgh: T. and T. Clark, 1925.

25- Clarke, Somers.Christian Antiquities in the Nile Valley.Acontribution towards the study of the ancient churches. Oxford:Clarenden Press, 1912.

26- Constantinides, Michael, The Orthodox Church.London:William& Norgate, 1931.

27- Cosson, Anthony de Mareotis. London, Country Life, Ltd., 1935

28- Dom Francisque "Histoire de Ethiopie". Historicale Description de l'Ethiopie.42\341

29- Ethiopian Synaxarium, The Book of the Saints of the Ethiopian Church. Transl. E. A. W. Budge, 4Vols. Cambridge: At The University Press, 1928.

30- Evagrius, History of the Church From A. D. 431. to A.D. 594. London: Henry G. Behn, 1854.

31- Evelyn - White, Hugh G, The History of the Momasteries of Nitria and of Scetis, New York: The Metropolitan museum of Art, Egyptian Expedition, Printed in Cambridge University Prss, 1932.

32- Evesham, John, The Voyage Passed by sea into Agypt. in The Principal Navigations Voyages etc., VI.

33- Evetts, B. T. A. (ed. & transl.) The Churches and Monasteries of Egypt and Some neighbouring countries, attribued to Abu Saleh, the Armenian. Oxford: Clarenden Press, 1895.

34- Evetts, B. T. A .(ed.& transl.) "The History of the Patriarchs". Patrologia Orientalis, I, V, X.

35- Farner, Konrad, Christentum und Eigentum. Bern: A. Franoke, 1947.

36- Fletcher, Joseph F., Christianity and Property . Philadelphia: Westminster Press, 1947

37- Flury, Sammuel , "Samarra und die Ornamentik der Moschee der Ibn Tulum". Der Islam IV, 421/432.

38- Fowler, Montagne, Christian Egypt, Past, Present and Future, London: Church Newspaper co. Ltd. 1901.

39- Gasalee, Sir Stephen, "Bibliography of Christian Egypt". Journal of Egyptian Archeology, 1- 3, 1914\16.

40- Gaudefrey - Demombynes, M. Muslim Institutions. London: George Allen & Unwin Ltd., 1954.

41- Gibbon, Edward, The Decline and Fall of the Roman Empire, 4 Vols. London: Frederick Warne& Co. N. D.

42- Grebaut, S., "Le Synaxaire Ethiopien". Patrologia Orientalis,. IX, XV.

43-Guidi, Ignazio, "Le Synaxaire Ethiopien". Patrologia Orientalis,. I, VII.

44- Guessfeldt, P., "Die Arabische Wueste und ihre Kloester". Deutsche Rundschau, October 1870.

45- Heyworth - Dunne, J .,"Education in Egypt and the Copts,"Bulletin de la Société d'Archeologie Copte, VI , 1940 , 91.

46- Eyatt, Harry Middleton, The Church of Abyssinia. London: Luzac & co ., 1928.

47-Ibrahim - Hilmy,The Literature of Egypt and the Soudan from the Earliest Times to the year 1885, inchlusive. 2 Vols : London : Truebner & Co., 1886.

48- Kammerer, Winifred, A Coptic Bibliography. Ann Arbor : University of Michigan Press, 1950.

49- Keimer, Louis, "Les Voyageurs de la langue allemande en Egypte entre 1800 et 1850, ainsi que Ieurs Relations de Voyage". cahiers d'Histoire Egyptienne V, March 1953, 1/28.

50- Lane, Edward William, The Manners and Customs of the Modern Egyptians. London: J. M. Dent & Sons, Ltd., 1908.

51- Lane - Poole, Stanley, Cairo, Sketches of its History, Monuments, and Social Life. London : J. S. Vittue & Co., 1898.

52- Lane- Poole, Stanley, A History of Egypt in the Middle Ages, London, Methuen & Co., 1901.

53- Ledder, S. H., Modern Sons of the Pharaos. London : Hodder & Stougton, 1918.

54- Letts, Malcolm (transl.), The pilgrimage of Arnold Von Harff Knight. in 1496- 1499. London : The Takluyt Society, 1946.

55- Malan S. C. (Transl.) Ashort History of the Copts and their Church. London ; d.Nutt, 1873.

56- Malan, S. C. (Transl.), The Calendar of the Coptic Church, London : D. Nutt, 1873.

57- Marino Sanuto, Secrets for True Crusaders to help them to recovr the Holy Land. (traansl. A. Stewart). London. Palestine Pilgrims. Text socity, XII, 1280/1350 A. D., 1896.

58- Midleton, J. Henry., "The Copts and their Churehes' The Academy. 22, 1882, 248/ 49, 266/ 67, 285/ 86.

59- Neale, John Mason, AHistory of the Holy Eastern Church,2Vols . London : Joseph Masters, 1847.

60- Newman, Albert Henry., A Manual of Church History .2 Vols . Philadelphia: American Baptist Publication Society, 1901.

61- Philostorgius, The Ecclesiastical History (Transl. Ed. Walford.) London : Henry Bohn, 1875.

62- Quatremère, M., Histore des Sultans Mamlouks de I' Egypte. 4 Vols, Paris: Firmin Didot Freres, 1845.

63- Richter, Julius, A History of Protestant Missions in the Near East. Edinburgh: Oliphant, Anderson &Ferrier, 1910.

64- Sawirus Ibn Al- Mukaffa., History of the Patriarchs of the Egyptian Church. Vol . II, part I. Le Caire: Institut Francais de L' Archeologie Orientale, 1943.

65- Sawirus Ibn AI- Mukaffa, History of the Patriarchs of the Egyptian Church. Vol. II, Part II. Le Caire: Institut Français de A'rcheologie Orientale, 1948.

66- Simaika, Marcus, Catalogue of the Coptic and Arabic Manuscripts in the Coptic Museum, the Principal Churches of Cairo and Alexandria and the Monasteries of Egypt. 3 Vols. Cairo: Government Press, 1939.

67- Stock, Eugene, The History of the Church Missionary Society. 3 Vols. London: Church Missionary Society, 1899.

68- Troeltsch, Ernst. The Social Teachings of the Christian churches. 2 Vols. New York: The Macmillan Co., (1931) .

69- Watson, Andrew, The American Mission in Egypt. (1854/1896) Pittsburgh: United Presbyterian Board of Publication, 1904.

70- Wilkinson, Gardner, Modern Egypt and Thebes: A Description of Egypt .2 Vols. London, John Murray, 1843.

71- Bruce, Sirdar and Khalifa, Travels to Discover the Sources of the Nile

72- Combe, L' Egypte Ottomane,3 Vols.

73- Chukry, The Kedive Ismail and the Slavery in Sudan.

74- Sabry, The Empire Egyptian Sons, Mr Ali.

75- Sabry, The Empire Egyptian Sons, Mr Ismail.

76- Basset René, Le Synaxaire Arabe Jacobite.

77- Travers, Symons, Britain in Egypt.

78 - Le Quien, Oriens Christianus.

79 - Renaudotius, Eusebius, Historia Patriacharum Alex. Jacobitarum, ad Marco Usque ad finem Saeculi xlll, Paris, Francisum Fournier, 1713.

مصادر تاريخية عربية

لتاريخ الكنيسة القبطية من عصر المجامع إلى الوقت الحاضر

+ أمام القارئ مصادر عامة بالمكتبة البابوية بالقاهرة وبمكتبة المتحف القبطي - وبمكتبة الكلية الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية - ثم مصادر خاصة بكل قسم من أقسام هذا الكتاب .

١) المصادر العامة:

المخطوطات بالمكتبة البابوية (قسم التاريخ):

+ سير البطاركة لإبن المقفع من ١- ١١٩ وجدول البطاركة ومطارنة الحبشة ١٥و٩٢ + التاريخ للشيخ المكين جرجس بن العميد نسخ سنة ١٦٨٥م - ١٥ المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى المتوفى سنة ١٤٣٦م - نسخ فى سنة ١٥٠٩م - ٧١/٧٥.

+ **المطبوعات بنفس المكتبة والقسم:** عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى -مطبوع من سنة ١١٩٠ - ١٢٣٦هـ - ١ + المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار يختص بأقليم مصر للمقريزى - ٢ + الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث - ميخائيل شاروبيم طبع ١٨٩٨ - ١٩٠٠م - ٤ + حسن السلوك فى تاريخ البطاركة والملوك- الراهب البراموسى سنة ١٦١٣ش - ٥ + الخطط التوفيقية لمصر لعلى باشا مبارك ١٣٠٦ هـ - ١٠ + تاريخ الأمة القبطية وكنيستها تأليف أ. ل. بوتشر ١٩٠٠م - ١٥ + تاريخ الكنيسة القبطية للقمص منسى يوحنا ١٩٢٤م - ١٩

+ تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة لموسهيم ١٨٧٥م - ٢٠ + وادى النطرون ورهبانه وأديرتهم ومختصر تاريخ البطاركة لعمر طوسون ١٩٣٥م - ٢٣ + الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأسقف ايسوذورس - ١٩٢٣ - ٥٢ + تاريخ الأمة القبطية - يعقوب نخله روفيله ١٨٩٨م - ٥٤ + القول الأبريزى للعلاَّمة المقريزى - ١٨٩٨م - ٥٥

+ **الجمعية الأثرية:** فى صحراء العرب والأديرة الشرقية - لبيب حبشى وزكى تاوضروس ١٩٢٩م - ٧٢ + تحفة الأنام فى التاريخ العام - مصطفى صبرى ١٩٠٩م - ٧٨ + التمدين الإسلامى - جورجى زيدان ١٩٠٢م - ١٠٨ + تاريخ

الأمة القبطية لجنة التاريخ القبطى - ١٩٢١م - ومنتخبات تهذيبية ١٩٢٠م - ١٤٤و١٤٥ + علاقة مصر بالحبشة، القمص ابراهيم ابراهيم - ١٩٣٦م - ١٦٧ + أبو الدنيا - أو تاريخ الكون والإنسان من عهد الخليقة للآن - أحمد الشهيدى ١٩٠٩م - ١٦٥ + صور من تاريخ القبط جمعية مارمينا ١٩٥٠م - ١٨٣ + اثيوبيا بلد النجاشى عبد السيد غوردون - ١٨٤ + تاريخ مصر الحديث جورجى زيدان ١٩١١م - ١٩٢ + تاريخ الإنشقاق - جراسيموس مسرة ١٨٩٤م - ١٢١٨ع.

المخطوطات فى المتحف القبطى:

+ تاريخ المسلمين لجرجس بن العميد أبو الياسر بن أبوالمكارم بن أبى الطيب نقلاً عن مطبوع بلندن سنة ١١٥٥م - + تاريخ أبو صالح الأرمنى - ٤٢٦.

مطبوعات بقسم التاريخ بمكتبة الكلية الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية:-

+ القبط - جرجس فيلوثاؤس عوض ١٩٣٢م - ٢٥ + القول الأبريزى للعلامة المقريزى - ١٩٢٣م - ٨٢٢ و٧٢٣ + الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأنبا ايسوذورس ١٩٠٥م - ٨٢٣ + تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، بوتشر ١٩٠٠م - ١٩٠٩م - ١٠٤/٨١٤ + تاريخ الأمة القبطية، روفيلة ١٨٩٨م - ٨٤١ + المجلة القبطية - عوض ١٩٠٨و ١٩٠٩م - ١٣٣٠ + صفحات مطوية فى تاريخ الأمة القبطية - المجلة القبطية - ١٩٠٨م - ١٣٣٢ + لجنة التاريخ القبطى ١٩٢١م - ٨٤٨و ٨٥٠ - + صفحة من تاريخ القبط ١٩٥٤م - ٧٢٠ + الجبرتى - أربع مجلدات - ٧٢٨ + تاريخ مصر الحديث، جورجى زيدان - ١٩١١م - ٨١٥ + الكافى - ميخائيل شاروبيم ١٨٩٨ - ١٩٠٠م - ٨٦٢ + الأقباط، حلمى جرجس ١٩٥٦م - ١٤٩٩ + الخطط التوفيقية ١٣٠٥ هـ - ٧٢٤ و٨١٠ .

٢) مصادر القسم الأول - من القرن الخامس إلى القرن التاسع:

مخطوطات المكتبة البابوية - قسم التاريخ :

+ سير البطاركة من ٣٩ - ٦٤ رقم ٩، ١ - ٦٦، رقم ١١، ١ - ٥٥ نسخ فى ١٧١٧م - ١٣ + أعمال مجمع أفسس ١٨٩٠م + أنبا ديوسقورس ونياحته بعد نفيه إلى غنغرا ١٥٥٨م - ٤٠ + نياحة أنبا ديوسقورس - ٥٩ + المجمع الخلقيدونى مترجم من اللاتينية إلى العربية مطبوع فى روما سنة ١٦٩٤م - ٦٨ + نبوة أنبا صموئيل

رئيس دير القلامون - ٣٢ + رسالة أنبا موسى أسقف أوسيم - ٥٧ + مطبوع تاريخ الإنشقاق - تأليف جراسيموس مسرة ١٨٩١م - ٧ .

مخطوطات المتحف القبطى - قسم التاريخ:

+ ميمر ديوسقورس - ٤٧٥ + تاريخ بن المكين من آدم إلى ظهور الإسلام ٣٣٥ + سير البطاركة من ١ - ٥٥ رقم ٩٣/١ أ ٠بمكتبة الكلية الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية :

+ يوحنا النقيوسى - عوض ١٩٠٧م - ١٣٣١ والدكتور مراد كامل ١٩٢٠م - ٩٠٣ + المقوقس - عوض ١٩١٠م - ١٣٣١ .

٣) مصادر القسم الثانى من القرن التاسع إلى القرن السادس عشر:

مخطوطات بالمكتبة البابوية قسم التاريخ:

+ سير البطاركة ٦٥ - ٧٤ رقم ١٠، من ٦٦ - ٧٢ رقم ١٢، من ٥١ - ٧٦ رقم ٩١ حضور جسد أبى سيفين،عهد البابا يوأنس المصرى ٩٤ رقم ٤٨ + ميمر أنبا متاؤس ١٠٠ رقم ٤٧ + انتقال جبل المقطم - ٥٤ ، ٩٤ قصة الجراكسة وما وقع لهم مع سليمان خان - ٩٧

+ **مخطوطات بالمتحف القبطى** .. سير البطاركة من ٥٦ - ١١٢ رقم ٩٤/ ١ ب + ميمر أنبا ابراهيم السوريانى البطريرك ٦٢ المعروف بإبن زرعه - ٤٦٨ ..

المطبوعات بالمكتبة البابوية:

+ تاريخ آل سلجوق من انشاء الأصفهانى ١٣١٨ هـ - ٤٥ + الفتح القسى فى الفتح القدسى،الأصفهانى ١٣٢١ هـ - ٧١ + أنبا برسوم العريان - المقارى وغبريال ١٦٢٥ش - ١٢٣و١٦٩ + مصر فى عهد الأخشيديين - الدكتورة كاشف ١٩٥٠م - ١٨٧ + ابن كبر - عوض ١٩٣٠م - ١٢١٤ع + مكاتبات كيرلس بن لقلق - ٢٩١ لاهوت والبصخة - ٣١٢ طقس + مخطوط بالمتحف القبطى - عمل الميرون وظهور أعجوبتين - ١٢٨ + سنكسار ٤٥ أ بمكتبة الكلية الإكليريكية - ساويرس ابن المقفع - يسى عبدالمسيح ١٩٥٠م - ٩٠٣ .

٤) مصادر القسم الثالث من القرن السادس عشر إلى العصر الحديث:

+ **المخطوطات بالمكتبة البابوية - قسم التاريخ:** أخبار تاريخية ١٥٠٠ - ١٥٠٣ش -

تاريخه ١٧٨٧م – ٥٤ + رسالة غريغوريوس الرومانى ١٥٨٢م متوجة بعلامة أنبا يوأنس ١٤ بطريرك ٦١٩٦ + السلطان سليم وحروبه مع الجراكسة – الرمال – ٨٩ + نبذة عن تاريخ البطريركية وكنيسة الأزبكية ١٩٠٣م – ٥٠ .

+ **المطبوعات بالمكتبة البابوية**: تاريخ الدولة العثمانية – محمد فريد ١٨٩٦م – ٣١ – ٣٨ تاريخ نابليون بونابرت ١٨٦٨م – ٣٦ + سلاطين آل عثمان، يوسف بك – ٧٠ + الجنرال يعقوب لجنة التاريخ القبطى ١٩٣٥م – ٨٨ + تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة من ١٨٩٣م – ١٩١٢م – يوسف بك منقريوس ١٩١٣م – ١٤ + مجموع الوثائق والحجج المؤيدة لحقوق الأقباط فى دير السلطان – ٢٤ + صفوت العصر فى تاريخ رجال مصر من عهد محمد على – زكى فهمى ١٩٢٦م – ٣٢ + البعثات العلمية من محمد على إلى سعيد – لعمر طرسون ١٩٣٤م – ٣٧ + السودان المصرى الإنجليزى ١٨٩٦م – ٤٢ + الرحلة البطريركية الأنبا يوأنس ١٩ – ١٩٣٠م – ٤٨ + حرب الإنجليز والحبشة ١٨٦٨م – ٦٤ + تاريخ الأنبا إبرآم أسقف الفيوم – للقس متى عبدالمسيح ١٩٢٨م – ٧٥ + حاضر الحبشة ومستقبلها – رمزى تادرس ٨٢ + أنبا إبرآم – تادرس نخله – ٩١ + الكنز الأنفس فى الرحلة البطريركية، وعمل الميرون – القمص دوماديوس البراموسى – ١٩٣٠م – ٩٦ + غذاء النفوس فى تاريخ أنبا باسيليوس، مطران القدس – مينا راغب ١٨٩٩م – ٩٧ + نوابغ الأقباط فى القرن ١٩ توفيق اسكاروس ١٩١٠م – ١١٤ + مذكرات قلينى فهمى – ١٣٢ + أملاك القبط فى القدس لعوض – ١٤٠ + رحلة الراهب ميخائيل المقارى فى اثينا – ١٩٠١م – ١٤١ + الإرسالية القبطية الحبشية فى روسيا – ١٥١ + عواطف وأخبار مقتل بطرس غالى – ١٦١ + الأقباط فى القرن العشرين – رمزى تادرس – ١٨١ + ضحايا مصر فى السودان – محزون – ١٥٢ .

+ **بمكتبة الإكليريكية**: البابا متاؤس – نخله ٩٠٢ + نوابغ الأقباط اسكاروس – ٨٥٨ + الأقباط فى قرن ٢٠ – تادرس – ٨٤٣ + كيرلس الرابع – عوض ١٠٨٠ + حرب الدولة العلية واليونان – صدقى ٨٦٤ + فى سبيل الإستقلال – ميخائيل ٨٥٩ + كيرلس الرابع – الملاخ ٩٠٣ + البابا مكاريوس ١١٤ – ١٠٧٢ + بطرس غالى – عوض ١٣٣٣ + كيرلس مطران اثيوبيا – ١٠٧١ + ابراهيم الجوهرى/كامل المصرى – ٩٠٣ + القمص فيلوثاوس – جرجس عوض – ٩٥٦ + يعقوب حنا – رؤوف ٩٠٢ عهد اسماعيل – الياس الأيوبى – ٧٣٠.

الفهرست | الصفحة

الفهرست	الصفحة

أطلب لنفس الكاتب من كتب التراث:

١) موسوعة الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة لإبن سباعً.

٢) الخريدة النفيسة للأنبا إيسذيروس.

٣) مصباح الظلمة لإبن كبر.

٤) موسوعة تاريخ البطاركة لأسقف فوة.

٥) موسوعة الطقوس (٤٠٠ سؤال وجواب).

٦) موسوعة علم اللاهوت للقمص ميخائيل مينا.

٧) القول الصحيح في آلام المسيح، للأنبا بطرس السدّمنتي.

٨) بستان القديسين لبلاديوس وچيروم.

٩) قديسو مصر لأوليري.

١٠) القديسون المصريون لبول شينو.

١١) موسوعة سيرة المسيح (٢٦ جزءاً).

١٢) الموسوعة القبطية الشاملة (١٣ مجموعة × ١٢ كتاب).

١٣) موسوعة تفسير الكتاب (العهد الجديد).



هذا الكتاب:

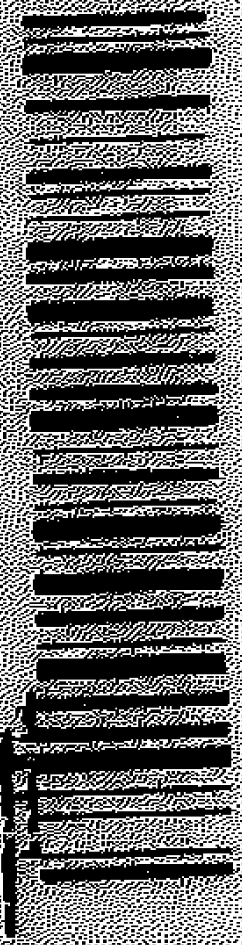
هو من تأليف أستاذنا الراحل الحبر الجليل الأنبا ديوسقورس (أسقف المنوفية). وهو خلاصة تدريس مادة "تاريخ الكنيسة" بالكلية الإكليريكية، لمدة ٤٠ سنة متواصلة.

وقد اعتمد نيافته على المصادر الأجنبية والعربية، والمخطوطات التى اطلع عليها بالأديرة، فى أوائل القرن الماضى.

وهو الوحيد الذى يلخص المعلومات التاريخية ويحللها وينقدها، ويعلق عليها، بأسلوب علمى مقنع وسهل، ولازم كمنهاج لكل الباحثين، والدارسين لتاريخ الكنيسة، فى كل المعاهد الدينية فى مصر وبلاد المهجر، ولكل محبى التاريخ المقدس. وقد تم وضع الجزئين فى مجلد واحد، كما اعتدنا عليه من قبل.

وهو استكمال للسلسلة التاريخية والتراثية، التى أصدرتها لنا مكتبة المحبة، موجزة ومحققة ومبسطة، وهى:-

١ - الجوهرة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأنبا إسيذيروس.
٢ - عصر المجامع، للقمص كيرلس الأنطونى.
٣ - السنكسار القبطى اليعقوبى.
٤ - تاريخ البطاركة، لأسقف فوة.
٥ - بستان القديسين، لبلاديوس وجيروم.
٦ - القديسون المصريون، لبول شينو الفرنسى.
٧ - قديسو مصر، للعلامة الإنجليزى أوليرى.
٨ - سلسلة عذارى حكيمات (٤ أجزاء).
٩ - مصباح الظلمة، لابن كبر.
١٠ - تاريخ البطاركة، لساويرس ابن المقفع (تحت الطبع).



مكتبة المحبة: ٣٠ شارع شبرا. القاهرة
ت. وفاكس: ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) . ٥٧٧٧٤٤٨ (
تليفون: ٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) . ٥٧٨٢٩٣٢ (٢٠٢)
E-mail : Mahabba5@hotmail.com